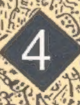


توفر عليها

أ.د شعبان عبد العزيز خليفة



الدار المصرية اللبنانية

دائرة المعارف العربية

في علوم

الكتب والمكتبات والمعلومات

الناشـــر : الدار المصرية اللبنانية

١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٢٩٩٥ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي : 3 - 589 - 270 - 977

جمع وفصل ألوان وطبع : **عربية للطباعة والنشر**

العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين

تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣

الطبعة الأولى : شوال ١٤٢٠هـ ـ يناير ٢٠٠٠م

دائرة المعارف العربية

في علوم

الكتب والمكتبات والمعلومات

المجلد الرابع

الاتصال ، علم ـ الأرجنتين ، المكتبات

توفر عليها

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الناشر

الدار المصرية اللبنانية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المجلد الرابع

الحمد لله أولاً وأخيرا على أن أعانني على القيام بهذا العمل الموسوعي الذي اختتم به حياتي العلمية بعد خمسة وثلاثين عاماً من الاشتغال بعلم المكتبات والمعلومات.

لقد خططت لهذه الدائرة أن تصدر في خمسة عشر مجلداً، إلا أنني بعد صدور المجلدات الثلاثة الأولى وكلها في جزء من حرف الألف أتوقع أن يزيد العدد النهائي للمجلدات عما قدرناه سلفاً.

يصدر هذا المجلد الرابع أيضا ونحن مانزال في حرف الألف ويغطي المواد الواقعة بين الإتصال والأرجنتين وقد ربا عدد صفحاته على ستمائة وخمسين صفحة.

وقد فصلت بعض مقالاته تفصيلا كبيرا بسبب قلة ما كتب فيها بالعربية وأوجزت مقالات أخرى بسبب كثرة ما نشر فيها بالعربية. وقد تناول المجلد أنواعاً شتى من المادة العلمية الموضوعات، المؤسسات، البلدان، الأشخاص على نحو ماوعدنا به من قبل بحيث تأتي الدائرة شاملة كاملة عميقة قدر طاقة الانسان الفرد.

لقد تقبل المكتبيون العرب هذه الدائرة قبولا حسنا، ويأتي صدور هذا المجلد الرابع بعد التكريم الذي طوقوا به عنقي في مدينة نابل التونسية في الثامن من أكتوبر سنة ١٩٩٩م والذي اعتبره تاجاً على رأسي يدفعني إلى بذل آخر قطرة من دمي في سبيل خدمة مهنة المكتبات والمعلومات العربية.

وألجأ إلى ما يلجأ إليه المؤمنون عادة، وهو الدعاء لهم، فهم قد كرّموني وبيضوا وجهي في الدنيا والله سبحانه يكرّمهم ويبيض وجوههم في الدنيا والآخرة.

والمؤلف والناشر يأملان أن ينتفع بهذا المجلد كما انتفع بالمجلدات الثلاثة السابقة.

والله سبحانه من وراء القصد.

أ. د. شعبان عبد العزيز خليفة

الجيزة ١٩٩٩

الاتصال، علم (الاتصال الفكرى)

Communication Science (Intellectual Communication)

تعريف الاتصال

يعرف الاتصال بأنه عملية نقل المعلومات والأفكار والاتجاهات بل والميول والعواطف من شخص إلى شخص أو من جماعة إلى جماعة وباختصار شديد إنه التفاعل الاجتماعى بين الرسائل فيما يقول د. ماكويل و س. ونداهل فى كتابهما أنماط الاتصال ـ لندن: لونجمان، ١٩٩٣.

وقد أورد قاموس أكسفورد الصغير ستة تعريفات مختلفة لكلمة «اتصال» تكشف عن الارتباطات المختلفة لهذا المصطلح. ونورد فيما يلى عرضاً لتلك التعريفات ثم نعرض لها بعد ذلك:

١ ـ عملية نقل المعرفة وخاصة الأخبار وكذلك المعرفة نفسها أو المعلومات المنقولة.

٢ ـ وسيلة ربط الأماكن ببعضها البعض مثل الباب، الممر، السكة الحديد، الطريق...

٣ ـ العلاقات الاجتماعية.

٤ ـ علم أو علوم نقل المعلومات وممارسته عملياً وخاصة من خلال الوسائل الإلكترونية والميكانيكية.

٥ ـ وسيلة النقل بين القاعدة والجبهة.

٦ ـ البحث الذى يقرأ على مجتمع أكاديمى أو أمام جمعية علمية.

وإذا أمعنا النظر فى هذه التعريفات لوجدناها تنقسم إلى قسمين:

الأول : عملية الاتصال نفسها

الثانى : الرسالة موضوع الاتصال

وبطبيعة الحال فإن دراسة الاتصال لابد وأن تنطوى على الاثنين معاً.

والرسائل عبارة عن علامات أو رموز وكلمات تشير جميعها إلى شيء آخر منفصل عنها. وعلامة الطريق التى تحدد السرعة هى مثال على الاتصال من خلال رمز له معنيان: المعنى الأول الشكل والإخراج يدلان على لفت الانتباه وأن هذه العلامة هى تعليمات أو تنبيهات إلى فئة معينة من مرتادى الطريق وهم السائقون والمعنى الثانى الرقم المحدد داخل العلامة وهو يدل على السرعة القصوى المسموح بها للسائقين. ولكى تحمل هذه العلامات معنى وفحوى فلابد وأن تنظم فى نظام معين يسمى «الشفرة»، هذا النظام أو هذه الشفرة يربط كل علامة بأخرى بطريقة تمكن المستقبل من تأويلها وتفسيرها وفهمها. ولنأخذ علامة الطريق مرة أخرى كمثال، فعلامة تحديد السرعة هذه لها شكل مادى فيزيقى معين يربطه بسائر علامات الطريق الأخرى والتى يجب إطاعة ما بها من تعليمات عن طريق السائقين (وهى تختلف عن علامات أخرى على الطريق قد تكون بها تعليمات لغير السائقين). والرقم الموجود على علامات الطريق هذه ينطوى على شفرة أخرى يعتمد تفسيرها على مدى فهمنا لنظام الأرقام المعمول به والمستخدم فى وقتنا. وهكذا فإن تشفير أو ترميز حدود السرعة يقتضى منا كمستقبلين حل مجموعتين من الشفرات. والسائق عليه مهمة حل شفرة هذه العلامات كى يفهم معناها لأن الخطأ وارد فى هذه العملية استناداً إلى خلفيته كمستقبل. وعلى سبيل المثال البعض تعود فى بلده على أن يرى تحديد السرعة بالكيلو مترات/ ساعة وقد يخطىء فى فهم تلك العلامات فى بلد آخر يحدد السرعة بالأميال/ ساعة.

عملية الاتصال:

ومن المؤكد أن الاتصال هو مسألة أساسية فى أى نوع من النشاط الاجتماعى وهو من هذا المنطلق يدرس من خلال دائرة واسعة من الوجوه ووجهات النظر تتراوح بين وجهات النظر العلمية مروراً بالعلوم الاجتماعية وانتهاءً بالإنسانيات. والنماذج الموجودة فى أذهان الناس عن الاتصال هى فى حقيقتها نماذج محدودة عما تقدمه تلك الدائرة المتسعة. والصورة الأكثر شيوعاً عن الاتصال هى تلك التى سادت فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ نصف قرن وقد كان الهدف منها تحسين كفاءة قنوات الاتصال بصفة عامة هناك والاتصالات التليفونية بصفة خاصة.

ولقد توفر على تطوير هذا النموذج عالمان أمريكيان هما: كلود إلوود شانون و وارين ويفر سنة ١٩٤٩. وقد أودعا هذا النموذج فى كتابهما: النظرية الرياضية للاتصالات .- إيربانا شامبين: مطبعة جامعة إلينوى، ١٩٤٩. ومن هنا فقد جاء مدخلهما إلى الاتصالات مدخلاً علميًا رياضيًا بحتًا ولكن هذا المدخل سرعان ما تم تطبيقه بأسس وطرق مختلفة.

ويكشف الرسم الآتى عن عناصر الاتصال فى نموذج شانون ـ ويفر. وفى حالة المحادثة التليفونية يكون مصدر المعلومات (المرسل) هو الشخص المتحدث بينما وسيلة نقل الرسالة هو التليفون (قطعة الفم) التى تحول الرسالة إلى إشارة كهربية؛ وهذه الإشارة تنقل بطريقة ما ـ عبر الكابل ـ إلى جهاز التليفون الآخر (قطعة الأذن) المستقبل، وتتحول الرسالة إلى صوت يسمعه الطرف الآخر الذى يستمع. والشكل يتضمن عنصراً آخر إضافيًا هو ذلك المربع الذى كتب بداخله كلمة ضوضاء. وهذا المربع يشير إلى أية شوشرة أو تداخلات تؤثر على عملية استقبال الرسالة.

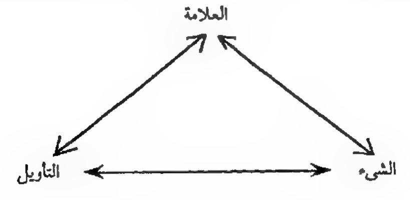
نموذج شانون ـ ويفر



وفى حالة شبكة التليفونات الفعلية يمكن أن تؤخذ كلمة ضوضاء بمعناها الحرفي، وحيث تحدث الشوشرة عادة فى قطعة الأذن فى التليفون يؤثر ذلك فى وضوح الرسالة أو المحادثة. وعندما يستخدم هذا النموذج بعيدًا عن التليفونات، يعاد تفسير معنى الضوضاء هنا ليطلق على أى شيء يؤثر فى استقبال الرسالة وعلى سبيل المثال فى المحادثة الشفوية قد يفوت على المتلقى بعض الكلمات أو الجمل لأنه سرح بفكره بعيدًا عن المتحدث. كذلك يمكننا أن نتحدث عن «ضوضاء المعانى والدلالات» ونعنى به أى شيء يجعل معنى الرسالة مشوشًا ومشوهًا خلال عملية الاتصال، وعلى سبيل المثال قد يستخدم المرسل أو المتحدث ألفاظًا يكون المستمع غير متآلف معها غير مستوعب لها.

ونموذج شانون ـ ويفر يمثل النمط السطرى فى الاتصال من حيث عملية التدفق. وهو يدل بوضوح على جزء فقط من كيف يعمل الاتصال أو كيف تسير عملية الاتصال، فهو على سبيل المثال لا يكشف عن التلقيم المرتد (المردود). ففى حالة المحادثة التليفونية، يصبح المتحدث هو المستمع والمستمع يصبح متحدثًا على التوالى. وحمل المعنى هنا يعتمد غالبًا على هذا التفاعل فى تقليل سوء الفهم. ويمكن تنقية الرسائل وتنقيحها عندما يتم الاعتماد على أكثر من مصدر للمعلومات. وفى حالتنا هذه فإن مستقبل الرسالة التليفونية قد يعرض جزءً من محتوياتها على زميل له أو صديق.

هذه هى إذن العناصر المتعلقة بعملية الاتصال. وهناك نماذج تحاول المساعدة فى فحص أو اختبار معنى الرسائل. إن علم الإشارات والعلامات يعنى بدراسة الإشارات والعلامات والرموز وهناك بالتبعية نماذج اتصال مبنية عليها للنظر فى كيفية نقل الرسالة عن طريقها. ومن بين هذه النماذج ذلك الذى طوره بيرس ونقله عنه ج. فسك فى كتابه: مقدمة فى دراسات الاتصال. ـ لندن: روتلدج، ١٩٨٨. والذى يوضحه الرسم المرفق. هذا النموذج يعكس حقيقة أن الشخص المتلقى للرسالة يتلقى معرفة مباشرة حول الشيء الذي يخبر عنه إلى جانب العلامة أو الإشارة التى تمثل هذا الشيء. وتأويل الشخص للعلامة يعتمد على التفاعل بين هذين النوعين من المعرفة. وعلى سبيل المثال فإن كلمة «مجرى مائى» سوف تثير صورة لدى الناس الذين يعيشون فى الريف المنبسط مختلفة عنها لدى هؤلاء الذين يعيشون فى الجبال.



والنماذج تساعد حتمًا فى مناقشة الاتصال عن طريق تركيز الانتباه حول الجوانب الأكثر أهمية وتقديم إطار مناسب للتحليل. ولابد أن يكون كل نموذج محددًا فى ذاته ومجاله ولهذا السبب نجدنا أمام نماذج اتصال عديدة. والشىء المهم هو أن نختار من بينها النموذج الأكثر ملاءمة للحاجة التى أمامنا.

وكما أن الاتصال موجود بين البشر فإنه موجود كذلك بين الحيوانات. وفى هذا السياق فإننا نعنى بالاتصال فى مملكة الحيوانات أن يكون هناك تفاعل بين طرفين يؤدى فى النهاية إلى تغيير فى سلوك الطرف الآخر. وحتى بين البشر يمكن أن يكون ذلك وسيلة للحكم على نجاح الاتصال. والاتصال الحيوانى أيضًا يسترعى الانتباه بسبب القيود الواقعة على الاتصال بحكم الحواس المستخدمة فيه. وبعض الحيوانات يمكنها أن تسمع أصواتًا لا نسمعها نحن، وبعضها يرى ألوانًا لا نراها نحن. وفى الحقيقة يعتمد البشر على حاستين هما: السمع والبصر؛ أما حواس اللمس والشم والتذوق فالمعلومات التى تنقلها قليلة من جهة ولا يمكن قياسها كميًا من جهة ثانية. وهذا الأمر يصدق أكثر ما يصدق عند الحديث عن المعلومات بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكن تعريفنا الأصلى للاتصال يضم كل شىء من المعلومات الكمية وحتى العواطف. وفى الطرف الآخر من المنظومة نربط أشياء أكثر مع مملكة الحيوانات مثل اللمس والشم والتذوق حيث يكون لها دور أكبر فى هذه المملكة من دورها فى مملكة البشر. وحتى فى نقل العواطف يكون للبصر والسمع دور أساسى. وربما كان السبب فى ذلك هو اعتماد البشر الأساسى على اللغة.

الاتصال والمعلومات:

من العرض السابق يتضح لنا أن اللغة فى الاتصال البشرى هى التفاعل بين البشر من خلال مجموعة متفق عليها من الإشارات. وهذه اللغة قد تكون منطوقة أو مكتوبة بطريقة تستخدم كلمات اتفق البشر على صياغتها. وهذا هو الحد الأدنى من مفهوم اللغة لأنه يغفل على سبيل المثال الاتصال عن طريق الصور والمعادلات الرياضية. وقبل التركيز على اللغة يجمل بنا الوقوف أمام بعض العوامل العامة التى تؤثر فى الاتصال.

تفترض نظرية شانون ـ ويفر أن كل المعلومات تشترك فى بعض الخواص الأساسية العامة. إحدى هذه الخواص أن جميع المعلومات يمكن وصفها فى مصطلحات ذات وحدات أساسية تسمى اللقيمة bit. وهذه الخاصية تتمشى مع إجابة نعم لا التى نقوم بها فى حالة الإجابة على أسئلة معينة؛ ومقابلها فى الحاسب الآلى هو المفتاح الذى يحول بين شغِّل و أطفىء الخاص بالتيار الكهربائى. هذه الوحدة الأساسية تمكننا من قياس كمية المعلومات فى أية رسالة (نصيه، صُوَرية...). وهذا الحساب هو واحد من العوامل الرئيسية في تقرير سرعة اتصال المعلومات. والعامل الثانى المشترك هو كفاءة النقل لدى قناة الاتصال (وهو ما يشار إليه عادة بمصطلح نطاق الذبذبات). فالقناة ذات النطاق المنخفض لن تتناول إلا كمية محدودة من المعلومات فى وقت واحد. وإذا قسنا الصور بعدد اللقيمات فإنها يقينًا تحمل كمْيات من المعلومات أكبر مما يحمله الكلام المنطوق.

ونقل الرسائل يمكن أيضًا أن يتأثر بالضوضاء، وقد أشار شانون و ويفر إلى أهمية الإطناب فى الرسالة للتغلب عليها، أى على الضوضاء. ولو افترضنا أن كل كلمة فى المحادثة التليفونية تشتمل على معلومات هامة فلن يكَون هناك إذن إطناب . والمشكلة هنا لو أن الضوضاء حجبت حتى ولو كلمة واحدة من الرسالة، فإنه سوف تكون ثمة خسارة أو نقص فى المعلومات وقد تكون الخسارة كبيرة. وللتغلب على هذه المشكلة لابد من تكرار كل كلمة عدة مرات على أمل أن تصل الكلمات جميعًا حتى فى حال الضوضاء. وفى هذه الحالة سوف يقال بأن فى الرسالة نسبة عالية من الإطناب. وعادة ما يكون هذا التكرار لنفس الكلمات غير ضرورى لأن اللغات بطبيعتها تنطوى على درجة عالية من الإطناب فاللغة الإنجليزية على سبيل المثال تنطوى على ٥٠٪ إطناب وهذا يعنى أن ٥٠٪ من كلمات أية رسالة تليفونية يمكن أن تضيع ومع ذلك يستطيع المستقبل أن يكوّن فكرة كاملة عن الرسالة التى يتلقاها. ولو أن هذا الإطناب الطبيعى المبنى داخل اللغات أضيف إلى طاقة المردود (التلقيم المرتد) فى المحادثة التليفونية فإنه يمكن التغلب على أية ضوضاء فى التليفون. وهناك حسابات إحصائية أخرى تؤثر فى رسائل الاتصال المبنية على اللغة. وعلى سبيل المثال فقط فإنه فى المحادثات التليفونية يكثر استخدام الكلمات أحادية المقطع أكثر من الكلمات متعددة المقاطع، وكذلك فإن

هناك بعض الكلمات التى تستخدم فى هذا السياق أكثر من غيرها. وفى اللغة الإنجليزية هناك خمسون كلمة تمثل ٤٥٪ من أى شىء مكتوب. هذه الحسابات الإحصائية تمثل جزءا من الإطار اللغوى الذى يشكل الاتصال البشرى.

والإطار اللغوى يعمل على عدد من المستويات فى حقيقة الأمر. وقد يضم ذلك أيضًا الكلمات إما على البنية (المورفولوجى) أو على مستوى السياق (التراكيب) كجزء من تحليل قواعد النحو. كما قد ينطوى الإطار اللغوى بنفس القدر على دراسة الكلمات والجمل من ناحية المعانى أو من ناحية الإلقاء والتمثيل الفيزيقى (الصوتيات). وأى خلل بين مصدر المعلومات ومستقبل المعلومات فى أى جزء من هذا الإطار يمكن أن يؤدى إلى مشاكل فى فهم الرسالة. وإن كانت هذه المشكلات تختلف بطبيعة الحال بالنسبة للاتصال البصرى (وخاصة المكتوب) من جهة والمحادثة المباشرة من جهة ثانية.

الاتصال الرسمى وغير الرسمى:

عادة ما يجرى التمييز بين نوعين من الاتصال هما الاتصال الرسمى والاتصال غير الرسمى. والاتصال غير الرسمى هو عادة إتصال مؤقت ويجرى بين جمهور محدود؛ بينما الاتصال الرسمى هو عادة إتصال دائم ويجرى على الملأ بين جمهور عريض ونظارة واسعة. وفى الاتصال غير الرسمى يوجه المرسل (مصدر المعلومات) رسالته المحددة، بينما فى الاتصال الرسمى يقوم المستقبل باختيار الرسالة. والاتصال غير الرسمى قد ينطوى على جانب كبير من الإطناب ولكنه فى نفس الوقت يسمح بالمردود (التلقيم المرتد) من جانب المستقبل ومن ثم يتلقاه المرسل. والإطناب والمردود هنا أقل منهما فى حالة الاتصال الرسمى. والنموذج الحى على الاتصال غير الرسمى هو المحادثة التليفونية وعلى الاتصال الرسمى: الكتاب. وإذا أمعنا النظر فى النوعين سنجد أن الخط الفاصل بينهما أقل وضوحًا وعلى سبيل المثال فإن المحاضرة هى اتصال غير رسمى ولكنها إذا طبعت أو سجلت فى شريط فيديو فإنها سوف تدخل فى إطار الاتصال الرسمى. والمعلومات التى تستقبل عن طريق الأذن هى عادة من قبيل القنوات غير الرسمية، بينما الاتصال الرسمى فى نظر البعض هو ذلك الذى يتم تلقيه عبر البصر.

ويرى الكثيرون أن ثمة روابط منطقية بين قناة الاتصال وبين نمط أو نوع الاتصال. ويمكن النظر إلى تلك الروابط من خلال وجهات نظر مختلفة، نأتى على أهمها :-

١ ـ الحواس المتأثرة:

وهى كما أشرنا فى حالة النص المطبوع أو المخطوط (البصر)؛ وفى حالة الراديو (السمع). ومن بينها أيضًا المحادثات وجهًا ـ لوجه التى تنطوى على السمع والبصر فى آن واحد (وبعضها ينطوى على حواس أخرى مثل الشم). وتقديم المعلومات إلى أشخاص فقدوا إحدى الحواس قد ينطوى على تغيير القنوات ومن الأمثلة الواضحة على ذلك كتب برايل للعميان حيث تحل حاسة اللمس محل حاسة البصر.

٢ ـ فرص التلقيم المرتد (المردود):

وهذه تتحسن كلما قل عدد المستقبلين للرسالة الاتصالية. وهكذا فإنه فى حالة المناقشة وجهًا لوجه يكون المردود شفويًا من جانب المستقبل كما قد يكون غير لفظى أى حركات بدنية وعلى الجانب الآخر من الصورة قد لا يكون هناك مردود أو تلقيم مرتد فى حالة البرنامج التليفزيونى من جانب مخرج البرنامج أو منتجه. وتقوم نظم المعلومات المبنية على الحاسب الآلى فى الوقت الراهن بإتاحة فرص التفاعل والتبادل المباشر بين المستفيدين من النظام. وعلى الرغم من أن قاعدة البيانات على الحاسب قد يستعملها أكثر من مستفيد واحد فى نفس الوقت إلا أن النظام يضمن مداخلات شخصية لكل منهم.

٣ ـ ضبط الاستقبال:

يعتمد معدل امتصاص المعلومات على عدد من العوامل مثل طبيعة المعلومات وطاقة المستقبل الفرد. ولعل أعلى طاقة استيعاب هى تلك التى يكون فيها المستقبل قادرًا على التفاعل مع قناة الاتصال بحيث يمتص المعلومات بالمعدل الذى صمم لاحتياجاته هو. وعلى سبيل المثال فى حالة هضم محتويات كتاب ما يستطيع القارىء أن يتوقف ويفكر فى المعلومات التى تلقاها حتى تلك النقطة، أو يعود ويعيد قراءة بعض الأجزاء التى يصعب عليه تمثلها. وهاتان العمليتان مستحيلتان فى حالة الاستماع إلى الأخبار فى الراديو على سبيل المثال لأنه فى هذه الحالة يكون مصدر المعلومات هو المتحكم فى تقديم المعلومات.

٤ ـ مجال بث المعلومات:

يمكن بث المعلومات سواء عبر القنوات الشفوية أو القنوات البصرية إلى أى حجم من الجمهور أى من شخص واحد فأكثر. ومن هنا يمكن مناقشة قنوات الاتصال طبقًا للمدى الذى تصل إليه. وعلى سبيل المثال توصف التليفزيون، والراديو، والصحف على أنها معًا وسائل اتصال جماهيرى. وثمة عامل آخر هو طبيعة الجمهور وطبقًا لذلك فالدوريات العلمية توجه إلى الباحثين الذين يعملون فى تخصص معين.

٥ ـ حفظ المعلومات:

بعض المعلومات ـ على سبيل المثال المناقشة الشفوية ـ تختفى بمجرد ظهورها. وتكتسب المعلومات أهمية خاصة حين تسجل وتدون. وهذا التسجيل والتدوين يتطلب استخدام مكونين: وسيط لتسجيل المعلومات عليه وأداة للتسجيل بها. وعلى سبيل المثال فى حالة النص يحتاج الأمر إلى ورق للكتابة عليه وحبر يكتب به على الورق. وبالنسبة للقرص الرخو فى الحاسب يكون الوسيط أو المادة هى البلاستيك الذى يصنع منه القرص بينما الأداة هى الجسيمات الممغنطة. ويعتمد مدى حفظ المعلومات على ديمومة ومتانة العنصرين معًا. وفى بعض النصوص المطبوعة مثلاً يتحلل الورق بأسرع مما يتحلل الحبر نفسه، بينما فى حالة الأقراص الرخوة تتحلل الجسيمات الممغنطة وتتآكل بأسرع مما يتآكل البلاستيك نفسه ويتحلل.

الاتصال وتضخم المعلومات:

ليس من الضرورى أن يقوم المستقبلون بامتصاص واستيعاب المعلومات لمجرد أنه تم بثها عبر قنوات الاتصال؛ ذلك أن كثيرًا من القنوات وخاصة القنوات الرسمية تبث كميات ضخمة من المعلومات يصعب على أى مستقبل أن يستوعبها كلها. وهذا الإثقال المعلوماتى يعتبر عامل ضوضاء شأنه شأن مصادر الضوضاء الأخرى فى النظام ورغم وجود معلومات وثيقة الصلة بحاجة المستقبل إلا أنها تضيع فى زحام فيض مغرق من معلومات غير ذى صلة بتلك الحاجة. والمشكلة تبلغ درجة عالية من الحدة فى حالة الاتصال العلمى وخاصة عندما يتطلب الأمر الرجوع إلى إنتاج علمى سابق إلى جانب الإنتاج العلمى الجارى.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن إنتاج المعلومات البحثية يتعاظم يومًا بعد يوم منذ أكثر من ثلاثة قرون. ولقد تعالت شكاوى الباحثين من تضخم المعلومات منذ ذلك الوقت. وهذا الموقف مدهش للغاية حيث كانت الأجيال السابقة تتعامل مع كميات أقل من المعلومات تستطيع الإفادة منها إلى أبعد حد وإن كانت مجالات اهتمامهم أوسع من مجالات اهتمام الباحثين فى أيامنا حيث تدق الاهتمامات وتضيق حتى يمكن تعمقها، وظهر التخصص الدقيق بين الباحثين ليخرج منه تخصص دقيق آخر. وكلما دق التخصص كلما خف العبء المعلوماتى عن الباحث؛ وفى نفس الوقت تظهر وسائل جديدة لتتبع المعلومات وثيقة الصلة. وعلى سبيل المثال ظهرت دوريات الاستخلاص فى القرن التاسع عشر لتكون دليلاً فعالاً إلى الإنتاج الفكرى فى الموضوع. وفى القرن العشرين وضعت تلك الدوريات على الخط المباشر حتى تيسر الكميات الكبيرة من البحث فى الإنتاج الفكرى. والحاسبات الآلية تعالج المعلومات بسرعة من جهة وتسمح بأساليب بحث واسترجاع آلية جديدة. ويجب أن نضيف إلى ذلك أن التخصص العميق قد أثر تأثيرًا جذريًا فى الاتصال غير الرسمى والاتصال الرسمى على السواء وعلى سبيل المثال كانت المؤتمرات لعشرات من العقود مضت كانت تعالج دائرة أوسع من الموضوعات مما يعالجه المؤتمر الواحد فى أيامنا هذه.

والسبب الرئيسى فى التوسع السريع للاتصال العلمى الآن هو الزيادة النسبية فى حجم مجتمع البحث؛ رغم أن المراقبين يلاحظون أن حدة التوسع قد بدأت تتباطأ مما يعنى أن نمو المعلومات العلمية يمكن أن يتباطأ هو الآخر. وربما لا تصدق تلك الحقيقة طالما أن أساليب جديدة فى البحث تسمح بطلب المعلومات بمعدلات عالية، أعلى من الأساليب القديمة. وعلى سبيل المثال فإن قمرًا صناعيًا واحدًا للاستشعار عن بعد يمكنه أن يقدم من البيانات والمعلومات ما تقدمه جميع المسوحات الأرضية مجتمعة. وهكذا فإنه يمكننا القول مطمئنين بأن مشكلة التكامل مع كميات ضخمة من المعلومات المتزايدة سوف تؤثر حتمًا فى قنوات الاتصال فى المستقبل القريب.

لقد أثرت مشكلة كمية المعلومات التى يجب أن نتناولها فى معظم قنوات الاتصال الرسمى وليس فقط تلك المعنية بالبحث العلمى. وعلى سبيل المثال فإن عدد الأعمال القصصية قد زاد مع مرور الوقت. وقد أدى ذلك إلى نوع من التخصص فى

موضوعات تلك القصص (مثل قصص الجريمة...)، وعلى الرغم من أن ذلك قد انعكس على عادات القراء فى المكتبات العامة إلا أنه مازال أمام المستفيدين دائرة واسعة يختارون من بينها. وكان على المكتبات العامة أيضًا أن تعدل أساليبها وتتناول هذا النوع من مصادر المعرفة بطريقة أكثر كفاءة. وللقيام بذلك تراوحت الإجراءات بين تبادل الإعارات وميكنة فهارس المكتبات.

ملاءمة الاتصال:

استعمال النوع المناسب من مصادر المعلومات لا يعتمد فقط على استرجاع المعلومات وثيقة الصلة بالحاجة منها ولكن أيضًا على قناة الاتصال الملائمة نسبيًا التى يمكن عن طريقها الوصول إليها. وعندما يوضع المستفيدون موضع الاختيار فإنهم يفضلون القناة الملائمة التى تقدم معلومات أقل مستوى على القناة غير الملائمة التى تقدم معلومات أعلى مستوى. والسؤال هنا ما الذى يجعل قناة ملائمة وأخرى غير ملائمة. وللإجابة على هذا السؤال نقول بأن القرب الفيزيقى للقناة هو أحد هذه العوامل، ولا يجب أن نندهش إذا لم يلجأ البعض إلى القنوات البعيدة وفضلوا عليها القنوات القريبة. وكلمة بعيدة هنا قد يكون لها معنى محدود للغاية. ففى الحرم الجامعى على سبيل المثال فإن مكتبة على بعد عشر دقائق سيرًا على الأقدام من المكتب سوف يكون استخدامها أقل من مكتبة على بعد دقيقة واحدة من نفس المكتب. وحتى العقبات الصغيرة قد تعرقل الاتصال غير الرسمى. وعلى سبيل المثال فإن الاتصال بين الناس الذين يعملون فى الطوابق المختلفة من نفس المبنى يكون أسوأ من ذلك الاتصال الذى يتم بين الناس الذين يعملون فى نفس الطابق. وفى السنوات الأخيرة قام الحاسب الآلى وشبكاته بسد ثغرة البعد المكانى فى الاتصال عن طريق ما يعرف بالبريد الإلكترونى. وعادة ما يكون معدل استخدام البريد الإلكترونى منخفضًا إلا إذا كان الحاسب الآلى موجودًا على مكتب كل من المرسل والمستقبل.

وعلى الرغم من أن تأثير المسافة على استخدام جل قنوات الاتصال واضح بذاته، إلا أنه من الممكن أن نتبين عامل المسافة أيضًا على اختيار مصادر المعلومات نفسها. وعلى سبيل المثال المكالمات التليفونية المحلية تطغى على المكالمات التليفونية للمسافات البعيدة وقد لا يكون السبب هنا هو ملاءمة القناة ولكن قد يكون السبب هو عامل

التكلفة وأماكن تواجد الزملاء. وعندما ننظر إلى الاتصال على ضوء هذه العوامل فإننا يجب أن ننظر إليه على ضوء عوامل الوقت والمسافة معًا، ذلك أن الناس ينظرون عادة إلى سرعة التفاعل عند اختيارهم لقناة الاتصال؛ ذلك أن الأمور التى تتطلب سرعة الاستجابة قد تتطلب استخدام الفاكس، بينما الرسالة التى لا تتطلب ردًا عاجلاً قد ترسل بالبريد. ومن هنا نجد أن المسافة وحدها هى مجرد عامل واحد من العوامل المؤثرة فى اختيار الأفراد لوسيلة الاتصال ومن بينها السرعة، والتكاليف...

الاتصال داخل الجماعات:

الاتصال بالضرورة هو نشاط جماعى، واتصال الفرد بالفرد هو طرف واحد من طرفى السلسلة ولهذا السبب فإن كثيرًا من دراسات الاتصال تحاول اختبار كيف يتم هذا الاتصال فى الجماعات الخاصة والمؤسسات والمجتمعات. إن روابط الاتصال بين أفراد الجماعة إنما تمثل «شبكة» تعكس الطبيعة الخاصة للاتصال داخل هذه الجماعة. وفى حقيقة الأمر فإن أنماط المشابكة المختلفة للجماعات المختلفة تعنى أن كل جماعة يمكن لأغراض الاتصال أن يكون لها وجودها الخاص بها والذى ينفصل عن الجماعة الأم.

خذ على سبيل المثال الشركة التجارية: إن لها أهدافها بعيدة المدى والتى تطبق بصرف النظر عن تغير الإدارة والموظفين. ولها تنظيمها الخاص الذى يفرض بنية طبقية على أنشطة هؤلاء الأفراد. والاتصال فى هذه الشركة يفترض تقليديًا أن يكون رأسيًا يبدأ من المدير المنفذ فى قمة التنظيم وينساب خلال المستويات المختلفة حتى يصل إلى العمل اليدوى فى قاعدة الهرم التنظيمى. والعاملون كل يتلقى التعليمات من المستوى الأعلى منه مباشرة، ويلقيها أيضًا إلى المستوى الذى دونه. والشركات الناجحة هى تلك التى تتخذ الترتيبات لتراجع المعلومات فى الطريق العكسى من تحت إلى فوق لتعطى ما نسميه المردود أو التلقيم المرتد. وإذا لم يحدث ذلك فسوف تفاجأ بأن الخطط التى تم رسمها من أعلى أحبطت بمشاكل غير متوقعة فى المستويات الدنيا من التنظيم.

هذه الصورة من الشبكات الطبقية تناسب حتمًا الأسلوب الذي يعمل به الاتصال الرسمى داخل الشركة (المذكرات المكتبية). ومع ذلك فإن التركيز على الاتصال

الرسمى وحده يعنى إلغاء فيض هام من الاتصال غير الرسمى. أما الأشخاص الذين يعملون فى نفس المستوى أو فى مستويات متقاربة من التنظيم فإنهم عادة ما يتواصلون أفقيًا عن طريق المناقشات الشخصية. ويستطيع سكرتير المدير التنفيذى الذى يبدو فى مستوى أقل داخل التنظيم الطبقى، أن يلعب دورًا هامًا فى تدفق الاتصال غير الرسمى. وكثير من المؤسسات بها أناس يستخدمون زملاءهم الموظفين فى المؤسسة كمصادر معلومات رغم أنهم لا يظهرون على خريطة التنظيم فى وظائف مرموقة. ومثل هؤلاء الموظفين ينظر إليهم على أنهم الحُجَّاب أو حراس البوابات لأنهم يساعدون فى انضباط وتوجيه تدفق المعلومات. وينطبق هذا أيضًا على المعلومات الخارجية القادمة من خارج الشركة إلى جانب المعلومات العامة التى يتم توليدها داخل الشركة. ووظيفة الحاجب أو حارس البوابة تعتمد على ميل الفرد نفسه إلى القيام بها ودرجة علاقاتهم بأقرانهم داخل وخارج الشركة، وإذا تركوا الشركة لسبب أو لآخر فلن نضمن أن يقوم من يحل محلهم بنفس هذه الوظيفة كذلك فإن إعادة تنظيم الشركة قد يؤثر على الطريقة التى يعملون بها. وعلى سبيل المثال فإن الانتقال من مبنى منخفض إلى مبنى عال قد يقلل من علاقاتهم ومن ثم على فاعليتهم فى عملية الاتصال.

ومن الواضح أن نمط الشبكة فى داخل الجماعة يعتمد على الطريقة التى نظمت بها الجماعة أصلاً. وعلى سبيل المثال قد يكون هناك قائد واحد تصب عنده كل المعلومات من سائر أعضاء الجماعة أو البديل أى أن يقوم كل عضو فى الجماعة بتمرير المعلومات إلى بقية الأعضاء فى نفس الوقت على التواكب. وكل نمط من هذه الأنماط له محاسنه وعيوبه. ففى حالة النمط الأول يمكن نقل المعلومات وتسجيلها بدقة أكثر ولكن سائر أعضاء الجماعة بخلاف القائد تكون نشاطاتهم الاتصالية قليلة. وعلى النقيض من ذلك فى النمط الثانى يشارك الأعضاء بنشاط اتصالى أكبر وتكون المعلومات التى يحصلون عليها أكثر ولكنها قد تنقل بشىء من الإهمال كما قد لا تسجل وتوثق. كذلك فإن طبيعة التفاعل بين المشاركين فى الاتصال تتوقف على قناة الاتصال المستخدمة، وعلى سبيل المثال فإن الشبكات الإلكترونية تساعد على تذويب الفروق القائمة بين الموظفين فى المؤسسة فى عملية الاتصال على كافة مستويات التنظيم الطبقى فيها.

إن أحد الجوانب الهامة فى الاتصال هو كيف يمكن استخدامه في إدخال أفكار جديدة وفى حالة الجماعات فإن مثل هذه الأفكار الجديدة يمكن إدخالها عن طريق حراس البوابات الذين تكلمنا عنهم فيما سبق وقبولها من جانب الأطراف ذات الوعى المعلوماتى فى الجماعة. وعندما تثبت الفكرة فاعليتها فإن مزيداً من الأعضاء في الجماعة سوف يتبنونها ويعملون من أجلها. أما سائر أعضاء الجماعة الباقين فإنهم إما يستوعبون الفكرة ببطء وإما أنهم لن يقبلوها البتة. وهذه الأنواع المختلفة من ردود الفعل إزاء الأفكار الجديدة يمكن إدراكها بسهولة وعلى سبيل المثال قبول دواء جديد فى مهنة الأطباء أو قناة اتصال جديدة بين جمهور المستفيدين. وعلى أية حال فإن الأفكار الجديدة والمستحدثات والطرق التى تنتشر بها تتأثر تأثراً كبيراً بالمعتقدات والمفاهيم السابقة السائدة لدى كل فرد. ومن الشائع فى دنيا وسائل الاتصال أن ما يأخذه الناس من أى فرع من فروع هذه الوسائل يعتمد على ما يقدمونه له. فالبرنامج السياسى فى التليفزيون يمكن أن يشاهده ناس من اليمين واليسار على السواء من الوسط السياسى. وكل منهم سوف يجد فيه ما يعتقده وما يعتنقه وكل منهم قد يجد فيه تحيزاً للطرف الآخر المعارض.

بناء وتكوين الاتصال:

منذ أيامهم الأولى يُكوّن البشر تصوراتهم حول الطريقة التى يعمل بها الاتصال وحول بيئة المعلومات التى تكشف عنها قنوات الاتصال. ويستطيع الأطفال فى سن مبكرة تكوين حصيلة مفردات كبيرة فالطفل فى سن الثالثة قد يعرف ألف كلمة مثلاً مقارنة بما يحصله المرء عمومًا فى كل حياته اليومية والذى يصل إلى خمسة آلاف كلمة فى المتوسط. بيد أن القدرة على استخدام هذه المفردات لدى الطفل الاستخدام السليم واستيعابها وفهم سياقها الاتصالى يستغرق وقتًا أطول بكثير. وعلى سبيل المثال فإن كثيرًا من الأطفال لا يمكنهم استخدام الألفاظ المجردة الاستخدام السليم والخلاق حتى سنوات المراهقة. وربما لهذا السبب توجه كتب الأطفال لفئات عمرية معينة ويكتب بناء عليها. والقدرة على استخدام اللغة سواء فى سياقها الشفوى أو فى سياقها التحريرى إنما تختلف بوضوح ليس فقط من سن إلى سن وإنما أيضًا من فرد إلى فرد داخل السن الواحدة. وينعكس ذلك فى تقديم مصادر المعلومات الرسمية وأيضًا المحادثات

غير الرسمية. وعلى سبيل المثال فإن الجرائد اليومية تراعى أنها موجهة لدائرة واسعة متفاوتة من القراء، بينما الجرائد الأسبوعية توجه إلى جمهور أقل تعقيداً في تركيبته. ومن الملاحظ أن الإخراج العام للجريدة بدءاً من حجم بنط الترويسة إلى بنط الأعمدة العادية إنما يتوقف على نوعية الجمهور العام الذى توجه إليه الجريدة. وبنفس الطريقة ثمة اختلافات ليس فقط فى الطريقة التى تقدم بها الأخبار ولكن أيضاً في الموضوعات التى تطرقها الأخبار ويتم بها الاتصال. هذا التفاعل بين الوسيط والرسالة والجمهور المستهدف يمتد إلى جميع أنواع المعلومات. وكما يقول جاك ميدوز فى: الاتصال فى مجال العلوم.ـ لندن: بتروورثز، ١٩٧٤؛ إن هذه المقولة يمكن النظر إليها بشىء من التفصيل فى ظهور ووظيفة أي دورية بحثية عادية.

والمقالات العلمية تجنح إلى أن تُبنى بطريقة نمطية معيارية، مستمدة من دورها كقنوات اتصال للبحث حيث يأتى العنوان أولاً دالاً على المحتوى بدقة شديدة وذلك في سبيل جذب انتباه القارىء المستهدف؛ وهذا العنوان على سبيل المثال يتضمن كل الكلمات الدالة التى يتوقعها القارىء والتى تستخدم فى عملية التكشيف والاستخلاص والتى يمكن استرجاع المقال بها من خلال النظام الآلى. بعد العنوان يأتى اسم المؤلف أو أسماء المؤلفين فى حالة التعدد مقرونة بوظائفهم وانتماءاتهم المؤسسية. وترتيب الأسماء هنا له دلالة طالما أن الاسم الذى يرد أولاً له إسهام أكبر في المقال أو الدراسة؛ وإثبات اسم المؤسسة التى ينتمى إليها المؤلف له دلالة مهنية وإثبات عناوين المؤلفين يؤكد على أنهم يسمحون للأفراد القراء بالاتصال بهم فى كل ما يعن لهم من استفسارات أو تعليقات حول المقال أو الدراسة. وربما يأتى تحت اسم المؤلف التاريخ الذى وردت فيه المقالة أو قبلت فيه للنشر. وإثبات التاريخ هو فى الواقع جزء النشاط التنظيمى فى مجتمع البحث العلمى. وإثبات التاريخ على هذا النحو يعطى المؤلفين بعض الحماية عندما يرغبون فى إثبات أولويتهم فى النشر وأحقيتهم فى السبق إلى فكر جديد ونتائج مبتكرة، كذلك تساعدهم فى توقيت المادة العلمية وخاصة إذا كانوا قد قدموها قبل وقت طويل من تاريخ النشر الفعلى لها. وبعد هذه العناصر التقديمية يرد ملخص أو مستخلص يعطى عصارة ما فى المقالة من معلومات ومحتويات. وهذا الملخص شأنه شأن عنوان المقال قد ينشر فى دورية مستخلصات أو يودع فى نظام آلى

ليكون دليلاً إلى محتويات المقال وكشافًا لها. وقد جرى العرف على الإشارة إلى هذه المستخلصات على أنها مصادر اتصال ثانوية تجذب الانتباه فقط إلى الاتصال الأولى أو الأصلى والمصادر الأم.

وحتى الجسم الرئيسى لكل مقالة فإنه ينظم بطريقة نمطية معيارية. هذا الجسم قد يتداعى على أساس أقسام معينة تعنون على النظام الآتى: مقدمة، منهج البحث، النتائج، مناقشة النتائج، المصادر. وهذا القسم الأخير بالذات الذى يتضمن المطبوعات الأخرى التى رجع إليها الباحث لاستقاء المادة العلمية فى بحثه يمثل شبكة تربط المقالة الحالية أو البحث الحالى بالإنتاج الفكرى السابق في المجال ويعتبر بمثابة عملية اتصال علمى بمجتمع البحث. وبتتبع مثل هذه الشبكات يمكن تكوين فكرة عن كيفية ربط البحوث ببعضها البعض ليس فقط بطريقة جارية ولكن أيضًا بطريقة راجعة.

ولا يمكننا بطبيعة الحال أن نستخلص كل الخصائص الاتصالية لمجتمع البحث العلمى من دراسة المقالات الفردية، ولكن يمكن استخلاص البعض الثانى من أجزاء أخرى من الدورية وعلى سبيل المثال فإن صفحات النهاية فى كل عدد قد تتضمن معلومات هامة عن ضبط الجودة فهنا نجد أسماء المحررين ومعايير النشر والمحكمين ومن الضرورى أن تكون معلومات البحث موثوق فيها لأنه سوف يعتمد عليها كأساس لبحوث أخرى. ويعتبر تقييم الخبراء ونصائحهم إلى كيفية تحسين البحث من المسائل الهامة فى نشر البحوث العلمية ولهذا عادة ما تلجأ الدوريات إلى محكمين لتحكيم البحوث التى تقدم للدوريات. ويذهب البعض إلى اعتبار الدورية العلمية قطعة فنية مطبوعة تعكس المعايير والممارسات المعمول بها فى مجتمع البحث.

وعلى الرغم من أن المقالة فى الدورية العلمية تعتبر نموذجًا جيدًا على الاتصال المبنى جيدًا، فإن القراء عادة ما يكون لديهم توقع سابق بطريقة تقديم المعلومات من خلال المصادر الرسمية. وعلى سبيل المثال فإن القارىء يمكن أن يتوقع أى شىء يوصف على أنه رواية أن يأتى على شكل كتاب مقسم إلى فصول وبدون إيضاحيات غالبًا وبنفس الطريقة فإن شخصًا مهتمًا بالأخبار الخاصة بالحاسبات الآلية فإنه لابد وأن يبحث عنها فى مجلات الحاسبات؛ وهم يتوقعون أن تكون تلك

المجلات ذات أغلفة ملونة وصورة الغلاف عادة ما تكون لأحد الأجهزة. والغلاف يلمح إلى الموضوع الرئيسى فى داخل العدد. وعندما نفتح المجلة سوف نجد أن المقالات الرئيسية تُصحب بأخبار سريعة قصيرة تنبث هنا وهناك حول تلك المقالات ولكن جانبًا كبيرًا من الحيز فى تلك المجلات عادة ما يملأ بالإعلانات. هذه التوقعات الأولية تساعد فى المقام الأول فى اختيار المادة المقروءة. ولعل نظرة سريعة على غلاف مجلة الحاسبات وتصفح سريع لمحتوياتها تكفى لتقدير ما إذا كانت تستحق الشراء أم لا. وبنفس الطريقة فإن التنسيق الداخلى لمفردات المجلة (مثل الافتتاحية، الأعمدة الأساسية) يسمح بالاسترجاع السريع لفئات المعلومات التى تروق للقارىء الفرد.

ولنضع هذه النقطة فى سياق آخر؛ ذلك أن عرض المعلومات بطريقة نمطية معيارية سوف يساعد يقينًا على الاسترجاع السريع لها من خلال تصفحها. وكما يقول البعض فإن التصفح هو واحد من أهم الطرق التى يسترجع بها القارىء المعلومات وينشدها. إنه أساسًا عملية أخذ عينات، تبرز من خلالها الملامح الرئيسية فى النص والصور إلى عين القارىء الذى يظل يتصفحها حتى يصل إلى درجة التشبع والرضا من حيث كمية المادة العلمية التى جمعها. وعلى سبيل المثال فإن قراء الدوريات العلمية غالبًا ما يقلبون الصفحات فى الأعداد الجديدة حتى يجدون ما يشد انتباههم فيتوقفون عنده. وهم عادة ما ينظرون إلى العنوان والمؤلفين والمستخلص فى البداية فإن راقتهم تقدموا إلى النص فقرأوا المقدمة والخاتمة ونظروا فى بعض الرسوم والجداول فإن راقهم ذلك أيضًا فإنهم قد يتوفرون على قراءة النص نفسه. هذه القراءة الانتقائية هى الأصل فى القراءة وليست الاستثناء. حتى فى قراءة القصص فإن القراء قد يقفزون فوق الفقرات التى يرون أنها مملة.

وقد ينظر إلى التصفح على أنه قراءة غير موجهة أو غير رشيدة، ذلك أن القارىء هنا يبحث عن أى مادة قد تكون ممتعة وهو لا يعرف مسبقًا ما هى هذه المادة. أما فى حالة القراءة الرشيدة فإن القارىء يعرف مسبقًا ما هى فئات المعلومات التى يريدها ومن ثم فإنه ينشدها بإلحاح. وعلى سبيل المثال فإن الطاهى الذى يرغب فى طبخ طبق معين سوف يبحث بطريقة منظمة واعية عن كتب الطهى أولاً ثم يبحث بداخلها عن

طريقة صنع هذا الطبق. ويتفاوت خط المعلومات من حيث استخدامها فى القراءة الموجهة الرشيدة فالقواميس ودوائر المعارف على سبيل المثال لا يمكن استخدامها إلا فى الحصول على قطع محددة من المعلومات، بينما الروايات لا يمكن استعمالها فى هذا القصد. وهذا الفرق يؤثر فى طريقة تنظيم المعلومات فى المصادر المختلفة (المراجع من جهة والكتب العادية من جهة ثانية) فلوائر المعارف على سبيل المثال رغم أن المواد بها ترتب فى ترتيب هجائى إلا أنها قد تلحق أيضًا بكشافات تحلل المادة العلمية بها تحليلاً دقيقًا. وحتى الشكل المادى وطريقة الإخراج لابد وأنها تختلف من نوع إلى آخر من المصادر حسب الوظيفة الاتصالية التى يوجه إليها هذا المصدر وكما يقال فإن كتاب منضدة القهوة لا يمكن أن يقرأ فى قطار.

الاتصال الشفوى:

ليس كل الاتصال المكتوب مسجل فى مصادر رسمية مطبوعة؛ فالخطابات التى ترسل بالبريد تظل وسيلة اتصال شائعة ولكنها غير رسمية. ولكن على الجانب الآخر هناك المناقشات الشفوية عبر التليفونات وقد حلت الآن محل الخطابات المكتوبة فى الزمن الماضى. وحتى فى المجتمعات المتعلمة تعليمًا راقيًا توضع الاتصالات الشفوية فى نفس مرتبة الاتصالات الرسمية المكتوبة كوسيلة فى نقل المعلومات. وقد كشفت الدراسات التى أجريت بين الباحثين عن أن المناقشات بين الزملاء تأتى فى قمة الوسائل التى يستخدمونها فى الحصول على المعلومات ويأتى إلى جانبها الدوريات والكتب. أما عملية المفاضلة والاختيار بين الاتصال الشفوى ،والاتصال المكتوب فإنها تعتمد على عدد من العوامل ـ نوع المردود (التلقيم المرتد) المطلوب، حداثة المعلومات وهكذا؛ كذلك فإن طبيعة المعلومات تكون هى الأخرى لها دخل فى هذا الاختيار وعلى سبيل المثال المعلومات المتعلقة بالمصنعات أى كيف تصنع شيئًا قد يكون من الصعب الحصول عليها كلية عن طريق النصوص والصور. وقد يكون الأفضل التقاطها من المناقشات الحية وعلى الطبيعة. وعلى الجانب الآخر فإن الأفكار المركبة مثل المعادلات الرياضية لابد وأن تكون مكتوبة حتى نتمكن من فهمها والوقوف عليها بدقة. وربما تكون المصادر سواء الرسمية أو غير الرسمية متكاملة فى تقديمها للمعلومات. ولذلك يفضل ألا نعتمد فى استقاء المعلومات على مصدر واحد وخاصة

المصادر الشفوية. ومن المعروف أن تأثير المعلومات على المستقبل قد يأتى عن طريق السياق كما يأتى عن طريق القناة نفسها، فالأفراد الذين يشاهدون برنامجًا تليفزيونيًا قد يستوعبونه ويقيمونه بطريقة ما إذا كانوا بمفردهم وبطريقة أخرى إذا كانوا وسط مجموعة، ذلك أن المناقشة داخل المجموعة قد تجعلهم يغيرون رأيهم.

إن طبيعة نقل المعلومات الشفوية داخل اجتماعات الجماعة تعتمد بالضرورة على حجم المجموعة، ذلك أن مجموعة قليلة من الناس يمكنهم الدخول فى مناقشة تفاعلية خلاقة دون حاجة إلى أن تكون مناقشة مبنية ومنظمة سلفًا. وهم لا يحتاجون أبدًا إلى تدريب مسبق بل فقط إلى ملاحظة بعض المبادىء الأساسية ومن بينها على سبيل المثال عدم مقاطعة المتكلم وتركه يتكلم حتى ينتهى من كلامه. وكذلك طلب الكلمة بأدب ورفع اليد عند طلبها. وعندما يزداد عدد الجماعة يصبح النظام المسبق وبناء المناقشات بداية مطلوبًا. ومن هنا فإن الحديث فى المؤتمرات يتحدد له موعد ومكان وتستخدم فيه أدوات وأجهزة التسجيل المختلفة... ومن جهة ثانية فإن المردود (التلقيم المرتد) الذى يميز المناقشات الفردية يقل كلما ازداد عدد أفراد الجماعة الداخلة إلى الاجتماع. وعادة لا يكون هناك وقت إلا لبضعة أسئلة فى نهاية الاجتماع. لقد غدا الوجود الكلى للراديو والتليفزيون فى أيامنا هذه علامة على أن الاتصال الجماهيرى قد غدا محكومًا بالكلمة المنطوقة والمكتوبة. ومرة ثانية لقد أصبحت قنوات الاتصال المختلفة تميل إلى أن تكون متكاملة وأيضًا منافسة، فكثير من الناس يقرأون الجرائد اليومية ويستمعون إلى الراديو والتليفزيون فى نفس الوقت. حيث يحصلون من الراديو والتليفزيون على أحدث الأخبار وآخرها بينما يحصلون من الجرائد على تحقيقات ومناقشات أكثر تفصيلاً حول تلك الأخبار.

اللغات والاتصال:

رغم أن اللغة هى بكل المعايير أهم أداة فى الاتصال الإنسانى إلا أنها تواجه بعض المشاكل ألا وهى اللغات غير المتوافقة. هناك اللهجات المختلفة داخل اللغة الواحدة والتى تقف حجر عثرة فى سبيل الاتصال ولكن العقبة الكئود هى تعدد اللغات. وتقوم الترجمات فى هذا الصدد بدور فعال ولكنه غير شامل ومحيط فالأقليات اللغوية فى

كثير من الأحيان قد لا تستطيع قراءة الإنتاج الفكرى خارج لغتها وقد لا تستطيع التواصل بغير هذه اللغة. وهناك لغات ليس فيها إنتاج فكرى أصلاً.

إن الترجمة تساعد حقًا على عبور الفجوة والحواجز اللغوية ولكن كما تقول الإحصائيات تصل نسبة المترجمات بالكاد إلى ١٠٪ من مجموع ما ينشر من كتب فما بالنا إذن بالمقالات المنشورة فى الدوريات. كما أن الترجمة على الجانب الآخر قد تنطوى على تكاليف باهظة خذ على سبيل المثال الاتحاد الأوروبى الذى ينفق جانبًا كبيراً من ميزانيته على ترجمة نفس المعلومات إلى كل لغات الاتحاد الرسمية. وقد كان من بين الاقتراحات الهامة اختيار لغة عالمية واحدة لتكون لغة الاتصال الدولية وخاصة بعد أن فشلت تجربة لغة الأسبرانتو أو اللغة الدولية التى تبنتها الأمم المتحدة. ومن المؤكد أن هذا الاقتراح يواجه العديد من المصاعب من بينها على الأقل كبرياء اللغة الوطنية والتمسك الدينى بلغات الكتب المقدسة. ولقد رؤى أن من المهم فى هذا الصدد تطوير دور الحاسب الآلى وترقية «الترجمة الآلية» التى قطعت شوطًا لا بأس به فى مجال تذليل عقبة تعدد اللغات وإن كانت ماتزال بعيدة عن الكمال. كذلك حدث تطور كبير فى مجال تركيب الكلام وتحسسه أى الترجمة المكتوبة للكلمات المنطوقة.

تكنولوجيا المعلومات فى الاتصال:

تقدم تكنولوجيا المعلومات الآن أهم قنوات الاتصال السريع. وفى بعض الأحيان هناك تواز فى تناول المعلومات بين الإنسان والحاسب الآلى. فكل منهما لديه حواس لتقبل المعلومات الداخلة إليه؛ وكل منهما لديه طرق معينة داخلية فى معالجة واختزان المعلومات؛ وكل منهما لديه أجهزة لفرز المعلومات وإخراجها للعالم الخارجى. وليس ثمة جدال فى أن العقل الإنسانى هو وحدة كلية أكثر تعقيداً بكثير من الحاسب الآلى. ولكن تطوير الحاسب الآلى من جهة ثانية أثار كثيراً من علامات الاستفهام حول الطريقة التى يتواصل بها البشر. وبطريقة مماثلة يمكننا أن نتتبع التوازى بين الإنسان والآلة فى عملية تقديم المعلومات على الشاشة وطبعها على ورق ومن المعروف أن من السهل أن نقرأ نصًا طويلاً على الورق من أن نقرأه على الشاشة. ومتطلبات النص على الشاشة غير متطلباته على الورق حتى استخدام الألوان يختلف فى الشاشة عنه فى الورق.

ولعل القدرة الخارقة فى الحاسب الآلى هى قدرته على تناول كميات كبيرة من المعلومات بسرعة، كما أن لديها القوة على إعادة تنظيم الطريقة التى ندخل بها إلى المعلومات؛ وعلى سبيل المثال من وجهة نظر مرسل المعلومات لم تعد المسألة تهم إن كان المستقبل هو مجرد شخص فرد واحد زميل له فى الوطن أو عدد كبير من الناس فى أنحاء متفرقة من العالم. لقد ألغت تكنولوجيا المعلومات هنا الحد الفاصل الذى كان يميز بين الاتصال الفردى والاتصال الجماهيرى. ولوحات المجلات الإلكترونية قد تقدم شيئًا مختلفًا حيث يقوم أى فرد بوضع سؤال على هذه اللوحات، ويقوم أى فرد بالإجابة على هذا السؤال. هنا يشترك عدد كبير من الناس فى عملية الاتصال ولكن مايزال هناك قدر من التفاعل الفردى. وينظر البعض إلى الاتصال الإلكترونى على أنه يسحب البساط من تحت قدم الاتصال المكتوب فى أنشطة المعلومات فى مختلف الأماكن ويرى البعض أن ثمة عدداً من الخواص المشتركة بين الاتصال الإلكترونى والاتصال الشفوى وعلى سبيل المثال يمكن للحاسب الآلى أن يمزج بين النص والصور بصفة مستمرة وبالتالى لا يتقيد بصيغة مكتوبة محددة بل يفعل كما يفعل المحاضر الذى يتحدث وأثناء حديثه يدفع بصورة أو رسم يؤكد كلامه أو يوثقه. وكما يفعل القاص الذى يروى حكايته فى كل مرة بطريقة مختلفة. وهكذا فإن تكنولوجيا المعلومات لا تمثل فقط قناة اتصال جديدة ولكنها أيضًا أتاحت مجموعة جديدة من إمكانيات تناول وتداول المعلومات. وخلقت سبلاً جديدة للاتصال بل وفهمًا جديداً له؛ وجعلت أشكاله التقليدية تختفى وينشأ على أنقاضها أشكال جديدة لم تكن موجودة من قبل، بل وأصبحت وسيطًا لم يعرف من قبل بين المرسل والمتلقى.

عناصر الاتصال وأنماطه:

يقوم الاتصال كما رأينا من قبل على مجموعة من العناصر كما أن له نمطين أساسيين. وهذه العناصر قد يختلف عددها وترتيبها من شخص لآخر ولكن هناك حداً أدنى من الاتفاق على هذه العناصر وعلى الترتيب الذى ترد به. كذلك قد يختلف مفهوم الاتصال من شخص لآخر، وبالتالى تتفاوت تعريفاته ولكن هناك أيضًا حداً أدنى للمفهوم والتعريف وهو أن هناك شيئًا ما يريد شخص ما أن يقوله لشخص آخر. وربما يكون هذا الحد الأدنى للاتصال قديماً قدم أرسطو نفسه كما قد يكون هو

نفسه الحد الأدنى الموجود حالياً للاتصال وهو «رسالة يرسلها شخص إلى شخص آخر لغرض ما». وهذه الرسالة قد تكون خطاباً مكتوبًا أو رسالة شفوية، أو برنامجًا إذاعيًا أو تليفزيونياً. وقد حدد هارولد لاسويل عناصر الاتصال على شكل كلمات الاستفهام المعروفة وهى: من؟ يقول ماذا؟ وبأى طريقة؟ لمن؟ ولأى غرض؟ وبأى أثر؟.

ويرى بعض الأفراد أن عناصر الاتصال السابقة قد ينقصها عنصر آخر هو المحادثة ذلك أن مرسل الرسالة له دور كمستمع لأثر رسالته على المتلقى، ذلك أن المرسل يتلقى الأثر «رد الفعل» ويدرسه. وفى كلمات أخرى فإن المرسل يدرس أثر رسالته حتى يعرف ماذا يقول بعد ذلك؛ ومن ثم فإن المرسل يرصد كل جزئية فى رسالته الكلية وكيفية انتقالها إلى المتلقى.

والاعتراف بدور المستمع فيما يتعلق بأثر رسالته على شخص آخر أضاف بعدًا هامًا فى دراسة الاتصال. وهذا الوعى بدور المستمع يختلف عن الاتجاه التقليدى فى دراسة أثر الرسالة على المتلقى الذى تبلور على يد العالم **لاسويل** . والوعى بهذا البعد الجديد فى وظيفة الاتصال هو الأساس الذى بنى عليه علم الضبط (السيبرانية) فى عملية الاتصال. ويرتبط اسم **توربرت واينر** عادة بعلم الضبط هذا بسبب إنجازاته فى مجال الإلكترونيات والسيبرانية وآلياتها. ولكن يرى البعض أن **كانون** هو الآخر يجب أن يُعطَى حقه للإضافة الباكرة التى قدمها لمفهوم آليات الضبط التعديلى والتى تقف على قدم المساواة مع آليات الضبط التعديلى والتلقائيات التى قدمها واينر.

وطبقاً لذلك فإننا اليوم نصادف نمطين كبيرين من أنماط الاتصال تكمن داخل كل منهما عدة نظريات للاتصال. **النمط الأول** هو الذى نطلق عليه النمط السطرى الوصفى أو ذلك الاتصال الموجه الذى يمتد من خطابة أرسطو حتى شانون، والذى خرج منه حتى فى أيامنا هذه نماذج أو أنماط فرعية جديدة من ذلك الاتصال السطرى. أما **النمط الثانى** الكبير للاتصال فهو النمط السيرانى للاتصال الذى وضعه كل من واينر و كانون والذى بنى على آلية للضبط التعديلى وربما يطلق البعض على هذه الآلية اسم النظام أو الميكانيكية. وتضم هذه الآلية ثلاثة مكونات هى: المستقبل والمفسِّر والمؤثر، فالمستقبل يستقبل معلومات الرسالة ويفسر المعلومات قبل أن يفعل أى شيء كتداعيات لتلك المعلومات.

وقد يتبادر إلى ذهن البعض سؤال عن الفرق بين المرسل والرسالة والمستقبل عند كل من أرسطو وشانون من جهة والمستقبل والمفسر والمؤثر عند كل من واينر وكانون من جهة ثانية. ويرى وليام ناصرى أن الفرق واضح وهام. ذلك أن المرسل فى نمط الاتصال التقليدى السطرى هو «رامى» يصوب ويقذف على أمل إصابة الدريئة الثابتة.

أما فى حالة النمط السيبرانى على الجانب الآخر فإن الدريئة (الهدف) قد يتحرك فى أى اتجاه بعد أن يقذف الرامى برصاصته. ولكى يصيب المرء هدفاً متحركاً فإن المرسل يجب أن يكون لديه نظام اتصال سيبرانى.

وثمة طريقة أخرى للتمييز بين الاتصال السطرى والسيبرانى وهى الفرق بين النمط والنظام. والنمط قد يكون ساكناً وينطوى على علاقة السبب والأثر وله بعدان، بيد أن النظام على الجانب الآخر هو عادة رباعى البعد وديناميكى أى متحرك. والنمط قد يكون منطقياً للغاية، بينما المنطق فى النظام هو دائمًا موقفى [يتفاوت من موقف لآخر] وإجرائى وشديد التعقيد.

هذه الفروق المبدئية بين الاتصال السطرى والاتصال السيبرانى ضرورية للفهم المعاصر لعلم الاتصال. وعندما يبنى الاتصال على نظام سيبرانى فإنه يصبح كل شىء لكل الناس. ولقد قام إدوارد ت. هول باستخدام نظرية الجشطلت كمقوم وعنصر أساسى فى تعريفه للاتصال حين قال: «الاتصال ثقافة والثقافة اتصال». وهذا التمييز هو مسألة فى غاية الأهمية لأخصائى المكتبات والمعلومات على وجه الخصوص. فلقد كان أمين المكتبة دائمًا مستقبلاً رزينًا لاحتياجات القراء وطلباتهم، ونادراً ما يكون أمين المكتبة مستمعاً سيبرانياً أو مبرمجًا، ذلك أنه ليس فقط يميل إلى الاعتقاد بأن المعنى يقفز إليه من الصفحة عند النظر إلى سطر معين فيها ولكن أيضاً لأن خدماته هى خدمات تقليدية وسطرية أساسًا فى أى نشاط اتصالى.

إن أخصائيى المكتبات والمعلومات يحتاجون فى الواقع إلى مبادىء جديدة فى علم الاتصال حتى يواجهوا متطلبات ضبط ونقل المعلومات فى ظل التطورات الجديدة للمجتمع وثورة الإدارة. وفى أى سياق مجتمعى منذ الحضارات البدائية حتى الحضارات الحديثة شديدة التعقيد كانت هناك أربعة طرق اجتماعية مفترضة للاتصال. وبناء على

هذا الافتراض يتوقف الواقع الذى أفرز مهنة علم المكتبات والمعلومات. إن الاتصال السيبرانى ينتقل من التركيز على تصميم الرسالة ونقلها إلى خلق وإدارة المواقف الاتصالية التى تغلف كلاً من المرسل والمستقبل معًا.

الاتصال فى عرفنا هو دراسة انتقال أو بث المعرفة كما يستخدم فى تقليل استهلاك الطاقة بواسطة الأفراد والجماعات والمجتمعات. والمعرفة بهذه الطريقة طالما تم تسجيلها فإنها تظل ساكنة إلى أن يتم تحريكها عن طريق الاستخدام. وكما ألمحت سابقًا فقد كانت هناك منذ القدم أربع طرق للاتصال المعرفى. وهذه الطرق الأربع العامة، رغم أن كثيراً من الباحثين قد تناولوها، إلا أن بيرس بتلر و ريدموند بورك قد أوضحاها بشكل قاطع وهى:

١ - التعليم. بما فى ذلك تعليم الكبار حيث يحصل كل مواطن راغب فى العلم والدرس وخاصة فى مجالات المهن المتخصصة القسط الذى يرغب فيه من التعليم. أما الإرشاد والتوجيه فإنه غالباً ما يستخدم فى مجال الاستزادة والرغبة فى التطوير والرغبة فى مسايرة الحياة.

٢ عمليات الاستشارة. التى تمارس فى الأعم الأغلب فى مهن عالية التخصص مثل الطب والمحاماة والهندسة، فالشخص المريض أو المتورط فى قضية قانونية لا يلجأ إلى قراءة بحث فى الطب أو القانون، وإنما يلجأ إلى طبيب أو محام يستشيره فى قضيته وللحصول على قطع المعلومات اللازمة له. كذلك قد يلجأ بعض الأفراد فى المجتمع إلى أمين مكتبة المراجع للحصول كذلك على المعلومات التى تعينه فى حل مشكلة ما تواجهه.

٣ وسائل الإعلام الجماهيرية. التى تجعل من السهل على كل مواطن أن يتعرض لسيل منهمر من المعلومات الخاصة بالأحداث الجارية وتيار جارف من المجادلات والمناظرات والمقترحات المؤيدة والمعارضة للقضايا المطروحة على الساحة. إن التنسيق بين وسائل الإعلام والإلحاح من جانبها على المواطن تجعل من الصعب عليه أن يتجنب التفكير فى قضايا المجتمع الأساسية.

٤ العمل المرجعى. وهو الطريقة التى يستطيع بها المرء أن يستخرج من بطون المراجع

قطعًا من المعلومات الدقيقة حول موضوع ما ويقارن فيما بينها حتى يصل إلى الحقيقة المطلقة التى قد لا يجدها مجسدة فى واحدة فقط منها.

لقد كان للمسلمين فى العصور الوسطى طرقهم الخاصة فى الاتصال العلمى وربما كانت تلك الطرق تبلور أو تصور ما كان من تلك الطرق فى العصور القديمة ومن بين هذه الطرق ما يلى:

١ ـ **القراءة**. وهى أن يقرأ التلميذ الكتاب على شيخه والشيخ يسمع ويشرح ويفسر وفى نهاية الكتاب يقر الشيخ بأن التلميذ أو الطالب قد قرأ الكتاب عليه واستوعبه وفهم ما جاء به وأصبح مسيطراً على مادته العلمية.

٢ **السماع**. وهى أن يقرأ الأستاذ نص الكتاب على التلميذ (أو التلاميذ) وهو يسمعه ويستوقفه إذا أراد أن يفهم شيئًا محدداً أو يعلق على شىء ما. ومن الواضح أنها عكس الطريقة السابقة.

٣ **الإجازة**. وهى أن يجيز الأستاذ الشيخ للتلميذ أو الطالب أن يدرس كتاباً ما أو يفتى بما جاء فيه، لما يلمسه فى الطالب من استيعاب للمادة العلمية وقدرته على تدريسها أو على الإفتاء بما جاء فيها. وليس من الضرورى فى الإجازة أن يكون الطالب قد قرأ المادة العلمية أو سمعها على أستاذه الذى يجيزه فيها.

٤ **المناولة**. وهى أن يتناول الأستاذ كتابًا ما سواء من على رفوف مكتبته أو من أى مكتبة كانت ويناوله للطالب يد بيد ويطلب إليه أن يقرأه بنفسه لنفسه. وتعتبر هذه المناولة توصية من الأستاذ للطالب بأهمية الكتاب حتى ولو لم يكن الكتاب من تأليف هذا الأستاذ الشيخ.

٥ ـ **الوجادة**. وهو أن يشق الطالب طريقه إلى الكتب بنفسه أو كما نقول فى أيامنا هذه يعلم نفسه بنفسه دون معلم، بل يجد الكتب المناسبة له ويقرؤها بنفسه ويستوعبها بنفسه دون حاجة إلى شيخ أو أستاذ يقرأ عليه أو يسمع عليه. وربما يجد على الكتاب إجازة عامة ومن ثم تصبح هذه الإجازة العامة بوابة له لكى يدرس ما جاء فى الكتاب أو يفتى بما جاء فيه. وإذا لم يرد بالكتاب مثل هذه الإجازة العامة فلا يحق له بحال من الأحوال أن يدرسه أو يفتى بما جاء فيه. وإن

ورد في الكتاب إجازة خاصة أى حددت أسماء الأشخاص الذين لهم حق تدريسه أو الفتيا بما ورد فيه، فهؤلاء فقط هم الذين لهم هذا الحق دون سواهم.

هذه الطرق لى الاتصال العلمى عند المسلمين فى العصور الوسطى ربما كانت لها جذورها فى عصور سبقت، وربما أضافوا إليها أو حوّروا فيها وعدلوها بما يتفق مع طبيعة الإسلام والمسلمين.

إن عبى مهنة المكتبات والمعلومات أن تخلق مواقف اتصال تساعد على مواكبة المجالات الأربعة التى يبنى عليها علم الاتصال وأسسه الفرعية المعروفة بنقل المعلومات. ولقد أوضح ليستر أشايم هذا الأمر منذ سنة ١٩٥٧ فى مقال له يحلل دور المكتبة فى الاتصال حين قال فى عبارة بليغة «من بين المشكلات التى هيئت المكتبات لحلها يبرز اثنان فى غاية الأهمية: تحليل المحتوى ودراسة الجمهور». وتحليل المحتوى يعتمد على المجموعات وتنظيم أوعية المعلومات كما أن دراسة الجمهور تتطلب هى الأخرى التحليل المستمر لاهتمامات مجتمع المستفيدين ورغباته.

وفى سنة ١٩٦٤ عقد مؤتمر «المؤسسات الفكرية فى تعليم علم المكتبات» وخرج بمجموعة من المبادىء والأسس التى يقوم عليها علم الاتصال والأهداف التى يسعى إلى تحقيقها، وكيف يعمل أمناء المكتبات وأخصائيو المعلومات على هدى منها. هذه الأسس يقوم عليها النمطان الأساسيان من أنماط الاتصال اللذين سبقت الإشارة إليهما وهما الاتصال السطرى أو التقليدى والاتصال السيبرانى. وقد خدم النمط السطرى جانبى العمل المكتبى أى تحليل محتوى الوثائق ودراسة الجمهور. ولقد كان هناك مكتبيون عظماء من أمثال ويلسون و ويبلز توفروا على دراسة الجوانب الاجتماعية للقراءة واستخدام المعلومات. فلقد قام لويس راوند ويلسون بوضع كتابه الرائع عن جغرافية القراءة سنة ١٩٣٨ وقام دوجلاس ويبلز بوضع كتابه العظيم «ماذا تفعل القراءة للناس» سنة ١٩٤٠. وقامت الجمعية الوطنية لدراسة التعليم بتخصيص كتابها السنوى سنة ١٩٥٦ لموضوع «قراءة الكبار». وهذا العمل الأخير يشرح الدور التقليدى لأمين المكتبة فى جعل المعرفة ركناً أساسياً فى حياة الناس. كما أن كتاب ويبلز يعتبر وثيقة أساسية وتحليلاً رائعاً فى نقل المعلومات وتحليل الجمهور على أساس النمط التقليدى للاتصال.

إن دراسة الاتصال هى مكون أساسى فى المهن والعلوم والإنسانيات. إنه مجال له مشكلاته العامة وإسهاماته فى دراسة الرموز والبيانات وعلى وجه الخصوص الرسائل والنظم السائدة فى الحياة والمجتمع. وإذا لم يكن للرسائل وجود موضوعى محايد فإن علم الاتصال كعلم يسعى إلى القيام بدور مكتب التخليص أو سوق للمعلومات. والرسالة الفكرية كمنتج هى عرضة للفحص والاختبار، بينما تحليل المحتوى هو وعاء ذلك الفحص والاختبار والإجراءات المؤدية إليه. وحتى المناقشة الشفوية غير المكتوبة الآن أصبحت مادة للاتصال وغدا هناك اليوم أدوات لتسجيل تلك المناقشات وأصبح من السهل دراستها دراسة كمية ونوعية وتحديد درجة موضوعيتها وحيادها. والرسالة الفكرية أيًا كان الشكل الذى تتخذه هى الشىء الوحيد الذى يمكن قياسه كميًا من حيث البعد والتتابع وطاقة قناة الاتصال.

والبيانات والرسائل التى نتقاسمها مع أشخاص آخرين هى الطرق التى يملكها الناس للتفكير والمعرفة وخلق العلاقات مع الآخرين. ولابد بطبيعة الحال من التعبير عن الرسالة حتى يكون لها وجود مستقل عن الجهاز المرسل والمتحكم فيها. إن تكوين وتشاطر النوايا والأفكار من خلال استخدام الرموز والبيانات هو الذى يجعل البشر بشرًا.

إن أى تغيير فى عملية حفز المعلومات وفى التفاوض من أجل النوايا المتبادلة يغير حتمًا من شخصية الفرد وطبيعة المجتمعات البشرية. والمجتمع الآن يمر بتحولات جذرية ثورية. ولابد لعلم الاتصال من أن يدرس ويرصد التحولات الكبرى فى مجال التكنولوجيا والأسس الاجتماعية لإنتاج المعلومات واستخدامها. والوسائل الجديدة لإنتاج المعلومات تغير شكل ومحتوى وسياق المعلومات. وطرق الاتصال الجديدة تغير حتمًا طرق اختيار وجمع وتشاطر الرسائل الفكرية.

لقد أدت القواعد الاجتماعية الجديدة فى تصميم واستعمال الرسالة الفكرية إلى ثورة حقيقية فى استغلال المعلومات والثقافة العامة. ولقد أصبحت المعلومات موردًا اجتماعيًا يجب استغلاله لصالح كل الناس. ومن جهة أخرى لقد قامت مؤسسات الاتصال بخلق الجماهير وزرعت أذواقًا عامة جديدة عبر حدود الزمان والمكان والوضع

الاجتماعى والثقافة. لقد أدت أنماط انسياب المعلومات الجديدة إلى حفز التطور الاجتماعى والتحكم فى الآلات ونوع السيبرانية بل ومصطلحات تفاوض بعضنا مع البعض الآخر ومع تقبلنا للعالم الخارجى.

لقد تطلبت أنظمة المعلومات وشبكات المعلومات الجديدة توظيف خبراء فى الاتصال لقيادة حركة المعلومات فى مرحلة التحول الاجتماعى السياسى والمؤسسات سواء فى القطاع العام أو الخاص لم تعد تعتمد كثيراً فى إدارة أعمالها على المحامين وأصحاب رأس المال الممولين بقدر ما أصبحت تعتمد على متخذى القرار وحلالى المشاكل الذين يستطيعون معالجة كميات ضخمة من المعلومات حول العديد من القضايا والموضوعات المختلفة. إن خبراء الاتصال هؤلاء ينتقلون من قضية إلى قضية ومن القطاع العام إلى القطاع الخاص، ويعرضون خدماتهم وقدراتهم على التحكم فى الكم الهائل من المعلومات العامة والمتخصصة أمام متخذى القرارات فى المؤسسات المختلفة.

إن التغير والتطور السريع الذى نعيشة يعرض المشكلات القديمة فى الاتصال لمواجهات جديدة كما يخلق فى نفس الوقت مشكلات اتصال جديدة. كيف تقوم القصة أو الرسالة أو الرمز بإثارة الانتباه والاستجابة، وكيف توحد الناس أو تجعلهم ينقسمون على أنفسهم، كيف تحرر الناس أو كيف تأسرهم؟ كيف تعد المهن والوظائف والمجالات المختلفة المعلومات وتوحدها فى إطار معرفى مفيد؟ لقد اعتاد خبراء الاتصالى على تناول تلك المشكلات القديمة بنجاح مستخدمين فى ذلك النمط التقليدى للاتصال الذى تمتد نظرياته من خطابة أرسطو إلى شانون ومن بعده.

بيد أنه على الجانب الآخر دخلت إلى الساحة قضايا جديدة من الصعب تناولها عن طريق النمط السطرى التقليدى للاتصال. كيف تنتج المجتمعات النظم الرمزية وتطوع التكنولوجيا للسيطرة عليها؟ ماهى القضايا والاختيارات التى تطرحها تلك النظم، وما هى قيمة ووزن تلك النظم؟ ما هى الخطوط العريضة التى يمكن استخدامها وتوظيفها لقياس واختبار سياسات الاتصال وتصميماتها فى الثقافات المتغيرة وفى ظل الطبيعة المتغيرة للفرد؟ وفى سبيل تحليل مثل تلك الأسئلة يكون اللجوء إلى نمط الاتصال السيبرانى هو الحل الأمثل. وهناك كما أسلفت عدد من النظريات التى ينطوى عليها نمط الاتصال السيبرانى ويقف على رأسها نظريات كل من وايتر و دونكان و

ديكؤوف. وقد شرح نوربيرت واينر نظريته فى كتابه: السيبرانيات (علم الضبط) .ـ نيويورك: وايلى، ١٩٦١. كما قام هو ودونكان بعرض نظريته فى دراسة له بعنوان: البحث عن نظرية اجتماعية للاتصال. وجاءت هذه الدراسة ضمن الكتاب العظيم الذى حرره فرانك دانس بعنوان «نظرية الاتصال الإنسانى» .ـ نيويورك: هولت، ١٩٦٧. أما جيمس ديكؤوف فقد بسط رؤيته فى بحث جماعى بعنوان غريب نوعًا ما هو «نظرية فى مجال عملى» ونشر فى مجلة التمريض سنة ١٩٦٨، المجلد ١٧ فى نحو ثلاثين صفحة على عددين.

إن الاتصال هو حصيلة كل الآليات والحركات العضوية والكل الفيزيقى المتصل والشامل والواعى فى الإنسان. إن مدى المعلومات التى يمكن أن تكون رسالة إلى أحد الأعضاء، واسع جدًا إذا قيس بالآلة وحيث لابد من برمجة المعلومات المستخدمة فيها آليًا. إن محتوى الرسالة يجب أن يستوعب ويحلل لفهم المعلومات والنوايا قبل أن يقوم العضو بتكوين فكرة عنها وإعداد رد الفعل عليها وتصميم رسالة متبادلة. وكل شىء يمكن أن يفهم ويستوعب هو فى حقيقة الأمر رسالة فكرية.

والرسالة قد تكون شعورًا عاطفيًا، إيماءة، صوتًا، وقد تكون كلمة. وعند استيعاب الرسالة تصبح مفهومة، ولكن المعلومات فى نظر شانون تبقى مفاجأة إلى أن يتم تفسيرها وشرحها. والرسالة بحالتها هذه تبقى حبيسة داخل المتلقى رغم أنه يمكن قياس درجة تأثيرها إلى أن يتم استيعابها وجعلها مفهومة من خلال شرحها وتفسيرها عن طريق آلية ضبط وتحكم معينة. والشرح والتفسير يقودان إلى مزيد من الاتصال ومن ثم إلى خلق رسالة جديدة.

تطور الاتصال:

للاتصال تاريخ طويل وربما كان بمفهومه الفكرى والثقافى قديمًا قدم البشرية نفسها. ولقد نظم قدماء المصريين واليونان والرومان وغيرهم ممن ملكوا الحضارات طرقًا وأنماطًا للاتصال الرسمى. ومن بين الأنماط الرسمية فى الاتصال المبانى العامة، والمسارح، والمنتديات العامة والمكتبات التى تجمع مجموعات الإنتاج الفكرى الذى يمثل المعرفة المتراكمة للفترة وربما ما سبقها. ولقد توسعت المجتمعات اليوم فى أنماط الاتصال هذه

فقد انتشرت المدن انتشاراً ضخماً على سطح الأرض ويبدو أنه ليست هناك حدود لتركيم الكتب والمقالات والمواد السمعية البصرية وملفات البيانات الآلية وأقراص الليزر وما يستجد من مصادر معلومات. وقد مكنت تكنولوجيا الاتصال من مزج الصوت والصورة معًا لشخص على سطح القمر وإرسالها إلى الأرض .

ولم يكن الاتصال دائمًا عملية معقدة بهذه الصورة التكنولوجية. وقد بدأت دراسات الاتصال بدراسة الخطابة والبلاغة وفن الحديث والكتابة الجيد. ومن الناحية التاريخية البحتة ربما كان السبب فى إنشاء المكتبات وما شابهها من مؤسسات المعلومات هو تنمية البلاغة والخطابة ودراسة المنطق وعلم المعرفة. لقد أرسى الباحثون منذ العصور القديمة قواعد ومبادىء دراسة الإنشاء وتوسعوا فيها فى العصور الوسطى ومازلنا حتى اليوم ندرس قواعد تصميم الرسالة المكتوبة والشفوية. ويدرس تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات كذلك التصميم السطرى والمنطقى للاتصالات المكتوبة وكذلك الاتصالات السمعية البصرية. ومايزال النموذج الأساسى للاتصال قائمًا منذ وضعه أرسطو والذى يقوم على أقطاب ثلاثة هى: المرسل - الرسالة - المستقبل ولقد ران على الاتصال نوع من الثبات والسكون عبر القرون إلى أن تغيرت تكنولوجيا إنتاج ونقل الرسالة. وكان اختراع الطباعة أول خطوة هامة فى هذا الاتجاه، ولكن الثورة الحقيقية للاتصال جاءت فى القرن التاسع عشر عندما استخدم البخار والكهرباء فى مجال تكنولوجيا الاتصالات. وبعد ذلك بقليل أخذت ثورة الاتصالات تحدث أثرًا عميقًا فى الجوانب الاجتماعية والسياسية للمجتمعات، وحدث نفس الشىء مع دخول تكنولوجيا الإلكترونيات فى القرن العشرين. ومن هنا أصبحت دراسة علوم الاتصالات مسألة أساسية على كل المستويات: الاجتماعية؛ السياسية؛ الثقافية؛ التكنولوجية.

وكان الأثر السريع والعميق لوسائل الاتصال الإلكترونية على المجتمعات دافعًا حقيقيًا لقيام دراسات جادة فى ظاهرة الاتصال. وسرعان ما تسارعت دراسات الاتصال فى المواقف المختلفة، والسياقات المختلفة، والقنوات المختلفة بل وفى التخصصات المختلفة وأهم من هذا وذاك ظاهرة وسائل الاتصال الجماهيرية وتأثيراتها على الأوضاع الاجتماعية السياسية والثقافية. وتطرقت تلك الدراسات إلى الاتصال الشخصى بين الأفراد وديناميكيات التواصل بين شخص وشخص فى الجماعات الصغيرة خاصة. وقام

علم المعلومات باستقصاء المكونات التى تؤثر فى نقل الرسالة عبر القنوات والوسائل المختلفة. ومع ذلك تبددت اهتمامات علم المعلومات بعد ذلك حول اهتمامات البحث الأساسية لدى الباحثين وأصبح التكشيف والاستخلاص واختزان واسترجاع المعلومات واهتمامات الباحثين أهم مجالات علم المعلومات.

لقد كانت الآثار الاجتماعية السياسية لوسائل الاتصال الجماهيرى من أولى المجالات التى قام علم الاتصال بدراستها. وكان من بين الرواد فى هذا الصدد بيرلسون ولاسويل اللذين درسا دراسة عميقة آثار دخول الراديو إلى المجتمع بعد الحرب العالمية الأولى وآثار الاتصال الجماهيرى للتليفزيون بعد الحرب العالمية الثانية. وكان لبحوثهما فى هذا الصدد أثر عميق فى فهم دور الاتصال فى المجتمع. ولقد أفادت بحوث الاتصال الجماهيرى من طرق البحث وأساليبه التجريبية التقليدية للعلوم الاجتماعية فى دراسة عناصر الاتصال: من، ماذا، لماذا، وأين الخاصة بكل من المرسل والرسالة والمستقبل. كذلك اهتمت تلك الدراسات بما عرف بجغرافية الاتصال وخاصة بعد الدراسات التى قام بها كل من ويلسون وويبلز حول جغرافية القراءة وعلاقتها بدور أمناء المكتبات فى تنمية المجتمعات مما أشرنا إليه سابقًا.

وفى الربع الثانى من القرن العشرين جدت دراسات الاتصال الشخصى وقد بنيت تلك الدراسات على معطيات العلوم الاجتماعية مثل علم النفس، علم النفس الاجتماعى، علم الإنسان، علم العلاج النفسى، الإرشاد النفسى، التربية. وكانت لدراسات الرواد من أمثال روجرز، رابيك، بيلز، بيرد ويسل عن دور الاتصال فى المجتمعات الصغيرة كانت لها إسهاماتها التى لا تجحد فى هذا العلم. ولقد جمع دين بارنلوند خلاصة هذه الدراسات جميعًا فى كتابه المفيد للغاية: الاتصال الشخصى. ـ بوسطن: هوتون ميفلين، ١٩٦٨. ومن الدراسات القليلة التى خصت أمين المكتبة بالاهتمام فى مجال الاتصال كتاب باتريك بنلاند المعنون: الإرشاد التوجيهى لأمناء المكتبات. ـ بتسبرج: جامعة بتسبرج، ١٩٦٩.

وكان لدخول الرادار وأجهزة الحاسبات الإلكترونية منذ الحرب العالمية الثانية أثر هام فى توجيه الدراسات نحو ظاهرة قنوات الاتصال ووسائله وكان لأعمال الرواد من أمثال واينر وفون نيومان وشانون أثرها فى شرح وفهم أساليب وتعقيدات نقل

الإشارات الصوتية والضوئية وطاقة القناة، وتشفير عمليات النقل. وقد بقيت «نظرية المعلومات» جزءاً أساسيًا فى الدراسات الهندسية وخاصة فيما يتعلق بالنقل أو التمرير الكهربائى للمعلومات، وإن لم تبلغ دراسة هذه النظرية المبلغ المأمول فيه فى دراسة الجوانب الاجتماعية السياسية والثقافية للاتصال. كذلك حظيت ظاهرة اللغة وعلاقتها بالتشفير باهتمام بالغ وخاصة بعد فشل الترجمة الآلية فى تحقيق أهدافها خلال الخمسينات. وكما أشرت يشغل علم المعلومات نفسه حتى الآن بالمشاكل شبه المكتبية مثل التكشيف والاستخلاص والشبكات وخزن واسترجاع المعلومات. ولم يبد علم المعلومات حتى الآن أى اهتمام بتأثير المعلومات على المستقبل أو تأثير المستقبل على المعلومات.

وقد بات من الواضح مع تطور علم المعلومات أنه اتخذ طريقًا مختلفًا وأصبح دراسة مختلفة عن «علم الاتصال» ومن ثم يجب ألا نخلط بين «علم الاتصال» و «علم المعلومات» بل يرى البعض من أمثال باتريك بنلاند أننا يجب ألا نخلط بينهما وبين «نظرية المعلومات» لأن نظرية المعلومات تدخل فى دراسة العمليات الهندسية لنقل الرسالة الفكرية وعلاقتها بالقنوات وطاقات القنوات.

وربما كان لنظرية المعلومات علاقة وثيقة بالحاسبات الآلية وربما ينظر إليهما معًا على أنهما يمثلان الجانبين النظرى والتطبيقى للآليات الإلكترونية والميكنة. وقد جاء الوقت الذى أصبحت فيه نظرية المعلومات ومحتواها الأساسى ـ الذكاء الاصطناعى ـ معينًا أساسيًا لعلم الاتصال وعلم المعلومات على السواء.

لقد جرت محاولات عديدة لتطوير مدخل لربط المجتمع والمعرفة وخاصة فى النصف الثانى من قرننا العشرين. ونشرت مجموعة من الدراسات فى هذا الصدد وبالذات من وجهة نظر محددة فى علم الاتصال من بينها دراسة لى ثاير حول «الاتصال ونظم الاتصال فى التنظيم والإدارة والعلاقات الشخصية.. هوموود (إلينوى): إيروين، ١٩٦٨. ودراسة دين بارنلوند التى أشرت إليها من قبل، ودراسة ألفرد كوهن المعنونة: دراسة المجتمع .ـ هوموود (إلينوى): إيروين ـ دورسى، ١٩٦٣. والذى ينطلق من نمط الاتصال التقليدى السطرى الذى اعتنقه كل من بارنلوند

وثاير إلى تطبيق نمط الاتصال السيبراتى على العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات. ومن الدراسات الهامة فى هذا الصدد أيضًا دراسة جاك مارتين «درجات المعرفة». ـ لندن: جيوفرى بليس، ١٩٣٧؛ ودراسة جيلين هارمون «الذاكرة البشرية كعامل فى تكوين النظم المعرفية» وهى رسالة دكتوراه من جامعة كيس ويسترن ريزرف سنة ١٩٧٠.

وفى نهاية القرن العشرين مازلنا أمام النمطين الأساسيين فى علم الاتصال: التقليدى والسيبراتى. النمط التقليدى هو النمط السطرى الذى يقوم على تحليل علامات الاستفهام الخمس التى تبدأ بحرف "W" فى الإنجليزية التى سبق أن أشرت إليها والتى اعتمد عليها لاسويل فى إقرار نظريته حول علم الاتصال وهى «من يقول ماذا فى أى قناة لمن و لأى غرض». وكما قلت وصلنا هذا النمط من أنماط الاتصال منذ قديم الزمان وقد أطره ونظره الفيلسوف اليونانى الأشهر أرسطو وحتى شانون نفسه لم يستطع أن يضيف شيئًا جديدًا إلى هذا النمط رغم نظراته الثاقبة فى محتويات الرسالة وطرق تمريرها ونقلها. وكما قلت قبلاً لقد أفاد هذا النمط أيما إفادة من معطيات العلوم الإنسانية والاجتماعية التقليدية مثل علم الإنسان، علم الاجتماع، التاريخ، الاقتصاد، العلوم السياسية، علم النفس، علم التربية.

أما نظرية المعلومات على النحو الذى وضعها عليه شانون فإنها تتعلق أساسًا بالتشفير الفعال لتمرير ونقل المعلومات واستقبال الرسائل داخل نظم الاتصال وليس هناك أى اعتبار لقيمة أو أهمية المعلومات المتضمنة فى الرسالة التى يتم تمريرها ونقلها. ولقد أسهم كل من ليونارد بلومفيلد وإدوارد سابير فى «اللغويات» كعلم يدرس بناء اللغة والأسس الكامنة خلف تنظيم اللغات مما ساعد نظرية المعلومات مساعدة خلاقة. ورغم قدم كتابيهما إلا أنهما أرسيا قواعد وأسس هامة فى هذا الصدد وكتاب الأول جاء بعنوان «مقدمة فى دراسة اللغة» .ـ نيويورك: هولت، ١٩١٤. وكتاب الثانى جاء بعنوان: اللغة .ـ نيويورك: هاركورت، ١٩٢١. وتوفر آخرون على دراسة التغيرات التاريخية والعلاقات بين الشفرات اللغوية المختلفة وأنماط السلوك اللغوى المعقدة، وكان من بين هؤلاء ب. ف. اسكنر فى كتابة «السلوك اللغوى».ـ نيويورك: أبلتون، ١٩٥٧. ف. و. ر. جارنر: عدم اليقين والبنية كمفاهيم نفسية .ـ

نيويورك: دايلى، ١٩٦٢. ولعل أحسن دراسات حول تحليل وتوضيح الإشارات والإيماءات وما يتصل بها من سلوكيات هى تلك التى توفر عليها كل من أ. كورزبسكى فى كتابه العلم والإشارة .ـ ط٤ .ـ ليكثيل (كونكتيكت): دار نشر المكتبة غير الأرسطية الدولية، ١٩٥٨. و س. و. موريس فى كتابه الرائع: العلامات؛ اللغة؛ السلوك .ـ إنجليوودكليفز (نيوجيرسى): برنتيس هول، ١٩٤٦. ولقد خرج مجال سلوك الإشارات والإيماءات بنظريات عديدة فى هذا الصدد وخاصة فيما يتعلق بالإشارة الصوتية والإشارة غير الصوتية والترميز وتم ربط هذا كله بعلم النفس والثقافة الإنسانية مما أضاف أبعاداً جديدة إلى علم الاتصال.

أما المدخل الثانى إلى علم الاتصال والذى دخل فى الستينات من القرن العشرين، فقد ظهر على يد العالم نوربيرت واينر وقد ضمنه كتابه الفريد فى السيبرناطيقا والذى جاء بعنوان: الاستخدام الإنسانى للكائنات البشرية: السيبرناطيقا والمجتمع .ـ نيويورك: هوتون ميفلين، ١٩٥٠. ورغم بساطة عناصر الاتصال السيبرانى هذا: أداة التفتيش Detector ـ أداة الاختيار Selector ـ أداة التأثير Effector إلا أن تأثيراتها فى عملية الاتصال هى بكل تأكيد عملية معقدة وتأثيراتها على دراسة المجتمع ومؤسساته وعلاقات الأفراد الشخصية ذات مدى واسع وعميق. ولقد أحدث النمط السيبرانى فى الاتصال ثورة فى العلوم الاجتماعية التقليدية وأدخل إليها مفاتيح جديدة لم تكن موجودة من قبل مثل نظرية الاتصالات، (نظرية المعلومات ـ السيبرناطيقا ـ اللغويات ـ سلوك الإشارة) نظرية السلوك المفضل (نظرية اللعبة ـ نظرية اتخاذ القرار ـ نظرية القيمة) بالإضافة إلى نظرية النظم العامة (بحوث العمليات ـ الميكنة والذكاء الاصطناعى ـ علم المستقبليات). وبينما يستفيد نمط النظم فى الاتصال من معطيات كل فروع المعرفة البشرية ـ الإنسانيات ـ العلوم الاجتماعية ـ العلوم البحتة والتكنولوجيا ـ فإن النمط السطرى التقليدى الذى وضعه أرسطو وغيره لم يفد إلا من معطيات العلوم الاجتماعية التقليدية فقط. وهو فى تحليله للمواقف الاتصالية فإنه لابد من إخراج المرسل والمستقبل من بين مجموعة السكان فى المجتمع أى لابد من وصف وتحديد «من» و«لمن» بمصطلحات اجتماعية محددة. وقد أصبحت الخصائص الاجتماعية للمرسل والمستقبل علامات مميزة للسلوك الاتصالى الذى أصبح بدوره جزءاً من الرسالة «ماذا» وتؤثر فى تفسيرها. والرسالة تحدد محتويات الرموز المستخدمة ونوايا المصدر

الذى وردت منه ودرجة تأثيرها المحتمل على المستقبل. وتحليل المحتوى هو الطريقة التى يستخدمها علم الاجتماع كى يمارس بها السيطرة على مختلف التفسيرات ونتيجة لذلك فإن الدور الاجتماعى والوضع الاجتماعى لكل من المرسل والمستقبل يمكن استقراؤهما من واقع الرسالة.

إن علم الاتصال هو دراسة العلاقات البينية لنشاط الجشطلت البشرى مع مجموع البيئة. إن علم الاتصال يدرس ويستقصى النوايا الضمنية أو المعانى الدفينة فى آليات وأعضاء الضبط والتحكم فى الرسائل الفكرية وأهمية وأثر قولبة المعلومات على السلوك. وهو يفيد فى هذا الصدد من علم المعلومات الذى يقيس بالدرجة الأولى مدى إمكانية قولبة المعلومات الممكنة من مستودع للمعرفة المسجلة وفى الدرجة الثانية الذى يهتم بسلوك الباحثين وأنماط استخدامهم للمعلومات.

وعلم الاجتماع هو الآخر يمكن أن يفيد علم الاتصال حيث يقدم الأفكار والأدوات اللازمة لتحليل الوقائع والأعمال داخل الشبكات الواسعة والتى يقع فيها الاتصال. ولكى تكون الرسالة رسالة سواء من فرد أو جماعة لابد وأن يعقبها استجابة، فالإجابة تعنى أن المعلومات المرسلة قد تم التصرف إزاءها. وهنا فقط يمكن التعرف على المشاركين فى الرسالة والتفسيرات المحيطة بها والقواعد الإجرائية لها والرموز المرجعية فيها ومن ثم يمكن تحليلها جميعًا تحليلاً كاملاً لأغراض البحث والتقصى. ويعتبر الإرشاد النفسى، وديناميات الجماعة والتنمية المهنية وتنمية المجتمع من بين المجالات الهامة اللازمة للتعرف على وتحليل قواعد ضبط السياقات المختلفة التى يمكن أن يتم فيها الاتصال. ومعرفة «أين» و«متى» فى الرسالة تؤدى إلى فهم السياق الخاص بمن يستطيع أن يتحدث إلى من حول ماذا وبأية طريقة ولأى مدة وماذا يمكن أن يحدث لو أن القواعد قد تم خرقها.

إن تحليل الرسالة يثير قضايا جانبية حول الوسيلة والقناة التى تنقل الرسالة. إن «كيف» تصمم الرسالة هو أمر يقع فى تخصص «اللغويات» و«التشفير». والمهمة هنا هى أن نكتشف كيف يتم تسجيل النبضات العصبية والأصوات وكيف يتم تمريرها ونقلها واستقبالها لدى المجالات العديدة الأخرى. إن العالم اللغوى وأخصائى الشفرة

يلحق بهما فى هذا الصدد خبير الإيماءات والإشارات. ولقد كان لوسائل الاتصال القديمة فى مجالات الآداب والفنون وكذلك العلوم الاجتماعية فوائد لا تنكر فى تصميم الوسائل والقنوات الحديثة. فالفنون الجميلة والتطبيقية تقدم التعبير عن الخلجات الداخلية من خلال الشكل واللون والحركة والنسيج والصوت وتعطى مفاتيح غير ناطقة يستجيب لها الآخرون. والفنون التطبيقية بالذات تضفى الشكل على البيئة الخارجية بما يتلاءم مع ظروف الفترة والعصر الذى تشير إليه الرسالة. ولقد أصبحت البنيات والأشياء رموزاً للاتصال. إن الألعاب الاجتماعية والمسابقات قد تدخل فى عداد الرسائل المتبادلة حيث يمكن تحليل السلوك فيها؛ حيث يلتزم المشاركون فى الألعاب بقواعد اللعبة ويقومون بأداء أدوار محددة لهم.

ولعل آخر مكونات نمط الاتصال السطرى التقليدى هو «الأثر» الذى تتركه الرسالة فى المستقبل أو جمهور النظارة والمستمعين. وهذا المكون يقع فى تخصص بحوث الجمهور والتسويق. والمعلومات عن الأثر يمكن الحصول عليها بربط محتويات الرسالة بالسلوك أو الحدث الذى يتبعها. لقد قامت بحوث وسائل الاتصال الجماهيرية بتحليل أثر وسائل الاتصال الجماهيرى على الجمهور وعلى النظام الاجتماعى وتعتبر هذه البحوث جانبًا من جوانب علم النفس الاجتماعى. ولقد قام فانس باكارد بمناقشة مستفيضة لأثر الدعاية والإعلان فى توجيه الناس لأن يسلكوا سلوكًا معينًا وذلك فى كتابه الطيب: المتعقبون المتخفون. ـ نيويورك: ماك كيى، ١٩٥٧. كما أن إصلاح الفكر السياسى يستخدم فى غسيل المخ وذلك لتغيير بنية عقيدة الناس. كما تستخدم المؤسسات التجارية برامج المعلومات لتحسن كفاءة وفاعلية قنوات الاتصال الإدارى.

ويرى باتريك ر. بنلاند أن نمط الاتصال السطرى أو التقليدى لم يتقادم مع الزمن ولم تسقط المجالات التى يعمل فيها من حسبان علم الاتصال. وعلى العكس من ذلك يرى أن عناصر المؤسسة ـ المرسل والرسائل والشفرات وأساليب السلوك ـ كلها تعتبر مكونات أساسية فى نمط الاتصال السيبرانى وأنه فى قلب نظرية واينر الخاصة بالنمط السيبرانى تكمن مفاهيم الانتروبيا والمعلومات والتلقيم المرتد. هذه المفاهيم جميعًا متضمنة فى نظرية النظم ويفترض فيها أن تكون المكونات الوظيفية فى أى آلية تحكم بديلة.

الاتصال السيبرانى

إننا نقف اليوم وسط تطور فكرى هائل يؤثر تأثيراً عميقاً فى دراسة الاتصال. وكان نمو المفهوم الجشطلتى فى الاتصال نتيجة حتمية للاتجاه نحو وحدة العلوم فى الربع الثانى من قرننا العشرين والسياسة العلمية التى نادى بها الرواد من أمثال بارسونز، رابوبورت، سيمون، شيلز والتى كانت تسمى فى بعض الأحيان مدخل النظم إلى المعرفة البشرية. تلك السياسة العلمية ألقت بظلالها على دراسات الاتصال. وكان لنظرية النظم أثر عميق على علم الاتصال وذلك عن طريق توسيع مجّال البحث فيه ليشمل علاقات جديدة امتدت لما وراء ما كان يفكر فيه أرسطو وعناصر الاتصال البسيطة أى المرسل والمستقبل وتمرير المعلومات. وفى الوقت الراهن يقف علم المعلومات وعلم الاتصال كل إلى جانب الآخر على أساس التكامل المهنى أو على الأصح «المهنة المتكاملة» بينما تقف نظرية النظم بعيداً عنهما على أساس أنها «المجال أو التخصص المتكامل».

لقد غدت العناصر الأساسية لنظام الاتصال السيبرانى معروفة ومفهومة رغم التداخلات شديدة التعقيد بين العلوم والمهن المختلفة. والعناصر الأساسية لنظام الاتصال السيبرانى هى: أداة التفتيش وأداة التحكم (الاختيار) وأداة التأثير [detector- selector (governor)- effector]. وهذه العناصر الأساسية تساعد النظام السيبرانى فى تحقيق المستوى الأول من عمله: معالجة المعلومات، حفظ التوازن equlilbrium or homeostatis، سلوك التلقيم المرتد ثم طلب معرفة النتائج.

والنظام السيبرانى يختلف عن النظام النمطى فى أنه يتكيف مع البيئة. ذلك أن نظام التحكم السيبرانى لا يستجيب فقط وإنما أيضاً يعدل نفسه لحتميات البيئة حتى يستمر فى الحياة. وهو إذ يفعل ذلك فإنه بهذا النظام يطيل فرصة عمله كما يختبر سلسلة الاحتمالات الأفضل وليس مجرد الاستمرار فى الحياة. ونظام التكيف والتعديل هو لب كل أنظمة السيبرنطيقا سواء كانت عبارة عن أشخاص أو آلة أو جماعة أو مجتمع.

ولعل أحسن مثال على النظام السيبرانى الطبيعى هو التلميذ ذو العين البشرية التى

تتمدد أو تضيق على حسب كثافة الضوء. وهناك كثافة كافية من الضوء اللازم للإبصار. وهذه الكثافة لابد من الحفاظ عليها حتى تقوم العين بالوظائف الأساسية لها ويمكن أن يطلق عليها حيز عمل أو حفظ توازن حدقة العين equilibrium or home-ostatis. والضوء المتاح أو المعلومات يتم فحصه عن طريق الرتينة retina ومحفزات الضوء ترد إلى خلايا المخ المناسبة للتفسير والتصرف حيالها. تقوم خلية المخ أو أداة التحكم (الاختيار) بتفسير كثافة الضوء والتلميذ باعتباره أداة التأثير عليه أن يضيق أو يوسع حدقة عينه حتى يحتفظ بالكثافة الضوئية المطلوبة للإبصار.

إن تحقيق نظام الاتصال الموحد هو أمر سهل وممكن ويقوم على مجموعة من الأسس القليلة تتوافر فى السيبرنطقيا. وحسابات حفظ التوازن Homeostasis ac-counts ليست ضرورية لمبدأ الثبات وحسب ولكنها أيضًا ضرورية لإحداث التغيير والنمو. وتحدث عملية حفظ التوازن هذه من خلال عمليات إجرائية فى الحقول الممتدة بصفة دائمة بما فى ذلك العلاقات المتبادلة والتى يمكن ملاحظتها فى الأنظمة المتعددة وهى فى نفس الوقت عبارة عن وضع نظرى ونظام تحليل معًا لا يمكن أن يعتبر ببساطة استجابة لمحفز ولكنها عملية تحدث فى جميع أجزاء النظام. وأخيرًا تحتاج العملية الإجرائية إلى اتصال معلوماتى على مستويات عديدة تتفاوت من الإشارات المعمول بها فى النظم الميكانيكية والبيولوجية إلى الرموز والعلامات المعمول بها فى النظم الاجتماعية.

وتعتبر المبادىء والأسس المعمول بها فى السيبرنطيقا (علم الضبط) كافية لاعتبارها المدخل إلى علم الاتصال. وباعتباره نموذجًا للنظم فإنه يمكن أن يكون أداة صلبة لتحليل الاتصالات والتى يمكن أن تضم بين ثناياها معرفة محددة بالكائنات البشرية والعلاقات القائمة بينها. ويمكن استخدام لغة تحليل النماذج والنظم فى تشخيص العلاقات الشخصية والتعبير عن هذا السلوك الإجرائى باعتباره من مكونات الاتصال والمؤسسات وردود الأفعال الشخصية فى نظام ثقافى كامل. وكما يقول م. إ. مارون فى مقال له عن السيبرنطيقا فى دائرة المعارف الدولية فى العلوم الإجتماعية «يهيىء علم الضبط والتحكم (السيبرنطيقا) اللغة ومجموعة المفاهيم اللازمة لاستخدامها لقولبة

ومزج هذه الأسس فى نظرية تربط إعداد المعلومات بأنشطة التعلم والتفكير والمعرفة والفهم».

إن اللغة التى يستعملها علم الضبط والتحكم (السيبرنطيقا) فى مجال الاتصال وأى مجال آخر لنظم الضبط التعديلى لابد وأن تكون لغة عالمية، ذلك لأنه لا ينبغى تغيير لا المفردات المستخدمة ولا طريقة التحليل المعمول بها من مجال إلى آخر والهدف من وراء ذلك كله هو تقليل عدد المفاهيم المطلوبة لفهم العالم والسلوك الإنسانى فى علاقات السبب والنتيجة (الأثر) أى نظم الضبط التعديلى من أجل البقاء. وتنطوى المخرجات على معلومات مستخرجة من المدخلات المقدمة من المثير إلى جانب ما يطرأ على حالة المعلومات من تغيير داخل النظام بسبب التوازن الجديد. والبقاء أى الاستمرار على قيد الحياة هو قيمة متعلمة ونتائج للتعلم من التجربة حيث تسفر المدخلات المعطاة للنظام عن مخرجات مختلفة إلى حد كبير عن ذى قبل. ويعتمد التحليل الذى تقوم به أداة الفحص والتفتيش أو مراحل التفسير والتأويل فى النمط السيبرانى على معطيات علم النفس وعلم الاتصال وعلم اتخاذ القرار. بيد أنه طالما تم تكوين الرسالة المراد الاتصال بها، تقوم أداة المؤثر من قنوات ووسائل حمل الرسائل باستغلال معطيات علم الأحياء، الفيزياء، الهندسة. وتتراوح أدوات التحليل الملائمة ما بين تحليل الاتصال الرياضى إلى تحليل المضمون فى منهج البحث فى العلوم الاجتماعية.

إن السيبرنطيقا هو علم الضبط والاتصال عند الحيوان والآلة. ومن الواضح أن الذى مهد الطريق إليه هو داروين وبيرجسون. وقد وضع هنرى ل. بيرجسون خلاصة رأيه ورأى داروين فى كتابه: النقد البناء. ـ نيويورك: هولت، ١٩١١. ومن بعدهما قام والتر كانون بتطوير الأرضية اللازمة لفهم آلية الضبط التعديلى وذلك فى كتابه العظيم: حكمة الجسم .ـ نيويورك: نورتون، ١٩٣٢. ومن بعد هؤلاء جميعًا جاء جورج هـ. ميد وعمم العملية وأكد على أهمية اللغة باعتبارها الطريق المنظم نحو الاستجابة وأداة الفرد فى التكيف مع النظام الاجتماعى. وقد ضمن آراءه هذه فى كتابه: العقل والنفس والمجتمع .ـ شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٣٤. وتتضح محدودية خواص التحليل المتقطع فى النمط السطرى من مفهوم التلقيم المرتد حيث تقوم مخرجات الآلة أو العضو المعقد بالتأثير فى المعلومات المقدمة من المصدر. ومن

المعروف أن الرسائل لها تأثيرها الذى يغير ليس فقط الخواص المرجعية للرموز ولكن أيضًا للشفرة نفسها.

وميزة النمط السيبرانى تكمن فى أنه يعتبر الحدود الموضوعية ويصور الناس والحيوانات على أنهم نظم ضبط تعديلى للاستقبال والتمرير والتقييم والاختزان. إن المدخلات هى الإدراك؛ والحكم هو اتخاذ القرار؛ والمخرجات هى السلوك والتصرف. إن معطيات العلوم الاجتماعية الجديدة المختلفة تدور حول هذه المكونات الثلاثة لآلية أو عضوية الضبط التعديلى أو التكيفى. وطالما أن السلوك غير السوى هو دائمًا سلوك اتصالى مضطرب فإن علم السلوك القائم على النمط السيبرانى يمكنه تهيئة ظروف اجتماعية وشخصية صحية من خلال آلات التحكم فى المعلومات داخل المجتمعات والمؤسسات إلى جانب تحكمه فى إدراك الفرد وتعبيراته واتخاذ القرار.

لقد أثمرت سنوات الإخصاب التى نبتت فيها علوم الاتصال والعلوم البينية عن مدخل موحد إزاء علم الاتصال وغدا من الممكن الآن بناء نماذج جديدة تحل محل النماذج القديمة لتوقعات الظاهرة قيد المناقشة والبحث. وعلى سبيل المثال فإن من الممكن برمجة الحاسب الآلى بحيث يعيد تمثيل العملية والمعادلة الناتجة عن النظرية التى يصفها. إن النظرية السيبرانية لا يحكمها تأثير أفراد معينين ولا تفاوت تفسير كلمات فردية. إننا يمكن أن ننظر إلى الناس والحيوانات والآلات على أنها كما قلت من قبل نظم للاستقبال والتمرير والتقييم والاختزان. وأن استعراضًا سريعًا للنمط السيبرانى فى الاتصال كنمط صالح ملائم للنظم العامة يكشف عن أنه ينطوى على عدد من نظريات النظم الداخلية.

وربما لا نجد عملاً ننطلق منه أفضل من ذلك العمل الذى قدمه روى جرينكر: نحو نظرية موحدة للسلوك الإنسانى .- نيويورك: الكتب الإنسانية، ١٩٥٦. لكى نفهم العلوم الاجتماعية المتكاملة الجديدة ودورها فى وضع نظرية موحدة للسلوك الاتصالى. إن كوكبة العلوم الاجتماعية والطبيعية الجديدة يمكن جمعها تحت ثلاثة عناقيد من المجالات المتكاملة كان لها أثرها على علم الاتصال، ذلك أن علم الاتصال يضم فيما يضم: نظرية المعلومات واللغويات والسلوك. والسلوك التفضيلى يشمل نظرية الألعاب ونظرية القرار وفلسفة القيمة وعلم النفس. ونظرية النظم العامة تضم بحوث العمليات

وعلم الضبط والتحكم (السيبرنطيقا)، وعلم البيئة وعلم المستقبليات. هذه الثلاثية من العلوم والإنسانيات التى تعتمد عليها استغلال وسائل الاتصال لأغراض إنسانية تكشف علاقتها بنظرية النظم العامة وخاصة فيما يتعلق بالنمط السيبرانى.

وتساعد نظرية الألعاب ونظرية القرار وفلسفة القيمة على تفسير السلوك التفضيلى فى آلية الضبط التعديلى البشرى. لقد قامت نظرية الألعاب التى طورها جون فون نيومان فى كتابه: نظرية الألعاب والسلوك الاقتصادى .ـ برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ١٩٤٧. بدراسة أنماط السلوك التعاونى والتنافس والاختيارات والمخرجات البديلة. ومن جهة ثانية أسفرت دراسات اتخاذ القرار الوصفية والمعيارية عن نظرية القرار أو ما يعرف بتحليل جوانب السلوك الإنسانى التى يطلب فيها الاختيار من متعدد أو من بدائل على النحو الذى قام به أبراهام والد فى كتابه: وظائف القرار الإحصائى .ـ نيويورك: وايلى، ١٩٥٠. ونتيجة للعمل المستفيض الذى قام فيه رالف ب. بيرى وجون ريد بدراسة مجموعة الأولويات التى تؤثر فى سلوك الاختيار خرجت نظرية القيمة التى تحلل أسباب الأفضليات التى تقوم بها بين البدائل المطروحة للاختيار سواء كأفراد أو جماعات. وقد وضع بيرى نتائج أعماله فى كتابه: النظرية العامة للقيمة .ـ لندن: لونجمانز جرين، ١٩٢٦. كما وضع ريد خلاصة عمله فى كتابه: نظرية القيمة .ـ نيويورك، سكربنر، ١٩٣٨. وجاء من بعدهما هربرت سايمون فأضفى الكثير على أعمالهما وتتبع تشعبات وتفرعات نظريات اتخاذ القرار ونظريات القيمة وضمن ذلك كله فى عمله الرائع: أنماط البشر .ـ نيويورك: وايلى، ١٩٥٧.

وتشتمل نظرية النظم العامة على بحوث العمليات والسيبرنطيقا وعلم البيئة (البيونيقا) وعلم المستقبليات. ومن المعروف أن نظرية النظم العامة قد خرجت من بطن العمل الذى ألفه ألفرد لوتكا بعنوان: عناصر علم الأحياء الطبيعى .ـ بالتيمور: ويليامز و ويلكنز، ١٩٢٥. والعمل الذى وضعه ل. فون بيرتالانفاى: نظرية النظم العامة .ـ نيويورك: برازيلر، ١٩٦٨. وحيث طبقا النماذج العامة والأسس والقوانين العامة على النظم الفيزيقية والبيولوجية والسلوكية العامة والفرعية. وتعتبر بحوث العمليات من جهة ثانية التطبيق العملى لنظرية النظم العامة حيث تحاول سحب مدخل النظم على الموارد الفكرية والبيئية على المشاكل التنظيمية. وقد قام كل من ر. ل.

أكوف فى كتابه: دليل المدير إلى بحوث العمليات .ـ نيويورك: وايلى، ١٩٦٣. و و. روس أشباى فى كتابه: تصميم عقل .ـ لندن: تشابمان و هول، ١٩٥٤. و ب. دى لاتيل فى كتابه: التفكير بالآلة.ـ نيويورك: هوتون ميفلين، ١٩٥٧. قاموا هم وغيرهم من الأوائل بسبر غور العلاقة بين البرمجيات والأعتدة فى بحوث العمليات باستخدام الحاسبات والآلات الملائمة. وتستخدم نظرية النظم العامة فى التنبؤ بما يجب أن تكون عليه مدن الغد وحاجتها من الحاسبات والاتصالات والتعليم والسكان والتجارة والصناعة.

وبعد أن وضع أشباى النظرية الممكنة لكل الآلات والأعضاء والمزيج منهما، كان لابد لعلم الاتصال من أن يتطور تطورًا كبيرًا، وأصبح مجالاً متكاملاً فى حد ذاته بل وأداة مفيدة فى تخطيط دراسات فردية مختلفة ومكونات لكوكبة استراتيجيات البحث القائمة بذاتها. ونتيجة لذلك أخذت عمليات توحيد العلوم والتأليف فيما بينها وتجانس المهن وتداخلها فى التقدم والتحسن. ولقد تم تحقيق العديد من المكاسب التكاملية الناتجة عن النظريات المقارنة فى مختلف الحقول. وينسب إلى الجشطلت تعميم معطيات البحوث المختلفة بنجاح شديد. ويسعى علم الاتصال إلى الكشف عن مشاكلة (تشابه) القوانين فى مختلف المجالات واتفاق البنى فى النماذج المتفاوتة التى تتجاوز المجالات التقليدية والتى يمكن أن تنطبق على الظاهرة فى عدد من الحقول. ويبحث علم الاتصال فى تطوير السلوك التعديلى التعاونى أو التنافس نحو غايات قيمية وذلك عن طريق آلات تقليل عامل الانتروبيا وطبيعة هذا العامل سواء فى المكان أو الزمان (الانتروبيا عامل يستخدم كمقياس للطاقة غير المستفادة فى نظام ديناميكى حرارى).

ويعتبر علم الضبط (السيبرنطيقا) بطبيعة الحال هو الأساس الذى قامت عليه نظرية النظم العامة. وكما سبق أن قلت توفر على تطوير علم الضبط العالم نوربرت واينر وقدمه لنا فى كتابه العظيم: السيبرنطيقا أو الضبط والاتصال فى الحيوان والآلة.ـ كمبردج: معهد ماساشوستس للتكنولوجيا، ١٩٤٨. هذا العلم الذى يبحث فى العمليات النظامية التى تؤديها الأجهزة البدنية والبيولوجية والسلوكية طبقًا لقواعد محددة مع التركيز على التلقيم المرتد فى الآلة أو فى الجهاز العصبى المركزى. وفى مجال السيبرنطيقا نقوم بدراسة الأجهزة الحية بالتناظر مع الأجهزة الفيزيقية، بينما فى

البيونيكا تدرس الأنظمة الفيزيقية بالتناظر مع الأجهزة الحية. وعلم البيئة يستخدم معطيات علوم الأشياء الحية ويطبقها فى حل المشاكل التكنولوجية. ومع ذلك فإنه فى هذه التحليلات وفى علاقة نظرية النظم ببحوث العمليات لا يمكن إغفال دورة القوة سواء كانت بين الأفراد أو قوة اجتماعية. والقوة هنا هى القدرة على أداء العمل فى العلوم الطبيعية والقدرة على إشباع الحاجات فى العلوم الاجتماعية.

إن دوافع القيم فى المجتمع إنما تنبع من القوة والطبقية فى المؤسسات والمنظمات حيث يفرض النظام السيبرانى الحاكم فى المجتمع الوحدة والاستمرارية. وربما كانت هناك مؤثرات بيئية على المجتمع، ولكن القوى المؤثرة الفاعلة هى تلك التى تنتج عن حسابات ثقافية متفق عليها إلى جانب قوة الضغط بطبيعة الحال. ويختلف الضغط من أجل الوحدة والتماثل مباشرة عن طريق الانحراف عنه، بينما يختلف الانحراف عكسيًا حسب الضغط من أجل الوحدة. وكما هو الحال فى كل الأمور الإنسانية هناك نوع من الدوران فى إقرار هذا المؤثر. ويختلف المضمون الثقافى تبعًا لدوافع ومفاهيم الناس الذين تتفاوت دوافعهم ومفاهيمهم الفردية تبعًا للمضمون الثقافى.

إن مستقبلى الرسائل الاتصالية يتفاوتون فى شخصياتهم كأفراد وفى ثقافاتهم كجماعات (مجتمعات)؛ ذلك أن أى مجتمع له قيمه الثقافية ومفاهيمه الثقافية. والثقافة إن هى إلا مدخلات ومخرجات المجتمع. وعندما يصبح المجتمع موحدًا طبق الأصل فإنه يصبح نظامًا مغلقًا. ومع ذلك فإنه فى النظام المفتوح يصبح التغير الثقافى نموذجًا على عدم حفظ التوازن من المدخلات إلى المخرجات. ويأتى التفاوت فى الأفراد والمجتمعات من الطرق التى تتم بها معالجة المعلومات والتى تتم بها تفسيرها من أجل تطوير الثقافة وتطوير المفاهيم.

والشخصية بالنسبة للفرد هى الثقافة بالنسبة للمجتمع، ولا يبقى عليها سوى اللغة إلى جانب المكتبة ونظام المعلومات. وكما هو الحال فى الشخصية فإن للثقافة قيم ومفاهيم ودوافع تدفع إليهما. ونظام القيم هو مجموع القيم التى تفرزها الجماعات الثقافية الفرعية فى السلوك والعادات والأخلاقيات المرعية والمجاملات والضمير العام. ونظم القيم يمكن النظر إليها جزئيًا على ضوء الحوافز التى ينحط إليها المجتمع. وتنطوى الثقافة على عمليات تغير سواء نبعت عمليات التغير الثقافى هذه من مصادر

داخلية استنتاجية أو نتيجة تطورات وكشوف علمية. ومن ناحية أخرى فإن اللغة هى التى تحفظ المفاهيم والمعلومات وقيمتها المرجعية وخاصة اللغة المكتوبة حيث يمكن دراسة المعلومات بتمعن دراسة فردية بعيداً عن كل مشاكل الذاكرة البشرية. والثقافة تتجاوز حدود التجربة الفردية بتقديم أفكار ومعلومات خارجة عن دائرة الفرد المحدودة مهما كانت سعتها. وبالإضافة إلى ذلك فإنه بواسطة نظم تشفير الثقافة يستطيع الأفراد أن يتجاوزوا المعلومات المتلقاة ويسدوا الفجوات ويفسروا ويضيفوا.

إن الشخصية والثقافة إنما ينبعان من الطرق الخاصة والذاتية التى يستخدم بها الأفراد والمجتمعات المعلومات فى عملية اتخاذ القرار. ومن غير المعقول أن نحصل على معلومات كاملة ونتخذ قراراً مصيريًا تمامًا دون اتخاذ خطوتين هامتين نحو تحديد مجال القرار وتسجيل البدائل المتاحة. إن محور الانتباه المتاح أمام البشر محدود وقد تمنع تكاليف الوقت والمال والقيود الشخصية من جمع المعلومات وتقييمها والخسارة الناجمة عن اتخاذ قرار خاطىء فى الأمور الإنسانية هى فى كثير من الأحيان أقل من تكاليف جمع المعلومات واتخاذ القرار حتى فى أمر من الأمور المصيرية.

وفى الحقيقة ليس هناك من سبيل لمعرفة ما إذا كانت المعلومات ذات أهمية إلا بعد أن نكون قد جمعناها. ولقد قال ألفرد كوهن فى كتابه: دراسة المجتمع صفحة ٣٠٨، أن: «الحاسبات الآلية ومعدات الكلمات قد تغير موضع نقطة الحياد والتساوى فى مثل هذه الأمور ولكنها لن تحل أبداً المشكلة الرئيسية، وهى دائمًا المواقف التى فى العديد منها:

أ - لا تستحق المعلومات التى جمعت من أجل اتخاذ القرار الصحيح فيها التكاليف التى دفعت من أجلها.

ب - لا تستحق حتى تكاليف المعلومات المبدئية التى على أساسها نقرر ما إذا كانت المعلومات الأساسية تستحق وتبرر التكاليف التى ستدفع فيها».

وطالما أن تعلم المفاهيم وتطوير الأولويات هما بالدرجة الأولى مسألة شخصية أو مجتمعية، فإن هناك مجالاً آخر للاهتمام وهو ذلك المتعلق بالعلاقة بين الأشخاص والإجراءات وتدخل فيه المفاوضات. فالسلوك التعديلى الإجرائى لا يمكن ولا يجب

تجنبه أو تجاهله لأن الناس الآخرين والبيئة تتحكم فى ظروف وفرص عديدة نحن فى مسيس الحاجة إليها. وهنا يكمن التحول فى التركيز فى النمط السيبرانى من عملية إشباع الحاجات إلى القدرة أو القوة على القيام بذلك وأى تغير فى الأولويات والفرص المتاحة يستدعى تحولاً فى القوة إلى جانب التحول فى درجة التأثير والتحكم والضبط. وكل فعل بين فرد وآخر تقريبًا ينتج بالضرورة تلقيمًا مرتدًا والفعل ورد الفعل (التلقيم المرتد) هما الاستخدام الإجرائى للقوة. والقوة الناتجة لدى الفرد تختلف اختلافا عكسيًا مع أولوياته الفاعلة وتختلف مباشرة مع أولويات الفرد الآخر. وتعتبر الحاجة المتبادلة أساس كل التصرفات والإجراءات سواء تلك التى بين الأفراد أو المجتمعات والحدود الموضوعة على حفظ التوازن بين هذه التصرفات إنما تقررها مؤثرات الفرص البديلة المتاحة.

إن التصرفات والإجراءات بين الأفراد لا تستخدم قوة مطلقة غير محددة فى سبيل ضبط وتغيير الأولويات والأفضليات، بينما القوة الفكرية (المعلومات) يمكن أن تتحكم فى طريقة تكوين المفاهيم والوعى بالفرص. والقوة تظل قوية طالما كانت تمثل الاختيار الفعال. وتستخدم الاستراتيجية كمناورة مساومة للعمل بها وتقليل حدود هذه القوة حينما يكون هناك تعارض بين الاختيارات والأفضليات الفعالة.

أما التكتيك فإنه على الجانب الآخر يعمل داخل حدود القوة وقد ينطوى على بعض الخداع. ولأن الخداع فيما يتعلق بالأولويات والقوة يجب أن يصدق فإن التكتيك الناجح هو تلك العملية بالغة المهارة. إن التصرفات والعلاقات بين الأشخاص تنطوى على سلسلة كاملة من أنواع العلاقات تبدأ من مجرد الزمالة والصداقة إلى القهر والإكراه، من التعلم الاستكشافى إلى ذاكرة الاستظهار بدون فهم.

والقوة الفكرية فى النمط السيبرانى هى اتصال المعلومات، بينما القوة الأخلاقية تشير إلى اتصال الدوافع. والاتصال الفعال هو ذلك الذى يؤثر فى سلوك المستقبل وتفكيره. وحرية الاختيار تختلف مباشرة مع زيادة عدد مصادر المعلومات. والقوة الفكرية تعتمد على قدرة عرض الأفكار بوضوح وجاذبية، كما تعتمد على مدى الوصول إلى وسائل الاتصال. ومن ناحية أخرى فإنه للوصول إلى أفضل المميزات فإنه يمكن توجيه تدفق المعلومات نحو الهدف المنشود باستمرار. وملكية وسائل

الاتصال والرقابة عليها يمكن أن تحقق ذلك لصالح المجتمع. وبالاضافة إلى ذلك وحيث لا يمكن التحكم المباشر فى المعلومات فإن الإدراك يمكن تعديله عن طريق نقد الاتصال وتوجيه الاعتراض عليه.

إن المؤسسة تضيف بعداً أو عنصراً واحداً فقط من التعاون البناء فى عملية إنتاج السلع الاقتصادية إلى النموذج الإجرائى وأعنى به تحديد الأهداف والتجربة المشتركة فى القيم. ومع هذا العنصر يأتى كثير من التعقيدات ليس فقط فى تعدد الأدوار ولكن فى تشابك العلاقات بينها كى نبنى المؤسسة ولكى تقوم المؤسسة بأداء عملها وتسلم المنتج من الأنشطة المشتركة. وهناك فى أية مؤسسة ثلاثة أنواع كبرى من الأدوار؛ فالمساهمون يريدون إقامة المؤسسة واستمرارها فى العمل والوجود؛ والمساهمون أو الملاك يتحكمون فى الإنتاج الأساسى ويقومون بوظائف رب العمل؛ والموظفون ينتجون الخدمات والسلع ويسهمون جهد الطاقة فى تحقيق أهداف المؤسسة. والزبائن هم المستفيد المباشر من الخدمات التى تقدمها المؤسسة. وكما هو الحال فى نموذج العلاقات الشخصية بين شخصين فإن القوة تغتصب من خلال التصرفات والإجراءات واتصال المعلومات والدوافع.

والمجتمع كله عبارة عن مؤسسة، إنه حشد من الناس لهم حكومة عامة ونظام ثقافى عام. والحكومة هى التنظيم الرسمى للمجتمع، وحقوق الملكية هى التى تحدد قواعد التصرفات والإجراءات. والقواعد الحاكمة للتصرفات تمثل الجانب الأكبر من القانون وعمل الحكومة. ومجال الحكومة مجال كلى يغطى المجتمع طالما أن أفعالها وردود أفعالها تغطى جميع المجالات الممكنة. والتصرفات بين المواطنين تسير على نحو مستمر وإذا لم تتدخل الحكومة فإن معنى ذلك أنها توافق على تلك التصرفات. وقوة الحكومة تعتمد على مكانتها كأقوى تحالف فى المجتمع ويظل السلم والمنطق قائمين فى المجتمع طالما لم يوجد ما يتحدى الحكومة ويقلقها. وأحسن شرعية وأطولها عمراً للحكومة كما هو الحال فى أية مؤسسة هو أن تحمل المستقبلين على الاعتقاد بأن حكومتهم تعمل من أجل مصالحهم. ولعل أخطر المشاكل التى تواجه الحكومة هى أن تدير عملاً عملاقاً ضد مصالح المستقبلين أو المساهمين.

ومن وجهة نظر النماذج المبنية على النظم السيبرانية؛ هناك غرضان أساسيان للاتصال: أن تُعْلِم (تقدم المعلومات) وأن تحفز (تثير الدوافع أو الحوافز)؛ فالاتصال يعمل على تغيير مفاهيم المستقبل وتغيير أولوياته ومشاعره. وعند إنشاء الرسالة لابد وأن نُضمّنها المعلومات والدوافع على هذا الترتيب رغم أنه فى حالة الدراما الاجتماعية وتجارب وسائل الاتصال الجماهيرى يتم تغيير الدوافع أولاً ثم بعد ذلك تأتى المعلومات والمفاهيم لسد الفجوات الناتجة عن تفريغ الدوافع. وفى حالة الاتصال التربوى نجد نوعًا من التوازن مع إعطاء المعلومات نوعًا من الأولوية.

ولكى نمرر أو ننقل المعلومات بدقة هناك ثلاثة شروط لابد من توافرها:

أ ـ يجب تجنب العلامات التى لا مكان لها فى سجل مفاهيم المتلقى أى المستقبل.

ب ـ أن العلامة يجب أن يكون لها نفس المفهوم المرجعى عند كل من المرسل والمستقبل.

ج ـ أن كلاً من المرسل والمستقبل يجب أن يتقبل قواعد الإعراب وتراكيب الجمل فى الرموز والإشارات والعلامات المستعملة بينهما.

وفى الممارسة الفعلية قد تتداخل تلك الشروط وتختلط عند تنفيذ المشروع الاتصالى، ذلك أن تحديد المفاهيم وإقرار قواعد النحو قد يتم بداية على ما يرام، بينما الاختلافات فى المفهوم قد تبقى فى صلب المشاكل المتعلقة بالمعانى فى الاتصال. ماذا يقصد الأفراد بالمفاهيم أو الصور الذهنية التى يكونونها والتى يختلفون فيها دائمًا عن أى شخص آخر. والوصفة السحرية هنا هى أن نصوغ الرسالة بالمفردات التى يستعملها الموجَّهة إليهم الرسالة.

وعند نقل أو تمرير الدافع يكون الهدف هو التأثير فى مشاعر أو أمزجة المستقبلين ولذلك تكون النتيجة هى تحويل التركيز فى محتوى معنى الرسالة. والأسلوب المتبع فى هذا الصدد هو استخدام كلمات محملة بالقيم فى المفاهيم التى نمررها إلى المتلقى والتى نتوقع أن تخلق الدوافع المنشودة لديهم. وفى موقف الدفاع يتعلم المستقبل أو المتلقى كيف يهمل ويتجاهل تلك الصفات المحملة والموسوقة بالقيم حتى يتيقن من تلقاء نفسه من أنها مقبولة من جانب نظام القيم لديه.

وإلى جانب اعتبارات تمرير ونقل المعلومات والدوافع بنجاح هناك اعتبارات إضافية خاصة بالتخطيط للتلقيم المرتد واختيار الوسائل والقنوات الملائمة لحمل الرسالة. إن الاتصالات الموجهة إلى الجمهور العام يجب أن تنسق بين وسائل متعددة وتختار من بينها أصلحها: الصحف، الراديو، اللوحات، التليفزيون، الخطب المنبرية، الإرسال بالبريد، التليفون، البريد الإلكترونى، الإنترنت والتآمر عن بعد. ولقد قام بنيامين س. بلووم بتصنيف الدوافع السلوكية حتى يحسب حسابها عند تصميم وسائل الاتصال التربوية. ومن نفس هذا المنطلق فإن لكل مجتمع عام أو تجارى أهدافه السلوكية المتغيرة التى يجب أن يحسب حسابها عند الاتصال به. ونجد تصنيف الأغراض السلوكية عند بلووم فى كتابه الموسوم: تصنيف الأغراض التربوية .ـ لندن: لونجمان، جرين، ١٩٥٦. ومن جهة ثانية فإن اختيار وسيلة فعالة لنقل الرسالة يتطلب معرفة بالمحتوى وطاقة وسائل الاتصال المختلفة والتجارب السابقة للجمهور المتلقى ودرجة الانتباه ودرجة الذكاء ودرجة تقبل الرسالة الشفوية والمسموعة والمرئية أو المطبوعة.

الاتصال الإنسانى أو البشرى:

الاتصال الإنسانى هو مجموع (جشطلت) النشاط البشرى كله والذى يكون هدفه موجهًا لأغراض تقليل الانتروبيا (تقليل الفاقد)، وحل المشاكل واتخاذ القرار. والاتصال الإنسانى مأمور بالفطرة على العمل على «البقاء والاستمرار فى الحياة» والارتقاء بالمستوى الثقافى للنوع. والأمر واضح بذاته ولا يحتاج إلى تفسير فالاتصال الإنسانى يحدث عادة فى سياقات معينة ومواقف محددة ولغرض واضح (التعليم ـ البحث والاستطلاع ـ الترويح). ولكن الذى ليس واضحًا بذاته هو أن المهن ـ وليست المجالات ـ هى التى تمد يد العون للاتصال وهى بالضرورة تسهم فى تقليل الفاقد سواء فى أهدافها أو طرائقها.

وفى الزمن الماضى كان هناك تعاون فى مجال الاتصال بين المؤسسات الأكاديمية والمهن. وحيث كان يتوقع من المؤسسات الأكاديمية أن تؤسس فروعًا جديدة فى المعرفة البشرية وتستحدث مجالات علمية مبتكرة من خلال البحث العلمى الأساسى. وكانت المؤسسات الأكاديمية تكرس نفسها أو جانبًا كبيرًا من عملها لخلق واستحداث معارف وعلوم جديدة دون النظر إلى مدى الاستفادة من هذه المعارف والعلوم فى حل

المشاكل أو اتخاذ القرار. وتقوم المهن المختلفة باستثمار المعرفة التى أنتجتها تلك المؤسسات الأكاديمية بطريقة تجعل المعلومات تسهم فى تقليل الجهد الشخصى والاجتماعى وتقلل الفاقد (الانتروبيا). والمهن كانت تتميز عن بعضها البعض بالطريقة التى تستخدم بها المعرفة والمعلومات التى تنتجها المؤسسات الأكاديمية لصالح الناس أى أنها كانت مسئولية المهن أن تضع المعرفة موضع التنفيذ والإفادة أى جعل المعلومات طاقة حركية فى حياة الناس.

وبصفة عامة هناك أربع طرق مهنية كبرى للاتصال:

١ ـ الاستشارة .

٢ ـ التعليم.

٣ ـ وسائل الاتصال الجماهيرى.

٤ ـ استرجاع المعلومات.

والمهن الاستشارية مثل المحاماة والهندسة والطب يناط بها عادة فرز وخلق المعرفة والمعلومات التى تسهم فى إيجاد حلول فعلية لمشكلات الناس. ومن جهة ثانية فإن طريقة التعليم بما فى ذلك التعليم غير الرسمى للكبار تهدف إلى توصيل خلاصة المعرفة للناس ومن خلال التدريب تُحسن مهارات التفكير لدى الفرد والجماعة. ومن جهة ثالثة تقوم وسائل الاتصال الجماهيرى بإمطار الناس بوابل من المعلومات حول الماضى القريب والأحداث الجارية والحاضر والمستقبل المنظور. أما استرجاع المعلومات ـ الطريقة الرابعة ـ فإنه يجعل بإمكان الناس الحصول على المعلومات من مصادر متعددة.

والسبب الكامن فى تزاوجية الاتصال بين المؤسسات الأكاديمية والمهن؛ هو أن الاتصال قديمًا كان يقوم على أساس النمط التقليدى السطرى للاتصال. ولذلك فإننا عندما نأتى إلى تحليل مكونات مفاهيم الاتصال وعلاقاتها ببعضها البعض والمؤثرات التى تعمل على آلية الضبط التعديلى فإن النمط السطرى الوصفى هذا لا يكفى فى هذا المقام. كذلك يعجز هذا النمط التقليدى للاتصال فى الوقت الحاضر حيث جاء الاتجاه نحو وحدة العلوم والمعرفة والمهن، وأصبح هو الموجة السائدة. لقد فرض هذا الاتجاه الجديد إيجاد نظم فعالة ونافعة وجديدة للاتصال.

إن الهدف من مدخل النظم فى الاتصال هو تذليل التحليلات السطرية المتعاقبة والمزدوجة غالبًا والتى تبدو للمستقبل على الأقل ضرورية وفعالة. كما أن مدخل النظم إلى المعرفة والمهن يجعل من السهل - كما يقول روس أشباى فى كتابه: مدخل إلى السيبرنطيقا. - نيويورك: وايلى، ١٩٥٨ - على الشخص أن يتصل ويدخل إلى شبكة الاتصالات من أى نقطة ويكون قادرًا على التحرك إلى أية نقطة أخرى فى أى اتجاه يختاره. وبمدخل النظم المبنى على النمط السيبرانى تستطيع المهن أن تقوم بدور الحارس الأمين على المعرفة البشرية والثغرات الموجودة فى نسيجها ومن ثم تقترح على المؤسسات الأكاديمية بحث موضوعات جديدة ومعرفة جديدة تسهم فى تقليل الفاقد فى مجالات يهتم بها المجتمع. ومع هذا فإن الباحثين الأفراد يجب أن يستمروا فى القيام ببحوثهم الفردية التى يثرون بها الحياة الفكرية بمبادرة شخصية من لدنهم. ولكن المجال عمومًا يصبح أكثر استجابة لحاجات المجتمع ومصالحه بل ويربح لنفسه عندما يكون هناك تلاحم وتكامل بين المؤسسات الأكاديمية والمهن. ولقد حل محل التزاوج الذى كان قائمًا بين المؤسسات الأكاديمية والمهن بالتدريج علاقة تكافلية تعاضدية على نمط الاتصال السيبرانى ونظرياته المؤسسة له.

هذا التكافل والتعاضد الجديد إنما ينبع من النمط السيبرانى الكلى للاتصال الذى ينطبق على المؤسسات الأكاديمية والمهن بالتساوى. وقد كشفت التجربة عن أن النمط السيبرانى الذى وضعه واينر فى الإلكترونيات وكانون فى علم الأحياء هو أكثر خصوبة وأكثر إنتاجية من النمط السطرى سواء للأغراض التحليلية أو الأغراض التكاملية. وفى النمط السيبرانى العام فإن المعلومات تكون بمثابة المحفز الذى ينبه ويثير جهاز الإدراك فى آلية الضبط التعديلى. والمعلومات المدركة إنما يتم معالجتها بواسطة أداة التفسير أو أداة الضبط داخل آلية الضبط التعديلى وعادة ما يحدث بعض رد الفعل. وعندما يكون رد الفعل واضحًا فإنه يبدو كمخرجات سلوكية ترتد إلى جهاز الإدراك فى الآلة و/ أو إلى المثيرات التى حفزت المعلومات الأصلية المدخلة وأثارتها.

ومن أجل أن تمارس المهن القيادة الفكرية فإنها تحتاج إلى مزيد من الأطر النظرية التى تؤطر وظيفتها فى إنتاج وخلق مواقف اتصالية. إن نظرية خلق المواقف الاتصالية لدى المهن يوجد فى النماذج السوالف. وطبقًا لما قال به ديكؤوف فإن كل مهنة تعرف

بعض حالات الاضطراب: الاجتماعية أو الشخصية وتحاول قدر الطاقة تصحيحها والتغلب عليها وإضافة إلى ذلك فإن كل مهنة تستخدم مجموعة من آليات الضبط أو الطرق المهنية الملائمة لها لكى تعيد النظام إلى حالات الاضطراب تلك. وبمعنى آخر فإن المهنة بطريقة أو بأخرى تحاول مساعدة الناس والجماعات والمجتمعات على الوصول إلى أنتروبيا سالب. وهو فى مجال أو أكثر قد يكون مزدوجًا: الجماعة والمجتمع، ذلك الذى تحاول المهن أن تخلق فيه مواقف اتصالية.

وهناك بكل تأكيد حالات اضطراب أو أنتروبيا كثيرة، كما هو واقع فى حالات امتلاء الإدراك لدى كل فرد فى كل ثقافة. ومع ذلك فإنه لأغراض التصنيف والتحليل حدد الكتاب ثلاثة مجالات كبيرة يتواجد فيها الأنتروبيا بصفة دائمة مستمرة. وعلى سبيل الاختصار فإن تصنيف إدوارد هول قد يصلح فى هذا الصدد وقد ضمنه فى كتابه: اللغة الصامتة .ـ نيويورك: دبلداى، ١٩٥٩ـ وقد حدد هذه المجالات على أساس أنها:

أ ـ غير رسمية (شخصية).

ب ـ رسمية (اجتماعية).

جـ ـ تكنولوجية (بيئية).

ويناقش هول تحقيق النظام فى كل من هذه المجالات مما يجعل هذه المجالات الثلاثة تبدو كما لو كانت الاهتمامات المسيطرة على كل ثقافة بخصوص تقليل الأنتروبيا ومن ثم تصبح مصدراً لكل الأهداف والأغراض التى يسعى المجتمع إلى تحقيقها.

إن نمط الاتصال السيبرانى فريد فى قدرته على التنسيق بين كل من السياقات التى يحدث فيها النشاط الاتصالى ونظم تقليل الأنتروبيا فى أى ثقافة. ولكن قبل افتراض تصنيف للمواقف الاتصالية مبنية على قوالب السياقات والنظم فإن من الضرورى التعرف على الطرق المهنية العامة التى يخلقها المجتمع ويقدمها للمهنة حتى تربط بها بين المعرفة التى تفيد منها تلك المهنة وبين احتياجات تقليل الأنتروبيا التى ينشدها الناس فى مختلف الأوساط الثقافية.

وطبقًا لما قاله ديكؤوف فإن عناصر تقليل الفاقد المهنية العامة هى ستة عناصر وقد

صاغها ديكؤوف على شكل أسئلة ستة والإجابة على كل سؤال تمثل عنصراً عاماً وتحتاج كل مهنة إلى إجابة أكثر تحديداً تلائمها وهذه الأسئلة الستة هى:

١ ـ من أو ما يؤدى النشاط (المؤسسة)؟.

٢ ـ من أو ما يستقبل هذا النشاط (الزبون، العميل)؟.

٣ ـ فى أى سياق تتم تأدية النشاط (موقف، مشهد)؟.

٤ ـ ما هى نقطة النهاية فى النشاط (الأهداف ـ المنتج)؟

٥ ـ ما هو البروتوكول الإرشادى للنشاط (الأهداف ـ السياسات ـ الإجراءات)؟.

٦ ـ ماهو مصدر طاقة النشاط (الدافع إلى الخدمة، المشاركة، الاتصال)؟.

ومن الواضح فى عناصر ديكؤوف الستة أنها تقترب حتماً من أدوات الاستفهام الخمس التى رفعها لاسويل من قبل. ويمكننا فى الجدول الآتى أن نوضح علاقة نمط الاتصال السطرى ونمط الاتصال السيبرانى على ضوء عناصر ديكؤوف وسياقات الاتصال الثلاثة فى تصنيف هول وأنظمة الأنتروبيا الثلاثة السالبة.

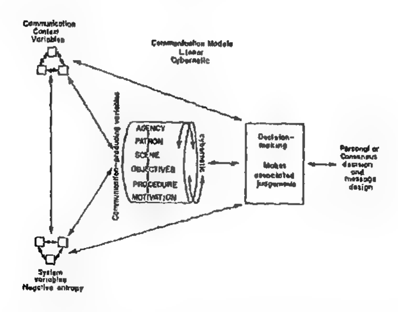
نظم تقليل الأنتروبيا (الفاقد)	سياقات الاتصال		
	ثنائى	جماعى	مجتمعى
شخصى	الدافع للاتصال. التفكير، الإدراك، الاستدلال. مهارات التعليم الحر.	الدافع للمشاركة. الحساسية للجماعة. التعلم الجماعى.	معرفة المؤسسة بالتوزيع.
اجتماعى	الإرشاد والاستشارة جماعة أصدقاء العميل. «الجماعات المرجعية سلاسل المحادثات».	مواقف إدارية. مشهد تنظيمى.	هدف المؤسسة وسياستها. تنسيق مجلس المجتمع. التنمية السيبرانية للمجتمع .
بيئى	خلق معرفة جديدة. نشر البحوث. دراسة أولية وثانوية لـ«دائرة المعارف العالمية».	الكليات الجامعية. المجالات الموضوعية. الجمعيات العلمية والتكنولوجية. الجمعيات المهنية.	اللغة والثقافة. اختزان وضبط المعرفة. شبكات ونظم ضبط ونقل المعلومات.

ويمثل هذا الجدول توزيعًا لنقط الاهتمام الأولى أى النقط المداخل التى اعتبرها أشباى المفاتيح إلى النظام والتى ينطلق منها الفرد أو الجماعة أو المجتمع إلى أى نقطة أخرى فى النظام. وهذا الجدول هو مجرد خريطة استرشادية وليست خريطة مقارنة واحد فى مقابل واحد، لأن تحليل أوجه العناصر فى علاقتها بالنقاط المداخل يمكن أن ينتج عنه عدد لا نهائى من التراكيب.

ومن الصعب فى أية مصفوفة أن تمثل الحركات (الديناميات) الدائرية والحلزونية لآلية الضبط التعديلى. ومع ذلك فإن محاولة وضع خريطة للعناصر المهنية فوق سياقات الاتصال ونظم تقليل الأنتروبيا فى النمط السيبرانى، لا يكشف فقط عن بعض وظائف المهنة المحددة ولكن أيضًا عن علاقتها بالمجالات الموضوعية والتى تغدو يومًا بعد يوم بينية أكثر وأكثر. ولقد أصبحت المهن بحكم طبيعتها بينية وخاصة فى جعل المعرفة أداة حيوية فى حياة الناس. والمعلومات من أى مجال يمكن استغلالها والإفادة منها فى حل المشاكل التى تعترض حياة الناس الذين تخدمهم المهنة كما يمكن الإفادة لصالح هؤلاء الناس.

والشكل الآتى يمثل المكونات السيبرانية لمهنة إنتاج الاتصالات باستخدام السياقات الاتصالية والأغراض السلبية للأنتروبيا وذلك لإنتاج الرسائل المناسبة وقد عرفت الرسالة هنا بمعناها الواسع كى تشمل أى نشاط تقوم به المهنة ومجموعة الأهداف السلوكية المتعاقبة والتى وضعت موضع التنفيذ. وهكذا فإن الموقف الاتصالى السيبرانى يمكن أن يكون أكثر تعقيدًا وفاعلية فى إحداث التغيير أكثر منه فى تصميم الرسالة المتابعة. ونظرية إنتاج الاتصالات الهامة هى تلك التى تنير الطريق أمام الفرد فى مهنة معينة عن العمل أو الزبون الذى يمكن تقديم الخدمة له والموقف الخاص به. ومن خلال أهدافها وطرائقها الخاصة تعرف المهنة كيف توزع نشاطاتها لخدمة غرض اجتماعى معين. والزبون يدفع لكى يشارك فى بعض الإجراءات التى تساعده على مواكبة تطوير الرمز وحل مشكلات المعلومات عندما تكون دافعيته وقدرته ومعرفته غير كافية.

شكل ـ ١ ـ أنماط الاتصال



والاتصال الإنسانى يحدث بغرض تحقيق بعض الأهداف التى هى بطبيعة الحال أهداف لا نهائية بالنسبة للبشرية ككل. ومن ثم فإن الهدف العام قد يوجد فى آلية الضبط التعديلى وهو ما نسميه الحفاظ على الذات أو تعظيم الذات. ولأن نظام الضبط التعديلى هو النمط المعرفى الأصلى للاتصال الشخصى فإن من المفترض أن تعظيم الذات هو هدف الاتصال الثنائى والجماعى والمجتمعى. ولابد للغة السيبرانية أن تستخدم مصطلح تقليل الأنتروبيا كمصطلح الهدف أو الغرض من الاتصال بين الأشخاص.

والمواقف «التى يتم فيها» الاتصال هى مواقف لا نهائية ولكنها لأغراض تحليلية بحتة تتمحور حول ثلاثة أنواع من الاتصال بين الأشخاص هى الثنائى، الجماعى، المجتمعى. والمعلومات (المحفز العشوائى) هى المثير فى سياق الاتصال (النظام أو الموقف) الذى يجد الفرد أو الثنائى أو الجماعة أو المجتمع نفسه فيه. ونظام الضبط التعديلى سواء داخلى أو بين الأشخاص يدرك بعض المحفزات ويفسرها طبقًا للأولويات الموجودة لديه والمفاهيم المفضلة عنده ويكون رد الفعل لديه بناء على ذلك. والمخرجات السلوكية قد تتضمن رسالة ولكن فى أية حادثة يصبح التلقيم المرتد مفتاحًا لسلسلة جديدة من الإدراك والتفسير ورد الفعل. ولقد لخص جودفرى هوكباوم فى

مقال له بعنوان «النظريات الحديثة للاتصال» فى مجلة الأطفال المجلد السابع يناير- فبراير سنة ١٩٦٠ ص ص ١٣ ـ ١٨، أغراض وطرق الاتصال الإنسانى حين ذكر:

«فى محاولتنا لتعليم العامة يجب أن نفيد من كل التسهيلات المتاحة للاتصال الفعال؛ ويجب أن نستخدم كل المعرفة النظرية والعملية المتاحة عن الاتصال وعمليات التعليم. وفى نفس الوقت يجب أن نسمح لكل فرد ولكل جماعة تقوم بالاتصال بهم أن يكيفوا رسائلنا وتعليمنا طبقًا لاحتياجاتهم ودوافعهم وطرائف عاداتهم فى معالجة مشكلات حياتهم.

ويعتبر دور المهن فى عملية الاتصال الإنسانى دوراً هامًا. ولكنه عادة ما يتم تجاوزه. ومن خلال هذه العملية يكون الهدف هو تمرير المعلومات من شخص إلى شخص أو من جماعة إلى جماعة بقصد إحداث شيء من التغيير فى الطرف الآخر إزاء قضية ما. وهذا التغيير المطلوب فى السلوك قد يكون واضحًا من نغمة ومحتوى المادة موضوع الاتصال، بيد أنه فى بعض الأحيان لا يكون هذا الهدف واضحًا. وعلى الرغم من أن كثيرًا من الرسائل الاتصالية قد تبدو أنها مجرد إضافة إلى الفيض المتدفق والمتصل من المعلومات التى نتعرض لها جميعًا، فإنها فى حقيقة الأمر موجهة صراحة أو ضمنًا نحو تغيير سلوك الناس بطريقة أو بأخرى.

ولقد كانت المعلومات دائمًا أحد الشروط الضرورية للسلوك الأصلى و/أو المتغير؛ ومع ذلك فإنها لا تكفى فى حد ذاتها لإنتاجها؛ ذلك أنه لكى تصبح المعلومات اتصالاً فإنها لابد وأن تناسب إطار العمل الخاص بالاتجاهات والميول والحاجات الموجودة لدى الناس الذين نريد للمعلومات أن تؤثر فيهم. والمعلومات موضوع الاتصال يمكن إدراكها وتأويلها من جانب المتلقى على ضوء مدركاته السابقة واحتياجاته الخاصة ورغباته الشخصية. ولكى نؤكد على الاتصال الفعال فإن على المرسل أن يعرف حجم الاحتياجات والمشكلات والمعتقدات والاتجاهات والعادات والمعايير والدوافع والمخاوف الموجودة لدى المستقبل الذى توجه إليه المعلومات والذى يكيفها بالشكل الذى يناسب وسطه الثقافى.

والوسط الثقافى هو الذى يساعد على مدى الاستعداد للاتصال والذى يتذبذب طبقًا للأحداث المختلفة. فقد يكون المستقبل فى وضع غير مريح بل فى وضع تهديد

بحيث يدفعه قلقه وعدم الأمان وعدم اليقين لديه إلى أن يكون هدفًا سهلاً للاتصال والملاحقة. وكذلك فإن الديناميات العاطفية قد تولد الحاجة لدى الشخص كما قد تسلبه القدرة على التمييز بين الحلول الأصلية والحلول غير السليمة لمشاكله. وقد تهديه إلى حكم صائب فى عملية اختيار مصادر المعلومات. ويعتبر التعرف على اللحظات «التعليمية» من الأمور الهامة لأنه يهيىء الفرصة للاتصال الفعال ولأن هناك خطر أن يتحول الفرد إلى مصادر معلومات غير كافية عندما لا يتوافر قدر كبير منها. ولكن على الجانب الآخر يجب أن نتذكر أن إثارة الكثير جداً من المخاوف والقلق يمكن أن ينقلب إلى الضد ويتسبب فى فرز صراعات عميقة لا تغتفر، قد تؤدى على غير المتوقع إلى وضع مثالى للاتصال، وبحيث يصمم الاتصال هنا ليتكامل مع المواقف الإرشادية واسترجاع المعلومات وعمليات الجماعة، بدلاً من أن يقتصر الأمر على نمط الاتصال الجماهيرى العادى وحده.

ويستخدم الاتصال كما رأينا دائرة واسعة من وسائل الاتصال لخلق الوعى وتهيئة المناخ الملائم لتلقى الرسائل الاتصالية. واللحظات «التعليمية» موجودة فى حال الجماعات والمجتمعات الشاملة بنفس قدر ما هى موجودة فى حال الأفراد. ومع ذلك فإن المرسل لا ينبغى أن ينتظر حتى تحين الأحداث التى تخلق الرغبة فى المعلومات. وعلى سبيل المثال فإنه عندما يخرج تقرير عن مضار التدخين فإنه يستخدم كمحفز للرغبة فى تكوين عادات صحية عامة، وليس من الصعب أن نحصى عدد الناس الذين أقلعوا عن عادة التدخين بعد تلك الحملات الاتصالية. ولأن حملات الاتصال قد يخفت أثرها مع مرور الوقت فإنه لابد من دعمها على فترات منتظمة وعلى مدى أطول.

وفى أية حملات اتصالية لابد وأن توضع قناة الاتصال ووسيلته فى الاعتبار رغم أن هناك ما يؤكد أن مضمون الرسالة وفحواها أهم بكثير من الشكل الذى تقدم فيه. وطالما أن المعلومات المتقطعة والعشوائية وجهود الاتصال غير المستمرة ليس لها فاعلية كبيرة؛ فلابد من تصميم حملة اتصال مخططة جيداً ومتكاملة بحيث تردف الرسالة برسالة تعقبها فى وسائل الاتصال المختلفة، وكل رسالة تبنى على سابقاتها وترسى الأساس للرسالة التى تعقبها. والحقيقة أن وسائل الاتصال الجماهيرى قد غدا لها تأثير

ضخم فى نشر المعلومات وحفز الأشخاص على العمل بناء على الدوافع التى تمت إثارتها لديهم. ولكن يجب أن نكون واعين إلى أمر جد هام وهو أن وسائل الاتصال الجماهيرى ـ الإذاعة، التليفزيون، الجرائد، المجلات. . . لا يمكن أن تقدم اتصالاً فى اتجاهين، ويتم التفاعل بعد ذلك عن طريق الإرشاد النفسى واسترجاع المعلومات وعمليات الجماعات الصغيرة، سواء كانت جماعة مرجعية أو جماعة تعليمية.

إن تصميم أى نظام اتصال موجه لمجموع السكان فى الوطن لا يمكن أن يضع فى حسبانه معتقدات، وعادات سلوك، واحتياجات الأقليات والجماعات الخاصة فى المجتمع. ومن هنا فإن الاتصال الموجه خصيصًا نحو شريحة واحدة من السكان أو الجماعات الخاصة قد يكون له أثر أكبر، بل وربما يؤثر فى الشرائح الأخرى فى المجتمع حيث يكون للاتصالات الشخصية والاعتبارات العاطفية دورها فى هذا الصدد. ومن المعروف أن المكتبات العامة ومراكز المعلومات هى ركائز لا غنى عنها فى أى نظام للاتصال وعلى الرغم من المجهود الذى يبذل والوقت الذى يستنفد فى استرجاع المعلومات والإرشاد النفسى والعمل مع الجماعات وصالات الاجتماعات فإن العائد من ورائه صغير إذا قورن بالعائد من وراء جمهور وسائل الاتصال الجماهيرية الغفير.

إن العلاقات بين سياقات الاتصال هى علاقات وثيقة وهامة. وما يمكن للمرء أن يقوله فى سياق «الاثنين» قد لا يمكن مناقشته فى سياق «الجماعة» وما يمكن قوله بين الجماعة قد لا يصلح عرضه على الجمهور العام. ولابد من أن نعترف بأنه قد حدث نوع من انخراط الفرد فى المجموع فى الآونة الأخيرة وأن الفرد قد خسر بعضًا من فرديته وخصوصيته. وهذا التحول هو فى الواقع خبرة تعليمية قيمة لا يمكن أن نحصل عليها عن طريق آخر.

وفى بعض الأحيان يكون لمدخل أمين المكتبة الذى يوجه الفرد إلى كتب معينة، بعض العيوب وخاصة فى حالة تطبيع الفرد مع المجتمع، ذلك أن بعض الأفكار الغريبة يمكن نبذها عن طريق الاتصالات الشخصية الثنائية ثم يتم دعمها بعد ذلك عن طريق الكتب المناسبة. كذلك لابد من تشجيع الاستماع الجيد والمشاهدة الطيبة داخل الجماعات التى يزداد توسعها بصفة مستمرة. والعملية المرجعية هنا هى عملية مناسبة فى توسيع آفاق السياق الاتصالى.

وتعتبر عملية توعية الناس وخاصة فى الجماعات الكبيرة بالمبادىء العامة الكامنة خلف برنامج المعلومات أو الرسائل الاتصالية مجرد خطوة واحدة فقط. ولابد أن تتلوها خطوة أخرى، وهى مساعدة الأفراد على تنمية الاتجاهات وترقية السلوك وتوسيع الفهم الذى يحتاجونه لمواجهة مشاكلهم بذكاء، ويتخذون حيالها قرارات صائبة ويتبعونها بتصرفات واجراءات وفعل صائب فعال. كذلك فلابد من تهيئة البيئة الكاملة فى المجتمع لتقبل التعليم وإلا فإن بعض الأفراد فيه لن يتمكنوا من الحصول على القدر اللازم من المعلومات الذى يحتاجونه لتكوين الاتجاهات والدوافع، لأنه فى هذه الحالة سوف تسقط رسائل الاتصال المتعاقبة والملمة ليس فقط على أرض من الكراهية ولكن أيضًا سوف تجعل إعادة التعلم مسألة صعبة الإنجاز بل وأصعب من التعلم الأصلى والعملية هنا قد تثير الشكوك فى اتجاه نوايا المرسل بل وفى مدى إمكانية الاعتماد على الاتصال نفسه.

إن السلوك البشرى هو فى حقيقة الأمر ناتج نظام ضبط وتحكم صارم يتواكب مع الأفكار التحليلية المستخدمة فى علم النفس والاتصال واتخاذ القرار. والاعتبارات الموجودة لدى أداة التفتيش وأداة الاختيار فى نمط الاتصال السيبرانى تتطابقان مع جوانب المفهوم والدافع فى علم النفس ومع جوانب الفرصة والأولويات فى اتخاذ القرار ومع جوانب المعلومات والدوافع فى الاتصال. ومع الأفكار الثقافية العريضة والقيم العليا فى المجتمع. ويعتبر تحليل العلاقات الشخصية والتصرفات والوقائع الجماعية وداخل المؤسسات والمجتمع ككل وسائل لتوسيع فرص المشاركة سواء فى المفاهيم أو الأولويات.

ومن جهة أخرى فإن السلوك الإنسانى يبنى عادة على المعلومات حول الأشياء وليس بالضرورة على طبيعة الأشياء نفسها. ويستطيع الإنسان أن يركم أرصدة من المعلومات عبر فترة من الزمن من خلال تكوين المفاهيم والرموز. والمفاهيم يمكن أن تدور حول الأشياء كما تدور حول الأحداث. وطالما تم تخزين المعلومات على شكل مفاهيم فإنها يمكن أن تتدفق بواسطة مفاتيح كالصنابير. ولا يمكن لفعل ما أن يقع أو لمفتاح ما أن يدور عن بعد بدون ربط سواء على هيئة سبب ـ نتيجة أو تلقيم مرتد. وفعل السبب ـ النتيجة أيًا كانت درجة تعقيده يسير فى اتجاه واحد، وهو فعل عام فى

البيئة الطبيعية. أما نظام التلقيم المرتد فإنه ينطوى على علاقة تبادل السبب والنتيجة. ونظم التلقيم المرتد إنما أنها نظم ضبط مباشر أعنى نظم خدمة سيبرانية أو توجد حيث يقوم التلقيم المتبادل بحفظ التوازن.

وأى نظام سيبرانى إنما يقوم على المدخلات والمخرجات. وتأثير البيئة على النظام هو المدخلات، بينما المخرجات هى تأثير النظام على البيئة. وفى داخل النظام نفسه فإن تأثير أى مكون على مكون آخر فيه إنما هى علاقة وظيفية أو تفاعل. وفى النظام السيبرانى فإن أداة الاختيار أو ما نطلق عليه الحاكم إنما يتحكم فيه نظام أكبر أو النظام المحيط وعلى سبيل المثال فإن نظام القيمة فى الفرد البشرى لا يقيمه الفرد بنفسه وبمفرده ولكن أساسًا النظام الثقافى العام ومن هذا المنطلق فإن إقامة الحاكم أو ترسيخ القيم الحاكمة للسلوك هو وظيفة النظام السيبرانى الذى تقرره البيئة الأكبر والتى يجب أن تظل بدون تغيير خلال دراسة تحليل النظام. ومع ذلك فإن دراسة النظم الإنسانية هى من أصعب الدراسات لأنها لا تستقر على حال خلال فترة التحليل.

والدوافع هى مصدر الأولويات التى تحدد القرار السلوكى. وكل حالة مؤثرة أو دافع له مكافىء موجب أو سالب يدعم أو يدحض السلوكيات التى أدت إليه. والدوافع قد تكون أولية وقد تكون ثانوية وتتواجد على هيئة سلاسل من الدوافع يدعم بعضها بعضًا ويردف بعضها البعض وتمتد إلى أفكار الأشياء. ولا تقوم الدوافع بقيادة السلوك فى اتجاه هدف معين وحسب ولكنها تقوم أيضًا بدور المجال أو الحقل للمحفزات المنافسة. وهنا تتنافس الاختيارات والإرادات مع بعضها البعض بدرجات متفاوتة من التعقيد اللانهائى. ولا يستطيع معالجة هذه التكوينات سوى نظرية الاتصال الميدانى.

وتعتبر الدوافع والحاجات الأساسية هى الأخرى مصدرًا للأولويات والأفضليات الأولية والثانوية. وعلى سبيل المثال فى حالة الآليات الإنسانية حيث تكون أدوات الاختيار أو الأدوات الحاكمة موجهة باستمرار نحو حب البقاء والاستمرار، يكون الدافع هنا أداة استجابة، بينما تكون الحاجة هى الأساس وتعمل أصلاً بوظيفة الاستجابة المشروطة بالمثير. والدافع هو الذى يتحكم فى اتجاه الطاقة المحررة، بينما الحاجة هى التى تتحكم فى الكمية، وهما معًا يقودان الاتجاه فى الآلة حين تؤدى

نشاطها أو تعمل. والآلة الإنسانية على سبيل المثال مرنة إلى أبعد حد وتستطيع التكيف مع أى نظام اجتماعى يتلاءم مع رغبتها وقدرتها على البقاء والاستمرار. ومع ذلك فإن النظام الاجتماعى الذى تسعى إليه الآلة سيكون هو الوحيد الذى يمدها بالحرية الكفيلة لضمان أولوياتها وأفضلياتها ولتحقيق فرصها فى الحصول على أكبر كمية ممكنة من المعلومات.

وبالإضافة إلى معرفة أن الدوافع هى مصدر الأفضليات والأولويات، فإن النظم هى فرص تكوين المعلومات من خلال المفاهيم. وعملية اتخاذ القرار هذه تنطوى على القيام بالاختيار من بدائل أو الاختيار من متعدد أو من بين مجموعة من الفرص والمفاهيم. والبشر يستخدمون المفاهيم كى يفكرون بها ويدركون عن طريقها، ويتواصلون بها ويبنون مجتمعهم عليها. والآليات الإنسانية تختلف عن الآليات الأخرى وخاصة فى الحيوانات، فيما يتعلق بقدرتها على تكوين الأفكار واستخدامها فى سياق أكبر من المعلومات. والاختلاف فى الشخصية هو الاختلاف فى الطرق التى بها يكونون الأفكار حول الأشياء. والطفل على سبيل المثال لديه آلية (حواس) التفتيش عن المعلومات، ولكنه لا يملك المفاهيم أو المفاتيح التى تجعله يكون منها مجموعة من المعلومات التى يستخدمها فى إصدار أحكام أو مقارنًا بأى قدر من الثقة.

وتكوين المفاهيم يبدأ عادة على شكل عملية استقرائية داخل النظام الإنسانى، وبالنسبة للطفل على شكل فرز لوجوه الاتفاق ووجوه الاختلاف فى السلوك التلقائى عنده. وبطبيعة الحال فإنه مع تطور ملكة التكلم تتحرك عملية تكوين المفاهيم إلى عملية تكوين المعلومات المبنية على تكوين المفاهيم. ولعل أسرع طريقة للحصول على المفاهيم هى من خلال الحصول على تعريف لها أو من خلال تذكر قائمة مفاتيح المعلومات المؤدية إلى التعريفات الخاصة بها. وتنطوى هذه العملية على ضرورة التعلم حول أفكار ومفاهيم الآخرين وربما يجىء ذلك عن طريق الأقران والجماعات المرجعية وخاصة الثقافة التى تمدنا بفرص أكبر للتعلم وتكوين المعلومات حول البيئة التى نعيش فيها.

وطالما تم تكوين رصيد الأفكار فإنه يغدو بالإمكان استخدام الإدراك لاستقراء المعلومات واستنتاجها وهكذا تتكون المفاتيح نحو فرص التعلم الكبرى. والحقيقة أن

عملية الإدراك هى فى نفس الوقت عملية استدلال واستنتاج أعنى عملية تصنيف الأشياء على أساس مفاتيح المعلومات الخاصة بعلاقة هذه الأشياء بمفاهيم معينة. واستدلال الإدراك يتضمن المعلومات التى يتم استقبالها حاليًا وتلك التى يتم استدعاؤها من مخزون المعلومات المتراكم فى العقل على شكل مفاهيم. والاستدلال الإدراكى يحدث أساسًا فى حالة الشواذ، والشواذ فى عملية الاستدلال الإدراكى تنطوى على الأوهام والهلوسة. وفى حال الأوهام يكون الإدراك عاديًا وطبيعيًا ولكن التأويل يكون خاطئًا لأنه بنى على معلومات خاطئة مخزونة سلفًا. وفى حال الهلوسة من جهة ثانية يحدث التأويل أو التفسير دون إدراك أو إحساس مرجعى من العالم الخارجى الملموس.

العلاقة بين علم المكتبات والمعلومات من جهة وعلم الاتصال من جهة ثانية:

يندر فى الإنتاج الفكرى فى مجال المكتبات والمعلومات أن نجد دراسات عميقة حول نظريات علم الاتصال ونظرية علم المعرفة. وطبيعة المعرفة عند الإنسان يفترض أنها تعتمد على المدرسة الإنسية التى ينتمى إليها، والمهنة التى يمتهنها. وفى علم المكتبات والمعلومات يبدو أن نظرية الاتصال ماتزال مربوطة إلى النمط التقليدى السطرى الاجتماعى الوصفى.

وعلم المعلومات على الجانب الآخر يبدو أنه قد وصل إلى نظرية صلبة فى ميكنة المعلومات. وهذا النظام التفصيل يقوم على مكونين كبيرين أولهما ماكينة أو آلة المعلومات التى تقوم على مجموعة من الحالات التى يتم تحويلها وتمريرها وتدوير الماكينة يعتمد على المعلومات التى يتم تناولها على كِسرات. ويمكن تحديد هذا المكون أو وصفه على أساس المنطق ثنائى القيمة. أما المكون الثانى فهو آلة أو ماكينة معلومات شبكية ترتبط فيها مجموعة من المنافذ أو المطارف بعلاقات محددة. وقد غدا علم البيونيكا من الأهمية بمكان فى دراسة الأنظمة البيولوجية وتطبيقها على الأنظمة الإلكترونية.

وعلم المعلومات يدرس عملية انتقال المعلومات وتحولها وكيفية تكشيفها

واستخلاصها حتى يجد المستفيد المعلومات المناسبة لاحتياجاته. وقد تكون عملية تحويل المعلومات متشاكلة ولكن استرجاعها يبنى أصلاً على مجموعات من الواصفات التى يفترض فيها أن تكون تحويلات متجانسة للمعرفة التى نبحث عنها.

والمشكلة الأساسية فى عملية التكشيف والاستخلاص تكمن فى أننا لا نستطيع أن نتجاهل التشابه والتماثل عند تحويل المحتوى عبر الآلات، بل لابد من مراعاة ذلك التجانس بحيث يمكن إعادة بناء الوثيقة داخل الآلة من خلال مجموعة الواصفات المصغرة. وفى فترة مبكرة من استعمال الآلات فى اختزان نصوص الوثائق تنبأ هـ. ب لون بأن الآلات لن تقوم فقط بتحويل النص بطريقة متجانسة ولكنها ستقوم أيضًا بتحويل الأنماط المترادفة للعلامات والرموز الدالة على مؤلف بعينه. ومصطلحات التكشيف والاستخلاص مع أرقام التكشيف الدالة عليها سوف تجعل من السهل عند الاسترجاع إعادة بناء النص بما يسهل قرار استخدام ذلك النص.

وكما قال روبرت فيرثورن منذ نحو أربعين عامًا مضت فى كتابه: نحو استرجاع المعلومات .ـ لندن: بتروورث، ١٩٦١. إن مشكلة التكاليف العالية لمعالجة كل مجموعات المكتبة آلياً ووضع واصفات لمحتوياتها هى التى أخرت العمل فى هذا الاتجاه. وهى المشكلة الأزلية التى عاقت التحليل الموضوعى التقليدى برؤوس الموضوعات لمقتنيات المكتبات، ومشكلة توحيد المصطلحات التى يسترجع بها المستفيدون الوثائق. ومايزال الأمل باقيًا فى نهاية قرننا العشرين أن نتوصل إلى مزيج من مصطلحات الوثائق ومصطلحات المستفيدين يرضى الأطراف جميعًا فى واصفات استرجاع المعلومات. وربما لو توصل التحليل المنطقى لعلامات الاستفهام إلى نتائج إيجابية فإنه من المأمول الحصول على مدخل موحد فى عملية التكشيف.

وفى الوقت نفسه مايزال العمل مستمراً فى اتجاه نظم التكشيف الاستنتاجية ـ الاستقرائية. لقد تم استخدام الروابط والأدوار الداخلية والخارجية للتقسيمات الشكلية فى علم المكتبات التقليدى لجعل التكشيف الآلى أكثر ملاءمة للمستفيدين وجاء التكشيف المترابط ليحل جانبًا من المشكلة ويجعل المستفيد يقرر مصطلحاته خارج النظام الآلى فى التكشيف، كما اقتربنا أيضًا من حل المشكلة عن طريق تيسير نظم التصفح الآلى للمعلومات. لكن رغم تقسيم المستفيدين إلى «كليين» و «جزئيين» إلا

أن ذلك لم يحل المشكلة حلاً جذرياً. وكما يرى البعض ـ وعن حق ـ فإن المشكلة الأساسية حقيقة هى مشكلة اتصال أكثر منها مشكلة معلومات وتحويل المعلومات.

وإذا نظرنا إلى علم المعلومات فى سياقه الحالى الاجتماعى السياسى وفى بيئته الاقتصادية سنجده يدعم مدخل النظم فى مراكز المعلومات المتخصصة والعامة.

لقد تمخض مؤتمر المؤسسات الفكرية فى تعليم علم المكتبات والذى نشرت وقائعه فى فصلية المكتبات، أكتوبر ١٩٦٤، عن ثلاث نظريات أساسية فى مجال تداول المعلومات وهى:

١ ـ اقتن نسخة واحدة من كل عمل (مطبوع، سمعى، بصرى، مليزر، إلكترونى) سقط فى الملك العام.

٢ ـ اطرح هذه السجلات للاستعمال حيثما وجد المستفيدون.

٣ ـ اعمل على تنمية استعمال هذه السجلات عن طريق إقحام الناس فى أنواع المعلومات التى تفيدهم فى تغيير سلوكهم؛ أو تثبت لديهم السلوك الذى تم تغييره.

ورغم أهمية هذه القضايا التى طرحت إلا أن المناقشات فى المؤتمر تركزت أساسًا حول تنمية المقتنيات والوصول المعنوى أو الفيزيقى لها ولم يتم تناول قضايا الاتصال بالدرجة الكافية وإن كان البعض قد عرض لها فقد جاء ذلك من خلال النمط التقليدى السطرى وعلامات الاستفهام الخمس الشهيرة.

والحقيقة أن قضية تنسيق استخدام المصادر على المستويات الجغرافية الواسعة: الولايات، الوطن، الإقليم، العالم، إنما هى قضية قديمة عالجها علم المكتبات منذ عقود طويلة وكان أمناء المكتبات فى هذا الصدد يعدون الفهارس والقوائم الموحدة، ويقيمون مراكز المعلومات ويديرون الإعارة البينية. وكان البدء بإقامة شبكات المكتبات سواء على المستوى الجغرافى أو على المستوى النوعى ثم جاءت شبكات المعلومات وأخيرًا شبكة الشبكات على المستوى الدولى.

إن شبكات المعلومات إن هى فى حقيقة الأمر إلا توسيع لوظيفة الاسترجاع لدى

المكتبات ولقد تطلبت الشبكات وعمليات التعاون بين المكتبات المزج بين المواد والخدمات والخبرة المهنية التى لا يمكن أن تقوم بها مكتبة واحدة بذاتها. ولم تكن شبكات المعلومات بشيء مختلف كثيراً عن العمل الذى يقوم به اخصائى استرجاع المعلومات فى المكتبات ولكنها أضافت البعد الجغرافى حيث يمكن الاسترجاع هنا من مسافات بعيده.

وقام عدد كبير من المكتبات على مستوى جغرافى معين بتنسيق التزويد فيما بينها لتجنب التكرار غير المقصود وتيسير استخدام المصادر الجماعية فيها. وقامت مراكز المعلومات والتوثيق على أساس موضوعى تخصصى أو شكلى نوعى مما أدى إلى تحسين عمليات الاسترجاع الموضوعى والنوعى. وكل هذه الأشكال الجديدة لابد وأنها تستفيد من عمليات تحويل المعلومات الببليوجرافية وبدرجات متفاوتة.

وهناك جانب كبير من المعلومات خاصة ذلك المتعلق بحياة الناس اليومية يوجد فى المصادر والسجلات ذات الطبيعة المؤقتة، وهذه المصادر لا تنظم بالقدر الكافى بل قد لا تنظم البتة. وبسبب ذلك قد لا يتوجه إليه المستفيدون غالبًا أو لا يوجهون إليه، والمعلومات قد تسترجع من هذه المصادر إذا كانت هناك حاجة ملحة ومستمرة إليها وعادة من جانب مستفيدين محدودين. ومن هنا عزفت المكتبات ذات الإمكانيات المحدودة عن اقتناء مثل تلك المصادر واكتفت باقتناء وتخزين المواد الأساسية فقط، ذات الاسترجاع الدائم المستمر.

وهناك طائفة أخرى من المعرفة لا توجد فى السجلات على الإطلاق وإنما توجد فى عقول الأخصائيين والخبراء المهنيين فقط. هذا النوع من المعرفة لا يمكن الحصول عليه إلا فى حالة الاستشارة وتصبح المعلومات حية عندما يتقابل المستفيد مع أخصائى المعلومات أثناء الاستشارة وذلك لحل مشكلة ملحة أو لرغبة معينة. وللإفادة من هذه المصادر الحية إذا جاز لنا هذا التعبير يقتضى تعقب هؤلاء الخبراء وتحديد مجالات اهتمامهم وتخصصاتهم.

وأخيراً هناك معلومات الوقت الحاضر والماضى القريب والمستقبل الوشيك، حيث حاجات الناس المتبلورة آنيًا تساعد فى تشكيل مصادر المعلومات التى تنشر فى الوقت

الراهن. ولو أصبحت هناك اليوم وسائل اتصال عديدة تحمل إلى الناس فى كل مكان معلومات راهنة ومن الماضى القريب والمستقبل الوشيك على شكل فيض متصل ودائم لا يتسطيع الناس حتى وإن أرادوا أن يفلتوا منه. وقد يقنع الجمهور العام ويرضى بمحتوى البرامج التى تقدمها وسائل الاتصال الجماهيرى، ولكن الأخصائيون يرون ضرورة تعميق محتوى تلك البرامج حتى تكون أداة اتصال فعالة.

ورغم الفيض المغرق من المعلومات التى تتدفق كل يوم إلا أنه مايزال دون الاحتياجات الحقيقية للناس ولا يمثل إلا كسرة واحدة مما يتطلبونه. وقد كشفت التجارب الحية أن نسبة صغيرة فقط من المعلومات التى يطلبها الناس هى التى يعثر عليها وذلك بسبب قصور أدوات الضبط الببليوجرافى رغم عمقها الذى هى عليه اليوم. وهناك حقيقة لابد وأن نتوقف أمامها طويلاً وهى أنه على المدى البعيد تعتبر مكتبات السجلات المدونة جزءا أساسيًا وعنصراً من عناصر الحضارة الحديثة، رغم أنها بين اهتمامات الناس اليومية قد لا تحتل هذه المكانة.

وهناك حاجة فى معظم المجتمعات وخاصة تلك الحضرية منها إلى كشافات أماكن المعلومات التى توجد فى المصادر المؤقتة والموجهة لأغراض محددة. وهناك نماذج على تلك الكشافات فى المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات وبنوك المعلومات.

وجل مراكز المعلومات يتركز أساسًا فى الحواضر وهناك نوع من عدم التنسيق فيما بينها، وليس هناك محور للالتقاء فيما بينها. ولقد مضى الوقت إلى غير رجعة الذى كانت فيه المكتبة تقف بمفردها أو يستطيع مركز المعلومات أن يكتفى بذاته حتى فى أدق التخصصات وأكثرها عمقًا. ولم يعد نظام الإعارة البينية يقوى على حل مشكلة وصول الناس إلى المعلومات، ولذلك دعت الحاجة إلى شىء أقوى من مجرد التعاون فى مجال الاقتناء والإعارة. ولابد أنْ تدخل على استقلالية المكتبات ومراكز المعلومات شىء من التعديل. وهذا ما ييسر المشابكة ليس فقط على مستوى الولاية أو الوطن بل على مستوى الإقليم والعالم كله. وقد هيت وسائل حمل المعلومات لتجعل من هذا الحلم أمراً واقعًا فى نهاية قرننا العشرين.

ولقد نبه روبرت ث. جوردان منذ سنة ١٩٧٠ إلى أهمية نظام توصيل الوثائق

وضمن ذلك فى كتابه المشهور: مكتبة المستقبل: التوصيل للمنازل والإتاحة نيويورك: بوكر، ١٩٧٠. وقد قال فى هذا الصدد أن الفهارس البطاقية والقوائم المطبوعة بالإنتاج الفكرى سوف تحل محلها فهارس إلكترونية متكاملة قادرة على حمل المعلومات إلى المواطن حيثما يوجد. وقال أيضًا أن عمليات استرجاع المعلومات يمكن تقديمها عن بعد بواسطة المطارف، وأن الاستشارات واستطلاع الرأى يمكن أن تتم كذلك عن بعد من خلال وحدات التليفون الفيديو، وذكر أن الكابل البصرى يمكن أن ينقل إلى الناس فى بيوتهم كل البرامج التعليمية والتجارب. ولقد قال أيضًا أن ذلك كله عندما يتم تنفيذه فى المكتبات فإن المواطن الفرد سوف يقوم بالبحث فى مقتنيات المكتبات وهو قابع فى مكتبه أو بيته دون حاجة إلى الانتقال الفيزيقى للمكتبة. ويمكن إرسال الكتب والمواد إلى بيت المواطن إذا أراد ذلك. ولقد صدقت نبوءة روبرت جوردان وتصوراته إلى أبعد حد فى نهاية القرن العشرين بعد ثلاثين سنة من نشرها.

ومنذ بداية العمل المكتبى فى العصور القديمة وحتى يومنا هذا فإن الوصول إلى المعلومات المتراكمة والرسائل الفكرية المسجلة يتم بالضرورة عبر الضبط الببليوجرافي. وعندما ظهر علم المكتبات وضع الأسس العلمية الفعالة لهذا الضبط وقنن عمليات الوصول إلى المعلومات وإتاحتها. ولقد كان هذا الضبط الببليوجرافى والإتاحة يتمان عادة من خلال المداخل الموضوعية سواء برؤوس الموضوعات أو أرقام التصنيف، وكانت الأداة فى ذلك هى الفهارس والقوائم والتزويد التعاونى والتكشيف والفهرسة. وإضافة إلى ذلك فلقد يسر علم المكتبات الوصول إلى المحتوى الفكرى للمقتنيات ليس فقط عن طريق التحليل المصنف للشكل الداخلى والشكل الخارجى والشكل الوعائى للمواد المكتبية ولكن أيضًا عن طريق دفع الكتاب إلى وضع ملخصات لتلك الفئات. ويعزى إلى المكتبيين الفضل فى دفع الجهود فى اتجاه خدمات التكشيف والاستخلاص ونشر الآلاف من الكشافات والمستخلصات التى تحلل محتويات الإنتاج الفكرى وخاصة الدوريات ومع تراكم تلك الخدمات التكشيفية والاستخلاصية لم تعد فكرة دائرة المعارف العالمية ببعيدة وأرسى ذلك أساس علم المعلومات.

ويقال أن علم المعلومات مؤخرًا هو الذى ساعد مهنة المكتبات على أن تجتاز حمأة القنوط وأقصى اليأس من الفشل الذى حاق بها فى مجال الإنسانيات حيث لم تكن

قادرة على وضع وحفظ سياسات اجتماعية قابلة للتطبيق والتطور مع الزمن يمكن بها استغلال المعلومات إلى أبعد حد فى مجالات اتخاذ القرارات الاجتماعية السياسية والاقتصادية. والإنسانيات هى قلعة الفرد والتى تساعده فى اتخاذ قرارات شخصية والحياة حياة كريمة. ولكن الإنسانيات من جهة ثانية هى ذات قيمة مشكوك فيها فى اتخاذ قرارات سياسة عملية لصالح الجماعات والمجتمعات.

ويستطيع أمين المكتبة الإفادة من الدراسات الفردية فى مجال الإنسانيات ولكن الريادة فى تقديم المعلومات لحل دائرة واسعة من المشاكل الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، هى بالدرجة الأولى وظيفة سياسات عامة تبنى على معطيات بحث علمى متأنى.

ولأن المدارس الإنسية فى علم المعرفة قضت معظم وقتها وجهدها فى بحث العلوم الاجتماعية الداخلة فى نطاق تخصصها واهتمامها، بدلاً من أن تتعاون فيما بينها على فهم الإنسان، فقد بنى علم الاتصال مدخله فى هذا الصدد على الوظائف السيبرانية فى آلية الضبط التعديلى ونجح فى ذلك إلى حد كبير. ولابد من الاعتراف بأن المدارس الكبرى فى الفكر الإنسانى قد حققت بعض التقدم فى فهم ما هو الإنسان، ومع ذلك فإنه فى مجال علم الاتصال فإن الإنسان إن هو إلا مجموع تلك الأفكار والملاحظات التى تعرض للاختبار العلمى. ويعرف الإنسان من هذا المنظور على أنه مجموع أو كم لقيمات وكسرات القرائن العلمية التى تراكمت وتجمعت بطريقة منطقية وتجريبية يمكن قياسها.

ويقول بيرنارد بيرلسون فى كتابه: السلوك الإنسانى: خلاصة المعطيات العلمية. ـ نيويورك: هاركورت، ١٩٦٤. بأن الإنسان مخلوق ماهر فى عمل الأشياء التى من شأنها أن تزيد فرص بقائه وإشباعه لحاجاته. وغالبًا ما يقوم الإنسان وبشكل رائع بإشباع حاجاته عن طريق تغيير البيئة، بينما يقوم الحيوان بتكييف نفسه مع البيئة واعتمادًا على شروطها إلى حد كبير. وفى صراع الإنسان مع الحياة تكون الحقيقة هى الضحية وهى التى تدفع الثمن، فالإنسان يناور العالم حتى يكون على مقاسه وحسب طاقته واللغة التى يتعامل بها معه. وهكذا يشخص بيرلسون الإنسان بأنه:

«يعدل إدراكه الاجتماعى حتى يناسب الواقع الموضوعى ولكن أيضًا ما يناسب رغباته واحتياجاته، وهو يميل إلى تذكر ما يلائم احتياجاته وتوقعاته أو ما يعتقد أن الآخرين يريدون سماعه، وهو لا يعمل فقط ما يريد أن يعمله ولكنه أيضًا يريد ما يضطر إلى عمله، وحاجته عظيمة إلى الحماية النفسية بحيث أصبح خبيراً فى «آليات الدفاع» فى وسائل الاتصال الجماهيرى التى يريد أن يسمعها ويراها، ليس ما يطرح عليه، بل ما يفضل هو أن يقال له،وهو عادة ما يسىء التأويل بدلاً من أن يواجه مجموعة من الحقائق المتعارضة معه ووجهات النظر المخالفة؛ وهو يتجنب تصارع القضايا والمثل عندما يستطيع وذلك بتغيير الناس من حوله بدلاً من تغيير عقله؛ وعندما لا يقدر على ذلك فإن بعض الخيالات والفانتازيات يمكن أن تخفف الحمل عنه وتحمله بعيدًا عن تلك الصراعات، وهو يعتقد أن مدركاته ونظامة أعلى بكثير من واقعه الفعلى، وأن جماعته تتفق معه اتفاقًا تامًا وذلك على غير ما تفعل؛ وإذا لم تتفق معه فإنه يبحث عن طريقة يهرب بها إلى عالم أكثر تجانسًا وتآلفًا وأقل تنافراً. وفى «الطريق المجهد باتجاه الاتساق تضيع الحقيقة وهى التى تدفع الثمن».

والصورة التى عرضها بيرلسون هى صورة الفرد العادى والتى يجب أن نعترف بأنها تجريد إحصائى. وكثيراً ما انتقد أمناء المكتبات هذا المدخل ويعترفون بأن الفرد بمفرده هو أساس الخدمة الاجتماعية. وقد يصدق ذلك إلى حد كبير وربما تكون وجهة النظر الإنسية فى الإنسان هى الأكثر ملاءمة بالنسبة للبشر كأفراد وليس كمجموع. بيد أنه للأسف فإن التركيز على خدمة الأفراد قد قاد إلى الفردية والنظرة المحدودة إلى احتياجات الجموع. وقد أدى الافتقار إلى تقدير العلوم الاجتماعية وخاصة السياسية منها إلى تأخير تطوير علم الاتصال، وتعبئة المصادر المكتبية ووضع المعلومات موضع التنفيذ فى خدمة متخذى القرار السياسى لحل المشكلات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية.

إننا فى حاجة ماسة إلى فلسفة اجتماعية للمكتبة وبرامج خدمة مكتبية لجعل هناك فروقًا فى حياة الناس. وبالإضافة إلى الفلسفة الاجتماعية للمكتبة هناك حاجة ماسة إلى فلسفة فكرية لوضع وتطوير نظرية راسخة ومتميزة فى الاتصال خاصة بعلم

المكتبات والمعلومات؛ ولأنه حتى الآن تبدو مهنة المكتبات والمعلومات لا علاقة لها بالاتصال إلا بالاسم فقط وعن طريق شعار «الكتاب المناسب للقارىء المناسب فى الوقت المناسب». وهناك كسر بين ما يضعه الرواد من شعارات وما تمارسه المهنة على أرض الواقع، وآن الأوان لتطبيق الشعارات وتحقيق الالتحام مع الجماهير.

منذ أكثر من ٣٥٠ سنة اقترح جون دورى ـ وهو أمين مكتبة إنجليزى ـ أن يقوم أمناء المكتبات بكتابة خطابات إلى الأخصائيين يستحثونهم ويدفعونهم إلى كتابة كتب وأبحاث فى موضوعات علمية جديدة، أى أن يخلقوا علومًا جديدة وينشروا النتائج فى المجالات التى ليس فيها مؤلفات سابقة. وهذا هو ما وصلنا إليه من قبل من أن النمط السيبرانى فى الاتصال ونظرياته المكونة له ليس فقط تساعد أمناء المكتبات على تحقيق مارمى إليه دورى بل أيضًا فى حمل المؤسسات الأكاديمية والمهن على أن تلتقى معًا.

وباتباع مدخل النظم المبنى على النمط السيبرانى، تستطيع المهن الآن أن تقوم بدور المراقب لثغرات وفجوات المعرفة البشرية وتقترح على المؤسسات الأكاديمية أن تسد هذه الثغرات وتخلق معرفة جديدة تعلل بها الفاقد (إنتروبيا) فى مجال الاهتمامات الاجتماعية المرتقبة. وفى حالة معالجة المعلومات تقوم أنظمة الضبط التعديلى بتقليل الإنتروبيا. ولقد أنشئت المهن عن طريق المجتمع وذلك كى تساعد الأفراد والجماعات والمجتمعات فى التغلب على الفوضى والاضطراب. وكل مهنة تسعى إلى تحقيق انضباط شخصى وبين الأشخاص وبين الجماعات بواسطة أدوات اتصالية محددة. ويكشف الجدول الآتى ـ رقم ٢ ـ عن العلاقات بين عناصر مهنة إنتاج ـ الاتصال وعلم المكتبات:

والحقيقة أن نمط الاتصال السيبرانى له تأثير مباشر على مهنة المكتبات والمعلومات فى منطقتين: الإرشاد فى مقابلة الاسترجاع؛ وفى الاتصالات المنتجة للمواقف فى مقابلة تصميم الرسالة. وكلا المنطقتين فى غاية الأهمية: الأولى لفهم الفرق بين الاتصال والمعلومات والثانية لتزويد وتنظيم قطاعات المعرفة وحيث تواكب تلك القطاعات شرائح الناس المختلفة فى سياقات المجتمع.

جدول ـ ٢ ـ

عناصر مهنة إنتاج الاتصال

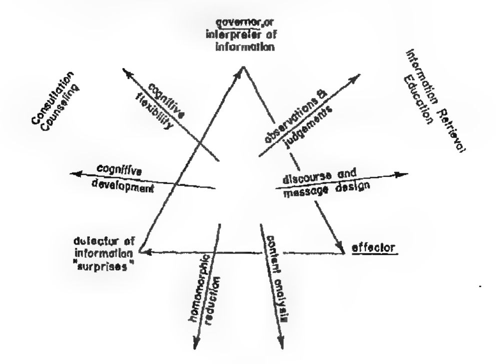
الاضطراب	الانضباط	أدوات ضبط الاتصال، الأهداف المهنية الكبرى
فجوات النظريات فجوات البحث	تنمية بناء النظريات، البحث، النشر وكتابة ملخصات العلوم فى: العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية.	نظرية ١ ـ اقتن نسخة واحدة من كل مصدر يسقط فى الملك العام نظرية ٢ ـ نظم الوثائق للاستدعاء واسترجاع المعلومات الضبط الببليوجرافى الشبكات والنظم
	تنمية التعليم: الابتدائى، الثانوى، الجامعى، التعليم الحر. تنمية الاستشارات. تنمية العمل المرجعى	نظرية ٣ ـ روّج استخدام المعلومات فى حياة الناس خدمات العمل الجماعى خدمات الأفراد الإرشاد النفسى الاسترجاع المرجعى
الافتقار الشخصى للتعليم	تنميـة الانضبـاط الاجتماعـى؛ المؤسسات، الوكالات، المنظمات، الجماعات غير الرسمية.	نظرية ٣ ـ روّج استخدام المعلومات فى حياة الناس والمجتمعات تنمية المجتمع وتنسيق البنى.
الاضطراب الاجتماعى	دوافع المشاركة فى وسائل الاتصال الجماهيرية وغيرها.	التحفيز على التعلم من خلال وسائل الاتصال الجماهيرى وغيرها.

والمعلومات هى المدخلات الحافزة التى تشد انتباه أدوات نظام أو آلية الضبط التعديلى. والمعلومات التى يتم إدراكها تدخل بعد ذلك فى عملية المعالجة بواسطة أداة

التفسير أو التى تسمى الحاكم فى نظام الضبط التعديلى وحيث يحدث بعض رد الفعل.

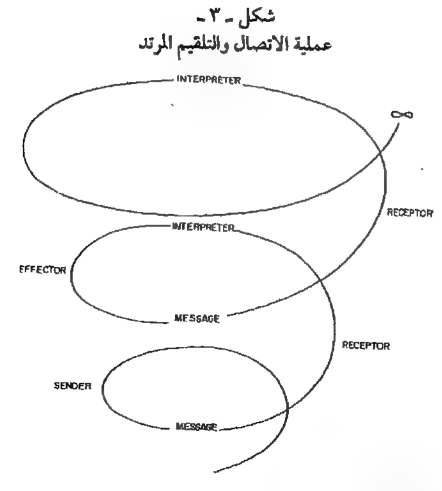
وعندما يصبح ذلك المردود ملموسًا فإنه يظهر كمخرجات سلوكية ترتد إلى أداة الإدراك فى النظام و/ أو إلى المثير الذى أيقظ منذ البداية المعلومات الداخلة إلى النظام. والشكل التالى ـ رقم ٢ ـ هو شكل مبسط للعناصر المكونة لنظام الضبط التعديلى والعلاقات القائمة بينها:

شكل ـ ٢ ـ
العناصر المكونة لنظام الضبط التعديلى والعلاقات القائمة بينها



والجانب السيبرانى فى نقل الإدراك داخل نظام الضبط التعديلى، هو دائمًا عنصر تقليل الفاقد (الإنتروبيا) وذلك عن طريق إحداث بعض الانضباط أو ربط محفز المعلومات بأداة الانضباط. ونقل الإدراك هو عملية التلقيم المرتد التى تعطى الدليل على وجود الانضباط ودرجاته، والاتساق والآلية المستخدمة فى تقييم المحفز الأصلى للمعلومات و/أو فاعلية الإدراك لدى النظام. ويعرض الشكل رقم ـ ٣ ـ الطبيعة الدائرية الحلزونية لعملية الاتصال التلقيم المرتد (المردود)

شكل - ٣ -
عملية الاتصال والتلقيم المرتد



وفى أية واقعة تكون معرفة «الماذا؟» أو كما يقول لاسويل «إلى أى مدى تأثير؟» مسألة ضرورية لو أن المكتبيين شاءوا أن يكونوا أكثر من مجرد وصيفات فى بيوت الفكر الإنسانى. إن «الماذا؟» تشير إلى أهمية ونوعية معالجة المعلومات داخل نظام الضبط التعديلى وذلك لتقليل الإنتروبيا فى الفرد والمجتمع والبيئة أعنى الأنظمة الثقافية الثلاثة المؤدية للوعى على النحو الذى قرر هول وآخرون وأشرنا إليه سابقًا. وإذا استخدمنا مدخل «الوقائع» فى المعنى فإننا سوف نقف على فروق بالغة الأهمية بين: تنمية الإدراك؛ مرونة الإدراك؛ تحويل الإدراك. وفى النمط السيبرانى للاتصال سنجد أن المعلومات تتم معالجتها عن طريق آلية الضبط التعديلى. وخارج سياق المحفزات المتدفقة التى تضغط على نظام الضبط التعديلى، نجد أن بعض المحفزات تنال اهتمامًا أكبر على أساس المعلومات التى تحملها والتى يتم تفسيرها على ضوء أفضليات وأولويات المفاهيم التى تمت إتاحتها داخل العينة البيولوجية.

ومع ذلك فلو أن الفرد لا يملك أداة الإدراك أو مخزن المفاهيم بسبب الافتقار إلى التعليم أو يجد نفسه يبحث فى موضوع أو تخصص جديد، أو لأى سبب آخر، فإن الإرشاد فى هذه الحالة يكون مطلوبًا لمساعدة ذلك الفرد على أن ينظم خبراته المجمدة ويطور بعض المفاتيح إليها قبل أن يسأل مخزن المعلومات والمعرفة. وبذلك يتمكن من تكوين نوع من الفهم حول خبرات وتجارب حياته كما يطور مرونة فى الإدراك ومن هنا وفقط من هنا يمكنه سؤال مخزن المعلومات من خلال استرجاع المعلومات. وطالما تم استرجاع المعلومات فإن الفرد يمكنه أن ينظم الملاحظات والأحكام فى وحدات محددة مدعومة ومن ثم يحول إدراكه إلى آخرين.

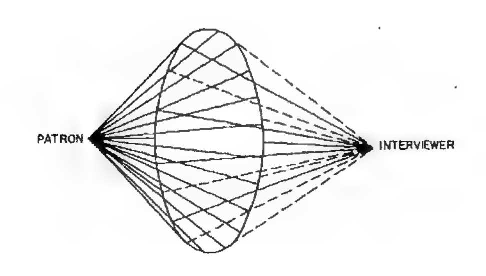
والهدف ليس هو الحكم على مدى ملاءمة وظيفة أمين المكتبة بل على العكس هو جذب الانتباه إليها داخل سياق الاتصال لنرى النقص الموجود فيها وبحيث ندرك - عن طريق استخدام مدخل التحليل فى نمط الاتصال أن النمط السيبرانى يضع الإرشاد واسترجاع المعلومات على قدم المساواة ويجعلهما وجهين لعملة واحدة. وقد يعترض أمين المكتبة على أنه لا هو مرشد نفسى ولا هو خبير وسائل اتصال يعد الرسائل الفكرية وينقلها إلى المستقبلين. وربما كان الأمر كذلك منذ ربع قرن حين كان أمين المكتبة يجهل وظيفة هذين الجانبين وكان وضعه حرجًا وفى خطر. أما الآن فلقد وعى أمناء المكتبات الدرس وهم يواكبون العصر وإلا فإنهم سيغدون مديرين لمخازن كتب لا يدخلها أحد والمدير لا يعرف بالضبط ماذا يريد.

وأكثر من هذا فإن القارىء يفد إلى المكتبة ينشد المساعدة فى تنظير وتعقيد خبراته وتجاربه وفى التحدث إلى بعض الأشخاص الذين يستمعون إليه من وجهة نظر أو بأذن معلوماتية على النحو الذى يكشف عنه الشكل رقم - ٤ -

وهذه المحادثات وهذا الاستماع أمر لا يقوم به أمناء المكتبات كثيرًا فى أيامنا هذه، وهو نقص خطير فى خبراتهم المهنية، فالإرشاد النفسى مسألة ضرورية لتنمية الوعى والإدراك لدى المستفيد وليحقق مستوى مقبولاً من تنمية المفاهيم وحتى يتمكن من تأطير خبراته وتنظير تجاربه على النحو الذى يكشف عنه الشكل رقم - ٥ - والذى يؤكد على أنه طالما استطاع المستفيد التعبير عن حاجته فإن البحث عن المعلومات يبدأ فى المصادر التى تساعده على فهم وإعادة تركيب خبراته السابقة المتناثرة.

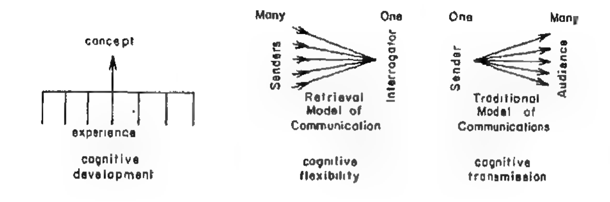
شكل ـ ٤ ـ

فيض المحادثات يرسله المستفيد. بعض قليل من الخطوط (الثقيلة) تمد أمين المكتبة بايحاءات عن احتياجات المستفيد



شكل ـ ٥ ـ

الوظائف المختلفة لنظرية الاتصال



إن الجدل يؤدى بنا قطعاً إلى الوقوع فى شرك مدرسة خرائط التدفق فى العمل المرجعى التى سعت إلى نظام رسمى فى عملية استرجاع المعلومات. ولو أن العمل المعلوماتى تم وضعه على خريطة تدفق لتم بالتالى تقليص العمل المرجعى إلى ضغط زر من الأزرار. ومن هذا المنطلق سوف تلغى المحادثات ذات المعنى فى العمل المرجعى والمعلوماتى وإلغاء جانب المحادثة سوف يلغى بالتالى أى تنمية للإدراك وأى مرونة فى الإدراك. إنه عند هذه النقطة فقط يبدأ العمل التقليدى لأمين المكتبة، وهو يرادف قولنا أن أمناء المكتبات يشترطون للإجابة على سؤال ما أن يستخدم المستفيد نفس المصطلحات التى فى أذهان أمناء المكتبات. ونحن لا ننكر أن خرائط التدفق قد ساعدت فى وضع استراتيجيات استرجاع المعلومات وتكشيف المعلومات؛ ولكنها من جهة ثانية حدت من المحادثات الشخصية والعلاقات المباشرة بين أمين المكتبة والمستفيد. وإن كنا ندرك من جهة ثانية أن كثيراً من أمناء المكتبات لا يسمحون للمناقشة الخاصة بالمستفيد الواحد أن تطول أكثر من خمس دقائق بأى حال من الأحوال.

وعلى الرغم من أن قيم الاتصال الإنسانى لا تجمد، إلا أنه حتى الآن فإن مبادىء وطرق الاتصال الشخصى لم تدرس بما فيه الكفاية ولم تؤطر ولم تؤصل. وكثيراً ما يتحدث المكتبيون عن دور المكتبة فى ترقية القيم الإنسانية ولكن دون تأطير لهذا الدور ووضع نموذج لتطويره.

وفى مجال الاتصال الجماعى، قام المكتبيون عبر فترة طويلة من الزمن بالعديد من الأنشطة تحت مصطلح «تعليم الكبار». ولعل من أحسن الدراسات التى جرت فى هذا الصدد فى مطلع النصف الثانى من قرننا العشرين هى تلك التى قامت بها هيلين سميث ونشرها اتحاد المكتبات الأمريكية فى شيكاغو سنة ١٩٥٤ بعنوان: أنشطة تعليم الكبار فى المكتبات العامة. ورغم أهمية تعليم الكبار كعملية اتصال تقوم بها المكتبات العامة إلا أن هناك من يشكك فى القيمة الاتصالية لهذه العملية.

ومن الواضح أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن نناقش وظيفة الاتصال لدى أخصائيى علم المكتبات والمعلومات تحت العباءة القديمة، ذلك أنه فيما يقول لستر أشايم أننا نحتاج إلى نظام جديد ومفهوم جديد يجمع بين مكونات النمط

السيبرانى للأنتروبيا والمعلومات والتلقيم المرتد (المردود). وطالما أن المكتبيين متخصصون فى المعرفة والمعلومات فإن أرضية جديدة لابد وأن تشق تحت أرجلهم.

وهناك زعم عام بأن المكتبيين لم يسيطروا من حيث المبدأ لا على النمط السطرى التقليدى فى الاتصال ولا على النمط السيبرانى فيه. ويبدو النمط السيبرانى خاصة غير مناسب لهم لأن هدفًا واحدًا من أهداف تقليل الفاقد ـ الأنتروبيا ـ هو الذى أعطى الاهتمام الأكبر: نقص المصادر والمعلومات والضبط الببليوجرافى فى أى مجال من المجالات. وقد لاحظنا التطور الكبير الذى حدث فى مجال الضبط الببليوجرافى والتكشيف الذى قد يقود إلى دائرة المعارف العالمية التى بدأت فى التكون الآن أو ما نعنى به تكشيف كل التراث الإنسانى داخل نظام واحد.

إن علم المكتبات وعلم المعلومات يعملان معًا فى تناغم وذلك ليحيا الإنتاج الفكرى والضبط الببليوجرافى فى حياة صحية طيبة. ولقد خطا علم المكتبات خطوات جبارة فى سبيل دائرة المعارف العالمية، بينما يقوم علم المعلومات بتطوير الإطار النظرى للتقريب بين المؤسسات الأكاديمية والمهن المشاكلة مستخدمًا فى ذلك نظرية النظم العامة ونمط الاتصال السيبرانى، ويحاول من جهة ثانية توحيد المعرفة والضبط الببليوجرافى.

وقد غدا من الواضح من العرض السابق أن هناك علاقة تبادلية بين علم الاتصال وعلم المكتبات والمعلومات. ومع ذلك فإن البعض قد يرى فى هذه العلاقة علاقة تكافلية أكثر منها تشاكلية. وتصبح عملية جمع الرسائل الفكرية واختزانها والضبط الببليوجرافى لها الوظائف الرئيسية لعلم المكتبات. أما علم المعلومات فإنه يعمل على تسهيل نقل البيانات عن طريق ليس فقط نقاط الوصول وإنما أيضًا عن طريق بنية مترابطة يستطيع الفرد من خلال أى نقطة أن يدخل إلى نظام الاسترجاع كله ويمكنه أن ينتفع من أية نقطة يرغب الإفادة منها.

الكتابة الباكرة والاتصال:

كان تطور الكتابة والكتب والمكتبات فى حقيقة الأمر عملية تتابعية. ولقد كان هذا التتابع طويلاً منذ النقوش التى حفرت على جدران الكهوف حتى اختراع الأجهزة الإلكترونية الحالية، ورغم أن التتابع كان طويلاً إلا أنه كان متصلاً ومباشرًا وذا

معنى. وكانت كل خطوة تقود منطقيًا للخطوة التى تليها بحيث كان سلم الإنجازات البشرية فى مجال الاتصال والمجالات ذات العلاقة واضحًا ومتصلاً فقد جاء فى البداية اختراع الكلام أى اللغة وجاء بعده الكتابة ثم الطباعة ثم حاليًا الاتصال الإلكترونى. وكان كل منها بطريقته الخاصة معجزة من المعجزات.

وكما ألمحت كان من بين الطرق الباكرة فى الاتصال الإشارة والإيماءة سواء صحبها أو لم يصحبها الصوت فقبضة اليد والذراع المرفوع والوجه الغاضب كلها تحمل معنى التهديد، بينما الكف المبسوطة والابتسامة العذبة تحمل معنى السلام والصداقة. والأصبع المرفوعة قد تدل على رقم «واحد»، بينما كل الأصابع ممدودة معًا قد تعنى «الكثرة». وعشرات الإشارات بالذراع واليد والأصبع والعين وعضلات الوجه يمكن أن تحمل أفكارًا مختلفة دون أن ينطق المرء ببنت شفة. وإذا أضفنا إلى ذلك قليلاً من صيحات الشجاعة لكان ذلك هو جل «الاتصال» الذى كان مطلوبًا فى المجتمع البدائى. ومازال المجتمعات البدائية حتى اليوم وكذلك المجتمعات الريفية تستخدم الإشارات والإيماءات بكفاءة فى لغتها. وحتى مع أكثر اللغات تطورًا يستخدم الناس المتحضرون الإشارات إلى حد كبير بدءًا من إيماءة الرأس الدالة على الموافقة إلى مزيد من حركات اليد والرأس والوجه التى يستخدمها الخطباء وكبار القادة العسكريين، وكذلك إلى حركات راقصة الباليه النبيلة. وهذه الإشارات بكل أشكالها عناصر أساسية فى الاتصال الشخصى المباشر.

وإلى جانب الإشارة والإيماءة طور الإنسان البدائى لغة منطوقة، وقد مزج فى البداية بين الاثنين وبالتدريج اعتمد على الصوت وحده كما تدرج الإنسان فى مدارج الحضارة. ونحن لا نعرف حقيقة كيف ومدى بدأت اللغة المنطوقة فى عصور ما قبل التاريخ ذلك أنه حتى أكثر الشعوب البدائية المعروفة فى التاريخ كانت لها لغة شديدة التطور وبعض الثقاة الراسخين يرون أن الكلمات الأولى للإنسان الأول كانت تقليدًا لأصوات الحيوانات والطيور والطبيعة؛ والبعض الآخر يرى أنها كانت مجرد صرخات تحذير أو خوف أو لفت الانتباه. وليس ثمة شك فى أن الأسماء والضمائر وأسماء الناس والأشياء والأماكن كانت مستخدمة فى فترة مبكرة من اختراع الكلام إلى جانب بعض الأفعال المعبرة. وربما تكون الصفات والظروف قد جاءت فى فترة متأخرة وكان من

بينها تلك التى تصف الحجم والعدد والشكل. وعندما استطاع الإنسان وصف أشياء غائبة أو وقائع حدثت فى الماضى ويشكل الصوت بناء على تخيله لتلك الأشياء والوقائع فإنه حين ذاك يكون قد طور لغة حقيقية.

وكانت اللغة المنطوقة مع ذلك وفى أحسن الأحوال مجرد موجات صوتية تعبر عن أشياء محفوظة يتم تذكرها. وكانت القصص والأساطير تقص وتحكى وتذاكر وتعاد حكايتها وقصها للأجيال المتعاقبة ولكن كان كل قصاص يقحم من شخصيته وإسقاطاته شيئًا ما قل أو كثر على القصة ومن هنا لم يكن المستمع للقصة يسمع بالضبط ما سمعه جده من قبل منها. وعن طريق التواتر هذا كان يمكن حفظ الأدب والتاريخ دونما حاجة إلى كتابة أو تدوين ولكنه كان بكل تأكيد ظل التاريخ وظل الأدب، وكان عرضة لخيالات وأحلام قصاصى وإخباريى القبيلة. ولكى نبقى على التاريخ كحقائق وليس كأساطير كان لابد من تدوينه. ولذلك نجد مؤرخى زماننا يفضلون الحقب التاريخية عن حقبة ما قبل التاريخ. والخط الفاصل بينهما هو تلك النقطة التى بدأ فيها التدوين وكتابة السجلات وحفظها. ومن المحتمل أن يكون الإنسان قد بدأ يتعلم كيف يكتب تحت وطأة تثبيت الطقوس والشعائر الدينية أو تحت وطأة توثيق علاقاته التجارية أو حساب ممتلكاته، ولم يكن الدافع الأول للكتابة أبداً رغبته فى كتابة وتسجيل التاريخ.

ونحن نعلم أنه قبل الكتابة ظل الإنسان لآلاف السنين يحفظ نوعًا من السجلات والحسابات. وربما كانت أولى محاولاته للاتصال المكتوب عبارة عن علامات بسيطة مثل سهم يشير إلى الطريق الذى اتخذته قافلة الصين أو علامة على الأرض تحدد مناطق الصيد الخاصة بقبيلة ما لتمييزها عن مناطق القبائل الأخرى. وربما كانت تلك العلامة كومة من الحجارة تخدم كعلامة للملكية. ولكن بعد ذلك بقليل وفى فترة مبكرة من حياة البشرية بدأ الإنسان يرسم صوراً ويجسد فى هذه الصور ما يراه حوله. وكان إنسان الكهوف يرسم الحيوانات التى يراها ويصطادها. وبعض هذه الرسومات (أقدمها يرجع فقط إلى ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف سنة) وجدت فى كهوف جنوبى فرنسا وجنوبى أسبانيا وفى مناطق متفرقة من شمالى أفريقيا. وكانت الرسومات الأولى بدائية للغاية وخام ومن الصعب التعرف على ما تمثله تلك

الرسومات وجاءت فى الأعم الأغلب عبارة عن خربشات على الصخور ولكن بعد فترة من الزمن تطورت تلك الرسومات إلى صور حقيقية مما يدخل فى عداد القطع الفنية. ولقد استخدم الرسام البدائى ألوان الأرض وشحوم الحيوانات فى اللون الأسود، والأبيض والأحمر والأصفر وذلك لكى يرسم حيوانات وبشراً حقيقيين. والرسوم الموجودة فى كهوف الصحارى الأفريقية ترجع إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. وتصور مناظر اجتماعية وأشغالاً يقوم بها العديد من الناس. والسؤال الآن هل كانت تلك الرسومات وسيلة اتصال أم كانت مجرد تعبير عن خلجات الفنان؟ وهل كان لها أى مغزى دينى أو هل كانت طقوساً أو شعائر معينة؟ إنها تبدو فى بعض الحالات كما لو كانت تحمل رسالة محددة، وعلى سبيل المثال فى حالة وجود سلاح يشير إلى مصرع أو صيد حيوان، وفى حال وجود أرقام فإنها تدل على الحساب والإحصاء. وأيًا كان الغرض من تلك الرسومات فإن رسومات الكهوف كانت بكل تأكيد أداة الفنان فى التعبير عن الواقع أو الخيال.

ويعاصر تلك الرسومات الأفريقية، الحجارة الملونة التى وجدت فى ماس دازيل جنوبى فرنسا هذه الحجارة الصغيرة مزدانة بعلامات وتصميمات غريبة عجيبة تمثل أرقامًا ورموزًا ذات دلالات، وربما كانت مجرد زخارف تزويقية فقط. وقد ذهب العلماء كل مذهب حول فائدة هذه العلامات ومعانيها. وقد اعتقد بعض الباحثين أن لها قيمة سحرية أو دينية وليس لها معنى محدد أو تحمل معلومات بذاتها، وذهب البعض الآخر إلى أنها علامات للملكية أو علامات للنسب والأسرة، كما رأى البعض أنها طواطم. ومايزال بعض العلماء يرون أنها سجلات رقمية أو عددية تشير إلى عدد المواشى المملوكة أو عدد الأيام التى مرت على القبيلة فى موضع ما وما شابه ذلك. وأيًا كان الغرض الذى تشير إليه تلك الرسومات فقد كانت محاولات بدائية للتعبير المكتوب وبسبب قوة تحمل الحجارة كان من الواضح أن الهدف منها كان الحفظ. ولقد عثرنا فى أنحاء متفرقة من العالم على رسومات وصور محفورة على الحجارة شبيهة بتلك الفرنسية.

لقد صنع الإنسان البدائى فى جميع أنحاء المعمورة وسائل كثيرة مساعدة على التذكر. وهى ليست وسائل اتصال بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكنها مجرد وسائل

للتذكر، تساعد صاحبها على تذكر حقائق أساسية أو عناصر قصة معينة. ومن بين أشهر تلك الوسائل الحبل المعقود الذى انحدر إلينا من الهنود الحمر فى بيرو. والحبل المعقود هذا يستخدم فتائل ذات ألوان متعددة بأطوال متفاوتة وذات عقد فى مواضع معينة. وقد استخدمت هذه الحبال المعقودة لتسجيل الملكيات وتحديدها وكذلك فى حساب السنين والتواريخ. وكان صاحب هذه الحبال يستخدمها كى تذكره بمعلومات عددية معينة وأحداث تاريخية محددة. وكان للهنود الحمر فى أمريكا الشمالية أدوات شبيهة يحملونها فى أحزمتهم وكان لكل لون وحجم وموضع دلالة معينة ومعنى خاص. وفى العصور الوسطى الأوروبية كان الفلاحون الأوروبيون يستخدمون عصا لحساب التقويم، وهى عصا مثلومة الحافة من الخشب وكان كل ثلم يذكرهم بعيد من أعياد الكنيسة أو يوم من أيام القديسين. وفى أنحاء أخرى من العالم كانت الشعوب البدائية تصنع أدوات شبيهة من الخشب المحفور أو الغاب أو العظام أو الأحجار أو القواقع أو القماش أو قرون الحيوانات أو لحاء الشجر. وأيًا كانت المادة أو الشكل الذى كانت عليه هذه الأدوات فقد كانت أدوات للتذكر ويرى البعض أنها كانت أيضًا وسائل للاتصال لأنها كانت تحمل معانى ومعلومات يفيد منها المدربون عليها الخبيرون بها.

وقد جاءت بعد تلك الوسائل المساعدة على التذكر خطوة نعتبرها أول شكل فى اتجاه الكتابة الحقيقية وهو «التصوير» أو الكتابة التصويرية. ولقد استخدم هنود أمريكا الشمالية التصوير فيما هو أبعد من مجرد التذكير. وعلى سبيل المثال فإن «سجل الشتاء أو حساب الشتاء الذى احتفظ به هنود داكوتا فيما بين ١٨٠٠ و١٨٧٠ كان عبارة عن ٧١ صورة مسلسلة منقوشة على حبل بقرة. وكانت كل صورة تصور حادثة هامة من حوادث الشتاء وكانت فى نفس الوقت تذكر كاتب حوليات القبيلة حين يعمد إلى كتابة تاريخ السنة فى القبيلة. وقد دخل على هذه الطريقة تطور آخر هو القصة المصورة أو الرسالة المصورة ذلك أنه عن طريق رسومات بسيطة من بشر أو حيوانات أو الشموس أو الجبال أو غيرها من الأشياء المعروفة كان الرجل الهندى يستطيع تحميل خطاب غرامى أو تقرير عن رحلة صيد أو معركة حربية بل واتفاقية بين القبائل. وكانت الشعوب البدائية فى أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا تستخدم رسومات شبيهة لتسجيل الأحداث وتحميل الرسائل ولكن مهما يكن من أمر تلك المصورات المستخدمة بهذا الأسلوب فإن العلماء يرون أنها لا تمثل اتصالاً حقيقيًا وفعالاً بالمعنى الدقيق.

ومن جهة ثانية فإن بعض الشعوب كالمصريين أو الصينيين بدأت بنفس تلك المصورات ولكنها بالتدريج طورتها إلى كتابة حقيقية قادرة على تسجيل التاريخ ووقائع الأعمال وتدوين الآداب. وكانت المصورات المصرية فى البداية تمثل الشىء الموصوف لا أكثر ولا أقل. وبالتدريج تحولت المصورات إلى أفكار صورية From pictograph to ideograph تعبر عن معنى أو فكرة معينة مختلفة عن دلالة الصورة نفسها وعلى سبيل المثال فإن صورة السائط تعنى الفعل «يسيطر على» أو يحكم بينما صورة الشمس تعنى اليوم أو النهار أو الوقت. كما أن صورة رجل يرفع يده إلى فمه قد تعنى الفعل «يأكل» ونحن مانزال حتى اليوم نستخدم التعبير بالصور مثل علامات الطريق والعلامات الرياضية والموسيقية المختلفة.

ولقد انطلق المصريون القدماء من التعبير بالصور إلى الخطوة التالية فى اتجاه اختراع الكتابة أى التعبير الصوتى (الأبجدية) أى أن يعبر الرمز المصور عن صوت محدد ويحمل معنى الصوت حتى ولو كان المعنى المصور مختلفًا. وكانت الخطوة التالية هى المزج بين الصور والقيم الصوتية الراسخة لتكوين الكلمات الأطول كما هو الحال فى الإنجليزية مثلاً فى الكلمة belief التى يمكن أن تمزج بين صورة النحلة bee والورقة leef وفى العربية مثلاً كلمة تسعى فى ٩× وقد استخدم المصريون القدماء هذه الحيلة فى كتابة اللغة وخاصة للتعبير عن المعانى المجردة. ولكن طالما كانت هناك لديهم كلمات كثيرة تتفق نطقًا وتختلف دلالة ومعنى (متجانسة المعنى) فقد كان عليهم أن يستمروا فى استخدام العلامات الإيديوجرافية للتمييز بين تلك الكلمات. وعلى سبيل المثال فلو اتفقت كلمة نهر وقصر فى النطق فقد كانوا يضيفون صورة إلى صورة الماء كى تقرأ «نهراً» وصورة إلى صورة المنزل قد تقرأ «قصراً» وكذلك الحال فى كلمة ذهب التى لها معنى المعدن ومعنى الذهاب.

لقد خطا المصريون القدماء خطوة أبعد فيما بعد باتجاه الأبجدية الخالصة فيما عرف بالأبجدية السينائية التى هى أم الأبجديات جميعًا ولذلك حديث آخر. ولكنهم فى مرحلة متوسطة طوروا مجموعة من الرموز الصوتية تمثل نحو ٢٥ حرفًا صامتًا و٧٥ رمزًا كان كل منها يمثل حرفين أو ثلاثة حروف. وهذه الرموز من الفئتين كانت فى حقيقة الأمر مقاطع أكثر منها حروفًا وحيث كان يمكن فهم الحروف المتحركة دون

حاجة إلى إثباتها. ورغم أن اللغة المصرية القديمة كان يمكن كتابتها كلها بهذه الرموز الصوتية إلا أن المصريين القدماء فضلوا لسبب أو لآخر الاستمرار فى استخدام المزيج من التعبير التصويرى والتعبير الصوتى. وقد استخدم التعبير الصوتى فى كتابة الكلمات الأجنبية وأسماء الأعلام.

وتعرف الكتابة التصويرية المصرية القديمة باسم «الهيروغليفية» من التعبير اليونانى «النقوش المقدسة». وقد وصلتنا كتابات هيروغليفية ترجع إلى ما قبل الألف الثانية قبل الميلاد. وكانت النماذج الأولى التى عثرنا عليها مكتوبة على حجارة. ولكن إلى جانب ذلك وفى فترة مبكرة أيضًا من التاريخ المصرى وجدنا الهيروغليفية على قطع من البردى. ولقد وصلنا الكثير من البرديات المصرية. وكانت الكتابة الهيروغليفية الباكرة سواء على الحجارة أو البردى، كتابة تصويرية بالدرجة الأولى ولكن حوالى سنة ٣٠٠٠ ق. م وصلنا شكل آخر من الكتابة أقل اعتمادًا على الصور. وقد أطلق عليه الخط الهيراطيقى وكان أصلح للكتابة السريعة بالحبر والفرشاة على ورق البردى. وكان هناك شكل ثالث من الكتابة المصرية بدأ فى نحو سنة ٧٠٠ ق. م عرف باسم الخط الديموطيقى وكان خطًا أسهل اشتق من الهيراطيقى وكان يستخدم على نطاق واسع فى الأمور الشخصية والتجارية. وقد ظل الخط الهيروغليفى مستخدمًا فى الكتابات الرسمية وعلى الآثار حتى القرن الخامس الميلادى تقريبًا.

وكما ذكرت سابقًا اشتق من الخط الديموطيقى خط آخر عرف باسم الأبجدية السينائية كان الأساس الذى أخذ منه الخط الفينيقى أو الكنعانى أو السامى أيا ما كانت التسمية ولا نعرف السبب الذى من أجله لم يقبل المصريون على استخدام هذه الأبجدية السينائية التى هى أم الأبجديات جميعًا سواء تلك التى اندثرت أو تلك التى ماتزال قيد الاستخدام؟

وبعد انهيار الحضارة المصرية القديمة توقف استخدام الخطوط المصرية الثلاثة الأساسية: الهيروغليفى، الهيراطيقى، الديموطيقى وأخلت سبيلها بعد ذلك لخطوط أخرى وعلى رأسها الخط الذى اشتق من الأبجدية السينائية (الفينيقى ومشتقاته)ولأكثر من ألف عام لم يستطع أحد فك رموز الخطوط المصرية أو يقرؤها وطواها الإهمال والنسيان، إلى أن جاء القرن التاسع عشر وتم اكتشاف حجر رشيد

العجيب على يد الجنود الفرنسيين خلال حملة نابليون على مصر والذى استقر الآن فى المتحف البريطانى هذا الحجر كما نعلم مكتوب فى ثلاث خطوط أحدها يونانى والآخر هيروغليفى والثالث ديموطيقى وهى جميعا تدل على نص واحد عبارة عن قرار أصدره بطليموس الخامس سنة ١٩٦ ق. م. ورغم أنه كان بالإمكان قراءة الخط اليونانى بسهولة ولكنه لم يؤد فى التو والحال إلى فك شفرة الخطين المصريين. ولقد توفر على محاولة قراءتهما عدد من الباحثين على مدى سنوات طويلة إلى أن تمكن الباحث الفرنسى جان فرانسوا شامبليون من معرفة مفاتيح الكتابة الهيروغليفية. وقد بنى شامبليون افتراضاته على أساس أن هناك حروفًا معينة تمثل أسماء الأعلام وعرف تلك الأسماء من النص اليونانى وعن طريقها بدأ يتحسس القيم الصوتية للحروف الصوتية المصرية. وقد ساعده فى ذلك معرفته بالكتابة القبطية المصرية. ولقد كان عملاً شاقًا ذلك الذى قام به شامبليون وقام باحثون آخرون بتقديم إضافات لها شأنها فى هذا الصدد ولكن شامبليون أعلن فى سنة ١٨٢١ عن قيامه بفك شفرة الكتابة الهيروغليفية، وهو الذى ينسب إليه الفضل غالبًا فى قراءة الكتابة الهيروغليفية المصرية. ورغم أن معرفتنا بالخطوط المصرية القديمة ماتزال تقريبية وغير كاملة وغير دقيقة، فإن القليل الذى نعرفه قد أمدنا بالكثير جدًا من المعلومات المتعلقة بحياة وتاريخ شعب وادى النيل العظيم. ولقد تعلمنا من هذا الخط كيف أن شعبًا واحدًا قد اخترع نظامًا غير أبجدى للكتابة استخدمه بنجاح عبر ثلاثة آلاف سنة.

وهناك فى وادى دجلة والفرات فى العراق القديم كانت ثمة حضارة أخرى عريقة عاصرت الحضارة المصرية القديمة. هذه الحضارة السومرية ـ البابلية ـ الآشورية وإن كانت مجزأة إلا أنها استمرت من ٣٠٠٠ ق. م وحتى ٥٠٠ ق. م. والشعوب التى سكنت العراق القديم طورت هى الأخرى نظامًا للكتابة بنى كالنظام المصرى على المصورات ولكنها مصورات بعيدة كل البعد عن المصورات المصرية. ولم يكن لدى السومريين وخلفائهم لا حجارة ولا بردى وإنما كانت لديهم ألواح من طين تربتهم استخدموها مادة للكتابة، كتبوا عليها بأقلام مدببة من الخشب أو المعدن، وكانوا يكتبون عليها وهى طرية ثم يجففونها فى الشمس أو فى أفران خاصة إذا كان الهدف هو حفظ هذه الألواح الطينية فترات طويلة. ولكن طريقة الكتابة المسمارية على ألواح الطين كان من الصعب استمرارها فى كتابة المصورات ولذلك استبدلوها بتلك

العلامات المدببة السهلة البسيطة وتم تطويرها على أيدى البابلين والآشوريين. ورغم أن البابليين والآشوريين كانوا يتحدثون لغات مختلفة عن السومريين إلا أنهم أخذوا الكتابة المسمارية السومرية، على نحو ما قام اليابانيون من استخدام الحروف الصينية فى كتابة اللغة اليابانية المختلفة تمامًا عن الصينية. والكتابة المسمارية كالمصرية سارت فى نفس خطوات التطور من الكتابة التصويرية إلى التعبير بالصور إلى التعبير بالصوت ولكنها لم تتطور أبدًا إلى كتابة أبجدية حقيقية رغم قيام الآشوريين بتخفيض عدد الرموز الصوتية إلى بضعة مئات قليلة. وبعد تدمير بلاد الآشوريين على يد الفرس فى القرن السابع ق. م، أخذ الغزاة الخط المسمارى وقلصوه إلى ٤٣ علامة شبه أبجدية. وبعض هذه العلامات كانت حروفًا وبعضها مقاطع ولذلك لم يصل هذا الخط إلى مرتبة الأبجدية الحقيقية. ولقد تلاشت الكتابة المسمارية فى القرن الرابع قبل الميلاد ولم يكن لها أى أثر فى تطوير الكتابة الأبجدية ذلك الفضل الذى انفردت به الكتابة المصرية دون سواها.

ولقد كان فك شفرة الكتابة المسمارية وترجمتها عملاً رومانسيًا شأنها فى ذلك شأن الكتابة المصرية إذ هيىء حجر مثل حجر رشيد لتلك الكتابة المسمارية. لقد وقع تحت أيدينا منذ قرون نماذج من الألواح الطينية وتوفر علماء عديدون على محاولة قراءتها من بينهم الألمانى جورج فردريتش جروتفند الذى قضى من عمره وقتًا طويلاً يحاول فك شفرتها وقد أحرز تقدمًا ملموسًا فى قراءة آخر أشكال الكتابة المسمارية أى الفارسى القديم. وكان القدر قد ادخر الأشكال الباكرة من الخط المسمارى للإنجليزى الشاب السير هنرى رولنسون. وكان رولنسون اللغوى وضابط الجيش فى مهمة رسمية فى بلاد فارس خلال القرن التاسع عشر. وكان الرجل مولعًا بدراسة اللغات القديمة فى المنطقة، ومن ثم عكف على دراسة نقش مثل نقش حجر رشيد ثلاثى الخطوط محفوراً على صخرة سميث بهيستون فى جبال زاجروس فى شمال غربى بلاد فارس. وكانت الكتابات الثلاث هى: الفارسية القديمة ثم الميدية أو العلامية ثم الأكدية أو البابلية. وقد بدأ الرجل أولاً بالفارسية القديمة التى أثبتت أنها كتابة أبجدية ذات ٤٠ حرفًا وقد ترجم النص على أنه قرار من الملك الفارسى داريوس يرجع إلى سنة ٥٠٠ ق. م. وبفك رموز الفارسية القديمة أمكن فك رموز الكتابتين الأخريين. وبعد عدة عقود أمكن

للعلماء الآخرين فك رموز وترجمة كتابات مسمارية أقدم وهى المسمارية السومرية وأصبح بالإمكان فض مغاليق نحو ثلاثة آلاف سنة من تاريخ العراق القديم - بلاد ما بين النهرين - وقد تمكن الأثريون من اكتشاف عشرات الآلاف من ألواح الطين المكتوبة بالخط المسمارى فى أطلال المدن العراقية وخرائبها. ويعزى الفضل فى معرفتنا بالحياة الاجتماعية للشعوب العراقية ودياناتهم وتاريخهم إلى رولنسون ومساعديه الذين عملوا بلا كلال فى فض مغاليق الكتابة المسمارية.

ولقد تم كشف عشرات من الخطوط والكتابات القديمة وتم فض مغاليقها حين توافرت نماذج كافية منها أو حين كانت هناك نصوص بلغتين أو أكثر. وعلى سبيل المثال الحيثيون الذين عاشوا جغرافيًا بين المصريين والبابليين، كتبوا لغتهم بالخط التصويرى والخط المسمارى على السواء الذى استعاروه من البابليين. وقد تمت قراءة هذا الخط المسمارى ومايزال العمل جاريًا لفك شفرة الخط التصويرى. وكما ألمحت فى دراسة سابقة فى هذه الدائرة لعل آخر الخطوط القديمة التى حققنا نجاحًا فى قراءتها فى الخمسينات، كان هو «الخط السطرى - ب» الخاص بأهل مايسين الذين عاشوا فى جزيرة كريت قريبًا من بلاد اليونان الأم حوالى سنة ١٥٠٠ ق. م. وقد استخلص مايكل فنتريس الباحث الإنجليزى الشاب أن لغة «الخط السطرى - ب» كانت هى اللغة اليونانية أو على الأقل شكلاً مبكرًا من اللغة اليونانية. وقد نجح فى فض مغاليق هذا الخط سنة ١٩٥٢. وقد وجد خط مشابه فى نفس جزيرة كريت سمى «الخط السطرى - أ) ولكنه كان يستخدم للغة أخرى غير اليونانية ولم نتمكن من قراءته بالكامل حتى الآن. وهناك خطوط أخرى كثيرة لم نتمكن من قراءتها حتى الآن من بينها خط وجد فى قبرص. وخط وجد لدى الإتروسكيين الذين عاشوا فى شمالى إيطاليا قبل الرومان. وفى وادى الهندوس فى الهند كان هناك نظام للكتابة التصويرية يرجع إلى نحو ٣٠٠٠ ق. م وقد تطور بدوره إلى نظام للتعبير التصويرى ثم التعبير الصوتى ولكن لم يصلنا منه إلا نماذج قليلة لا تكفى لفض مغاليقه. وفى مناطق أخرى من العالم من بينها أمريكا الوسطى وجزيرة إيستر فى جنوب شرقى المحيط الهادى وجدت نماذج من خطوط قديمة ولكنها ماتزال غير معروفة. وكانت كتابة المايا فى أمريكا الوسطى هيروغليفية مفصلة، وقد تمت قراءة بعض الأرقام والتواريخ رغم أن

اللغة نفسها ماتزال لغزاً محيراً. إن هذه الخطوط تنتظر رولنسون آخر حتى نتمكن من قراءتها، وقد تنتظر شامبليون أو فنتريس يأتى بعد عقود وربما قرون وربما لا تفك شفرتها أبداً لافتقارنا إلى النماذج الكافية لذلك.

ومن الواضح أن كل الحضارات الكبرى فى العالم قد بدأت كتابتها بالصور. ويصدق هذا أكثر ما يصدق على الصين. والكتابة الصينية رغم اختراعها منذ الألف الثالثة قبل الميلاد إلا أنها لم تتطور حتى الآن إلى كتابة أبجدية. والكتابة الصينية تمثل اليوم لغة حية ويستخدمها الآن مئات الملايين ليس فقط من الصينيين ولكن أيضًا من اليابانيين والكوريين والشعوب الآسيوية الأخرى التى أدخلت عليها أقل القليل من التعديلات.

ولقد بدأ الخط الصينى خطًا تصويريًا خالصًا ولكنه مع سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد تطور إلى حد كبير بحيث لم يعد من السهل التعرف على الصور الأصلية التى يمثلها. ولقد حاول الصينيون تطويره إلى نظام صوتى مزود بصور إيديوجرافية كما هو الحال فى الخط المصرى القديم ولكن اللغة التى يمثلها هذا الخط لم تتطور ولم تتغير عبر ألفى سنة ومن ثم لم يتطور الخط الصينى إلى النظام الصوتى. وفى نهاية القرن العشرين مازال الصينيون يحاولون تطوير خطهم إلى النظام الأبجدى الصوتى الخالص ولكن محاولاتهم لم تسفر عن شىء حتى الآن.

ومعظم شعوب الأرض الآن تستخدم شكلاً من أشكال الخط الأبجدى وهذه الأبجديات جميعًا كما أسلفت ما اندثر منها وما هو حى تطورت من الأبجدية الفينيقية المأخوذة عن السينائية بين سنة ٢٠٠٠ و١٠٠٠ ق. م. ورغم أن أصول الأبجدية السينائية قد ضاعت منا إلا أن ثمة عدة نظريات حول تلك الأصول وجل الباحثين يرون أنها قد أخذت من الديموطيقية المصرية حيث توجد وجوه شبه عديدة بين المقاطع الصوتية المصرية القديمة والأشكال الأولى لرموز الأبجدية السينائية وإن كان بعضها الآخر يختلف. ويكفى للدلالة على أصولها المصرية أنها وجدت على أرض سيناء المصرية. وبعض الباحثين يرى أن الأبجدية نشأت فى أحضان الخط المسمارى ومقاطعه الصوتية وحيث عاش الكنعانيون، وهناك فريق آخر يرى أن أصول الأبجديات تكمن

فى بعض الخطوط الباكرة التى استخدمت فى جزر قبرص وكريت. ولكن الأرجح هو أن الأبجدية صناعة مصرية.

لقد وجدت أبجدية مسمارية مكونة من ثلاثين حرفًا على ألواح من طين فى أحد مواقع أوجاريت القديمة على الشاطىء السورى يبدو أنها قد اشتقت من إحدى الأبجديات السامية للاستخدام على ألواح الطين والألواح التى وجدت عليها تلك الأبجدية ترجع إلى نحو ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد. وفى هذا التاريخ أو بعده بقليل يبدو أنه كان هناك نوعان من الأبجديات الباكرة أحدهما عرف بالأبجدية السامية الشمالية والثانى عرف بالأبجدية السامية الجنوبية. وربما كان من الأبجدية السامية الجنوبية أن اشتق الخط الأمهرى والخط القبطى والذى استخدم فى شمال أفريقيا، وربما من الخط السامى الشمالى ذى الـ٢٢ حرفًا اشتق الخط الفينيقى. والخط السامى الشمالى هو يقينًا الخط السينائى الذى أخذه الفينيقيون وطوروه، وكانوا أهل تجارة ولهم مستعمراتهم على طول سواحل البحر الأبيض بدءًا من الساحل السورى مرورًا بشمال أفريقيا وحتى جنوب أوروبا. ولأنهم تجار كانوا يجوبون أرجاء المنطقة فقد حملوا معهم هذا الخط فى كل حوض البحر الأبيض المتوسط. وكان من بين الشعوب التى تعاملوا معها شعوب فى غاية الرقى من بينهم المصريون والعبرانيون والكريتيون والقبارصة والحيثيون والبابليون واليونانيون.

وكما ألمحت فى دراسة سابقة فى هذه الدائرة خرج الخط الفينيقى إلى جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك فى ثلاث موجات، إحداها إلى أوروبا والثانية إلى الشرق الأدنى وشمال أفريقيا والثالثة إلى وسط وجنوبى آسيا. وقد أخذ اليونانيون الخط الفينيقى واستعملوه وهم الذين نبهونا إلى ذلك، وقد طوعوه للغتهم وسجلوا به آدابهم وعلومهم الرائعة، ومن الخط اليونانى انبثقت جل الخطوط الأوروبية. لقد كان الفينيقيون يستعملون أبجدية تتألف كلية من الصوامت ولكن اليونانيين استخدموا بعض الحروف الفينيقية كحروف متحركة وأضافوا حروفًا أخرى لتمثيل بعض القيم الصوتية الموجودة فى اللغة اليونانية وغير موجودة فى اللغة الفينيقية. وكتبوا هذا الخط من اليسار إلى اليمين على عكس الفينيقيين. ومن بلاد الإغريق خرجت تلك الأبجدية إلى شبه الجزيرة الإيطالية وربما كان ذلك أولاً إلى الإتروسكيين ومن بعدهم إلى

الرومان. ومن الجدير بالذكر أن الإتروسكيين استخدموا أبجدية من ستة وعشرين حرفًا وكتبوها من اليمين إلى اليسار. ولم يدخل اللاتينيون سوى تعديلات طفيفة على الأبجدية اليونانية وبإدخال هذه التعديلات أنشأوا خطًا جديدًا أو أبجدية مختلفة تلك التى عرفت بالأبجدية الرومانية أو اللاتينية والتى تطورت حتى ظهور المسيح إلى ما هى عليه الآن. ومن المعروف أن كل الشعوب الأوروبية الآن تقريبًا تستخدم هذه الأبجدية بعضها كما هى دون تعديل وبعضها مع تعديلات بسيطة وبعض شعوب أوروبا الشرقية تستخدم خطًا غير لاتينى مثل الشعوب الروسية والبلغارية والصربية التى طورت لنفسها خطوط مشتقة من الخط السيريلى الذى خرج من بطن الخط اليونانى بشكل مختلف عن الخط اللاتينى. ومن المعروف أن الخطوط العبرية والسريانية والنبطى قد خرجت من بطن الخط الآرامى الذى اشتق بدوره من الفينيقى واشتق الخط العربى من النبطى على نحو ما فصلناه من قبل.

مواد الكتابة:

فى معظم الخطوط القديمة نجد أن الوسيط الذى يكتب عليه كان يتحكم فى شكل الحروف أو الرموز. ويصدق ذلك أكثر ما يصدق على الكتابة المصرية القديمة والمسمارية البابلية واليونانية واللاتينية التى حاولت أن تتلاءم مع البردى والطين والحجر الذى تكتب عليه. لقد كانت المواد الأولى للكتابة هى العظام والخشب التى كان يكتب عليها بقطع من الحجر الحاد المدبب، بيد أن هذه المواد جميعًا لم يكن يقصد بها أن تحفظ إلى مالا نهاية ولذلك اندثرت ولم يصلنا منها إلا القليل جدًا. وبعد هذه المواد جاءت مواد أخرى مثل لحاء الشجر الداخلى وجلود الحيوانات المدبوغة أحيانًا، وكانت هناك كتابات على القماش، ولكن هذه المواد أيضًا لم تكن الظروف مواتية لحفظها ومن ثم لم يصلنا منها إلا نماذج قليلة. ولكن عندما بدأ الإنسان يحفر على الصخر كما فعل المصريون القدماء، من هنا بدأ الحفظ الدائم للمعلومات وكان هذا الحفر على الصخر بالغ الصعوبة ومن ثم لم يستخدم إلا للكتابات بالغة الأهمية. من جهة ثانية كانت الألواح الطينية التى تستخدمها شعوب بلاد ما بين النهرين شديدة التحمل ومن ثم حفظت لنا الكتابات المسمارية آلاف السنين.

ومن أجل تحميل كميات كبيرة من المعلومات على وسيط رخيص توجه المصريون القدماء إلى عيدان البردى البرى الذى كان ينمو بغزارة على ضفاف النيل وفى البرك والمستنقعات ثم بعد ذلك عمد المصريون إلى زراعة البردى فى مزارع خاصة. ومن هذا البردى صنع المصريون نوعًا رائعًا من الورق للكتابة عليه. وكان النبات يقطع وتشق العيدان إلى شرائح ويزال اللب وتجفف الشرائح، وهذه الشرائح الليفية كانت ترص طولاً وعرضًا (أى رأسيًا وأفقيًا) وتضغط ضغطًا متواصلاً وكانت ترش بمادة صمغية وتعرض للتجفيف ثم تصقل حتى تصير صالحة للكتابة عليها. وكان الصقل يتم بقطعة من العاج أو الخشب أو حتى العظام. وكان الفرخ الواحد يقع فى مساحة قدرها ٨ ـ ١١ بوصة أى حوالى ٢٠ ـ ٢٨سم طولاً و٥ ـ ٩ بوصات أى ١٣ ـ ٢٣سم عرضًا، وقد وصلتنا فروخ خارج تلك المساحات. وعندما كانت الحاجة تدعو إلى وجود أحجام أكبر من هذه كانت الفروخ تلصق إلى بعضها البعض وتلف حول قطعة من الخشب أو المعدن العاج. ولقد وصلتنا لفافات ذات أطوال من مائة قدم فأكثر رغم أن الطول العادى كان يتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ قدمًا.

وكان الحبر الذى يكتب به على ورق البردى يصنع من السناج (هباب المصابيح) أو من مسحوق الفحم الذى يخلط بالصمغ أو محلول اللبان ويجفف على هيئة مكعبات ثم يحل بعد ذلك ويستخدم. وكثيرًا ما كان المصريون يستخدمون الأحبار ذات اللون الأحمر، وكانت تصنع من الصمغ وأكسيد الحديد أو الرصاص الأحمر. وكانت تستخدم فى هذا الصدد أيضًا مصادر مختلفة معدنية لإنتاج ألوان أخرى من الحبر كالأصفر والبنى والأخضر وكانت تستخدم فى الكتابة أقلام من الغاب، كانت تبرى وتحد ويفرش السن حتى يصبح صالحًا للكتابة على ورق البردى. وكان نبات البردى ينمو فى وادى النيل الخصيب ومن ثم كان معظم ورق البردى يصنع هناك ويصدر إلى الخارج إلى دول حوض البحر الأبيض المتوسط بسبب ازدياد الطلب عليه هناك وكانت مصر تحتكر صناعة البردى وإنتاجه ومن ثم غدت من أهم الصناعات داخل مصر. وكان ورق البردى يصنع بدرجات متفاوتة وكانت تطلق عليها أسماء متعددة حسب كل نوع ودرجة السمك ونوع الصقل والتشطيب والجودة بل واللون أيضًا. كانت تجارة البردى من أروج التجارات وكان الفينيقيون يعتبرون البردى من بين المفردات التجارية

الهامة. وكان البردى أوسع مواد الكتابة انتشاراً فى بلاد اليونان والرومان فى العصور القديمة ورغم أن البردى قد أخذ فى الانحسار كمادة للكتابة مع القرن الخامس الميلادى إلا أنه ظل قيد الاستخدام حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى. ويمكننا القول مطمئنين أن البردى قد ظل وسيطاً أساسياً فى الكتابة لمدة تزيد على أربعة آلاف عام.

وإلى جانب البردى عرف العالم القديم أيضاً مواد أخرى رائعة فى الكتابة يأتى على رأسها «الرقوق» أى جلود الحيوانات الصغيرة بعد معالجتها تكنولوجياً وكانت الحيوانات التى يكثر استخدام جلودها: العجول، الأغنام، الماعز. لقد استخدمت جلود الحيوانات عبر آلاف السنين مادة للكتابة. ولكن الرقوق بصفة خاصة كانت أهم تطوير حدث فى مجال الجلود حيث كانت تتميز بسمك أدق، ولون أكثر بياضاً وملمس أنعم وكان يمكن استخدامها على الوجهين. وعلى الرغم من أن الروايات تذكر بأن هذه المادة قد تم تطويرها فى مدينة برجاموم، وهى مستعمرة يونانية فى آسيا الصغرى وذلك لكسر احتكار مصر لمواد الكتابة، إلا أن القصة الحقيقية ربما كانت أبعد من ذلك؛ إذ ربما كان يجرى تطوير صناعة الجلود على مدى زمنى طويل وفى أماكن عديدة من العالم؛ وربما تكون برجاموم مركزاً لتجارة الرقوق بحكم موقعها فى القرن الثانى قبل الميلاد وتكون الكلمة اللاتينية الدالة على الرقوق قد اشتقت من اسم المدينة. وبحيث لم يأت القرن الثانى الميلادى إلا وكانت الرقوق قد عم استخدامها فى حوض البحر الأبيض المتوسط كله وظلت مادة الكتابة الرئيسية فى أوروبا كلها حتى نهاية العصور الوسطى. والرق مثل البردى كان يصنع على درجات متفاوتة وكان «الفلجان» هو أحسن درجة وأحسن نوع من الرقوق وكان يصنع من جلد العجول. وربما يستخدم المصطلحان الفلجان والرق على التبادل ويطلقان على جميع أنواع الرقوق. ويمكن صبغ الرق بألوان مختلفة وكذلك يمكن الكتابة عليه بأحبار من مختلف الألوان ولذلك كتبت عليه مخطوطات كثيرة جميلة ويمكن طى الرقوق بطريقة أسهل من البردى ولذلك أصبحت بديلاً سهلاً للبردى عندما ظهر الشكل الجديد للكتاب، وأعنى به شكل الكراس خلفًا للفافة، وأصبح المادة الرئيسية فى كتابة المخطوطات. وقد ظلت الرقوق قيد الاستخدام فى أوروبا وأمريكا حتى نهاية القرن التاسع عشر ومايزال حتى اليوم يستخدم فى إنتاج الكتب والوثائق الفاخرة حسب الطلب.

لقد أدى استخدام الرق فى الكتابة إلى تغييرات أساسية فيها فقد أخلت القرشاة المصنوعة من الغاب الطريق إلى القلم ذى السن الحاد المدبب ومن بعده إلى الريشة ولقد أحسن الرومان استخدام الريشة فى الكتابة. ولقد ظلت الريشة أداة للكتابة طوال ألفى سنة وجاء القلم المعدنى الحالى ذو السن المدبب تقليدًا أمينًا لتلك الريشة.

من اللفافة إلى الكراس:

لقد استمر شكل اللفافة قيد الاستخدام حتى بعد انتشار استعمال الرقوق بزمان طويل، رغم محاولات إدخال أشكال جديدة لمواد جديدة مثل ألواح الخشب التى كان يكتب عليها بقطع من الفحم وكان هذا الشكل مما يستخدمه التلاميذ فى خطواتهم الأولى فى التعليم. وبعد فترة من الاستخدام أصبح هذا اللوح الخشبى يغطى بطبقة من الشمع وأصبح يستخدم فى الكتابة عليه قلم من الخشب أو العاج لإحداث كتابة غائرة مما يسهل معه محوها وإعادة الكتابة عليه مرة ثانية بعد تشميعه من جديد. وكان هذا اللوح فى عدة أغراض؛ من بينها التمارين المدرسية وعمل الحسابات التجارية بل وكتابة الرسائل. لقد كانت هذه الألواح المشموعة واسعة الانتشار وقد وصلنا منها نماذج من خشب وعاج ومعدن من دول مختلفة مثل مصر واليونان والعراق القديم وروما. وفى بعض الأحيان كان اللوح الواحد يربط إلى آخر وعندما تتعدد الألواح فى المجلد يتألف منها الكراس على الشكل المعمول به فى زماننا وكانت الطبقة الشمعية توضع وجهًا لوجه حتى تحمى من التلف. ومن الطريف أن بعض الكراسات كانت تتألف من عدة ألواح رقيقة معدنية كانت أو خشبية وكانت جميعها تغطى بطبقة الشمع وغالبًا ما كانت تحمى بغلاف خارجى مما جعلها تقترب من شكل الكتاب المعاصر.

وفى حوالى سنة ١٠٠م دخل شكل جديد إلى عالم الكتاب سواء المصنوع من البردى أو الرق وأصبح واسع الانتشار وخاصة فى روما. ذلك هو شكل الكراس شبيه لوح الخشب متعدد الأوراق وربما انحدر منه ولكنه كما قلت كان يصنع من الرقوق أو البردى على السواء. وكان هذا الشكل ينشأ من طى وخياطة عدة فروخ من حافتها وذلك لتكوين ملزمة من ٨ أو ١٢ أو ١٦ صفحة أو أكثر. وفى حالة الضرورة كانت عدة ملازم تخاط معًا لتكوين كتاب أكثر سمكًا. والشكل الجديد للكتاب كان أسهل فى القراءة من اللفافة وخاصة إذا كان القصد هو مقارنة أو استشارة عدة كتب فى وقت

واحد. وعلى الرغم من أننا قد عثرنا على العديد من كراسات البردى إلا أن الشكل الجديد كما يقول الثقاة كان يلائم الرق أكثر من البردى ويقولون - رغم عدم اتفاقى معهم - أنه بسبب سيادة شكل الكراس على شكل اللفافة أصبح الطريق مهيئًا لحلول الرق محل البردى كمادة للكتابة بسرعة. وعندما أضيف للكراس فى شكله الجديد غلاف بكعب بلغ الكتاب شكله الذى عليه الآن فى العصر الحديث. ولم يأت القرن الرابع إلا وكان شكل الكراس قد أصبح الشكل السائد ولم تختف اللفافة بل واصلت المسيرة وظلت تستخدم فى الوثائق خاصة فى العصور الوسطى والعصر الحديث.

وإلى جانب شكل اللفافة والكراس، كانت هناك أشكال أخرى للكتاب تستخدم في مناطق مختلفة من العالم وفى فترات مختلفة من التاريخ. وعلى سبيل المثال كان شكل الأكورديون يستخدم فى المناطق البوذية من آسيا وربما مازال موجودًا حتى اليوم فى السنة الأخيرة من القرن العشرين فى التبت. وفى هذا الشكل نجد شرائح طويلة من الورق أو أى مادة كتابة أخرى تطوى كما يطوى الأكورديون ولهذا يجب قراءة كل الجانب الواحد من الورقة قبل تقليب الورقة الثانية. وبعض الكراسات التى وصلتنا من المايا فى أمريكا الوسطى مطوية بنفس طريقة الأكورديون. ومن جهة ثانية وفى أجزاء أخرى من آسيا كانت سعفة النخيل هى الشكل السائد للكتاب وكانت السعفات تضم إلى بعضها وتربط لتكون كتابًا ويكتب على السعفة الواحدة من الناحيتين، وبعد أن يقرأ الشخص جانبًا من السعفة يقلبها على الجانب الآخر وهكذا.

وأصول بعض الكلمات المتعلقة بالكتب والمكتبات قد تكون ذات متعة وفائدة فى مجال علم الاتصال فكلمة مكتبة بالإنجليزية Library أخذت من الكلمة الفرنسية القديمة للمكتبة والتى اشتقت بدورها من الكلمة اللاتينية المأخوذة من كلمة كتاب اللاتينية Liber ومن الطريف أن هذه الكلمة اللاتينية للكتاب تعنى أساسًا اللحاء الداخلى للشجرة والذى كان يستخدم فى بادىء الأمر كمادة للكتابة. ولم يعد الفرنسيون يستخدمون كلمة Librairie للدلالة على المكتبة بل يستخدمونها للدلالة على متجر الكتب وأحيانًا دار النشر. وفيما يتعلق بالمكتبة أصبحوا يستخدمون الكلمة ذات الأصل اليونانى Bibliothéque تعنى خزانة الكتب. ومعظم اللغات الأوروبية الحديثة تستخدم كلمة قريبة من الكلمة الفرنسية للدلالة على المكتبة كما هو الحال فى الألمانية

والأسبانية. أما كلمة كتاب Book الإنجليزية فلها أصول أنجلوساكسونية وتعنى لوح الخشب مما له علاقة مرة ثانية بالكلمة الجرمانية boc أى شجرة الخشب مما يكشف أيضًا عن استخدام الخشب أو لحاء الشجر فى الكتابة.

وهكذا فإنه قبل نهاية العصور القديمة جربت البشرية أشكالاً مختلفة من الكتابة ومواد الكتابة. وفيما يتعلق بحوض البحر الأبيض المتوسط على الأقل وضع الإنسان فى تلك المنطقة نظامًا للاتصال المكتوب بقى دون تغيير جوهرى لمدة ألف عام أو يزيد هذا النظام نجح فى استيعاب اللغة اليونانية واللاتينية بأصواتها المختلفة كما نجح فى استيعاب كراس الرق وقلم الحبر أو الريشة. ومن ثم أصبحت المكونات الفيزيقية متاحة لتسجيل الآداب العظيمة والإنتاج الفكرى الرائع لليونان والرومان وتقف الكتب الكلاسيكية شاهدًا عظيمًا على ذلك. وبقاء كسرة من هذا الإنتاج الفكرى اليونانى الرومانى على قيد الحياة ووصولها إلينا لدليل على وعى المكتبات المبكرة وأمناء المكتبات المبكرين الأوائل واليقظة العربية، ترجمة وشرحًا وحفاظًا. وذلك على نحو ما جاء عند إلمر جونسون فى المصدر التالى:

Johnson, Elmer D. Communication : an introduction to the history of writing, printing, books and libraries -- 4 th ed -- Metuchen: the Scarecrow Press, 1973 . pp. 11 - 27.

المكتبة والاتصال:

يعتبر الاتصال الفكرى أو التواصل الفكرى أهم إنجاز بشرى على الإطلاق، ذلك أن الإنسان عندما تعلمَ كيف يوصل المعلومات والمعرفة التى تراكمت لديه عبر العصور، أصبح هذا الإنسان شيئًا متميزًا ومختلفًا عن الحيوانات الدنيا. ولقد بدأ الإنسان الاتصال أول ما بدأ من خلال الفضاء قدر ما يستطيع أن يصل إليه صوته أو بصره، وبعد ذلك استطاع الاتصال عبر الزمان بقدر ما استطاعت الذاكرة أن تستوعب وبقدر قدرتها على التذكر الصحيح. لقد تعلم الإنسان الكلام منذ آلاف السنين. ونحن نعلم أنه ربما طور لغات متقدمة ومعقدة قبل أن يتعلم الكتابة بفترة طويلة جدًا. ومن هذا المنطلق كانت لديه آداب ومنتجات فكرية شفوية كانت تنتقل حتمًا من جيل إلى جيل عن طريق التواتر. وكان المرء يقوم بتعليم أصدقائه وأبنائه وأحفاده ما حصله هو

نفسه من معلومات وكان يوصل إليهم الخرافات والأساطير التى وصلته من أسلافه.
ولابد لنا من أن نعترف بأن الذاكرة البشرية ليست كاملة ومطلقة القوة، ولذلك لم يصل إلينا من عصور ما قبل اختراع الكتابة سوى أبسط المعلومات وأبسط القصص والأخبار. ولكن منذ تعلم الإنسان أن يسجل أفكاره عن طريق بعض وسائل الكتابة، أضاف بعداً جديداً إلى وسائل اتصاله حيث أصبح قادراً على ممارسة الاتصال فى المكان والزمان معاً. وعندما تتوافر مواد الكتابة والوقت الكافى كان يمكن للرسالة المكتوبة أن تنتقل إلى أطراف الأرض لو كان ذلك ضرورياً وعندما تتوافر الظروف المواتية والعناية اللازمة كان يمكن لتلك الرسالة المكتوبة أن تبقى على قيد الحياة إلى آخر الزمان ونهاية الدار. لقد ساعد الاتصال المكتوب البشر على تجاوز القدرات البدنية المحدودة وعلى توسيع نطاق توزيع المعلومات المتراكمة لديه سواء لمعاصريه فى المكان أو لخلفائه فى الزمان. ولم تتطلب التطورات الثقافية بالتالى إلى تكرارها وإعادة تعلمها فى كل جيل، أو تنسى وتنمحى بانمحاء الذاكرة التى تحملها، بل يمكن حفظها وحملها إلى الأجيال المتعاقبة ولذلك كان يمكن لكل جيل أن يبدأ من حيث انتهى الجيل الذى قبله. وعن طريق السجلات المكتوبة ـ وسيلة الاتصال الجرافيكية ـ استطاع الإنسان أن يصل إلى النقطة التى تبدأ منها الحضارة.

واستطاع الأثر المكتوب أن يوسع نطاق الاتصال فى المكان دون أن تكون هناك حاجة إلى ضرورة الاحتفاظ به إلى مالا نهاية فى الزمان فالخطاب والأمر وفاتورة الشراء كلها تؤدى غرضها بمجرد كتابتها وتسليمها إلى من يعنيهم الأمر وقراءتهم لها. وبمجرد قراءة المعلومات والتصرف حيالها فإنه يمكن التخلص من الرسالة حيث تكون حققت الغرض منها وأدت مهمتها. ولكن على الجانب الآخر عندما يكون الهدف من المعلومات هو حملها والاحتفاظ بها فى الزمان وذلك حتى يفيد منها قراء لم يولدوا بعد، هنا تدخل المكتبة ـ أو نماذجها الأولى ـ على مسرح الأحداث والمكتبة فى صورتها الأولية هى ببساطة مجموعة منظمة من مصادر المعلومات. ورغم أن بعض المواد غير المكتوبة كالمواد المتحفية وعينات النباتات والمواد الأثرية والمخلفات قد تكون مصادر معلومات، إلا أننا نقصر عادة مفهوم المكتبة على مجموعة مصادر المعلومات الجرافيكية أى المكتوبة. وكان خازن السجلات المكتوبة عادة ما يحفظ مصادر المعلومات فى مكان

ملائم يهيؤها للاستعمال المريح من جانب القراء فى المستقبل. وطالما بقى عدد المخطوطات فى المكان محدوداً فلم تكن ثمة مشكلة فى عملية التنظيم. وعندما زاد عدد الكتب مما تطلب معه تنظيمها وترتيبها جرب خازن الكتب نوعًا من الترتيب بالحجم أو الشكل. ولم يهتم بتنظيم المجموعات على فنون الأدب أو الموضوع، ويطور نوعًا من التصنيف إلا فى فترة متأخرة. وعندما زاد عدد الكتب عن الحد الذى يسهل استرجاعها عن طريق الذاكرة؛ قام خازن الكتب بإعداد قائمة مكتوبة بها ومن هنا بدأ أول فهرس أو قائمة رفوف للمكتبة.

ولقد اتخذت النماذج الأولى للمكتبات عدة أشكال. وربما كانت مكتبة المعبد أولى هذه الأشكال، حيث كانت تحفظ فيها الكتابات الدينية من نصوص مقدسة وتراتيل وشعائر وما دار حولها من شروح وتفاسير تنيرها وتجعلها مفهومة مستساغة. وربما كانت المكتبة المتخصصة هى الأخرى من بواكير أشكال المكتبات وعلى الأخص المكتبات التجارية وإدارة الأعمال، حيث كانت فى بدايتها مكانًا لحفظ سجلات الشركة والبعثات التجارية والممتلكات والضرائب المدفوعة. وقد نشأت فى القصور والدواوين مجموعات من السجلات من بينها سجلات الضرائب والمراسلات الدبلوماسية والقرارات الملكية وحسابات المغامرات العسكرية وكذلك الاتفاقات الدولية. ويرى بعض الكتاب أنه حتى الوثائق الأسرية الخاصة كانت تقترب من أن تكون مكتبة بما تضمه من أشجار العائلات والنسب وسجلات التصرفات الخاصة والوصايا وعقود الزواج. ومهما يكن من شكل المكتبات فى تلك الفترة المبكرة فقد كانت مستودعًا للمعلومات يتم فيه تنظيمها وحفظها واستعمالها وعندما أخذ الخلف والأجيال المتعاقبة فى دراسة إنجازات السلف وأخطائهم، بدأ التاريخ وانتهت الفترة التى أطلق عليها فترة ما قبل التاريخ. ومن الآن فصاعداً بدأ التحام المكتبة والتاريخ المكتوب يدًا بيد خلال دهاليز الزمن.

ومهما يكن من أمر فإن المكتبة هى مجرد وسيلة واحدة من وسائل الاتصال البشرى. ذلك أن المرء يستطيع أن يوصل المعلومات إلى صديق له عبر وسائل عديدة. ولعل أكثرها بساطة وبدائية الإشارات والإيماءات، والتى ربما تكون وسيلة الاتصال الأولى والأصلية. ولقد استخدم أسلافنا الأوائل تلك الإشارات والإيماءات

للسخرية، للتحذير، للتخويف، للترحيب، للموافقة، لعدم الموافقة، وربما لأغراض أخرى كثيرة. لقد ابتدع الهنود الحمر فى سهول أمريكا نظامًا فعالاً من الإشارات والإيماءات، استخدموه ببراعة فى الاتصال بين القبائل التى كانت تتكلم لغات جد مختلفة. وحتى في أيامنا هذه تستخدم الإشارات على نطاق أوسع مما يتخيله المرء عادة؛ فرجل البوليس فى ركن الطريق يستخدم الإيماءات ليدير حركة المرور، كما تستخدم الإشارات اليدوية فى كثير من الألعاب الرياضية وفى أنواع مختلفة من الأعمال وخاصة فى الهواء الطلق والضوضاء والصخب العالى، وحيث تحل محل الاتصال الصوتى أو الأوامر المكتوبة. ويأتى فى المرتبة الثانية فى طرق الاتصال التى يستخدمها البشر: الصوت الذى يتراوح ما بين صرخة تحذير بسيطة إلى نظام مخاطبة شديد التعقيد، يستخدم آلاف الكلمات وما يصحب ذلك من حركات بدنية مكملة للنظام. ولقد استخدم الإنسان البدائى وسائل صوتية وليست لغوية فى عملية الاتصال حتى قبل تطوير نظام الخطاب الكامل. ومازال صرخات التحذير، وصرخات الألم، وأصوات الاستغاثة وأصوات الموافقة وأصوات الابتهاج مستخدمة من قبل خلفائه المتحضرين، عندما يريدون التعبير عن العواطف أو الافتقار إلى العواطف. وعندما اخترع الانسان اللغة المنطوقة والمتطورة خدمته آلاف السنين كأحسن وسيلة اتصال ـ على الأقل فيما يتعلق بحدود الأذن البشرية. وفى سبيل تكبير الصوت البشرى ليس ثمة شىء أكثر تعقيدًا الآن من مكبر الصوت ميجافون الذى حاوله الإنسان البدائى باستعمال قرون الحيوانات وتركيب اليدين على الفم ولم يكن اختراع مكبر الصوت إلا وليد القرن التاسع عشر. وقد دخل التليفون والراديو والتليفزيون كوسائل رائعة لتوسيع مدى الصوت البشرى ونقله من أقصى الأرض والفضاء إلى أقصى الأرض والفضاء فى عملية اتصال متزامنة لا نظير لها، وفى نفس الوقت تستطيع وسائط التسجيل الإلكترونى المختلفة عن طريق الأقراص والأسطوانات والأسلاك والشرائط أن تحفظ لنا هذه الأصوات عبر الزمان فترات لا حدود لها. ومن كان من البشر يتوقع أنه مع سنة ١٩٦٩م يمكن للإنسان أن يمشى على أرض القمر وأن يرى ويسمع من قبل الناس على الأرض وهو يسبح فى الفضاء.

وقبل استخدام الكهرباء فى توسيع مدى الصوت، كان الإنسان يستخدم وسائل

صوتية ممتازة فى توصيل الصوت إلى مدى أوسع مثل الطبول والآلات النحاسية وغير ذلك مما استخدمته المجتمعات البدائية. وقد استخدمت هذه الوسائل لحمل معلومات تتراوح من مجرد تحذير بسيط إلى لغات صغير أو طبول متقدمة كما يحدث حتى الآن فى بعض القبائل الأفريقية. ومن بين الوسائل المستخدمة فى توسيع مدى الصوت منذ فترة طويلة «الجرس» الذى استخدم قروناً طويلة لاستدعاء المصلين وللتحذير من الخطر ولإعلان الحروب والانتصارات. ومن وسائل الاتصال الصوتية هذه، جاءت الآلات الموسيقية المختلفة: النفخيات، الوتريات، النحاسيات. ومن المزمار الخشبى انبثق الفلوت والترومبيت والكلارنيت بل وحتى الساكسفون. ومن قوس الصيد انحدرت ربما جميع الآلات الوترية بدءاً بالعود وحتى الفيولين ومن البانجو حتى البيانو العظيم. ومن قرون الحيوانات الضحلة إلى الطبلة ومشتقاتها من الدفوف. هذه الآلات الموسيقية على تفاوت أنواعها ساهمت مساهمة فعالة وأضافت بعداً جديداً إلى قدرة الإنسان على الاتصال. وإذا لم يستطع أن يوصل حقائق محددة أو أفكاراً بعينها بواسطة الآلات الموسيقية فإنه على الأقل يستطيع بها التعبير عن عواطفه وبطريقة تشرك الآخرين فى الاستمتاع بها. لقد ساعدت وسائل الاتصال السمعية على أن يصل المرء إلى أخية الإنسان.

وإذا عدنا صوب وسائل الاتصال المرئية سنجد أن الإنسان قد استخدم وسائل عديدة لحمل معلوماته وتوصيلها إلى الآخرين بدءاً من الأشجار المثقبة ومجموعة الحجارة التى تحدد الملكيات وحتى نظام الأعلام المعقد على السفن الذى يستخدم لحمل الرسائل فى البحار. والأعلام فى حد ذاتها تمثل نظاماً كاملاً للاتصال الرمزى بما فى ذلك بعض الأفكار المجردة مثل: الملكية، الجنسية، السلطة والقوة، والمكانة والرتبة وغير ذلك من المعانى النبيلة، استناداً إلى شكل العلم ولونه وطريقة وضعه على الصارى. إن السيمافور والنظم المتصلة به من الإشارات الضوئية إنما يمثل وسائل حيوية للاتصال سواء فى النقل البحرى أو البرى. والرموز البصرية والعلامات هى فى بعض الأحيان ذات دلالات دينية عميقة وخصبة كالهلال والصليب وغيرهما. ولقد استخدم رجال الأعمال ومازالوا يستخدمون العلامات للدلالة على أعمالهم مثل العلامات المائية والعلامات التجارية. وعن طريق هذه العلامات يستطيع حتى العميل الأمى البسيط أن

يميز المنتجات بعضها من بعض. أن هذه العلامات غير الأبجدية يمكن أن تحمل معلومات هامة ولكنها محدودة بغرض معين ومن ثم فإن فائدتها تكون محدودة بهذه الحدود. وكل علامة تعنى شيئًا واحدًا أو تمثل خدمة واحدة ولا يمكن وضع علامتين منها أو أكثر معًا لمزج كمية من المعلومات معًا. وبدلاً من ذلك فقد يكون مزجها مربكًا أو على الأقل ليست له دلالة معينة. وإذا لم يكن هناك شفرة مفصلة ومتفق عليها سلفًا بين كل من المرسل والمستقبل فإن الاتصال عن طريق العلامات والرموز قد يكون ضربًا من المستحيل. ولكن مع وجود مثل هذه الشفرة حيث تمثل كل علامة أو رمز كلمة معينة أو صوتًا محدداً، يكون هناك أساس للغة مكتوبة.

ومن هذا المنطلق أصبحت الصور البدائية كتابة تصويرية وأصبحت للعلامات معانى ودلالات مقبولة، وقد خرجت من بطن هذا كله اللغة المكتوبة وعندما تراكت السجلات المكتوبة وتم حفظها، شكلت الأساس الفعال للأرشيفات والمكتبات.

وعندما ندخل إلى مجال الاتصال من باب آخر فإننا سوف نجد أن وسائل حمل المعلومات يمكن تقسيمها إلى قطاعين كبيرين: الاتصال الساكن والاتصال المتحرك. والاتصال المتحرك هو ذلك الذى يقع فى عملية متصلة متزامنة غالبًا مثل الرؤية البشرية والمحادثة البشرية والراديو والتليفون والتليفزيون وما إلى ذلك. وإذا فاتتك كلمة فى خطاب عام فإنها تفوتك إلى الأبد إلا إذا كان هناك تسجيل للخطبة. وإذا فاتك مشهد فى مسرح السيرك فإنه يفوتك كذلك هو الآخر إلى الأبد إلا إذا كانت قد صورت بواسطة الكاميرا أو الفيديو. والوسائل المتحركة فى الاتصال هى بطبيعتها وسائل وقتية بدون مساندة الوسائل الثابتة النظيرة التى تساعد على تسجيلها. ويقصد بأدوات الاتصال الساكن تلك التى تساعد على الحفاظ على الرسائل الفكرية بشكل دائم: الكتابة، الطباعة، الصور المطبوعة، الصور الفوتوغرافية، التحميل الصوتى والضوئى والإلكترونى على وجه العموم. والمعلومات التى يتم بثها عن طريق الاتصال المتحرك الديناميكى تفتقر إلى الديمومة والتحمل إلا إذا تم سجنها على وسائط ساكنة. ولكن من جهة ثانية فإن الاتصال الساكن، يكون دائمًا بقدر تحمل الوسائط التى حمل عليها وسجل فوقها: وأكثر من هذا فإنه بصرف النظر عن قوة تحمل وسائط التسجيل فإن المعلومات نفسها قد تصبح غير ذات جدوى أو صعبة المنال إذا لم تنظم فى نظام

معين يسهل استرجاعها والإفادة من مفرداتها. وبمعنى آخر نعود إلى المكتبة ـ المؤسسة الرئيسية لحفظ المعلومات المسجلة وتنظيم أوعيتها بشكل منطقى وطريقة فعالة. وفى زماننا هذا تعتبر أخبار الراديو اتصالاً متحركًا ديناميكياً، بينما تعتبر أخبار الجرائد اتصالاً ساكنًا. وأخبار الأمس لا يمكن الحصول عليها إلا إذا كانت مسجلة محفوظة. وهكذا فإن المكتبة بما جبلت عليه من وظيفة حفظ المعلومات المسجلة بطريقة منظمة ومفيدة فإنها تعتبر عنصراً ثالثًا وفعالاً فى عملية الاتصال؛ وبدونها قد يكون الشكلان الآخران للاتصال مفيدين ولكن فى الحد الأدنى من الفائدة. والاتصال المتحرك الديناميكى أقل فائدة للإنسان بسبب عدم ديمومته، بينما الاتصال الساكن ذو فائدة قصوى بسبب ديموميته وتوسعه وزيادته. والمكتبة وحدها ونظيرها الأرشيف أو مركز المعلومات أو ذاكرة الحاسب وقواعد البيانات. . . هى التى تحقق تلك الديمومة وتحقق التنظيم وتيسر الإتاحة والوصول إلى سجلات المعرفة. والمكتبة وسيلة اتصال هامة من حيث هى مخزن للمعلومات المسجلة والمرتبة بنظام معين ييسر الوصول إلى أى منها للاستعمال الدائم ودونما حدود زمنية. والمكتبة هى وسيلة اتصال ساكن نائم فى مهده ولكنه حيوى مثل المحرك الذى لا يستطيع الدوران بدون مصدر للطاقة، وهكذا فإن انسياب الاتصال لا يمكن أن يستمر طويلاً بدون مصدر دائم للمعلومات. والمكتبة هى المصدر الدائم للمعلومات.

قد تكون المكتبة مجموعة من أوعية المعلومات المسجلة، وهكذا أيضًا مستودع أو متجر الكتب أو خزانة مليئة بالخطابات أو كومة من جرائد الشهر الماضى. إن ما يميز المكتبة عن غيرها من المجموعات هو أنها مقتنيات فكرية منظمة، منظمة بحيث تجمع المعلومات المتشابهة معًا، أو مرتبة بحيث على الأقل يكون لكل قطعة مكانها المحدد على الرفوف ويمكن الوصول إليها والحصول عليها بأسرع ما يمكن. وللاسترجاع السريع للمعلومات لابد للأوعية أن تكون مفهرسة أو مكشفة. وكلما كان تكشيف المعلومات كاملاً كلما ارتفعت قيمة مجموعات المكتبة. وكلما كان الحصول على المعلومات سريعًا كلما كشف ذلك عن كفاءة نظام الاسترجاع وكلما كانت المكتبة ذات قيمة لقرائها. إن فهرس المكتبة الذى يضم دستة مداخل فقط عن «الخيول» قد يرضى القارىء العادى الذى يريد أن يقرأ شيئًا عن الخيول ولكن مائة مدخل عن تلك الخيول

قد يكون مخيبًا لآمال الشخص الذى يريد معلومات عن أمراض خيول بير شيرون التى استخدمت فى مناجم الفحم البلجيكية خلال الحرب العالمية الأولى. وهذا هو بالضبط شكل التنظيم والفهرسة الذى قاد الجيل الحالى إلى نقطة جديدة فى تاريخ الاتصال والتى ربما تكون على نفس الأهمية التى وصل إليها الاتصال بعد اختراع الكتابة أو الطباعة. وفى وسط «انفجار المعرفة» الذى بدأ منذ منتصف القرن العشرين لم يعد أمين المكتبة يهتم فقط بترفيف الكتب وتحديد مكان لكل منها ولكن أيضًا بتحليل واختزان واسترجاع المعلومات التى تتضمنها. فالباحث فى نهاية قرننا العشرين لا يريد أوعية المعلومات التى تتضمن الحقائق التى يريدها بل يريد الحقائق نفسها بصرف النظر عن الوعاء الذى يضمها ولا يهمه بعد ذلك من أين جاءت أو كيف جاءت، طالما أنها حقائق سليمة يعتمد عليها. ومن حسن الحظ أن هناك حلولاً كثيرة وأدوات غزيرة لمشاكل التحكم فى المعلومات. إن مجال الاتصال الإنسانى وطبيعة تقديم المعرفة يدخل الآن فى ثورة عارمة ودور المكتبة فى مجال هذا الاتصال دور حيوى وهو ليس محل جدال أو نقاش.

وخلاصة القول فى الاتصال أن الرغبة فى الاتصال (التواصل) هى الحقيقة الماثلة فى الحياة الاجتماعية ويمكن اتباع قول الثقاة فى أن الاتصال ثقافة والثقافة اتصال. لقد خدمت المبانى العامة والفنون والخطابة والدراما الاجتماعية لوصل التراث الفكرى وخلق الفهم العام بين مجموعة من الناس؛ حيث كانت هذه الفنون العامة وسائل اتصال جماهيرية على الدوام. وعندما بدأت الاتصالات الشفوية تتخذ شكلاً مكتوبًا ومسجلاً على وسائط قابلة للتداول والتناول أصبح نشوء المكتبات أمرًا محتومًا. وجمعت الوثائق وزاد عددها، واتسع نطاق البحث والدرس وتقدم الفكر وارتقى كما عرفت مناهج البحث والمنطق طريقها إلى التفكير، واختفى التواتر والمشافهة وخطابة التجوال وحل محل ذلك كله التسجيل والتدوين والتوثيق وحدث نوع من الموضوعية والحياد والثقة فى نقل المعلومات والبيانات.

وكان للمكتبيين دور بارز فى هذا السبيل فهم الذين جمعوا الوثائق وهم الذين نظموها وهم الذين يوثقون مصادر المعلومات ويحللون ما بها من معلومات. ومع ظهور الطباعة وازدياد نشر الكتب حدث تطوران هامان **أولهما**: توثيق المعلومات وذكر

مصادرها فى هامش النص على نحو ما نصادفه فى كتب روجر بيكون وحواشيه على أعمال دونز سكوتس وثانيهما: الدعوة إلى سد فجوات المعرفة عن طريق التأليف فى مجالات لم يكتب فيها أو فيها عدد محدود من البحوث على النحو الذى دعا إليه أمين المكتبة الإنجليزى القديم جون دورى. وإذا كان التطور الأول قد وضع أسس علم المعلومات والتوثيق فإن التطور الثانى قد وضع أسس المسئولية الاجتماعية والعلمية لمهنة المكتبات.

ومنذ قديم الزمان كانت المعرفة أو دعنا نسميها الحكمة الفكرية أداة حية فى حياة الناس ويلجأون إلى استشارة أرباب هذه الحكمة لتصريف أمورهم. فالكاهن والحاخام والقسيس والفقيه والمحامى والطبيب كلهم كانوا حكماء يسعون إلى حل مشاكل الأفراد أكثر مما يعظونهم ويلقنونهم دروسًا ومحاضرات حول أعمالهم حتى الساحرة والمشعوذة التى كانت تطبب بالسحر والدجل لابد وأن ننظر إليها على أنها حلقة من حلقات الاتصال المعرفى.

ولقد كان تعليم الأطفال والناشئة طريقة كبرى من طرق الاتصال. ولكن لم تكن الأمية فى يوم من أيام التاريخ عقوبة لصاحبها على النحو الذى أصبحت عليه فى أيامنا وإن بدأت بذور تلك العقوبة فى عصر النهضة الأوروبية. وأصبح التعليم المستمر وإعادة التعلم من بين ظواهر محو عقوبات الأمية.

ولقد كان للمسلمين باع طويل فى الاتصال العلمى حيث وصفتهم زيجريد هونكه بأنهم شعب يذهب إلى المدرسة وكان للاتصال العلمى عندهم طرق ووسائل أفادوا بها أنفسهم وأفادوا بها غيرهم. وربما قامت النهضة الأوروبية جزئيًا على جانب من الاتصال العلمى مع العرب.

وظلت دراسة علم الاتصال ردحًا طويلاً من الزمن مبنية على النمط الأرسطى. هذا النمط الذى ساد خلال الثورة الصناعية وما بعدها حتى عصر التحولات الاجتماعية السياسية التى جاء بها النصف الأول من قرننا العشرين. ولكن بعد أن حدثت الثورات العلمية والتكنولوجية الهائلة فى النصف الثانى من القرن وخاصة الثورة البيولوجية والثورة الإلكترونية تم التوصل إلى نمط آخر للاتصال هو الذى عرف باسم

الاتصال السيبرانى أو اتصال الضبط التعديلى الذى استفاد من علم الأحياء وعلم الإلكترونيات معًا. وكان للهجرات الواسعة وتكون أمم جديدة وشعوب لم تكن موجودة آثارها على نمط الاتصال السوسيودرامى وعلى نظرية المهن التى صاحبتها.

وكان الاتجاه نحو نظرية موحدة للمجال الذى برز فى منتصف القرن العشرين أثره فى السعى نحو نظرية موحدة للمعرفة والنظام الاجتماعى تندرج تحتها كافة النظم. وقد برزت فى هذا الاتجاه جهود عديدة وحركات بينية كثيرة أسفر بعضها عن إعادة تشكيل هيكل العلوم الاجتماعية. وقد دخل علم السيبرانية كعلم متكامل وكعلم لضبط الإنسان والآلة ويهدف هذا العلم إلى تقليل الفاقد (أنتروبيا) بالنسبة للفرد أو الجماعة أو المجتمع.

ولقد تغيرت دراسة علم المعرفة كما تغيرت دراسة علم المنطق التقليدية وتحولت من معرفة مبنية على مفهوم رجل علم الاجتماع ووظائفه فى الضبط التعديلى للحفاظ على الذات وتعظيم الذات، إلى علم آخر هو البيونيكا الذى يمزج بين الأحياء والآلة والتأثير المتبادل بينهما وغدا من السهل القياس الكمى للمتغيرات فى آليات الضبط التعديلى ومن ثم أصبح من الممكن علينا الآن قياس انسياب وتدفق المعلومات لأغراض الاتصال.

وكان على مهنة المكتبات والمعلومات أن تستوعب النمط الجديد للاتصال وتستخدمه فى أغراض توصيل المعرفة بطريقة ثورية؛ وتطور لديها مفهوم النظم بسرعة وخاصة فيما يتعلق بشبكات المعلومات والمكتبات. كما كان على مهنة المكتبات والمعلومات أن تستوعب نمط السوسيودرامى فى الاتصال. وقد بدأ علم المعلومات بدوره فى التعرف على دراسة عدد من المشكلات ذات العلاقة بالتحولات المتشاكلة والمتماثلة فى المعرفة البشرية. وهذا كله أدى إلى ما نجنى ثماره الآن «دائرة المعارف العالمية» التى تمثلها أو قل تيسرها الإنترنت. والحقيقة أن المسئولية الاجتماعية لأمين المكتبة ماتزال غامضة غير واضحة المعالم ويظهر على السطح أن مهمة أمين المكتبة هى تقديم الخدمات المكتبية لجمهور القراء فى الأنواع المختلفة من المكتبات. ويبدو أنه ليست هناك استجابة للملحوظة الذكية التى أبداها جون دورى من قبل. ومايزال أمناء المكتبات يبحثون فى

طبيعة علم الاتصال وعلم المعرفة على أساس النمط القديم ودون الاهتداء بما توصل إليه علم السيبرانية وعلم البيونيكا.

المصادر:

- American Association of School Librarians. Information power: building partnership for learning -- Chicago: A. L. A., 1998.

- Ashby, W. Ross. An Introduction to cybernetics -- New York: Wiley, 1958.

- Ashby, W. Ross. Design for a brain -- London: Chapman and Hall, 1954.

- Beer, Stafford. cybernetics in management .- New York: Wiley, 1959.

- Black, Uyless. Network management standards. New York: McGraw - hill, 1995.

- Bowen, William and Julie Ann Sosa. Prospects for faculty in the arts and sciences -- Princeton: Princeton University Press; 1989.

- Bowen, Willian and Neil Rudenstine. In pursuit of the PH. D.- Princeton: Princeton University Press, 1992.

- Burke, Redmand. Culture and communication through the ages.- Chicago: De Paul University, 1953.

- Butler, Brett. "Scholarly Journals, electronic publishing and library networks from 1986 to 2000" -- in -- Serials Review. vol. 12, Summer-Fall, 1986-- pp. 47 - 52.

- Canon, Walter. The Wisdom of the body -- New York:Norton, 1932.

- Cole, Stephen. "The role of journals in the social construction of scientific knowledge: a paper presented at the role of journals in scholarly communication: a Centennial Conference in memory of George J. Stigler--

Chicago: University of Chicago 10 - 11 April, 1992.

- Communication in support of science and engineering: a report to the National Science Foundation from the Council on Library Resources .- Washington: Council on Library Resources, 1990.

- Dechert, Charles. Social impact of cybernetics .- Notre - Dame (Indiana): University of Notre - Dame Press, 1966.

- Dertouzos, Michael. "Communications, computers and networks".- in .- Scientific American. no. 265, Sept. 1991 . pp 30 - 37.

- Duncan, Hugh. Communication and the social order.- N J.: Bedminister,.1962.

- Gerardin, L. Bionics .- New York: Mc Graw - Hill, 1968.

- Gould, Constance and Mark Handler. Information needs in the humanities: an assessment .- Stanford: Research Libraries Group, 1989.

- Harmon, Glynn. The world encyclopedia as a general system of models .- in .- Toward a theory of librarianship/ edt. by Conrad Rawski .- Cleveland : Case Western Reserve University Press, 1970.

- Hurt, Charlene and Sharon Rogers. How scholarly communication should work in the 21 st Century .- in .- The Chronicle of Higher Education. vol. 36.- 18 October 1989. P 56.

- Johnson, Elmer. Communication: an introduction to the history of writing, printing, books and libraries.- 4 th ed .- Metuchen : The Scarecrow Press, 1973.

- Kochen, Manfred. (edt). Growth of knowledge .- New York: Wiley, 1967.

- Kuhn, Alfred. Study of society.- Homewood (Illinois): Irwin Dorsey, 1963.

- Lasswell, Harold. "Structure and function of communication in society" .- In .- The Communication of ideas/ edt. by Lyman Bryson .- New York: Harpor, 1984.

- Martin, Jacques. Degrees of Knowledge.- London: Geoffrey Bles, 1937.

- Rider, Fremont. The scholar and the future of research libraries .- New York: Hadham press, 1944.

- Ross, Catherine. Communicating professionally .- N. Y: Neal Schuman, 1998.

- Scholars and research libraries in the 21 st Century: ACLS Occational Paper 14 .- New York: American Council of Learned Societies, 1990.

- Shanon, Claude E. and Warren Weaver. Mathematical theory of communication.- Urbana (Illinois): Universtiy of Illinois Press, 1949.

- Thayer, Lee. Communication and communication systems in organization, management and interpersonal relations.- Homewood (Illinois): Irwin, 1968.

- United Nations - Education and Social Commission. International survey of book production during the last decades .- Paris: UNESCo, 1985.

- Wiegand, Shirley A. Library records: a retention and confidentiality .- Westport: Greenwood Press, 1994.

- Wiener, Norbert. Cybernetics.. New York: Wiley, 1961.

- Wiener, Norbert. Cybernetics or control and communication in the animal and the machine.- Cambridge (Massachusetts): MIT, 1948.

الاتصال المباشر

Direct Access

يعرف لونجلي و شين الاتصال المباشر فى معجمهما «قاموس تكنولوجيا المعلومات» بأنه فى مجال الحاسب الآلى هو إمكانية الحصول على البيانات من وسيط الاختزان أو إدخال البيانات إلى وسيط الاختزان بالطريق المباشر وبصرف النظر عن موقع أو مكان ذلك الجهاز من المستفيد القائم بالاسترجاع أو الاختزان.

ومن المعروف أن وسائط الاسترجاع المباشر تربط إلى الحاسب الآلى لتقديم ذاكرة مساعدة. ووسيط الاتصال المباشر هو ذلك الوسيط الذى يكون لكل تسجيلة فيزيقية عليه موقع مستقل وعنوان خاص به. ومن أمثلة وسائط الاتصال المباشر الأقراص الممغنطة، والطبول، وخلايا البيانات. وعلى العكس فإن الشريط الممغنط هو نموذج لوسيط الاتصال المتسلسل، والذاكرة الأصلية هى نموذج على وسيط الاتصال العشوائى.

وبمصطلحات الحاسب فإن «التسجيلة المنطقية» هى مجموعة البيانات المتعلقة بموضوع واحد أو بمفردة واحدة وعلى سبيل المثال فإن بطاقة الفهرس بالمعنى الببليوجرافى هى تسجيلة منطقية. ومجموعة التسجيلات المنطقية التى تدور حول موضوعات ذات صلة تسمى «الملف» أو طقم بيانات وعلى سبيل المثال يعتبر فهرس المكتبة بكامله «ملفًا» وعندما تسجل البيانات الممثلة للتسجيلة المنطقية من ذاكرة الحاسب على وسيط التسجيل مثل القرص الممغنط هنا يقال بأن تسجيلة فيزيقية قد كتبت. ولأغراض الاستغلال الاقتصادى لوسيط الاختزان فإن التسجيلة الفيزيقية هذه غالبًا ما تشتمل على عدد من التسجيلات المنطقية. وباختصار فإن التسجيلات المنطقية تكتب على وسائط الاختزان فى تسجيلات فيزيقية.

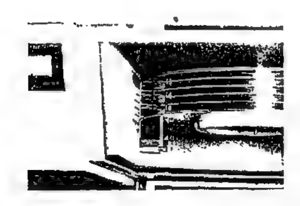
وفى الوقت الراهن فإن جل وسائط الاتصال المباشر هى الأقراص الممغنطة (للحاسبات الكبيرة والمتوسطة) والأقراص الرخوة (للحاسبات الصغيرة). ومن الناحية الفيزيقية البحتة فإن الأقراص الممغنطة تشبه سائر الأقراص (الاسطوانات) وهى مصنوعة

من المعدن مبطنة من كلا الجانبين بطبقة من أكسيد المغناطيس. ومن المفيد أن نشبه هذه الأقراص بأقراص التسجيلات الصوتية (الفونوغراف أو الحاكى). ولكى نضرب لذلك مثلاً توضيحيًا فإننا نصور هنا قرص آى بى إم ٢٣١١. والأقراص المستخدمة هنا ٢٣١١ قطرها ١٤ بوصة. وتحمل ستة من هذه الأقراص على عمود رأسى فى رزمة تسمى صرة القرص. ويصور شكل (١) ملامح صرة القرص هذه. والسطح العلوى للقرص العلوى والسطح السفلى للقرص السفلى لا يستخدمان للتسجيل. ومن هذا المنطلق لا يكون أمامنا سوى عشرة أسطح فقط للتسجيل عليها.

وكل سطح قابل للتسجيل ينقسم إلى ٢٠٠ مسار يضاف إليها ٣ مسارات احتياطية ويعرف المسار بأنه أحد محيطات السطح. والمسارات عبارة عن دوائر متراكزة حتى يسهل تسجيل البيانات. وعلى العكس من ذلك فإن أخاديد قرص الحاكى تمثل حلزوناً متصلاً. وكل مسار له طاقة قصوى فى الاستيعاب وهى ٣٦٢٥ حرفاً. هذا الحرف قد يكون كبيراً أو صغيراً على السواء وقد يكون رقمًا أو رمزاً مثل الفاصلة أو المسافة أو علامة الدولار أو غير ذلك. وبلغة الحاسب الآلى (وهى من اختراع آى بى إم) فإن وحدة الذاكرة فى الحاسب التى تتضمن التمثيلات العددية للحروف تسمى بايت (اللقمة). وهنا سوف نستخدم كلمة اللقمة والتمثيلة على التبادل. وصرة الأقراص التى قلنا أنها تضم عشرة أسطح قابلة للتسجيل تكون طاقتها التسجيلية الكاملة على النحو الآتى:

١٠ [أسطح/ صرة واحدة] × ٢٠٠ [مسار/ للسطح الواحد] × ٣٦٢٥ [بايت/ للمسار الواحد] = ٧,٢٥٠,٠٠٠ [بايت/ للصرة].

شكل - ١ -
وحدة آى بى إم ٢٣١١



وهناك ذراع يسمى ذراع الاتصال يسجل البيانات (أو يقرؤها) على أو من المسار وهذا الذراع قد يناظر ذراع الالتقاط فى الحاكى (الفونوغراف). وذراع الاتصال فى القرص يتحرك أفقياً إلى نحو ٢٠٣ مواضع على القرص وهى المقابلة للـ ٢٠٠ مسار الأصلية والـ ٣ مسارات الاحتياطية. إن آلية اتصال القرص تتألف من مجموعة من أذرع الاتصال تتحرك جميعاً معاً كوحدة واحدة. وهذه الآلية التى تشبه المشط تنطوى على سن أو إبرة قراءة/ كتابة لكل سطح قابل للتسجيل وهكذا فإن وحدة ٢٣١١ لها عشرة أسنان أو إبر قراءة/ كتابة أما الأسطوانة فإنها تصبح كمية البيانات التى يمكن الوصول إليها من خلال موقع واحد فى آلية الاتصال. وفى حالة وحدة ٢٣١١ فإن الأسطوانة تشتمل على ١٠ [مسارات/ أسطوانة] × ٣٦٢٥ [بايت/ مسار] = ٣٦٢٥٠ [بايت/ مسار]. وفكرة الاسطوانة مهمة جداً لأن جانبًا كبيراً من الوقت المطلوب للاتصال بالبيانات ونقلها يضيع فى البحث عن الاسطوانة المناسبة.

والوقت اللازم لاتصال البيانات ونقلها من القرص يحسب على أساس حاصل جمع الأربعة أوقات الآتية: حركة الاتصال، اختيار الإبرة، تأخر الدوران، نقل البيانات. وحركة الاتصال يقصد بها الوقت المستغرق فى دوران الاسطوانة المتحركة، ولتحريك اسطوانة معينة على وحدة ٢٣١١ فإن الأمر يتطلب كحد أدنى ٢٥ مللى/ ثانية (١٠٠٠ مللى/ ثانية = ثانية واحدة) وكحد أقصى ١٣٥ مللى/ ثانية وذلك استناداً إلى الوضع السابق لآلية الاتصال. أما الوقت اللازم للحركة الداخلية للاسطوانة فإنه فى المتوسط ٧٥ مللى/ ثانية. ووقت النقل أو التحويل الإلكترونى اللازم لاختيار الإبرة المناسبة للقراءة أو الكتابة فهو مهمل لا يحسب. أما وقت تأخر الدوران فإنه الوقت المطلوب لحضور الموقع الصحيح على المسار تحت إبرة القراءة/ الكتابة. وفى الوحدة ٢٣١١ يتراوح هذا الوقت ما بين صفر و ٢٥ مللى/ ثانية حيث أن هذا الأخير هو الوقت اللازم للدورة أو اللفة الكاملة للقرص. ووقت تأخر الدوران هو فى المتوسط ١٢,٥ مللى/ ثانية. ووقت نقل أو تحويل البيانات هو مهمة سرعة الدوران ودرجة كثافة تسجيل البيانات (عدد الحروف فى البوصة الواحدة). وبالنسبة لوحدة ٢٣١١ فإن معدل نقل البيانات هو ١٥٦٠٠٠ حرف فى الثانية وبمعنى آخر فإن نقل الحرف الواحد يتطلب وقتًا مقداره: ٠,٠٠٠٦٤١٠٣ من الثانية.

وإلى هذه النقطة فإن الطاقة الاستيعابية للمسار قد تم التعبير عنها بالعدد الأقصى من الحروف فى المسار الواحد. وفى الواقع يتم الاحتفاظ بجزء من كل مسار لتسجيل بيانات مهمة للحاسب نفسه. هذه البيانات تشمل عنوان المسار، أرقام التسجيلة، الأطوال المادية للتسجيلة، الفجوات بين التسجيلات الفيزيقية، رموز التفتيش عن الأخطاء أو المراجعة الدورية التى تحافظ على وحدة البيانات وتكاملها.

وهناك النقطة الكشفية التى تحدد البداية الفيزيقية لكل مسار تلى النقطة الكشفية منطقة العنوان الخاص (المنزل). وهذه المنطقة تتألف من سبعة حروف تستخدم على النحو التالى: العلم (حرف واحد) وهو الذى يحدد ما إذا كان المسار مسار عمل أو تفتيش؛ رقم الاسطوانة (حرفان)، رقم إبرة القراءة/ الكتابة (حرفان)؛ المراجعة الدورية (حرفان) والحروف الأربعة المكونة من رقم الاسطوانة ورقم إبرة القراءة/ الكتابة يشار إليهما معاً باصطلاح عنوان المسار.

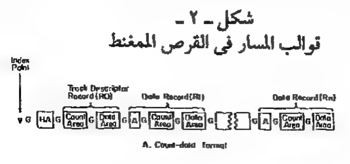
يلى منطقة العنوان الخاص (المنزل) تسجيلة واصفة المسار التى تستخدم بواسطة نظام برمجة الحاسب فى تخزين معلومات عن المسار. وتسجيلة واصفة المسار عادة ما يشار إليها بالرمز ت٥ ـ RO وتشتمل على منطقة حساب ومنطقة بيانات. ومنطقة الحساب تتألف من أحد عشر حرفًا من بينها العلم (حرف واحد) تبين ما إذا كان المسار مسار عمل أم مسار تفتيش، عنوان المسار (أربعة حروف)؛ رقم التسجيلة داخل المسار (حرف واحد برمز ثنائى)؛ طول المفتاح (حرف واحد برمز ثنائى)؛ طول البيانات (حرفان برمز ثنائى). والبايت (اللقمة) التى تشتمل على ثمانى بتات (لقيمات) يمكنها أن تمثل رقمًا صحيحًا ما بين صفر و ٢^٨ ـ ١ = ٢٥٥ فى الترميز الثنائى. واللقمتان فى الترميز الثنائى يمكنهما تمثيل أى رقم صحيح بين صفر و ٢^١٦ ـ ١ = ٦٥٥٣٥ . وفى حالة ت٥ أىRo يكون رقم التسجيلة صفراً وطول البيانات دائمًا هو ثمانى لقمات (٨ بايت) منطقة البيانات هى ثمانى لقمات يضاف إليها لقمتان للمراجعة الدورية. أما بقية المسار فإنها تتضمن واحدة أو أكثر من التسجيلات المبنية فى قالب حساب البيانات أو قالب حساب بيانات المفاتيح (انظر شكل ـ ٢).

وتسجيلات قالب حساب البيانات تتكون من علامة العنوان، منطقة حساب، منطقة

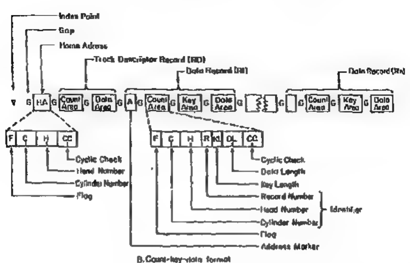
بيانات. وعلامة العنوان منطقة من لقمتين تكتب لتبين بداية تسجيلة المستفيد. ومنطقة الحساب تتألف من إحدى عشرة لقمة وتبنى على حسب التعليمات الخاصة بتسجيلة واصفة المسار. ومنطقة البيانات تتضمن بيانات المستفيد إضافة إلى لقمات المراجعة الدورية.

وتسجيلات قالب حساب بيانات المفاتيح تتألف هى الأخرى من علامة العنوان، منطقة حساب، منطقة مفتاح، منطقة بيانات. ومنطقة المفتاح التى يمكن أن تتراوح ما بين لقمة واحدة (بايت) و ٢٢٥ لقمة تضم واصفة المفتاح فى تسجيلة المستفيد. والعدد الدقيق المستخدم للمفتاح يسجل فى الجزء الخاص بطول المفتاح فى منطقة حساب البيانات. وفى فهارس المكتبات قد يكون المفتاح هو المدخل الرئيسى أو رقم التصنيف.

شكل ـ ٢ ـ
قوالب المسار فى القرص الممغنط



A. Count-data format



B. Count-key-data format

أما قوالب تسجيلة المستفيد فإنها قد تكون واحدة من عشرة قوالب. والقوالب الخمسة التى يعرضها شكل رقم ـ ٣ ـ هى من نوع قوالب حساب بيانات المفاتيح، والقوالب الخمسة الأخرى هى من نوع بيانات الحساب أى بدون منطقة المفتاح. وفى

القالب الثابت غير المقفل تكون لكل التسجيلات فى الملف نفس الأطوال. وتشتمل منطقة البيانات تسجيلة منطقية واحدة. وكذلك فى حالة القالب الثابت غير المقفل فإن كل التسجيلات هى الأخرى يكون لها نفس الأطوال. ومع ذلك فإن منطقة البيانات تتضمن كتلة تقفل أكثر من تسجيلة منطقية واحدة. وكل الكتل هنا لها نفس الأطوال إلا آخر كتلة فإنها ربما تكون أقصر نسبيًا. وحين تستخدم منطقة المفتاح فإنها تتضمن المفتاح من أعلى تسجيلة رقمية موجودة فى الكتلة. وترتبط المفاتيح المفردة عادة بكل تسجيلة منطقية. وفى حالة القوالب المتغيرة غير المقفلة قد يكون للتسجيلات فى الملف أطوال مختلفة. وعادة ما تتضمن اللقمات الأربع الأولى من منطقة البيانات طول الكتلة؛ وهى تحدد عدد اللقمات فى منطقة البيانات بما فيها هى نفسها. والأربع لقمات التالية فى منطقة البيانات تتضمن طول التسجيلة الفيزيقية بما فيها هى نفسها. وما يتبقى من منطقة البيانات يتضمن التسجيلة المنطقية. وفى حالة تسجيلات القوالب المقفلة فى الملف غالبًا ما يكون لها أطوال متفاوتة؛ وعادة ما تشتمل منطقة البيانات على كتلة من أكثر من تسجيلة منطقية. وفى حالة استخدام منطقة المفتاح فإنها تشتمل على المفتاح من أعلى تسجيلة رقمية موجودة فى الكتلة. وفى هذه الحالة سيكون هناك قالب غير محدد كى يسمح بتناول التسجيلات التى لا تقع فى أى من القوالب السابقة.

شكل - ٣ -
قوالب التسجيلات

Fixed, Unblocked
Count | AAA (Key) | Record aaa (Data)

Fixed, Blocked
Count | FFF (Key) | AAA Record aaa, CCC Record ccc, FFF Record fff (Data)

Variable, Unblocked
Count | AAA (Key) | BL RL Record aaa (Data)

Variable, Blocked
Count | FFF (Key) | BL RL AAA Record aaa … RL CCC Record ccc RL FFF Record fff (Data)

Undefined
Count | AAA (Key) | Record aaa (Data)

وفى وحدة ٢٣١١ يصل عدد اللقمات المستخدمة في علامة العنوان ومنطقة الحساب والمراجعة الدورية وكمية الفجوات إلى واحد وستين لقمة لكل تسجيلة فيزيقية فيما عدا التسجيلة الأخيرة. وعند حساب عدد اللقمات فى التسجيلة الفيزيقية يمكن استخدام المعادلات الآتية:

أولاً: تسجيلات البيانات فيما عدا التسجيلة الأخيرة:

ا ـ بما فى ذلك منطقة المفتاح:

اللقمات المطلوبة = ٨١ + ٥٣٧ (طول المفتاح + طول البيانات)
―――――――――――――
٥١٢

ويشار عادة إلى طول المفتاح بالحروف ط م وطول البيانات بالحروف ط ب.

٢ ـ بدون منطقة المفتاح:

اللقمات المطلوبة = ٦١ + ٥٣٧ (ط ب)
―――――――
٥١٢

ثانيًا: تسجيلة البيانات الأخيرة:

١ ـ بما فيها منطقة المفتاح:

اللقمات المطلوبة = ٢٠ + ط م + ط ب

٢ ـ بدون منطقة المفتاح:

اللقمات المطلوبة = ط ب

وعند استخدام هذه المعادلات فإن الباقى يحذف فى حالة عمليات القسمة.

ولحساب تسجيلات البيانات فى المسار الواحد يمكن استخدام المعادلة التالية:

تسجيلات البيانات فى المسار = ١ + [الطاقة ـ لقمات النهاية / لقمات تسجيلة البيانات]

وحيث الطاقة هنا يقصد بها العدد الأقصى من اللقمات فى المسار؛ وحيث يقصد بلقمات النهاية عدد اللقمات المطلوبة فى ملف البيانات الأخير، ويقصد بلقمات تسجيلة البيانات اللقمات المطلوبة فى كل تسجيلة بيانات ماعدا التسجيلة الأخيرة.

وهناك العديد من العوامل التى تدخل فى الاستخدام الأمثل لوحدة الأقراص؛ لعل أهمها كيفية تنظيم الملف، وعدد ومدى تردد طلبات البحث، وعدد ومدى تردد الإضافات إلى والحذف من ومراجعة تسجيلات بيانات المستفيدين.

ورغم أننا شرحنا الاتصال المباشر من خلال وحدة أقراص آى بى إم ٢٣١١ إلا أن نفس الاعتبارات والمصطلحات تنطبق على وسائط الاسترجاع المباشر الأخرى المربوطة إلى الحاسبات الآلية. وإن لم يكن تنظيم جميع الأقراص هو بنفس الطريقة الموجودة فى وحدة ٢٣١١. وفى المصادر الملحقة نصادف تفاصيل عن تنظيم الأقراص فى أنظمة أخرى.

المصادر:

- Control Data 7 638 Disk Storage Subsytem .- Arden Hills, Minnesota: Control Data Corp., June 1969. (Publication number 60265 500).
- A guide to the IBM System, 370 model 150 .- White Plains, New York: IBM Corp., June 1970. (Document number GC 20 - 1730 - 0).
- Introduction to IBM System, 360: Direct access storage devices and organization methods .- White Plains, New York: IBM Corp., November 1969. (Document number GC 20 - 1946 - 4).
- Longley, Dennis and Michael Shain. Dictionary of information technology .- 2 nd ed .- London: Macmillan, 1985.
- Montgomery, K. L. Direct access .- in .- Encyclopedia of library and Information Science .- New York: Marcel Dekker, 1972. vol. 7.
- Watters, Carolyn. Dictionary of information science and technology .- Boston: Academic press, 1992.

الاتصال عن بعد

Telecommunications

بات من الواضح بعد دخول الحاسب الآلى إلى مسرح المعلومات فى مطلع النصف الثانى من القرن العشرين أن الاستخدام الفعال له ونقل المعلومات من مكان إلى مكان آخر سحيق إنما يعتمد اعتماداً مطلقًا على وسائل الاتصال عن بعد والتى عن طريقها يستطيع الحاسب والمستفيد أن يلتقيا التقاء مباشراً؛ وأن يتصلا ببعضهما البعض فى التو والحال.

وقضية الاتصالات البعيدة هى قضية أقدم من مولد الحاسب الآلى بكثير ففى وثيقة نادرة للشعبة الفيدرالية للاتصالات بالولايات المتحدة الصادرة سنة ١٩٣٤ والخاصة باستحداث هذه الشعبة نجد النص الآتى:

«أنشئت هذه الشعبة من أجل تنظيم الاتصالات بين الولايات والعالم الخارجى. . . وأن تتيح لكل الناس فى الولايات المتحدة خدمة اتصالات سريعة وفعالة على المستوى الوطنى والمستوى العالمى كله، عن طريق أكفأ الأجهزة وبأقل تكلفة».

ولما ظهر الحاسب الآلى ظهرت الحاجة إلى تعاون وثيق واعتماد متبادل بينه وبين وسائل الاتصال. وكان السؤال الملح هو ما هى التغييرات المطلوب إدخالها على السياسات وعلى الصناعات حتى يتم تعظيم هذا التفاعل بين الحاسبات ووسائل الاتصالات. ومن هنا فقد قامت نفس الشعبة الفيدرالية للاتصال بعمل بحث مستفيض سنة ١٩٦٦ حول تعقيدات وسياسات التغييرات المطلوب إدخالها حتى يتم تعميق التفاعل بين وسائل الاتصالات والحاسبات. وبناء على نتائج هذا البحث قامت الشعبة بوضع السياسة التى رأتها مناسبة فى هذا الصدد ولكن نظراً للتطورات التكنولوجية المذهلة التى حدثت فى الربع الأخير من القرن قامت الشعبة بإجراء بحث جديد سنة ١٩٧٦ لإدخال ما يمكن إدخاله من تعديلات على السياسة التى وضعت بناء على بحث ١٩٦٦.

الواقع التكنولوجى والمؤسسى للاتصال عن بعد:

مع منتصف الستينات أصبحت الحاسبات الإلكترونية وما صاحبها من تكنولوجيا

واحدة من أقوى القوى الضاغطة فى المجتمعات الغربية على الأقل. وفى كل يوم كان هناك الدليل تلو الدليل على أن الحاسب الآلى كان يحدث تغييرات عميقة فى مجال إدارة الأعمال والتجارة وكذلك فى إدارات الحكومة والبحث العلمى والعملية التعليمية والتربوية وغزو الفضاء الخارجي والإجراءات الطبية. وفى الجملة أحدث الحاسب الآلى تغييرات جذرية فى أنماط الحياة اليومية العادية.

وكانت بنوك المعلومات الوطنية والمحلية تختزن وتحدث كميات هائلة من المعلومات المتخصصة فى كل قطاعات المعرفة قد بدأت تتبلور. وكانت نظم المشاركة فى الوقت التى تخدم فى وقت واحد عدداً من الشركات الكبيرة والصغيرة قد انتشرت على أساس تجارى انتشاراً واسعاً آنذاك.

وكان الحاسب الآلى بالنسبة للطلاب قد حل محل دائرة المعارف إن لم يكن محل المعلم. وبالنسبة لأصحاب المحلات والتجار أعاد الحاسب صياغة الإجراءات والتعاملات التجارية والبنكية والإدارية. وإلى جانب تلك الأهمية التى كان الحاسب الآلى يتخذها فى عملية التحول والتغير كانت الاتصالات هى الأخرى تسير جنباً إلى جنب معه فى عملية التغيير عن طريق وسائل جديدة وخدمات جديدة فعالة ومتقدمة واقتصادية، ذلك أنه عن طريق قناة الاتصالات يمكن للحاسب الآلى القيام بوظائفه ودوره فى إحداث التقدم الاجتماعى والاقتصادى.

إنه عن طريق قناة الاتصال فقط يمكن ربط الحاسب الإلكترونى المتضمن لبنك المعلومات ووصله بالمستفيدين الذين يبحثون عن المعلومات وينشدونها من مكان بعيد ومواقع مبعثرة جغرافياً. إنها قناة الاتصال التى تجعل معالجة البيانات مباشرة وفى نفس الوقت للعديد من المستفيدين المشاركين فى الخدمة. إنها قناة الاتصال التى تحضر الفصل والمكتبة والمعلم إلى بيت الطالب.

هذه هى الملابسات والظروف التى حدت بمثل الشعبة الفيدرالية للاتصالات إلى القيام بالبحث الذى أشرت إليه فى نوفمبر سنة ١٩٦٦ واضعة فى اعتبارها تنامى اعتماد الحاسب الآلى على وسائل الاتصال. وكان عليها أيضاً أن تستطلع فاعلية وكفاءة وخدمات وممارسات وسائل الاتصالات العامة وتستقصى رغبة جموع الشعب

فى بلورة أو مراجعة سياسات الاتصالات وكانت هناك رغبة ملحة أيضًا من جانب الشعبة فى أن تستطلع رأى الناس فى إصدار تشريع بتسعير خدمات نقل المعلومات عبر وسائل الاتصالات.

وكانت شركة بل التى تتألف من شركة التليفون الأمريكية وشركة التلغراف الأمريكية (إيه تى آند تى) تدير وقتها ٢٣ نظامًا فرعيًا وتمثل أكبر قطاع فى صناعة التليفون فى الولايات. وكانت شركة بل كذلك تضم معامل تليفون بل التى تمثل قطاع البحث فى الشركة، والشركة الكهربائية الغربية التى تمثل وحدة التصنيع والإمداد فى المؤسسة.

وكانت هناك على الأقل ٢٠٠٠ شركة تليفون مستقلة موصولة مع مؤسسة بل لتقديم خدمات الاتصالات البعيدة وخدمات الخطوط الخاصة وخدمات التلغراف بين المدن. وكان هناك بين الشركات المستقلة شركات متعددة النظم، ولكنها أصغر كثيرًا من مؤسسة بل ولكنها منظمة على نفس الأسس من حيث وجود وحدات بحث ووحدات تصنيع وإنتاج. وكان من بين تلك الشركات ذات النظم المتكاملة أفقيًا ورأسيًا فى القطاع الخاص الشركة العامة للتليفون والإلكترونيات والشركة المتحدة للاتصالات البعيدة.

وتعتبر شركة الاتحاد الغربى للتلغراف أهم شركة لنقل التلغرافات والرسائل المكتوبة الأخرى. وكان الجانب الأكبر من نشاط هذه الشركة موجهًا نحو خدمات التلغراف الذى أخذ فى التقلص فى ذلك الوقت وإلى جانب هذا النشاط كان هناك نشاط الراقنة عن بعد (التليكس و التوكس) وبعض خدمات تأجير الخطوط الخاصة وخدمات الاتصال عبر الحاسبات.

أما فى مجال الاتصالات الدولية فقد كانت شركة إيه تى آند تى ذات القدح المعلى وكانت تدير هذه الاتصالات عبر كابل بحرى والراديو عالى التردد وشبكات الأقمار الصناعية. أما الاتصالات الدولية المكتوبة فقد كانت مشتركة بين شركات آى تى تى للاتصالات العالمية و آرسى إيه للاتصالات الكونية والاتحاد الغربى الدولى (لا علاقة لها بشركة الاتحاد الغربى للتليفونات).

وعلى الرغم من أن صناعة الاتصالات فى ذلك الوقت كانت قد حققت إنجازات ضخمة فى مجال الاتصالات الدولية الصوتية والمكتوبة إلا أنها فى الواقع لم تواكب الإيقاع السريع التطور الذى حدث فى الطلب على المعلومات المختزنة فى الحاسب ونقل تلك المعلومات من مكان إلى آخر. وكان الجميع على قناعة بأن طاقة قنوات الاتصالات، وإمكانياتها الفنية وتكاليفها، وكذلك الشروط المفروضة على استخدام الخدمات المقدمة، هذه الأمور جميعًا كانت تجعل هذه الاتصالات تقصر عن الوفاء باحتياجات الإعداد الفعال للمعلومات واختزانها واسترجاعها بطريقة سريعة واقتصادية.

وأكثر من هذا كانت شركات الاتصالات هذه تفيد أيما فائدة من الحاسبات الآلية فى حفظ السجلات والدفاتر وكتابة الفواتير واتخاذ القرارات. وكانت الحاسبات أيضًا مرتبطة إلى حد كبير بوسائل الاتصالات فى حمل الرسائل ونقلها والتحويل بين المحطات، وكانت هناك أيضًا بعض الخدمات الجديدة مثل المؤتمرات عن بعد، وخدمات انتظار المكالمات وتحويل المكالمات وغيرها. وكانت تليفون المحك قد انتشر فى الستينات انتشارًا كبيرًا وكان من مميزاته أنه يمكن ربطه إلى مطرف الحاسب ومن ثم يوصله إلى حاسب مركزى بقناة صوتية تسهل مهمة تدفق البيانات إلى ذلك الحاسب.

ومع التطور السريع فى العلاقة بين الحاسبات ووسائل الاتصال أصبحت الحاسبات جزءًا هامًا فى أى شبكة للاتصالات، وأصبحت شركات الاتصالات تحرص على برمجة الحاسبات لتقديم خدمات اتصال تبيع بمقتضاها خدمات معالجة البيانات واختزان واسترجاع المعلومات إلى الجمهور العام. وقد دخلت شركات الاتصال فى منافسات شديدة فى هذا المضمار مما انعكس إيجابيًا على تطوير هذا النوع من الخدمات. وفى نفس الوقت قامت بعض الشركات بتأجير خطوط اتصال لمن يشاء لاستخدامها فى تقديم خدمات نقل الرسائل الفكرية عبر الحاسب الآلى، وكانت ظاهرة جديدة على مجتمع الاتصالات فى ذلك الوقت.

وضع السياسات:

هذا المزج بين خدمات معالجة البيانات وخدمات الاتصالات أدى بالضرورة إلى

إثارة ضرورة وضع سياسات أو قل قواعد منظمة للعمل. وكانت المشكلة الأساسية هنا هل يمكن الفصل بين الاثنين فى وضع السياسات والقواعد المنظمة؟ وهل من مصلحة الجمهور أن تقنن خدمات الحاسبات الآلية وتوضع لها قواعد أم أن مصلحته فى الاستخدام الحر المباشر بينه وبين مقدمى هذه الخدمات؟ وما هو السياق المناسب لمنع المنافسة غير الشريفة وغير المتكافئة ويمنع الميول الاحتكارية؟ وكان من الواضح أن شركات الاتصالات التى كانت تحتكر السوق بالفعل أرادت أن تستغل الوافد الجديد ألا وهو تكنولوجيا الحاسب لمصلحتها.

وكانت الحاجة إلى وضع هذه القضايا موضع المحك الفعلى قد ظهرت سنة ١٩٦٥، نتيجة الصراع الذى دار بين شركات الاتصالات من جهة وشركات خدمات المعلومات المؤسسة على الحاسبات من جهة ثانية. وكانت شركة بونكر رامو للخدمات المالية تمد مجتمع المال والاستثمار بخدمات اتصال لحظى بسوق المال باستخدام خدمات وتسهيلات قنوات إيه تى آند تى و الاتحاد الغربى. وكانت تربط الحاسب المركزى لديها بلوحات ومطارف عرض الأرقام والبيانات المالية المثبتة فى أسواق المال المختلفة ولدى زبائنها المضاربين. وفى سنة ١٩٦٥ أضافت شركة بونكر رامو خدمة إضافية عندما يسرت للمضاربين من زبائنها عملية إرسال رسائل إدارية من مواقعهم إلى شبكة بونكر رامو وكذلك أوامر الشراء والبيع إلى ممثلى المضاربين الموجودين فى البورصات المختلفة.

وقد رفضت شركتا إيه تى آند تى والاتحاد الغربى السماح لشركة بونكر رامو باستخدام خطوطهما لتنفيذ تلك العملية الإضافية وهى تحويل الرسائل بين الجهات المختلفة على أساس أن ذلك لا يدخل فى عقد تأجير الخطوط المبرم بينهما واعتبرا ذلك إعادة بيع للخدمة. ومن هنا بدأ النزاع بين شركات خدمات الاتصالات وشركات خدمات المعلومات.

الاستطلاع الأول للشعبة الفيدرالية للاتصالات:

وانطلاقـًا من تلك الخلفية بين خدمات الاتصالات وخدمات المعلومات قامت الشعبة الفيدرالية للاتصالات بإعداد استبيان لاستطلاع رأى الجمهور الذى يريد أن يدلى

بمعلوماته وآرائه ومقترحاته حول ثلاثة قطاعات عريضة فى هذا الشأن:ـ

أ ـ تحت أى ظروف ـ إذا وجدت ـ يمكن للخدمات المقدمة على الخط المباشر للحاسب والتى تتطلب استخدام الاتصالات البعيدة أن تنظم طبقًا لقانون الاتصالات المعمول به حاليًا؟ وهل السياسة العامة تتطلب تنظيم هذه الخدمات؟ أم من الأوفق تركها لآليات السوق الحرة والتنافسية؟

ب ـ والمجال الثانى الذى غطته الدراسة هو الإمكانيات: هل كانت التسهيلات والخدمات التى تقدمها شركات الاتصالات كافية لمواجهة الاحتياجات الفعلية الحالية والمنظورة لاتصالات الحاسبات وتطبيقاتها المتنوعة؟ وهكذا فإن الشعبة كانت تبحث إمكانيات وواقع الشركات القائمة وأجهزتها ومعداتها من حيث السرعة والمتانة والمواءمة من وجهة نظر التطبيقات العملية لتكنولوجيا الحاسب. وإضافة إلى ذلك ما هى التغييرات المطلوبة ـ إذا وجدت ـ فى شروط وظروف الشركات الحالية وخدماتها المقدمة للجمهور العام حتى يمكن لصناعة الحاسب بكل شرائحها أن تؤدى خدماتها بأعلى قدر من الكفاءة؟

ج ـ أما المجال الثالث فإنه يتعلق بضمان أمن وحماية البيانات الشخصية وملكية البيانات المختزنة فى الحاسبات والتى تنقل عبر قنوات الاتصال.

ولقد كانت استجابة الناس لهذا الاستطلاع هائلة إن لم نقل كاسحة، وجاءت المقترحات والتعليقات من شركات الاتصالات، مؤسسات خدمات معالجة البيانات، شركات تصنيع الأجهزة، الاتحادات التجارية، المؤسسات التعليمية، رجال الأعمال والمال، الوكالات الحكومية والفيدرالية، مما ملأ آلاف الصفحات وكلها تحمل وجهات النظر المتنوعة إزاء السياسة العامة المنظمة للعمل فى مجال الاتصالات البعيدة.

وإن لم يكن فى هذا الاستطلاع إلا إيقاظ الرأى العام إزاء هذه القضية لكفى ذلك. لقد أجبر الرأى العام المستفيدين وشركات الاتصالات والحاسبات معًا على تخطيط أنشطتهم والتنسيق فيما بينهم بطريقة منظمة وحضارية والنظر إلى المستقبل فى التفاعل بين هذه التكنولوجيات ذات الصلة الوثيقة.

وبسبب ظروف ضيق الوقت وضخامة العمل وقصور الإمكانيات الداخلية للشعبة

الفيدرالية للاتصالات، تعاقدت الشعبة مع معهد استانفورد للبحوث على تحليل استجابات هذا الاستطلاع والخروج بالنتائج وصياغة التوصيات. وفى سنة ١٩٦٩ نشرت الشعبة تقريرها الخاص بذلك الاستطلاع تحت عنوان «تقرير الاستطلاع وملاحظات أخرى» وكان ذلك فى التاسع عشر من شهر مايو من تلك السنة. وقد طلب فى هذا التقرير من المؤسسات المعنية التعليق على الدراسة وما جاء بها. وفى الثالث من إبريل سنة ١٩٧٠م أصدرت الشعبة قرارها المبدئى تحت عنوان «**القرار التجريبى**». وقد استمعت اللجنة إلى وجهات النظر المختلفة حول القرار فى الثالث من سبتمبر من نفس سنة ١٩٧٠؛ وفى الثامن عشر من مارس سنة ١٩٧١م أصدرت اللجنة «**القرار النهائى**» حول ذلك الاستطلاع. وقد اشتمل القرار النهائى هذا على مجموعة من التنظيمات اعتبرت كقواعد أساسية تحكم سلوك كل من شركات الاتصالات وغيرها مما يدخل فى نطاق هذا العمل. وفى الثلاثين من مارس سنة ١٩٧٢ رفضت الشعبة جميع الاعتراضات والطعون حول القرار النهائى واعتمد القرار واعتبر نافذ المفعول.

ولكن الطعون من جانب بعض الشركات رفعت إلى القضاء وحدد الاستماع إليها والدفاع أمام الدائرة الثانية بمحكمة الدعاوى الأمريكية. وفى الأول من فبراير سنة ١٩٧٣ أصدرت المحكمة حكمها بتأييد «القرار النهائى» للشعبة مع بعض الاستثناءات.

وقبل مناقشة تفاصيل هذا الاستطلاع والنتائج التى توصل إليها يجمل بنا أن نقف لبعض الوقت أمام مؤشرات الاستجابة لهذا الاستطلاع. فقد عبر بعض المجيبين عن تخوفهم من جراء مضاعفات المنافسة التى ستحدث إذا دخلت شركات الاتصالات مجال سوق معالجة البيانات وخدماتها. وهذه المخاوف كانت فى الواقع مشكلة محل اهتمام ونظر مجتمع التشريع عبر سنوات. وكان القلق المطروح هو كيف نضمن أنه ليس ثمة تحيز أو تفضيل من جانب شركات الاتصالات وقنواتها إلى مشتركين دون آخرين؟ هذا من جهة ومن جهة ثانية كيف نضمن ألا تستغل تلك الشركات قنواتها وتسهيلاتها فى الترويج للخدمات التى تقوم بها لزبائنها فى سوق تنافسية حرة غير معقدة؟ وذلك على النحو الذى حدث فى مجال صناعة السكك الحديدية.

وقد طلب إلى الشعبة أن تضع مقاييس تضمن بها أن شركة الاتصالات التى تستخدم قنواتها فى معالجة البيانات لا تتمتع بأية امتيازات تنافسية خاصة دون شركات معالجة البيانات الأصلية التى تدخل معها فى السوق. وطالب المجيبون بضرورة التشدد فى الدخول والمشاركة من جانب شركات الاتصالات إلى مجال خدمات معالجة البيانات بل ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا واستبعاد تلك الشركات كلية من دخول هذا السوق. ولا نحتاج إلى القول بأن استغلال شركات الاتصالات للسوق استغلالاً سيئًا كان قائمًا بالفعل وخاصة أن دخولها من قنوات الاتصال كانت تسمح لها بالدخول إلى نشاطات معالجة البيانات وبالتالى يصير هناك نوع من الاحتكار فى هذين المجالين. وهذا النوع من قوة الاحتكار نبعت بالضرورة من عدم وجود قواعد تنظم العمل فى هذين المجالين.

وكانت المسألة بالنسبة لشركة بل هى مسألة أكاديمية أكثر منها احتكارية فقد دخلت سنة ١٩٥٦ وزارة العدل الأمريكية فى خصومة ضد شركة إيه تى آند تى والشركة الكهربائية الغربية بهدف منعهما من مزاولة أى نشاط غير منصوص عليه فى القانون وهكذا استبعدت الشركتان وغيرهما من دخول سوق معالجة البيانات حتى إخضاع هذا النشاط للقانون. وكان السؤال هل تستحق عملية معالجة البيانات وخدماتها من خلال قنوات الاتصال وبيع هذه الخدمات إلى المستفيدين، هل تستحق أن تشرع وتقنن؟ وهل من حق شركة بل أن تدخل إلى السوق وتنافس الآخرين؟ ولأن شركة بل هى شركة ذات إمكانيات ضخمة وحضور قوى فى سوق الاتصالات فكان هناك تخوف من أن تبتلع سوق خدمات معالجة البيانات إلى جانب خدمات الاتصال ولذلك كان لابد من تشريع.

ولقد هاجم كثير من المجيبين على الاستبيان السياسات البعيدة الأجل فى صناعة التليفونات التى تمنع المشتركين ـ باستثناء قلة قليلة ـ من ربط أجهزتهم ودوائرهم الاتصالية إلى شبكات شركات التليفونات. وكانت تلك القيود قد فرضت آنذاك للتشكك فى عدم قدرة تلك الشركات على تحمل الاستعمال الكثيف والعالى من جانب أصحاب أجهزة الحاسب وغيرها. وهذا ما أدى بالتالى إلى أن يتساءل المجيبون على الاستطلاع عن مدى كفاءة وقوة قنوات الاتصال القائمة وعن مدى تحملها للاستخدام

المتوقع فى عملية نقل المعلومات وحركتها بين الحاسبات والمستفيدين.

وكانت لمعطيات هذا الاستطلاع آثار عميقة فى ثلاثة جوانب هامة فى هذا الصدد:

١ ـ قيام الشعبة الفيدرالية مباشرة بصياغة سياسة عامة وقواعد تحكم مشاركة شركات الاتصالات وغيرها فى سوق خدمات معالجة البيانات.

٢ ـ كانت كمية المعلومات التى حصلت عليها الشعبة من الاستطلاع سندًا لها ودرعًا فى صياغة تلك السياسة العامة التى لم تأت من فراغ.

٣ ـ كان هذا الاستطلاع وما أسفر عنه من نتائج ومقترحات وتعليقات دافعًا لشركات الاتصالات لتعظيم قدراتها وأجهزتها وقنواتها، بل وفتحت الباب واسعًا أمام شركات جديدة للدخول إلى سوق خدمات الاتصالات وتسهيلاتها.

سياسات الشعبة الفيدرالية للاتصالات:

نتيجة لاستطلاع ١٩٦٦ المشار إليه خلصت الشعبة إلى أن تشريع خدمات معالجة البيانات لن يخدم الصالح العام إلا إذا دخلت خدمات الاتصالات البعيدة هى الأخرى فى هذا التشريع من وجهة نظر نقل البيانات والمعلومات. وفضلت عدم تشريع خدمات معالجة البيانات فى ذلك الوقت وتركها للسوق الحرة التنافسية التى كانت قائمة لأن هذه الخدمات يمكن أن تزدهر وتتسع فى البيئة التنافسية وآليات السوق الحرة. وفيما يتعلق بشركات الاتصالات رأت الشعبة أنه ليس هناك ما يبرر انسحاب تلك الشركات من سوق خدمات معالجة البيانات أو تحجم عن الدخول فيها. وعلى العكس من ذلك رأت الشعبة أن البيئة التنافسية يمكن أن تستفيد من مشاركة تلك الشركات فى حال توافر المناخ الملائم.

وربما كان من أهم وجهات نظر الشعبة الدعوة إلى تطبيق قانون «الفصل التام» لضمان أن النشاطات المشروعة التى تمارسها شركات الاتصالات لا تتأثر بأى حال من الأحوال أو تؤثر بأى حال من الأحوال فى النشاطات التى لم تشملها التشريعات بما فى ذلك نشاط معالجة البيانات. وقضت قواعد الشعبة بأن شركة الاتصالات التى ترغب فى القيام ببيع خدمات معالجة البيانات للآخرين يجب أن تنشىء شركة خاصة لهذا الغرض وحده. هذه الشركة المنفصلة يجب أن يكون لها حساباتها ومكاتبها

وإدارتها المستقلة وموظفون مختلفون عن موظفى الشركة الأم وأجهزة وتسهيلات مختلفة. وأكثر من هذا حرمت الشعبة شركة الاتصالات من بيع أو تأجير أو تسهيل استخدام أى خدمات حاسبات تكون مملوكة للشركة وتستخدم فى أغراض الاتصالات البعيدة.

والخلاصة أن درجة الفصل القصوى التى طلبتها الشعبة الفيدرالية من شركات الاتصالات استندت إلى القواعد التشريعية الآتية:

أ ـ أن بيع خدمات معالجة البيانات بواسطة شركات الاتصالات لا ينبغى بأى حال من الأحوال أن يؤثر من الناحية الاقتصادية أو من ناحية الكفاءة على خدمات الاتصالات. وبمعنى آخر رأت الشعبة استبعاد احتمال دخول شركات الاتصالات فى المنافسة على سوق معالجة البيانات، أن يؤثر ذلك على التزاماتها فى مجال الاتصالات وخدماتها الأساسية التى قامت من أجلها.

ب ـ لا ينبغى بأى حال من الأحوال تحويل جزء من تكاليف خدمات معالجة البيانات وتحميله بطريق مباشر أو غير مباشر على المستفيدين من خدمات الاتصالات.

ج ـ لا يجب استخدام أية دخول أو أرباح تتأتى من خدمات الاتصالات فى دعم أى من خدمات معالجة البيانات.

د ـ إن تأسيس خدمات معالجة البيانات بواسطة شركات الاتصالات لا يجب أن يمنع أية منافسة حرة وشريفة وعادلة بين شركات الاتصالات وشركات معالجة البيانات أو يتضمن أية ممارسات مخالفة للسياسات والقوانين المرعية.

ولتعظيم مفهوم «الفصل التام» حرمت الشعبة الفيدرالية على شركات الاتصالات أن تشترى شركات خدمات معالجة بيانات من حلفاء لها. وكانت الشعبة فى هذه الحالة تحاول منع شركات الاتصالات من دعم حلفائها فى سوق خدمات معالجة البيانات باستخدام فائض الدخول الناتجة عن احتكار التليفونات وغيرها من الخدمات. وإضافة إلى ذلك حرمت الشعبة على شركات خدمات معالجة البيانات حلفاء شركات الاتصالات من استخدام اسم أو رموز شركات الاتصالات الحليفة فى أغراض الدعاية والترويج.

وربما كانت أعقد المشكلات التى واجهت الشعبة هى كيف تضع القواعد التشريعية المناسبة للخدمة الجديدة آنذاك والتى سميت «الخدمة النغل» أى الهجين، فكما أشرت سابقًا كان لتعدد استخدامات الحاسبات أثره فى مساعدة المستفيدين على معالجة البيانات من جهة ومن جهة ثانية على إرسال الرسائل إلى المطارف المختلفة المرتبطة بالحاسب بواسطة قنوات الاتصال وعلى أية حال فإن تحويل الرسائل بين المطارف بما فى ذلك اختزان المراسلات وتوجيهها يعتبر من بين عمليات الاتصالات. وعندما يتم تحويل الرسائل بهذا الشكل بين الولايات فإنه يدخل فى باب الاتصالات البعيدة ومن ثم يصبح خاضعًا للتشريع طبقًا لقانون الاتصالات.

من هذا المنطلق كان على الشعبة أن تفكر فى قضية هل تخضع الشركة التى تقدم خدمات مختلطة «نغل ـ هجين» من معالجة بيانات وتحويل الرسائل بين المطارف. وفى حقيقة الأمر كانت هذه المسألة هى التى أثارها تصرف شركة بونكر رامو والتى أتينا عليها سابقًا وهى التى ابتدعت فكرة المزج بين معالجة البيانات وتحويل الرسائل بين المطارف كما أثيرت أيضًا من جانب شركة الاتحاد الغربى سنة ١٩٦٧ بخصوص تصنيف جديد لخدمة اتصال مكتوبة وغير صوتية سميت فى حينها (سيكوم) أى اتصالات صناعة الأمن والأمان. وهى خدمة معلومات للعملاء مبنية على الحاسب وقنوات الاتصال فى وقت واحد وذلك لتبادل الأرصدة المالية. وكانت هذه الخدمة (سيكوم) تنافس الخدمة التى تقدمها شركة بونكر رامو التى أنكرتها شركات الاتصال كلية. والفارق بينهما أن شركة بونكر رامو اعتبرت الخدمة التى تقوم بها داخلة ضمن خدمات معالجة البيانات التى تقوم بها ومن ثم لا تحتاج إلى تشريع، بينما شركة الاتحاد الغربى اعتبرت نقل البيانات عملية اتصالات ومن ثم تحتاج إلى تشريع. وكلا الخدمتين تقومان على المزج بين معالجة البيانات ونقل البيانات إلى مسافات بعيدة؛ وتستخدم قنوات الاتصالات.

وقد رأت الشعبة فى «الخدمة النغل» أى الهجين هذه خدمة اتصال تستحق أن تخضع للتشريع طالما أنها تجمع فى خدمة واحدة متكاملة بين عنصرى معالجة البيانات وتحويل الرسائل بين المحطات وأن الهدف منها إمداد المستفيد بوسيلة اتصال أكثر منها وسيلة إعداد بيانات. وعلى الجانب الآخر إذا قصد بعملية تحويل الرسائل بين المحطات

بيع البيانات المعالجة فإن خدمة النغل هذه لا تخضع للتشريع.

وفى سبيل فض الاشتباك فى هذا الصدد فصلت الشعبة بين نوعين من الخدمات النغل هذه: نغل اتصالات ونغل معالجة بيانات. وقد وضعت لكل منهما تعريفًا وتشريعًا على النحو الآتى:ـ

«النَغْل يُعَرَّف على أنه تقديم خدمة تمزج بين معالجة بيانات الاتصال عن بعد وتحويل الرسائل ـ البيانات ـ بين المحطات بحيث يمثلان معًا خدمة واحدة متكاملة».

«والنغل قد يكون نغل معالجة بيانات ويعرف على أنه: الخدمة النغل التى تقدم إمكانية تحويل الرسائل بين المحطات بهدف معالجة البيانات؛ وقد يكون النغل نغل اتصالات ويعرف على أنه: خدمة نغل تقدم إمكانية تحويل الرسائل كهدف أصلى أو وظيفة أولية».

أى أنه فى الحالة الأولى يكون العمل الأصلى هو معالجة البيانات ومن ثم يكون تحويل البيانات بين المحطات لهذا الغرض، وبالتالى يكون الاتصال عن بعد عملاً تاليًا أو لاحقًا أو عرضيًا. وفى الحالة الثانية يكون الغرض الأصلى هو نقل الرسائل ويكون إعدادها أو معالجتها مسألة عرضية.

ومن الواضح أن هذا التقسيم والفصل بين «خدمة نغل معالجة البيانات» وبين «خدمة نغل الاتصالات» هو فصل تعسفى يخضع تمامًا لتفسير المستفيد نفسه ولنيته، وربما يثير من المشاكل أكثر مما يحلها. كما أن هناك احتمال الخلط بين هذين التعريفين فى آن واحد فثمة من يرسل نغل اتصالات ويستقبل نغل معالجة بيانات فى نفس السياق وهناك من يرسل نغل معالجة بيانات ويستقبل نغل اتصالات فى نفس الوقت ومن المؤكد أن الشعبة قد أدركت بعد فترة ما سخف هذا التقسيم، كما أن تكنولوجيا الحاسبات والاتصالات كانت قد تطورت تطورًا عظيمًا ولذلك رجعت عنه وعادت فى سنة ١٩٧٦ لتضع مجموعة جديدة من القواعد وتجنبت فيها فكرة النغل هذه ووضعت تعريفات جديدة وتقسيمات واسعة يمكن عن طريقها تصنيف أى خدمة تقدم على أنها إما خدمة اتصالات وإما خدمة معالجة بيانات مما يمنع الخلط وسوء الفهم.

وكذلك فإنه فى سبيل تجنب التعقيدات والخلط بين ما إذا كانت الخدمة النغل تقع

فى خدمات الاتصال فتخضع للتشريع أو تقع فى خدمات معالجة البيانات فتعفى من التشريع، فى سبيل ذلك وضعت الشعبة بعض المتطلبات الإجرائية. ومن بين تلك الإجراءات ضرورة أن تخطر شركة الاتصالات الشعبة قبل استحداث خدمة جديدة تعتقد أنها «نغل اتصالات» بمذكرة خاصة تبين فيها تميزها عن «نغل معالجة البيانات». وبنفس الطريقة يجب أن تقدم شركة الاتصالات إلى الشعبة مذكرة عن عزمها منح تسهيلات اتصالات لأى من الشركات الحليفة العاملة فى حقل معالجة البيانات والتى بدورها تزمع استغلال هذه التسهيلات فى بيع خدمات نغل معالجة البيانات. وهنا مرة ثانية تريد الشعبة أن تؤكد على أن خدمات الاتصالات لا تباع أو يعاد بيعها تحت ستار من نغل معالجة البيانات للهروب من طائلة التشريعات.

كذلك كان هناك إدراك ـ سواء عن قصد أو بدون قصد ـ أن شركات الاتصالات قد تعمد إلى إضافة خدمات معالجة البيانات إلى قائمة خدمات الاتصالات العامة التى تقدمها للجمهور مما يجعلها تتوه داخل خدمات نغل معالجة البيانات.ومن ثم تخرج خارج التشريعات مما تكون له عواقب وخيمة، فقد يحرم الجمهور من خدمات أساسية أو يطلب إليهم الاشتراك فى خدمات ذات جوانب لا يحتاجون إليها أو لا يرغبون فى الإفادة منها وربما يكون جانب كبير من تكاليف تطوير خدمة معالجة البيانات النغل هذه قد أدخل فى قاعدة التسعير فى الاتصالات وتحمل على المستفيدين من خدمات الاتصالات المشرعة. وأكثر من هذا فإن هذه الأمور الجانبية المستترة قد تؤدى إلى منافسة غير متكافئة لهؤلاء الذين يقعون فى القطاع غير المحمى بالتشريعات والذين يفرض عليهم التنافس مع هذه الشركات. وهكذا فإن التشريعات تحظر على شركات الاتصالات قطع الاستمرار فى أى خدمات اتصالات مشرعة وتحويل الخدمات المظهرية إلى شركة حليفة غير مشرعة لإعداد البيانات بدون موافقة الشعبة الفيدرالية للاتصالات.

الرأى القضائى:

لم تتخذ محكمة الولايات المتحدة للدعاوى أى موقف أو رأى إزاء معقولية أو أصالة قضية «الفصل التام» التى اتخذتها الشعبة الفيدرالية للاتصالات ومدخلها إلى

معالجة خدمات النغل والمتطلبات التي أثارتها للإشهار. ولقد اعترضت المحكمة مع ذلك على تقرير الشعبة فى نقطتين:

١ - حرمان شركات الاتصالات من شراء خدمات معالجة البيانات من شركاتهم المتحالفة المستقلة لمعالجة البيانات.

٢ - حظر استخدام الشركات المتحالفة لاسم شركة الاتصالات ورموزها فى أعمالها.

وفى مذكرتها أمام المحكمة قالت الشعبة بأن تلك القواعد كانت سارية المفعول منذ بدأت سيطرتها على شركات الاتصالات وطالما أن الشركات المتحالفة تسعى إلى اكتساب الصفة الشرعية.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد قضت المحكمة بأن اعتراض الشعبة على شراء شركات الاتصال لخدمات معالجة البيانات من شركاتها الحليفة وكذلك اعتراضها على استعمال اسم الشركة ورموزها، هما أمران خارج سلطة الشعبة التشريعية. وقد فسرت المحكمة هذه القواعد التى وضعتها الشعبة على أنها تدخل لا مبرر له من الشعبة فى سوق إعداد البيانات ولم يخولها لكونجرس هذه السلطة وقد أقحمت نفسها فيه خصيصًا وعن قصد. وباختصار فإن المحكمة بينما وجدت أن الشعبة كانت محقة تمامًا فى منع إساءة استغلال التنافس فى سوق الاتصالات، فإنها فى نفس الوقت وجدت أن اهتمامها وتدخلها فى سوق معالجة البيانات لم يكن له ما يبرره وخارج سلطاتها. وخلصت المحكمة إلى أن الإجراءات التى اتخذتها الشعبة والقواعد التى وضعتها بالنسبة لسوق معالجة البيانات هى من اختصاص الشعبة الفيدرالية للتجارة ووزارة العدل.

ولأن تلك القواعد التى وضعتها الشعبة لسوق معالجة البيانات كانت لها أهمية ثانوية بالنسبة لأهداف الشعبة التنظيمية ولأن الشعبة نفسها قد انقسمت إزاء أهمية الحاجة إلى تلك القواعد فإنها لم تحاول رفع الأمر إلى المحكمة العليا.

الإستطلاع الثانى:

بعد استطلاع ١٩٦٦ حدثت تطورات هائلة فى مجال تكنولوجيا معالجة البيانات من جهة ومجال الاتصالات من جهة ثانية وإجراءات العمل فى المجالين من جهة ثالثة.

وقد أدت هذه التطورات إلى ظهور شبكات معالجة البيانات الموزعة التى جاءت نتيجة طبيعية للمطرف الذكى والمعدات الصغيرة والحاسب المتوسط. وكان تركيز الشعبة الفيدرالية للاتصالات فى الاستطلاع الأول على الاستخدامات المتعددة للحاسب المركزى الكبير وكيفية استفادته من الاتصالات عن بعد وكيف يمكن تقنين ذلك كله. وكان هم الشعبة وقواعدها تنصب على المواقف التى تستخدم فيها شركات الاتصالات الحواسب المضيفة مع مطارف اتصالات بعيدة غير ذكية وذلك لتقديم خدمات معالجة بيانات. أما مع دخول مطارف الاتصالات البعيدة الذكية، أصبحت الأجهزة الخارجية تقوم بعمليات استنساخ بيانات بل وتوليد بيانات جديدة كانت من قبل مقصورة فقط على الحاسبات المركزية الكبيرة بل وقامت تلك المطارف الجديدة بتوجيه الرسائل من محطة إلى محطة والاتصالات البعيدة المدى.

ولقد آثارت هذه التطورات الجديدة مشاكل تعريفية وتشريعية عديدة ولعل أول قضية فى هذا الصدد تلك الرسوم التى فرضتها شركة إيه تى آند تى من وراء استعمال الخدمة الجديدة التى قدمتها آنذاك: داتا سبيد ٤٠/٤. وكانت بمعايير ذلك الوقت أجهزة للاتصال البعيد الذكى مصممة خصيصًا للالتحام مع حاسب مضيف فى نظام معالجة البيانات.

وقد طالب أفراد عديدون الشعبة الفيدرالية للمعلومات برفض هذه الرسوم على أساس أن هذه الخدمة هى خدمة معالجة بيانات وليست خدمة اتصالات وأن شركة إيه تى آند تى كانت محكومة بالقواعد التى تنظم هذه المسائل والتى سبق أن عرضنا لها حيث أن هذه الشركة بحكم قواعد ١٩٥٦ كانت ممنوعة من تقديم خدمات غير داخلة فى التشريعات.

ومع ذلك فقد قبلت الشعبة خدمة داتا سبيد ٤٠/٤ كخدمة مسعرة غير خاضعة لقواعدها وخلصت الشعبة إلى أن هذه الخدمة شبيهة فى نوعها إن لم تكن فى الدرجة بتلك التى تقدمها أجهزة الاتصالات القائمة والتى تستخدم فى نقل بيانات المدخلات إلى الحاسب الآلى والتى تستخدم أيضًا كمطرف فى إخراج بيانات مخرجة تنقل مرة أخرى إلى الحاسب.

وعلى ضوء تلك التطورات كلها أخذت الشعبة الفيدرالية للاتصالات سنة ١٩٧٦ فى إجراء استطلاع ثان للرأى طلبت فيه التعليق على القواعد المنقحة التى تأخذ فى اعتبارها ما استجد على الساحة من أنشطة جديدة فى معالجة البيانات وتتم فى إطار شبكات الاتصالات البعيدة سواء تمت تلك المعالجة فى موقع مركزى أو موقع العميل أو موقع وسيط. كذلك ألغت القواعد الجديدة المنقحة تصنيف «النغل» ووضعت مجموعة جديدة من التعريفات من شأنها الفصل بين خدمات معالجة البيانات وخدمات الاتصالات. أما القواعد الإجرائية فقد بقيت كما هى فى السياسة الأصلية وخلاصتها أن شركات الاتصالات ليس لها أن تقدم خدمات معالجة بيانات إلا من خلال شركة جانبية منفصلة وألا تدخل خدمات معالجة البيانات فى إطار التشريعات حاليًا.

وقد طلبت الشعبة الفيدرالية كجزء من الاستطلاع من المجيبين الإدلاء برأيهم حول ما إذا كانت الأجهزة الموجودة فى موقع العميل والتى تقوم بنشاط إعداد البيانات وليس مجرد تحويل البيانات تعتبر نشاطًا إتصاليًا عامًا على نحو ما كانت تيسره أجهزة داتا سبيد ٤٠/٤.

مشكلة الربط البينى:

كان الاستطلاع الأول قد أرسى أسس سياسة الاتصالات عن بعد ووضع الأساس لأى سياسة تأتى بعد ذلك تحدد طرق وأساليب إمداد المستفيدين بخدمات وتسهيلات الاتصالات عن بعد بما يتناسب مع الحاجات الحالية للمستفيدين. وهكذا كشف الاستطلاع الأول عن اعتراض الجمهور العام على القيود التى وضعتها شركات الاتصالات على ربط أجهزة المستفيدين وأنظمتهم بوسائل وقنوات الاتصال البعيد. هذه القيود وقفت حجر عثرة أمام أية اتصالات فعالة وذات كفاية أمام أصحاب الحاسبات لشبكات الاتصالات التليفونية العامة. ولذلك قامت الشعبة الفيدرالية للاتصالات بإدانة وضع أية رسوم على الاتصالات البينية داخل نظام المعلومات أيًا كانت المسافات التى تفصل بين مطارفه، واعتبرتها مسألة غير قانونية وضد حق المشتركين فى استخدام خدمات تليفوناتهم العادية بأى شكل يريدونه.

ونتيجة للقواعد الجديدة تم تنقيح ومراجعة الرسوم التى فرضتها شركات الاتصالات

البعيدة وأصبح للمشتركين الحرية فى اختيار الأجهزة والنظم التى يتعاملون بها مع الاتصالات البعيدة بما فى ذلك أجهزة المودم نفسها، والتى كانت تخدم احتياجاتهم بطريقة أفضل. وكان من حق المشتركين اختيار الأجهزة التى يرونها للاتصال البعيد طالما أنها لا تسبب أضراراً عامة لشبكة التليفونات أو تهدد سلامة موظفى شركات الاتصال. وفيما يتعلق بأجهزة الوصلات (المواجه) كان على المشتركين استخدام وصلات أو مواجهات وأجهزة ربط بينى تقدمها شركات الاتصالات فى مقابل أثمان محددة.

هذه السياسة التحررية الجديدة للربط البينى أتاحت الفرصة الكاملة لخدمة جميع أنواع أجهزة المشتركين ونظم المعلومات لديهم. وفى نفس الوقت حفزت هذه السياسة همم شركات الاتصال نحو الدخول فى منافسة شريفة لتحسين أدائها وخدماتها والمعدات التى تربط بها حاسبات المشتركين من كل الطبقات.

ومع هذا فقد ظلت السياسات الجديدة للربط بين أجهزة الحاسب وبين قنوات الاتصال محل هجوم ونقد سواء من جانب شركات الاتصالات أو من غيرها بزعم أنها قللت من الخدمة وانتقصت من دخول الشركات التى تقدمها. وقيل فى هذا الصدد أيضًا أن تحرير الربط البينى رغم كل الاعتبارات والمقاييس التى وضعت له فى السياسة الجديدة فإنه مع الإقبال وزيادة الاستخدام من جانب الأفراد والنظم سوف يثقل مع الوقت كاهل شبكة الاتصالات ويضعف من أدائها. كذلك قيل بأن الأموال التى استخدمتها شركات الاتصالات فى إمداد المشتركين بالأجهزة الحديثة للاتصال سوف تضيع هباء بسبب سرعة تطور الأجهزة وضرورة استبدالها، كذلك اضطرار الشركات إلى تخفيض أسعار هذه الأجهزة للدخول فى المنافسة. وكان من المحتوم إن عاجلاً أو آجلاً زيادة أسعار خدمات الاتصال العادية لتعويض ذلك.

وعلى الجانب الآخر رأى البعض أن القيود مازال كثيرة وأنها يجب أن تخفف أكثر، ورأوا أنه لا مبرر لأن تدفع طبقة من المشتركين رسومًا أكثر من طبقة أخرى وأنه لابد من المساواة بين المشتركين جميعًا حتى لا تدعم طبقة الطبقات الأخرى من منطلق التسعير على أساس الخدمة. وكانت هناك شكوى أخرى من جراء المنافسة غير العادلة فى مجال إمداد المشتركين بأجهزة الربط والاتصالات.

كذلك اتخذت الشعبة الفيدرالية للاتصال خطوات من شأنها تقليص المتطلبات التى تطلب من المشتركين عند تأجيره جهاز وخدمة الربط البينى من شركة التليفونات حتى يتمكن من استخدام مطرفه الخاص.

شركات الاتصالات المتخصصة:

كما أشرنا من قبل وجهت انتقادات كثيرة من جانب جمهور المستفيدين إلى نقص وعدم كفاءة خدمات نقل البيانات التى كانت موجودة آنذاك ولأسلوب شركات الاتصالات فى تقديمها. وعبر الجمهور كذلك عن رغبته فى تحسين أداء تلك الخدمات وتطوير أجهزتها. وكان جانب من تلك الانتقادات قد انصب على أن الشركات تركز فقط على قنوات نقل المعلومات الصوتية أكثر مما تركز على نقل المعلومات المكتوبة. وكانت هناك ملاحظات على أن ثمة فوارق كثيرة بين الاتصالات الصوتية والاتصالات المكتوبة وأن مجرد تعديل بعض الأجهزة فى شبكات الاتصالات الصوتية لا يمكن ببساطة أن يحل المشكلة. وقد قيل فى هذا الصدد أن شبكات الاتصال لا تقدم خدمات تحويل إلا بسرعة ٢٤٠٠ لقيمة فى الثانية، كما أنها لم تكن تقدم خدمات تأجير خطوط وقنوات بين ٢٤٠٠ و ٥٠,٠٠٠ لقيمة في الثانية. وهذا يعنى أنه على مستخدم الحاسب الآلى أن يدفع مبالغ إضافية لكى يستأجر خط النقل الأسرع أو أن يشغل أجهزته بأقل من سرعتها الحقيقية. وكان الأمر المطروح هو هل شبكات التليفونات الوطنية التمويلية بإدخال تعديلات أساسية على أجهزتها وقنواتها وإجراءاتها حتى تواكب المتطلبات الخاصة بالسرعة ونوع النقل أم تنشأ شبكة وطنية جديدة تقام خصيصًا وتصمم لنقل البيانات على أساس اقتصادى وفنى جديد؟.

وكانت الانتقادات التى وجهت للبنية الأساسية لصناعة الاتصالات التى كانت قائمة آنذاك وعدم قدرتها على الاستجابة الفورية لاحتياجات خدمات نقل البيانات، تلك الخدمات الجديدة والمطورة والمتزايدة آنذاك. تلك الانتقادات حفزت الشعبة الفيدرالية للاتصالات على صياغة سياسة جديدة سنة ١٩٧١ تسمح بإنشاء شركات متخصصة لنقل البيانات بين المدن لخدمة سوق المعلومات وخاصة المكتوبة؛ وترجع جذور هذه الفكرة إلى سنة ١٩٦٣ عندما استخدمت الموجات القصيرة (ميكروويف) فى الاتصالات وكان أول مشروع فى هذا الصدد قد صمم لاستحداث نظام ميكروويف

بالراديو للاتصال بين شيكاغو وسانت لويس. وقد عرض فى ذلك الوقت أن تقوم الشركة المنفذة بتصميم خدمات خطوط وقنوات تفصيل حسب الطلب لاتصالات رجال الأعمال والمال والتجارة كما عرضت أسعاراً أقل وخدمات لا نظير لها عند شركة إيه تى آند تى والاتحاد الغربى فى ذلك الوقت.

وقد اعترضت الشركات القائمة آنذاك بشدة على العروض التى قدمتها شركة ميكروويف فى جلسة الاستماع التى عقدتها الشعبة الفيدرالية للاتصالات لمعرفة مدى الحاجة إلى هذا النوع من الاتصالات. وبعد ست سنوات وفى أغسطس ١٩٦٩ أيدت الشعبة الاقتراح من جديد وأصلته وقننته مما دعا العديد من الشركات المتخصصة إلى الدخول فى مجال الاتصالات القصيرة بين المدن. وكان الاعتراض الأساسى هو أن الاتصالات القصيرة هذه سوف تؤسس نظمًا غير اقتصادية للاتصال كما تمثل تكراراً لنظم موجودة بالفعل إذ هى جزء من طرق الاتصالات البعيدة وستمثل عبئًا على المستفيد بل وأكثر من هذا تبديد للذبذبات. وفى سنة ١٩٧١ وبناء على استطلاع عام قررت الشعبة أن هناك حاجة جماهيرية للشركات المتخصصة فى مجال نقل البيانات. وكان نص قرار الشعبة فى هذا الصدد هو:

هناك تأييد كاسح للمقولة التى تقول بأن سوق الاتصالات المتخصصة وخاصة اتصالات البيانات تنمو بخطى سريعة وهناك سوق عريضة جدًا لهذا النوع من الاتصالات سوف تقام.

وفعلاً جاء هذا النوع من الاتصالات استجابة لحاجات جديدة فى مجتمع رجال الأعمال والبحث العلمى والتعليم والإدارات الحكومية المختلفة. ويوجد على الساحة الآن ثلاثة أنواع من شركات الاتصالات المتخصصة:

١ - نوع يركز على الخطوط الخاصة والمؤجرة سواء خطوط الصوت أو البيانات أو الفاكس. وهناك عدد كبير من هذه الشركات يمارس عمله على النطاقين الوطنى والعالمى. بعض هذه الشركات يبنى خطوطه ونظامه بنفسه وبعضها يؤجر قنواته وخطوطه من شركات قائمة بالفعل.

٢ - نوع ثان يركز فقط على نقل البيانات دون الأنواع الأخرى من النقل. وهى أساسًا عملية نقل رقمى تحويلى للبيانات.

٣ ـ نوع ثالث يطلق عليه شركات إعادة البيع أو شركات القيمة المضافة. وهذا النوع على عكس النوعين السابقين لا يقيم منشآت خاصة به ولا يدير عمليات النقل بنفسه.

ولكن فقط يؤجر تسهيلات من الشركات القائمة بالفعل ويوصلها بالحاسبات والبرامج المبعثرة جغرافيًا على حسابه هو كي يقدم لزبائنه خدمات اتصال بيانات سواء من مطرف إلى حاسب أو من حاسب إلى حاسب. وهناك عشرات من الشركات القائمة الآن من هذا النوع. وهذه الشركات جميعًا في الولايات المتحدة مسجلة لدى الشعبة الفيدرالية للاتصالات. وقد يطلق عليها كما رأينا شركات إعادة البيع أو شركات القيمة المضافة لأنها تشترى خدمة قائمة بالفعل من شركة الاتصالات وتعيد بيعها بسعر أعلى أى البيع أو الإيجار من الباطن.

الاتصالات عبر الأقمار الصناعية:

كان الاتحاد السوفيتى المنحل والولايات المتحدة من أوائل الدول التى أطلقت الأقمار الصناعية إلى الفضاء لأغراض الاتصالات البعيدة وذلك فى بداية الستينات. ففى الولايات المتحدة سنة ١٩٦٢م أقر الكونجرس قانونًا يسمح للولايات المتحدة بالمشاركة فى نظام الاتصال العالمى عبر الأقمار الصناعية. وبمقتضى هذا القانون تم إنشاء شركة اتصالات القمر الصناعى عن طريق مجمع يضم مجموعة من الدول. وكان الهدف هو مساندة شبكات الاتصالات عبر أنحاء العالم.

وترك للشعبة الفيدرالية للاتصالات الحرية فى أن تضع السياسة الخاصة باستخدام القمر الصناعى فى الأغراض الداخلية. وبعد ست سنوات وفى سنة ١٩٧٢م قامت الشعبة بوضع سياسة مرنة للدخول فى هذا المضمار وتركت صناعة وإطلاق الأقمار الصناعية واستخدامها للاتصالات داخل الولايات المتحدة مفتوحة أمام سوق تنافسية وسماء مفتوحة أمام حرية التعبير. ومنذ سنة ١٩٧٤م قام فى الولايات المتحدة مجموعة نظم للأقمار الصناعية كان أولها شركة الاتحاد الغربى التى أدارت القمر الصناعى (ويستار ١) وقد تبعها فى هذا الشأن شركة آر سى إيه العالمية وشركة إيه تى آند تى ثم توالت نظم الأقمار الصناعية. وكانت هذه النظم هى أقوى سند لنقل البيانات

والمعلومات كما نعرف. وكان نظام إيه تى آند تى قد بقى حكراً على الخدمات التى تقدمها الشركة لزبائنها وكذلك للإدارات الحكومية. وكان ذلك الحكر قد جاء من جانب الشعبة الفيدرالية للاتصالات حتى تتاح للشركات الأخرى الفرصة كى تتغلغل فى سوق الأقمار الصناعية والخدمات المتخصصة.

ومن بين القرارات الأخرى التى أثرت فى صناعة الاتصالات والتى اتخذتها الشعبة الفيدرالية للاتصالات إزالة العوائق والمحظورات من أمام رسوم الاتصالات والتعريفة المفروضة عليها والتى كانت قد وضعتها شركات الاتصالات ضد إعادة بيع أو المشاركة فى الخطوط الخاصة. وقد اتخذت الشعبة هذا الإجراء بعد استطلاع عام رأى أن هذه القيود الموضوعة أمام إعادة بيع خدمات الاتصال أو المشاركة فيها لا تتمشى مع الاستغلال الأمثل والأرخص لتلك التسهيلات والخدمات. ومع ذلك فقد قررت الشعبة أن من يقوم بعملية إعادة بيع خدمات الاتصال لابد وأن تنطبق عليه شروط شركات الاتصالات الخاضعة لأحكام قانون الاتصالات وتكون لديه الإمكانيات اللازمة لذلك. وبالنسبة للمشاركة فى خدمات شركات الاتصال قررت الشعبة أن المشاركين يجب ألا يسعوا إلى الربح من وراء هذه المشاركة وأن التكاليف الناجمة عن المشاركة يجب أن تقسم عليهم بنسب محددة.

استجابات شركات الاتصالات للمنافسة:

كان لابد للشركات الراسخة فى مجال الاتصالات أن تستجيب للمنافسة فى مجال خدمات الاتصالات المتخصصة التى دعت إليها الشعبة الفيدرالية للاتصالات وقد جاءت هذه الاستجابات بطرق شتى. من ناحية قام البعض بالهجوم على السياسة التنافسية التى أقرتها الشعبة، واتخذت إجراءات ضد الشعبة والهيئات التشريعية فى الدولة ومن بينها الكونجرس نفسه. وكانت استراتيجية هذا البعض هى إثارة الرأى العام ضد هذه السياسات التنافسية فى سوق الاتصالات المتخصصة وكيف أنها ستخرب الصالح العام. وعلى سبيل المثال فإنه فى أكتوبر ١٩٧٣، فى الوقت الذى بدأ فيه عدد قليل من شركات الاتصالات المتخصصة أعمالها تقدمت شركة إيه تى آند تى بالتماس لإصدار قرار رسمى بتأجيل أية موافقات لإنشاء شركات جديدة لاتصالات الميكروويف بالراديو.

وقد رفضت الشعبة هذا الالتماس على أنه سابق لأوانه في مجال الاتصالات المتخصصة. وفى سنة ١٩٧٦م تقدمت شركة إيه تى آند تى إلى الكونجرس وطلبت إليه إصدار تشريع لإلغاء سياسة المنافسة فى سوق الاتصالات المتخصصة. ولو صدر مثل هذا القرار فإنه كان يعنى تجريد الشعبة من إصدار أى تشريع يتعلق بالربط البينى للأجهزة التى يملكها المستفيدون ويصمم هذا التجريد بين الولايات الخمسين جميعًا. وكان يمكن أن يفرض على الشعبة مجموعة جديدة من السياسات التشريعية والمعايير التى تجعل المنافسة فى سوق الاتصالات المتخصصة صعبة للغاية إن لم تكن مستحيلة، وقد رفض هذا الاقتراح رغم أنه قدم مرة ثانية إلى الكونجرس سنة ١٩٧٧، على أساس أنه يهدف إلى خلق احتكار لا مبرر له فى أسواق الاتصالات، التى يمكن أن تزدهر وتنمو أكثر لو أنها تركت للمنافسة الحرة الشريفة العادلة.

وعلى الرغم من أن اقتراح شركة إيه تى آند تى قد رفض بشدة من جانب الكونجرس إلا أن المناقشات حوله قد احتدمت فى أروقة لجان الاتصالات فى مجلس النواب والشيوخ. وخلصت تلك المناقشات والجدالات إلى ضرورة إعادة النظر كلية فى سياسة الاتصالات ومراجعتها. وطالت هذه المناقشات مدى استجابة صناعة الاتصالات والتشريعات المتعلقة بها التطورات التكنولوجية المتلاحقة التى لحقت بهذا القطاع.

وفضلاً عن هذه الاستراتيجيات السياسية قامت شركات الاتصالات بإدخال خدمة جديدة متطورة حتى تستجيب لسوق المنافسة فى مجال الاتصالات المتخصصة. وفى هذا الصدد أكدت الشعبة على ضرورة المنافسة من أجل الصالح العام حيث قررت:

إننا على أية حال نركز على أن هدفنا هو خلق بيئة ومناخ تستطيع فيهما الشركات القائمة والشركات الجديدة أن تتنافس بعدالة وشرف فى بيع خدمات اتصالات متخصصة. ليس هناك من سبب لأن ننكر على الجمهور المزايا التى تنبع من المشاركة الفعالة والقوية من جانب شركات نظام بل والاتحاد الغربى فى هذه السوق.

ومن هذا المنطلق كانت استجابة الشركات القائمة للمنافسة متوقعة. وكانت فى حقيقة الأمر مدعوة بحرارة من جانب الشعبة لأن تفى بمعيار «المنافسة العادلة والكاملة» وكانت شركة الاتحاد الغربى هى أول الشركات للاستجابة حيث قدمت فى سنة

١٩٧٢م أسعاراً مناسبة للاتصالات عبر الميكروويف، وخاصة للمسافات القصيرة عبر البحر. وفى فبراير ١٩٧٣م قامت شركة إيه تى آند تى بإعادة بناء وتسعير خدمات الخطوط الخاصة (السلسلة المعروفة ٢٠٠٠/ ٣٠٠٠) وذلك حتى تعوض الخسارة يمكن أن تمنى بها من وراء الانصراف عن الاتصالات البعيدة إلى الاتصالات بالميكروويف وكذلك أعباء إعادة بناء الشبكة. وكانت فى إعادة تسعير خدماتها قد قسمت الخطوط إلى نوعين: خطوط الاستخدام المرتفع؛ خطوط الاستخدام المنخفض. وقد تم تخفيض أسعار خطوط الاستخدام المرتفع وهى الخطوط التى تنافس عليها شركات الاتصالات المتخصصة. كما تم رفع أسعار خطوط الاستخدام المنخفض وهى تلك الخطوط التى تقل عليها المنافسة من جانب شركات الاتصالات المتخصصة. وكان من الواضح أن السبب فى إعادة التسعير هذه أن تكاليف الخطوط ذات الاستخدام المرتفع كانت أقل، بينما كانت تكاليف خدمة الخطوط ذات الاستخدام المنخفض كانت أعلى.

وعلى الرغم من أن الأسعار الجديدة لشركة إيه تى آند تى قد أصبحت نافذة المفعول اعتباراً من يونية ١٩٧٤م إلا أن الشعبة الفيدرالية للاتصالات وجدت أن الأسعار الجديدة غير مبررة وأنها غير متميزة. ولذلك قامت الشركة فى مطلع سنة ١٩٧٦م بطرح خدمة خطوط خاصة جديدة باسم (الخط الخاص متعدد الأغراض). وقد قسمت بمقتضاه مناطق الخدمة إلى فئتين: الفئة أ وهى المناطق التى تقع فى المناطق التى تخدمها خطوط ذات طاقة عالية؛ وهذه محددة فى جدول التعريفة؛ الفئة ب وهى سائر المناطق الأخرى. وخدمات الفئة أ هى الأقل فى التسعيرة بالميل الواحد، والمناطق فى الفئة ب هى الأعلى فى التسعيرة بالميل. وقد اعترض المستفيدون على هذه التسعيرة من جهة كما اعترضت عليها الشركات الأخرى المنافسة فى مجال الاتصالات المتخصصة. وقد قامت الشعبة الفيدرالية بعمل استطلاع على تلك التسعيرة وجاءت النتيجة لصالحها ومن ثم تم إقرارها والعمل بها.

وإلى جانب تلك التجديدات فى مجال الخطوط الخاصة قامت شركة إيه تى آند تى باستحداث خدمة تنافسية جديدة هى خدمة البيانات الرقمية التليفونية. وهى خدمات اتصال بعيدة للبيانات الرقمية. وقد استخدمت الشركة تكنولوجيا «البيانات بالصوت» والتى تستفيد من الأجزاء غير المستعملة من ذبذبات راديو الموجة القصيرة ـ التى كانت

تستخدم للاتصالات الرقمية على المستوى الوطنى - فى دعم الشبكة الصوتية القائمة بالفعل. وقد حددت الشركة أسعاراً للخدمة الجديدة زعمت أنها قائمة على أساس التكلفة الفعلية ولكنها فى حقيقة الأمر كانت أقل ٢٦٪ من الواقع وذلك حتى تستطيع الشركة اكتساح السوق بنسبة ١٠٠٪ وبالتالى سيطرت الشركة على سوق الاتصالات الرقمية. وقد احتج المنافسون على تلك الأسعار ورفعوا احتجاجهم إلى الشعبة الفيدرالية للاتصالات التى طالبت الشركة برفعها ومن ثم رفعت بالتدريج.

وخلاصة القول فى مجال الاتصالات البعيدة، أن التطورات الحادثة فى مجال تكنولوجيا الاتصالات ومجال الحاسبات والالتقاء بين هاتين التكنولوجيتين، قد أفرزت حاجات جديدة لدى المستفيدين ولصالح المستفيدين من بينها تنويع استخدام البيانات وتوليد بيانات جديدة وخلق خدمات اتصال لرجال الأعمال والمال والباحثين؛ ولم يقتصر الأمر على الخدمات بل امتد إلى الأجهزة والمعدات. ونتيجة لذلك كان لابد من إعادة النظر فى السياسة القديمة للاتصالات البعيدة ووضع سياسة جديدة لها تركز على السوق التنافسية بدلاً من السوق الاحتكارية التى كانت قائمة والذى كان قائماً أساساً على شركة واحدة. ويعتمد نجاح السياسة التنافسية على مجموعة من العوامل **أولها:** المنافسة فى السوق بين شركات التليفونات من جهة وشركات الاتصالات المتخصصة الجديدة من جهة ثانية، واستجابة المستهلكين لأداء هذين النوعين من الشركات من جهة ثالثة. **وثانيها:** مدى فاعلية القوانين والتشريعات فى منع الاحتكارات والمنافسات غير العادلة وغير الشريفة. والتسعيرة غير الواقعية للخدمات وغير ذلك من الممارسات غير القانونية من جانب أى طرف من الأطراف يحاول أن يفسد الدور الطبيعى لقوى السوق التنافسية **وثالثها:** فإن سوق المنافسة قد يؤثر فيها سلبًا وإيجابًا المسائل السياسية والمزايدات التى يلعبها طرف من الأطراف تحت دعوى الصالح العام وحيث يرى البعض فى الاحتكار تخفيضاً للأسعار ومن ثم تجويداً فى خدمات وتسهيلات الاتصالات.

المصادر:

- Federal Communications Commission (FCC). Notice of inquiry, in the matter of regulatory and policy problems presented by the interdepen-

dence of computer and communication services and facilities .- Washington: FCC, 1967. (Docket FCC no. 16 979).

- First report and order in the matter establishment of policies and procedures for consideration of application to provide specialized common carrier services .- Washington: FCC, 1971. (Docket no. 18920).

- Policies and issues presented by the interdependence of computer and communications services .- Stanford: Stanford Research Institute, 1969. 7 vols. (Report no 737913).

- Strassburg, Bernard and Donald J. Elardo .Telecommunications.- **in** .- Encyclopedia of Library and Information Science .- New York: Marcel Dekker, 1980. vol. 30.

- Longley, Dennis and Michael Shain. Dictionary of information technology .- 2 **nd** ed .- London: Macmillan Press, 1985.

الاتصال، وقت

Access Time

يعرف قاموس ودليل الحاسب الآلى الذى أعده سيبل وكذلك قاموس تكنولوجيا المعلومات الذى توفر عليه كل من دينيس لونجلى و مايكل شين وغيرهما من القواميس المتخصصة وقت الاتصال على النحو الآتى:

١ ـ الوقت الفعلى المستغرق بين طلب المعلومات من الحاسب الآلى وغيره من أجهزة اختزان المعلومات واللحظة الفعلية التى ترد فيها المعلومات المطلوبة إلى وحدة الضبط المركزى والعكس. (وقت القراءة).

٢ ـ الوقت الفعلى المستغرق بين اللحظة التى تكون المعلومات فيها جاهزة للاختزان (التسجيل) واللحظة التى يتم فيها الاختزان فعلاً (وقت الكتابة).

٣ ـ فى حالة التسجيلات (السمعية أو المرئية) يكون وقت الاتصال هو ذلك الوقت المستغرق بين لحظة تشغيل التسجيل ولحظة استرجاع المادة.

ويطلق وقت الاتصال أكثر ما يطلق على أنظمة الحاسب وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة وأنظمة قواعد البيانات المليزرة.

ولعل أحد الخصائص الثلاث أو الأربع المميزة للحاسبات الإلكترونية الرقمية التى هى إحدى معجزات القرن العشرين، هى القدرة المرنة على اختزان واسترجاع كميات هائلة من المعلومات فى وقت قياسى. وينبع تعدد استعمال الحاسب الآلى من قدرته على القيام بالعمليات الأساسية التى تسمح بحل مشكلات لا نهاية لها طالما أن المشكلة وحلها يمكن التعبير عنها بطريقة منطقية كاملة. وهذا التنظيم للمشكلة وتهيئتها للحل يتطلب أعداداً كبيرة من التعليمات ووحدات البيانات التى يجب اختزانها فى الحاسب وإتاحتها فى تتابع منطقى معين وبحيث يمكن عند القيام بأية عملية على الحاسب أن تخرج التعليمات من الذاكرة إلى وحدة الضبط والبيانات المطلوبة من الذاكرة إلى وحدة الاعداد أو الحساب وعندما تحدث المقابلة يتم إخراج النتائج. ومع تطوير سرعات الحاسب الآلى يكون هناك احتمال عدم التوازن الحاد بين الوقت المطلوب للتحسيب والوقت المطلوب للرجوع إلى الذاكرة (وقت الاتصال). وهذا الاحتمال أدى إلى بذل مجهودات كبيرة لزيادة سرعات عملية الاختزان. وأصبح «وقت الاتصال» أحد خصائص نظم الحاسبات ومعياراً من معايير تقييم الحاسبات الإلكترونية وتدور مناقشتنا لوقت الاتصال حول متغيرات التأويل والقياس والتعبير على حسب تصميم الذاكرة، ثم تنطلق المناقشة إلى تأثير وقت الاتصال على البرمجة أى على المنطق المستخدم لتأدية وظائف الحاسب.

تصنف أجهزة الاختزان (الذاكرة) على أسس: **أولية** وهى التى تحتوى مباشرة على البيانات الجاهزة للاستعمال داخل الحاسب أو **ثانوية** وهى التى تحتوى على كميات أكبر من البيانات المعضدة خارج الحاسب. والذاكرة الأولية فى الحاسبات الحديثة تستخدم شكلاً من أشكال الرقائق الممغنطة. وفى جميع الذاكرات الممغنطة يحسب وقت الاتصال لكل وحدات البيانات على أساس واحد هو «الكلمة أو البايت» وهو شبيه فى ترتيب الأهمية بوقت تنفيذ التعليمات، أى أن وقت الاختزان هو فى نفس

مرتبة وقت الاسترجاع. وأقصر وقت اتصال وصلت إليه الحاسبات الحالية هو ميكروثانية أى واحد على مليون من الثانية ويتفاوت بين ميكروثانية واحدة إلى عدة ميكروات ثانية، استناداً إلى الجهاز والتكاليف. وبالنسبة للعديد من الحاسبات يتأتى الوقت الأقصر فى الاتصال من مزج أجزاء دوائر القراءة وإعادة الاختزان فى مناطق الذاكرة. وقد جرت محاولات عديدة لإنتاج وتصنيع وحدات اختزان ذات وقت اتصال أسرع، وقد أتت هذه المحاولات أكلاً طيبة فى نهاية قرننا العشرين. وإحدى هذه المحاولات تستخدم شرائح فيلمية رقيقة منفصلة وممغنطة، وقد خرج من بطن هذه المحاولة محاولات أخرى نجحت إلى حد كبير حيث وجد أن ذاكرة الشرائح الفيلمية الرقيقة أسرع من شرائح أو لب المغناطيس وتبلغ سرعة وقت الاتصال هنا ما بين ١٠٠ ـ ٥٠٠ نانو ثانية (واحد على بليون (مليار) من الثانية. وتستخدم هذه الأساليب فى نظم الذاكرة الطبقية وأغراض الاختزان عالية السرعة والحصول على نتائج فورية.

أما أجهزة الذاكرة الثانوية (المعضدة) فإنها أبطأ (وقت اتصال أطول) وأكبر حجماً من أجهزة الذاكرة الأولية؛ وأوسعها انتشاراً هى الطبلة الممغنطة والقرص المغنط. ونظام الاختزان على الطبلة الممغنطة يستخدم اسطوانة مغطاة بمادة مغناطيسية ومزود برؤوس للقراءة والتسجيل موضوعة إلى جانب بعضها فى أماكن محددة قريبة (عادة) من سطح الطبلة الدوار. وتسجل البيانات فى هذا الوضع وتقرأ فى مجموعات من (الكلمات) فى سطور تتقابل مع العناوين المحددة. وهكذا يكون وقت الاتصال عادة هو متوسط وقت الانتظار الذى يستغرقه السطر المعنون حتى يأتى دوره فى الوضع الذى يقرأ أو يكتب فيه. وهذا الوقت يساوى تقريبًا ثمانية مللى ثانية (واحد على ألف من الثانية) فى معظم النظم المتاحة. وفى بعض النظم لو كان المطلوب هو نقل كتل متتابعة من اللقيمات إلى أو من وحدة الذاكرة فإن معدل النقل يكون حوالى مليون لقيمة فى الثانية بعد وصول أول بيانات معنونة.

والشكل الثانى الشائع للذاكرة الثانوية هو نظام القرص المغنط. وعلى الرغم من الاختلافات والفروق الكبيرة فى تصميماتها إلا أنها تتفق فى الخطوط العريضة وهو فى تصميمه الميكانيكى يشبه صندوق الألحان المعمول به فى أقراص الليزر إذ يشتمل النظام على عدد من الأقراص كل قرص منها ينطوى على مسارات مكثفة ذات قابلية

مغناطيسية. هذه الأقراص توضع متوازية ولكن على مسافات تسمح بأن يدخل بينها وبدقة متناهية ذراع متحرك يحمل دبوسًا أو سنًا أو إبرة للقراءة والكتابة. ووقت الاتصال بالنسبة للذراع المتحرك هو الوقت المطلوب لدخول الإبرة إلى المسار المحدد للقراءة أو الكتابة وهو ما يشبه وقت الانتظار بالنسبة لنظم الطبلة الممغنطة التى أشرنا إليها آنفًا. ويختلف وقت دخول الإبرة إلى المسار من نظام إلى نظام ولكنه عمومًا يتراوح ما بين ٦٥ و ١٧٠ مللى ثانية، بينما فى حالة الطبلة الممغنطة فإن وقت الانتظار يتراوح ما بين ١٧ و ٢٦ مللى ثانية. أما طاقة الاختزان فإنها تتراوح ما بين ٢٠٠ مليون إلى ١٢ بليون لقيمة.

وهناك تشكيلة أخرى من نظم الذاكرة الثانوية يمكن جمعها تحت رأس واحد هو «نظم الوسائل القابلة للنزع» ويدخل تحت هذا الرأس: عبوة القرص الواحد؛ عبوة الأقراص المتعددة؛ نظم الشريط اللولبى؛ مشغلات الأشرطة الممغنطة؛ نظم البطاقة الممغنطة. وعبوات الأقراص شبيهة من حيث المبدأ بنظم الأقراص المشروحة سابقًا ولكنها تمتاز عنها فى أن عدد الخراطيش القابلة للنزع والإزالة يمكن أن يتراكم وكل منها يحمل برامج وبيانات خاصة بتطبيق معين. وفيما يتعلق بنظام عبوة الأقراص المتعددة فإنه يصلح للتطبيق فى المجالات التى تحتاج كميات كبيرة من البيانات حيث يسمح النظام بترتيب عناصر المشكلة فتأتى البيانات الخاصة بكل عنصر من عبوات الأقراص المختلفة حسب الطلبات المتعددة ومن ثم يبقى وقت الاتصال فى حده الأدنى. ونظام الأشرطة اللولبية هو الآخر شبيه بنظم الأقراص ولكنه لم ينتشر انتشارها. وهو من جهة أخرى يختلف عن مشغلات الأشرطة الممغنطة من الناحية التكنولوجية التى وظيفتها الطبيعية أن تساعد فى عملية الإدخال والإخراج أكثر مما تخدم كذاكرة ثانوية. وبطبيعة الحال عندما تستخدم مشغلات الأشرطة هذه فى توليد وفرز والبحث فى كميات هائلة من المعلومات مختزنة على عدد كبير من البكرات، فإن مشغلات الأشرطة هذه تصنف تحت «الذاكرة الخارجية» طالما أن الوحدات الفردية للبيانات لا تعنون عادة ولكن تولد على هيئة كتل فقط. ومن هذا المنطلق لا يمكن تأسيس «وقت الاتصال» بالمعنى الذى اتفقنا عليه سابقًا. ولو حاولنا على سبيل التقريب تقدير هذا الوقت فى هذه الأحوال فإن وقت الاتصال هنا يمكن أن يحسب بالثوانى وربما بالدقائق

وليس بالمللى ثانية وذلك للسماح بدوران بكرات الأشرطة. أما نظام البطاقة الممغنطة فقد اخترع لحل نفس تلك المشكلة، ذلك أن هذا النظام إنما يدمج مفهوم البيانات الموحدة فى البطاقة المثقبة مع مفهوم التسجيل الممغنط للبيانات الرقمية. والبطاقات البلاستيك الفردية تتراوح فى الحجم ما بين ٢ × ١٢ بوصة و٦ × ١٤ بوصة وتجمع هذه البطاقات فى خراطيش أو خلايا تستوعب الخرطوشة الواحدة ما بين ١٠٠ و ٥٠٠ بطاقة. وهناك من نظم خراطيش البطاقات هذه ما تصل طاقته الاستيعابية إلى ٤,٧ بليون لقيمة فى الوحدة الواحدة التى تقوم على ١٦ خرطوشة. ووقت الاتصال هنا هو متوسط الوقت اللازم لاختيار وتثبيت الخرطوشة والعثور على البطاقة الفردية داخلها وتثبيت إبرة القراءة على مسار محدد فى البطاقة وهذه جميعها لايزيد وقتها عن ثانية واحدة.

ونأتى بعد ذلك إلى النقطة التالية فى وقت الاتصال وهى المتعلقة بتأثير وقت الاتصال على البرمجة وعلى منطق البرمجة. ففى حالة الجيل الأول من الحاسبات الحديثة وهى: إدفاك، يونيفاك، سياك، ريثون، إيرا ـ ١١٠١، كان وسيط التخزين فى الذاكرة الأولية إما شكلاً من أشكال خط التأجيل الزئبقى أو نظام الطبلة الممغنطة. ويمكن أن يكون هناك فارق كبير بين السرعة الدنيا والسرعة القصوى فى حل المشكلة أى الحصول على النتائج استناداً إلى الاختلافات فى تحديد مواضع تخزين كل من التعليمات والبيانات. ولذلك شحذ المبرمجون مهاراتهم وزناد فكرهم مع هذه الأنواع من الحاسبات لابتكار برامج تحقق سرعة أكبر وأكبر فى إجراء العمليات. وظهر فى قاموس أرباب الحاسبات الآلية مصطلح «الحد الأدنى لوقت الاتصال» أو «الحد الأدنى للانتظار». وفى حالة الحاسبات ذات المنطق متعدد العناوين والتعليمات مثل إدفاك، سياك، ريثون تم الوصول إلى الحد الأدنى لوقت الاتصال عن طريق التحديد الصحيح لمواضع اللقيمات فى الذاكرة عن طريق حصص محددة لتنفيذ الأنواع المختلفة من التعليمات فى أوقات محددة وعن طريق أسر أو قنص الجزء المعين من البيانات أو التعليمات عند اللحظة أو قريباً من اللحظة الخاصة بها فى دائرة الانتظار حتى يحين موعدها. وفى تلك الآلات كان عنوان التعليمة التالية يحدد فى نفس وقت التعليمة الجارية وبالتالى كانت هناك مرونة كافية فى هذا الصدد. أما فى الآلات التى تعمل

بنظم الطبلة الممغنطة فى الذاكرة الأولية فإن وظيفة الخاصة بتقليص وقت الانتظار قد انطوت على تخطيط وضع اللقيمات (الخاصة بالتعليمات أو البيانات فى مواضع معينة على الطبلة على مسافات مقدرة تقديراً حاداً يتناسب مع وقت كل تعليمة فردية وتوافر اللقيمة المناسبة لها خلال دوران الطبلة.

ومع ظهور طرق الذاكرة الأولية التى لا تنطوى على تفاوت كبير فى وقت الاتصال (وهى كما أسلفت نظم الرقائق الممغنطة) لم تعد هناك حاجة إلى الاهتمام البالغ ببرامج الحد الأدنى من وقت الاتصال من الناحية العملية. ومع ذلك فإنه فى حالة التطبيقات التى تستدعى تناول كميات كبيرة من البيانات والتعليمات فرضت استعمالات الذاكرة الثانوية اعتبارات كتلك التى ناقشناها سابقًا. ففى المواقف العادية تنقل كتلة من الكلمات من الذاكرة الثانوية إلى الذاكرة الأولية بما يتناسب مع تفتيت المشكلة التى نحن بصدد حلها. وثمة أساس آخر عام لنقل الكتلة وهو تقسيم الكميات الضخمة من البيانات إلى مجموعات عمل معقولة الحجم للتحليل من الذاكرة الأولية. وإذا كان نقل الكتلة مسألة ضرورية فى بعض التطبيقات فإن مسألة وقت الاتصال تصبح حادة ولابد من إعطاء وقت الانتظار أهمية خاصة، ذلك الوقت الذى ينتج عن دوران الطبلة أو القرص وعن الذراع المتحرك وخرطوشة التحميل وما إلى ذلك.

ولقد أعفت طرق البرمجة الحديثة إلى جانب التطوير المستمر للأجهزة، المبرمجين من بذل مجهود خاص لتقليل وقت الاتصال عند وضع منطق البرمجة وعند التشغير الفعلى. ذلك أن البرمجيات تتضمن خطوات تنفيذية مصممة لأداء تكليفات محددة أو إعادة الأداء لتوزيع التعليمات والبيانات على العناوين المرموزة ويمكن إعادة استخدام هذه التكليفات فى الوقت المحدد. ومن جهة ثانية فإن وجود السجلات التكشيفية فى الحاسبات الحالية وقدرتها الآلية الفائقة على تعديل العناوين أثناء وقت التنفيذ، قد أثر تأثيراً عميقًا فى منطق البرمجة. وعند تقييم القوة والفاعلية الحقيقية للأجهزة والمبرمجين ولمخططى النظم فإننا يمكن أن نعتمد على كتيبات الشركات المصنعة وما تقوله حول ملامح وخواص تلك الأجهزة وخاصة وقت الاتصال فى الذاكرة الأولية وقياسات توافر البيانات فى الذاكرة الثانوية؛ ذلك أفضل بذل جهد مضاعف لتحقيق أقصى سرعة من خلال البرمجة.

ومن المؤكد أن المستقبل قد يحمل تطورات كبيرة فى مجال تقليل وقت الاتصال وخاصة التطوير الهائل فى المعدات والبرمجيات الذى شهدته السنوات الأخيرة من القرن العشرين.

المصادر:

- Craver, J. S. "A review of electromechanical mass storage".- in .- Documentation .- vol. 12, no 7, 1966. pp 22 - 28.

- Hobbs, L. C. "Present and future state - of - the - art in computer memories".- in .- IEEE transactions on electronic computers .- vol. Ec - 15, 1966. pp 534 ff. (Institute of Electrical and Electronics Engineers).

- Longley, Dennis and Michael Shain. Dictionary of Information Technology .- 2 nd ed .- London: Macmillan Press, 1985.

- Snyder, Samuel. "Access time" .- in .- Encyclopedia of Library and Information Science .- New York: Marcel Dekker, 1968. vol. 1.

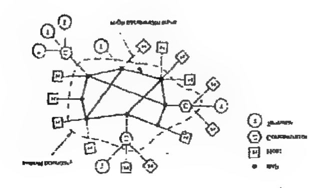
اتصالات البيانات

Data Communications

يقصد باتصالات البيانات نقل أو تحويل البيانات من الشخص إلى البرنامج أو من البرنامج إلى البرنامج أو بين مواقع جغرافية متباعدة. كذلك قد تحدث اتصالات البيانات بين محطات العمل وبين الحاسبات الآلية داخل منطقة جغرافية محدودة مثل مبنى المكاتب أو حرم الكلية وهى الحالات التى تصنف فيها الشبكات على أنها شبكات المناطق المحلية. ولو أن المناطق التى تنتقل بينها البيانات كانت فى مدن مختلفة متنائية ويربط بينها شبكات تليفونية عامة فإنها فى هذه الحالة تسمى شبكات المناطق الواسعة وحيث تتسم الخطوط الرابطة بينها بالسرعة العالية وربما تكون الأقمار الصناعية. وعادة ما تكون شبكات المناطق المحلية مملوكة لمؤسسة واحدة تديرها وتشرف

عليها، بينما شبكات المناطق الواسعة تضم حاسبات مضيفة مملوكة لأكثر من مؤسسة ونظام للاتصالات البعيدة تديره شركة اتصالات عامة. ويصور الشكل الآتى شبكات النقل البعيد أو المناطق الواسعة:

شكل ـ ١ ـ شبكات النقل البعيد للبيانات



وعادة ما تكون معدات التوصيل (المواجهات) فى الشبكات عبارة عن حاسبات متوسطة تقوم بعملية التوصيل بين الحاسبات المضيفة والشبكة. والحاسبات المتوسطة المواجهة هذه تسمح بعمليات اختزان البيانات وتسهيلات المقدمات بحيث تتقدم الرسائل من حاسب مواجه إلى حاسب آخر مواجه آخر حيث تختزن فيه بصفة مؤقتة إلى أن يعاد توجيهها إلى محطتها النهائية.

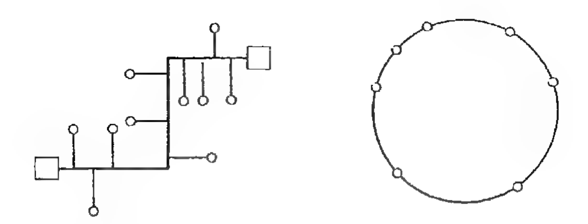
وفى المستوى الأدنى من تشغيل الشبكة نصادف نبضات نقل البيانات تمثل اللقيمات من موقع إلى آخر. وفى شبكات المناطق الواسعة يمكن تنظيم الاتصال على أساس تحويل الدوائر الكهربية أو الحزم. وفى حالة الدوائر الكهربية تخلق رابطة بين المرسل والمستقبل وتنتهى هذه الرابطة بمجرد أن ينهى أحد الطرفين المكالمة، أى الاتصال التليفونى. وفى حالة التحويل عن طريق الحزم فإن المستفيد يؤسس رابطة بين مطرفه

أو حاسبه المضيف وبين أقرب حاسب مواجه. وأيًا كانت البيانات التى يجرى نقلها فإنها ترسل على شكل سلسلة من الحزم طول الواحدة منها عادة ١٠ ـ ١٠٠٠ لقمة (بايت). وهذه الحزم عادة ما ترسل من معدة حاسب مواجه إلى معدة حاسب مواجه آخر داخل شبكة الاتصالات؛ حتى تصل إلى معدة الحاسب المواجه الذى يقوم بدور الحاسب المضيف النهائى.

وفى حالة الشبكات المحلية فإن معدات الحاسب المواجهة تستبدل ببطاقات التوصيل فى محطات العمل المتكاملة أو الحاسبات المتوسطة. وتنظم الشبكات إما على أساس الأنبوب أو على أساس الدائرة (الحلقة)؛ وذلك على نحو ما يوضحه الشكل الآتى رقم ـ ٢ ـ

شكل ـ ٢ ـ

شبكات الحلقة وشبكات الأنبوب فى اتصالات البيانات



وتعتبر شبكة إيثرنت ـ التى كانت اسم علم على شبكة شركة زيروكس وعلامة تجارية لها ـ الآن اسم فئة على أية شبكة اتصالات بيانات سطرية أو شجرية الشكل تستخدم نظام حاسة الاتصال المتعدد للتفتيش على التمارض CSMA - CD. وعندما يريد إرسال البيانات فإنه ينصت أولاً ليتأكد أن الأنبوب غير مشغول، إذا كان مشغولاً فإنه ينتظر حتى يتم نقل المعلومات الجارية قبل إرسال حزمته من البيانات عبر الكابل.

ومن الطبيعى أن يبدأ حاسبان مضيفان فى وقت واحد فى نقل حزمة بيانات مما يحدث تعارضًا. وهنا يقوم مرقاب الحاسب المضيف بالتفتيش على هذه الحالة فى الكابل ويراجع النتائج على البيانات التى تم نقلها. وإذا رصد أى تعارض فإن النقل الجارى للبيانات يجهض ويوقف ويطلق صوت عال لإخطار كل الوحدات بالموقف. وينتظر الحاسب المضيف فرصة عشوائية لإعادة النقل. وعلى الجانب الآخر فإن شبكة الدائرة أو الحلقة تعمل على أسس مغايرة حيث تعتبر الحلقة كلها دائرة كبيرة فى عملية النقل. وعقب كل عملية نقل يستطيع المواجه المضيف أن يقرأ ويكتب اللقيمة المنقولة إليه فى التو والحال.

وبسبب اعتبارات النقل الفيزيقى للقيمات فى الشبكة، تنشأ مشكلات متعددة خاصة بأخطاء النقل واحتمال ألا يكون المستقبل قادراً على تلقى البيانات بنفس السرعة التى يرسل بها المرسل تلك البيانات. وهذا الجانب من جوانب اتصالات البيانات يتم تناوله ومعالجته فيما يعرف ببروتوكولات البيانات وهى بروتوكولات متفق عليها فى تبادل الإشارات بين المرسل والمستقبل وتتعلق بأحوال نقل البيانات. ومن الأمثلة على بروتوكولات نقل البيانات (ضبط حلقات بيانات المستوى العالى) HDLC . وهنا لابد من تنظيم البيانات الخام أولاً على شكل مجموعات أو إطارات بحيث يمكن لكل إطار فردى أن يراجع ويوصف ولابد للإطارات من أن يتم وضع حدودها بواسطة واحد من الإجراءات الثلاثة المعمول بها فى هذا الصدد وهى: حساب الحروف؛ قذف الحروف؛ قذف اللقيمات. ففى حالة حساب الحروف هناك إطار لقالب ثابت له سن أو إبرة يحدد عدد الحروف داخل الإطار الواحد. ومن الناحية النظرية البحتة يقوم المستقبل بحساب عدد الحروف الداخلة إليه ومن ثم يراجع نهاية الإطار. وعلى أية حال فإن هذا الإجراء أو الأسلوب شديد الحساسية لأخطاء النقل فى حقل الحساب والعد لأن الحروف الناقصة أو التى تفقد فى الطريق قد تفسد تزامن الإطار وتخربه. وفى حالة قذف الحروف تستخدم حافة أو نهاية خاصة للإطار وهى عبارة عن حرف معين يدل على نهاية الاطار، وهذا الأسلوب يفرض شفرة حروف معينة فى البروتوكول. وأسلوب قذف اللقيمات يستخدم فى البروتوكولات الحديثة الخاصة بشبكات المسافات البعيدة وفى هذه الحالة فإن الإطارات يتم تحديدها على نمط اللقيمات 1110 0111، فلو

تتابع رقم 1 خمس مرات فى سياق البيانات فإن صفراً يدرج فى سياق اللقيمات ثم يقوم المستقبل بحذفه بالتبعية. وتستطيع شبكات المناطق المحلية استخدام أى من الطرق الثلاثة السابقة ولكنها من جهة ثانية تستطيع أن تتحسس نهاية الإطار عن طريق غياب «إشارة» على الكابل كذلك فإن ترويسات الاطارات يمكن أن تتضمن بعض الواصفات اللازمة للتفتيش والمراجعة لأخطاء النقل وليس للتصحيح. ومع تزايد استخدام اتصالات الأقمار الصناعية ومددها الممتدة عبر فترات طويلة يصبح استخدام شفرة تصحيح الأخطاء (مثل شفرات هامنج) مسألة اقتصادية للغاية ولكن الشبكات المحلية والواسعة التقليدية تدعو إلى إعادة نقل الإطارات المتعارضة.

وعندما يقوم شخصان بالاتصال عبر خط تليفونى فإنهما يبدأن تلقائيًا باستخدام بعض العبارات الخارجة عن سياق المحادثة للتأكد من سلامة النقل؛ والمتحدث عادة ما ينصت إلى ردود الطرف الآخر، وإذا طالت مدة صمت الطرف الآخر فإن المتحدث غالبًا ما يسأله إن كان مايزال هناك. ومثل هذه البروتوكولات تكون مطلوبة بين المرسل والمستقبل فى شبكة الاتصالات؛ وتصميم بروتوكلات مقننة وفعالة هو عنصر أساسى فى أى نظام ناجح. وفى أبسط مستوى للاتصال هناك بروتوكول توقف - وانتظر. وفى هذه الحالة فإن حاسبًا مضيفًا أ يرسل إطارًا من البيانات إلى ب وينتظر الإذن من ب كى يرسل الإطار التالى وهكذا. ولو أن المضيف أ يضع رقم تتابع على واصفة الإطار إلى جانب شفرة لمراجعة الأخطاء، عندئذ عند تلقى رد إيجابى من ب فإنه يتقدم لإرسال الإطار التالى. وعند تلقى رد سلبى بتحديد أخطاء تم اكتشافها بواسطة ب يقوم أ بإعادة إرسال الإطار مرة ثانية. ومن سوء الحظ أن مثل هذه البروتوكولات البسيطة يمكن أن تفشل بسهولة فى تحقيق مهمتها وكملمح إضافى يمكن بناؤها مع البروتوكول الأصلى للتغلب على المشكلات. الفحص الدقيق لهذه البروتوكلات يكشف عن صعوبات أخرى فيها. ولذلك فإن تصميم هذه البروتوكولات يعتبر عملاً معقداً إلى حد كبير.

وفى حالة انتظار المضيف أ لاستقبال رد إيجابى أو سلبى من ب قبل التقدم إلى إطار آخر، تبرز كتلة ميتة إذا فقد إطار الرسالة أو الرد خلال عملية النقل. وللتغلب على هذه المشكلة يطلب إلى المضيف أ إعادة نقل الإطار إذا لم يتم استقبال أى رد بعد

المدة المحددة. وعلى أية حال فإذا كان النقل يتم بواسطة القمر الصناعى فإن فترة التأخير فى حدها الأدنى للرسالة أو الرد هى ٥٤٠ مللى/ ثانية. وفى هذه الحالة فإن المضيف أ يجب أن ينتظر هذه الفترة على الأقل قبل أن يزعم أن إطارًا ما قد فقد. وهكذا فإن إطارًا من ١٠٠٠ لقيمة (بت) يرسل عبر قناة ميجابت واحدة فى الثانية، يستغرق مللى/ ثانية واحد فقط ولكن الإطارات يمكن أن ترسل فقط كل ٤٥٠ مللى/ ثانية إذا كان البروتوكول المستخدم هو بروتوكول توقف وانتظر. ويمكن تحسن معدل النقل باستخدام بروتوكولات النوافذ المتزلجة والتى يسمح فيها للمرسل بالحصول على إطارات عديدة غير محددة الهوية بارزة على الدوام. ولو أن كل إطار أعطى رقم تتابع متميز فإن المضيف أ يستطيع أن يرسل الإطارات بسرعة عالية ويعيد إرسال إطارات فردية إذا تلقى ردودًا سلبية أو إذا لم يتلق ردًا عن رقم تتابع معين فى خلال فترة محددة. ومع هذا فإن ذلك الأسلوب يتسبب فى مشكلة لأن أرقام التتابع سوف تصبح كبيرة للغاية وتستدعى بالضرورة توسيع حجم ترويسة الإطار. ويمكن ببساطة تثبيت أرقام التتابع عند حد معين وبعده تبدأ فى تكرار نفسها. وهنا يجب أن يتم تصميم البروتوكول بعناية للتأكد من أن ضياع الرسائل أو إطارات الردود لا تؤدى إلى الفوضى بين الإطارات ذات أرقام التتابع المتطابقة.

إن بروتوكول ضبط حلقات بيانات المستوى العالى HDLC يستخدم كما ألمحنا أسلوب قذف اللقيمات لتحديد نهاية الإطارات كما يستخدم حقل المراجعة للتفتيش عن الأخطاء. وفيه ثلاثة أنواع من الإطارات: إطار المعلومات؛الإطار الإشرافى؛ الإطار غير المرقم. واطارات المعلومات من أ إلى باء تشتمل على بيانات كما يشتمل أيضًا على رقم تتابع الإطار الحالى وبيان بالإطارات التى تم استقبالها بنجاح من ب إلى أ. إن إرفاق حقل رد أو متابعة مع إطار البيانات المرسلة يعرف باسم «تحميل الظهر والكتفين». أما الإطارات الإشرافية فإنها تستخدم فى إرسال الردود عندما لا يكون هناك إرسال لإطارات المعلومات ولأغراض الضبط الأخرى مثل الرد السلبى، المستقبل غير جاهز حاليًا. وتستخدم الإطارات غير المرقمة فى أغراض ضبط وتحكم عديدة.

والبروتوكولات الموصوفة سابقًا تتعلق بعمليات النقل من نقطة إلى نقطة. أما فيما يتعلق بشبكات اتصالات البيانات عبر الأقمار الصناعية والراديو، وبعض شبكات

المناطق المحلية تعمل بطريقة البث الإذاعى أى أن كل جهاز مضيف يستقبل كل رسالة تبث. وطريقة البث الإذاعى هذه قد تؤدى إلى اضطراب النقل عندما يقوم جهازان مضيفان فى وقت واحد بالنقل، ويحتاج الأمر إلى تدخل البروتوكولات لفض التداخل وإعادة البث الصحيح بعد هذا الاضطراب.

فى شبكة كامبردج الدائرية، تتضمن حلقة الـ١٠ ميجابت/ ثانية عدة خروم صغيرة حولها وكل خرم يتألف من ١٦ لقيمة بيانات ثمانية منها لعنوان المنبع وثمانية منها لعنوان المصب أى المرسل والمستقبل. وفى داخل كل منهما تخصص لقيمة واحدة لبيان ما إذا كان الخرم خاليًا أم مليئًا، كما تخصص لقيمات أخرى للضبط والتحكم. والمضيف الذى ينقل عبر خرم خال ويملؤه، يكون فى مقابله هناك فى المصب خرم يتقبل البيانات ويبعث برد خلال لقيمات الضبط، يستطيع المضيف المرسل أن يقرأه ويستوعبه فى الحال.

والحقيقة أن الشبكة ذات المسافات الطويلة تتيح عدة ممرات متنوعة بين المضيف المرسل والمضيف المستقبل وبالضرورة سيكون هناك بعض هذه الممرات عرضة للاكتظاظ والازدحام والبعض الآخر عاطل نسبيًا. ولابد لقرار تجديد الممرات من أن يسمح بنقل الحزم على الخطوط المناسبة بحيث يقلل بقدر الإمكان من عملية الاكتظاظ والازدحام. ويمكن للشبكة أن تقدم إما بيانات مكتوبة أو خدمة دائرة افتراضية. وفى الحالة الأولى نجد أن كل حزمة تحمل عنوان الجهة النهائية بالكامل وتعامل بطريقة مختلفة عن معاملة الحزم الأخرى ومن هنا فليس هناك أى ضمان بأن الحزم سوف تسلم بنفس التتابع الذى أرسلت به.

أما فى حالة خدمة الدائرة الافتراضية فإن الحزمة المرسلة تختار طريقًا للتتابع المرورى ويستفيد من المواجه مشتملاً على قائمة محدد عليها جهات الوصول ويقرر أى خطوط الإرسال يستخدم، بيد أن هذا الممر الساكن لا يستجيب لظروف الشبكة ومن ثم قد يؤدى بالتالى إلى ازدحام غير ضرورى. والمحاولات التى جرت لتقديم أسلوب أكثر مرونة مع مراقبة حركة المرور وقرارات مرور مركزية، جاءت هى الأخرى محملة بالمشاكل. وعلى العكس من مشاكل الاختناق والزحام فى حركة مرور القطارات والسيارات فإن معظم مشكلات مرور البيانات تتأتى من أن المعلومات عنها تأتى متأخرة

حيث تتسابق حزم البيانات فى وقت واحد وبسرعة واحدة فى نفس الاتجاه. ولعل طريق البطاطا الساخنة هو أنسب الطرق التى لا تسبب ازدحامًا إذ يحدد لكل حزمة بيانات خط الخروج الذى يضم أقصر طابور وبالتالى يصل بسرعة إلى محطة الوصول.

ومن بين البروتوكولات واسعة الانتشار والتى توصى بها اللجنة الاستشارية الدولية للتلغراف والتليفون؛ البروتوكول المعروف إكس ٢٥ ـ x25 الذى يتعلق بالمواجه (الوصلة) بين الحاسب المضيف وشبكة تحويل الحزم. وهذا المواجه (الوصلة) مقسم إلى ثلاث طبقات: الأولى تتعلق بالدائرة الموصلة بين مطرف البيانات وجهاز دائرة تحديد البيانات؛ والثانية تتعلق بالإطارات التى ترسل فيها حزم البيانات؛ والثالثة تتعلق بوصلة مستوى الحزمة. ومن أجل إقامة دائرة افتراضية ترسل حزمة طلب استدعاء خلال الشبكة. هذه الحزمة تشتمل على عناوين المنابع (المرسل) والجهة المضيفة النهائية (المستقبل)، ورقم يختاره المضيف لتحديد الدائرة الافتراضية وتفاصيل التسهيلات التى يطلبها المضيف، كما تشتمل على بيانات اختيارية عن المستفيد. والمضيف الذى تم استدعاؤه قد يقبل وقد يرفض طلب الاستدعاء عن طريق إرسال حزمة ضبط بعدد مناسب من اللقيمات فى أحد الحقول المخصصة لذلك.

وعندما تستقر الدائرة الافتراضية فإنها تسمح بإجراء عملية مزدوجة كاملة بين المضيفين، ويتم نقل البيانات عبر تسهيلات مختلفة مثل «ضبط روابط بيانات المستوى العالى» الخاصة بالرد على أن الرسالة خالية من الأخطاء. وعندما يتم ذلك تنتهى العملية بما يعرف «الطلب خالص» وهى عبارة عن حزمة ترسل إلى المضيف المرسل، وهو يرد بحزمة أخرى» لتأكيد انتهاء العملية.

المصادر:

- Longley, Dennis and Michael Shain. Dictionary of information technology -. 2 nd ed .- London: Macmillan Press, 1985.

- Watters, Cardlyn. Dictionary of information science and technology .- Boston: Academic Press, 1992.

الاتصالات، تدقيق

Communications Audit

يقصد بتدقيق الاتصالات عملية إخضاع الاتصالات القائمة فى مؤسسة ما للتحليل والفحص سواء من جانب مستشارين داخليين أو خارجيين، وذلك بهدف رفع كفاءة وفاعلية التنظيم الخاص بتلك الاتصالات داخل المؤسسة.

وقد جاء مصطلح تدقيق الاتصالات لأول مرة سنة ١٩٥٣ على يد ج. س. أوديورن فى مقال له فى دورية علم نفس الموظفين فى المجلد السابع ص ص ٢٣٥ - ٢٤٣ بعنوان «تطبيقات تدقيق الاتصالات». فقد لاحظ أن الموظفين الفنيين يفهمون ويدركون أعمالهم بطريقة مختلفة عن الطريقة التى يفهمها رؤساؤهم ومديروهم فى العمل. وقد وضع أداة بحثية لقياس هذا الاختلاف فى الفهم وسماها «تدقيق الاتصال» ولم يلبث المصطلح أن توسع معناه فيما بعد ووسع ليصبح «تدقيق الاتصالات». واستخدمت هذه العملية أول ما استخدمت فى سياق العلاقات الصناعية. وتهدف عملية تدقيق الاتصالات إلى قياس وتحسين الاتصال بين العاملين ومديريهم وذلك لتقليل الخلافات والنزاعات الصناعية قدر الإمكان. وقد توسعت هذه العملية وانتشرت وأصبحت تستخدم فى قياس فاعلية نظم الاتصال داخل المؤسسات والإدارات عمومًا شأنها فى ذلك شأن الأنشطة الأخرى مثل التخطيط وضبط الجودة وما إلى ذلك. ومن الطريف أن كلمة تدقيق قد صار استخدامها مع أنشطة أخرى على سبيل الموضة مثل تدقيق الطاقة، تدقيق شئون الموظفين، تدقيق الإدارة وهكذا.

وفى الثمانينات من قرننا العشرين وضعت اللمسات الأخيرة على العملية واتخذت بعدًا آخر بعد تأثير تكنولوجيا المعلومات على نظم الاتصال، حيث قدمت تكنولوجيا المعلومات عددًا من الوسائل الجديدة ووسعت طاقة الوسائل القديمة التى بها تستطيع المؤسسات وموظفوها أن يتواصلوا، وحيث أصبح لهذه التكنولوجيا دور أكبر عن ذى قبل فى هذا الشأن. وكانت مؤسسات الاستشارات أسرع فى استخدام هذه الوسائل من غيرها. وبفضل هذه التكنولوجيا حصل مصطلح تدقيق الاتصالات على دماء جديدة تدفع الحياة فى عروقه.

أبعاد تدقيق الاتصالات: الناس ـ التكنولوجيا ـ الرسالة:

كشفت الأبحاث التى أجريت فى المملكة المتحدة وخاصة تلك التى قام بها أ. بوث سنة ١٩٨٦ بعنوان «تدقيق الاتصالات: دراسة على بريطانيا ـ لندن: جراهام، ١٩٨٦م. عن أنه يمكن تمييز عدد قليل من العناقيد فى أنشطة تدقيق الاتصالات داخل المؤسسات التى تقوم بها. ذلك أن تحليل الأنشطة كان يتم بالنظر إلى كيف يقوم تدقيق الاتصالات بنفسه كنشاط مستقل وكيف يرتبط كجزء من تقييم التنظيم ككل. وكيف ينظر تدقيق الاتصالات إلى التكنولوجيا، وإلى دوافع التوظيف فى المؤسسة عمومًا. وقد كشفت هذه العملية عن ثلاثة عناقيد كبرى. كان أكبر اثنين فيها يتصلان بالناس وكلاهما داخل سياق التدقيق المستقل القائم بذاته والتقييم الأوسع للمؤسسة وكان العنقود الثالث موزعًا أكثر حول قضايا التكنولوجيا المستخدمة.

وكانت دوافع تدقيق الاتصالات فى المؤسسات متفاوتة، بعضها نابع من العناقيد التى أشرت إليها سابقًا وكانت الدوافع الأكثر ترددًا هى:

١ ـ رغبة المؤسسة فى إعادة تنظيم الهيكل أو تأصيل ممارسة العمل.

٢ ـ أن المؤسسة قامت بالفعل مؤخرًا بإعادة هيكلة ممارسة العمل.

٣ ـ وجود مشاكل اتصال محددة أو واضحة داخل المؤسسة.

٤ ـ سوء المناخ العام للعلاقات الصناعية داخل المؤسسة.

٥ ـ ضرورة اتخاذ قرار استراتيجى لإدخال نظم اتصال مبنية على التكنولوجيا.

٦ ـ الحاجه إلى المراجعة الروتينية لكفاءة التنظيم داخل المؤسسة.

وهناك مجموعة من الطرق والأساليب التى تتبع عادة فى تدقيق الاتصالات تبنى أساسًا على السلوك البشرى وكذلك على المواصفات الفنية للنظم المبنية على الحاسب الآلى والتى يجب أن تستجيب للحاجات والدوافع الخاصة بالموظفين الذين يستخدمونها. والطرق التى تستخدم الآن فى قياس فاعلية الاتصالات تتضمن طرقًا عامة شائعة كما يدخل فيها بعض القياسات الخاصة بهذا المجال وحده. ومن بين أكثر الطرق شيوعًا:

أ ـ المقابلات المقننة والمقابلات غير المقننة.

ب ـ الاستبيانات.

ج ـ المناقشات الجماعية.

د ـ يوميات الاتصالات.

هـ ـ تفريغ المكالمات التليفونية.

و ـ تحليل الصادر والوارد.

والمؤسسات من كل نوع فى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأوروبا، تلجأ إلى تدقيق الاتصالات على الأقل على أساس فردى. وتشير جميع الدلائل فى المملكة المتحدة إلى أن مؤسسات القطاع العام والقطاع الخاص على السواء تقوم بعملية تدقيق الاتصالات بصفة منتظمة. وفى القطاع الخاص البريطانى وجد أن الشركات الصغيرة والمتوسطة لا تقوم بذلك إلا نادراً، بينما المؤسسات الكبيرة تقوم بتدقيق الاتصالات على الأقل مرة كل خمس سنوات. وتعتبر البنوك الكبيرة من أشد المؤسسات تحمساً لهذه الأداة الإدارية الهامة. كذلك وجد من بين الادارات الحكومية والقطاع العام ما تلجأ إلى تدقيق الاتصالات ومن بين تلك الإدارات المكتبات الكبيرة، والسلطات التعليمية.

ويعتبر تدقيق الاتصالات واحدة من الأدوات المتاحة لتقييم فاعلية التنظيم داخل المؤسسات. وإذا كنا نريد أن نستخدم هذه الأداة لصالح المؤسسة فهناك على الأقل ثلاث قضايا رئيسية عملية لابد من أخذها فى الاعتبار حتى تأتى هذه العملية بالثمار المرجوة ولا تسبب أى خسارة فى المؤسسة. هذه القضايا هى:

١ ـ تتعلق بتخطيط الاتصال والتزاماته؛ حيث من أنه الضرورى التأكيد على أن الموظفين قد جرى إحاطتهم علماً بالإجراء مقدماً وملاحقتهم بالفوائد المرجوة من وراء ذلك لهم ولزملائهم.

٢ ـ ولابد أن تكون هناك رغبة من جانب الإدارة العليا فى القيام بالتغييرات اللازمة عقب القيام بعملية تدقيق الاتصالات. والمؤسسات التى تثير بين موظفيها

التوقعات بالإصلاح ثم لا تسعى إلى القيام بإصلاح الخلل الذى تم كشفه عليها أن تتوقع من الموظفين قلة الدافع وانخفاض المجهود على الأقل.

٣ ـ لابد من توخى الحذر عند اتخاذ قرار تكليف مستشارين من الخارج أو من الداخل للقيام بعملية التدقيق هذه، ذلك أن الاستعانة بموظفين من الداخل سوف يقلل من التكاليف ولكن لابد من التأكد من أن هؤلاء الموظفين على درجة عالية من الكفاءة للقيام بالعملية وأن قيامهم بذلك لن يثير حسد زملائهم ومن ثم لا يقدمون لهم التسهيلات المطلوبة والمعلومات اللازمة.

ونظراً لأن هذا الموضوع جديد علينا فى مجال المكتبات والمعلومات فإن الكتابات فيه قليلة عمومًا وإن كانت الممارسات والتطبيقات قد أخذت فى التوسع والانتشار لما فيه من فوائد محققة فى رفع كفاءة الاتصال ومن ثم رفع مستوى الإنتاجية.

المصادر:

- Booth, Anthony. Communications audits: a UK survey.- London: Taylor Graham, 1986.

- Booth, Anthony. Communications audits: a guide for managers .- London: Gower, 1988.

وهذا الدليل وإن كان قديمًا إلى حد ما وخاصة فيما يتعلق بالتكنولوجيا إلا أنه مايزال صالحًا للاستخدام فى خطوطه العامة.

- Booth, Anthony. Communications audits.- **in** .- International Encyclopedia of Information and Library Science .- London and New York: Routledge, 1997.

- Odiorne, G. S. "An application of the communication audit".- **in** .- Personnel Psychology .- vol 7, 1953.

الاتصالات، تكنولوجيا

Communications Technology

يقصد بتكنولوجيا الاتصالات تصميم وتنفيذ النظم والأجهزة الخاصة بإرسال واستقبال وتبادل البيانات بواسطة الوسائل الإلكترونية بين محطتين متباعدتين أو أكثر.

المتطلبات الرئيسية للنظام:

يتكون نظام الاتصال الإلكترونى الأساسى من: منبع (مرسل)؛ قناة ربط أو توصيل الاتصالات؛ مصب (مستقبل). وغالبًا ما تستخدم آلة مشابهة واحدة للإرسال والاستقبال معًا (منبع/ مصب) على طرفى القناة. وفى هذا النظام يطلق على الاتصال فى هذه الحالة الاتصال عن بعد.

وطريقة تكويد البيانات أو تشفيرها قد تكون الطريقة «التناظرية» حيث تختلف البيانات فى نسبتها المباشرة مع نسبتها فى المنبع؛ وقد تكون الطريقة هى الطريقة «الرقمية» حيث تنقل نفس البيانات على نفس النحو الذى شفرت فيه نبضات متتابعة ومن ثم لا تتأثر كثيرًا بالضوضاء وحيث يمكن للحاسب القيام بقراءة الشفرة ومعالجة البيانات. هذه المميزات وغيرها تجعل من النقل الرقمى للبيانات الاختيار المفضل.

والحقيقة أن معدل النقل المطلوب للمعلومات وبيانات الترفيه غالبًا ما تزيد عن طاقة قنوات الاتصالات البعيدة المتاحة حاليًا على وجه العموم. حقًا إن القنوات ذات الطاقة العالية واسعة الذبذبات موجودة ومتاحة ولكنها عالية التكاليف للغاية. والمطلب العام هو تقديم البيانات بمعدل يتواكب مع المعدل الاستيعابى للبشر؛ فشبكة التليفونات صممت لنقل بيانات تماثل البيانات النصية بمعدل مقبول حوالى ٢٥٠٠ لقيمة (بت) فى الثانية، لأن نطاق الذبذبات يناسب هذا الغرض وهى فى نفس الوقت غير مرتفعة التكاليف وواسعة الانتشار.

وعلى الطرف الثانى من الميزان فلكى تنقل صورًا متحركة فيديو بنوعية جيدة فإننا نحتاج إلى قناة قادرة على نقل البيانات بسرعة أسرع ثمانمائة مرة من سرعة نقل

الصوت فى التليفون أى ٢٠٠ ميجابايت فى الثانية. وتجرى الجهود الآن لتحرير هذا القيد على أساس نقل البيانات رقمياً ومن ثم تقليل الإطناب فى المعلومات (ضغط المعلومات) وتوسيع طاقة الذبذبات واستخدام أساليب نقل أكثر كفاءة مثل إقامة قنوات واسعة نطاق الذبذبات باستخدام الألياف البصرية وقنوات الأقمار الصناعية وذلك على المدى البعيد.

ويدخل بين الحلول المطروحة استخدام فيديو الصور المتحركة الأسرع مائة مرة ذى البيانات المضغوطة والمنقول عبر القنوات التليفونية ذات النطاق الواسع والتى تقبل ٢ ميجابايت من الإشارات فى الثانية. ومن بين طرق نقل البيانات الجديدة **طريقة النقل اللاامتزامن** (ATM) والتى تكيف البيانات بشكل يسهل نقله بكفاءة. وطريقة النقل اللاامتزامن هذه هى طريقة المستقبل فى كثير من الشبكات الواسعة النطاق. وهى تستخدم تكنولوجيا تحويل الحزم التى تتناول سيولاً من البيانات مثل البيانات السمعية البصرية بمعدلات لقيمات متدفقة باستمرار، كما أنها أيضاً تتناول معدلات لقيمات متغيرة، أى دفقات البيانات كتلك الموجودة فى حوارات المستفيد ـ قاعدة البيانات.

العلامات الكبرى فى تاريخ تكنولوجيا الاتصالات:

فى سنة ١٧٤٧م قام وليام واطسون باختراع مولد كهربائى بدائى يمكنه نقل تيار كهربائى عبر سلك لمسافة ميلين. وكان أول كابل نحاس معزول بمادة جوتا ـ بيرشا (شبيهة المطاط) يعبر الأطلنطى قد تم تنفيذه سنة ١٨٥٨م. وقد تم عبره نقل رسالة من تسعين كلمة مرسلة من الملكة فيكتوريا إلى الرئيس بوشانان ولقد استغرقت هذه الرسالة ساعة كاملة كى تصل صحيحة وتكلفت بأسعار يومنا هذا ٦٠٠ جنيه استرلينى.

أما تليفون ألكسندر جراهام بل الذى اخترع سنة ١٨٧٦م فقد صنع من قرص من رقائق الذهب، وكان هذا القرص يتحرك تحت تحكم من درع من الحديد الرقيق مثبت إلى المركز عندما ينساب التيار خلال وحدة كهرومغناطيسية ملحقة به. وكانت الدائرة تتم بواسطة بطارية وتليفون آخر مماثل. وقد أدخلت على هذا الاختراع تطويرات وتحسينات عديدة على مر العقود حتى وقتنا هذا. وبعد الحرب العالمية الثانية حدث

تطوران كبيران فى مجال تكنولوجيا الاتصالات. أولهما نشر بحث غير عادى سنة ١٩٤٨م قام به كلود إلوود شانون بعنوان «نظرية رياضية للاتصالات». والثانى هو اختراع الترانزستور بعد ذلك بسنوات قليلة.

لقد وضع كلود شانون معادلة لحساب طاقة قناة الاتصال البعيد (س) وكمية البيانات التى يمكن أن تحملها القناة مع معدل خطأ تعسفى معين. وتحقيق س (طاقة القناة) يعتمد على التشفير المثالى المقاوم للضوضاء. وهذه المعادلة تمثل مقياسًا للأداء وتبين كيف أن مقياسًا يمكن تسخيره لمقياس آخر.

ولقد ساعد الترانزستور والدوائر المتكاملة الحديثة التكنولوجيا المعقدة وعمليات التشفير على التقدم صوب تحقيق معادلة شانون (س).

وطاقة الذبذبات هى عنصر هام فى معادلة شانون؛ فكما أن الخرطوم واسع القطر يحمل ماءً أكثر فإن القناة واسعة المجال تحمل بيانات أكثر. ولكن المشكلة هى الافتقار إلى قناة واسعة المجال وفى نفس الوقت منخفضة التكاليف على النحو الذى أشرت إليه سابقًا وفى ظل التكاليف المتصاعدة تصنع قنوات الاتصال الإلكترونية من كابل نحاسى مزدوج متحد المحور وألياف بصرية وروابط بالأقمار الصناعية (السوائل). ومن المعروف أن قنوات الألياف البصرية والأقمار الصناعية تعطى أوسع مجال نقل بيانات.

والتطورات التكنولوجية الوشيكة فى مجال الاتصالات البعيدة سوف تساعد حتمًا فى تقدم تلك الاتصالات فى القرن الوشيك. بيد أن هناك عاملاً حاسمًا فى هذا الصدد يخرج عن قوة هذه التطورات هو سياسة تملك تلك التطورات وهل هو القطاع العام الحكومى أم الخاص الرأسمالى محكومة بالتشريعات الحكومية المؤيدة أو المعوقة للتطور.

المودم:

لعل أكثر الأجزاء إثارة بالنسبة للمستفيد العادى فى نظام الاتصالات البعيدة هو المودم، أى الجزء الموجود فى جهاز المستفيد نفسه؛ ذلك أن البيانات التى يتم إرسالها من أى طرف من طرفى قناة الاتصالات تتم معالجتها عن طريق المودم (المغير ـ المعدل) الذى يغير شكل البيانات إلى شكل قابل للنقل عبر القناة. والمودمات توصل عادة

بالآلات مثل المطارف، الحاسبات الآلية، محطات العمل (فى أقراص الليزر) ماكينات الفاكس، مطارف الفيديوتكس وغيرها. هذه الماكينات تؤكد وتستقبل الإشارات بشكل آلى. ويقوم المودم بدوره بتحويل هذه الاشارات المشفرة آليا إلى إشارات مشفرة للقناة والعكس من إشارات مشفرة للقناة إلى إشارات مشفرة للآلات.

وتشفير البيانات قد يتم كذلك فى شبكة التليفونات العامة التحويلية ويستخدم المودم فى هذا الغرض، وتكون تكلفة مكالمة البيانات هى نفسها تكلفة المكالمة الصوتية العادية وذلك تبعًا لطول المكالمة والمسافة ووقت إجراء المكالمة.

والمودم عادة ما يكون معبأ فى صندوق مع لوحة تحكم وتوصيلات كهربائية للقابس والمقبس. وقد يكون المودم مبنيًا داخل الحاسب الصغير وفى هذه الحالة تظهر وظائف التحكم والعرض على الشاشة. ويقوم المودم ـ الحاسب وتوصيلات قناة الحاسب ـ الاتصالات البعيدة بتناول البيانات بطريقة مسلسلة. والحاسب الصغير نفسه يمكن تزويده بمقبس بيانات موازى حيث يمكن حمل إشارات المعلومات والتحكم عبر عدد من الأسلاك إلى الطابعة أو أية وحدة خارجة.

لقد أدت عملية خصخصة شبكات التليفونات فى كثير من الدول إلى الاستغناء عن المودم فى شبكات التليفونات العامة التحويلية. ولقد أصبح سوق أجهزة المودم الآن سوقًا تنافسية ولذلك فإن هناك فرصًا واسعة للاختيار وأجهزة مودم بسرعات مختلفة.

ولقد جاء وقت اعتقدنا فيه أنه بالإمكان تشغيل شبكة التليفونات العامة التحويلية بسرعات حتى ٢٤٠٠ لقيمة فى الثانية (بت/ ثانية) ولكن جاءت بعد ذلك أجهزة مودم أسرع، أفضل أداءً، أعلى تكلفة، وعلى أساس الخطوط التناظرية المؤجرة. وكان سوق الاتصالات من الذكاء والفطنة والسعة بحيث أخذ من أجهزة المودم أقصى ما يمكن أن تقدمه لسوق شبكات التليفونات العامة وبسرعات اعتقدنا أنها مستحيلة منذ سنوات قليلة مضت.

وأبسط أنواع أجهزة المودم ـ وهو المزاوج الصوتى ـ عبارة عن صندوق صغير موصول إلى مطرف بكابل وإلى خط تليفونى عن طريق يد التليفون التى يتم إدراجها فى قرص داخل المتزاوج. وهذا القرص يحتوى على ميكروفون لكى يلتقط أصوات

الخطوط التليفونية من التليفون المثبتة فى اليد، وهذه الأصوات يتم تحويلها إلى إشارات رقمية. وهذه الإشارات الرقمية القادمة من المطرف تحول إلى أصوات يتم دفعها إلى مكبر صوت صغير حتى يلتقطها الميكروفون فى يد التليفون. لقد تقلص استخدام أجهزة المودم من نوع المزاوج الصوتى لتأثرها السريع بالضوضاء الصوتية وانتشار استخدام التليفونات ذات الوصلات القابس ـ المقبس؛ وظهور أنواع أرخص من أجهزة المودم التى يتم توصيلها مباشرة بالآلات.

وأجهزة المودم المحمولة على لوحة القابس والتى تستخدم مع الحاسبات المصغرة أصبحت أوسع انتشاراً وهى أكثر ملاءمة الآن. ودوائر المودم المعيارية متاحة الآن على شرائح ولوحة المودم غالبًا ما تحتوى على شريحتين أو ثلاث شرائح مع بعض مكونات أخرى منفصلة محملة على نفس اللوحة. وعلى الجانب الآخر هناك بديل يقدم داخل صندوق يحتوى على المودم وكابل وتوصيلات قابس ومقبس.

وعادة ما تخضع أجهزة المودم لمواصفات سلسلة حرف V الدولية التى يصدرها القسم المختص فى الاتحاد الدولى للاتصالات عن بعد. وهكذا فإن أى زوج من أجهزة المودم يحملان نفس رقم حرف V لابد وأن يعملا معاً. وأجهزة المودم المتطورة تحمل معدلات أداء عالية، ودرجة ضغط للبيانات متفوقة، وتصحيح للأخطاء، كما تمتاز بأسعارها الرخيصة. وتتأتى السرعة العالية من ضغط البيانات والعمل مع لقيمات أكثر فى الجزء من الثانية وقابليته للضوضاء تزيد بالتبعية، بينما تصحيح الأخطاء يقلل من تأثير الضوضاء. وضغط البيانات يسمح بنقل كميات أكبر من البيانات.

ولقد أدخل صمويل مورس شكلاً من أشكال ضغط البيانات راعى فيه حجم مخزون الحروف ومن ثم درجة تداعيها وكان ذلك بعد زيارة قام بها لإحدى المطابع المحلية. ولقد ابتدع شفرة عرفت باسمه ومايزال النظام الأساسى لشفرة مورس هو المعمول به حتى الآن فى أجهزة المودم. ولقد أدخلت تطويرات حديثة إلى ذلك أدت إلى رخص التكاليف وفاعلية الأداء.

وتقوم معظم أنظمة التفتيش عن الخطأ على أساس إضافة لقيمات إضافية إلى كتلة من لقيمات بيانات محددة العدد لمساعدة عملية التفتيش على أداء عملها عند المستقبل.

وتعتمد فاعلية الأداء على مدى تتابع لقيمات التفتيش خلال عملية نقل البيانات والدقة الحسابية المستخدمة فى وحدة التفتيش. وعندما يتم اكتشاف خطأ ما سوف يقوم تتابع البيانات تلقائيًا بتصحيحه عند وحدة الاستقبال أو (فى حالة النظم الأبسط)، سوف يطلب المستقبل إعادة نقل السياق المصحح. وهناك العديد من أنظمة تصحيح الخطأ مستخدمة الآن. وكل منها له طريقته فى اكتشاف الخطأ وتصحيحه.

ومنذ سنوات قليلة تم الوصول إلى سرعات أعلى فى أداء أجهزة المودم، وذلك عن طريق تقسيم مجال تردد قناة الاتصال إلى عدد من الأنطقة، ويتم توزيع لقيمات الرسالة بين هذه الأنطقة حسب طاقة كل نطاق، ويتم عرض معدل لقيمات كل نطاق بصورة عامة. وكانت السرعة العادية فى شبكة التليفونات العامة التحويلية تتراوح ما بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ لقيمة فى الثانية (بت/ ثانية).

ويتجه تطوير أجهزة المودم حاليًا فى اتجاه نظم ضغط جديدة للبيانات وطرق تغيير وتعديل جديدة بعدد أكبر من اللقيمات للرمز الواحد وأساليب أفضل فى تصحيح الأخطاء وإضافة وظائف جديدة مثل ماكينات الرد على المكالمات التليفونية. ورغم التعقيدات الموجودة فى الأجهزة الجديدة لأداء هذه الوظائف مجتمعة، إلا أن إنتاج الشرائح لها بكميات كبيرة جعلت الأسعار لاتزيد إلا زيادة طفيفة وهذه الشرائح التى تتاح الآن تصنع كى تقوم بالعديد من الوظائف التبادلية. وقد صاحب الزيادة الطفيفة فى الأسعار، زيادة عالية فى السرعة ومن ثم انخفاض ملحوظ فى تكاليف الوقت المستغرق فى نقل البيانات والذى تقلص إلى حد كبير.

وأحدث أنواع أجهزة المودم التى تفى بالمواصفات العالمية التى وضعها قسم الاتحاد الدولى للاتصالات البعيدة هو V - 34 الذى يقوم بمراجعة خواص قناة الاتصال ثم يختار أنسب تردد وأعلى ذبذبات يستطيع من خلالها نقل أكبر كمية ممكنة من الرموز؛ وهذا النوع من أجهزة المودم نظامًا فى التشفير يعرف بنظام الرعشة أو الرجفة لتعظيم عدد اللقيمات للرمز الواحد مما يساعد فى سرعة نقل كميات كبيرة من البيانات فى وقت قياسى. ومن أحسن ماركات أجهزة المودم المتاحة فى نهاية سنة ١٩٩٩م فى سلسلة V - 34 الجهاز المعروف باسم هييز أوبتيما والذى يصل سعره إلى ٧٩ دولارًا والذى يساعد فى إرسال فاكسات من حاسب آلى صغير إلى جهاز فاكس. ويشتمل

على قاموس بيانات طاقة ١٦ كيلو بايت لشفرة النظرة القصيرة التى تساعد على زيادة سرعة نقل البيانات.

المواصفات والمعايير الخاصة بتكنولوجيا الاتصالات:

منذ عام ١٩٩٣م قام قسم المواصفات بالاتحاد الدولى للاتصالات البعيدة وشركة بل للتليفونات بوضع مجموعة من التوصيات أو المواصفات كل منهما على حدة فى الأيام الباكرة للتكنولوجيا، ولكن مؤخراً قام قسم المواصفات بالاتحاد الدولى للاتصالات البعيدة بوضع مواصفات دولية لهذه التكنولوجيا. ولسنوات طويلة وضع هذا القسم مواصفة للتوصيلات القائمة بين المطرف والمودم سميت بداية RS - 232 ثم دخلت بعد ذلك سلسلة مواصفات القسم تحت اسم V - 24. ومازال هذه المواصفة واسعة الانتشار.

وكما سبق أن أشرت فإن قسم المواصفات بالاتحاد الدولى للاتصالات البعيدة يصدر سلسلة من المواصفات تحت اسم حرف V تشمل المودم والمواجه (الوصلة). ومواصفات المودم الرئيسية تسير على النحو الآتى:

أ ـ V 22 بسرعة ٣٠٠ ـ ١٢٠٠ لقيمة فى الثانية (بت/ ثانية).

ب ـ V 22 bis بسرعة ٢٤٠٠ لقيمة فى الثانية.

ج ـ V 32 بسرعة ٩٦٠٠ لقيمة فى الثانية.

د ـ V 32 bis بسرعة ١٤٤٠٠ لقيمة فى الثانية.

هـ ـ V 34 بسرعة ٢٨٨٠٠ لقيمة فى الثانية.

وثمة مواصفات أخرى صدرت منذ سنوات قليلة من بينها المواصفة التى سبق وأن أتينا عليها V24 - RS232 والخاصة بتوصيلات المودم مع المطرف وذلك لنقل البيانات حتى سرعة ١٩٢٠٠ لقيمة فى الثانية. وقد صدرت مواصفة أخرى بعدد الدبابيس فى الدائرة الكهربية واللازمة لوصل المطرف بكابل المودم ولكن الصناع لا يتبعون هذه المواصفة ويستخدمون أعداداً أخرى من الدبابيس.

وهناك سلسلة أخرى من المواصفات التى تغطى شبكات بيانات الحزم. وهذه السلسلة يصدرها أيضًا قسم المواصفات فى الاتحاد الدولى للاتصالات البعيدة تحت

حرف X ، ومنها على سبيل المثال X 25 الخاصة بالوصلة (المواجه) والبروتوكول بين جهاز مطرف البيانات اللاامتزامن ونقطة المدخل إلى شبكة بيانات الحزم التحويلية. وهذه المواصفة واسعة الانتشار. وهى تتعلق أيضًا بقواعد ربط مئات من التوصيلات بين المودم أو الحاسب الشخصى ولوحة المواجه. أما بروتوكول المواصفة X 25 فإنه يستخدم فى شبكات الحزم التحويلية المنفذة فى الطبقات الثلاث الدنيا من موديل منظمة المواصفات العالمية ذى الطبقات السبع (الذى سيأتى ذكره فيما بعد). وحزمة X 25 تتألف من علم، رأس، مساحة للبيانات، مراجعة الإطارات، علم تحديد. أما البروتوكول والذى يعرف باسم (دليل القيام بالربط) فإنه يقوم بالتحكم فى الأخطاء ومعدل انسياب البيانات.

إن المشاكل التى نصادفها من جراء عدم التوافق بين الحاسبات المختلفة التى ترغب فى التواصل فيما بينها وبين البروتوكولات المتحكمة فى البرمجيات التى تدير سلاسل الشبكات المترابطة تحتاج منا إلى المزيد من المواصفات والمعايير. لقد تمت الموافقة بعد صعوبة بالغة بين سنتى ١٩٧٦ و ١٩٨٦م على **«الربط البينى للنظم المفتوحة»** الذى يفترض أنه نموذج دولى ولكنه فى الواقع نموذج أوروبى بحت. وهذا النموذج ينطوى على عدد من البروتوكولات وقد نظم هذا النموذج على أن يتسع لبروتوكول آخر لما عساه يستجد من الشروط. وقد قصد به ضمان الحد الأدنى من التوافق بين الأنظمة التى تراعى الشروط المنصوص عليها فى الربط الفيزيقى للشبكة أو ضبط انسياب البيانات وتحديد طرق هذا الانسياب ونوعية البيانات والحوارات بين مستفيد ومستفيد وتمثيل البيانات والتفاعل بين الإنسان والحاسب. وتكون نتيجة ذلك أن المعلومات المقدمة من المرسل تصل إلى المستقبل بنفس التمثيلة* التى أرادها المرسل بصرف النظر على الآلات والبرامج والتغييرات التى تحدث فى الطريق. وكل ما يتطلبه الأمر أن منبع بيانات المستفيد يجب أن يصحب ببيانات ضابطة توضع هناك بطريقة آلية بواسطة معدات خاصة ترتب للقيام بوظائف محددة وكل معدة تقرأ شريحة البيانات الموجهة لكل منها؛ وكل منها يتخذ الإجراء المناسب حتى تبقى الرسالة دون تغيير حتى النهاية. وفى النهاية فإن معدة المحطة الأخيرة للبيانات يجب أن تكون قادرة على تفسير وفهم التعليمات الموجهة لها حتى يتم نسخ الرسالة على الوجه الصحيح. وقد قل

الإقبال على نموذج «الربط البينى للنظم المفتوحة» هذا لتبنى مواصفات أخرى أكثر واقعية وقائمة فعلاً.

وربما كان من أهم وأخطر النظم القائمة فعلاً نظام شركة أى. بى. إم المعروف باسم (معمار شبكات النظم SNA) الذى يستخدمه مالا يقل عن خمسة وعشرين ألف عميل فى العالم من بينهم كبرى المنظمات والمؤسسات على مدار العالم. وهذا جرى اختباره وجرب ولقى نجاحًا كبيرًا ومعداته متاحة وكان سببًا فى عدم رغبة الكثيرين فى استخدام نظام «الربط البينى للنظم المفتوحة». ولقد تعاطف المجتمع الأوروبى هو الآخر مع نظام آى. بى. إم ولم يبد رغبة حقيقية فى نموذج «الربط البينى للأنظمة». وفى سنة ١٩٨٤م حدثت مفاوضات مع شركة آي. بى. إم والتى وافقت على نشر بعض تفاصيل البروتوكول الخاص بنظامها. وفى سنة ١٩٨٨م أعلنت شركة آى. بى. إم عن تأييدها لنموذج «الربط البينى للنظم» ثم بعد ذلك أدخلت بروتوكولات الربط البينى للنظم المفتوحة بين أنظمتها والتى عدل اسمها إلى «معمار تطبيقات النظم SAA» .

لقد أدخل بروتوكول ضبط البيانات/ بروتوكول الإنترنت فى السبعينات من قرننا العشرين على يد وزارة الدفاع الأمريكية لنفس السبب الذى أدخل له نظام «الربط البينى للنظم المفتوحة» وذلك على النطاق الدولى. بيد أنه بسبب التوسع السريع للإنترنت ودخول ملايين المستفيدين إليها عبر أنحاء العالم، تراجع تبنى بروتوكول ضبط نقل البيانات/ بروتوكول الإنترنت.

وبسبب التعقيدات الموجودة فى نظام «الربط البينى للنظم المفتوحة» وسهولة الحصول على نظم بروتوكول ضبط نقل البيانات/ بروتوكول الإنترنت، وقيام مؤسسات كبيرة مثل هيئة الإذاعة البريطانية وغيرها لهذه البروتوكولات والحجم الهائل الذى وصلت إليه الإنترنت وخاصة ما عرف باسم (التبادل التجارى للإنترنت) فى الولايات المتحدة والخارج، هذه الأسباب كلها كانت وراء عدم الإقبال على نظام «الربط البينى للنظم المفتوحة». وفى مقال نشر سنة ١٩٩٥ فى جريدة لوموند الدبلوماسية الفرنسية يقول الكاتب «عندما سمح الاتحاد الأوروبى للطرف الآخر باختيار الملعب الذى يلعب فيه فإنه بذلك يكون قد ترك له فرصة المبادرة فى كل شيء، والتقدم فى

الطريق الذى يفرضه ويلعب بشروط غير متكافئة، ويتراجع أى الاتحاد الأوروبى إلى جبهات أخرى».

ولقد سخط الاتحاد الأوروبى بسبب تلك الأحداث، وفى جدول أعمال الاتحاد فى مؤتمر بروكسل نفس سنة نشر ذلك المقال ١٩٩٥، وضع بند حول ضرورة قيام الاتحاد بإنشاء إنترنت أوروبية بناء على المعايير التى يحددها الأوروبيون سواء للأجهزة أو الخدمات (التطبيقات) وبتمويل من ضرائب تجمع لهذا الغرض. وقد أدى هذا الاقتراح إلى دراسة أنشطة الاتصالات البعيدة الداخلة فيه وحجم ومعدل التوسع الهائل للسوق المتوقعة للإنترنت الأوروبية، وتحول المشروع برمته إلى قضية سياسية دولية ذات أبعاد كبرى.

شبكات الاتصالات البعيدة:

من المتفق عليه أن شبكات الاتصالات البعيدة هى عبارة عن نظام يتألف من معدات الاتصال مثل المطارف، والتوصيلات البينية كالكابلات؛ ووسائل نقل البيانات بين المطارف ومعدات الاتصال.

وشبكات الاتصالات هذه تخدم الناس الذين يحتاجون إلى المعلومات وخاصة فى المناطق التجارية.

وقد ظهرت فى الخمس عشرة سنة الأخيرة أنواع متخصصة من شبكات الاتصالات (باستثناء شبكات المناطق الواسعة WAN التى بدأت فى فترة مبكرة). ويستجد الجديد كل يوم فى هذا الصدد. والأسباب الكامنة وراء تلك التطورات المتلاحقة فى شبكات الاتصال هى ظهور تكنولوجيا اتصال أصغر حجمًا وأقوى طاقة وفاعلية بل وأرخص سعرًا والحاجة المتزايدة من جانب مجتمع الأعمال إلى الاتصالات.

والهدف الرئيسى من وراء كل هذه الأنواع من الشبكات هو أولاً أن نجعل الشبكة تخترق المستفيد أو بمعنى آخر نجعل الشبكة شفافة بالنسبة للمستفيد. وهذا معناه أن يرسل المستفيد رسالة إلى مستفيد آخر دون أن يحس بدرجة التعقيد التى عليها النظام ودون إدراك للمسارب التى اتخذتها والدروب التى أجتازتها حتى وصلت إليه.

والهدف الثانى مهم للغاية خاصة عندما يقوم أحد المستفيدين بإرسال رسالة خلال

شركة أو مؤسسة أخرى مختلفة عن شركته ولنقل فى بلد أجنبى وتستخدم أجهزة وشبكة مختلفة، هو أن يشعر المستفيد أنه على الرغم من تلك الفوارق والاختلافات أن الرسالة لا يُصيبها أى تغيير، والقصد من وراء المواصفات والمعايير التى أتينا عليها سابقًا هو أن تجعل ذلك الأمر ممكنًا.

أنواع الشبكات:

هناك العديد من فئات الشبكات وأنواعها وليس ثمة خطوط حادة فاصلة بينها ذلك أن التقسيم قد يكون نوعيًا وقد يكون جغرافيًا وقد يكون وظيفيًا، ومهما يكن من أمر التقسيم فإننا سوف نأتى هنا على أهم أنواع تلك الشبكات:

أ ـ شبكات المشروعات:

وهى شبكة ذات غرض عام أيًا كان هذا الغرض، هذه الشبكة فى نطاق مؤسسة ضخمة. وقد تنسحب هذه التسمية على شبكة المكتبات مثل شبكة المكتبة البريطانية على سبيل المثال والتى تتألف من شبكة محلية ٤٦ عقدة فى شارع شيراتون فى لندن، مربوطة إلى قاعدة بيانات البيليوجرافية الوطنية البريطانية والمركز الببليوجرافى فى هارلو بواسطة بوابة نظام أى بى إم ومربوطة أيضًا ببوابة أخرى عن طريق خط مؤجر ٦٤ كيلو بايت/ ثانية إلى قاعدة مطبوعات المملكة المتحدة فى بوسطن اسبا. كذلك فإن هذه الشبكة تضم شبكات أخرى محلية ومتصلة بالعديد من الحاسبات الكبيرة. وهى أيضًا تضم شبكة محلية لمكتبة المراجع العلمية فى هولبورن والمركب عليها ٥٠ عقدة والتى بها بوابة شبكة شارع شيراتون المحلية بواسطة خط مؤجر ٦٤ كيلو بايت/ ثانية. وقد تكلفت الشبكة بدون الحاسبات المركبة عليها ٢٨٠,٠٠٠ جنيه استرلينى، وستكون هناك شبكة محلية أخرى للمكتبة البريطانية فى المبنى الجديد فى سانت بنكراس فى لندن تتسع ١٣٠٠ مستفيد وتتكلف نحو مليون ونصف مليون جنيه استرلينى بما فى ذلك تكلفة العمود الليفى البصرى.

ب ـ شبكة الخدمات المتكاملة الرقمية:

انبثق هذا النوع من الشبكات أساسًا من شبكات التليفونات التى تربط الأنشطة المتنائية رقميًا وتقدم دائرة واسعة من الخدمات سواء الصوتية وغير الصوتية، وتكون

كمية التوصيلات فيها محدودة. وقد طور هذا النوع من الشبكات كي يحل محل شبكة التليفونات العامة التحويلية سابقة الذكر والموجودة حاليًا. وفي هذا النوع من الشبكات ثمة خياران مطروحان أمام المشترك في الخدمة:

١ ـ اتصال المعدل الأساسي . ـ حيث تتاح قناتان سعة ٦٤ كيلو بايت/ ثانية «ب» للبيانات أو الصوت؛ وقناة إرسال إشارات «د». وتخصص إحدى قناتي ب لنقل الصوت والثانية لنقل البيانات.

٢ ـ اتصال المعدل الأولي .ـ عن طريق قناة ٣٠ ب + ١ د (أوروبا)، ٢٣ ب + ١ د (الولايات المتحدة).

والهدف من وراء هذين الخيارين هو مساعدة المشتركين في الخدمة على استخدام جميع خدمات الصوت الرقمية وكذلك جميع خدمات البيانات الرقمية. ويستطيع المشتركون في الخدمة أن يختاروا جهاز شبكة التوصيل الذي يقدم قنوات الاتصال الرقمي المتكامل ذات السعتين ٦٤ كيلو بايت/ ثانية للصوت والبيانات. وإحداهما مخصصة للصوت الرقمي والثانية للبيانات وثالثة سعة ٨ كيلو بايت/ ثانية لأغراض ضبط الإشارات. ولا يحتاج الأمر هنا إلى إعادة وضع كابلات جديدة في حالة حدوث أية تغييرات من جانب المشتركين طالما أن الخطوط الحالية فيها السعة الضرورية.

والحقيقة أن التقدم في مجال شبكات الخدمات الرقمية المتكاملة بطيء للغاية، وربما يحل محلها نظم أكثر استجابة للسرعات العالية التي بدأت تزحف على عالم الاتصالات. والنية متجهة إلى إدخال نطاق الذبذبات العريض على هذه الشبكة والذي تدور سرعته حول ٥٥ ميجابايت/ ثانية وهي سرعة كافية للإشارات التليفونية الرقمية.

ويحتاج نشر هذا النوع من الشركات على المستوى العالمي إلى مواصفات عالمية ثم التنفيذ بعد ذلك على مراحل. وقد تم الربط بين شركتي إيه تي آند تي في الولايات المتحدة وشركة تليكوم في فرنسا لأول مرة سنة ١٩٨٨؛ وبين تليكوم فرنسا وتليكوم ألمانيا بعد ذلك. أما الربط البيني بين مجموعة من الدول الأوروبية الأخرى ومن بينها المملكة المتحدة فقد جاء سنة ١٩٩١م وما بعدها.

ج ـ الإنترنت:

تعتبر الإنترنت أكبر شبكة اتصالات فى الولايات المتحدة وقد مدت خدماتها خارج الولايات إلى سائر دول العالم ومن ثم أصبحت الشبكة العالمية الأولى فى نوعها. وقد خرجت هذه الشبكة إلى حيز الوجود نتيجة ربط ملايين الحاسبات المضيفة وآلاف الشبكات البينية.

وتعمل الإنترنت حاليًا على أساس تجارى بعد أن توسع استخدامها من جانب إدارات البحوث فى آلاف الشركات والمؤسسات والجامعات حسب شروط واتفاقات تحدد استعمالها للأغراض البحثية والتعليمية.

ولعل الجانب الأعظم فى الإنترنت يكمن فى أنها تتيح الاتصال بآلاف من قواعد البيانات، والاتصال بملايين البشر عبر جميع أنحاء العالم. وعلى سبيل المثال قرر مايكل شوارتز سنة ١٩٩٣ فى مقال له بمجلة الكمبيوتر العدد التاسع من السنة السادسة والعشرين ص ص ٢٥ ـ ٣٥، أنه باستخدام لوغاريتمات البحث المسماة **تتفايد**، استطاع أنه يبحث فى مجالات بحث تعمل فيها شركات لديها ٥ مليون ونصف موظف لديهم بريد إلكترونى والمجالات على سبيل المثال التربية ٣٠٠٠ بريد إلكترونى، التجارة ١٠٠٠ فى الولايات المتحدة وحدها و٨٣٦ فى ألمانيا و٣٦٠ فى المملكة المتحدة و١٨٤ فى فرنسا و٨ فى أيسلندا وواحد فى القطب الجنوبى. وكان عدد الدول الداخلة فى النظام حتى ذلك الوقت ٥٣ دولة وحتى أبريل سنة ١٩٩٤م كان هناك عشرون مليون مستفيد من الإنترنت والزيادة هى ١٠٪ كل شهر، أى أنه بحلول سنة ٢٠٠٠ سيكون هناك نحو مائة وخمسين مليون شخص فى العالم يستخدمون الإنترنت.

ويقسم ريك جيتس فى مقال له أيضًا سنة ١٩٩٣ بعنوان «ثقافة الإبحار فى الشبكة» فى مجلة المكتبة الإلكترونية المجلد الحادى عشر ع / ٥ ص ص ٣٣٥ ـ ٣٤٥، أنشطة الإنترنت إلى ثلاثة وجوه رئيسية: الوجه البحثى (وذلك حتى منتصف الثمانينات)؛ وجه النادى الأكاديمى (من منتصف الثمانينات حتى مطلع التسعينات)؛ ثم الوجه الاتصالى (من بداية التسعينات حتى الآن).

د ـ الشبكات المحلية:

الشبكات المحلية هى شبكات تقع داخل منطقة جغرافية محدودة وعادة ما تكون شبكة خاصة وتصمم خصيصًا لتبادل المعلومات والبيانات بين المطارف والحاسبات الآلية. ويمتد الكابل من توصيلات الشبكة المحلية إلى بطاقة تسمى البطاقة المهايئة مقبوسة فى حاسب صغير. وتشتمل البطاقة المهايئة هذه على المكونات الضرورية المباشرة التى تعمل ببرنامج جهاز التشغيل ـ أى البرنامج المصمم لتشغيل الشبكة المستخدمة ـ الذى يلزم لربط الآلة بالشبكة.

وهناك عدد كبير من النظم لتشغيل الشبكات المحلية قيد الاستخدام الآن؛ منها على سبيل المثال آبلتوك وهو بروتوكول للشبكات المحلية صمم لتشغيل آلات آبل ومساعدتها على اتمام الاتصالات البعيدة. وكل آلة داخلة فى شبكة آبلتوك لها رقم داخل الشبكة. ويتألف نظام آبلتوك من ثلاثة عناصر: بروتوكول الاتصال الذى يضبط آليات العمل فى الشبكة؛ بروتوكول تسليم البيانات المكتوبة وهو الذى يدير الاتصالات بين المحطات؛ ثم بروتوكول وقائع آبلتوك الذى يضبط الحوار ـ على سبيل المثال طلب نقل الملف ـ بين محطات آبلتوك.

وتتنوع الشبكات المحلية ولكن أكثرها شيوعًا **الشبكة التنافسية** وشبكة **حلقة العملة الرمزية**. ويمثل النوع الأول إيثرنت، وحيث تقوم رسالة البيانات بالرحيل على شكل حزم بسرعة ١٠ ميجابايت/ ثانية حول كابل فردى ولا تستقبل إلا فى المحطة المخصصة لها، وسائر المحطات تنصت ولا تعمل إلا إذا أصبح الكابل خاليًا تماماً. وفى حالة وجود محطتين تنقلان فى وقت واحد، تتوقف إحداهما فورًا عن العمل وتنتظر فترة من الوقت غير محددة ثم تحاول مرة ثانية وهكذا.

وفى نظم حلقة العملة الرمزية التى تقدمها شركة آى. بى. إم وأخريات تدور حزم البيانات الفارغة وهناك محطات تنتظر النقل تفتش عن إحدى هذه الحزم وتدخل إلى أحد العناوين والبيانات وتفرغ الحزمة بعد استقبالها عندما تدور وتأتى. وكل المحطات تفتش جميع الحزم ولا تقبل منها إلا المعنونة عليها فقط.

وكانت هناك دائمًا مناقشات وجدالات شديدة حول أهمية وطاقة الشبكات المحلية

المتنافسة؛ وقد تم تصنيفها حسب تركيبة الشبكة أو حسب البروتوكول. وعندما أصبحت سرعات هذه الشبكات أعلى، أصبحنا نميل إلى تصنيفها على حسب السرعة: منخفضة ومتوسطة/ ١٠ ـ ٢٠ ميجابايت/ ثانية؛ عالية ٥٠ ـ ١٥٠ ميجابت/ ثانية؛ حاسب سوبر ٨٠٠ ميجابت/ ثانية؛ ألترا جيجابت ١٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠ ميجابت/ ثانية.

وقد تخلصت الشبكات المحلية اللاسلكية من مشاكل الكابلات وغدت تساعد محطات العمل على وضعها فى أحسن المواقع المريحة لها. والشبكات المحلية تحت الحمراء أقل تكلفة ولكنها قابلة للاعتراض من جانب خط الرؤية.

ومع ازدياد سرعة الشبكات المحلية ساعدت سرعة استخدام الكابلات الرابطة المصنوعة من الألياف البصرية. وقد تم الاتفاق على المواصفة القياسية الخاصة بوصلة البيانات الموزعة بواسطة الألياف البصرية سنة ١٩٩٠م بالنسبة للعمليات التى تصل سرعتها إلى ١٠٠ ميجابت/ ثانية. وتحتاج الشبكات التى تعمل بمعدلات منخفضة نسبيًا إلى الربط كابل فقرى رئيسى ليفى للنقل السريع نسبيًا للبيانات عبر مسافات طويلة نسبيًا.

وتستخدم محطات وصلة البيانات الموزعة بواسطة الألياف البصرية قاذفات الضوء ثنائية الصمام رخيصة السعر فى عملية النقل والترانزستور فى عملية الاستقبال. كذلك تحتوى هذه الشبكات على حلقتين متضادتين فى الدوران لزيادة الفاعلية والمتانة.

وتعتبر أنظمة تشغيل الشبكات المحلية من أهم مقومات هذه الشبكات. ذلك أنه بتركيب أحد أنظمة التشغيل فى الاتصالات بين الحاسبات، سوف تبدو الآلات البعيدة فى الشبكة كما لو كانت ملكًا خالصًا للمستفيد. لقد حل المطرف التقليدى ونقل الملف الرئيسى ترتيب جديد بمقتضاه يقوم الحاسب الكبير بالبحث فى قاعدة البيانات المناسبة ومحطات العمل الداخلة فى الشبكة وتقديم المعلومات التى يحتاجها القارىء بأنسب طريقة له.

ولقد كان نتبيوس هو أول نظام لتشغيل الشبكات المحلية وكانت شركة آى بى إم هى التى طورته لمساعدة الحاسبات الشخصية القائمة على نظام دوس والمربوطة إلى شبكة محلية فى الاتصال بخادم الملفات أو المطبوعات.

ونظام التشغيل المثالى هو الذى يستطيع أن يدير الخدّام التى تستخدم قواعد البيانات الشهيرة، ويمكنه الالتحام مع المعدات فى الشبكة والتى تأتى عن طريق مصانع مختلفة والتى تستخدم بروتوكولات متفاوتة وكما طبقت على الشبكة، وتكون فى نفس الوقت قادرة على الوفاء بالمواصفات الخاصة بالنقل مثل مواصفات إيثرنت وحلقة العملة الرمزية اللتين أتينا عليهما من قبل.

وهناك نوعان من نظم التشغيل تسودان السوق الآن. نظام نوفيل الذى بيع مؤخراً إلى شركة البحث الرقمى بمبلغ ٧٢ مليون دولار والذى يحتمل أن يحتل ٧٥٪ من السوق. ونظام ميكروسوفت الذى يحتل النسبة الباقية.

هـ ـ الشبكات المدارة:

وهى شبكات تقيمها وتديرها مؤسسات أو شركات الاتصالات البعيدة لحساب عميل أو وكيل معين.

و ـ شبكات المناطق الحضرية:

وهى شبكات محلية أكبر نسبيًا وتعمل بنظام حلقات الألياف البصرية بسرعة ١٥٠ ميجابت/ ثانية أو أسرع وتغطى مساحة قدرها نحو خمسين كيلو متراً.

ز ـ شبكة التليفونات العامة:

وتستخدم كابل نحاس مزدوج ومجال ذبذبات ضيق وبالتالى فإن استخدامها يقتصر على نقل البيانات ومن المؤكد أن مجال الذبذبات هنا أوسع مما هو مطلوب لنقل الصوت. وهذه الشبكة تستخدم لتحويل البيانات للمشترك باستخدام الخطوط التليفونية مع معدات معينة لتبادل البيانات بسرعة تصل إلى ١٤٠ كيلو بت/ ثانية وهو معدل يتمشى مع السعة الطبيعية للدائرة الكهربية التى يستخدمها المشتركون.

وفى سنة ١٩٩٢م ظهر فى السوق نظام يعرف باسم (الدوائر الكهربية غير المتسقة للمشتركين)، وذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية؛ وهو نظام يساعد المشتركين المحليين على نقل بياناتهم باستخدام معدات خاصة بسرعة ١,٥ ميجابت/ ثانية. وفى

سنة ١٩٩٤م طور هذا النظام لبث برامج الفيديو حسب الطلب. وفى مارس من نفس سنة ١٩٩٤م شركة الاتصالات البعيدة فى بريطانيا أنها تقوم بمحاولات مثيلة.

ح ـ الشبكات الواسعة:

ويقصد بها تلك الشبكات التى تغطى مناطق واسعة من الأرض. وهناك عدة أنواع من الأجهزة والبرامج المستخدمة فى هذا الصدد والتى من بينها:

* المسحاج الذى يربط الشبكات المحلية التى تستخدم نفس البروتوكولات. ويستطيع تناول عدة مسارب ربط فى وقت واحد ويجمع بين هذه وبين المسارب قليلة التكلفة. ويعرف المسحاج فى الإنجليزية باسم (راوتر).

* المسحاج الفوقى وهو مثل المسحاج العادى ولكنه يقوم أيضًا ببعض وظائف الكوبرى ويعرف فى الإنجليزية باسم (براوتر: أخذ حرف ب من كوبرى الإنجليزى وأضيفت إلى راوتر).

* الكوبرى. ويستخدم فى ربط الشبكات متماثلة البروتوكولات. ولقد توسعت وظائف ومهام هذا النوع وبعضها قادر على ربط الشبكات المحلية بالشبكات الواسعة ويدير حركات المرور.

* البوابة. وهى أكثر أجهزة الاتصالات البعيدة تعقيداً. وهى تستخدم لربط شبكتين من بنية مختلفة ويمكنها تداول بروتوكولات متفاوتة. ويمكنها على سبيل المثال ربط شبكة تعمل على بروتوكول أى بى إم، وأخرى تعمل على بروتوكول غير أى بى إم.

الطريق السريع للمعلومات:

الهدف المطلق من الطريق السريع للمعومات هو أن ينشىء شبكة اتصالات كونية شاملة لنقل الترفيه والمعلومات إلى جميع العوالم. وهو فى الواقع واحد من أهم وأخطر التطورات التى حدثت فى مجال خدمات الاتصالات البعيدة على الإطلاق.

وكانت الخطوة الأولى فى هذا الصدد قد جاءت من الولايات المتحدة عندما قدم مشروع إلى المؤسسة الوطنية للعلوم سنة ١٩٩٠م لتطوير شبكة للبحث والتعليم

وتخصيص ٤٠٠٠ مليون دولار لإنشاء شبكة اتصالات بسرعة ٣ جيجابت/ ثانية. وكانت فعلاً أول خطوة لتأكيد احتمالات المستقبل فى مجال الاتصالات البعيدة بالوسائل المتعددة.

وقد تبع ذلك فى سنة ١٩٩٢م مبادرة عرفت باسم : **الأداء العالى فى التحسيب والاتصالات** ويغطى نظم اتصال وحاسبات غاية فى التقدم وتكنولوجيا متطورة ومصادر متعددة. وقد تضمنت المبادرة إجراء منافسة وطنية لتقديم المقترحات حول البنية الأساسية لطريق المعلومات السريع وفى سنة ١٩٩٣ قامت إدارة الرئيس كلينتون بنشر جدول أعمال من تسع نقاط لتشجيع إنشاء الطريق السريع وكان ذلك على وجه التحديد فى شهر سبتمبر من تلك السنة. وقد تضمنت أجندة البيت الأبيض إشارة إلى ضرورة توفير المعلومات للجميع بأسعار مقبولة. وقد قال آل جور نائب الرئيس الأمريكى أن الحكومة الفيدرالية ستعمل على توفير الإمكانات ليقوم القطاع الخاص بوضع البنية الأساسية الوطنية للمعلومات. ولم يلبث آل جور أن وسع المفهوم ليصبح بنية أساسية كونية عالمية على أمل أن تقوم الحكومات جميعًا بالالتحاق بالمشروع. وقد كررت الدعوة مع نهاية ١٩٩٤ وذلك إلى عقد «قمة الاتصالات البعيدة» فى مطلع ١٩٩٥م مع وعد تشريعى بفتح الأسواق. وكما قال آل جور «يجب أن نعمل على تحقيق هدفنا بربط كل فصل ومكتبة ومستشفى وعيادة إلى البنية الوطنية للمعلومات وذلك مع حلول سنة ٢٠٠٠».

وهناك الآن بالفعل عدد من الطرق السريعة للمعلومات المنفصلة، أكثرها شهرة الآن الإنترنت. ومن المعروف أن الإنترنت الآن تضم أكثر من ٢٥٠٠ شبكة معلومات و٣ ونصف مليون حاسب مضيف و٤٥ مليون مستخدم حسب إحصائيات سنة ١٩٩٧. وعدد الحواسب المضيفة من أوروبا وحدها يصل إلى مليون حاسب. وأكثر خدمات الإنترنت استعمالاً هى «العنكبوتية العالمية» WWW والتى تتيح عن طريق برنامجها (موزاييك) تصفح الوثائق على خُدَّام العنكبوتية أيًا كانت مواقع هذه الخُدَّام عبر العالم. وكان المركز الأوروبى للأبحاث النووية قد بدأ هذه العنكبوتية سنة ١٩٩٤ باستخدام نوع من الملاحة داخل النصوص الفائقة. والعوامل التى تحد من قيام طريق المعلومات السريع يمكن تركيزها فى النقاط الآتية:

١ ـ التشريعات الحالية للاتصالات البعيدة.

٢ ـ الأوضاع المتفاوتة للربط البينى بين الشبكات الحالية.

٣ ـ وجود وتطوير أجهزة تليفزيونية رخيصة وسهلة الاستخدام يمكنها أن تقدم أى برنامج حسب الطلب والاختيار من جانب المشاهد.

٤ ـ مشكلات حق التأليف والأداء.

٥ ـ عدم توافر رأس المال المغامر.

٦ ـ عدم وجود معلومات يقينية حول أسواق واحتياجات خدمات المعلومات.

٧ ـ متطلبات التوحيد والتقييس والمعايرة.

٨ ـ إيجاد التحالفات المناسبة بين الشركات المتنافسة على المشروع.

٩ ـ عدم الرغبة فى إدخال تغييرات جذرية بسبب نمط الحياة وأساليب الإنفاق.

وسوف نقوم ببسط وتفصيل بعض هذه المقومات على نفس ترتيب ورودها.

قضية تشريعات الاتصالات البعيدة:

فى أغسطس من سنة ١٩٩٣م قدم المجتمع الأوروبى (الاتحاد الأوروبى فيما بعد) الوثيقة البيضاء للنمو، وقد اتبعت الوثيقة بخطط مفصلة فى يونية ١٩٩٤، لتحرير الاتصالات بحلول عام ١٩٩٨ وكانت الإصلاحات السابقة بطيئة وغير مرضية. ورغم أن التشريعات فى المملكة المتحدة كانت مرضية إلا أن الحكومة البريطانية لم تتخذ أى خطوة نحو إنشاء الطريق السريع للمعلومات وقد تضمن التقرير الذى وضعته وزارة التجارة والصناعة سنة ١٩٨٧ حول الطريق السريع واسع المجال تضمن العبارات الآتية: «نحن لم نقم باستطلاع حاجات المستفيدين المحتملين»، والتكنولوجيا تتقدم بخطى واسعة جدًا؛ والمملكة المتحدة يجب أن تشغل نفسها ببنية تكنولوجية معقولة الضخامة. وفى تقرير صدر سنة ١٩٩٤ عن نفس الوزارة، نصادف نتيجة عكسية. إن الفرصة مهيأة لتطوير بنية اتصال قوية تقف على قدم المساواة على الأقل مع ما يوجد فى العالم. وهى فرصة لا ينبغى أن تضيعها المملكة ولكن ليس هناك خطوات فعلية بعد هذا الكلام الطيب.

وفى تقرير آخر فى نفس سنة ١٩٩٤ لوكالة الحاسب المركزى والاتصالات البعيدة يقترح أنه لاستخدام الطريق السريع للمعلومات يجب أن تقدم الحكومة التطبيقات الآتية:

أ ـ الضرائب، الضمان الاجتماعى، تسجيل السيارات، والمراسلات الرسمية الأخرى.

ب ـ المعلومات المطلوبة كالمدارس والوظائف الحالية.

ج ـ البريد الإلكترونى.

د ـ حجز الوظائف فى المؤسسات المختلفة كالمستشفيات مثلاً.

قضية التفاوت بين الشبكات:

تعتمد سرعة أى طريق للمعلومات بين الإنترنت والمستفيد العادى منها على سرعة أضعف حلقة فى هذا الطريق أى حوالى ١٢٨ كيلو بت/ ثانية، والمشاكل من نوع التى حدثت سنة ١٩٩٤ يجب أن تحل: ٣٠٠,٠٠٠ ملف كثير منها من حجم ميجابايت كانت قد استنسخت من خادم ناسا خلال أسبوع واحد فى شهر يولية. وفى خلال ساعة الذروة حيث يتم تناول ٦٠٠٠ ستة آلاف طلب فى هذه الساعة، قد يضطر مهندس النظم إلى قفل باب الخدمة.

وتكشف الأرقام عن أن تليفزيون الكابل الذى تديره شركة الاتصالات البعيدة فى دنفر يشترك فيه وحده عشرة ملايين مشترك من أصل خمسين مليون فى الولايات المتحدة جميعها. وفى أوروبا كلها هناك ٣٠ مليون مشترك فى خدمة تليفزيون الكابل.

قضية البرامج التليفزيونية حسب الطلب:

يستطيع جهاز «الصندوق العلوى» أن يفك شفرة أية بيانات مستقبلة من قناة تليفزيونية ويعيد بناءها للاستعمال البشرى. وعلى سبيل المثال أى برنامج تليفزيونى يعرض على فئة خاصة من المستقبلين كما يساعد هذا الجهاز المستفيد على طلب معلومات محددة حسب مزاجه وليكن فيلمًا أو تمثيلية أو برنامجًا... كما يحدث مثلاً فى حالة الفيديو الشخصى.

والشكل النهائى لهذا الصندوق يعتمد أولاً وأخيراً على نمط القناة السائدة. ونجاح

أى قناة يعتمد كذلك على ثقة الجمهور فيها وقدرة المالك على التمويل وعلى مدى انتشارها بين الناس وتلبية طلباتهم بكفاءة.

لقد اخترعت الصناديق العلوية هذه فى الولايات المتحدة على يد شركة فيلبس الولايات المتحدة وتمتاز الصورة بالوضوح والنقاء كما يمتاز الصوت كذلك بالحدة، وتتاح الآن حسب الطلب الأفلام وبرامج الصحة والتربية والأطفال.

وفى المملكة المتحدة هناك على الأقل شركتان ناجحتان فى هذا الإرسال المشفر: الأولى وهى الشركة البريطانية للاتصالات البعيدة (شركة التليفونات العامة) والثانية هى مجمع كمبردج للكابل (شبكة تليفزيون الكابل). والشركة الأولى ترسل برامجها المشفرة على سرعة عادية قوامها ١٤٠ كيلو بت/ثانية وحتى ٢ ميجابت/ ثانية والصناديق العلوية التى تقدمها هذه الشركة مع حاسبات آبل وترسل طلبات المشاهدين إلى نقطة التجميع المركزية بسرعة ٦٤ كيلو بت/ ثانية. وتجاب طلبات المشاهدين من مراكز مختلفة حسب التخصص. ومن بين هذه المراكز: مجموعة ميرز و سميث، توماس كوك؛ هيئة الإذاعة البريطانية؛ كارلتون؛ كينجفيشر؛ جرانادا وبيرسون لبرامج التليفزيون؛ وغيرها.

والشركة الثانية البريطانية (شركة تليفزيون الكابل) التى بدأت سنة ١٩٩٤ بعدد من الشركاء - أوليفتى؛ الوسائط المتعددة على الخط المباشر، كمبردج للكابل؛ أنجليا (أوروبية). وهذه الشركة ترسل برامجها المشفرة على سرعة ٢ ميجابت/ ثانية، ولم ينتشر استعمال خدمات هذه الشركة الانتشار الكافى بعد.

قضية حقوق التأليف والأداء:

تثير هذه الصناديق قضية من أخطر القضايا ألا وهى قضية حقوق المؤلفين والناشرين وشركات الإنتاج والتسجيل والمتاحف وصالات الفنون. . . فى تلك الأفلام والبرامج التى تعرض على المشاهدين حسب طلبهم وكيف يمكن حسم هذه الحقوق وكيف يمكن حسابها وهل هى نوع من الأداء العلنى أم لا. وهل تصادر تلك الحقوق بناء على ترخيص رسمى أم هل يتنازل الأطراف المعنيون عن حقوقهم طواعية. هذه

مجرد نقاط يجب التنبه لها بداية وحسمها فى إطار التخطيط للطريق السريع للمعلومات.

قضية السوق والاحتياجات:

من المؤكد أن مشروعًا بهذه الضخامة سوف يحتاج إلى طاقة اختزانية هائلة للمعلومات حتى يفى بالاحتياجات التى يطلبها المستفيدون وهى حتمًا شديدة التنوع. ومن جهة ثانية لابد من دراسة سوق هذا المشروع لأن الاستثمارات فيه بالغة الضخامة ولابد أن يدر العائد الذى ينتظر منها. وهناك دراسة مبدئية أجريت فى هذا الصدد على مجتمعين فى منطقة واحدة هى منطقة سان دييجو: طلاب الجامعة وسكان لاجولا وكان ذلك سنة ١٩٩٤ وقام بها عدد من الباحثين. وقد أسفرت الدراسة عن حاجة كل من المجتمعين إلى المعلومات ورأت الدراسة أن تختزن المعلومات فى خادم مركزى فى الحاضرة يمد خوادم محلية مجاورة. وقد خرجت الدراسة بأن ٢٠٪ من طلاب الجامعة البالغ عددهم عشرة آلاف طالب يحتاجون الوصول إلى المعلومات المختزنة بسرعة ٤ ميجابت/ ثانية. وخادم الجامعة وحده يجب أن يضم مائة اسطوانة من سعة ١٠ جيجابايت ـ 1 تيبايت. أى أنه من الواضح أن الأمر يحتاج إلى طاقة اختزان هائلة وبالتالى لابد من الاعتماد على عملية الضغط العالى للبيانات.

قضية نمط المعيشة وأسلوب الإنفاق:

هل يرغب الناس فى تغيير نمط حياتهم اليومية وبالتالى ينبذون طرق الحصول على المعلومات التى اعتادوا عليها ويقبلون على الوسيط الجديد (الطريق السريع للمعلومات)، وهل يتركون مشاهدة البرامج والأفلام والمسلسلات التى يبثها التليفزيون العادى ليطلبون تلك المواد حسب الطلب من الطريق السريع. وهل يرغب الناس فى مزيد من الإنفاق على قضايا الترفيه والمعلومات، وهل يتغير نمط طرق التدريس حتى تواكب الأداة الجديدة وعشرات من الأسئلة تطرح نفسها وتحتاج إلى إجابة قاطعة يبنى عليها التخطيط للطريق السريع للمعلومات.

لقد أجريت فى المملكة المتحدة بعض الدراسات الخاصة بنمط الإنفاق (الوقت والمال) فى الحياة اليومية للبريطانيين. وقد وجد أن التغيير بطىء للغاية فقد ظل الإنفاق على

الترفيه فى حدود ٨٪ من الدخل على مدى عشر سنوات؛ وأن مشاهدة التليفزيون ظلت حول معدلها وهو ٢٦ ساعة أسبوعيًا منذ عام ١٩٨٥. ولابد عند التكظيط للطريق الريع للمعلومات من التنبه إليها؛ ذلك أن تجار الترفيه والمعلومات سوف يطالبون بالحصول على جزء كبير من الفطيرة التى سيبقى حجمها ثابتًا.

المصادر:

- Cawkell, A. E. "Communication technology".- in .-International Encyclopedia of Information and Library Science .- London and New York: Routledge, 1997.

- Central Computer and telecommunication Agency of Great Britain. Report From the Government Centre for Information Systems (CCTA).- in Millbank. Information super highways: opportunities for public sector applications in the UK.- London: CCTA, 1994.

- Gates, Rick. "The Culture of net navigation".- in .-The Electronic Library .- vol. 11, no 4/5 pp 335 - 345.

- Gore, Al. "Innovation delayed is innovation denied".- in .-Computer .- vol. 27, no 12, pp 45 - 47.

- Judice, Charles N. Visual communications in the US.- IEICE, Trans. Communications E 75 - B (5) 1992, pp 309 - 312.

- Schwartz, Michael. "Internet resource discovery at the University of Colorado" .- in .- Computer .- vol. 26, no. 9 pp 25 - 35.

- Trade and Industry Committee (U. K) .- Optical fibre networks .- London: HMSO, 1994. (3rd report).

- Vetter, Ronald and others. "Mosaic and the world - wide web".- in .- Computer .- vol 27, no. 10 pp 49 - 57.

إثيوبيا، المكتبات والكتب فى

Ethiopia, Libraries and Books in

تقع إثيوبيا فى شمال شرقى أفريقيا ويحدها من الشمال البحر الأحمر، ومن الشرق جيبوتى والصومال، ومن الجنوب كينيا ومن الغرب السودان. ويبلغ عدد السكان حسب تعداد سنة ١٩٩٦ (٥٨,٢٤٣,٠٠٠ نسمة) والمساحة الكلية ١,١٠٤,٣٠٠كم٢ والكثافة السكانية تصل إلى ٥٣ نسمة/ كم٢. واللغة الرسمية هى الأمهرية. وحسب نفس الاحصاء كانت نسبة الأمية ٦٤,٥٪ (٥٤,٥٪ بين الذكور و٧٤,٧٪ بين الإناث) ونسبة الانخراط فى التعليم ٢٠٪ (٣٢٪ بين الذكور و٢٢٪ بين الإناث) وكانت نسبة الإنفاق على التعليم من الدخل القومى ٤٪. وكان إنتاجها من الورق ٤٢٠٠ طن واستيرادها ١٠٠٠ طن ومجموع الاستهلاك ٥٠٠٠ طن ومتوسط استهلاك الفرد ٨٦ كيلو جرام فى السنة.

ومن الثابت تاريخيًا أن لإثيوبيا (الحبشة سابقًا) حضارة قديمة وكان لها خط خاص يرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت حضارة الحبشة حضارة إفريقية أصيلة ولدت على التربة الأفريقية ولم تستورد من الشاطىء الآخر للبحر الأحمر. ويقال أن الحاميين وهم أصل سكان الحبشة قد استوطنوا شاطىء البحر الأحمر منذ العصور القديمة وكانوا قد سكنوا على شواطىء الجزيرة العربية الجنوبية والغربية والعرب هم الذين أطلقوا عليهم اسم الحبش وهو اسم كان العرب القدامى يطلقونه على القبائل التى ليست من جنسهم السامى. ومن الواضح أنه كانت هناك علاقات دائمة بين هؤلاء الأحباش فى القارتين علاقات اقتصادية واجتماعية وسياسية. وقد طبعت هذه العلاقات الثقافة واللغة الحبشية بطابع أفريقى - إثيوبى - سامى - حامى ظل حتى اليوم.

وقد طورت إثيوبيا أبجديتها القديمة الخاصة بها والتى استخدمت فى لغاتها العديدة السابية فالجعيز ثم الأمهرية ثم تجريجنا ثم التيجر فالأورومو وغيرها من اللغات. وكان هذا الخط قاصرًا على المعابد والبلاطات قبل دخول المسيحية وبعدها استخدم فى الكنائس والبلاطات حتى مطلع قرننا العشرين.

ولقد كان لانتشار المسيحية نتيجة تحول الملك عيزانا إليها فى القرن الرابع الميلادى أثره فى نشر كتب دينية مسيحية ويقال أن ذلك كان على يد الرهبان السوريين الذين أحضروا معهم نصوصًا دينية مسيحية لترجمتها إلى لغة الجعيز لغة العلم والفكر فى شمال إثيوبيا حتى القرن التاسع عشر.

ولقد تتبع الباحثون أثر المسيحية الشرقية فى المخطوطات الحبشية والإيضاحيات الموجودة فيها وخلصوا إلى أن الرهبان ربما لم يجلبوا معهم فقط النصوص الدينية وفن تزويقها ورسمها وإنما جلبوا معهم أيضًا فن إنتاج الكتب وصناعة الرقوق.

وقبل ذلك كانت الكتابات الحبشية القديمة عبارة عن نقوش مكتوبة على الحجارة وغيرها من المواد الصلبة وكتابات تذكارية على أعمدة من الجرانيت والجدران الصخرية، كما وجدنا كتابات دينية بدائية على أوعية فخارية ومصنوعات ذهبية وفضية وبرونزية وحديدية وعلى عملات من حديد وفضية وذهب وبرونز أيضًا.

وعندما دخلت المسيحية كما أسلفت فى القرن الرابع الميلادى ترجم الكتاب المقدس إلى لغة الجعيز عن اللغة اليونانية. وبالتدريج ترجمت كتب أخرى إلى تلك اللغة من اليونانية والقبطية والعربية. وكان الرق فى بادىء الأمر يستورد على يد البعثات التبشيرية من الشرق الهلليني ثم أصبح كما قلنا يصنع محليًا وانتشر فى القرن الخامس الميلادى مع استقرار بعض البعثات التبشيرية التى جاءت إلى شمالى بلاد الحبشة وأقامت عددًا من الأديرة. وقد ازدهرت مجموعات المخطوطات (التى عرفت باسم برانا من اليونانية ممبرانا) مع تعاظم الحركة التبشيرية وازدهار الأديرة والحركة الديرية.

وكانت النصوص الدينية تنسخ فى الكنائس والأديرة وكانت الكتب ترسم وتوضح وتصنع هُنا فى المناسخ. ولابد أن مجموعات الكتب ـ إن لم تكن مكتبات حقيقية ـ قد أصبحت ظاهرة من الظواهر العامة فى الأجزاء المسيحية من إثيوبيا وخاصة فى الجزء الشمالى ومع توسع الامبراطورية الحبشية إلى الجنوب انتشرت الكتابة وصناعة الكتب ومجموعات الكتب وخاصة فى منطقة شووا. ويدلنا على ذلك آلاف الكنائس والأديرة الموجودة الآن فى إثيوبيا والتى تغص بالمخطوطات ومجموعات المخطوطات: والتى تحاول منظمة اليونسكو فهرستها وتحميل ما يمكن تحميله على ميكروفيلم كما

سنرى فيما بعد. هذه المخطوطات مبعثرة الآن ما بين نحو ١٢٥٠٠ كنيسة و٨٠٠ دير. ومن المؤكد أنه ليس كل هذه المخطوطات دينية ففيها علوم أخرى كالأدب واللغة والتاريخ وربما طب وفلك وغيرها. وأياً كانت محتوياتها فإن لها قيمة فنية وتاريخية عالية. وربما كان للمجموعة الملكية أهمية خاصة حيث حرص كثير من الأباطرة على جمع المخطوطات كما كانوا رعاة للفنون والآداب.

وقد ظل الانتاج الفكرى الدينى المسيحى مسيطراً على الحبشة حتى بدأت المسيحية نفسها فى الانحسار بعد ظهور الإسلام وغزو المسلمين لها على يد الفاتح المسلم الإمام أحمد بن ابراهيم الغازى الملقب بالأشول، وكان قد استولى على أجزاء كبيرة من المرتفعات الإثيوبية قبل هزيمته النهائية سنة ١٥٤٣م وكما ذكر مؤرخه شهاب الدين أنه أحرق ونهب عدداً كبيراً من الكنائس والأديرة.

وكانت عادة الأحباش فى تخزين الكتب أن يضعوها أو يلفوها فى كيس من القماش أو الجلد ويعلقونها فى شريط من نفس المادة إلى خطاطيف مثبتة فى جدران المَوْهِف: غرفة المقدسات (إيكابيت) أو حرفيًا بيت الأشياء، مع الأشياء الأخرى من ملابس طقوس وأدوات عبادة. ومن الأماكن الأخرى البديلة لتخزين الكتب كوخ الغلال القريب من الكنيسة. وكانت المكتبة فى بعض الأحيان توضع فى الدور الأسفل فى مقر إقامة كبير قساوسة الكنيسة. ورغم السلب والنهب الذى تعرضت له الكنائس، إلا أن بعض الكنائس التى بنيت فى أماكن يصعب الوصول إليها مثل جزر البحيرات: تانا، حايك، زواى، سلمت بما فيها من مخطوطات ولكنها تعرضت لما هو أسوأ أى البلى والتمزق والرطوبة والحشرات وفعل الزمن. وفى العصر الحديث نهب أحسن ما فيها على يد الرحالة والمغامرين والدبلوماسيين والجنود ونقلت إلى أوروبا.

وإلى جانب جمع الكتب وتخزينها فى المؤسسات الدينية كانت هناك مكتبات البلاطات على الرغم من عدم وجود عاصمة ثابتة للبلاد على مدى التاريخ الإثيوبى، مما جعل المكتبات الملكية مجموعات مبعثرة فى الزمان والمكان. وليس هناك فى حقيقة الأمر ذكر لوجود مكتبات ملكية فى حوليات الملوك الرسمية قبل غزو الإمام أحمد

جران (الأشول) على الرغم من أن الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر للميلاد قد شهدت نهضة كبيرة حيث ترجمت أعمال كثيرة إلى لغة الجعيز من العربية والقبطية.

ولعل أول ذكر لجمع الكتب على يد الأباطرة فى الحوليات الرسمية هو ما ذكر عن الامبراطور جالاوديوس (١٥٤٠ ـ ١٥٥٩م) الذى هزم الإمام أحمد بن ابراهيم الغازى (جران) سنة ١٥٤٣م. ورغم شهرته ونشاطه كقائد عسكرى ومحارب إلا أن الحوليات تذكر أنه كان يتعمق قراءة الكتب المقدسة وقام بشراء عدد كبير من الكتب كلفته ما لا يقل عن عشرة آلاف أوقية من الذهب. ومع تأسيس العاصمة الثابتة جوندار فى القرن السابع عشر، حلت هذه العاصمة محل المعسكرات المتنقلة التى ظلت تدار منها البلاد عدة قرون وتتخذ منها الحكومة الإثيوبية مراكز لها. وقد أقيمت فى العاصمة الجديدة عدة مبان امبراطورية ما يزال عدد منها قائمًا إلى اليوم.

ولعل أول مكتبة بلاط وقفنا عليها فى إثيوبيا هى تلك التى أقامها الامبراطور تصادق يوهانس (يوحنا الصادق) الذى حكم بين ١٦٦٧ ـ ١٦٨٢م. وقد وصلنا خبرها ولكن لم تصلنا تفاصيل عنها وعن محتوياتها ولكن ما وصلنا يؤكد أن المبنى بنى خصيصًا كى يكون مكتبة. ويؤكد المؤرخون أن جل ما بها من كتب لابد وأن يكون دينيًا لأن تلك الفترة لم يخصب فيها نوع آخر من الإنتاج الفكرى، وربما كان فيها بعض كتب التاريخ وخاصة حوليات الملوك السابقين وكذلك بعض الوثائق الخاصة. ومن الممكن أن يكون المبنى قد ظل يعمل كمكتبة حتى انهيار جوندار كعاصمة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وحيث نهبت الكتب أو نقلت إلى مكان آخر.

ولابد أن نذكر هنا أيضًا الملكة منتواب أم إياسُّو الثانى (١٧٣٠ ـ ١٧٣٥) التى كانت راعية عظيمة للكنيسة وتذكر حوليات فترة حكم ابنها أنها كانت تجمع الكتب وتهديها للكنائس وتعدد تلك الحوليات عناوين ثلاث وستين مخطوطة أهدتها إلى كنيسة قوسقوام فى ضواحى جوندار.

كذلك كان للمكتبات الشخصية نصيب فى حياة الشعب الإثيوبى فى ثلاثينات القرن الثامن عشر حيث يذكر أدب الرحالة إحدى تلك المكتبات التى كانت مملوكة

لأحد القضاة العلماء وكان اسمه ليق أتزقو، وقد نسخت بعض كتب هذه المكتبة ودار بها الزمن واستقرت فى مكتبة الولاية فى فرانكفورت.

والإشارة الوحيدة إلى وجود مكتبة بلدية (عامة) فى إثيوبيا فى القرن التاسع عشر، وردت عرضا فى تقرير حول زيارة لمدينة أقسوم وضعه الرحالتان الفرنسيان فيريه وجالنيير فى أربعينات القرن التاسع عشر. وقد وصفا مقابلة مع القسيس آبا قالمسيس «أمين مكتبة المدينة» الذى أعد لهما قائمة بالكتب التى كانت موجودة فى مقاطعة تيجرى. وقد لاحظا أن أقسوم ربما تكون المدينة الوحيدة التى كانت بها مكتبة عامة أو ما يمكن أن نطلق عليه مكتبة. ولاحظا أن الكتب كانت تنسخ فيها بعناية شديدة على رقوق جميلة؛ كما قررا أنه بسبب عدم دخول الطباعة إلى إثيوبيا آنذاك فإن الكتب كانت نادرة ومن الصعب الحصول عليها.

وقد ذكر أن الامبراطور تاوضروس (١٨٥٥ ـ ١٨٦٨م) كان قد اعتزم بناء كنيسة كبيرة بالقرب من مجدلة وهى قلعة طبيعية شمال غربى البلاد حتى تحل محل الكنيسة المتواضعة الموجودة فى ميدهان آلم (مخلص العالم) والتى سدت طريق القلعة.

وقد عبر عن رغبته فى أن يمدها بكتب الخدمة التقليدية وغيرها من المخطوطات التى حولت الكنائس إلى مراكز للعلم والدرس إلى جانب كونها مراكز للعبادة. وقد ظل يجمع الكتب عدة سنوات وقد جلب الكثير منها من كنائس جوندار ويقال أن عدد ما جمعه ربا على الألف وضعها فى الموهف (غرفة المقدسات) فى كنيسة ميدهان آلم.

ولكن بعد هزيمة الامبراطور وانتحاره فى مجدلة سنة ١٨٦٨م تبددت المجموعة التى جمعها؛ وقد وضع نحو ستمائة منها فى كنيسة تشيليقوت بناء على تعليمات السير روبرت نابيير قائد البعثة البريطانية التى استولت على مجدلة. كما تم شراء ٣٦٦ مجلدًا منها بالطريق الرسمى وأرسلت إلى بريطانيا، حيث وضع معظمها فى مكتبة المتحف البريطانى بعد مزاد علنى أقيم لبيع الغنائم إثر الاستيلاء على القلعة بأيام قليلة. وبهذه الطريقة وغيرها ظفرت بريطانيا بجزء كبير من مخطوطات إثيوبيا من القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر. وقد جرى وصف ٣٥٠ منها فى الفهرس الذى أعده وليام رايت ونشره المتحف سنة ١٨٧٧م. ورغم أن مجموعة المتحف

البريطانى من المخطوطات الإثيوبية هى أكبر مجموعة خارج إثيوبيا، إلا أن مكتبات أخرى قد ظفرت بنصيب من المخطوطات الإثيوبية وخاصة المكتبات الأوروبية. وقد تم تهريب تلك المخطوطات كما أسلفت على يد الدبلوماسيين والرحالة والجنود الذين زاروا الحبشة فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. وأكبر مجموعة خارج إثيوبيا وبريطانيا موجودة فى المكتبة الوطنية الفرنسية فى باريس. وربما كان عدد المخطوطات الإثيوبية خارج إثيوبيا يربو على ألفى مخطوط.

ويذكر أيضا أنه كانت للأباطرة يوهانس الرابع (يوحنا الرابع) الذى حكم بين ١٨٧١ ـ ١٨٨٩م؛ منلك الذى حكم ١٨٨٩ ـ ١٩١٣؛ هيلاسيلاسى الذى حكم بين ١٩٣٠ ـ ١٩٧٤م، مكتبات بلاط عظيمة الشأن. ولقد حاول منلك تقليد الامبراطور تاوضروس فى جمع المخطوطات من جميع عموم إثيوبيا ليضعها فى الكنائس التى شيدها فى العاصمة الجديدة أديس أبابا. وقد قام فى ديسمبر ١٨٩٣ ـ يناير ١٨٩٤ بحملة مركزة إلى جزر بحيرة زواى على بعد مائة كيلو متر من أديس أبابا بحثًا عن المخطوطات القديمة التى قيل أنها هربت هناك للحفاظ عليها بعد غزو المسلمين للحبشة. وطبقًا لما ذكر كاتب حوليات منلك واسمه جيير ـ سيلاس وجد الامبراطور الكثير جدًا من الكتب وإن كان سكان الجزر الذين انقطعت صلتهم بالمسيحية لا يقرأونها لعدة قرون. وقد أمر منلك بنسخها وجلبها معه إلى العاصمة حيث وزعت على الكنائس الرئيسية وخاصة كنيسة باتا. وطبقًا لبعض التقارير كان منلك قد اعتزم إنشاء مكتبة وطنية للحبشة فى ذلك الوقت فى أديس أبابا إلا إن هذا المشروع لم يخرج إلى حيز الوجود.

ولابد أن نضيف هنا أن المساجد ودور العبادة الإسلامية الأخرى قد عرفت هى الأخرى مجموعات من الكتب الدينية العربية ولكنها فى معظمها مخطوطات حديثة. وثمة أسر مسلمة لديها مكتبات خاصة فيها العديد من المخطوطات العربية ومن الأسر الشهيرة فى مدينة جيمًا أسرة (أبو جعفر). وكانت مدينة هرار مركزًا لتعليم الدين الإسلامى لعدة قرون ومن ثم كانت الكتب هناك تنسخ بالعربية و الأدارى اللغة السامية التى يتكلمها أهل هرار.

وهكذا فإن إثيوبيا تملك تراثًا مخطوطًا ثمينًا ليس دينيًا كله وإن غلب عليه الطابع الدينى. وللأسف لم يوثق هذا التراث بما فيه الكفاية وإن كانت بعض الكنائس قد سجلت مخطوطاتها فى سجلات يدوية. وقد بقى هذا التراث مبعثرًا كما قلنا بين ١٢٥٠٠ مكتبة كنيسة و ٨٠٠ مكتبة دير.

وقد جرت محاولات أجنبية وعالمية عديدة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المخطوطات الإثيوبية ففى سنة ١٩٦٨م عقد اتفاق ما بين جمهورية ألمانيا الفيدرالية وجامعة هيلا سيلاس الأول بمقتضاه قام البروفيسور هامرشميدت من جامعة هامبورج بقيادة بعثة إلى بحيرة تانا لتصوير المخطوطات فى المنطقة وقد تم تفليم ١٨٢ مخطوطة أهديت منها نسخ ميكروفيلمية إلى معهد الدراسات الإثيوبية فى أكتوبر سنة ١٩٧١م.

وفى الفترة من سبتمبر ١٩٦٩م حتى يناير ١٩٧٠م قامت منظمة اليونسكو بالتعاون مع وزارة التعليم الإثيوبية بتفليم ٣٦٨ مخطوطًا على وحدة تفليم متنقلة من بينها ١٧٧ مخطوطة من الأديرة والكنائس فى الجزء الشرقى من مقاطعة جوجام. وقد قامت الوزارة بنشر ببليوجرافية بتلك المخطوطات سنة ١٩٧٠م.

وقد قام حاكم إقليم تيجرى باستيراد معدات الميكروفيلم وركبت فى عاصمة الإقليم ميكيلى وبدأ التفليم سنة ١٩٧١م وكانت المخطوطات تستعار من الكنائس فى المقاطعات المختلفة والأقاليم الأخرى فى الدولة وترمم وتفلم وتعاد إلى الكنائس. وهكذا استمرت عملية الحفاظ على تلك المخطوطات وإن لم تصل إلى غايتها القصوى بعد.

وقبل دخول الطباعة إلى البلاد فى القرن التاسع عشر كانت الكتب باللغة الأمهرية ولغة جعيز تطبع فى أوروبا منذ القرن السادس عشر. فقد طبع كتاب المزامير بلغة جعيز فى روما سنة ١٥١٣م وتوفر على طبعه طابع ألمانى من كولون بمساعدة فعالة من بعض الرهبان الإثيوبيين. ولقد قام بعض رجال الدين العلماء من أمثال أبًا تسفاتسيون من مالابسو ـ وهو راهب حاج إثيوبى استقر فى تكية الحجاج التى خصصها لهم البابا ـ بإعداد القوالب اللازمة لحروف الجعيز التى كانت تطبع فى أوروبا آنذاك. هؤلاء الأشخاص أثاروا الرغبة والشهية لدى الأوروبيين فى الدراسات الإثيوبية وإثيوبيا، كما قاموا من جانبهم بإعداد دراسات عن بلادهم. ويعد طبع الكتب الدينية بخط الجعيز

ولغته توالت الكتب اللغوية والأدبية المطبوعة هناك بلغة جعيز فى أوروبا وخاصة فى روما. وفى إثيوبيا نفسها قام كبير الأساقفة المبشر لورنزو بيانكيرى من لازارستيس باستيراد مطبعة صغيرة إلى ماساوا فى الحبشة فى شهر أكتوبر سنة ١٨٦٣م. ولم تكن فقط أول مطبعة دائمة على أرض حبشية (كان ماساوا فى ذلك الوقت تحت السيادة المصرية) ولكنها كانت الأولى فى كل شرقى إفريقيا (حيث دخلت الطباعة إلى تنزانيا ١٨٧٥م وكينيا سنة ١٨٧٧م) وقد بدأت مطبعة بيانكيرى عملها فى العاشر من مايو سنة ١٨٦٧م. وقد نقلت بعد ذلك إلى كيرن سنة ١٨٧٩م ثم إلى أسمرة سنة ١٩١٢م. وكانت هناك مطابع تبشيرية أخرى دخلت إلى إثيوبيا بعد تلك المطبعة، كتلك التى كانت مملوكة للبعثة التبشيرية الإنجيلية السويدية فى إمكوللو، وتلك التى كانت مملوكة للرومان الكاثوليك فى هرار. وقد قام الامبراطور منلك باستيراد مطبعة حكومية من أوروبا سنة ١٩٠٦م وقد بدأت انتاجها ١٩٠٨م. وبعد ذلك دخلت المطابع الخاصة إلى الصورة وبدأت تطبع الأعمال التى كانت هناك حاجة ماسة إليها: جرائد، أوامر حكومية واستمارات ودفاتر، تشريعات، كتب دينية، كتب دراسية، مجلات، كتيبات ونشرات. وقد أحدثت تلك المطابع آثارًا بعيدة المدى فى الحياة الاجتماعية والتعليمية والثقافية للبلاد وبدأت تطبع كتب الثقافة العامة للأفراد والمكتبات وساعدت فى نشر التعليم وانحسار الأمية.

وتعتبر ثلاثينات القرن العشرين هى البداية الحقيقية للمطبوعات ومكتبات المطبوعات فى الحبشة ويعزى الفضل فى هذا إلى هيلاسيلاسى حيث أنه عندما كان وصيًا على العرش قام فى سنة ١٩٢٣ بإنشاء مطبعة بيرهانيناسلام فى أديس أبابا وكانت هذه المطبعة عاملاً هامًا فى نشر الإنتاج الفكرى باللغة الأمهرية والتوسع فيه.

وعندما تولى العرش فى سنة ١٩٣٠م قام بإنشاء قاعة مطالعة عظيمة فتحها للعموم فى المتحف المقابل لقصر الامبراطور. وقد زار هذه المكتبة فى الشهور الأولى من السنة التالية للافتتاح، أحد الثوار البلجيكيين هو جاستون مارين فأعجب بها حيث وجد دواليب بها مخطوطات بلغة الجعيز واللغة الأمهرية ودواليب أخرى فيها كتب مطبوعة باللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والروسية وكانت جميعها مجلدة تجليدًا أنيقًا ولكن القراء حسب وصفه كانوا قليلين.

وقد صدر أمر من وزارة التعليم بتعيين جورج بيكول ـ وكان مدرسًا فرنسياً مستشاراً لدى الوزارة ـ مشرفاً على قاعة المطالعة هذه ومسئولاً عن تنظيمها في سنة ١٩٣٢م وقد توفي بعد ذلك بعامين. وفي سنة ١٩٣٥م كانت مجموعات المكتبة قد بلغت نحو ألف مجلد من بينها عدة مئات باللغة الأمهرية ولغة جعيز مخطوطة ومطبوعة. وكانت قاعات المتحف الأخرى تضم تحفًا وآثاراً قديمة كان القصد منها أن تفتح مع احتفالات تقلد هيلاسيلاس الحكم ولم يقصد بها أن يؤمها العامة كالمكتبة. وكان يطلق على قاعة المطالعة تجاوزاً (مكتبة إثيوبيا الوطنية) ومع دخول القوات الإيطالية واحتلالها اثيوبيا في الخامس من مايو سنة ١٩٣٦م لم يعد لقاعة المطالعة هذه أثر.

وكانت هناك مكتبة عامة أخرى أنشأها تاجر كتب فرنسي في أديس أبابا كجزء من متجره سنة ١٩٣٠م وكان هذا التاجر اسمه ر. إ. جويون وبعد وفاته تولت زوجته وأبناؤه إدارتها. وكانت مجموعات هذه المكتبة هي الأخرى تدور حول ألف كتاب بلغات مختلفة.

ومن الواضح أن الإيطاليين قد حملوا كثيراً من كتب المكتبات الإثيوبية ووثائقها إلى إيطاليا ولكننا لا نعرف على وجه التحديد حجم الخسارة التي تسببت فيها فترة الاحتلال ـ خمس سنوات ـ في المكتبات الإثيوبية. بيد أنه على الجانب الآخر قام الإيطاليون من جانبهم بإنشاء مكتبة مركزية لشرق إفريقيا الإيطالي في أديس أبابا. وكانت في بادىء الأمر تفتح فقط للموظفين الرسميين الإيطاليين والباحثين وكانت تتألف من مجموعات القوانين والتشريعات فقط. وفي سنة ١٩٣٩ قام اتحاد الناشرين الإيطاليين بإرسال نسخ من كل الكتب التي ينشرونها إلى هذه المكتبة. ومع نهاية سنة ١٩٤٠ عندما فتحت للجمهور العام كان عدد المجلدات فيها يربو على عشرة آلاف مجلدة وكان فيها عدد لا بأس به من الكتب عن شرقي أفريقيا. وفي أسمرة قام الإيطاليون أيضًا بإنشاء مكتبة طبية وفيها مجموعة لا بأس بها عن إريتريا.

وعند انسحاب الإيطاليين من إثيوبيا بعد هزيمتهم في الحرب الثانية، أشعلوا النار في أديس أبابا ونهبوا ما استطاعوا نهبه من مخطوطات ومطبوعات ثمينة مما تسبب في خسارة محققة للبلاد.

ونستعرض فيما يلى واقع المكتبات الإثيوبية على فئاتها المعهودة وذلك بعد الحرب العالمية الثانية وخروج المحتل الإيطالى.

المكتبة الوطنية الإثيوبية والمكتبات العامة:

أنشئت المكتبة والمتحف أو بمعنى أدق تم إحياؤهما سنة ١٩٤٤م على يد الامبراطور هيلاسيلاسى. وتقوم المكتبة بدور مزدوج: دور المكتبة الوطنية التى تتمتع بالإيداع القانونى ودور المكتبة العامة التى تعير كتبها خارج جدرانها. ولقد صدر قانون الإيداع الخاص بهذه المكتبة سنة ١٩٧٥م أى بعد عام واحد من الثورة ضد الامبراطور وخلعه.

وكان أول مدير لهذه المكتبة هو سيريكى بيرهان جبرى إجزى. وقد ورث قسم البحوث فى المكتبة مجموعات إفريقيا الشرقية فى مكتبة الحكومة الإيطالية المشار إليها وأضاف إليها مواد أخرى صدرت داخل إثيوبيا أو عنها. وقد أصدرت المكتبة فهرسًا بالمخطوطات المقتناة فيها وقوامها ٢٧٢ مخطوطة سنة ١٩٧٠ باللغة الأمهرية. وهو أول مطبوع ببليوجرافى تصدره المكتبة. ونظرًا لقلة العاملين وضعف الميزانية فإن التزويد قليل ولم تصدر المكتبة الببلوجرافية الوطنية حتى الآن نهاية القرن العشرين رغم الوعود المتلاحقة بإصدارها. وتنطوى المكتبة على مخازن وقاعة مطالعة واحدة فسيحة ومؤثثة جيدًا، فتحت منذ البداية لجمهور المطالعين وكانت فى البدء للاطلاع الداخلى فقط ثم بعد ذلك سمح بالإعارة الخارجية على نحو ما قدمت حيث لا توجد مكتبات إثيوبية أخرى تقدم تلك الخدمات العامة.

وفى أكتوبر سنة ١٩٦٨م قام ويليام ب. باتون - وكان مديرًا لمكتبة مقاطعة لانارکشاير فى اسكتلندة بزيارة إثيوبيا لمدة ثلاثة شهور بناء على طلب من الحكومة الإثيوبية وتمويل من اليونسكو وذلك لوضع خطة طويلة الأجل لتطوير المكتبات العامة والمدرسية. وتقديم مقترحاته بشأن المكتبة الوطنية. وقد اقترح عليهم أن تترك المكتبة الوطنية لمكتبة الجامعة ومكتبة معهد الدراسات الإثيوبية القيام بوظائف المكتبة الوطنية والمرجعية حيث كانت إمكانياتهما تسمح بذلك إلى حد ما؛ وأن تتحول هى إلى مكتبة عامة فقط والنقطة المحورية المركزية لشبكة مكتبات عامة وطنية. ومنذ ذلك الحين ولمدة خمس سنوات أى حتى قيام الثورة وصدور قانون الإيداع قامت المكتبة الوطنية

بدور المنسق والمبدع للخدمات المكتبية العامة فى البلاد على النحو الذى رسمه لها ويليام باتون، وحيث تم افتتاح مكتبات عامة صغيرة فى مناطق مختلفة من البلاد مثل بيرجالم سنة ١٩٦٩م و هرار و جوندار سنة ١٩٧١م و ديبرزيت سنة ١٩٧٣م وغيرها من المناطق وإن كانت حركة إنشاء المكتبات العامة تسير ببطء شديد. حين كانت الخطة تقضى بإنشاء عشرة فروع فى خلال عقد واحد يبدأ بسنة ١٩٦٩م.

والمكتبة العامة الوحيدة التى تمول من أموال حكومية هى مكتبة الإدارة التعليمية فى أسمرة؛ رغم أن المحليات تحاول جاهدة بالتعاون مع بعض المحسنين إقامة مكتبات محلية. وهناك نوع من المكتبات العامة التى تسمى مكتبات المجتمع يقام بمبادرات محلية كتلك التى أنشئت فى أديس أبابا وعواصم المحافظات الإقليمية. وعادة ما تقام تلك المكتبات فيما يعرف بـ «قاعة المدينة» على النحو الذى صادفناه فى قاعة المدينة بأديس أبابا سنة ١٩٧١م.

ويحاول اتحاد المكتبات فى اثيوبيا الضغط على الحكومة على التوسع فى إنشاء المكتبات العامة والتنسيق فيما بينها. ولكن من الواضح أن الإمكانيات تحول دون ذلك. وتحت ضغوطه ومجهوداته قامت مكتبة الجامعة منذ ١٩٧٣م باستحداث خدمة مكتبية عامة بالبريد تقدم المكتبة عن طريقها كتب الترفيه والثقافة العامة لطلاب الجامعة فى العطلات أساسًا عن طريق البريد. وقد توسعت هذه الخدمة توسعًا عظيمًا بعد ثورة ١٩٧٤ وخاصة من خلال الحملة القومية للتنمية والعمل ١٩٧٤ ـ ١٩٧٦م والتى تضمنت إمداد الناس بالقراءة ومواد الثقافة العامة وكانت الكتب توزع عن طريق المكتبات العامة والمدرسية حيثما وجدت وبالبريد حيثما لا تتوافر.

وبصفة عامة فإنه يمكننا القول بأن شبكة المكتبات العامة فى إثيوبيا فقيرة عدداً ونوعًا. وهناك عدد محدود من المكتبات العامة المعتبرة ويدور فى فلكها نحو ستة آلاف قاعة مطالعة فى طول البلاد وعرضها. وفى آخر إحصائيات اليونسكو المتاحة لى (١٩٩٨م) يتبع المكتبة الوطنية تسع مكتبات عامة. وتكشف نفس هذه الإحصائيات عن عدد المواد فى المكتبة الوطنية على النحو الآتى:

ـ الكتب ١٠٠,٠٠٠ مجلد.

ـ المصغرات الفيلمية ٣٦٥.

ـ مواد سمعية بصرية ١٣٤٥ .

ـ مواد أخرى ٧٥٣١ مادة.

ومن بين المجموعات الثمينة فى المكتبة الوطنية عدة مئات قليلة من المخطوطات كما قدمنا فى الدين المسيحى أساسًا بعضها مزخرف زخرفة رائعة وترجع بداياتها إلى مطلع القرن الرابع عشر الميلادى. وهناك مجموعة طيبة من أوائل المطبوعات التى ترجع إلى القرن التاسع عشر عندما دخلت الطباعة إلى البلاد.

المكتبات الأكاديمية والمدرسية:

ترجع جذور جامعة أديس أبابا وهى الجامعة الأساسية هناك إلى سنة ١٩٥٠م حين أنشئت كلية أديس أبابا الجامعية وكانت فى البداية عبارة عن معهد للتعليم العالى. وفى سنة ١٩٦١م تكونت جامعة الامبراطور هيلاسيلاس الأول من تلك الكلية ومعاهد أخرى مستقلة للتعليم العالى. وكان لكل منها بطبيعة الحال مكتبتها ومجموعاتها. وبعد الثورة تغير اسم الجامعة لتصبح جامعة أديس أبابا.

وتتألف الجامعة من كليات القانون؛ الطب؛ الهندسة؛ العلوم؛ الزراعة؛ الصحة العامة. وشبكة المكتبات الجامعية هنا تقوم على أساس من المركزية حيث توجد مكتبة مركزية تشرف على مكتبات الكليات وتعتبرها فروعًا لها. وقد صدرت أول لائحة للمكتبات الجامعية فى تلك الجامعة سنة ١٩٦٥م وفيها حدد دور مدير المكتبة ولجنة المكتبة والعلاقة بين المكتبة المركزية والمكتبات الفرعية. وفى سنة ١٩٧١م أى بعد عقد واحد من قيام الجامعة فى ثوبها الجديد كانت المجموعات فى شبكة المكتبات الجامعية تصل إلى ٢٢١,٠٠٠ مجلد أما الآن فى نهاية القرن العشرين ١٩٩٩م فقد ربت المجموعات على ستمائة ألف مجلد. وأكبر وأقدم مجموعة هى مجموعة كلية أديس أبابا الجامعية. ولعل أحسن مجموعة متخصصة فى الشئون الإثيوبية هى مجموعة معهد الدراسات الإثيوبية التى تصل الآن إلى نحو ثلاثين ألف مجلد عن إثيوبيا والقرن الإفريقى من بينها نحو عشرة آلاف مجلد باللغة الأمهرية ومطبوعة داخل البلاد؛ وفيها كذلك نحو ألف مخطوط كراس ولفافات. وتتعاون المكتبة والمعهد فى نشر دورية «المطبوعات الإثيوبية» وهى قائمة بالكتب والمقالات المنشورة داخل إثيوبيا وغير ذلك

من البيلوجرافيات الهامة. والمعهد أنشئ سنة ١٩٦٣م.

وتقترب مكتبة كلية أديس أبابا فى عظمة مجموعاتها من مكتبة معهد الدراسات الإثيوبية وإن كانت أكبر منها وأقدم. إذ أنه منذ تأسيس تلك المكتبة سنة ١٩٥٠ كما قدمت كانت سياسة مدير المكتبة ستانزلو تشوجناكى أن يبنى مجموعة بحث قوية داخل إثيوبيا تفى بحاجات الباحثين والقراء العاديين أيضًا كما تسد احتياجات أعضاء هيئة التدريس والطلاب فى الكلية.

أما عن المكتبة المركزية فقد انتقلت إلى مبنى جديد فى أغسطس ١٩٦٩م مُوِّلَ من قبل وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية (إيد) وأطلق اسم الرئيس الراحل كيندى عليه وافتتح رسميًا فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٧١م وقام بافتتاحه الامبراطور هيلاسيلاسى والسيدة/ روز كيندى والمبنى عبارة عن طابقين من الخرسانة المسلحة والألومنيوم والزجاج ويغطى مساحة قدرها خمسة آلاف متر مربع ويتسع لمائتى ألف مجلد و ٧٠٠ قارىء والبدروم يتسع لتخزين مائتى ألف مجلد أخرى بنظام التخزين المضغوط.

وتضم مكتبة الجامعة مجموعات من المطبوعات الحكومية الأجنبية وهى مكتبة إيداع لمطبوعات الأمم المتحدة ومعظم منظماتها المتخصصة، وتتبادل المجموعات مع عدة مئات من المؤسسات والمعاهد الخارجية ولديها ترتيبات واتفاقات تبادل الإعارات مع معظم المكتبات داخل المدينة. وبسبب ارتفاع تكاليف إرسال المواد بالبريد الجوى، وبسبب طول الوقت الذى يستغرقه البريد البحرى فقد تقلصت عمليات الإعارة الدولية بل وحتى داخل القارة الإفريقية نفسها.

وهناك فهرس موحد بالمؤلف تشترك فيه كل مكتبات الجامعة وهذا الفهرس مركزى فى المكتبة المركزية (مكتبة كيندى). كذلك فإن عملية التزويد والفهرسة يتمان مركزياً فى تلك المكتبة لجميع المكتبات الفرعية. وقد تم التحول من تصنيف ديوى العشرى إلى تصنيف مكتبة الكونجرس مع مطلع السبعينات. كما تم إدراج بيانات جميع الدوريات التى تقدمتها مكتبات الجامعة وعددها أربعة آلاف دورية جارية فى قائمة: الدوريات فى مكتبات إفريقيا الشرقية؛ وهى قائمة موحدة تعدها على الحاسب الآلى جامعة فرجينيا الغربية منذ سنة ١٩٦٩م.

وتنشر المكتبة المركزية أيضاً قائمة شهرية بالإضافات الجديدة وتعزل فى قسم خاص إضافات مكتبة معهد الدراسات الإثيوبية حيث أنها أقرب ما تكون إلى الببليوجرافية الوطنية. وقد قام قسم المراجع بالمكتبة بإعداد قائمة بطاقية بالدوريات الإثيوبية الراجعة.

ولعله من الجدير بالذكر أن كليتى العلوم والتكنولوجيا (الهندسة سابقاً) تشتركان فى مكتبة واحدة. ولكن فى مبنى كلية التكنولوجيا الجديد هناك قاعة مطالعة كبيرة خاصة بها. ومن الملفت للنظر أن مكتبة كلية القانون تملك مجموعة عظيمة من المواد القانونية الإفريقية وتستكمل عند الضرورة على ميكروفيش.

وهناك بعض الكليات التابعة للجامعة ولكنها خارج الحرم الجامعى فى أديس أبابا ولها مكتباتها، كما أن كلية التربية تدير مدرسة للتجريب والتدريب ولها مكتبة أيضاً. وهذه المكتبات جميعاً رغم أنها داخل الشبكة إلا أنها تمول من خارج الجامعة وأهم هذه المكتبات هى:

١ - فى أديس أبابا: مكتبة المدرسة التجريبية (١٦٠٠٠ مج)؛ مكتبة مدرسية تديرها كلية التربية.

٢ - فى أديس أبابا: مكتبة حرم كلية التكنولوجيا الجنوبى (١١,٧٠٠ مج)؛ مكتبة متخصصة فى أعمال البناء وتكنولوجيا المبانى والموضوعات ذات الصلة تتلقى معونات من الحكومة السويدية.

٣ - فى أليمايا (على بعد ٥٤٨ كيلو متراً شرق أديس أبابا): مكتبة كلية الزراعة (٣٠,٠٠٠ مج).

٤ - فى جوندار (على بعد ٧٤٨ كيلو متراً شمال أديس أبابا): مكتبة كلية الصحة العامة (١٧,٠٠٠ مج).

وفى سنة ١٩٦٧م وما بعدها بدأت مجموعة كليات ومعاهد فى النرويج خارج العاصمة وقد تكون منها بعد الثورة جامعة أسمرة. وهى أيضاً ذات مكتبة مركزية ومكتبات كليات معاهد وقد أسست المكتبة المركزية للجامعة رابطة الراهبات الإيطاليات. وتتلقى الهبات والهدايا بعدد من اللغات على رأسها اللغة الإنجليزية وتصل مجموعاتها إلى ٧٠,٠٠٠ وهى غير منظمة.

وتعتبر شبكة المكتبات الجامعية فى إثيوبيا هى أقوى شبكة مكتبات فى البلاد ومسئوليتها تتعدى حدود المجتمع حيث تخدم القراء والباحثين من خارج الجامعة والذين يصل عددهم إلى ألف مستفيد فى السنة ويجرى تشجيعهم على الإفادة من جميع التسهيلات المكتبية الموجودة هناك. ورغم ذلك فإن زيادة الضغط على الشبكة يضعف أداءها خاصة فى ظل عدم كفاية المخصصات المالية والنقص فى عدد العاملين بالشبكة.

لقد أفاد قطاع المكتبات الجامعية من المعونات الجمة التى قدمتها مؤسسة فورد وتلك التى قدمتها وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية وربما كان بسبب هذه المعونات لم تخصص للمكتبات فى ميزانية الجامعة مبالغ كافية لشراء المواد المكتبية. ورغم أن ميزانية المكتبات الجامعية تصل فعلاً إلى ٦٪ من مجموع ميزانية الجامعة إلا أن الجانب الأكبر منها ينفق على المرتبات وربما كان السبب وراء ذلك هو تفتت الجامعة حيث توزع الجامعة على أربعة حرم، اثنان فى أديس أبابا واثنان خارج العاصمة ببعيد. وقد أثر ذلك فى شبكة المكتبات التى تستوظف نحو مائتى شخص فى نحو ١٥ مكتبة. وهذا التفتيت ليس مكلفًا فقط فى عدد العاملين ولكن أيضًا فى تكرار اقتناء المصادر. وإن كان هذا التفتيت من وجهة نظر المستفيدين له مزايا قرب المكتبة منهم والمجموعات مناسبة لاحتياجاتهم والفهرس محدود نسبيًا وأمناء المكتبة ودودون.

والمشكلة الحقيقية أن عدد العاملين المهنيين لا يزيد فى شبكة المكتبات الجامعية عن ٢٠٪ (٣٨ من نحو مائتين سنة ١٩٩٨). وتختار الشبكة كل سنة عدداً من خريجى الجامعة وترسلهم فى بعثات بعد فترة تدريب أثناء الخدمة لمدة سنتين، ليحصلوا على درجة الماجستير فى المكتبات.

وفى نهاية كل سنة تقوم الشبكة بإعداد تقرير عما تم فى خلال السنة واحتياجاتها فى السنوات المقبلة. وكان تقرير وليام باتون قد اقترح إدماج قسم البحوث الموجود فى المكتبة الوطنية فى مكتبة الجامعة؛ والمجموعة الإثيوبية بها فى مكتبة معهد الدراسات الإثيوبية وهذا الاقتراح معمول به فى كثير من الدول الإفريقية التى قررت عدم تكرار المجموعات والخدمات الباهظة التكاليف وذلك بإدماج المجموعات البحثية والمرجعية فى

مكتبة واحدة إما الوطنية وإما الجامعية ومن ثم يمكن توفير مبالغ المجموعات والخدمات وأجور العاملين فى تطوير شبكة مكتبات عامة تنطلق من مكتبة عامة مركزية. وهذا النموذج موجود فى أوغندا التى ليست بها مكتبة وطنية؛ وزامبيا التى تقوم مكتبة الجامعة فيها منذ سنة ١٩٦٩م بدور المكتبة الوطنية أيضًا فى خدمة العلماء والباحثين.

هذا النموذج أيضًا يصلح لدولة مثل إثيوبيا التى تعانى المكتبات العامة فيها معاناة شديدة، كما أن المكتبة الوطنية لا تحقق الحد الأدنى من وظائفها كمكتبة وطنية.

والمكتبات المدرسية على الجانب الآخر وضعها بالغ السوء فرغم أن عدد المدارس فى المرحلتين الابتدائية والثانوية قد يصل إلى ستة عشر ألف مدرسة، إلا أن عدد المدارس التى فيها مكتبات لا يتجاوز ٥٪ فقط. وكثير منها لا يرقى إلى المعنى الحقيقى للمكتبة.

والتعليم المدنى الحديث فى إثيوبيا يرجع إلى عهد الامبراطور منلك الذى افتتح أول مدرسة حكومية حديثة سنة ١٩٠٨م؛ ولكنها كانت مدرسة بلا مكتبة. أما أول مدرسة افتتحت وكانت بها مكتبة فهى مدرسة تيفيرى ماكونين سنة ١٩٢٥م والتى كانت علامة فى تاريخ التعليم حيث أنشئت هذه المدرسة على النمط الأوروبى.

والقفزة الحقيقية فى المكتبات المدرسية فى إثيوبيا جاءت فى فترة الستينات والسبعينات من القرن العشرين حيث حرصت وزارة التعليم على تحسين مستوى الخدمات المكتبية فى المدارس الثانوية؛ فعقدت الدورات التدريبية لأمناء المكتبات وبمساعدة وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية تم شراء الكتب ووزعت على المدارس ولكن ماتزال المكتبات المدرسية تعانى كثيرًا من نقص التمويل وانعدام الكفاءات البشرية اللازمة لإدارة المكتبات. وأكثر من هذا ينقصها الأمن المتفرغ والذى قد يناط به فى كثير من الأحيان التدريس وإدارة مخازن الكتب المقررة.

ويذكر بعض الثقاة أن مسألة العهدة فى رقاب أمناء المكتبات فى إثيوبيا والتى تعتبرهم مسئولين عن الفاقد والتالف فى مجموعات المكتبة تجعلهم يحجمون عن ترويج استخدام المجموعات والحث عليه وظلت المجموعات فى رفوف مغلقة طوال الخمسينات والستينات.

وفى سنة ١٩٧٠م عين قسم الشئون الثقافية والمساعدات الخارجية بوزارة التعليم أول أمين مكتبة متخصص فيه وعلى الرغم من أن تخصص المكتبات لديه كان التخصص الأصغر إلا أنها كانت خطوة هامة على الطريق. وفى سنة ١٩٧١م أنشىء قسم خاص بالمكتبات والمتاحف والآثار داخل الوزارة برئاسة مدير عام.

وكما أسلفت كان للمساعدات الأجنبية دور فعال فى شراء الكتب وفهرستها وتوزيعها مركزياً وتدريب أمناء المكتبات اعتباراً من سنة ١٩٧١م ودخل فى هذه المساعدات إلى جانب وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية، الاتحاد الوطنى للتربية بالولايات المتحدة. وقد حضر أول دورة تدريبية ست وثلاثون أمين مكتبة مدرسية يولية - أغسطس ١٩٧١م. وكانت هناك فى كل سنة فى الأجازة الصيفية ثلاث دورات كل منها تمتد لستة أسابيع فى مدن جوندار و نازاريث.

المكتبات المتخصصة:

فى الستينات والسبعينات من قرننا العشرين كان هناك إحساس متنام بأهمية دور المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات فى الوزارات والمصالح الحكومية؛ رغم أن الميزانيات التى رصدت لإنشاء وتطوير تلك المكتبات كانت صغيرة. ومن بين المكتبات الحكومية المعدودة فى هذا الصدد مكتبة معهد الإدارة؛ ومكتبة كلية الشرطة آباديتا؛ ومكتبة القوات الجوية فى ديبرى زيت. وتمتلك الإدارات الحكومية الهامة فى السلطة التنفيذية مجموعات من الكتب يفاد منها بطريقة أو بأخرى.

وفى البلاط الإمبراطورى كما أشرت كانت هناك مكتبة جيدة جاء أكثر كتبها عن طريق الإهداءات كما كان فيها نحو ٦٠٠ من أحسن المخطوطات الإثيوبية. وقد آلت هذه المكتبة إلى ديوان رئاسة الجمهورية بعد الثورة التى أطاحت بالإمبراطور هيلاسيلاسى سنة ١٩٧٤م.

وبعد الثورة ظهر إلى الوجود عشرات جديدة من المكتبات المتخصصة فى المصالح الحكومية ومن بينها مكتبات البنوك الوطنية والتجارية. وتوفرت مؤسسات عديدة داخل الدولة على استيراد الحاسبات الآلية وتكوين شبكات منها خلال عقد الثمانينات إلا أن التسعينات لم تشهد تقدماً يعتد به فى مجال شبكات الاتصالات والمعلومات.

وعلى جانب المكتبات المتخصصة الأجنبية هناك العديد منها وعلى رأسها مكتبة شعبة الأمم المتحدة الاقتصادية من أجل إفريقيا التى أنشئت سنة ١٩٥٨. وقوة هذه المكتبة تكمن فى مجموعات الوثائق الحكومية الإفريقية والمطبوعات الرسمية الخاصة بالوكالات الإفريقية. وتتميز هذه المكتبة كذلك بمجموعات الدوريات التى لا توجد فى مكان آخر ولا تتاح بالثمن. وفى هذه المكتبة قسم رائع لتقارير البنوك وقسم لمطبوعات الأمم المتحدة، وتصل مجموعة الكتب فى هذه المكتبة إلى أكثر من ستين ألفًا بخلاف الوثائق والتقارير ويديرها أكثر من خمسة وعشرين موظفًا.

وربما كانت مكتبات المراكز الثقافية الأجنبية كذلك من بين مؤسسات المعلومات الهامة فى إثيوبيا. وتأتى على رأس تلك المكتبات المكتبة الأمريكية التى أسست سنة ١٩٥٢م. وهى مكتبة عامة من حيث أنها تفتح أبوابها للتجميع، وهى متخصصة فى انحيازها لكل ما هو أمريكى. وقد أقامتها مصلحة الاستعلامات الأمريكية وقد أدت خدمات مكتبية جليلة بين الأقاليم الإثيوبية، ففى خلال الستينات افتتحت عشرات من قاعات المطالعة بالتعاون مع وزارة التعليم فى أماكن مختلفة من بينها: ديزى؛ ديرى داوا؛ جوندار؛ هرار؛ جيماً؛ ليكيمت؛ ميكيلى. وكل مكتبة من هذه المكتبات تدور مجموعاته حول ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ كتاب.

ومن مكتبات المراكز الثقافية الأجنبية كذلك مكتبة المجلس البريطانى التى تضم أكثر من ٢٥٠٠٠ مجلد من وعن المملكة المتحدة. وهناك المعهد الألمانى والمعهد الإيطالى والمنتدى الروسى والمنتدى الفرنسى وغيرها من المراكز الثقافية الأجنبية التى تضم مكتبات تخدم بها المواطنين الإثيوبيين رغم أنها بصفة عامة مجموعات صغيرة.

مهنة المكتبات فى إثيوبيا بين التعليم والتجمع:

إثيوبيا شأنها شأن كل الدول النامية لا تعطى اهتمامًا كبيراً لأمناء المكتبات. ولم تبدأ عملية الإعداد المهنى لهم إلا على استحياء فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات حين قدمت دورات تدريبية أولية على أعمال وتنظيم المكتبات قدمتها وزارة التعليم والمكتبة الوطنية وقسم التعليم المستمر فى جامعة أديس أبابا. بيد أن كل هذه الدورات إنما هى خطوة واحدة فى سبيل الاعتراف بمهنة المكتبات من قبل المجتمع.

وقد افتتح أول قسم كامل للمكتبات فى كلية التربية جامعة هيلاسيلاسي الأول (أديس أبابا فيما بعد الثورة) سنة ١٩٦٦ كبرنامج فى علم المكتبات الذى جاء جزءاً من مشروع إعداد المعلم للمدارس الثانوية الذى توفر عليه برنامج التنمية فى الأمم المتحدة والذى أدارته منظمة اليونسكو.

وكان أول رئيس لهذا البرنامج التعليمى فى علم المكتبات هو سى. بى. شوكلا خبير اليونسكو وقد خلفه فيه روبى مارتز أمين المكتبة الأمريكى الذى أصبح أول رئيس لقسم علم المكتبات عندما تحول البرنامج إليه فى أكتوبر سنة ١٩٦٩م. وقد التحق بهيئة التدريس بالقسم أحد خريجيه من الإثيوبيين وهو تسفاى الديجا سنة ١٩٧١م وقد ابتعثته اليونسكو لدراسة علم المكتبات، وقد رأس القسم خلفًا للسيد/ روبى مارتز. وبقية أعضاء هيئة التدريس بالقسم غير متفرغين ويأتون أساساً من مكتبة الجامعة وهم حاصلون على دراسات رفيعة فى المكتبات.

والقسم يقدم دراسة مزدوجة فى المكتبات والتربية والمكتبات هى التخصص الأصغر والتربية هى التخصص الأكبر ويحصل الطالب على درجة البكالوريوس فى التربية (أدبى أو علمى) والدراسة عمومًا موجهة لخدمة المكتبات المدرسية. وعدد الطلاب الملتحقين بالقسم عمومًا محدود وإن كان يزداد عامًا بعد عام وعلى سبيل المثال كان عدد الخريجين به سنة ١٩٦٩م أحد عشر خريجًا، وفى سنة ١٩٧٠م ستة عشر وفى ١٩٧١ كان العدد سبعة عشر واعتباراً من سنة ٦٩/ ٧٠ كان عدد الملتحقين بالقسم يقصر على عشرين فقط.

وهناك تقليد ظريف فى جامعة أديس أبابا وهو أن يقضى جميع الطلاب المتخرجين سنة كاملة كخدمة عامة فى المقاطعات الإثيوبية كمتطلب من متطلبات التخرج. وهذه السنة تمنح طلاب المكتبات فرصة حقيقية للعمل فى المكتبات المدرسية أو مكتبات المجتمع الصغيرة.

وهناك برنامج دراسى آخر مخصص لتخريج مساعد أمين مكتبة. ويتكون البرنامج من ٣٢ ساعة فى الفصل الدراسى. ويمكن للطالب أن يتفرغ وينهى البرنامج فى عام واحد أو لا يتفرغ وينهى البرنامج فى سنتين ونصف. وهذا البرنامج يقدمه قسم

التوسع الجامعى وقد تخرج فيه ٧٢ طالبًا فى ثلاث سنوات حتى سنة ١٩٧١م ومنحوا الدبلوم ولكن بعدها توقف البرنامج فى العام ٧١/٧٠. وقد كانت كلية التربية بالتنسيق مع وزارة التعليم تدرس من هذا الدبلوم ليصبح لمدة عامين للمتفرغ وذلك حتى يتم الإعداد المهنى الجيد لمتطلبات السوق ولكن لم يحدث تقدم فى هذا الصدد حتى الآن.

وفى مؤتمر مدراء المكتبات الجامعية فى شرقى إفريقيا الذى عقد فى فبراير ١٩٧١م أوصى المجتمعون بتأسيس دراسات عليا فى المكتبات لسد احتياجات المكتبات فى ذلك الجزء من القارة. ولتحقيق تلك الغاية ولأغراض التنسيق بين برامج دراسة المكتبات القائمة آنذاك (وكانت ثلاثة برامج فى جامعة ماكريرى؛ وفى جامعة زامبيا؛ وفى جامعة هيلاسيلاسى الأول) طلب إلى مدراء المكتبات الثلاث تشكيل لجنة دائمة لدراسة هذا الأمر.

أما على جانب التجمع المهنى فى إثيوبيا فإن هناك اتحادًا للمكتبات يعرف باسم «اتحاد المكتبات الإثيوبية» أسس سنة ١٩٦٧م وتم إشهاره رسميًا من قبل الدولة سنة ١٩٦٩ وعدد المكتبات الأعضاء فيه الآن يربو على مائة. وكان من بين أولويات هذا الاتحاد استصدار قانون الإيداع الخاص بالإنتاج الفكرى الإثيوبى وقضية الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى إثيوبيا، وقد شكل عددًا من اللجان لدراسة أوضاع المكتبات المدرسية والمتخصصة والحكومية والجامعية وقدمت هذه اللجان أوراق عمل وتقارير بعضها على درجة عالية من الأهمية.

ومدير المكتبة الجامعية فى إثيوبيا هو بحكم وظيفته عضو فى المؤتمر الدائم لمدراء المكتبات الجامعية الإفريقية (اسكول). وقد قامت مكتبة جامعة أديس أبابا بتنظيم المؤتمر الافتتاحى للمنطقة الشرقية فرع المؤتمر الدائم لمدراء المكتبات الجامعية الإفريقية وقد حضر هذا المؤتمر عشر من المكتبات الجامعية فى شرقى إفريقيا. ويهدف فرع المؤتمر الدائم لمدراء المكتبات الجامعية الإفريقية للمنطقة الشرقية إلى خلق نوع من التنسيق والتعاون بين المكتبات الجامعية فى شرقى إفريقيا؛ وكان مؤتمر فبراير ١٩٧١ هو المؤتمر الأول فى سلسلة اللقاءات التى تهدف إلى ذلك.

والخلاصة أن صورة المكتبات فى إثيوبيا ليست ساكنة وداكنة ولكنها متحركة ولكنه

تحرك بطىء وتحت ضغوط الحاجات الملحة والمساعدات الأجنبية، فقد رأينا أن المخطوطات التى حافظت عليها الكنائس والأديرة قروناً عديدة والتى يصل عددها إلى نحو خمسين ألف مخطوط هى عرضة للبلى والضياع مما حدا بالكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية بالتعاون مع جامعة سان جونز ـ كوليجفيل وتمويل من المؤسسة الوطنية للإنسانيات إلى القيام بمشروع ضخم يضاف إلى المشروعات السابقة لتفليم تلك المخطوطات سنة ١٩٧٣. وقد أنجز جانب من ذلك المشروع وخرجت منه مكتبة ميكروفيلم المخطوطات الإثيوبية فى أديس أبابا (١٩٧٦ ـ) ومكتبة ميكروفيلم مخطوطات أديرة التلال ـ كوليجفيل (١٩٨٠ ـ).

وتحقق المكتبات الجامعية تقدماً ملحوظاً عقداً بعد عقد، كما تحقق المكتبات المتخصصة هى الأخرى بعض التقدم وإن كان بينها وبين الميكنة شوط طويل. وكما هو الحال فى جل الدول النامية تتأخر المكتبات المدرسية والعامة تأخراً ملحوظاً وذلك لارتباطهما الوثيق بمفهوم الديمقراطية وحقوق المواطنين، ومستوى ودرجة التعليم. ولقد مدت جهات أجنبية كبيرة يد المساعدة إلى المكتبة الإثيوبية مما ساعدها كثيراً على تحقيق بعض التطور.

إن السلطات الراغبة فى التنمية المكتبية فى إثيوبيا أمامها فرصة ذهبية للتجمع من خلال اتحاد المكتبات الإثيوبية وكما قالت ريتا بانكورست إن أمام المكتبة الإثيوبية مهمات عظيمة يجب أن تحققها حتى تدخل إلى رحاب القرن الواحد والعشرين وقد حددتها على الوجوه الآتية:

١ ـ إصدار تشريع تقوم بمقتضاه هيئة وطنية عليا لتخطيط وتنسيق الخدمات المكتبية على المستوى الوطنى.

٢ ـ استصدار تشريع بالإيداع القانونى.

٣ ـ وضع خطة لصيانة وترميم وفهرسة وتسجيل المخطوطات الإثيوبية.

٤ ـ وضع خطة شاملة لإصدار الببليوجرافية الوطنية الإثيوبية.

٥ ـ وضع خطة شاملة للنهوض بالمكتبات المدرسية.

٦ ـ وضع خطة شاملة للنهوض بالمكتبات العامة على المستوى الوطنى.

٧ ـ وضع خطة شاملة للإعداد المهنى لأمناء المكتبات بدءًا من أمين مكتبة المدرسة الابتدائية وانتهاءً بأخصائى المعلومات والاتصالات.

وقد خلصت ريتا بانكورست إلى أنه لو وضعت هذه البرامج والخطط ونفذت فإن المكتبة الإثيوبية سوف تصبح يقينًا أداة من أدوات التنمية الشاملة فى إثيوبيا تدخل بها إلى القرن الحادى والعشرين.

المصادر:

- Belcher, Sheila. "Libraries in Ethiopia" .- in .- PNLA Quarterly. vol. 35, no. 3, 1971. pp 8 - 15.

- Mengste - Ab, Adhana. Ethiopia .- in .- World Encyclopedia of Library and Information Science.- 3 rd ed .- Chicago: A. L. A., 1993.

- Pankhurst, Richard. "The foundations of education, printing, newspapers, book production, libraries and literacy in Ethiopia" .- in .- Ethiopia Observer.- vol. 6, 1962. pp 241 - 290.

- Pankhurst, Rita. "The library scene in Ethiopia: problems and prospects": a paper presented at the IFLA Pre - conference Seminar, August 24 - 27, 1971, Liverpool.

- Pankhurst, Rita. Ethiopia, Libraries in .- in .- Encyclopedia of Library and Information Science .- New York: Marcel Dekker, 1972. vol. 8.

- Paton, William B. Ethiopia: development of public and school libraries .- Paris: UNESCO, 1969 (no. 1110/ BMS. RD/ DBA).

- Paton, William B. "Libraries in Ethiopia" .- in .- UNESCO Bulletin for libraries .- vol. 24, no 1. 1970. pp 27 - 31.

- Wright, Stephen. "Book and manuscript Collection in Ethiopia" .- in .- Journal of Ethiopian Studies .- vol. 2, no. 1, 1964. pp 11 - 24.

إجراءات التظلم فى المكتبات

Library Grievance Procedures

التصادم بين أمناء المكتبات ورؤسائهم فى العمل أمر وارد فى كل زمان وفى كل مكان؛ فى ظل الدكتاتوريات وأيضًا فى ظل الديمقراطيات ولكلٍ مظلمته وشكواه، والمفروض أن يكون للتظلم والشكوى أصول وقواعد حتى يحصل كل ذى حق على حقه وتسود المحبة والتعاون بين الجميع لأن العمل فى المكتبات هو فى الأصل والأساس عمل جماعى تعاونى.

ورغم أن المظالم قديمة قدم الإنسان على الأرض؛ وهى أيضًا موجودة فى المكتبات ومؤسسات المعلومات قدم تلك المكتبات والمؤسسات إلا أن الاهتمام بها وتقنين إجراءاتها لم يظهر إلا فى سبعينات قرننا العشرين حيث أصبح الأمر ظاهرة بسبب التغيرات التى طرأت على الظروف الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات المادية بين أمناء المكتبات وظروف مهنة المكتبات نفسها بل وأكثر من هذا اتساع رقعة الديمقراطية والوعى الجديد بالحقوق والواجبات والزخم الإعلامى الرهيب الذى جعل الكرة الأرضية قرية صغيرة يعرف كل من فيها ما يجرى فيها. يضاف إلى ذلك الوعى الإدارى الجديد الذى ظهر فى المكتبات وهو أن كل من يعمل فى المكتبة هو بالضرورة مشارك فى إدارة المكتبة. وفى ظل الاستخدام الآلى ظهرت الحاجة إلى ضرورة الاستغناء عن بعض العاملين فى هذه المكتبة أو تلك، وأصبح هناك تنافس على الوظائف المحدودة نسبيًا مع العدد الكبير من العاملين فى الميدان. وفى الولايات المتحدة أصبحت ماجستير المكتبات الحد الأدنى من المؤهلات للعمل فى المجال محل جدال الآن، وقد تصبح الدكتوراه فى القرن القادم هى الحد الأدنى، كما أصبح التنافس بين المهنيين وغير المهنيين هو الآخر مصدرًا للتظالم والشكوى ذلك أن الفطيرة لم تعد تتسع للفئتين معًا كما كان الحال من قبل. وأصبح للمرأة أيضًا صوت مسموع فى مهنة يغلب فيها عدد النساء عدد الرجال.

ولقد تضاعفت فى السنوات الأخيرة أسباب عدم الرضاء من جانب المكتبات وسخطهم بسبب ظروف التوظيف والعمل. ومع التقارب المهنى ثم التجمع المهنى

ونشأة الاتحادات والجمعيات المهنية كان من الطبيعى أن ترسى أسس للتظلم المكتبى.

وربما كان إيفرت فولكرز هو أول من كتب سنة ١٩٦٩م فى مجلة اتحاد المكتبات الأمريكية يعبر عن رغبة أمين المكتبة فى وضع نظام للتظلم وقد أشار إلى طبيعة العمل المكتبى وضرورة إرساء قواعد صلبة للتظلم المكتبى كخطوة أولى على الطريق نحو زمالة حقيقية فى إدارة المكتبات. وقد أشرت فى مقال سابق «اتحاد العاملين فى المكتبات» إلى أن مهام هذه الاتحادات التفاوض الجماعى مع إدارة المكتبة حول حقوق أمناء المكتبات كمجموع وكأفراد فى نفس الوقت.

وفى سنة ١٩٧٥م عقد مؤتمر حول هذا الموضوع «التفاوض الجماعى فى المكتبات» وذلك تحت رعاية مكتبة ولاية إلينوى ومدرسة الدراسات العليا فى المكتبات بجامعة إلينوى ومكتب التعليم المستمر والخدمة العامة. وقد قدم مارتين واجنر الأستاذ فى معهد العمل والعلاقات الصناعية بحثًا عن التظلم وضع فيه بعض النقاط الهامة التى يجب مراعاتها عند رسم سياسة التظلم وإجراءاته ومن بين تلك النقاط:ـ

١ ـ من هو الشخص المسئول فى كل خطوة من خطوات التظلم؟

٢ ـ هل يستخدم الإجراء لتوضيح خلافات فى الرأى أم للكشف عن خطأ فى الاتفاق بين الموظف والإدارة؟

٣ ـ من أى مستوى يجب أن تبدأ إجراءات التظلم؟

٤ ـ هل الموظف أم المجموعة التى ينتمى إليها هو/ هى الذى/ التى يجب أن تبدأ التظلم؟

٥ ـ ما هو الدور الذى يجب أن يلعبه الاتحاد فى إجراءات التظلم؟

٦ ـ ما هو الوقت الذى يجب أن تستغرقه الإجراءات؟

ويطلق واجنر على إجراءات التظلم صفة بالونة اختبار على مرونة الإدارة وتقبلها لأحكام اللوائح والاتفاقات السابقة وعلى آلية الاتصالات داخل المكتبة.

وفى سنة ١٩٨٠م قامت نانسى فان زانت بجمع بعض إجراءات التظلم فى كتابها عن «سياسات العاملين فى المكتبات». وفى سنة ١٩٨١م قامت المائدة المستديرة للمسئوليات

الاجتماعية المنبثقة عن اتحاد مكتبات واشنطون ـ وهى جماعة اهتمام خاص ـ بتنظيم ثلاث ورش عمل حول موضوع إجراءات التظلم والنظام فى المكتبات. وقد نفذت الورشة الأولى فى مايو سنة ١٩٨١م فى إلنزبرج، والثانية فى نوفمبر من نفس السنة فى سياتل والثالثة كانت عبارة عن مؤتمر مشترك بين اتحاد مكتبات واشنطون واتحاد مكتبات أوريجون وانعقدت فى فانكوفر واشنطون. وقد تمت الورشة الأولى فقط تحت رعاية المائدة المستديرة للمسئوليات الاجتماعية والثانية والثالثة تحت رعاية رابطة العاملين بالمكتبات فى ولاية واشنطن؛ وللأسف لم تنشر أية نتائج أو أوراق لهذه الورش الثلاث.

وقد قدمت دى بيرش كاميرون دراسة نموذجية عن الإجراءات التى يقوم بها أمناء المكتبات عند التظلم. وهذه الدراسة قامت بها على مجموعة من الوثائق وعلى عينة عشوائية من خمسين مكتبة أكاديمية وخمسين مكتبة عامة مما تستوظف عشرة أمناء مكتبات فأكثر. وقد نشرت نتائج هذه الدراسة فى مجلة ويلسون للمكتبات سنة ١٩٨٢م. وتقول الكاتبة إنها تأثرت فى عملها هذا جزئيًا بالملاحظات التى أبداها (لى إستابروك) فيما يتعلق بافتقار المكتبيين إلى الوعى بالحدود الفاصلة بينهم وبين إدارة مكتباتهم داخل مهنة المكتبات.

والنقاط الآتية برزت فى دراسة دى بيرش كاميرون كاجراءات لحماية المتظلم نفسه: .

١ ـ الفرصة التى يتجنب فيها المتظلم الرئيس المباشر متى تكون.

٢ ـ الحدود والمتطلبات التى يجب أن يراعيها المتظلم أثناء إجراءات التظلم.

٣ ـ فرصة تمثيل المتظلم بواسطة طرف ثالث والمرحلة التى يمكن فيها القيام بذلك.

٤ ـ الاستماع الجماعى للتظلم والمرحلة التى يكون فيها ذلك.

٥ ـ إقحام شخص مراقب كناصح أو كقاض (حكم).

وقد سعت الباحثة إلى دراسة الروابط والعلاقات بين ثلاثة متغيرات هى: وقوع هذه النقاط وحدوثها بالفعل؛ الطرق التى استخدمت فى صياغة الإجراءات؛ العاملون الذين تنطبق عليهم. وقد ركزت الدراسة على طرق تأمين المتظلم لأن الباحثة تدرك ما

يمكن أن يصيب المتظلم من أضرار من جراء تظلمه.

وقد سئل المجيبون على الاستبيان عما إذا كانت الإجراءات قد صدرت من جانب الإدارة وحدها أم تم التفاوض بشأنها مع اتحاد العاملين أو استشير فيها جماعة عمل غير اتحادية. وقد سئل أمناء المكتبات العامة عما إذا كانت الإجراءات تنسحب فقط على المكتبيين المؤهلين أم على كل العاملين بالمكتبة أم على جميع العاملين فى القطاع الحكومى الذى تتبعه المكتبة. كذلك سئل أمناء المكتبات الأكاديمية عما إذا كانت الإجراءات تنطبق على المؤهلين مكتبيًا فقط أم على جميع العاملين بالمكتبة وعلى أعضاء هيئة التدريس بالجامعة أم على العاملين فى الجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس.

وكانت إجراءات التظلم لدى أمناء المكتبات العامة أقل الإجراءات تضمينًا لأربع من النقاط أو الملامح الخمسة التى أثيرت. وكانت المراجعة الجماعية هى أعلى النقاط وأشارت إلى دور مجالس المدن أو البلديات. وكان صدور الإجراءات من جانب واحد هو الغالب على إجراءات تلك المكتبات وهذا الجانب هو عادة إدارة المكتبة وخاصة عندما كان النظام ينطبق على أمناء المكتبات المؤهلين وحدهم. ويزداد تدخل اتحادات العاملين إذا كان المكتبيون يستخدمون إجراءات التظلم الخاصة بمدينة أو مقاطعة أو ولاية أخرى.

أما أمناء المكتبات الأكاديمية فإن إجراءاتهم غالبًا ما تتضمن النقاط أو الملامح الخمسة المثارة؛ وخاصة فى الحالات التى يستخدم فيها المكتبيون الاجراءات التى تنطبق على أعضاء هيئة التدريس فى نفس الوقت الذى تنطبق فيه على العاملين الآخرين.

وفى بعض إجراءات التظلم تأتى عملية اقحام اتحاد العاملين كقضية أساسية من منطلق أن الاتحاد يعطى الفرصة للمتظلم أن يحصل على أحسن ناتج ممكن مما لو قام به طرف آخر. كذلك خلصت دراسة كاميرون إلى أن المعطيات من جانب جماعات العمل تعطى المتظلم حماية أفضل. والفرق الوحيد بين الإجراءات التى دخل فيها الاتحاد طرفًا وتلك التى تدخل فيها جماعات عمل غير اتحادية هو أن الاتحاد يقدم ممثلاً عنه يحضر مع المتظلم منذ بداية الإجراءات.

ويثير مارتين واجنر قضية هامة مؤداها ماهى الضمانات الكفيلة بحمل الإدارة على

المضى قدمًا فى تحقيق المظلمة ورفع الظلم. وليس هناك فى الإنتاج الفكرى المكتبى ما يعالج هذه القضية. ويمكننا أن نقسم قضايا إجراءات التظلم فى المكتبات إلى وإعداد دليل بهذه الإجراءات إلى مجموعتين كبيرتين: الأولى تتعلق بقضايا القوة والسلطة التى تتوفر على إعدادها. من سوف يصمم هذه الإجراءات؟ وكيف يتأكد العاملون أو يضمنوا أن ادارة المكتبة سوف تلتزم بما يرد فى الوثيقة من بنود والقرارات التى تقضى بها البنود؟ وفى المجموعة الثانية نجد ما يتعلق بالمشكلات والحلول، أى ما هى الحالات التى يجب أن تشملها الإجراءات وماهى الحالات التى تنحسر عنها الإجراءات. وعند هذه النقطة نجد أن المجموعة الثانية من القضايا أسهل معالجة من المجموعة الأولى. والنموذجان المرفقان على إجراءات التظلم من النماذج التى اعتبرتها دى بيرش كاميرون من أفضل الإجراءات من حيث الوضوح ومن حيث الشمول ومن حيث رعايتها لمصالح المتظلمين.

ففى هذين النموذجين حددت المفاهيم والإجراءات تحديدًا قاطعًا. وتقضى الخطة بتجاوز الرئيس المباشر إذا اقتضت الضرورة ذلك، كما تقضى بأن يرافق المتظلم مساعد أو ممثل كما تقضى بمراجعة جماعية فى مرحلة لاحقة. وإجراءات جامعة برنستون تستمد قوتها من أنها موجهة للمكتبيين وتلجأ إلى التحكيم كملجأ أخير واللجنة المحكمة تضم ممثلين عن جماعات مختلفة من داخل المكتبة وخارجها.

وفى كلتا الحالتين نجد أن الخطوة الأولى فى إجراءات التظلم بجامعة برنستون وجامعة كنتكى خطوة ودية... خطوة ودية غير رسمية لحل مشاكل العمل. وهذه الخطوة نجدها فى كثير من الإجراءات ولكنها فى الأعم الأغلب ليست بالوضوح والتفصيل الذى نجده هنا فى النموذجين. هذان النموذجان يركزان على حل المشاكل فى مراحل مبكرة وأقل قدر ممكن من الخسائر على الطرفين: المتظلم والمكتبة.

وهذا النموذجان يعترفان بأن الإهمال فى تناول المعلومات المتولدة عن إجراءات التظلم قد ينتج عنه الإضرار بالعاملين الداخلين فى هذه العمليات. ولذلك نجد إجراءات جامعة برنستون تتخذ احتياطات كاملة ضد مناقشة المشكلة محل التظلم فى ظل ظروف غير مناسبة أو مع أى شخص بخلاف الشخص المعنى بها. وتسمح

إجراءات جامعة كنتكى للمتظلم باللجوء مجانًا إلى أحد العاملين كناصح خلال الخطوات الودية ثم تعفى هذا الناصح من الشهادة والإدلاء بالمعلومات التى لديه إذا انتقلت الإجراءات بعد ذلك إلى مراحل رسمية إلا إذا وافق هذا الناصح وكانت له رغبة فى ذلك.

ولما كانت الوثائق والسجلات المكتوبة عرضة لإساءة الاستخدام والتفسير لذلك تسمح إجراءات جامعة كنتكى بجمع بيانات من مصادر غير مكتوبة فى المرحلة الودية من الاجراءات. وتعتبر أن أول وأحسن وثيقة مكتوبة ورسمية هو الاتفاق نفسه. وعندما يتم التأكد من ضرورة الإجراءات الرسمية تصدر تعليمات محددة بأماكن الاحتفاظ بالوثائق المكتوبة ودرجة سريتها. وتذهب جامعة برنستون إلى أبعد من هذا فتعطى المتظلم الحق فى شىء من التحكم فى نوعية الوثائق التى يتم التحفظ عليها ولحمايته أكثر تجمع هذه الوثائق فى ملف مستقل منفصل خاص بالتظلم بعيدًا عن الملفات الأخرى الخاصة به.

وإضافة إلى هذه التفاصيل فإن نغمة النموذجين تشى بالشك فى أن الوثائق المكتوبة يمكن أن تؤثر فى نوعية التصرفات لأى شخص طرف فى التظلم. ولذلك فإنه من الواضح وإن كان غير قاطع أن إجراءات جامعة برنستون تقترح أن تعالج المظالم بطرق متحضرة كذلك ترى إجراءات جامعة كنتكى أن أية خلافات هى عادة قابلة للحل وقابلة للمعالجة.

وأقدم هنا النص الكامل للنموذجين اللذين رأت دى بيرش كاميرون أنهما أحسن نماذج الإجراءات التى أتت عليها فى دراستها المشار إليها.

إجراءات جامعة كنتكى للتظلم المكتبى

إلى من تلجأ ومتى:

تبدى جامعة كنتكى اهتمامها البالغ بحقوق العاملين بها حاليًا والعاملين الذين سيلتحقون بها مستقبلاً ولذلك أنشأت مكتب الإجراءات الإيجابية العادلة للعاملين ومكتب إرشاد العاملين.

ومكتب الإجراءات الإيجابية العادلة للعاملين هو فى الحقيقة مكتب مزدوج المسئولية

ويقوم على إدارته شخص واحد يطلق عليه المنسق. والمهمة الأساسية للمكتب هو أن يؤكد لموظفى المستقبل والموظفين الحاليين فى جامعة كنتكى أنه لن يكون هناك تمييز لسبب العرق أو الجنس أو الدين أو اللون أو الانتماء الوطنى (الجنسية الأصلية). وأى شخص يشعر بأن جامعة كنتكى لم تعينه أو حددت مدة تعيينه أو عرضته للخطر لأى سبب من الأسباب المذكورة بعاليه يجب أن يلجأ إلى مكتب الإجراءات الإيجابية العادلة للعاملين.

أما مكتب إرشاد العاملين فهو مخصص لغير أعضاء هيئة التدريس بالجامعة يلجأون إليه لأسباب غير أسباب التمييز السابقة أو لشكاوى شخصية خاصة متعلقة بتقييم الأداء، الترقيات، الأجازات، الدرجات والأجور. . .

وإذا كان الموظف لا يعرف إلى أى من المكتبين يلجأ فإنه يمكنه الاتصال بأيهما لتوضيح الأمر وتقديم المساعدة.

كيف يعمل المكتب:

أى موظف يشعر بأنه ظلم عليه - إذا سمح الموقف - بأن يناقش شكواه مبدئيًا مع رئيسه المباشر: رئيس القسم، العميد، المدير. وإذا كان الموظف يفضل أن يحضر المقابلة المبدئية معه مدير مكتب إرشاد العاملين لمساعدة الأطراف المعنية بأى طريقة مناسبة وفعالة.

وإذا كان الموظف قد التقى بمفرده مع رئيسه المباشر: رئيس القسم، العميد، المدير ويشعر أن المشكلة ماتزال قائمة لم تحل فإننا نشجعه على الاتصال بالمرشد فى مكتب الإرشاد.

وبعد المقابلة المبدئية بين الموظف والمرشد فى مكتب الإرشاد، فإن المرشد سوف يحدد الحقائق المطلوبة لحل القضية. وسوف تجرى محاولات لجمع الحقائق وتقصيها من خلال مقابلات ودية مع الرسميين والمشرفين وسائر العاملين وفحص السجلات المتصلة بالواقعة. وعندما تدعو الضرورة إلى استقصاء كامل، سوف يكون هناك مراجعة شاملة لسجلات الموظف وللأشخاص الآخرين الذين لهم علاقة مباشرة بموضوع التظلم.

والمقابلات التى تجرى مع رؤساء المتظلم وأقرانه والأطراف الأخرى تتم وديًا بدون حلف اليمين أو توثيق وشهادة واسعة النطاق.

وعندما نشعر بأنه تم جمع المعلومات الكافية، سوف يعلق التحقيق وتجرى محاولة أخرى لمعالجة المشكلة. بالمحادثة مع الموظف والجهاز الإدارى المناسب كل على حدة أو هما معاً مواجهة والمرشد يجمع بين الطرفين إذا وجد الموظف المتظلم أن ذلك لن يخل بسرية قضيته، التى يحرص المرشد على حمايتها للدرجة التى يطلبها منه الموظف نفسه وبما لا يعوق حل القضية.

وليست هناك روشتة مطبوعة يتبعها المرشد فى حل القضية إلا أن العملية كلها عملية ودية. وأى حل يقترحه سوف يبنى على الحقائق التى جمعت أثناء التقصى والمتظلمون عليهم أن يدركوا أنه فى خلال هذه المرحلة يمكن الوصول إلى الحل المرضى كما أنه لا يمكن الوصول إليه. وإذا وافق الرئيس المباشر على إجراء معين فإنه لابد من كتابة الإجراء حتى ترسل نسخة منه إلى المتظلم للموافقة.

وفى حالة عدم موافقة الموظف على الحل الذى تم التوصل إليه للمشكلة، أو إذا لم ير الرئيس المباشر أو المدير اتخاذ أى إجراءات تصحيحية للمشكلة فإن المرشد سوف يزن الأسباب التى بنى عليها ذلك الموقف ويقدمها للموظف حتى يعطيه الفرصة ليقرر البدائل التى يتخذها فى هذا الصدد. وإن شاء الموظف أن يصعد الموقف أكثر فإن المرشد سوف يكون جاهزًا للمساعدة فى صياغة أية شكوى رسمية.

وعند هذه النقطة سوف تعامل الشكوى بطريقة رسمية على حسب إجراءات التظلم المرعية فى هذا الصدد. وحسب متطلبات القانون فليس مسموحًا للمرشد أن يتقدم بشهادته فى الخطوات التالية بالنسبة للمعلومات التى حصل عليها من الموظف إلا إذا وافق الموظف المتظلم على ذلك.

إجراءات التظلم:

المرحلة الأولى:

١ ـ يجب أن يقدم الموظف المتظلم شكواه إلى رئيسه المباشر شفاهة.

٢ ـ قد يطلب الرئيس المباشر أن تقدم الشكوى كتابة وفى هذه الحالة لابد للمتظلم أن ينصاع لهذا الطلب.

٣ ـ يرسل الرئيس المباشر بيانًا بها مع تقرير عنها إلى قسم شئون العاملين بالجامعة.

٤ ـ يبذل الرئيس المباشر أقصى جهد ممكن للتعامل مع الشكوى بما تستحقه دون إبطاء أو تأخير. ومع ذلك فإن الرئيس سوف يسمح له بثلاثة أيام عمل (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية) لحل المشكلة حلاً مرضيًا. وقرار الرئيس المباشر هنا سوف يعتبر إجابة وردًا على الشكوى.

٥ ـ سوف تكون الإجابة على الشكوى مكتوبة.

٦ ـ ترسل نسخة من الإجابة والرد إلى قسم شئون العاملين بالجامعة.

المرحلة الثانية:

١ ـ إذا لم يقتنع الموظف المتظلم برد الرئيس المباشر وإجابته، أو إذا لم يقم الرئيس المباشر بالرد خلال المدة المنصوص عليها فى المرحلة الأولى فإن للموظف المتظلم أن يطلب الرد من رئيس القسم أو العميد أو المدير الأعلى.

٢ ـ ترفع الدعوى خلال ثلاثة أيام عمل (ليس من بينها أيام السبت، الأحد والعطلات الرسمية من تلقى رد الرئيس المباشر، وإذا لم يكن هناك رد ففى خلال ثلاثة أيام عمل (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية) بعد انقضاء المهلة التى أعطيت للرئيس المباشر للرد والمنصوص عليها فى المرحلة الأولى.

٣ ـ قد يقرر رئيس القسم أو العميد أو المدير أن تكون الدعوى مكتوبة وفى هذه الحالة يجب أن ينصاع المتظلم للأمر.

٤ ـ القرار الذى يتخذه رئيس القسم أو العميد أو المدير بالنسبة للدعوى يجب أن يكون مكتوبًا ويرسل إلى المتظلم فى غضون خمسة أيام عمل (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية) من تسلم عريضة الدعوى.

٥ ـ ترسل نسخ من عريضة الدعوى والقرار إلى قسم شئون العاملين بالجامعة.

المرحلة الثالثة:

١ ـ إذا لم يرض الموظف المتظلم عن القرار الذى اتخذه رئيس القسم أو العميد أو المدير، أو إذا لم يبت فى الدعوى خلال المدة المحددة فى المرحلة الثانية، فإن المتظلم يمكنه أن يرفع مظلمته إلى مدير شئون الموظفين بالجامعة.

٢ ـ ترفع الدعوى خلال ثلاثة أيام عمل (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية) من تسلمه القرار وإذا لم يتخذ قرار تكون الأيام الثلاثة بعد انتهاء المدة المحددة لرئيس القسم أو العميد أو المدير (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية) والمنصوص عليها فى المرحلة الثانية.

٣ ـ قد يقرر مدير شئون الموظفين بالجامعة أن تكون الدعوى مكتوبة وفى هذه الحالة يجب أن ينصاع الموظف المتظلم للأمر.

٤ ـ يقوم مدير شئون الموظفين بالجامعة أو من ينيبه ببحث الدعوى وتقديم الاقتراح بحسمها إلى نائب رئيس الجامعة أو المسئول الإدارى أو إلى السلطة المختصة خلال خمسة أيام عمل (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات) من تلقى عريضة الدعوى.

٥ ـ يقوم نائب رئيس الجامعة أو المسئول الإدارى باتخاذ القرار المناسب كتابة ويرسل منه نسخة إلى الموظف المتظلم خلال خمسة أيام عمل (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية) من تلقى اقتراح مدير شئون الموظفين.

٦ ـ تقدم نسخة من قرار نائب رئيس الجامعة أو المسئول الإدارى إلى قسم شئون الموظفين بالجامعة.

المرحلة الرابعة:

١ ـ إذا لم يقنع الموظف المتظلم بقرار نائب رئيس الجامعة أو المسئول الإدارى وإذا كانت المظلمة واحدة من الآتيات:

أ ـ إنهاء غير عادل لعقد العمل.

ب - تمييز عنصرى يخرق القواعد التى قررتها الجامعة للالتحاق بوظائفها.

ج - خرق سياسات العمل الأساسية بالجامعة.

فإنه يمكن للموظف خلال الثلاثة أيام عمل التالية (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات) أن يطلب عقد جلسة استماع أمام لجنة استماع التظلمات.

٢ - يقوم رئيس الجامعة بتعيين لجنة استماع التظلم ويحدد لها رئيسها.

٣ - تتألف هذه اللجنة من ثلاثة أعضاء محايدين من خارج الوحدة التى يعمل فيها المتظلم.

٤ - تقوم اللجنة ببحث التظلم وتجمع الحقائق وتدرسها، وربما تستمع وتعقد جلسات الاستماع التى تراها مناسبة وتقدم تقريراً مكتوبًا بمرئياتها مشفوعًا بتوصياتها لحل القضية، إلى رئيس الجامعة خلال عشرة أيام عمل (ليس من بينها أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية) من تعيين أعضاء اللجنة إلا أذا مدت هذه المدة لأسباب مقبولة.

٥ - للموظف المتظلم أن يختار ممثلاً عنه يتحدث بدلاً منه فى جلسات الاستماع. وليس مسموحًا فى جلسات الاستماع للموظف أو ممثله أن يواجه أو يقاطع الأفراد الآخرين ولكنه يخطر قبل بدء جلسات الاستماع بقائمة الأشخاص الذين يظهرون أمام اللجنة.

٦ - يقوم رئيس الجامعة بعد استعراض نتائج أعمال اللجنة وتوصياتها باتخاذ القرار النهائى كتابة ويخطر به الموظف المتظلم كتابة.

٧ - ترسل نسخة من نتائج أعمال اللجنة وتوصياتها وقرار رئيس الجامعة إلى قسم شئون الموظفين لتوضع فى ملف الموظف المختص مع السرية المطلوبة.

استعلام الموظف فى مقابلة أمن الوظيفة

من المأمول أن يستفيد أى موظف من غير أعضاء هيئة التدريس لديه شكاوى أو قضايا عمل، إلى أقصى حد وبدون تردد من مكتب إرشاد الموظفين.

وغالبًا ما يشعر الموظف أنه ليس هناك أحد يتحدث إليه، أو إنه إذا تقدم بالشكوى فإن هناك احتمال إنهاء خدمته وخطر مضايقته أو إعطائه تقريرات ضعيفة أو أى شكل آخر من أشكال العقاب.

إن من حق الموظف أن يسأل ويستعلم عن أى شىء يتعلق بعمله مما يؤثر فيه سلبًا وإيجابًا ويؤثر فى الإنتاجية. ومن صالح الجامعة والموظف أن تصحح الأوضاع الخاطئة، وأن تتحسن عملية الاتصال، وبصفة عامة فى أن يكون مجتمع الجامعة مكانًا أفضل للعمل.

نقاط يجب تذكرها

١ ـ إذا كانت لديك شكوى تتعلق بالعمل خلاف شكاوى التفرقة، اتصل فورًا بمكتب إرشاد الموظفين.

٢ ـ إذا شعرت بأنك تتعرض لتمييز ضدك بسبب العرق أو الجنس أو الدين أو اللون أو الانتماء الوطنى (الجنسية الأصلية)، اتصل فورًا بمنسق الإجراءات الإيجابية لتكافؤ الفرص.

٣ ـ سوف يتم التعامل بسرية كاملة مع جميع الحالات.

٤ ـ إذا لم يستطع مكتب إرشاد الموظفين مساعدتك فإن أمامك العديد من البدائل.

٥ ـ لك الحق فى أن تستعلم وتستفسر عن أى جانب من جوانب العمل دون خوف من أن تفقد الوظيفة أو تهديد بأى شىء.

٦ ـ إن مناقشة وحل المشاكل يحسن ظروف العمل بالنسبة للجميع.

إجراءات التظلم المكتبى للمكتبيين المهنيين فى جامعة برنستون:

إجراءات التظلم المقررة هنا موجهة لجميع أمناء المكتبات العاملين فى جامعة برنستون وهذه الإجراءات يمكن أن يعمل بها عند أى تظلم ناتج عن ظروف العمل بما فى ذلك الطرد من الخدمة أو الوقف منها فيما عدا تلك المتعلقة بالرواتب والترقيات أو

التظلمات الجماعية والتى يتخذ بشأنها إجراء آخر.

وهذه الإجراءات تقدم ثلاث خطوات للتقدم بالمظالم على النحو الآتى:

الخطوة الأولى: تقدم المظلمة وتناقش فى إطار الهيكل التنظيمى للمكتبة مع مراعاة استقرار الأوضاع (مدير مكتبة الجامعة وحده يكون الإدعاء عليه من خلال وثائق مكتوبة).

الخطوة الثانية: يقوم مدير المكتبة بالفصل فى المظلمة فى حضور مجموعة من الأقران (الطلب والرأى والاقتراح كتابة).

الخطوة الثالثة: يعرض الرأى والاقتراح على مجموعة من الأشخاص من بينهم ممثلين من خارج موظفى المكتبة (طلب وحكم مكتوب).

هذه الخطوات الثلاث مشروحة بالتفصيل فيما بعد، وهى تمثل ثلاث مراحل للمناقشة، وكل مرحلة منها أكثر جدية من التى قبلها. وكل منها مصمم بحيث يفصل فى المظلمة بسرعة وعدل دون اللجوء إلى مراحل تالية بقدر الإمكان. ولب إجراء التظلم هو الوصول إلى حكم نهائى خارج الوحدة التى وقعت فيها المظلمة. والإجراءات الحالية تسعى إلى تحقيق هذا الهدف.

وفى ظل هذه الإجراءات نهدف إلى ألا يعاقب أى شخص أو يبخس حقه عندما يتقدم بشكوى أو يلاحقها أو يقوم بدور ممثل الشخص الشاكى أو يقدم معلومات مطلوبة فى سياق إجراءات التظلم. وأى شخص يعتقد أنه قد عومل معاملة غير عادلة أو عوقب بسبب أى نشاط من النشاطات المذكورة يمكنه أيضًا التقدم بشكوى مثل أى تظلم خاضع لأحكام هذه الإجراءات.

وجميع المقابلات والاستماعات التى تتم بخصوص تظلم ما تناقش فقط مع الأطراف المعنية فقط وفى ظل ظروف مناسبة تماماً.

والمظالم قد تقع فى فئتين الأولى: حادثة أو واقعة معينة الثانية: موقف يتعلق بشروط وظروف الوظيفة التى يشغلها الشخص. وكلمة «متظلم» و«مدعى عليه» تم استخدامهما هنا بالمعنى الموضح قرين كل منهما:

«المتظلم» هو الشخص (أو الأشخاص) الذى يشكو من إجراء علوى اتخذ أو وقع عليه، أو يشكو من أحوال معينة فى العمل أو يشكو من شروط الوظيفة التى يشغلها.

«المدعى عليه» هو رئيس العمل (أو الرؤساء) الذى اتخذ الإجراء العلوى الذى أدى إلى الشكوى أو الشخص المسئول عن الظروف والشروط غير العادلة فى العمل والتى طبقت على المتظلم فى هذه القضية.

خطوات الإجراءات:

الخطوة الأولى:

الهدف من هذه الخطوة هى حمل الأطراف المعنية على حل الخلاف موضوع الشكوى فيما بينهم من خلال مناقشات ودية قبل أن تصبح تظلمًا رسميًا. وهذه الخطوة لا تتطلب أى وثائق مكتوبة إلا فى حالة التخاصم مع مدير المكتبة ويمكن للأشخاص المعنيين الاحتفاظ ببعض الملاحظات المكتوبة حول حقائق القضية لأغراض استخدامها مستقبلاً.

ويجب أن يحاول المتظلم استنفاد كل الفرص لحل موضوع الشكوى وتسويته من خلال الهيكل التنظيمى الطبقى فى المكتبة. وعلى المتظلم أن يبدأ أولاً برئيسه المباشر فإن لم يفلح فالرئيس الذى فوقه إذا كانت ظروف الشكوى ترى فى هذا المدخل الثانى الطرف المناسب.

وقد يرى المتظلم أن يشرك فى تسوية النزاع شخصًا آخر أو أشخاصًا آخرين غير رئيسه المباشر فى العمل. وإذا حدث بعد أن تقدم المتظلم بمظلمته إلى رئيسه المباشر وكان على دراية بطبيعة المشكلة ولم تفلح المناقشة معه فى الوصول إلى حل يرضى الطرفين فإن من حق المتظلم أن يختار أى بديل من البديلين الآتيين فى أى مرحلة من مراحل الخطوة الأولى:

١ ـ قد يطلب المتظلم الاستعانة بعضو من أعضاء لجنة التظلم المكتبى (المُشكّلة على النحو الذى سيأتى ذكره فيما بعد فى «الوحدات الأساسية») للاجتماع بالمتظلم والمدعى عليه أو آخرين فى إدارة المكتبة فى محاولة أخرى للوصول إلى حل

يرضى الطرفين. وعضو اللجنة الذى يقع عليه الاختيار والذى لم تعرض عليه القضية من قبل لديه الحرية المطلقة فى اختيار المدخل المناسب لحل المشكلة.

٢ ـ يختار المتظلم والمدعى عليه كل منهما ممثلاً عنه يقبله الطرف الآخر على أن يكون الممثلان أمناء دائمين ومهنيين فى المكتبة، كما يمكن أن يختار المتظلم والمدعى عليه ممثلاً واحداً يرضيان عنه بدلاً من ممثلين. ويقوم الممثلان (أو الممثل الواحد) بترتيب مقابلة لطرفى المشكلة ويحاولون جميعًا الوصول إلى حل مرض لها.

ويبقى التظلم فى الخطوة الأولى إلى أن يستنفد المتظلم جميع الفرص لتسوية المشكلة بما فى ذلك تقديم المشكلة إلى مدير المكتبة فى النهاية. وبعد عرض المشكلة على مدير مكتبة الجامعة يكون أمام المدير مهلة خمسة أيام عمل يستجيب خلالها قبل أن يقوم المتظلم بالدخول إلى الخطوة الثانية. ويقوم مدير مكتبة الجامعة بالاستجابة والكتابة إلى المتظلم قبل انقضاء مهلة الأيام الخمسة. وعادة ما يتضمن رد مدير المكتبة ملخصًا للشكوى ورؤيته لحل المشكلة والقرار المناسب والأسباب التى دعته إلى اتخاذ هذا القرار.

الخطوة الثانية:

حين تفشل الإجراءات المتخذة فى الخطوة الأولى فى تقديم حل يرضى المتظلم، فإنه يمكنه التقدم بعريضة دعوى إلى (لجنة التظلم المكتبى) المُشكَّلة على النحو الذى سيأتى ذكره فى الوحدات الأساسية فيما بعد الخطوة الثالثة. وتدخل القضية الخطوة الثانية بعد أن يقدم المتظلم إلى رئيس اللجنة بيانًا مفصلاً عن موضوع التظلم واعتراضه على كل التسويات التى طرحت فى الخطوة الأولى. وتقديم عريضة الدعوى إلى رئيس لجنة التظلم المكتبى يجب أن يتم فى خلال عشرة أيام عمل من تلقى المتظلم الرد الكتابى من مدير المكتبة. ويكون رئيس لجنة التظلم مسئولاً عن أخطار المدعى عليه ومدير شئون الموظفين فى المكتبة وغير ذلك من موظفى المكتبة الأطراف المباشرين فى قضية هذه الدعوى المرفوعة أمام لجنة التظلم المكتبى، كما يطمئن إلى أن كلاً منهم قد وصله نسخة من المواد المكتوبة حول هذه القضية، والذى يقوم بتوصيلها إليهم عادة هو

المتظلم نفسه. ويقوم مدير مكتبة الجامعة بإرسال رده المكتوب إلى رئيس لجنة التظلمات مباشرة عند تلقيه أوراق المتظلم الخاصة بالخطوة الثانية التى نحن بصددها.

يقوم رئيس لجنة التظلم المكتبى فى خلال عشرة أيام عمل من تلقى عريضة الدعوى بترتيب تشكيل لجنة خاصة للفصل فى التظلم وتحديد موعد أول اجتماع لها (تجد شرحًا مفصلاً لطريقة تشكيل لجنة الدعوى فى القسم الخاص بالوحدات الأساسية فيما بعد) وسوف تتبنى لجنة التظلم المكتبى، وبالتالى سوف تطبق لجنة الدعوى الإجراءات التى تضمن:

١ ـ أن المتظلم سوف يُستمع إلى شكواه بما فيه الكفاية وسوف يُعطى الفرصة كاملة لعرض قضيته على لجنة الدعوى.

٢ ـ أن كلا من المتظلم والمدعى عليه على وعى كامل بكل الحقائق والقرائن المقدمة ضد كل منهما.

٣ ـ أن كلا من الطرفين سوف يتلقى إخطارًا كتابيًا بكل النتائج التى تتوصل إليها لجنة الدعوى.

وفى خلال خمسة عشر يومًا من آخر جلسة استماع تكتب اللجنة تقريرًا برأيها وتوصياتها وتبعث به إلى كل الأطراف مباشرة وتضع نسخة من هذا التقرير وكل الوثائق الخاصة بالقضية فى الملف السرى الخاص بالدعاوى المرفوعة أمام لجنة التظلمات فى مكتب مدير مكتبة الجامعة. ومن حق المتظلم والمدعى عليه أن يطلبا حذف أية وثائق من هذا الملف فيما عدا التقرير النهائى بالرأى والتوصيات. بالإضافة إلى هذا أن أى كتابات ترد من خارج الجامعة بناء على طلب اللجنة سوف تحذف من هذا الملف.

ولعله من نافلة القول التأكيد على أن رأى اللجنة وتوصياتها ليست ملزمة وليست إلا معلومات ووجهات نظر محايدة يقدمها الأقران لزملائهم أطراف المشكلة حول القضية ورأى اللجنة وتوصياتها الموجودة فى ملف الدعاوى متاح لأية جماعة ترغب فى مراجعته وإثارة القضية فى الخطوة الثالثة.

الخطوة الثالثة:

إذا لم يقنع المتظلم بالنتائج التى وصلت إليها لجنة الدعوى المؤلفة من زملاء له فى الخطوة الثانية، فإن المتظلم يستطيع أن يطلب مراجعة القضية على يد لجنة مراجعة تظلمات المكتبيين (وقد حددت وظائفها وطريقة تشكيلها فيما بعد فى القسم الخاص بالوحدات الأساسية)، وهى الملجأ الأخير فى سياق المظالم المكتبية داخل الجامعة. وتدخل القضية الخطوة الثالثة عندما يقوم المتظلم بتقديم بيان كامل عن القضية فى خطوتيها الأولى والثانية إلى عميد الهيئة التدريسية باعتباره رئيس لجنة مراجعة التظلمات. ومن الطبيعى أن يقدم هذا الطلب خلال ثلاثين يوماً من تلقى المتظلم رداً كتابيًا بنتائج أعمال لجنة الدعوى المشار إليها سابقًا ورد مدير مكتبة الجامعة على الأطراف المعنية بقبول المكتبة أو عدم قبولها لتغيير وضع المتظلم حسبما ذهبت إليه اللجنة وأوصت به.

وسوف يقبل عميد الهيئة التدريسية طلب المتظلم كتابة لمراجعة التظلم طالما استوفى الطلب شروط الإجراءات. وبعد ذلك يتخذ العميد الإجراءات والترتيبات التى بمقتضاها تعكف على دراسة الطلب بكل جدية وتجرد. وسوف تتخذ اللجنة كل الإجراءات التى تضمن أن:

١ ـ استيفاء كل الحقائق والبيانات المتعلقة بالموضوع وتقديمها ودراستها.

٢ ـ الاستماع إلى الموظف بما فيه الكفاية والتأكد من أنه قد أعطى الفرصة كاملة لتقديم قضيته أمام اللجنة.

٣ ـ الاطمئنان إلى أن الموظف على دراية كاملة بالحقائق والقرائن التى قدمت ضد قضيته.

وتقوم اللجنة فى خلال خمسة عشر يومًا من آخر جلسة استماع بإعلان حكمها كتابة وإخطار جميع الأطراف المعنية به مباشرة.

وسوف تقوم لجنة مراجعة التظلمات بإيداع نسخة من حكمها فى الملف السرى للجنة دعاوى التظلم المكتبى سابق الذكر فى الخطوة الثانية والمحفوظ فى مكتب مدير المكتبة ويمكن للجنة أن تضيف إليه أية وثائق تراها ذات أهمية فى الموضوع وقد تلزم لأية أنشطة تالية.

التخلص عن شرط المدة:

إذا كان هناك عذر مقبول لدى المتظلم عن تأخره فى تقديم دعواه أو طلب المراجعة خلال المدة المنصوص عليها فى الخطوات المذكورة فإنه يمكن للجنة المعنية التجاوز عن شرط المدة.

المتابعة:

لو أن إجراءات التظلم وصلت إلى الخطوة الثانية أو ما بعدها فإنه يسمح للمتظلم بمدة ستة شهور بعد آخر تقرير عن نتائج التظلم يمكن للمتظلم بعدها أن يطلب إعادة النظر والمتابعة إذا جدت أمور تستدعى المتابعة أو إذا ظهرت وثائق جديدة لصالح المتظلم أو ضد المدعى عليه. ويمكن للمتظلم أن يطلب المتابعة قبل انقضاء الشهور الستة.

وإذا وجد رئيس لجنة مراجعة التظلمات أن نتائج التظلم قد انتهت وأن الاتفاق تم بشرف وأنه لم يتم أى انتقام أو مقابلة الأذى بالأذى فإنه يكتب تقريراً بذلك ويودعه فى ملف الدعاوى ولكن إذا لم يتم تنفيذ الاتفاق بشرف، فإن الرئيس سوف يكتب إلى عميد الهيئة التدريسية تقريراً بذلك مع نسخ من هذا التقرير إلى الأطراف الداخلة فى الموضوع مع إيداع نسخة لذلك فى ملف الدعاوى.

الوحدات الأساسية:

لجنة التظلم المكتبى:

تعتمد إجراءات التظلم المكتبى أساساً على وجود لجنة أو هيئة دائمة للتظلم المكتبى هذه اللجنة تتكون من عشرة من المكتبيين المؤهلين؛ خمسة منهم ينتخبون كل سنة لفترة مدتها سنتان. وعند الانتخابات السنوية تنظر لجنة اللجان فى قائمة أسماء المرشحين للجنة التظلم المكتبى والتى لا يجب أن تقل عن ثمانية أسماء. ويتم انتخاب الأعضاء الخمسة كل سنة بطريقة التصويت الفردى. وفى أول مرة كانت هناك حاجة إلى ١٦ مرشحًا على الأقل ينتخب منهم خمسة لفترة السنة وخمسة لفترة السنتين. ورئيس لجنة التظلم المكتبى ينتخب لمدة سنة واحدة بواسطة أعضاء اللجنة المنتخبين ورئيس اللجنة السابق الذى يظل فى موقعه حتى ينتخب الرئيس الجديد.

وإذا خلا مقعد من مقاعد اللجنة بسبب ترك العضو وظيفته فى المكتبة أو وفاته، فإن هذا المقعد يتم شغله فى انتخاب خاص يعقد بعد موافقة رئيس اللجنة وبدون موافقته إذا كان عدد أعضاء اللجنة سوف يقل عن سبعة أعضاء. ويتبع فى هذا الانتخاب الخاص نفس الإجراءات المعمول بها فى الانتخاب العادى السنوى. والأعضاء المنتخبون فى الانتخاب الخاص يكملون المدة الباقية للشخص المستقيل أو المتوفي. وليس هناك حظر أمام أعضاء اللجنة فى إعادة انتخابهم لفترة سنتين إضافية.

واللجنة هى مجموعة من الزملاءُ يدعى أعضاؤها للنظر فى قضايا محددة. وعندما يوافق أمناء المكتبة على أن يكونوا أعضاء فى اللجنة فإنهم يجب أن يوافقوا على أداء مهامهم فى اللجنة إلا إذا كانت لهم ارتباطات سابقة بالقضية التى ينظرونها. وإذا انتهت عضوية العضو فى اللجنة خلال فترة نظر قضية معينة فإن العضو يستمر فى اللجنة حتى تنتهى القضية التى ينظرها.

لجنة الدعوى:

فى حالة وجود تظلم ما فإنه يختار من بين أعضاء اللجنة الأم لجنة فرعية تسمى لجنة الدعوى للنظر فى هذا التظلم وذلك على النحو الآتى:

تتألف لجنة الدعوى من ثلاثة أعضاء يختار أحدهم الشخص المتظلم ويختار المدعى عليه العضو الثانى والعضوان معًا يختاران العضو الثالث وهذا العضو الثالث يصبح رئيسًا للجنة التى تسمى حينئذ (لجنة الدعوى) ومن المفهوم أن الأعضاء الثلاثة هم من بين أعضاء اللجنة الأم (لجنة التظلم المكتبى). ولا يجوز بحال من الأحوال أن يختار رئيس لجنة التظلم المكتبى عضوًا فى لجنة الدعوى طالما أنه قد يطلب إليه مراجعة القضية فى الخطوة الثالثة. وفى حالة ما إذا لم تتم الموافقة على اختيار العضو الثالث فى لجنة الدعوى والذى سيكون رئيسًا لها فإن العضوين الآخرين يقومان بالسحب من الأسماء الأخرى المتاحة فى اللجنة عن طريق القرعة ويبدأ القرعة العضو المختار من جانب المتظلم حتى يبقى اسم واحد فى النهاية هذا الاسم يصبح العضو الثالث ومن ثم رئيس اللجنة.

وتكون للجنة الدعوى السلطة والصلاحية فى استدعاء وسؤال الشهود فى جلسات

الاستماع التى ستكون جلسات مغلقة؛ كما أن من سلطتها النظر فى وفحص الوثائق والسجلات ذات الصلة بالقضية. ويجب أن تتمشى قرارات اللجنة وأحكامها مع سياسات الجامعة. وفى خلال دراسة اللجنة للقضية يمكنها استشارة مدير شئون الموظفين بالمكتبة، ومدير مكتبة الجامعة، وعميد الهيئة التدريسية. وليس من سلطة اللجنة أن تضع سياسة جديدة أو تسن قانونًا للجامعة أو تعدل أو تضيف إلى سياسة الجامعة شيئًا جديداً أو تحذف منها أو تغير فيها. وأى رأى أو توصية تقدمها اللجنة سوف تراجع من قبل الإدارة المعنية فى الجامعة والشخص المسئول للنظر فيما إذا كانت السياسة الحالية بحاجة إلى تعديل أو تبديل.

لجنة الجامعة لمراجعة تظلمات المكتبيين:

هناك لجنة دائمة فى الجامعة لمراجعة تظلمات المكتبيين وإعادة النظر فيها فى الخطوة الثالثة من إجراءات التظلم. وتتألف هذه اللجنة من كل من الأشخاص الخمسة الآتية مناصبهم:

١ ـ رئيس لجنة التظلم المكتبى.

٢ ـ عضو من أعضاء هيئة التدريس بلجنة المكتبة (ليس موظفًا فى المكتبة).

٣ ـ رئيس لجنة المؤتمر العلمى لأعضاء هيئة التدريس.

٤ ـ ممثل المكتبيين فى مجلس مجتمع جامعة برنستون.

٥ ـ عميد الهيئة التدريسية وهو الذى يرأس هذه اللجنة.

وعضو هيئة التدريس الذى يمثل لجنة هيئة التدريس فى المكتبة يجرى انتخابه فى كل خريف عن طريق لجنته (لجنة هيئة التدريس) فى أول اجتماع اللجنة.

وكل عضو من الأعضاء الخمس فى لجنة مراجعة التظلمات له صوت واحد. ويكون القرار النهائى للجنة بأغلبية الأصوات. وإذا تغيب أحد الأعضاء لسبب أو لآخر خلال تناول التظلم فإن لرئيس جامعة برنستون أن يختار شخصًا آخر يحل محل العضو المتغيب ويقوم الشخص الذى اختاره رئيس الجامعة بتمثيل الوحدة والوظيفة والنشاط الذى كان يقوم به الشخص المتغيب.

المصادر:

- Cameron, Dee Birch. "Special report: grieving without tears.- Wilson Library Bulletin, vol. 57, Dec. 1982. pp 313 - 316.

- Cameron, Dee Birch. Library grievance procedure .- **in** .- Encyclopedia of Library and Information Science .- New york: Marcel Dekker,1986.vol. 41.

- Estabrook, Leigh. Labor and librarians: the divisiveness of professionalism .- **in** .- Library Journal .- vol. 106, January 5, 1981. pp 125 - 127.

- Scott, William G. The management of conflict: appeal systems in organizations .- Homewood, ILL: Irwin, 1965.

- Van Zant, Nancy (edt). Personnel policies in libraries .- New York: Neal - Schuman, 1980.

- Volkersz, Evert. "The grievance: first step in improved library government ".- **in** .- A.L.A.Bulletin, vol. 63. Dec. 1969. pp 1566 - 1568.

- Wagner, Martin "Grievances" .- **in** .- Collective bargaining in libraries/ edt. by Frederick L.Schlipf .- Urbana - Champain: University of Illinois, 1975. pp 76 - 83.

إجلال على بهجت ١٩٤٦-

Eglal Ali Bahgat 1946 -

أولاً: حياتها الأولى:

ولدت إجلال على بهجت بمدينة القاهرة عام ١٩٤٦م وعاشت حياة مصرية عادية وتلقت تعليمها بالمدارس المصرية وتزوجت عام ١٩٦٦م أثناء دراستها بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

ثم سافرت مرافقة لزوجها إلى مدينة مونتريال بكندا حيث كان يدرس فى ذلك الوقت للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة ماك جيل. فعاشت فى كندا الفترة من ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٤م وسط جوّ يجمع بين الدراسة والعمل. فقررت العمل بجانب استمرارها فى الدراسة وحصلت على بكالوريوس العلوم السياسية عام ١٩٧١م. ورزقت بأولادها فى خلال نفس الفترة.

وقد كانت بداية فترة عملها بالخارج مليئة بالخبرات والمسئوليات فإلى جانب دراستها الأكاديمية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية وعملها بدأت فى نفس الوقت دراسة اللغة الإنجليزية حتى اتقنتها بجانب اللغة الفرنسية (لغة المدينة الأصلية التى تعلمت بها بالمدارس المصرية) وكان ذلك عاملاً فى تقدمها للعمل بتلك المدينة الكندية التى تستخدم كلا اللغتين الفرنسية والإنجليزية على التوازى.

ثانياً: حياتها الوظيفية:

برغم أنها كانت تدرس فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فقد كانت لصيقة بالمكتبات وكان للأقدار دور كبير فى ذلك.. فقبل أن تتخرج فى هذه الكلية. كانت أول علاقة لها بالمكتبات عام ١٩٦٧م فى مدينة مونتريال بكندا فإلى جانب ترددها على المكتبة كقارىء التحقت بالعمل كمساعد أمين مكتبة ردبات بجامعة ماك جيل عام ١٩٦٩م.

ثم التحقت كمساعد أمين مكتبة كلية الدراسات العليا للمكتبات والمعلومات عام ١٩٧٠م. ومن هنا بدأت حياتها بالمكتبات والمعلومات وبدأ إعجابها ينمو ويكبر واستمرت بالعمل فى هذه المكتبة حتى عام ١٩٧٣م حيث عادت مع عائلتها إلى القاهرة بعد حصول الزوج على شهادة الدكتوراه.

ومن نفس العام (١٩٧٣م) وعلى ضوء خبرتها فى مجال المكتبات وإجادتها لثلاث لغات (العربية ـ الإنجليزية ـ الفرنسية) فقد التحقت بالعمل فى مكتب السيد اسماعيل فهمى وزير الخارجية المصرية فى ذلك الوقت لتعمل مترجمة بقسم الصحافة بمكتبه واستمرت فى هذه الوظيفة حتى عام ١٩٧٥م.

وزاد حبها للمكتبات وقناعتها بالدور الذى تؤديه.. فقررت أن تنضم كاملاً إلى

أسرة المكتبيين.. تلك الأسرة المرتبطة بالثقافة والفكر والعلم ورأت أن هناك فرصة لتنمية مواهبها فى ذلك المجال فتقدمت لامتحان أخصائيى المكتبات بمركز التنمية الصناعية التابع لجامعة الدول العربية فى عام ١٩٧٥ حيث حصلت على المركز الأول من بين المتقدمين من الدول العربية المختلفة وبدأت عملها كمسئول تزويد بالمكتبة. واستمرت فى عملها حتى عام ١٩٨٠ عندما تم نقل مقر جامعة الدول العربية إلى تونس (فى ظل أحداث وردود فعل اتفاقية السلام) حيث تقدمت باستقالتها من الجامعة العربية ورافقت زوجها الذى انتدب فى ذلك الوقت للتدريس بجامعة برنستون بولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة الامريكية خلال عام ١٩٨١ وقررت أيضًا أن تحمل ووجدت فرصة للعمل فى إدارة العمليات بالبنك القومى - برنستون.

ثم عادت مع عائلتها إلى القاهرة فالتحقت بالعمل عام ١٩٨١ بشركة خدمات نظم المعلومات والحاسبات (DPS) كمسئولة عن مشروعات مراكز المعلومات حيث أشرفت على إنشاء وتشغيل العديد من مراكز المعلومات والمكتبات.

وفى عام ١٩٨٧ اختيرت للعمل بمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء وأسندت إليها مهمة إنشاء مكتبة بالمركز وعينت أول مديرة لهذه المكتبة.

وأدركت منذ ذلك الوقت أن الفرصة قد أصبحت مواتية لتطبيق فكرها الرامى إلى اقتران المكتبة بالمعلومات وضرورة خروج المكتبة من حيز التقليدية المحلية إلى الانفتاح والعالمية.. وساعدها على ذلك طبيعة العمل بمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء الذى ينفذ مهامه أساسًا باستخدام الحاسبات ونظم المعلومات.. وكان عليها أن تتوجه إلى التطبيق العملى.. فأدخلت الحاسبات إلى المكتبة تدريجيًا وبدأت بالتعاون مع زمرة من الزملاء فى بناء أول نظام بسيط لتشغيل المكتبة آليًا ودون الاستعانة بالوسائل الورقية.

أمتد نشاطها كعضو باللجنة الاستشارية العليا لإنشاء وتشغيل مكتبة القاهرة الكبرى.. وكذا كعضو باللجنة الاستشارية العليا لتطوير مكتبة الأزهر الشريف. وكذا كعضو للجنة الاستشارية العليا لتطوير دار الكتب المصرية.. كما قادت العديد من مشروعات تطوير المكتبات المصرية والتى تزيد عن المائتى مكتبة. حيث كانت تقوم

خلال هذه المرحلة بإعداد الدراسات المختلفة للتطوير ووضع أسس قواعد سياسات العمل والعمل على اختيار وتأهيل العاملين بتلك المكتبات على موضوعات استخدام تكنولوجيا المعلومات فى المكتبات.. هذا إلى جانب جهودها فى التخطيط للتطوير ومتابعة تنفيذ هذه المشروعات فكانت النتيجة تطوير كثير من المكتبات المصرية سواء العامة أو المتخصصة أو الأكاديمية.

هذا إلى جانب دورها الاستشارى فى العديد من الجهات المحلية والعالمية الساعية إلى تطوير المكتبات مثل:

- برنامج الأمم المتحدة الإنمائى (UNDP) حيث كانت الباحث الرئيسى لدراسة جدوى إنشاء المكتبة الموحدة لمكاتب الأمم المتحدة فى مصر ١٩٩٧.
- دار الكتب الوطنية بأبو ظبى - دولة الإمارات العربية المتحدة إعداد دراسة تطوير وميكنة دار الكتب الوطنية ١٩٩٦.

هذا فضلاً عن كونها محاضراً مستديمًا فى جميع الندوات والمؤتمرات الخاصة باستخدام المعلومات فى المكتبات المصرية.

وفى ظل اهتمامها بالمكتبات والمعلومات.. سجلت إجلال بهجت كعضوة بالجمعيات الآتية:

- الجمعية المصرية للمكتبات ومراكز المعلومات العلمية والتكنولوجية.
- الجمعية المصرية للمعلومات.
- الجمعية الأمريكية للإدارة (AMA).
- الجمعية الأمريكية لعلوم المعلومات (ASIS).
- الجمعية الدولية للإنترنت.

وقد تدرجت بعد ذلك فى العمل داخل المركز لتعين عام ١٩٩٨ رئيس قطاع المشروعات والتوثيق فى عام ١٩٩٩ لتشغل منصب نائب المدير التنفيذى للمركز.

ثالثًا: حياتها العملية مع المكتبات:

بالرغم من أن إجلال بهجت تخرجت فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية إلا أن خبراتها وحياتها العملية بدأت واستمرت فى مجال المكتبات والتوثيق حيث عملت فى أول الأمر فى مكتبة جامعة ماك جيل بكندا وتعرفت لأول مرة على أهمية المكتبات ودورها الأساسى فى دعم البحث العلمى وفى خدمة المجتمع ودورها الفاعل فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية، كما أدركت مدى اهتمام الدول المتقدمة (مثل كندا) بالمكتبات وكيف يتم تطويرها بشكل مستمر لتكون دائمًا على قائمة المؤسسات التى تستخدم أحدث التقنيات العلمية.

وقد عاصرت إدخال الحاسبات والنظم الآلية إلى مكتبات جامعة ماك جيل وشاركت فى أعمال التحول من النظم اليدوية إلى النظم الآلية وكيف يتم تدريب الأفراد وإتاحة النظم وإعادة تشكيل إجراءات العمل بحيث يتم توطين النظم الجديدة ببساطة ودون الإخلال بالعمل اليدوى الجارى أو بالخدمات التى تقدم للمستفيدين.

كما رأت كيف أن أخصائيى المكتبات بهذه الدول يعدون من مصاف ذوى المهارات العالية بالمجتمع.

وكان لذلك كله أثر فى تكوين فكرها عن المكتبات وضرورة تطويرها والذى انعكس فيما بعد عند توليها الوظائف المختلفة فى السعى الدائم على العمل على أن تكون المكتبات المصرية على أعلى مستوى تقنى.

وقد أتاح لها عملها فى مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء، الذى يهدف إلى إدخال تكنولوجيا المعلومات إلى المجتمع المصرى، ومن خلال هذه الأهداف بدأت منذ التحاقها بالعمل بالمركز على إنشاء مكتبة على أحدث طراز تقنى مع استخدامها للنظم الآلية مع تطبيق أحدث المواصفات القياسية والعالمية ولتصبح المكتبة هى النموذج الذى يحتذى فيما بعد.

وفى عام ١٩٩١ وبعد نجاح دور مكتبة مركز معلومات مجلس الوزراء فى أداء دورها الرائد باستخدام تكنولوجيا المعلومات فى المكتبات بدأت الانتشار التدريجى من قبل

بعض الواعين والمدركين لأهمية هذا التطبيق فطلبًا المساعدة والمعاونة.. وفى إطار هذه المطالب الفردية بدأت قصة النجاح تنمو بإنشاء قسم جديد بالمركز يتبع المكتبة ويعاون المكتبات على أعمال التطوير باستخدام تكنولوجيا المعلومات، سمى هذا القسم باسم «مشروعات تطوير المكتبات» وكانت مهمته الرئيسية هى إدخال تكنولوجيا المعلومات إلى مكتبات الجهاز الإدارى للدولة (الوزارات والمحافظات والمكتبات المتخصصة) ثم بعض المؤسسات الأخرى ثم امتد العمل إلى المكتبات الأكاديمية. وكان العمل يرتكز بشكل أساسى على مفهوم المنظومة المتكاملة للتطوير أى تطوير المبنى/ المقر. وتدريب العاملين وتوفير المقتنيات الحديثة وأدوات العمل المتقدمة مع وضع أسس ونظم وإجراءات عمل جديدة للعاملين تجعلهم حريصون على التحول من النظام الآلى مع تحديث المقتنيات. وقد وصل عدد المكتبات التى تم تطويرها بهذا الشكل إلى ما يزيد عن المائتى مكتبة.

ولكى يتم هذا العمل بشكل متكامل تم إنشاء برنامج تدريبى متكامل لاخصائيى المكتبات يتم تنفيذه فى معهد تكنولوجيا المعلومات التابع للمركز ونظام آلى مبسط سهل الاستخدام من قبل اخصائيى المكتبات والمستفيدين.

هذا وقد حرصت أن تكون دائمًا مطلعة على أحدث ما وصلت إليه مقتنيات العمل بالمكتبات بالإضافة إلى الإطلاع على الكتب والمقالات التى تنشر فى هذا المجال أو من خلال الدورات التدريبية التى حصلت عليها. أو من خلال الزيارات حيث قامت بزيارات أغلب المكتبات الكبرى فى العالم فقامت بعدة زيارات إلى مكتبة الكونجرس (بواشنطن) بالولايات المتحدة الأمريكية ـ مكتبة الأمم المتحدة بنيويورك ـ مكتبة اليونسكو بباريس المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس فى مقرها الجديد الذى افتتح فى ديسمبر ١٩٩٧ ـ مكتبة جورج بومبيدو ـ المكتبة البريطانية فى مقرها الجديد الذى افتتح فى عام ١٩٩٨ ـ بالإضافة إلى المكتبة الوطنية بكوريا ذات الطابع الخاص والخدمات الفريدة التى تقدم إلى جميع المستفيدين من الطلبة والمستفيدين ذوى الاحتياجات الخاصة ـ مكتبة المركز الصناعى بالدنمارك، وعدد من المكتبات الكبرى بالدول العربية مثل دار الكتب الوطنية بأبو ظبى ـ مكتبة الملك فهد بالرياض ـ مكتبة مجلس التنمية بسلطنة عمان ـ مكتبة صندوق الإنماء العربى بالكويت ـ مكتبة المخطوطات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٩٩.

وكذلك عدد من المكتبات المتخصصة ومكتبات الأطفال بفرنسا وإنجلترا ومكتبة المتحف البريطانى ومكتبة المنظمة العالمية للملكية الفكرية.

وعلى ضوء الاهتمام المصرى بطفل المستقبل كان لإجلال بهجت دور أساسى فى مكتبات الطفل وتطويرها واستخدامها لآليات العصر من الحاسبات ونظم المعلومات.. حيث ساهمت مساهمة فعالة فى إنشاء مكتبة الطفل بالمركز الثقافى لجمعية الرعاية المتكاملة. التى أتاحت الحاسبات للأطفال لأول مرة.

رابعًا: حياتها العملية مع النظم الآلية للمكتبات:

بدأت إجلال بهجت عام ١٩٨٧ **بتطوير أول نظام آلى للمكتبات العربية وهو أول نظام باللغة العربية** (وليس معربًا) بهدف استخدامه على الحاسبات الشخصية - حيث لم يتوفر حتى ذلك الوقت أى نظام باللغة العربية أو معرب يعمل على هذه الحاسبات الشخصية التى يمكن للمكتبات المصرية بالمؤسسات المختلفة شرائها حيث أنها أرخص سعرًا وأسهل استخدامًا من الحاسبات الكبيرة أو المتوسطة.

وكان الهدف هو إيجاد نظام آلى بسيط لا يحتاج فى تشغيله إلى مهارات أو سابق معرفة بالحاسبات وذلك وليلبى ببساطة احتياجات المجتمع المصرى حيث لم يكن المتخصصون فى مجال المكتبات فى ذلك الوقت متمكنين من العمل على الحاسبات. وتم تطبيق هذا النظام الذى عرف باسم النظام الآلى للمكتبات بمكتبة المركز عام ١٩٨٩.

وقد تم العمل على تطوير هذا النظام وإنتاج الإصدارة الثانية منه (Lis 2) عام ١٩٩١ ليتم تطبيقها فى مشروعات تطوير المكتبات. وقد نال هذا النظام شهرة واسعة بين المكتبات المصرية حيث تم تطبيقه ليس فقط فى مصر ولكن أيضًا فى خارجها-(بسلطنة عمان).

ثم جاء التطوير الثالث للنظام عام ١٩٩٦ حيث صدر (Lis 3) وتم تطبيقه فى مكتبة صندوق الإنماء العربى بالكويت.

وفى عام ١٩٩٨ بدأ العمل بفريق عمل من المتخصصين فى مجال الحاسبات ونظم

المعلومات والمكتبات لإنتاج أول نظام عربى متوافق عالميًا مع المواصفات القياسية العالمية ومتوافق مع نظام MARC وقادر على التعامل مع شبكة الإنترنت التى انتشر استخدامها فى مصر. وقد استغرق العمل مدة ١٤ شهراً ليصدر النظام الآلى المطور للمكتبات (aLIS) بإصدارتيه المبسطة للمكتبات الصغيرة والمدرسية والأخرى الموسعة للمكتبات الكبيرة ليكون أول منتج عربى يخرج للمكتبات المصرية والعربية ويحمل شعار «مكتبة عالمية بلمسة مصرية».

كما سعت على أن يكون تسعير هذا النظام بأقل سعر ممكن لتشجيع استخدامه بكافة المكتبات المصرية والعربية. وكان أول نظام يدخل المكتبات المدرسية. ويتوافق مع متطلبات كتب التراث العربية سواء من حيث المؤلف أو التاريخ الهجرى كما تم تطبيقه فى مكتبة الأزهر الشريف ليعمل بكفاءة تامة فى هذه المكتبة الإسلامية الكبيرة.

خامسًا: حياتها العملية مع شبكة المكتبات المصرية:

تتويجًا للجهد الذى بذل فى تطوير المكتبات المصرية وربطها بشبكات الإنترنت فقد قامت إجلال بهجت بإعداد دراسة جدوى لإنشاء أول شبكة للمكتبات المصرية توضع على شبكة الإنترنت لتكون المساهمة العربية فى هذه الشبكة العالمية.

وفى عام ١٩٩٦ تمت الموافقة على هذه الدراسة ووافق المركز على تمويل هذه الشبكة. وتم إعداد النظم والبرامج الآلية لها والتى تسمح للمستفيد سواء من داخل مصر أو من خارجها فى أى دولة من دول العالم بالاطلاع على فهارس المكتبات المصرية المشتركة فى الشبكة الأمر الذى يوفر جهد ووقت الباحثين حيث يتم التنقل بين المكتبات للبحث عن الكتب أو الوثائق المطلوبة.. هذا إلى جانب أن هذه الشبكة بنفس استخداماتها يمكن من خلالها تفادى التكرار فى الأبحاث والدراسات والاستفادة القصوى بكل مصادر المعرفة المتوفرة فى هذه المكتبات.

وقد تم تخصيص المقر الأساسى لهذه الشبكة بمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء ليساعد ويساهم مع المكتبات الصغرى فى توفير نفقات أجهزة رئيسية (خادم شبكات).

هذا وقد قامت السيدة سوزان مبارك حرم السيد رئيس الجمهورية بتتويج هذا الجهد حيث قامت بافتتاح الشبكة فى فبراير ١٩٩٨ وكان عدد المشتركين بها فى هذا الوقت (١٧) مكتبة.

وقد تم تطوير العمل سريعًا بهذه الشبكة لتضم أعدادًا متزايدة من المكتبات شهريًا حتى وصل عدد مكتبات الشبكة في مارس ١٩٩٩ إلى ما يقرب من (٧٠) مكتبة.

ووصل عدد وثائق الشبكة إلى ما يزيد عن (٣٠٠,٠٠٠) وثيقة كما وصل عدد مستخدمى الشبكة منذ افتتاحها وحتى الآن (مارس ١٩٩٩) ما يقرب من (١٦,٠٠٠) مستخدم بأكثر من عدد (٢٠٠,٠٠٠) مرة للدخول على الشبكة من أكثر من أربعون دولة على مستوى العالم حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول استخدامًا للشبكة على مستوى العالم حيث استخدمها ما يزيد عن (٦٠٠٠) مستخدم. يأتى من بعدها فى أكثر من الدول استخدمًا للشبكة جمهورية مصر العربية حيث استخدمها أكثر من (٢٠٠٠) مستخدم حتى الآن.

سادسًا: حياتها مع التوثيق الآلى للتراث:

فى عام ١٩٩٨ تم إسناد أعمال التوثيق الآلى لإجلال بهجت فى إطار توسيع إسهامها بجانب أعمال المكتبات والذى شمل توثيق المتاحف ـ الآثار ـ المخطوطات ـ الإنتاج الفكرى.

بنجاحها الكبير فى عالم استخدام تكنولوجيا المعلومات فى المكتبات المصرية أسند إليها منصب رئيس قطاع المشروعات والتوثيق بمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء.. حيث أضيفت لها مهام عديدة فى مجال توثيق التراث المصرى وفقًا للخطة القومية لتوثيق التراث. وبحكم هذا المنصب أصبحت مسئولة عن استخدام تكنولوجيا المعلومات والحاسبات فى توثيق التراث حيث عهد إليها إنشاء قاعدة البيانات الآلية لمخطوطات دار الكتب.. حيث قادت فريق العمل من العاملين بكل من مركز معلومات مجلس الوزراء ودار الكتب المصرية وبنجاح كبير أنشأت قاعدة بيانات

آلية لمخطوطات دار الكتب تزيد عن (٥٠,٠٠٠) بيان مخطوط (٢٠,٠٠٠ صورة مخطوط).

كما أنشأت قاعدة بيانات مصورة لنوادر المخطوطات بدار الكتب المصرية.. وقد قامت السيدة الفاضلة/ سوزان مبارك حرم السيد رئيس الجمهورية بافتتاح هذا الحدث الكبير.

وفى إطار توثيق المخطوطات المصرية والعربية تبنت فكر توثيق المخطوطات المصرية والتى تنتشر فى المحافظات المختلفة.. حيث وضعت أسس استخدام تكنولوجيا المعلومات والحاسبات فى توثيق المخطوطات فى المحافظات المختلفة (مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف ـ مخطوطات المعهد والمسجد الأحمدى بطنطا.... إلخ).

وفى إطار الخطة القومية لتوثيق التراث. فقد عهد إليها إنشاء قاعدة البيانات الآلية لكل من المتحف المصرى والمتحف الإسلامى والمتحف القبطى والمتحف الرومانى.. هذا بالإضافة إلى إنشاء قاعدة البيانات الآلية للآثار المصرية.

أجوايو، جورج (١٩٠٣-)

Aguayo, Jorge (1903 -)

يعتبر جورج أجوايو الأب المؤسس للحركة المكتبية الحديثة فى كوبا وتعليم علوم المكتبات والمعلومات بها. كما أنه قد شارك فى تطوير حركة المكتبات وعلومها فى أنحاء أخرى من أمريكا اللاتينية وله دور واضح وبصمات قوية فى خلق أرضية التعاون فى دول «**اتحاد الدول الأمريكية**» ومع اتحاد المكتبات الأمريكية وفى تطوير دراسات التصنيف باللغة الأسبانية.

ولد جورج أجوايو فى هافانا بكوبا فى الرابع من ديسمبر ١٩٠٣م وتلقى تعليمه الأولى فى مدارس العاصمة، وتخرج فى جامعة هافانا حيث حصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٥م، وعلى دبلوم القانون الدبلوماسى والقنصلى سنة ١٩٢٧م. وقد دخل أجوايا مجال المكتبات والمعلومات بسبب حبه الشديد للكتب والعلم.

فى سنة ١٩٣٧ أرتبط جورج أجوايو ارتباطًا وثيقًا ومثمرًا بالمكتبة المركزية فى جامعة هافانا حيث عين مديراً مساعداً للمكتبة حتى سنة ١٩٥٩ حين رقى إلى درجة المدير بها. وقد قدمت له مؤسسة روكفيللر منحة لدراسة المكتبات لمدة عام فى مدرسة المكتبات بجامعة كولومبيا سنة ١٩٤١. وقد أعد له برنامج مكثف فى مشكلات الفهرسة وإدارة المكتبات الجامعية. وفى السنوات التى تلت عودته إلى جامعة هافانا، قام بإدخال العديد من الأدوات والخدمات التى لم تعرفها مكتبة الجامعة من قبل مثل الفهرس القاموسى مع رؤوس الموضوعات التى تمت ترجمتها وتعديلها من قائمة سيرز وقائمة مكتبة الكونجرس، كما ترجم تضيف ديوى العشرى، وقواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية، وأدخل نظام الاستعانة ببطاقات مكتبة الكونجرس. كما قام أجوايا بعزل الكتب المرجعية فى قسم خاص عرف بقسم المراجع، وغير ذلك من الخدمات التى لم يألفها القراء الكوبيون من قبل. وقد كللت جهود أجوايا بإصدار ثلاثة أدلة عمل خلال الأربعينات وهى:

- قواعد العمل فى الفهرس القاموسى للمكتبة الرئيسية فى جامعة هافانا .ـ ١٩٤٠.
- الدليل العملى للتصنيف والفهرسة فى المكتبات هافانا .ـ ١٩٤٣. الطبعة الثانية ١٩٥١.
- البطاقات النموذجية [فى الفهرسة] .ـ هافانا .ـ ١٩٤٢. الطبعة الثانية ١٩٤٩.

والكتابان الأخيران استخدما ككتب دراسية فى عدد من مدارس المكتبات فى أمريكا اللاتينية.

فى سنة ١٩٤٠م أدخل أجوايو وثلاثة من زملائه تدريس علم المكتبات فى قاعة المحاضرات العامة فى هافانا. وكان هؤلاء الأربعة هم نواة هيئة التدريس فى علم المكتبات حيث كانوا ينظمون دورات متخصصة تدوم بين ثلاثة وستة إشهر. وقد بدأ التدريس الرسمى لعلم المكتبات فى المدرسة الصيفية بجامعة هافانا تحت اشراف جورج أجوايا وقد ظل مديراً للمدرسة الصيفية المكتبية حتى سنة ١٩٥٢. وقد ظل أستاذًا للفهرسة والتصنيف فى مدرسة المكتبات بجامعة هافانا، تلك المدرسة التى أنشئت سنة ١٩٥٠، منذ إنشائها وحتى تركه لكوبا سنة ١٩٦٠.

وقد كان اهتمام أجوايو بالحركة المكتبية فى الدول الأمريكية اللاتينية مواكبًا

لاهتمامه بها فى كوبا وحيث سارا جنبًا إلى جنب. وقد دعته وزارة الخارجية الأمريكية واتحاد المكتبات الأمريكية ومؤسسة روكفيللر إلى تدريس أول برنامج فى علم المكتبات فى بيرو سنة ١٩٤٤، بعد حريق المكتبة الوطنية فى ليما ذلك الحريق الذى أتى عليها تمامًا. وفى سنة ١٩٤٧ حضر أول جمعية عمومية للمكتبيين فى الدول الأمريكية. وقد عمل مستشارًا للمؤتمر الإقليمى للشعب الوطنية فى العالم الغربى الذى عقد فى هافانا سنة ١٩٥٠ ولمؤتمر تنمية خدمات المكتبات العامة الذى عقد فى سان باولو سنة ١٩٥١ وكان رئيسًا لأول ورشة عمل مكتبية كوبية سنة ١٩٥٣.

وكان أجوايو هو المتحدث الرسمى لأمناء المكتبات فى أمريكا اللاتينية حول مسائل الفهرسة لدى اتحاد المكتبات الأمريكية. وكان عضوًا فى اللجنة الفرعية الكندية اللاتينية التى تفرعت عن اللجنة الخاصة لاتحاد المكتبات الأمريكية حول تصنيف ديوى العشرى من ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧م ومن هنا فقد عين عضوًا فى اللجنة الدائمة للتعاون مع المفهرسين والمصنفين فى أمريكا اللاتينية ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨م تلك اللجنة المنبثقة عن اتحاد المكتبات الأمريكية.

وبعد قيام ثورة كاسترو الشيوعية فى كوبا سنة ١٩٦٠ رحل جورج أجوايو إلى الولايات المتحدة وعمل لمدة عامين فى جامعة سيراكيوز كيبليوجرافى تحت مشروع فارمنجتون لدول أوراجواى، باراجواى، الأرجنتين. وفى سنة ١٩٦٢م أصبح مكتبى الفرع لاتحاد ما بين الدول الأمريكية ثم رئيسًا لمكتبة الاتحاد المركزية فى كولومبس من ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٣. وفى خلال نفس المدة عمل مستشارًا فى برنامج الترجمة الأسبانية لقواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية سنة ١٩٧٠. وقد عمل مع كارمن روفيرا فى جمع وإعداد «قائمة رؤوس الموضوعات للمكتبات» بالأسبانية سنة ١٩٦٧. وهى أداة قيمة خدمت المكتبات فى الدول الناطقة بالأسبانية فى جميع أنحاء العالم فى عمليات التحليل الموضوعى. كما عين محررًا ومديرًا للترجمة الأسبانية للطبعة الثامنة عشرة من تصنيف ديوى العشرى التى نشرت سنة ١٩٨٠.

وقد كتب أجوايو أكثر من خمسين مقالة فى موضوعات مكتبية مختلفة نشرت فى

دوريات من دول شتى مثل الولايات المتحدة، بيرو، كوبا، بوليفيا، الأرجنتين. وبالإضافة إلى ذلك عمل محرراً مساعداً فى مجلة ليبرى ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠. كما ترجم إلى الأسبانية كتاب: مكتبة الجامعة: تنظيمها وإدارتها ووظيفتها الذى وضعه لويس راوند ويلسون وموريس تاوبر.

المصدر:

- Tomé, Martha. Jorge Aguayo .- in .- world Encyclopedia of Library and Information Services .- 3 rd ed .- Chicago: A.L.A., 1993.

إحصاء العلوم للفارابى

Ihsaa Al - Olum

مؤلف الكتاب واحد من أشهر المؤلفين المسلمين عرف بفيلسوف العرب والمعلم الثانى.

نسبه ومولده:

هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابى نسبة إلى فاراب الداخلة، وهى إحدى مقاطعات فارس، ولد الفارابى من أب كان قائد جيش، ولا يعرف أحد تاريخ مولده بالضبط، إنما يظن أنه ولد حوالى سنة ستين ومائتين للهجرة ويلغ عمره ثمانين عامًا أى أنه توفى فى نحو سنة ٣٣٩هـ.

حياته:

لا يعرف المؤرخون شيئًا عن طفولة الفارابى، وهم يختلفون كذلك فى شبابه، فتارة يرون لنا أنه كان ناطوراً فى أحد بساتين دمشق، وكان فقيراً مُعدمًا إلى حد أنه لا يجد فى منزله مصباحًا يقرأ على نوره، فكان يخرج إلى الحراس ليستضىء بمصابيحهم أثناء مطالعته بالليل، وتارة أخرى يحدثوننا أنه كان قاضيًا ثم مال إلى المعرفة فتخى عن

القضاء وانغمس فى بحار الفلسفة والتصوف العملى. ويذكر هؤلاء المؤرخون أن السبب فى ميله إلى الحكمة هو أن رجلاً أودع عنده بعض كتب «أرسطو» فقرأها ومال إليها وشغف بها ولم يستطع أن يقاوم هذا الشغف، فعكف على دراسة الفلسفة. وسواء أصحت الرواية الأولى أم الثانية، فإن الفارابى بعد هذا الشباب المجهول كان أشهر من الكوكب اللامع فى سماء الدولة العربية متنقلاً من بغداد ومصر ودمشق وحلب وكان من المحبين المقربين لدى سيف الدولة حتى أنه كان يجرى عليه نعمًا كثيرة لا يتناول الفارابى منها إلا أربعة دراهم فى اليوم. وكان يعيش عيشة التقشف والزهد. ولما مات صلى عليه سيف الدولة فى نفر من خاصته ودفن بدمشق.

مؤلفاته

كتب الفارابى نحو مائة وثمانية وعشرين كتابًا فى المنطق وما وراء الطبيعة وفى السياسة والاجتماع، وفى شرح أغراض أرسطو وبيان مقاصده من كتبه، والتوفيق بينه وبين أفلاطون وفى الرد على من هاجموا المعلم الأول.

وقد روى لنا «البارون كارادى فو» أن المستشرق الألمانى «استنشينو» قد كتب قائمة كاملة لكتب الفارابى، غير أن أكثرية هذه الكتب قد فقدت، وأن البقية الباقية منها أكثرها مشتت فى مكاتب أوروبا ولم يطبع منها فى الشرق إلا عدد بسيط. ومن أهم المؤلفات الباقية:

١ ـ الجمع بين رأى الحكمين: أفلاطون، وأرسطو طاليس.

٢ ـ الإبانة عن غرض أرسطو طاليس فى كتاب مابعد الطبيعة.

٣ ـ معانى العقل.

٤ ـ ما ينبغى أن يقدم قبل تعلم الفلسفة.

٥ ـ عيون المسائل.

٦ ـ النكت فى فيما يصح ومالا يصح من أحكام النجوم.

٧ ـ المسائل الفلسفية والأجوبة عنها.

٨ ـ نصوص الحكم مع شرح نصوص الكلم.

وهذه المؤلفات الثمانية فى مجموعة واحدة طبعت فى القاهرة فى سنة ١٣٢٥هـ.

٩ ـ كتاب السياسة المدنية.

١٠ ـ كتاب التنبيه على السعادة.

١١ ـ كتاب التعليقات.

وهذه الكتب الثلاثة قد طبعت فى حيدر آباد فى سنة ١٣٤٦هـ.

١٢ ـ كتاب تحصيل السعادة.

١٣ ـ رسالة فى إثبات المفارقات.

١٤ ـ آراء أهل المدنية الفاضلة وقد طبع بالقاهرة.

١٥ ـ العقل والمعقول وهو موجود باللاتينية.

١٦ ـ كتاب ماهية النفس.

١٧ ـ كتاب قوى النفس ووظائفها.

١٨ ـ الوحدة والواحد.

١٩ ـ كتاب الزمان.

٢٠ ـ كتاب الجوهر.

٢١ ـ كتاب الفراغ.

٢٢ ـ رسالة فى حركات الأفلاك.

٢٣ ـ تلخيص للمنطق على نهج المتكلمين.

٢٤ ـ رسائل أخرى فى الكيمياء والموسيقى وفى الجن والأحلام.

٢٥ ـ كتاب إحصاء العلوم.

إحصاء العلوم:

وهذا الكتاب يُعد من أهم كتبه لأنه يُعد من أوائل المحاولات عند المسلمين فى

التصنيف وهو الكتاب الذى نحن بصدده الآن والطبعة الموجودة بين إيدينا تعد الطبعة الثانية ونشرت فى القاهرة عام ١٩٤٩ وقد حققها عثمان أمين وأورد بها مقدمة تقع فى عدد ٤٠ صفحة والكتاب تبلغ عدد صفحاته ١٤١ صفحة ومقسم إلى خمسة فصول وسوف نعود إليها بالتفصيل فيما بعد.

وقبل أن نتحدث عن محاولة الفارابى لتصنيف العلوم فى كتابه إحصاء العلوم حرى بنا أن نذكر أن أقدم محاولة لتصنيف العلوم نجدها عند أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م) ثم نعود مرة أخرى للفارابى (ت٣٣٩هـ) فى كتابه إحصاء العلوم ونجد أن لديه أول نظرية فى تصنيف العلوم لدى المسلمين. ونقول نظرية لأنها تحتوى على الجانبين النظرى والتطبيقى معاً.

أما الجانب النظرى، فيوجد فى نص هام ورد فى رسالة الفارابى «التنبيه على سبيل السعادة» وفيه يقسم العلوم قسمين كبيرين تبعًا لطبيعة موضوعاتها وعلاقتها بفعل الإنسان إلى :

ـ **علوم نظرية**: وهى التى تحصل بها معرفة الموجودات، التى ليس للإنسان فعلها. وتشمل (علم التعاليم، والعلم الطبيعى، والعلم الإلهى).

ـ **علوم عملية**: وهى التى تحصل بها معرفة الأشياء التى شأنها أن تفعل، والقوة على فعل الجميل منها. وتشمل (علم الأخلاق، وعلم السياسة).

أما الجانب التطبيقى: والمفصل لهذا الجانب النظرى، فيتمثل فى كتاب الفارابى الشهير (إحصاء العلوم) الذى يقسمه إلى خمسة فصول تحتوى على ثمانية علوم أساسية هى:

١ ـ علم اللسان.

٢ ـ علم المنطق.

٣ ـ علم التعاليم.

٤ ـ علم الطبيعة.

٥ ـ العلم الإلهى.

٦ ـ العلم المدنى.

٧ ـ علم الفقه.

٨ ـ علم الكلام.

وفيما يلى تعريف كل علم وأهم أجزائه كما ذكرها الفارابى:

أولاً علم اللسان: وهو قسمان كبيران:

أ ـ أحدهما لحفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليه شيء منها.

ب ـ والثانى علم قوانين تلك الألفاظ.

وبالتالى فإن علم اللسان ينقسم كما يقول الفارابى إلى سبعة أجزاء.

١ ـ علم الألفاظ المفردة:

وهو يشمل معرفة كل لفظة، ودلالتها على أجناس الأشياء وأنواعها ثم حفظها وروايتها كلها.

٢ ـ علم الألفاظ المركبة:

ويعرفه الفارابى بأنه علم الأقاويل التى تصادف مركبة عند تلك الأمة، وهى التى صنعها خطباؤهم وشعراؤهم، ونطق بها بلغاؤهم وفصحاؤهم المشهورون عندهم، وروايتها وحفظها، طوالاً كانت أو قصاراً، موزونة كانت أو غير موزونة.

ومن الواضح أن الفارابى هنا يقصد بهذا العلم ما يعرف الآن بالنصوص الأدبية، التى تساعد على حسن استيعاب اللغة وتساعد بالتالى على محاكاتها، وإنتاج مثيلاتها.

٣ ـ علم قوانين الألفاظ المفردة: وهو يحتوى على علمين:

أ ـ علم الأصوات الذى يفحص أولاً في الحروف المعجمة: عن عددها، ومن أين يخرج كل واحد منها فى آلات التصويت، وعن المصوت منها.

ب ـ علم الصرف الذى يبحث فى تصريف الأفعال، وتكوين الأزمنة، والاشتقاق، وأحوال التذكير والتأنيث والتثنية والجمع.

٤ ـ علم قوانين الألفاظ عندما تركب:وهو يشتمل أيضًا على علمين:

أ ـ ما عُرف عند العرب باسم علم النحو.

ب ـ ما يتناول قوانين تركيب الكلمات: كيف تتركب وتترتب وعلى كم ضرب حتى تصير أقاويل.

٥ ـ علم قوانين الكتابة:

وهو العلم الذى يميز مالا يكتب فى السطور من حروفهم وما يكتب، ثم يبين فيما يكتب فى السطور: كيف سبيله أن يكتب. ومن الواضح أن هذا العلم هو ما نطلق عليه «الإملاء».

٦ ـ علم قوانين تصحيح القراءة:

وقد كنا نحسب للوهلة الأولى أن الفارابى يقصد بذلك علم القراءات، ولكنه أدخل فيما يمكن أن نطلق عليه فى عصرنا الحاضر مصطلح «فن الإلقاء».

٧ ـ علم الأشعار: ويقسمه الفارابى إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ الأول خاص بأوزان الشعر.

ب ـ والثانى خاص بالقافية.

جـ ـ والثالث خاص ببناء لغة الشعر.

وهكذا نرى أن الفارابى تحت عنوان (علم اللسان) قد استغرق كل ما يمس اللغة وآدابها، مقدمًا خريطة تفصيلية لأكثر من عشرة علوم تهدف إلى إتقان الشخص للغة قومه.

ثانيًا: علم المنطق

وهو العلم بالقوانين التى شأنها أن تقوم العقل، وتسدد الإنسان عن طريق الصواب، ونحو الحق، فى كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات والقوانين التى تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل.

ويحدد الفارابي أجزاء المنطق في ثمانية هي:

١ ـ التصور: ويبحث قوانين المفردات من المعقولات، والألفاظ الدالة عليها.

٢ ـ التصديق: ويبحث قوانين القضايا البسيطة.

٣ ـ القياس: ويختبر به الأدلة الخمس التالية:

٤ ـ الأدلة البرهانية: وتفيد اليقين، ومن أجلها وضع علم المنطق كله.

٥ ـ الأدلة الجدلية: وتفيد الظن.

٦ ـ الأدلة السوفسطائية: وتؤدى إلى الغلط.

٧ ـ الأدلة الخطابية: ويقصد بها الإقناع.

٨ ـ الأدلة الشعرية: ويقصد بها إثارة التخيل.

ثالثًا: علم التعاليم

وهو ينقسم إلى سبعة أجزاء هي:

١ ـ علم العدد.

٢ ـ علم الهندسة.

٣ ـ علم المناظر.

٤ ـ علم النجوم.

٥ ـ علم الموسيقى.

٦ ـ علم الأثقال.

٧ ـ علم الحيل.

رابعًا: العلم الطبيعى

وينظر في الأجسام الطبيعية وأعراضها، ومكونات هذه الأجسام وأعراضها وهى ثمانية أجزاء هى:

١ ـ مبادىء الأجسام الطبيعية وأعراضها.

٢ ـ وجود الأجسام البسيطة.

٣ ـ الكون والفساد فى الأجسام الطبيعية.

٤ ـ مبادىء الأجسام البسيطة.

٥ ـ الأجسام المركبة ومكوناتها.

٦ ـ خصائص الأجسام المركبة (المعادن).

٧ ـ خصائص أنواع النبات.

٨ ـ خصائص أنواع الحيوان.

ومن الملاحظ هنا أننا أمام علوم الكيمياء، والطبيعة، والحيوان، والنبات،وهى علوم تعتمد ـ كما هو واضح ـ على الملاحظة وتتم دراستها فى اتصال مباشر مع الأشياء.

خامسًا العلم الإلهى

وتحته تندرج ثلاثة مباحث:

١ ـ البحث عن الموجود بما هو موجود.

٢ ـ بحث مبادىء البراهين فى العلوم النظرية.

٣ ـ بحث الموجودات التى ليست أجسامًا، ولا فى أجسام، بغرض الاستدلال على وجود الله تعالى.

ويلاحظ أن الجزء الثانى من العلم الإلهى إنما يُقصد به ـ عند الفارابى ـ بحث «مبادىء البراهين فى العلوم النظرية الجريئة» وهى التى ينفرد بها كل علم منها بالنظر فى موجود خاص، مثل المنطق والهندسة والعدد، وباقى العلوم الجريئة التى تشاكل هذه العلوم.

سادسًا: العلم المدنى

وموضوعه: الأصناف والأفعال والسنن الإرادية، وعن الملكات والأخلاق والسجايا

والشيم التى عنها تكون الأفعال والسنن، وعن الغايات التى لأجلها تفعل، وكيف ينبغى أن تكون موجودة فى الإنسان، وكيف الوجه فى ترتيبها فيه على النحو الذى ينبغى أن يكون وجودها، والوجه فى حفظها عليه، ويميز بين الغايات التى لأجلها تفعل الأفعال، وتستعمل السنن وهذا العلم جزءان:

أ ـ جزء يشتمل على تعريف السعادة، وتميز ما بين الحقيقة منها والمظنون به، وعلى إحصاء الأفعال والسير والأخلاق والشيم الإرادية والكلية التى شأنها أن توزعه فى المدن والأمم، وتمييز الفاضل من غير الفاضل (الأخلاق).

ب ـ وجزء يشتمل على وجه ترتيب الشيم والسير الفاضلة فى المدن والأمم، وعلى تعريف الأفعال الملكية التى بها تمكين السير، والأفعال الفاضلة، وترتب فى أهل المدن والأفعال التى بها يحفظ عليهم ما رتب ومكن فيهم. ثم يحصى أصناف المهن الملكية غير الفاضلة كما هى كما كل واحدة منها، ويحصى الأفعال التى يفعلها كل واحد منها أن يمكن فى المدن والأمم (علم السياسة).

سابعًا: علم الفقه

ويشتمل علم الفقه ـ عند الفارابى ـ على جزئين أساسيين:

الأول: فى الآراء، مثل الآراء التى تشرع فى الله، سبحانه، وفيما يوصف به، وفى العالم، أو غير ذلك.

والثانى: فى الأفعال، مثل الأفعال التى يعظم بها الله، عز وجل، والأفعال التى تكون بها المعاملات فى المدن (يقصد العبادات والمعاملات).

ثامنًا: علم الكلام

ويحدده الفارابى بالغرض منه فيقول عن صناعة الكلام إنها «ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها ـ بالأقوال».

ويقسم الفارابى علم الكلام إلى قسمين: إحداهما فى الأراء والآخر فى الأفعال،

غير أنه لا يعطى أى تفصيل أو توضيح لهذين القسمين، لكنه ـ من ناحية أخرى ـ يفيض فى عرضه عدة مناهج للمتكلمين يستخدمونها ـ على حد قوله ـ لنصرة الملة.

وبعد هذا العرض التحليلى لكتاب الفارابى «إحصاء العلوم» يمكن القول أن كتاب الفارابى هذا يعد نظرية فى تصنيف العلوم وهى محاولة من جانبه يعد من أوائل المحاولات فى التصنيف.

وقد أورد الفارابى فى كتابه «إحصاء العلوم» خمسة منافع لتصنيف العلوم وهى:

١ ـ أن تصنيف العلوم يعتبر مدخلاً ضروريا للتعلم، وتبصيراً لازمًا لمن يريد أن يشتغل بعلم من العلوم، وتعريفًا مهمًا بالفائدة المرجوة من تحصيله فهو من هذه الزاوية عبارة عن خريطة معرفية متكاملة تقدم لقارئها حدود العلم ومساحاته، وتضع يده بسهولة على كنوزه ومناجمه، كما أنه دليل أمين يبين للسالك طبيعة الدرب الذى يسير فيه، ويبصره بعيوبه ومزاياه.

٢ ـ أن تصنيف العلوم يشبه بانوراما شاملة يطل عليها طالب العلم فيستوعب بنظرة واحدة ما فيها من سهول وهضاب، وكذلك ما تشتمل عليه من جواهر وحصى. ومن المؤكد أن مثل هذا الطالب لا يستطيع أن يدرك قيمة علم من العلوم بمعذل عن باقيها، ولذلك فإنه لابد له من المقارنة (المقايسة) حتى تظهر المميزات وتنكشف العيوب.

٣ ـ أن تصنيف العلوم يعتبر بمثابة محك نختبر به مستوى المشتغلين بالعلم ونعرف على أساسه مدى إلمامهم بجميع أصوله وأجزائه.

٤ ـ ويتصل بما سبق مباشرة أننا عن طريق هذا المحك يمكن أن نبين من يحسن علمًا من العلوم.كما يقول الفارابى فى كتابه «إحصاء العلوم» هل يحسن جميعه، أو بعض أجزائه؟ وكم مقدار ما يحسنه؟.

٥ ـ أما هذه المنفعة الأخيرة التى يراها الفارابى فى تصنيف العلوم يشير فيها إلى صنفين من النفع وهما:

أ ـ المتأدب المتقن الذى قصده أن يشدو جمل ما فى كل علم.

ب ـ ومن أحب أن يتشبه بأهل العلم ليظن به أنه منهم.

وقد نفهم بسهولة حاجة الصنف الأول،الذى يمكن أن نطلق عليه فى عصرنا الحاضر لقب «مثقف»وهو ما كان يقابله في العصور القديمة لقب «أديب» عند العرب.

نبذة عن الطبعة التى خضعت للدراسة:

تقع طبعة الكتاب الذى بين أيدينا فى ١٤١ صفحة، يشغل تحقيق كتاب «إحصاء العلوم» الصفحات من ٤٣ ـ ١١٣، فى حين احتل تصدير الكتاب الصفحات الأولى من ١ ـ ٤٣، أما الجزء الأخير من الكتاب فقد تضمن تعليقات المحقق الأستاذ الدكتور عثمان أمين (أستاذ تاريخ الفلسفة بكلية الآداب، جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة حاليًا).

وقد قدم أ. د. عثمان أمين بدراسة ضافية نأتى على أهم عناصرها إتمامًا للفائدة.

١ ـ تقدير الكتاب:

كتاب «إحصاء العلوم» للفيلسوف أبى نصر الفارابى كتاب طريف فى بابه، ألف فى القرن العاشر الميلادى، فاشتهر ذكره فى بلاد الإسلام وأصاب حسن التقدير عند أهل العلم فى الشرق والغرب، وامتدحه العارفون وعدوه ضروريًا لجميع المثقفين والراغبين فى البحث والاطلاع.

ففى القرن الحادى عشر الميلادى تحدث القاضى صاعد بن الأندلسى (المتوفى سنة ٤٦٣هـ = ١٠٧٠م) عن الفارابى ومؤلفاته، فأبدى إعجابه بكتاب «إحصاء العلوم» إذ قال: «ثم له (أى الفارابى) بعد هذا كتاب شريف فى إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهب فيه، ولا يستغنى طلاب العلم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه».

وقد نقل هذا الثناء على «الإحصاء» كثيرون من مؤلفى العرب، مثل القفطى وابن أبى أصيبعة، وفى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر نقل ابن طملوس (تلميذ ابن رشد) عن الإحصاء فصلاً برمته، وهو الفصل الذى عقده الفارابى فى المنطق، وقدم له ابن طملوس بقوله: «ولما رأيت كلامًا غير هذا الذى أسوقه كاملاً بالغًا فى وصف هذه الصناعة جئت به على وجهه من غير زيادة ولا نقصان».

وحسبنا لبيان مكانة «إحصاء العلوم» عند علماء الغرب فى القرون الوسطى أن نذكر أن الكتاب ترجم إلى اللغة اللاتينية غير مرة إبان القرن الثانى عشر الميلادى... على أن «إحصاء العلوم» كان معروفًا أيضًا فى المدارس اليهودية، فقد انتفع به «موسى بن عزرا» (المتوفى سنة ١١٤٠م) وقد وجدت للكتاب ترجمة عبرية مختصرة.

٢ ـ موضوع الكتاب:

يحصى الفارابى أولاً عناوين الفصول الخمسة التى يحتوى عليها «الإحصاء» ثم ينبه إلى ما لكتابه من فوائد عامة لمحبى المعرفة فالكتاب يعينهم على أن يعرفوا موضوع العلم الذى يريدون أن يتعلموه، ويبصرهم بمنفعته والغاية منه، ويمكنهم من أن يوازنوا بين العلوم، ليتبنوا أفضلها وأوثقها وأتقنها، وأن يميزوا بين العالم الحقيقى والعالم المتفيهق الذى يدعى البصر بعلم من تلك العلوم دون أن يضطلع به أو يكون على بينه منه.

ويقسم الفارابى «إحصاء العلوم» خمسة فصول: الفصل الأول فى علم اللسان وفروعه من اللغة والنحو والصرف والشعر والكتابة والقراءة، وقد بحث الفارابى فى مقدمة هذا الفصل بحثاً عاماً فى معنى «القانون» والقاعدة الكلية. ثم بحث فى الأجزاء السبعة الكبرى التى يتألف منها علم اللسان عند جميع الشعوب: وهى علم الألفاظ المفردة وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وقوانينها عندما تكون مركبة وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين تصحيح الأشعار، وظاهر أن بحث الفارابى هنا بحث علمى فى قواعد اللغة على العموم لا قواعد لغة بعينها، وإن كان يورد الأمثلة من اللغة العربية.

ومن أقوى فصول الكتاب وأمتعها الفصل الذى عقده الفارابى فى علم المنطق، وهذا الفصل كله قد نقله ابن طملوس فى مقدمة كتابه «المدخل لصناعة المنطق» ونقل ابن أبى أصيبعة قسمًا منه فى كتابه «عيون الأنباء» كما أشرنا فيما سبق. وقد بين الفارابى فى هذا الفصل وجه الحاجة إلى المنطق ومنفعته وضرورته لمن أقدم على الدراسات العملية، وأوضح موضوع المنطق، وهو «الصناعة التى تستفيد منها قوة نقف بها على ما هو حق بيقين وما هو باطل بيقين».

وذكر وجوه الشبه والخلاف بين المنطق والنحو، والقضايا المختلفة التى يستهلها المنطق: البرهانية والجدلية والسفسطائية والخطابية والشعرية، وأشار إلى مختلف أبواب المنطق فى علاقتها بهذه القضايا وفقا لقانون أرسطو: وهى المقولات والعبارة والقياس والبرهان والمواضع الجدلية والحكمة المموهة والخطابة والشعر، وتلك هى المواد التى يحتوى عليها هذا العلم الذى هو ألزم وأهم العلوم التمهيدية التى تسبق التعليم.

والفصل الثالث فى علم التعاليم (أى الرياضيات)، وينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى علم العدد وعلم الهندسة (وهذان العلمان بحسب كتاب «الأصول» لإقليدس وعلم المناظر (أو علم البصريات) وعلم النجوم التعليمى (أى علم الفلك) الذى يبحث فى الأجسام السماوية عن أشكالها ومقادير أجرامها ونسب بعضها إلى بعض وعن حركاتها بالقياس إلى الأرض وما إلى ذلك، وعلم الموسيقى بأجزائه الكبرى، وعلم الأثقال الذى ينظر فى الأثقال من حيث يقدر بها، وفى الآلات التى تستخدم فى رفع الأشياء الثقيلة ونقلها من مكان إلى مكان، وعلم الحيل (الميكانيكا التطبيقية) ويعطى وجوه معرفة التدابير والطرق فى التلطف لإيجاد العلوم الرياضية بالصنعة وإظهارها بالفعل فى الأجسام الطبيعية والمحسوسة.

والفصل الرابع فى العلم الإلهى (مابعد الطبيعة) والعلم الطبيعى (الفيزيقا)، أما العلم الطبيعى فيبحث فى الأجسام الطبيعية أو الصناعية، مميزًا بين عللها الغائية والفاعلة ويبين موادها وصورها، وفى أعراض الأجسام ومراتب الأجسام الطبيعية (بسيطة أو مركبة)، وينقسم العلم الطبيعى إلى ثمانية أجزاء عظمى (ويشير الفارابى إلى أنها كلها تبحث فى كتب أرسطو عن «السماع الطبيعى»، و«السماء والعالم» و«الكون والفساد» و«الآثار العلوية» و«كتاب النبات» و«كتاب الحيوان» و«كتاب النفس». وهذه الأجزاء هى:

١ ـ ما تشترك فيه الأجسام الطبيعية كلها.

٢ ـ الأجسام البسيطة.

٣ ـ كون الأجسام الطبيعية وفسادها.

٤ ـ مبادىء الأعراض والانفصالات التى تخص الاسطقسات (العناصر).

٥ ـ الأجسام المركبة من العناصر.

٦ ـ الأجسام المعدنية.

٧ ـ النبات.

٨ ـ الحيوان.

ويعرض الفارابى للعلم الإلهى أى الميتافيزيقا، ويشير إلى أنه يتابع أرسطو فى كتابه المسمى «مابعد الطبيعة». وينقسم العلم الإلهى إلى ثلاثة أجزاء:

١ ـ جزء يفحص عن الموجودات والأشياء التى تعرض لها بما هى موجودات.

٢ ـ جزء يفحص عن مبادى البراهين فى العلوم النظرية الجزئية.

٣ ـ جزء يفحص عن الموجودات التى ليست بأجسام ولا فى أجسام.

والفصل الخامس فى العلم المدنى (علم الأخلاق وعلم السياسة) وعلم الفقه، وعلم الكلام. ويعترف الفارابى أنه قد تابع هنا آراء أفلاطون فى كتاب «الجمهورية» وآراء أرسطو فى كتاب «السياسة»، والعلم المدنى جزءان:

١ ـ جزء يشتمل على تعريف السعادة، وعلى إحصاء الأفعال والسير والأخلاق، وتمييز الفاضل منها وغير الفاضل.

٢ ـ وجزء يشتمل على وجه ترتيب الشيم والسير الفاضلة فى المدن والأمم، وينبه الفارابى إلى ضرورة الرياسة المدنية (الملكية)، ويبين الشرائط التى ينبغى أن تتوافر فى المدن (والدول) لكى تدوم فاضلة ولا تستحيل إلى غير الفاضلة.

وعلم الفقه هو العلم الذى يقتدر به الإنسان على أن يستنبط تقدير شىء مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده على الأشياء التى صرح فيها بالتحديد والتقدير، ولما كانت كل ملة تحتوى على معتقدات وأكمال، فعلم الفقه جزءان: جزء فى الآراء، وجزء فى الأفعال.

ويختتم الفارابى كتابه بعلم الكلام، وهو عندنا من أحسن فصول الكتاب،

والفارابى يعرف هذا العلم بأنه: «ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل»، والذى يستدعى النظر هنا أن الفارابى يضع علم الكلام من جملة العلوم العملية، . . . ويفرق الفارابى بين الفقيه والمتكلم تفرقة دقيقة. فالفقيه «يأخذ الآراء والأفعال التى صرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولاً، فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها والمتكلم ينصر الأشياء التى يستعملها الفقيه أصولاً من غير أن يستنبط عنها أشياء أخر».

وينتهى الفيلسوف إلى تحليل بارع يبسط فيه موقف المتكلمين، ويصور وجهة نظرهم فى الدفاع عن الدين، فيذكر أن فريقاً منهم يرون أن ينصروا الملل بقولهم إن عقائدنا مأخوذة عن وحى إلهى، فلا ينبغى أن تخضع للنقد، لأنها أسرارًا إلهية تضعف العقول البشرية عن إدراكها.

٣ ـ الاختلاف على قصد الفارابى من الكتاب:

ظل الباحثون زمناً طويلاً يظنون أن «إحصاء العلوم» من قبيل «الموسوعات» أو «دوائر المعارف». . . وقد كنا نحن أيضاً نذهب إلى هذا الرأى فى طبعتنا الأولى لإحصاء العلوم (مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٣١ ص٤ من المقدمة) ولكننا عدلنا عن ذلك الرأى فى هذه الطبعة كما يرى القارىء. . .

والظاهر أن الفارابى لم يقصد أن يكون كتاب «الإحصاء» «موسوعة» بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ، وإنما قصد أن يكون الكتاب مختصراً لعلوم زمانه ومرشداً موجزاً لمن أراد الوقوف عليها أو التبحر فيها: يعطى القارىء فكرة واضحة عامة عن موضوع كل علم ومنفعته النظرية والعملية، فيؤدى الخدمة التى لا يستغنى عنها المثقف من المشاركة فى أهم العلوم لعهده.

فإحصاء العلوم ليس موسوعة عامة بالمعنى الذى نفهمه اليوم من لفظ «انسيكولبيديا»، ومع ذلك فيبدو أن الفارابى بكتابه هذا ـ الذى يشتمل على عدد معين من العلوم ـ قد وضع الحجر الأساسى الذى سيبنى عليه مؤلفو الموسوعات العربية، كما سنرى عند بحثنا لأثر «إحصاء العلوم» فى الشرق.

وقد وقع الاختلاف أيضًا على قصد الفارابى من «إحصاء العلوم» هل أراد به أن يكون كتابًا يقتصر على تعديد أشهر العلوم المعروفة لعهده مع بيان مسائلها إجمالاً، أم

أراد به أن يكون «تقسيماً» أو «تصنيفًا» للعلوم يبين مذهبًا معينًا له فى ترتيبها.

والذى يبدو لنا أنه لا محل لهذا الاختلاف: فإن الفارابى لم يقصد أن يكون كتاب «الإحصاء» بحثًا فى ترتيب العلوم وتصنيفها. وقد رأينا أنه استهل كتابه بقوله: «قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علمًا علماً، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء ما له منها أجزاء، وجمل ما فى كل واحد من أجزائه».

فظاهر أن الفارابى إنما أراد هنا «إحصاء» العلوم نفسها وبسط الكلام فيها، ولم يرد أن يتعرض للكلام عن مذهبه هو فى تصنيف العلوم. ولكن هذا لا يمنع من أن نلاحظ أن كتابه هذا قد جاء وفقًا لترتيب عقلى معين لم يصرح به الفارابى هنا، وإن كان قد أوضحه فى أكثر من موضع من مؤلفاته الأخرى فكأن ما راعاه الفارابى من الترتيب فى كتاب «الإحصاء» جاء على سبيل التطبيق العملى لنظريته العامة فى تقسيم العلوم.

أما نظرية الفارابى فى تقسيم العلوم فقد أجملها فى كتابه «التنبيه على سبيل السعادة»، إذ قسم العلوم قسمين كبيرين:

١ ـ قسم تحصل به معرفة الموجودات التى ليس للإنسان فعلها: وهى العلوم النظرية.

٢ ـ وقسم تحصل به معرفة الأشياء التى شأنها أن تفعل، والقوة على فعل الجميل منها: وهى العلوم العملية والفلسفة المدنية.

فإذا نظرنا الآن فى كتاب «إحصاء العلوم» وجدنا الفارابى يقسمه خمسة فصول تحتوى على ثمانية علوم، هى: علم اللسان، وعلم المنطق، وعلم التعاليم، والعلم الطبيعى، والعلم الإلهى، والعلم المدنى، وعلم الفقه، وعلم الكلام.

وإذا تأملنا هذا التقسيم نفسه وجدناه فى صميمه تطبيقًا لنظرية الفارابى التى ذكرها فى «التنبيه على سبيل السعادة»، فقد قدم علم اللسان وفروعه وأعقبه بعلم المنطق. وتفسير ذلك ظاهر من كلامه: لأن علم اللسان عند كل أمة أداة لتصحيح ألفاظها وتقويم عباراتها، فوجب تقديمه على سائر العلوم.

وبعد أن فرغ الفارابى من علم اللسان عرض مباشرة لعلم المنطق، وقد قدمه على سائر العلوم لأنه يعطى جملة القوانين التى شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب».

وبعبارة أخرى لأن قوانين المنطق قوانين عامة كلية لابد من مراعاتها فى أى علم لعصمة الأذهان مر الزلل فى الأحكام.

وبعد ذلك قسم الفارابى العلوم قسمين كبيرين:

١ ـ علوم نظرية وهى التى تكلم عليها فى الفصلين الثالث والرابع، وجعلها مشتملة على العلوم الرياضية بأنواعها وأجزائها.

٢ ـ وعلوم عملية وقد تكلم عنها فى الفصل الخامس، وذكر منها العلم المدنى (أى الأخلاق والسياسة) وأضاف إليه علم الفقه وعلم الكلام.

وإذن فالمطابقة ظاهرة بين المذهب العام للفارابى فى ترتيب العلوم وبين الترتيب الذى اتبعه بالفعل فى كتاب «الإحصاء».

٤ ـ أثر «إحصاء العلوم» فى العالم الإسلامى:

كتب الفارابى إحصاء العلوم فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فذاع الكتاب لدى العلماء والمؤلفين فى العالم الإسلامى وأصبح نواة لغيره من الموسوعات العلمية العربية.

ومما يدخل فى هذا الباب كتاب «الشفاء» لابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨هـ = ١٠٣٧م) وهذا الكتاب المشهور أشبه بموسوعة للعلوم التى أوردها الفارابى. ولابن سينا أيضًا رسالة فى «أقسام العلوم العقلية» ويبدو لنا أن التقسيم الذى اتبعه الفارابى فى «الإحصاء» قد أصبح بعداً أساسيًا لتقسيم ابن سينا الذى بسطه فى هذه الرسالة وجعل فيه الحكمة قسمين: قسم نظرى مجرد، وقسم عملى.

أما رسالة «إرشاد القاصد إلى أسن المقاصد» لشمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد السنجارى الأكفانى (المتوفى سنة ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م) فقد ذكرت طائفة كبيرة من العلوم، ويظهر أن مؤلفها استقى فيها من «إحصاء العلوم» شيئاً غير قليل. ونظرة فى مقدمة هذه الرسالة تجعلنا نتبين أنها قد اتفقت فى أكثر من موضع مع مقدمة «الإحصاء» اتفاقاً لا يقتصر على المعنى بل يتناول العبارات بنصها.

وينبغى أن نشير أخيرًا إلى كتاب «أبجد العلوم» لصديق حسن قان ملك بهوبال

الهند (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ = ١٨٩٨م) وقد نقل هذا المصنف عمن سبقوه فى هذا الفن كالأكفانى وابن خلدون وغيرهما.

وقد رأينا أن هؤلاء جميعًا قد تأثروا بكتاب «إحصاء العلوم» ولاشك أن الفارابى هو السابق إلى الكتابة فى تقسيم العلوم وترتيبها، وهو أيضًا واضع الحجر الأساسى لبناء موسوعات العلوم فى اللغة العربية واللغات الشرقية.

٥ ـ أثر «إحصاء العلوم» فى العالم الغربى:

ولم يقتصر أثر «إحصاء العلوم» على الحياة العقلية فى العالم الإسلامى أو العالم العربى بل امتد إلى المؤلفين والمصنفين من أهل القرون الوسطى فى العالم العربى، والظاهر أن الكتاب أصبح فى المدارس المسيحية كما كان فى المدارس الإسلامية، من المؤلفات التى «لا يستغنى عنها».

ويذكر العلامة «فارمر» أن «إحصاء العلوم» و«تقسيم الفلسفة» كانا معروفين فى انجلترا منذ أواخر القرن الثانى عشر الميلادى.

وممن أفادوا أكبر الفوائد من كتاب الفارابى العالم المشهور «روجر بيكون» (عاش حوالى سنة ١٢١٤ ـ ١٢٨٠) إذ نجده يذكر الفارابى مع إقليدس وبطليموس والبينوس والقديس أغسطين وبويثيوس، وهو يوجه الأنظار فى كتابه Oupus terium إلى «إحصاء العلوم» خاصة وقد بين بعض الباحثين من الألمان أن للفارابى أثرًا بليغًا فى مؤلفات «روجر بيكون».

ولقد ظل هذا الأثر باقيًا فى أوروبا حتى بداية القرن السادس عشر. وإذن فقد كان لإحصاء العلوم فى أوروبا المسيحية أثر عظيم، وخاصة فى نظرية الموسيقى، كما بين العلامة «فارمر» وغيره من الباحثين الأوروبيين.

وخلاصة ما تقدم أنه ليس ثمة شك فيما كان لكتاب «إحصاء العلوم» من اعتبار فى نظر المتقدمين ولا فى مبلغ ما أحدث من أثر عند المتأخرين من شرقيين وغربيين.

٦ ـ تجدد الاهتمام بكتاب «إحصاء العلوم»:

اهتم المؤرخون غير مرة ومنذ زمن بعيد بكتاب «الإحصاء» وقد كان معروفًا من

فهرس ميخائيل الغزيرى ثم من فهرس «ديرنبور» أن أصله العربى موجود بدار كتب الاسكوريال (بأسبانيا)، ولكن كان المظنون عمومًا أن الوصول إليه جد عسير فقنع الباحثون الغربيون بدراسة الكتاب فى ترجمتيه اللاتينيتين.

٧ ـ صحة نسبة «الإحصاء» إلى الفارابى:

إذا قارنا «إحصاء العلوم» بغيره من المؤلفات العربية التى تعالج هذه الموضوعات منذ عشرة قرون تبينا لأول وهلة أن هذا الكتاب «أكثر عصرية» من جمهرة الكتب الأخرى كما قال العلامة الأب بويج، وقد يكون فى هذا ما يثير فى الأذهان بعض الشك فى نسبة الكتاب إلى الفارابى.

لكن الواقع أنه لا سبيل إلى النزاع أو الخلاف على صحة انتساب الكتاب إلى المعلم الثانى [الفارابى]، إن مؤلف «الإحصاء» هو الفارابى حقًا، ولقد صرح بهذا ابن النديم فى «الفهرست» والقاضى صاعد فى «طبقات الأمم»، كما صرح به غيرهما مثل القفطى وابن أبى أصيبعة وابن خلكان، وقد رأينا ابن طملوس نقل فصل المنطق كله عن إحصاء العلوم (دون أن يصرح باسم الفارابى، ولكن إشارته إلى المؤلف تدل على أنه هو المقصود)، كما رأينا ابن أبى أصيبعة ينقل جزءاً من فصل المنطق (مع التصريح باسم الفارابى)، ويضاف إلى ما قدمنا أن اسم الفارابى قد ذكر فى مستهل «إحصاء العلوم» فى أغلب نسخ الكتاب، عربية كانت أو لاتينية.

٨ ـ هذه الطبعة:

لما صحت عزيمتنا على إعادة طبع «إحصاء العلوم» طبعة جديدة بالمعلم الثانى كان أول ما اتجهت إليه هو مقابلة نسخة القاهرة بنسخة الاسكوريال، وقد رمزت إليها بحرف (م)، ثم نسخة النجف، وقد رمزت إليها بحرف (ع)، فكتاب ابن طملوس المسمى «المدخل لصناعة المنطق» وقد رمزت إليه بحرف (ط) وأخيراً مخطوط كوبرولو (استنبول) وقد رمزت إليه بحرف (ك)، أما نسخة القاهرة فقد رمزت إليها بحرف (ق). وبعد أن قابلت هذه النسخ العربية بدأت أعارضها بترجمة ديمريمونا اللاتينية، وقد رمزت إليها بحرف (تك).

الفارابى وفلسفته:

حياة الفارابى:

الفيلسوف أبو نصر الفارابى هو محمد بن محمد بن طرخان سمى بالفارابى نسبة إلى الجهة التى ولد بها وهى ولاية «فاراب» من بلاد الترك فيما وراء النهر، وإن كان بعض أصحاب التراجم قد ذكر أنه فارسي الأصل، ومهما يكن الأمر فالفارابى بجملة ثقافته ومؤلفاته فيلسوف عربى، بل لقد قال أحد المستشرقين أنه مؤسس الفلسفة العربية.

وقال ابن خلكان: «ولم يكن فيهم (أى فى فلاسفة الإسلام) من بلغ رتبته فى فنونه. والرئيس ابن سينا بكتبه تخرج وبكلامه انتفع فى تصانيفه». وقال بعض المستشرقين: «وليس شىء مما يوجد فى فلسفة ابن سينا وابن رشد إلا وبذوره موجودة عند الفارابى» وقد كان كتاب العرب يعدون الفارابى أكبر العلماء بعد أرسطو، فقد أطلقوا عليه اسم «المعلم الثانى».

وقد كان الفارابى مولعًا بالأسفار منذ صباه، حيث تنقل فى بلاد الإسلام، حتى دخل العراق، وألم ببغداد، فتلقى طرفًا من علوم الفلسفة على أستاذ نصرانى.. وبعد أن أقام الفارابى زمانًا فى بغداد ارتحل عنها إلى حلب، واتصل بالأمير الحمدانى سيف الدولة، ونال الحظوة عنده وتزينى بزى أهل التصوف، ووافته المنية بدمشق سنة ٩٥٠ بعد الميلاد. وهو شيخ ناهز الثمانين من عمره.

وأظهر ما يستوقفنا فى حياة الفارابى أنه كان رجلاً يميل إلى التأمل والنظر ويؤثر العزلة والهدوء، بدأ شبابه متفلسفًا، وقضى كهولته متفنناً، وختم حياته متصوفاً، والحق لقد كانت حياته الفكرية خصبة جداً، ألف كتباً كثيرة ضاع أكثرها، على أنه اشتهر بين العرب بشروحه على فلسفة أرسطو، ولكن همة الفارابى لم تقف عند الشروح، فقد ألف طائفة من الرسائل أوضح فيها فلسفته الخاصة كفصوص الحكم، و«إحصاء العلوم»، و«الجمع بين رأى الحكمين أفلاطون وأرسطو» و«آراء أهل المدينة الفاضلة» و«تحصيل السعادة» وغيرها.

وقد كانت للفارابى معرفة بالطب، وكانت له مواهب بارزة فى الموسيقى علمًا وفنًا، وقد كتب أشهر رسالة فى نظرية الموسيقى الشرقية، ويذكرون من براعته فى هذا الفن أنه صنع آلة موسيقية شبيهة بالقانون عزف عليها مرة فأضحك الحاضرين، وعزف مرة ثانية فأبكاهم، وعزف مرة ثالثة فأنامهم ثم انصرف.

ونلخص فيما يلى مقدمة الفارابى نفسه لكتابه:

مقالة فى «إحصاء العلوم»:

«قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علمًا علمًا، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء، وجمل ما فى كل واحد من أجزائه، ونجعله فى خمسة فصول: الأول فى علم اللسان وأجزائه، والثانى فى علم المنطق وأجزائه، والثالث فى علوم التعاليم وهى العدد والهندسة وعلم المناظر وعلم النجوم التعليمى وعلم الموسيقى وعلم الأثقال وعلم الحيل، والرابع فى العلم الطبيعى وأجزائه، وفى العلم الإلهى وأجزائه، والخامس فى العلم المدنى وأجزائه، وفى علم الفقه، وعلم الكلام.

وبهذا الكتاب يقدر الإنسان على أن يقايس بين العلوم، فيعلم أيها أفضل وأيها أنفع وأيها أتقن وأوثق وأقوى، وأيها أوهن وأوهى وأضعف. وبه يتبين أيضًا فيمن يحسن علمًا منها هل يحسن جميعه أو بعض أجزائه وكم مقدار ما يحسنه.

الفصل الأول: فى علم اللسان:

علم اللسان فى الجملة ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما وعلم ما يدل عليه شىء منها والثانى علم قوانين تلك الألفاظ، والقوانين فى كل صناعة أقاويل كلية أى جامعة ينحصر فى كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه تلك الصناعة وحدها حتى يأتى على جميع الأشياء التى هى موضوعة للصناعة أو على أكثرها.

وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وقوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة وقوانين الأشعار.

فعلم الألفاظ المفردة الدالة يحتوى على علم ما تدل عليه لفظة لفظة من الألفاظ المفردة الدالة على أجناس الأشياء وأنواعها وحفظها وروايتها كلها الخاص بذلك اللسان والدخيل فيه والغريب عنه والمشهور عند جميعهم.

وعلم الألفاظ المركبة هو علم الأقاويل التى تصادف مركبة عند تلك الأمة، وهى التى صنعها خطباؤهم وشعراؤهم ونطق بها بلغاؤهم وفصحائهم المشهورون عندهم، وروايتها وحفظها.

وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولاً فى الحروف المعجمة عن عددها ومن أين يخرج كل واحد منها فى آلات التصويت، وعن المصوت منها، وعما يتركب منها فى ذلك اللسان وعما لا يتركب وعن أقل ما يتركب منها حتى يحدث عنها لفظة دالة.

وعلم قوانين الألفاظ عندما تركب ضربان: أحدهما يعطى قوانين أطراف الأسماء والكلم عندما تركب أو ترتب، والثانى يعطى قوانين فى أحوال التركيب والترتيب نفسه.

وعلى قوانين الكتابة يميز أولاً مالا يكتب فى السطور من حروفهم وما يكتب، ثم يبين فيما يكتب فى السطور كيف سبيله أن يكتب.

وعلم قوانين تصحيح القراءة يعرف مواضع النقط والعلامات التى تجعل عندهم لما لا يكتب فى السطور من حروفهم وما يكتب والعلامات التى تميز بين الحروف المشتركة، والعلامات التى تجعل للحروف.

وعلم الأشعار [علم] الجهة التى تشاكل علم اللسان ثلاثة أجزاء، أحدها إحصاء الأوزان المستعملة فى أشعارهم، بسيطة كانت الأوزان أو مركبة، ثم إحصاء تركيبات الحروف المعجمة التى تحصل عن صنف صنف منها ووزن وزن من أوزانهم وهى التى تعرف عند العرب بالأسباب والأوتاد، ثم الفحص عن مقادير الأبيات والمصاريع، ومن كم حرف ومقطع يتم بيت بيت فى وزن وزن، ثم يميز الأوزان الوافية من الناقصة وأى الأوزان أبهى وأحسن وألذ مسموعًا. والجزء الثانى النظر فى نهايات الأبيات فى وزن وزن أيما منها عندهم على وجه واحد، وأيما منها على وجوه كثيرة، ومن هذه أيها هو التام وأيها الزائد وأيها الناقص، والجزء الثالث يفحص عما يصلح

أن يستعمل في الأشعار من الألفاظ عندهم مما ليس يصلح أن يستعمل في القول الذي ليس بشعر. فهذه جمل مافي كل واحد من أجزاء علم اللسان.

الفصل الثاني: في علم المنطق

فنخبر بجملة ما فيه ثم بمنفعته ثم بموضوعاته ثم بمعنى عنوانه ثم نحصي أجزائه وجمل مافي كل واحد منها.

فصناعة المنطق تعطي بالجملة القوانين التي شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات، والقوانين التي تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل. والغلط في المعقولات والقوانين التي يمتحن بها في المعقولات ماليس يؤمن أن يكون قد غلط فيه غالط، وذلك أن في المعقولات أشياء لا يمكن أن يكون قد غلط فيها أصلاً، وهي التي يجد الإنسان نفسه كأنها فطرت على معرفتها واليقين بها.

وهذه الصناعة تناسب صناعة النحو: ذلك أن نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ، وتناسب أيضًا علم العروض. فإن نسبة علم المنطق إلى المعقولات كنسبة العروض إلى أوزان الشعر.

وأيضًا فإن القوانين المنطقية التي هي آلات يمتحن بها في المعقولات مالا يؤمن أن يكون العقل قد غلط فيه أو قصر في إدراك حقيقته تشبه الموازين والمكاييل التي هي آلات يمتحن بها في كثير من الأجسام مالا يؤمن أن يكون الحس قد غلط فيه أو قصر في إدراك تقديره وكالمساطر التي يمتحن بها في الخطوط مالا يؤمن أن يكون الحس قد غلط أو قصر في إدراك استقامته.

فهذه جملة غرض المنطق،ويبن من غرضه عظيم غنائه وذلك في كل ما نلتمس تصحيحه عند أنفسنا وفيما نلتمس تصحيحه عند غيرنا،وفيما يلتمس غيرنا تصحيحه عندنا.

وإذا جهلنا المنطق كانت حالنا في جميع هذه الأشياء بالعكس، وعلى الضد، وأعظم من جميع ذلك وأقبحه وأشنعه وأحراه أن يحذر، ويتقى هو ما يلحقنا إذا أردنا أن ننظر في الآراء المتضادة أو بحكم بين المتنازعين فيها، وفي الأقاويل والحجج التي

يأتى بها كل واحد ليصحح رأيه ويزيف رأى خصمه. فلا نأمن أن يكون فيمن أحسنا به الظن مموه مشنع، فيكون قد نفق عندنا المبطل وأيدنا من سخر منا ونحن لا نشعر.

وأما من زعم أن الدربة بالأقاويل والمخاطبات الجدلية أو الدربة بالتعاليم مثل الهندسة والعدد، تغنى عن علم قوانين المنطق أو تقوم مقامه وتفعل فعله وتعطى الإنسان القوة على امتحان كل قول وكل حجة وكل رائى، فهو مثل من زعم أن الدربة والارتياض بحفظ الأشعار والخطب والاستكثار من روايتها يغنى فى تقويم اللسان وفى أن لا يلحن الإنسان عن قوانين النحو ويقوم مقامها ويفعل فعلها... فالذى يليق أن يجاب به فى أمر النحو ها هنا هو الذى يجاب به فى أمر المنطق هناك.

وأما موضوعات المنطق، وهى التى فيها تعطى القوانين: فهى المعقولات من حيث تدل عليها الألفاظ، والألفاظ من حيث هى دالة على المعقولات...

فلذلك نضطر إلى قوانين تحوطنا فى المعقولات وفى العبارة عنها، وتحرسنا من الغلط فيها، وكلتا هاتين أعنى المعقولات والأقاويل التى بها تكون العبارة عنها يسميها القدماء «النطق والقول»: فيسمون المعقولات القول، والنطق الداخل المركوز فى النفس والذى يعبر به عنها القول، والنطق الخارج بالصوت والذى يصحح به الإنسان الرأى عند نفسه هو القول المركوز فى النفس والذى يصححه به عند غيره هو القول الخارج بالصوت، فالقول الذى شأنه أن يصحح رأيًا ما يسميه القدماء «القياس»، كان قولاً مركوزًا فى النفس أو خارجًا بالصوت.

فالمنطق يعطى القوانين التى سلف ذكرها فى القوانين جميعًا، وهو يشارك النحو يعطى المشاركة بما يعطى من قوانين الألفاظ ويفارقه فى أن علم النحو إنما يعطى قوانين تخص ألفاظ أمة ما، وعلم المنطق إنما يعطى قوانين مشتركة تعم ألفاظ الأمم كلها...

وأما عنوان [أى المنطق] فبين أنه ينبىء عن جملة غرضه: وذلك أنه مشتق من النطق، وهذه اللفظة تقال عند القدماء على ثلاثة معان:

أحدهما القول الخارج بالصوت، وهو الذى به تكون عبارة اللسان عما فى الضمير والثانى القول المركوز فى النفس وهو المعقولات التى تدل عليها الألفاظ والثالث القوة النفسانية المفطورة فى الإنسان، التى بها يميز التمييز الخاص بالإنسان دون ما سواه من

الحيوان، وهى التى بها يحصل للإنسان المعقولات والعلوم والصنائع، وبها تكون الروية.

فهذا العلم لما كان يعطى قوانين فى النطق الخارج، وقوانين فى النطق الداخل، ويقوم بما يعطيه من القوانين فى الأمرين النطق الثالث الذى هو فى الإنسان بالفطرة، ويسدده حتى لا يفعل فعله فى الأمرين إلا على أصوب ما يكون وأتمه وأفضله، سمى باسم مشتق من النطق الذى يقال على الأنحاء الثلاثة.

وأما أجزاء المنطق فهى ثمانية: وذلك أن أنواع القياس وأنواع الأقاويل التى يلتمس بها تصحيح رأى أو مطلوب فى الجملة ثلاثة، وأنواع الصنائع التى فعلها بعد استكمالها أن تستعمل القياس فى المخاطبة فى الجملة خمسة: برهانية وجدلية وسوفسطائية وخطبية وشعرية.

فالبرهانية هى الأقاويل التى شأنها أن تفيد العلم اليقين فى المطلوب الذى نلتمس معرفته، سواء استعملها الإنسان فيما بينه وبين نفسه فى استنباط ذلك المطلوب، أو خاطب بها غيره، أو خاطبه بها غيره فى تصحيح ذلك المطلوب.

والأقاويل الجدلية هى التى شأنها أن تستعمل فى أمرين: أحدهما أن يلتمس السائل بالأشياء المشهورة التى يعترف بها جميع الناس غلبة المجيب فى موضع يضمن المجيب حفظه أو تصرفه بالأقاويل المشهورة أيضاً، والثانى فى أن يلتمس بها الإنسان إيقاع الظن القوى فى رأى قصد تصحيحه إما عند نفسه وإما عند غيره حتى يخيل أنه يقين من غير أن يكون يقينًا.

والأقاويل السوفسطائية هى التى شأنها أن تغلط وتضلل وتلبى وتوهم فيما ليس بحق أنه حق، وفيما هو حق أنه ليس بحق وتوهم فيمن ليس بعالم أنه عالم نافذ، وتوهم فيمن هو حكيم عالم أنه ليس كذلك، وهذا الاسم مركب فى اليونانية من «سوفيا» وهى الحكمة ومن «اسطس» وهو المموه، فمعناه حكمة مموهة وكل من له قدرة على التمويه والمغالطة بالقول فى أى شىء كان، سمى بهذا الاسم وقيل إنه سوفسطائى.

والأقاويل الخطبية هى التى شأنها أن يلتمس بها إقناع الإنسان فى أى رأى كان، وأن يميل ذهنه إلى أن يسكن إلى ما يقال له ويصدق به تصديقًا ما، إما أضعف وإما أقوى.

والأقاويل الشعرية هى التى تركب من أشياء شأنها أن تخيل فى الأمر الذى فيه المخاطبة حالاً ما أو شيئًا أفضل أو أحسن، وذلك إما جمالاً أو قبحًا أو جلالاً أو هوانًا، أو غير ذلك مما يشاكل هذه. . . وإنما تستعمل الأقاويل الشعرية فى مخاطبة إنسان يستنهض لفعل شىء ما باستفزازه إليه واستدراجه نحوه.

فهذه أصناف القياسات والصنائع القياسية، وأصناف المخاطبات التى تستعمل لتصحيح شىء ما فى الأمور كلها، وهى فى الجملة خمسة: يقينية، وظنية، ومغلطة، ومقنعة، ومحيلة. وكل واحدة من هذه الصنائع الخمس لها أشياء تخصها، ولا أشياء أخرى تشترك فيها.

والأقاويل القياسية إنما تؤلف عن الأقاويل البسيطة فتصير أقاويل مركبة، وأقل الأقاويل المركبة ما كان مركباً عن قولين بسيطين، وأكثرها غير محدود. فكل قول قياسى فأجزاؤه العظمى هى الأقاويل البسيطة، وأجزاؤه الصغرى، وهى أجزاء أجزائه، هى المفردات من المعقولات والألفاظ الدالة عليها.

فتصير أجزاء المنطق بالضرورة ثمانية، كل جزء منها فى كتاب:

الأول: فيه قوانين المفردات من المعقولات والألفاظ الدالة عليها.

الثانى: فيه قوانين الأقاويل البسيطة.

الثالث: فيه الأقاويل التى تسير بها القياسات المشتركة للصنائع الخمس.

الرابع: فيه القوانين التى تمتحن بها الأقاويل البرهانية وقوانين الأمور التى تلتئم بها الفلسفة، وكل ما تصير به أفعالها أتم وأفضل وأكمل.

الخامس: فيه الأقاويل التى تمتحن بها الأقاويل الجدلية وكيفية السؤال الجدلى والجواب الجدلى، وبالجملة قوانين الأمور التى تلتئم بها صناعة الجدل وتصير بها أفعالها أكمل وأفضل وأنفذ.

السادس: فيه أولاً قوانين الأشياء التى شأنها أن تغلط عن الحق وتلبس وتحير، وإحصاء جميع الأمور التى يستعملها من قصد التمويه والمخرقة فى العلوم والأقاويل، ثم من بعدها إحصاء جميع ما ينبغى أن تتلقى به الأقاويل المغلطة

التي يستعملها المشنع والمموه، وكيف تفسخ.

السابع: فيه القوانين التي تمتحن وتسبر بها الأقاويل الخطبية وأصناف الخطب وأقاويل البلغاء والخطباء.

الثامن: فيه القوانين التي تسبر بها الأشعار وأصناف الأقاويل الشعرية المعمولة والتي تعمل في فن من الأمور، ويحصى أيضًا جميع الأمور التي تلتئم بها صناعة الشعر.

فهذه أجزاء المنطق، وجملة ما يشتمل عليه كل جزء منها، والجزء الرابع هو أشدها تقدمًا بالشرف والرياسة والمنطق إنما التمس به على القصد الأول الجزء الرابع، وباقي أجزائه عمل لأجل الرابع: فإن الثلاثة التي تتقدمه في ترتيب التعليم هي توطئات ومداخل وطرق إليه، والأربعة الباقية التي تتلوه فلشيئين: أحدهما أن في كل واحد منها إرفادًا ما ومعونة، على أنها كالآلات للجزء الرابع، ومنفعة بعضها أكثر وبعضها أقل والثاني: على جهة التحريز: وذلك أنها لو لم تتميز هذه الصنائع بعضها عن بعض بالفعل حتى تعرف قوانين كل واحدة منها على انفرادها متميزة عن قوانين الآخر، لم يأمن الإنسان عند التماسه الحق واليقين أن يستعمل الأشياء الجدلية، من حيث لا يشعر أنها جدلية فتعدل به عن اليقين إلى الظنون القوية أو يكون قد استعمل من حيث لا يشعر أمورًا خطبية، فتعدل به إلى الإقناع، أو يكون قد استعمل المغلطات من حيث لا يشعر: فإما أن توهمه فيما ليس بحق أنه حق فيعتقده، وإما أن تحيره.

وأما على القصد الثاني فإنه يكون قد أعطى أيضًا أهل كل صناعة من الصنائع الأربع جميع ما تلتئم به تلك الصناعة حتى يدرى الإنسان إذا أراد أن يكون جدليًا بارعًا كم شيء يحتاج إلى تعلمه ويدرى بأي شيء يمتحن على نفسه أو على غيره أقاويله، ليعلم هل سلك فيها طريق الجدل أم لا.

الفصل الثالث: في علم التعاليم

وهذا العلم ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى أحصيناها في أول الكتاب.

علم العدد:

أما علم العدد فإن الذى يعرف بهذا الاسم علمان: أحدهما علم العدد العملى، والآخر علم العدد النظرى، فالعملى يفحص عن الأعداد من حيث هى أعداد معدودات تحتاج إلى أن يضبط عددها من الأجسام وغيرها، مثل رجال أو أفراس أو دنانير أو دراهم أو غير ذلك من الأشياء ذوات العدد، وهى التى يتعاطاها الجمهور فى المعاملات السوقية والمعاملات المدنية.

وأما النظرى فإنه إنما يفحص عن الأعداد بإطلاق على أنها مجردة فى الذهن عن الأجسام وعن كل معدود منها، وإنما ينظر فيها مخلصة عن كل ما يمكن أن يعد بها من المحسوسات، ومن جهة ما يعم جميع الأعداد التى هى أعداد المحسوسات وغير المحسوسات وهذا هو الذى يدخل فى جملة العلوم.

فعلم العدد النظرى يفحص عن الأعداد على الإطلاق، وعن كل ما يلحقها فى ذواتها مفردة من غير أن يضاف بعضها إلى بعض، وهى مثل الزوج والفرد، وعن كل ما يلحقها عندما يضاف بعضها إلى بعض، وهو التساوى والتفاصيل وأن يكون عدد جزءاً لعدد أو أجزاء له أو ضعفه أو مثله أو زيادة جزء أو أجزاء، أو أن تكون متناسبة أو غير متناسبة ومتشابهة أو غير متشابهة ومتشاركة أو متباينة.

علم الهندسة:

وأما علم الهندسة فالذى يعرف بهذا الاسم شيئان: هندسة عملية، وهندسة نظرية.

فالعملية منها تنظر فى خطوط وسطوح فى جسم خشب إن كان الذى يستعملها نجارًا، أو فى جسم حديد إن كان الذى يستعملها حدادًا، أو فى جسم حائط إذا كان الذى يستعملها بناء... وكذلك كل صاحب هندسة عملية فإنه إنما يصور فى نفسه خطوطًا وسطوحًا وتربيعًا وتدويرًا وتثليثًا فى جسم هو المادة التى هى الموضوعة لتلك الصناعة العملية.

والنظرية إنما تنظر فى خطوط وسطوح أجسام على الإطلاق والعموم وعلى وجه يعم سطوح جميع الأجسام، ويصور فى نفسه الخطوط بالوجه العام الذى لا يبالى فى

أى جسم كان، ويتصور فى نفسه السطوح والتربيع والتدوير والتثليث بالوجه الأعم الذى لا يبالى فى أى جسم كان...

وهذا العلم هو الذى يدخل فى جملة العلوم، وهو يفحص فى الخطوط وفى السطوح وفى المجسمات على الإطلاق عن أشكالها ومقاديرها وتساويها وتفاضلها، وعن أصناف أوضاعها وترتيبها، وعن جميع ما يلحقها مثل النقط والزوايا وغير ذلك، ويفحص عن المتناسبة وغير المتناسبة، وعن التى هى منها معطيات وما ليس بمعطيات، وعن المتشاركة منها والمتباينة، والمنطقات منها والصم.

وهذا العلم جزءان: جزء ينظر فى الخطوط والسطوح، وجزء ينظر فى المجسمات.

علم المناظر:

وعلم المناظر يفحص عما يفحص عنه علم الهندسة من الأشكال والأعظام والترتيب والأوضاع والتساوى والتفاضل، وغير ذلك، لكن على أنها فى خطوط وسطوح ومجسمات على الإطلاق.

فيكون نظر الهندسة أعم، وإنما احتيج إلى أن يفرد علم المناظر، وإن كان داخلاً فى جملة ما فحصت عنه الهندسة.

ويميز بهذا العلم بين ما يظهر فى البصر بخلاف ما هو عليه بالحقيقة وبين ما يظهر على ما هو بالحقيقة، ويعطى أسباب هذه كلها، ولم هى كذلك ببراهين يقينية..

وكل ما ينظر إليه ويرى فإنما يرى بشعاع ينفذ فى الهواء أو فى جسم مشف يماس ما بين بصائرنا إلى أن يقع على الشىء المنظور إليه، والشعاعات النافذة فى الأجسام المشعة إلى المنظور إليه إما أن تكون مستقيمة أو منعطفة، وإما منعكسة وإما منكسرة.

علم النجوم:

وأما علم النجوم فإن الذى يعرف بهذا الاسم علمان: أحدهما: علم أحكام النجوم، وهو علم دلالات الكواكب على ما سيحدث فى المستقبل، وعلى كثير مما هو الآن موجود، وعلى كثير مما تقدم.

والثانى: علم النجوم التعليمى، وهو الذى يعد فى العلوم وفى التعاليم، وأما ذاك فإنه إنما يعد فى القوى والمهن التى بها يقدر الإنسان على الإنذار بما سيكون مثل عبارة الرؤيا والزجر والعرافة وأشباه هذه القوى.

فعلم النجوم التعليمى يفحص فى الأجسام السماوية وفى الأرض عن ثلاث جمل:

أولها: عن أشكالها ومقادير أجرامها ونسب بعضها إلى بعض، ومقادير أبعاد بعضها من بعض، وأن الأرض ليس لها بجملتها انتقال لا عن مكانها ولا فى مكانها.

الثانية: عن حركات الأجسام السماوية كم هى، وأن حركاتها كلها كروية.

الثالثة: تفحص فى الأرض عن المعمورة منها وغير المعمورة، وتبين كم هى المعمورة، وكم أقسامها العظمى وهى الأقاليم، وتحصى المساكن التى يتفق أن يكون كل واحد منها فى ذلك الوقت وأين موضع كل مسكن وترتيبه من العالم.

علم الموسيقى:

وأما علم الموسيقى فإنه يشتمل بالجملة على تعرف أصناف الألحان وعلى ما منه تؤلف، وعلى ما له ألفت، وكيف تؤلف، وبأى أحوال يجب أن تكون حتى يصير فعلها أنفذ وأبلغ.

والذى يعرف بهذا الاسم علمان: أحدهما علم الموسيقى العملية، والثانى علم الموسيقى النظرية.

فالموسيقى العملية هى التى شأنها أن توجد أصناف الألحان محسوسة فى الآلات التى أعدت إما بالطبع وإما بالصناعة. والنظرية تعطى علمها وهى معقولة، وتعطى أسباب كل ما تأتلف منه الألحان.

وينقسم علم الموسيقى النظرى إلى أجزاء عظمى خمسة:

أولها: القول فى المبادىء والأوائل التى شأنها أن تستعمل فى استخراج مافى هذا العلم. وكيف الوجه فى استعمال تلك المبادىء.

الثانى: القول فى أصول هذه الصناعة.

الثالث: القول فى مطابقة ما تبين فى الأصول بالأقاويل والبراهين على أصناف آلات الصناعة.

الرابع: القول فى أصناف الإيقاعات الطبيعية التى هى أوزان النغم.

الخامس: فى تأليف الألحان فى الجملة، ثم تأليف الألحان الكاملة.

علم الأثقال:

أما علم الأثقال فإنه يشتمل من أمر الأثقال على شيئين: إما على النظر فى الأثقال من حيث تقدر أو يقدر بها، وإما على النظر فى الأثقال التى تحرك أو يحرك بها.

علم الحيل:

وأما علم الحيل فإنه علم وجه التدبير فى مطابقة جميع ما يبرهن وجوده فى التعاليم التى سلف ذكرها بالقول والبرهان على الأجسام الطبيعية وإيجادها ووضعها فيها بالفعل.

فعلوم الحيل هى التى تعطى وجوه معرفة التدابير والطرق فى التلطف لإيجاد هذه بالصنعة وإظهارها بالفعل فى الأجسام الطبيعية والمحسوسة فمنها الحيل العددية.

ومنها الحيل الهندسية، وهى كثيرة:

ومنها: صناعة رياسة البناء.

ومنها: الحيل فى مساحة أصناف الأجسام.

ومنها: حيل فى صنعة آلات نجومية وآلات موسيقية وإعداد آلات لصنائع كثيرة عملية مثل القسى وأصناف الأسلحة.

ومنها: الحيل المناظرية فى صنعة آلات تسدد الإبصار نحو إدراك حقيقة الأشياء المنظور إليها البعيدة منها.

ومنها: حيل فى صنعة أوان عجيبة وآلات لصنائع كثيرة.

فهذه وأشباهها هى علوم الحيل وهى مبادىء الصناعات المدنية العملية التى تستعمل

فى الأجسام والأشكال والأوضاع والترتيب مثل الصنائع فى الأبنية والنجارة وغيرها فهذه هى التعاليم وأصنافها.

العلم الطبيعى

فالعلم الطبيعى ينظر فى الأجسام الطبيعية وفى الأعراض التى قوامها فى هذه الأجسام، ويعرف الأشياء التى عنها والتى بها والتى لها توجد هذه الأجسام والأعراض التى قوامها فيها.

والأجسام منها صناعية ومنها طبيعية، والصناعية مثل الزجاج والسيف والسرير والثوب، وبالجملة كل ما كان وجوده بالصناعة وبإرادة الإنسان، والطبيعية هى التى وجودها لا بالصناعة ولا بإرادة الإنسان مثل السماء والأرض وما بينهما والنبات والحيوان.

والعلم الطبيعى يعرف الأجسام الطبيعية بأن يضع ما كان منها ظاهر الوجود وضعًا، ويعرف من كل جسم طبيعى مادته وصورته وفاعله والغاية التى لأجلها وجد ذلك الجسم وكذلك فى أعراضها، فإنه يعرف ما به قوامها والأشياء الفاعلة لها والغايات التى لأجلها فعلت تلك الأعراض فهذا العلم يعطى مبادىء الأجسام الطبيعية ومبادىء أعراضها.

وينقسم العلم الطبيعى ثمانية أجزاء عظمى:

أولها: الفحص عما تشترك فيه الأجسام الطبيعية كلها البسيطة منها والمركبة من المبادىء والأعراض التابعة لتلك المبادىء.

الثانى: الفحص على الأجسام البسيطة.

الثالث: الفحص عن كون الأجسام الطبيعية وفسادها على العموم وعن جميع ما تلتئم به.

الرابع: الفحص عن مبادىء الأعراض والانفعالات التى تخص الاسطقسات وحدها دون المركبات عنها.

الخامس: النظر فى الأجسام المركبة عن الإسطقسات.

السادس: النظر فيما تشترك فيه الأجسام المركبة والمتشابهة الأجزاء التى ليست أجزاءاً لمختلفة الأجزاء.

السابع: النظر فيما تشترك فيه أنواع النبات وما يخص كل واحد منها.

الثامن: النظر فيما تشترك فيه أنواع الحيوان، وما يخص كل واحد منها.

فهذا هو جملة ما فى العلم الطبيعى وأجزائه، وجملة مافى كل واحد من أجزائه.

العلم الإلهى:

وينقسم العلم الإلهى إلى ثلاثة أجزاء:

أحدها: يفحص فيه عن الموجودات والأشياء التى تعرض لها بما هى موجودات.

الثانى: يفحص فيه عن مبادىء البراهين فى العلوم النظرية الجزئية، وهى التى ينفرد كل علم منها بالنظر فى موجود خاص، مثل المنطق والهندسة والعدد وباقى العلوم الجزئية الأخرى التى تشاكل هذه العلوم.

الثالث: يفحص فيه عن الموجودات التى ليست بأجسام ولا فى أجسام.

العلم المدنى:

أما العلم المدنى فإنه يفحص عن أصناف الأفعال والسنن الإرادية وعن الملكات والأخلاق والسجايا والشيم التى عنها تكون تلك الأفعال والسنن، وعن الغايات التى لأجلها تفعل، وكيف ينبغى أن تكون موجودة فى الإنسان.

ويبين أن التى ينال بها ما هو فى الحقيقة سعادة هى الخيرات والجميلة والفضائل وأن ما سواها هو الشرور والقبائح والنقائص، وأن وجه وجودها فى الإنسان أن تكون الأفعال والسنن الفاضلة موزعة فى المدن والأمم على ترتيب وتستعمل استعمالاً مشتركاً. وهذا العلم جزءان:

جزء يشتمل على تعريف السعادة وتمييز ما بين الحقيقة منها والمظنون به، وعلى إحصاء الأفعال والسير والأخلاق والشيم الإرادية الكلية التى شأنها أن توزع فى المدن والأمم، ويميز الفاضل من غير الفاضل وجزء يشمل على وجه ترتيب الشيم والسير

الفاضلة فى المدن والأمم وعلى تعريف الأفعال الملكية التى بها تمكن السير والأفعال الفاضلة وترتب فى أهل المدن.

علم الفقه:

وصناعة الفقه هى التى بها يقتدر الإنسان على أن يستنبط تقدير شىء مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده على الأشياء التى صرح فيها بالتحديد والتقدير، وأن يتحرى تصحيح ذلك على حسب غرض واضع الشريعة بالملة التى شرعها فى الأمة التى لها شرع.

وكل ملة ففيها آراء وأفعال: فالآراء مثل الآراء التى تشرع فى الله سبحانه، وفيما يوصف به وفى العالم أو غير ذلك، والأفعال مثل الأفعال التى يعظم بها الله عز وجل، والأفعال التى بها تكون المعاملات فى المدن. ولذلك يكون علم الفقه جزءين: جزء فى الآراء وجزء فى الأفعال.

علم الكلام:

وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل. وهذه الصناعة تنقسم إلى جزءين أيضًا: جزء فى الآراء وجزء فى الأفعال.

حرد متن مخطوطة الكتاب المنشور:

«كمل كتاب أبى النصر الفارابى فى تفصيل العلوم وأجزائها ومراتبها فى أواخر شهر رمضان المبارك سنة أربعين وستمائة، وهذا الكتاب يسمى بإحصاء العلوم».

المصادر:

١ - الطبعات الثلاث التى توفر أ. د. عثمان أمين على تحقيقها تسير بياناتها على الوجوه الآتية:

أ - الفارابى: أبو نصر محمد بن محمد طرخان بن أوزلغ. إحصاء العلوم/ صححه ووقف على طبعه وصدره بمقدمة مع التعليق عليه عثمان محمد أمين .- القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٣١ .- ٨٠ ص، ١٥سم.

ب ـ الفارابى: أبو نصر محمد بن محمد طرخان بن أوزلغ. إحصاء العلوم/ حققه وقدم له وعلق عليه عثمان محمد أمين. ـ ط٢ .ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٤٩. ـ ١٤٣ص : ٢٤سم.

ج ـ الفارابى: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ. إحصاء العلوم/ تحقيق عثمان أمين .ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨.

٢ ـ ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .ـ القاهرة: مطبعة بولاق ،د.ت.

٣ ـ خير الدين الزركلى. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .ـ ط٣ .ـ بيروت: المؤلف، ١٩٦٩.

٤ ـ مصطفى عبد الرازق. فيلسوف العرب والمعلم الثانى .ـ القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥.

٥ ـ ابن النديم: محمد بن اسحاق. الفهرست/ تحقيق شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد عوزة .ـ القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩١.

إحصائيات المكتبات ومسوحاتها

Library Statistics and Surveys

الإحصاء المكتبى قديم قدم المكتبات نفسها، وربما كان أول شكل من أشكال الإحصاء المكتبى هو «العهدة» وحيث كان لابد وأن يعهد بالمجموعات إلى شخص يكون مسئولاً عنها ويحرص عليها وعندما يسلمها إلى غيره يحصيها له ويسلمها إليه بالعدد. ومهما يكن من أمر مثالب العهدة فقد كانت إلى حد كبير أداة حفظ المكتبات ومقتنياتها من الضياع والتبديد وكان المسلمون فى العصور الوسطى يسمون الإحصاء الخاص بالمجموعات «الاعتبار» وعندما كان الخازن يتسلم العهدة من آخر ويحصيها فإنه كان يعتبرها. وكان تسجيل مقتنيات المكتبة فى سجلات خاصة هو أيضاً مظهر من مظاهر الإحصاء المكتبى. كما كان تسجيل المستعيرين أنفسهم وما استعاروه مظهراً آخر

لذلك الإحصاء المكتبى. وكانت عملية التزويد نفسها تنطوى على مظاهر عديدة للإحصاء المكتبى على الأقل لتسديد الفواتير وإعداد ميزانية الشراء.

بيد أن الإحصاء المكتبى لم يخرج إلى حيز الاهتمام العملى والعلمى ويتجسد كعملية من العمليات الفنية داخل المكتبات إلا على استحياء شديد منذ منتصف القرن الفارط أى التاسع عشر حيث يكتب هذا المقال فى أواخر سنة ١٩٩٩ أى آخر شهور القرن العشرين. ففى عام ١٨٥٣م عقد المؤتمر الدولى العام الأول للإحصاء فى مدينة بروكسل. وقد اعترف الإحصائيون المجتمعون بأن البيانات الإحصائية عن المكتبات تعتبر من بين مصادر القوة الملموسة فى الدولة والتى تمدنا بمعلومات قيمة عن التطور الفكرى والتربوى ومصادر العلم فى دول العالم المختلفة. وقد قام فرض هؤلاء الإحصائيين على أساس أنه طالما كانت المكتبات جزءًا من مؤسسات الدولة فإنه من الواجب جمع معلومات رقمية عنها من واقع سجلاتها عن المقتنيات والمستفيدين والعاملين وهى كلها أمور يمكن إحصاؤها وعدها وتصنيفها ومقارنتها وتفسيرها واستخلاص المؤشرات النافعة منها.

والرقم كما يقول صاحب هذه الدائرة هو مخ العلم وهو أقوى من الكلمات إن لم يكن ندًا لها يعبر عن الأشياء تعبيرًا دقيقًا. وكما يقول البعض فإن الإحصائيات إن هى إلا اختزال كمى إذا سحبناه على المكتبات فإننا نخرج منه بمؤشرات دقيقة عن لمقتنيات، وميزانيات العاملين والأداء المكتبى ومقارنات لا حد لها داخل المكتبة الواحدة والمكتبات العديدة داخل الدولة الواحدة ومن دول ومناطق مختلفة بشرط أن تكون لمفاهيم واحدة.

بيد أن المكتبيين حتى اليوم يدخلون إلى مجال الإحصاء من الباب الخلفى أو النافذة وليس من الباب الرئيسى. ذلك أن من يطالب بالإحصاء المكتبى ويضع قواعدهم فى لأعم الأغلب الإحصائيون والأكاديميون. ولقد تأخر المكتبيون أكثر من قرن ولم ينظروا بجدية إلى قضية إعداد إحصائيات مكتبية إلا بعد تطور قضية الإحصاء الوطنى وتقدم القطاعات الأخرى بالدولة فيه تقدمًا واسعاً، وأصبحت جبهة المكتبات ساقطة بن الجبهات الأخرى. وقد بدأت بعض دول قليلة فى منتصف القرن العشرين تنشر

بعض الإحصائيات والأرقام المكتبية. وكما هو الحال فى القطاعات الأخرى فى عشرينات القرن أثيرت قضايا المقارنة بين المكتبات داخل الدولة وبين الدول المختلفة. وقد طرحت قضية الإحصاء المكتبى ومشكلاته علانية وصراحة وبدون استحياء هذه المرة سنة ١٩٢٦ خلال الاجتماع المشترك للاتحاد الدولى للإحصاء والمعهد الدولى للتعاون الفكرى. ورغم التوصيات التى خرج بها المجتمعون إلا أنها لم تسفر عن نتائج ملموسة. وفى سنة ١٩٣٢ قام الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات (الإفلا) بتأسيس لجنة فرعية عن الإحصاء المكتبى والتى أعدت برنامجًا محددًا عن جمع البيانات حول المكتبات. ولكن بسبب عدم الوصول إلى اتفاق محدد حول البيانات التى تجمع والافتقار إلى وكالة دولية لإعداد الدراسات المطلوبة، لم يتخذ إجراء محدد فى هذا الشأن.

وربما كانت الطفرة الحقيقية فى مجال الإحصاء المكتبى هى تلك التى وقعت بعد إنشاء منظمة اليونسكو وسعيها إلى إصدار الكتاب السنوى الإحصائى لها وكذلك الكتاب الإحصائى السنوى للأمم المتحدة. ومنذ عام ١٩٥٠ وضعت اليونسكو المكتبات ضمن أول برنامج إحصائى لها وسعت إلى توحيد المفاهيم فى هذا الصدد حتى تتيح عقد مقارنات فعالة بين المكتبات فى الدول المختلفة. وكانت أول إحصائيات مكتبية عن سنة ١٩٥٠ قد نشرت سنة ١٩٥٢. وكان المؤتمر العام لليونسكو الذى عقد فى السنة السابقة ١٩٥١ قد تبنى بيانا (8.23) يخول المدير العام للمنظمة «. . . دراسة المعايير والمقاييس. . . اللازمة لتحسين إمكانيات المقارنة الدولية للإحصائيات فى مجالات التربية والعلوم والثقافة».

وفى سنة ١٩٥٣ نشرت اليونسكو تقريرًا مبدئيًا تحت عنوان «توفير ومقارنة إحصائيات المكتبات» وذلك فى الثامن من يونية. ومن أهم التوصيات التى جاءت فيه الدعوة إلى التعاون الدولى: «إن التعاون المستمر من جانب الهيئات الوطنية والدولية يمكن أن يسفر عن تحسن ملحوظ فى توفير ومقارنة إحصائيات المكتبات. . .»

ولقد قام الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات (إفلا) فى مؤتمره السنوى فى فيينا سنة ١٩٥٣ بدراسة هذا التقرير وأعطاه التأييد الكامل ووزعه على الأعضاء للنظر فيه

والتعليق عليه. وقد جمعت آراء وتعليقات عديدة حوله، وبناء عليها توفر اليونسكو مرة ثانية على إعداد تقرير ثان بعنوان «معايير الإحصائيات المتعلقة بالمكتبات وإنتاج الكتب. وللمرة الثانية أيضاً قام الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات بدراسته فى مؤتمره سنة ١٩٥٤ فى زغرب، وقد ردت اليونسكو بتقرير آخر جديد سنة ١٩٥٥ بنفس العنوان صدق عليه إفلا سنة ١٩٥٥ أيضاً فى مؤتمره السنوى فى بروكسل.

وبناء على ذلك قامت اليونسكو بإعداد دراسة مسحية عن المكتبات والكتب سنة ١٩٥٥ ومنذ ذلك الحين تقوم بمسوحاتها كل سنتين. وفى تقرير اليونسكو سنة ١٩٥٩ والمعنون الإحصائيات فى المكتبات (مارس ١٩٥٩) نجد بيانات عن ١١٧ دولة وعليها تعليق هام يقول «إن تعريف وتصنيف المكتبة يتفاوت تفاوتًا بينًا من دولة إلى أخرى» وتخلص اليونسكو إلى أن «النتائج المرضية تمامًا لا يمكن أن تأتى سريعًا فى مجال واسع ومتنوع كهذا وتستحث الدول على تطبيق التوصيات الخاصة بمعايير إحصائيات المكتبات مع كل التقدير.

وبعد سنة ١٩٦٠ تحسنت الإحصائيات المكتبية التى قدمتها اليونسكو بوضوح من حيث النوع وزاد عدد الدول التى تقدم تلك الإحصائيات ولكن التطبيق الكامل للمعايير الموحدة لم يتم إلا بعد ذلك بفترة طويلة.

وفى مؤتمر إفلا فى روما سنة ١٩٦٥م أوصى المؤتمر اليونسكو بأن تضع فى برنامجها معياراً إحصائياً للحصول على معلومات صحيحة وقوية عن المكتبات. وفى نفس السنة عقدت اليونسكو مؤتمراً حول «المعايرة الدولية للإحصائيات الخاصة بإنتاج الكتب والدوريات» وذلك فى باريس. وقد أيد المجتمعون ما توصل إليه المؤتمر العام لليونسكو سنة ١٩٦٤. وقالوا: «لتوسيع نطاق الفائدة من العمل الذى قامت به هذه اللجنة ولمواصلة جهود معايرة الإحصائيات فى مجال قريب الصلة من خلال منظمة اليونسكو فإن هذه اللجنة توصى أن تقوم السكرتارية بدراسة إمكانية معايرة إحصائيات المكتبات والتنسيق بينها وبين الإحصائيات الخاصة بإنتاج الكتب والدوريات».

هذه التوصيات من جانب إفلا واليونسكو أتبعت بعدد من البيانات التى كانت قد تمت الموافقة عليها فى أكتوبر سنة ١٩٦٤ فى مؤتمر بودابست الذى عقدته المنظمة

الدولية للمعايير من خلال اللجنة الفنية ٤٦ وذلك للتأكيد على أن الجهود المبذولة من أجل توحيد المصطلحات قد امتدت إلى المكتبات والتوثيق وأن اللجنة الفرعية حول إحصائيات المكتبات تتعاون مع الإفلا فى إعداد مسودة للمعايير الخاصة بإحصائيات المكتبات، وأن دراسة مشتركة ناتجة عن المؤتمر المشترك سوف تقدم إلى اليونسكو سنة ١٩٦٦.

وأضاف البيان أيضًا أنه من الضرورى تدبير المال اللازم لعقد هذا المؤتمر، وقد استغرق جمع هذا المال اللازم للمؤتمر نحو تسعة أشهر، وتسعة أشهر أخرى لتحديد مكان وتاريخ انعقاد المؤتمر والمشاركين فيه. وقد عقد هذا المؤتمر المشترك بين منظمة المواصفات العالمية/ اللجنة الفنية ٤٦ والاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات فى الفترة من ٢ ـ ٧ مايو ١٩٦٦ فى مدينة لاهاى (الهاج) فى هولندة.

وكان المشاركون أعضاء اللجان الإحصائية من منظمة المواصفات والإفلا يمثلون استراليا، بلجيكا، الدنمرك، فرنسا، ألمانيا، هولندة، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة إضافة إلى سكرتارية إفلا واللجنة الفنية ٤٦ وممثلين عن اليونسكو والاتحاد الدولى للتوثيق.

وللاستغلال الأمثل للوقت المتاح ـ قرر المجتمعون التركيز على دراسة اليونسكو المعنونة: «الإحصائيات فى المكتبات» ١٩٦٤ وذلك لتنقيح وإعادة تعريف كل المصطلحات المستخدمة وإضافة مصطلحات جديدة ومفاهيم جديدة وتقديم مقاييس جديدة لإحصاء الأداء المكتبى. والمصطلحات التى تم تعريفها كانت تلك التى تتعلق بأنواع المكتبات وأنواع المواد المكتبية، والنشاطات المكتبية ووجوه الإنفاق المختلفة. ومن بين المفاهيم الجديدة التى أضيفت مفاهيم «الوحدات الإدارية» و«نقط الخدمة» فى المكتبات وكذلك إضافة معلومات إدارية عن المصغرات الفيلمية، المخطوطات، المطبوعات. وقد قسمت المكتبات الجامعية إلى ثلاث فئات فرعية والمكتبات العامة والمتخصصة إلى فئتين فرعيتين لكل منهما. والتعريف الذى أثار جدلاً عنيفًا وتسبب فى معظم المشاكل كان «المكتبات الوطنية والمكتبات الأخرى ذات الطابع الوطنى».

وقد تم الاتفاق ليس فقط على إحصاء مجموع المجلدات فى المكتبة ولكن أيضاً على

إحصاء الإضافات السنوية. وتحت الإنفاقات لا تعطى فقط أرقام المرتبات ولكن أيضًا أية تكاليف أخرى ذات صلة مثل التأمين الصحى والتأمينات الاجتماعية.

وقد اقترح فى ذلك الوقت أيضًا حتى تكون لإحصائيات المقتنيات معنى أن يضاف إحصاء رفوف المقتنيات بالأمتار الطولية. كذلك اقترح لكى يكون للإحصائيات دلالة أقوى وتسهل مقارنتها أن تقرن تلك الإحصائيات ببيانات عامة عن السكان وإنفاقات التعليم والبحث وما إلى ذلك.

وبالإضافة إلى هذه التغييرات فى المفاهيم تم تنقيح شكل الاستبيان وقدمت توصيات بإعداد دراسات إحصائية خاصة تتعلق بالأنشطة المكتبية.

هذه المسودة والتوصيات الملائمة ومجموعة التعريفات الجديدة والمصطلحات تمت الموافقة عليها من جانب المنظمات الأم ونشرت تحت عنوان «مؤتمر حول الإحصائيات المكتبية: تقرير المؤتمر المشترك بين الإفلا واللجنة الفنية ٤٦/ منظمة المواصفات العالمية. وصدرت منه طبعة بالإنجليزية وأخرى بالفرنسية وقدم لليونسكو. وانطلاقًا من هذه الوثيقة باعتبارها مرجعًا أساسيًا قامت اليونسكو بإعداد استبيان تحت عنوان: «إحصائيات عن المكتبات» - ١٩٦٦ (نشر فى مارس ١٩٦٧). وهذا الشكل الجديد دخل فيه معظم التوصيات، ووزع فى خريف ١٩٦٧ على جميع الدول الأعضاء فى اليونسكو.

وفى سنة ١٩٦٧ قدم هذا العمل المشترك إلى مؤتمر المنظمة العالمية للمواصفات - اللجنة الفنية ٤٦ (التوثيق، المكتبات...) والذى عقد فى موسكو، كما قدم إلى مؤتمر الإفلا الذى عقد فى تورنتو. وقد اجتمعت اللجنة المشتركة للإحصائيات مرة ثانية فى باريس. وقد ضمت اللجنة أعضاء من دول أوروبا الشرقية الاشتراكية، وقد أضيفت إضافات جديدة إلى التوصيات بما فى ذلك مفاهيم جديدة ومصطلحات جديدة وطرق جديدة فى الإحصاء. وتمت صياغة مجموعة من التوصيات حول المعايرة الدولية للإحصائيات المتعلقة بالمكتبات.

وفى أكتوبر ١٩٦٧خول المؤتمر العام لليونسكو فى دورته الرابعة عشرة المدير العام

لليونسكو أن يعد خلال سنة ١٩٦٧ «دراسة مبدئية حول المعايير الدولية لإحصائيات المكتبات. . . بقصد إعداد توصية دولية فى هذا الشأن يتبناه المؤتمر العام فى دورته السادسة عشرة.

وفى خلال دورة المجلس التنفيذى لليونسكو فى مايو - يونية ١٩٦٨ تقرر أن يدرج فى جدول أعمال المؤتمر العام فى دورته الخامسة عشرة بند حول «رسم قواعد دولية حول معايير إحصائيات المكتبات» يتخذ شكل توصية موجهة إلى الدول الأعضاء. ونتيجة لذلك قام موظفو اليونسكو بإعداد تقرير مبدئى حول الموضوع نشر فى العاشر من يوليو سنة ١٩٦٩ تحت عنوان: المعايرة الدولية لإحصائيات المكتبات ووزع على الدول الأعضاء فى اليونسكو وعددها آنذاك ١٢٦ دولة وذلك للمراجعة والتعليق، كما وزعت نسخ منه على إفلا وأيزو.

وفى أثناء مؤتمر إفلا فى كوبنهاجن بالدنمرك تم تنقيح هذه الوثيقة وقد دعا موظفو اليونسكو ممثلى إفلا وأيزو لحضور مؤتمر اليونسكو القادم لخبراء الحكومات، كمراقبين فى مايو سنة ١٩٧٠.

وقد استضافت اليونسكو فى باريس سنة ١٩٧٠ اللجنة الخاصة للخبراء الحكوميين وذلك لدراسة وتقييم مسودة التوصيات الخاصة بالمعايرة الدولية لإحصائيات المكتبات فى الفترة من ١٩ ـ ٢٨ مايو ١٩٧٠ وقد قامت سبع وأربعون دولة بإرسال ثلاثة وسبعون وفداً، وسبعه منظمات دولية أرسلت بثمانية ممثلين. وقد جاء الخبراء الحكوميون من كل من: الأرجنتين؛ أستراليا؛ النمسا؛ بلجيكا؛ بوليفيا؛ بورما؛ الكاميرون؛ كندا؛ جمهورية الكونغو الشعبية؛ تشيكوسلوفاكيا؛ الدنمرك؛ الأكوادور؛ فنلندا؛ فرنسا؛ ألمانيا الاتحادية؛ جواتيمالا؛ هندوراس؛ المجر؛ الهند؛ إيران؛ إيطاليا؛ ساحل العاج؛ جامايكا؛ اليابان؛ الأردن؛ لاوس؛ لبنان؛ ليبيريا؛ المكسيك؛ المغرب؛ هولندا؛ نيكاراجوا؛ نيجيريا؛ بولندا؛ المملكة العربية السعودية؛ أسبانيا؛ السويد؛ سويسرا؛ تايلاند؛ أوكرانيا السوفيتية؛ الاتحاد السوفيتى؛ الجمهورية العربية المتحدة (مصر)؛ المملكة المتحدة؛ الولايات المتحدة الأمريكية؛ فنزويلا؛ فيتنام؛ يوغوسلافيا.

أما المراقبون من المنظمات غير الحكومية والممثلون فقد جاءوا من: هولى سى،

منظمة الصحة العالمية، جامعة الدول العربية وقد شاركوا فى جميع الاجتماعات. والمنظمات غير الحكومية الآتية مثلها مراقبون: الاتحاد الدولى للتوثيق، الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات، المنظمة الدولية للمواصفات، المعهد الدولى للإحصاء.

وكان هم جميع المشاركين فى الواقع هو أن يخرجوا بوثيقة عظيمة ذات نفع. وبسبب حيوية الموضوع وتنوع الممارسات المكتبية والمسئوليات والاختلافات الثقافية والتاريخية واللغوية للحاضرين، كانت المناقشات ساخنة حية للغاية فى بعض الأحيان وفى خلال هذه الاجتماعات تم إجراء نحو ١٦٠ عملية على الوثيقة ما بين إضافة، وحذف، وتعديل وقبول ورفض...

وفى نهاية المناقشة وافقت اللجنة بالإجماع على التقرير وعلى ملحق مسودة التقرير الذى يتضمن التوصيات المبدئية التى تبناها المؤتمر العام لليونسكو فى دورته السادسة عشرة المنعقدة فى باريس من ١٢ من أكتوبر وحتى ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٧٠. وقد قبلت منظمة المواصفات العالمية النص الأصلى فى سنة ١٩٧٢.

والمعايير التى أقرت يمكن تقسيمها إلى معايير عامة ومعايير متخصصة ويمكن الدخول فى تفاصيلها على الصفحات الآتية:

المعايير العامة لإحصائيات المكتبات:

طلبت اللجنة أن تجمع الإحصائيات الدولية كل ثلاث سنوات على أن تغطى البيانات آخر سنة قبل إعادة الاستبيان إلى المنظمة.

وفيما يتعلق بالمكتبات العامة يجب أن تغطى بيانات السكان الذين تخدمهم فقط المكتبات الممولة من الأحوال العامة.

وبالإضافة إلى البيانات عن المقتنيات العادية: كتب، دوريات، مخطوطات فإن المصغرات الفيلمية المحمل عليها دوريات أو مخطوطات أو أى مادة أخرى يجب أن تعد بها إحصائيات مستقلة. ونفس الشيء بالنسبة للإضافات السنوية إلى المجموعات. وقد حدث اهتمام كبير بالوحدات التى تدخل فى إحصاء المجموعات والإضافات السنوية، والأعمال المعارة والنسخ وقد اتخذت القرارات الملائمة بالنسبة للفئات المختلفة

مع الأخذ فى الاعتبار تفاوت الممارسات فى الدول المختلفة والحاجة إلى اتساق البيانات الواردة من الدول المختلفة.

وكان من الضرورى تجميع البيانات المتعلقة حول مدى تأثير المواد المعارة بعدد النسخ المطلوبة من المواد المكتبية. وقد قدمت توصيات خاصة بوضع هذا الاتجاه موضع الاعتبار فى حالة الإعارة من المكتبات للأفراد وكذلك الإعارة البينية على المستوى الوطنى والعالمى.

وفيما يتعلق بحجم الإنفاق، اتفق على أن تجمع بيانات الإنفاقات العامة دون الدخول فى التفاصيل مثل: الإنفاق على العاملين، الإنفاق على التزويد، إجمالى النفقات. وفيما يتعلق بالعاملين اتفق على تبنى تعريف محدد وعلى طريقة إحصائهم بحيث - فى ظل الظروف التى كانت قائمة - تقدم أقصى درجة من إمكانيات المقارنة الدولية.

المعايير المتخصصة لإحصائيات المكتبات:

أما المعايير المتخصصة أو لنقل المحددة فإنها تقدم تعريفات لأهم المفاهيم المستخدمة فى النص وتشرح كيفية استخدام البيانات الإحصائية وكتابة تقارير عنها. والمعيار هنا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

يتعلق بالمجال والتعريفات الخاصة بالمكتبات ووحداتها الإدارية ونقط الخدمة. كما يضاف إلى ذلك تقديم تعريفات للمصطحات الآتية: المجموعات، الإضافات السنوية، الدوريات، العنوان، المجلد، المستفيد من المكتبة، المستعير المسجل، الإنفاقات الإجمالية، المكتبيون المؤهلون، الإنفاقات العادية (بالنسبة للموظفين والتزويد).

القسم الثانى:

يقدم تصنيفًا للمكتبات ويغطى المكتبات الوطنية، مكتبات مؤسسات التعليم العالى، المكتبات الأخرى غير المحددة، المكتبات المدرسية، المكتبات المتخصصة، المكتبات العامة (أو العمومية - الشعبية).

القسم الثالث:

يتضمن الطريقة أو الأسلوب التى تجمع بها الإحصائيات وتعد أما المفردات التى اتفق على أن تدخل فى الإحصاء فهى: عدد المكتبات على الأنواع، المجتمع الذى تخدمه المكتبة؛ محتوى المجموعات، (كتب ـ دوريات ـ مخطوطات ـ مصغرات فيلمية ـ ميكروفيلم) الإضافات السنوية إلى المجموعات؛ الإعارات البينية الوطنية والدولية؛ أنشطة الاستنساخ فى علاقتها بالإعارات البينية، الإنفاقات على المواد وعلى الموظفين والمبانى والمقار؛ عدد وفئات العاملين بالمكتبة.

وربما كانت أهم ميزة لاجتماع الخبراء الحكوميين والتقرير النهائى لهذا الاجتماع هو البدء بعملية التوحيد والتقنين لأنهم جاءوا من عدد كبير من الدول وحملوا معهم نقطة البدء القيمة، وأصبحت الصورة واضحة أمامهم عن ذى قبل وأنهم سيعملون بعد ذلك فى ظروف أفضل وأهم من هذا كله أن جميع المجتمعين عبروا عما يجيش بأنفسهم وبالتالى جاءت الوثيقة ثمرة إجماع الجميع.

ومن المؤكد أن النقاط التى لم تتضح فى ذلك الاجتماع، اتضحت أكثر فى الاجتماعات التالية وكان من بين تلك النقاط بطبيعة الحال إحصاء المواد السمعية البصرية والمواد غير المطبوعة الأخرى وإحصاءات استخدام المكتبة. وكان من بين النقاط التى أثيرت من وراء الكواليس فى مناقشات خاصة الحاجة إلى إحصائيات للمبانى المكتبية والتقييم الأعمق لمجموعات المكتبة بتوزيعها على فئات عريضة بصرف النظر عن الأشكال، كالمجالات الموضوعية: الإنسانيات والعلوم الاجتماعية؛ وكذلك الحاجة إلى إحصائيات عن استخدام الحاسب بصرف النظر عن شكل مخرجات الحاسب، مثل استخدام المكتبات للحاسب فى الوظائف الروتينية.

وفى دورته السادسة عشرة أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٧٠ تبنى المؤتمر العام لليونسكو مسودة التوصيات التى كللت بنجاح شديد جهود قرن كامل، توفر عليها العديد من الخبراء من مختلف بلدان العالم آمنوا بأهمية البيانات المكتبية الدقيقة وقيمتها العالية فى تحسين العمليات والخدمات التى تقوم بها المكتبات.

وفى مؤتمر الإفلا بموسكو سنة ١٩٧٠ عرضت توصيات المعايرة هذه ونوقشت

باستفاضة وقد أعرب المشاركون عن موافقتهم عليها وطالبوا بحذف بعض المواضع التى اتضحت عدم أهميتها فى خلال مؤتمر اليونسكو فى مايو من نفس سنة ١٩٧٠.

ولسد هذه الثغرات خطط أعضاء لجان الإحصائيات المكتبية فى إفلا وأيزو ودول أوروبا الشرقية الاشتراكية لعقد اجتماعات متابعة لمعالجة تلك النقاط. وكان أول تلك الاجتماعات فى براغ فى العام التالى.

وقد عقد اجتماع المتابعة الأول فى براغ من ٦ - ١٠ سبتمبر سنة ١٩٧١، وقد قدمت مجموعة أوراق عمل تكمل توصيات اليونسكو حول الموضوعات الآتية:

١ - المواد السمعية البصرية (قدمت الورقة من المملكة المتحدة).

٢ - المخطوطات (قدمت الورقة من جمهورية ألمانيا الاتحادية).

٣ - إحصائيات مبانى المكتبات (الولايات المتحدة).

٤ - التحليل الإحصائى لتقارير المكتبات باستخدام كشافات المجموعة (بولندا).

٥ - إحصائيات الخدمات المكتبية (تشيكوسلوفاكيا).

٦ - إحصائيات استخدام المكتبة (المملكة المتحدة).

وبعد مناقشة هذه الأوراق تم التوصل إلى البيان والمحصلات الآتية:

المواد السمعية البصرية:

إن المؤتمر بعد مناقشة كاملة لكثير من الصعوبات التى يسببها التطور السريع لتكنولوجيا المعلومات وخاصة فى مجال المواد السمعية البصرية قد طلب من السيد/ تورنجتون (المملكة المتحدة) والسيد/ مالابر (المملكة المتحدة) أن يعدا ورقة عمل لمزيد من المناقشة فى اجتماع إفلا سنة ١٩٧٢ فى بودابسب. والورقة الجديدة سوف تلخص ما دار فى المناقشة الحالية وتقترح طرقًا بديلة لتصنيف تلك المواد وتعريفها وإحصائها.

المخطوطات:

يوافق المؤتمر على الطرق الحالية لإحصاء المخطوطات والتى أوصت بها اليونسكو باعتبارها أحسن الطرق التى تم التوصل إليها بالنسبة للدول المختلفة فى علاقتها

بالإحصائيات الدولية. ونظراً لوجود اختلافات أساسية بين الدول فيما يتعلق بطريقة تخزين وتنظيم مجموعات المخطوطات فى الدول المختلفة فإننا نوصى بأن تقوم كل دولة على حدة بدراسة القضية بالتفصيل ووضع معايير خاصة بإحصائها داخل الدولة.

ولأننا لا نستطيع المطالبة بإحصائيات أكثر تفصيلاً عن مجموعات المخطوطات الكبيرة فإننا نقترح تسجيل إحصائيات الإضافات السنوية على المستوى الوطنى بالطريقة الآتية:

١ ـ المخطوطات الغربية

أ ـ حتى ١٥٠٠م.

ب ـ بعد ١٥٠٠م.

٢ ـ المخطوطات الشرقية ـ شرق آسيا والمخطوطات الأخرى غير الغربية.

٣ ـ المخطوطات الموسيقية (فى هذه الفئات الثلاثة يقترح تسجيل عدد الوحدات الببليوجرافية المفهرسة).

٤ ـ الأرشيفات الخاصة

أ ـ العدد النهائى للمجموعات.

ب ـ العدد النهائى للمجموعات المفهرسة.

ج ـ عدد المفردات المفهرسة.

والإحصائيات من هذا النوع تساعد فى الحصول على فكرة أكبر على المستوى الوطنى عن مجموعات المخطوطات والإضافات السنوية إليها. والمقترحات المطروحة فى ١، ٢، ٣، ٤ (ج) تفى بمتطلبات اليونسكو حول المخطوطات. وإذا رأت الدول إمكانية تطبيق ذلك المدخل فإنه يمكن استخدامه على التوالى فى إحصاء المقتنيات الكلية للمخطوطات.

إحصائيات مبانى المكتبات:

نوصى باستكمال الإحصائيات المكتبية التى وضعتها اليونسكو وذلك بإدراج قسم خاص بمبانى المكتبات على النحو التالى:

١ - إحصاء المساحة الكلية للمبانى الفعلية بالمتر المربع والمخصصة أساسًا للخدمة المكتبية والعمل المكتبى أى باستبعاد المساحات المخصصة لمنافع مثل الحراسة، والآلات الميكانيكية، ودورات المياه.

٢ - إحصاء عدد المقاعد المخصصة للقراء جميعًا سواء شغلوها أم لم يشغلوها أى الطاقة الاستيعابية الكاملة، مع استبعاد قاعات المحاضرات العامة والكافيتيريا وقاعات المسرح.

٣ - إحصاء الطول الكلى للرفوف المتاحة لترفيف المواد المكتبية وذلك بالمتر الطولى.

وخلال ربيع ١٩٧٢م أرسل أول مسح إحصائى للمكتبات تقوم به اليونسكو إلى الدول الأعضاء. وقد تضمن تعريفات مبانى المكتبات ومساحاتها ومعايير التأهيل المكتبى التى شملها نموذج إحصاءات اليونسكو سنة ١٩٧١ ونوقشت بالتفصيل.

لقد أصبح من الظواهر العادية فى نهاية قرننا العشرين وأصبح من المألوف جدًا فى معظم دول العالم استخدام الأرقام والإحصائيات للخروج بالمؤشرات والنتائج فى العمليات الكبيرة داخل الدوائر الحكومية والتجارية والصناعية والمشروعات العامة الكبيرة بل ومؤسسات التعليم. وغدت البيانات الإحصائية ضرورة هامة وأداة أساسية فى المكتبات حتى الصغيرة منها لنفس القصد ونفس الوظائف. وبالمقارنة بغيرها من المؤسسات تستطيع كل مكتبة عن طريق الإحصاءات أن تقيم إنجازاتها ومصادرها وخدماتها وموظفيها، ومساحاتها وإمكانياتها المادية، كما يمكنها التخطيط للمستقبل. ولا يستطيع أحد أن يجادل فى أن احتياجات العمليات الراهنة فى المكتبات ومتطلبات المستقبل إنما هى بالدرجة الأولى يمكن ترجمتها إلى أرقام وإحصائيات ومؤشرات. وبدون هذه الأرقام والإحصائيات فإنه لا يمكن التخطيط على مستوى المؤسسة أو على المستوى المحلى أو المحافظة أو المستوى الوطنى أو الإقليمى أو العالمى بفاعلية واقتدار وسوف تصبح المسألة مجرد وجهات نظر وإحساس شخصى وفى بعض الأحيان مجرد

خطب منبرية وجدل بيزنطى عقيم. وطالما آن التخطيط هو فلوس وأن الفلوس ميزانيات ولأن الميزانيات هى أرقام وإحصائيات فلابد للتخطيط من أرقام وإحصائيات وطالما أن التخطيط للمستقبل القريب أو البعيد يعتمد على الواقع والحاضر وينطلق منهما فإن الواقع والحاضر لابد وأن يترجما هما الآخران إلى أرقام وإحصائيات.

من هذا الفكر الجديد الذى اجتاح دول العالم ومؤسساته سعت جل دول العالم إلى إنشاء أجهزة للإحصاء على مستوى الدولة والمحافظة أو اللواء أو الولاية وعلى مستوى المدن والقرى وعلى مستوى المؤسسات. وفى مصر نجد الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء وعلى مستوى المؤسسات نجد القرار الجمهورى الخاص بإنشاء مراكز المعلومات بها يجعل من بين وحداته وحدة للإحصاء دلالة على أن الرقم هو جزء أساسى فى المعلومات. وغدا من الطرق الحديثة لتحديد الاحتياجات الإجرائية والأهداف فى أية مؤسسة اجتماعية استخدام الأرقام بكفاءة وفاعلية. وباعتبار المكتبة فى النهاية أيًا كان نوعها ووظيفتها وهدفها هى مؤسسة اجتماعية، فلابد لها من استخدام الرقم والإحصاء.

ولقد شعر منظرو علم المكتبات وفلاسفته وفقهاؤه بأهمية الرقم والإحصاء فى هذا المجال الحيوى فبدأوا منذ منتصف الستينات يلفتون النظر إليه فهذا هو كارلوس بناً فى دراسته عن «تخطيط الخدمة المكتبية» التى نشرها ١٩٦٧ يدرج قائمة بالبيانات المطلوبة للتخطيط وهى فى جوهرها بيانات إحصائية رقمية، ويعود بعد عام واحد فى احدى مقالاته «تمويل الخدمات المكتبية والتوثيقية» سنة ١٩٦٨ ليقرر «إن واحداً من أعقد الأمور فى تخطيط الخدمة المكتبية هو أن نحدد الإنفاق المطلوب لهذه الخدمات على كافة المستويات وأن نحدد أنماط ووجوده الإنفاق» وهو يشير إلى الافتقار إلى الإحصائيات وإلى التحديد القاطع لها داخل ميزانية الدولة مما يضع عقبات كأداء أمام التخطيط القوى للخدمة المكتبية ويشرح ويقدم لنا البيانات الإحصائية المطلوبة فى هذا الصدد وعلى رأس هذه الاحتياطات المصروفات الثابتة؛ المصروفات الجارية؛ معايير تحديد الإنفاقات المستقبلية؛ تكلفة الوحدة؛ مصادر التمويل. وفى سنة ١٩٦٨ كذلك أكدت إيفلين ج إيفانز على أهمية الإحصائيات فى تخطيط العمل المكتبى وذلك فى مقال لها عن «اجتماع خبراء التخطيط القومى للخدمات المكتبية فى آسيا» وحيث قررت وقرر

الخبراء «أن التخطيط مستحيل فى الوقت الراهن فى معظم الدول الآسيوية طالما أن البيانات الإحصائية غير متوافرة» ولإصلاح الوضع تقترح الباحثة نفسها:ـ

١ ـ تشجيع الدول الأعضاء وحثها على جمع البيانات الإحصائية المناسبة.

٢ ـ إنشاء هيئة للمساعدة فى تصميم وجمع الإحصائيات المطلوبة.

٣ ـ استقراء النتائج واستخلاص المؤشرات من الأرقام والإحصائيات التى يتم جمعها.

وقد قام فيسنت سراقوسة فى مقال له عن حلقة البحث الأيبرية ـ الأمريكية حول «تخطيط الخدمات المكتبية والتوثيقية» فى سنة ١٩٦٨ كذلك، بإثارة نفس النقطة ولكن فى منطقة أخرى من العالم. ولعل الذى أطلق النار على الجميع فى موضوع الإحصائيات المكتبية هو ب. هـ. سيويل فى مقالته «تقييم الخدمات المكتبية بعمق» فى نفس السنة أيضًا. إن هؤلاء الكتاب وغيرهم كثيرون ممن جاءوا بعدهم على قناعة تامة بأن الخدمات المكتبية لا يمكن أن تتحسن إلا إذا تم تحليلها وتقييمها وبدون بيانات إحصائية ورقمية فلا يمكن لهذه التحليلات والتقييمات أن تتم. ولابد أن نضيف هنا أنه لا يمكن وضع معايير مكتبية هامة دون قاعدة بيانات قوية سليمة.

استخدام الإحصائيات المكتبية:

الهدف الأساسى من الإحصائيات هو تقديم بيانات عددية لتحليل وتقييم الظواهر البارزة، أو مجموعات الحقائق والأحداث. وفى هذا الصدد تلعب الإحصائيات دورًا هامًا فى عملية اتخاذ القرار وفى الوظائف الإدارية المتعلقة بالتخطيط والموازنة وتخصيص الأموال.

ويمكن القيام بالدراسات المسحية على كل مجتمع الدراسة أو على عينة فقط منه والدراسات التى تستخدم كل مجتمع البحث لابد وأن تحصل على إجابات من ٨٥٪ فأكثر من أفراد مجتمع الدراسة. والخبرات الشخصية تقترح فى هذا السبيل تصميم استمارات بحث مع شرح لها وتوزع على أفراد مجتمع البحث مع تحديد موعد قاطع لرد الاستمارات. والذين لا يردون لابد من مراجعتهم مرتين أخريين على الأقل من أجل الحصول على الرد. وأول مرة يمكن أن تكون بالبريد والثانية بالتليفون إن

أمكن. ومن المعروف أن الزيارة الشخصية هى أكثر الطرق فاعلية فى جمع البيانات ولكنها أغلاها إذا كان مجتمع البحث واسعًا، وتدخر غالبًا للمراجعة والدراسات الاستطلاعية المحدودة؛ وتقييم الاستجابات.

وتنصح المكتبات عادة بجمع البيانات الإحصائية بطريقة تشبه الطريقة المتبعة على النطاق الوطنى حتى يسهل مقارنتها وتحليلها والخروج بمؤشراتها مع توحيد الدلالات والمفاهيم وجل الدول الآن تحتاج إلى أن تعرف عدد العاملين فى المكتبات وفئاتهم على مستوى الدولة كلها، وتريد أيضًا أن تعرف عدد الذين يرتادون المكتبات، المساحات التى تشغلها المكتبات، والأرصدة المكتبية والإضافات السنوية إليها. والدولة تريد أيضًا أن تعرف إلى أى حد تغيرت هذه البيانات، ومدى استجابة هذه المؤسسات لتطوير التعليم وسياسة البحث فى الدولة. إن هذه البيانات مطلوبة أيضًا عندما تسعى المكتبات إلى مطالبة الدولة بزيادة الميزانيات ورفع الأجور. وعندما نقارن التكاليف والخدمات، هنا فقط تستطيع عين الخبير أن تقدر المجهود الذى تقوم به المكتبة. وعندما يقارن وضع المكتبات وخدماتها وميزانياتها فى دولة ما بما يجرى فى دولة أخرى هنا تكون الصورة أوضح.

البرنامج الإحصائى فى الولايات المتحدة:

ربما كانت الولايات المتحدة أسبق الدول فى العصر الحديث إلى إعداد أحصائيات مكتبية واستخدام هذه الإحصائيات واستخلاص مؤشراتها قبل سنة ١٨٧٠. وإن بدأت هذه الإحصائيات على استحياء قبل تلك السنة إلا أنها اتخذت صفة الرسمية والاستمرارية منذ سنة ١٨٧٠، وذلك بصدور أول «تقرير المسئول عن التعليم... عن عام ١٨٧٠» ولعل أشمل مسح عن المكتبات هو ذلك الذى نجده فى تقرير ١٨٧٦ ويقع فى ١٢٠٠ صفحة وإن كان فيه من النصوص أكثر مما فيه من الجداول والأرقام. وأيًا كان أمر هذا التقرير فإنه يغطى كافة أنواع المكتبات ويعتبر علامة فارقة على اهتمام الحكومة الأمريكية المركزية بالمكتبات. ولقد بذل مكتب الولايات المتحدة للتعليم جهودًا كبيرة لإجراء مسوحات مكتبية بطرق مختلفة وعلى أساس مستمر. وطبقًا للتغيرات التى وقعت فى مجال المكتبات فى الولايات المتحدة فى القرن الماضى أى التاسع عشر والقرن الحالى أى العشرين، فإن مسوحات المكتبات التى تمت يمكن توصيفها فى مجموعات زمنية.

١٨٧٠ ـ ١٩٣٧: فى خلال هذه الفترة كانت تجرى مسوحات إحصائية سنوية غالبًا ومتباعدة أحيانًا حول المكتبات العامة ومكتبات الجمعيات ومكتبات المدارس. وفى خلال هذه الفترة لم يكن فى مكتب التعليم وحدة مستقلة لإحصاء المكتبات. وكان يقوم بالإحصاء موظفون عاديون يطلبون النصح والإرشاد من اتحاد المكتبات الأمريكية وغيره من الاتحادات على مستوى الولايات.

١٩٣٨ ـ ١٩٥٧: فى هذه الفترة أنشئت وحدة خاصة بالمكتبات داخل مكتب التعليم، أصبحت مسئولة عن جميع الأنشطة المكتبية بما فى ذلك الإحصائيات. وقد تم تقسيم مسوحات الأنواع المختلفة من المكتبات على مطبوعات مستقلة وتوزع على دورات أو فترات كل منها من ٤ ـ ٦ سنوات.

١٩٥٨ ـ ١٩٦٦: وفى خلال هذه الفترة زاد الدعم المادى للمكتبات زيادة واضحة كما شعر المواطن العادى بمهنة المكتبات وأبعادها والدور الذى تقوم به المكتبة فى حياته. وزاد عدد الموظفين العاملين فى إحصاء المكتبات سنة بعد أخرى. ودخلت مكتبات الكليات والجامعات فى الإحصاء السنوى، بينما الأنواع الأخرى من المكتبات كل ثلاث أو أربع سنوات.

١٩٦٦ حتى الآن: بمقتضى إعادة تنظيم مكتب الولايات المتحدة للتعليم أدمجت جميع الوحدات الإحصائية التعليمية فى المركز القومى للإحصائيات التعليمية، وأصبحت إحصائيات المكتبات مسئولية المركز الجديد الذى خصها بوحدة مستقلة بداخله.

وفى نفس سنة ١٩٦٦ نظم المركز القومى للإحصائيات التعليمية بالاشتراك مع اتحاد المكتبات الأمريكية «المؤتمر الوطنى حول الإحصائيات المكتبية» وذلك فى شيكاغو حضره ممثلون عن الاتحادات الأخرى. وقد اقترح هذا المؤتمر برنامجًا شاملاً للجمع المنظم والمنطقى للإحصائيات فى جميع أنواع المكتبات ومعايرة الإحصائيات المكتبية ووضع التعريفات والوزن النسبى لكل منها.

وفى سنة ١٩٧١ صدر عن اتحاد المكتبات الأمريكية والمركز القومى للإحصائيات التعليمية تقرير «تخطيط النظام الوطنى للإحصائيات المكتبية» وقد تضمن توصيات

هامة لوضع نظام وطنى للإحصائيات المكتبية باستخدام بعض المفاهيم الموجودة فى نظم الإحصاء المدرسية والمؤسسات الأكاديمية «ونظام مسح معلومات التعليم الابتدائى ـ الثانوى»؛ و«نظام مسح معلومات التعليم العالى».

وفى سبيل وضع نظام موحد يبنى على أسس منطقية فى جمع الإحصاءات، كان على المركز القومى للإحصائيات التعليمية أن يحدد عدد وأنواع البيانات المكتبية التى يتم جمعها حاليًا ومن هؤلاء الذين يقومون بجمعها وعلى أى فترات. ولتحقيق هذا الغرض قام المركز فى سنة ١٩٧١ بالتعاقد مع مؤسسة هيرنر وشركاه لإجراء دراسة ووضع دليل حول هذا الموضوع أسفرت عن نشر المطبوع «الدليل الوطنى عن ممارسات الإحصائيات المكتبية». وبناء على نتائج تلك الدراسة وضع أول نموذج (استمارة) لنظام «المسح العام للمعلومات المكتبية»؛ وذلك للمكتبات العامة والمدرسية والأكاديمية والمتخصصة. وتم التعاقد على دراستين أخريين لفحص نتائج هذه الاستمارات.

وخلال ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣، تم عرض مشروع «المسح العام للمعلومات المكتبية» فى ست ولايات أمريكية هى: مين، ميريلاند، مسيسبى، تكساس، ويسكونسن، يومنج. وحيث تم جمع بيانات عن اثنين أو أكثر من أنواع المكتبات عن طريق التنسيق بين عدد من الوكالات فى تلك الولايات. هذا المشروع التجريبى ضم ٢٣٠٠ مكتبة من بينها أكثر من ٣٠٠ مكتبة أكاديمية، ٤٠٠ مكتبة متخصصة، ٦٧٠ مكتبة مدرسية، وأكثر من ٨٠٠ مكتبة عامة وفى نفس الوقت قامت مكتبة ولاية إلينوى بإجراء مسوحات تجريبية مثيلة فى سبع عشرة ولاية أخرى. وكان الهدف من هذه المشروعات التجريبية هو اختبار مدى إمكانية قيام وكالات الولايات بجمع وتحليل البيانات المطلوبة فى هذه المسوحات وكذلك اختبار مدى استجابة المكتبات والأفراد لهذه المسوحات وكذلك اختبار مدى صلاحية استمارات جمع البيانات. وقد أسفر التجريب والمناقشات التى دارت حوله عن إعادة صياغة لاستمارات البيانات لجميع أنواع المكتبات.

وقد نفذ المشروع فى صيغته النهائية على مدى خمس سنوات وذلك على النحو الآتى:

١٩٧٥: المرحلة الأولى. مسح المكتبات العامة والمدرسية ومراكز مصادر التعليم.

١٩٧٦: ملحق المرحلة الأولى. مسح المكتبات الأكاديمية.

١٩٧٧: المرحلة الثانية. التشغيل الكامل لنظام المعلومات الذى يتضمن بيانات المكتبات العامة والأكاديمية والمدرسية ومراكز مصادر التعلم.

١٩٧٨: المرحلة الثالثة. مسح المكتبات الفيدرالية وتحديد بيانات إحصاء ١٩٧٢ عنها وإدخالها فى النظام.

١٩٧٩: المرحلة الرابعة. مسح المكتبات المتخصصة بما فى ذلك المكتبات التجارية والصناعية وإدماج بياناتها داخل النظام.

١٩٨٠: المرحلة الخامسة. تشغيل النظام بالكامل.

ولعله من نافلة القول أنه قبل بدء النظام الوطنى الشامل هذا سنة ١٩٧٥ كانت هناك مسوحات تجرى لأنواع محددة من المكتبات ففى سنة ١٩٧٢ كان هناك مسح للمكتبات الفيدرالية وتم نشر نتائجه ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦. وفى سنة ١٩٧٣ كان هناك مسح لمكتبات الكليات والجامعات وتم نشر نتائجه أيضًا فى ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦.

وفى نفس هذا السياق تم إعداد بعض الدراسات لاستكمال أو تحديث دراسات سابقة ففى سنة ١٩٧٣ قام المركز القومى للإحصائيات المكتبية بالتعاقد على إعداد «دليل عمليات الإحصائيات المكتبية كتكملة وتحديث الدراسة التى قام بها اتحاد المكتبات الأمريكية سنة ١٩٦٦ بعنوان «الإحصائيات المكتبية: دليل المفاهيم والتعريفات والمصطلحات» الذى أشرت إليه من قبل والذى يتناول التوصيات والمقترحات الخاصة بمصطلحات وطرق إحصاء العمليات والخدمات المكتبية فى كل أنواع المكتبات، كليات، جامعات، عامة، مدرسية، متخصصة. وفى نفس سنة ١٩٧٣ قام مكتب إحصائيات العمل بدراسة بعنوان «دراسة العرض والطلب للقوى العاملة فى المكتبات» وذلك بتمويل من المركز القومى للإحصائيات التعليمية. وتعتبر هذه الدراسة تحديثاً واستكمالاً لدراسة سابقة فى نفس هذا الاتجاه قام بها «مكتب الإحصاء» سنة ١٩٦٦ بعنوان «القوى العاملة فى المكتبات: الخصائص الوظيفية فى المكتبات العامة والمدرسية». وكانت دراسة ١٩٦٦ قد كشفت عن أن هناك ١١٥٠٠٠ يعملون فى تلك

المكتبات سوف يزيدون إلى ١٦٧٠٠٠ فى سنة ١٩٨٥ (بنسبة ٤٥٪). وتنبأت الدراسة أن النمو سيكون بطيئًا فى السبعينات ثم يأخذ فى النمو السريع سنة ١٩٨٠ وما بعدها.

المسوحات المكتبية:

تتصل المسوحات المكتبية اتصالاً وثيقًا بالإحصائيات المكتبية لدرجة أن البعض يستخدمهما على الترادف ولكننا نعتقد أن المسوحات تستخدم الإحصائيات وتنطلق منها وتبنى عليها ولا يمكن أن تكون هناك مسوحات دون أرقام أو إحصائيات. ومن ناحية أخرى فإن الإحصائيات عندما تعد فإنها لا تكون مقصودة لذاتها ولا هى غاية فى حد نفسها بل تجمع وتحلل كما ذكرنا لتفسير الظواهر وطرح الحقائق ومن ثم معالجة المشكلات والمواقف. من هنا فإن العلاقة بين إحصائيات المكتبات والمسوحات المكتبية هى علاقة وثيقة والتداخل بينهما بين ولا يمكن فصلهما فصلاً تامًا ولكن يمكن فلسفة العلاقة وتنظيرها إما على أساس علاقة اشتمال أو علاقة تداخل أو علاقة الندية حسب المنظور الذى نبحث منه هذا الموضوع.

لقد استخدم المسح ردحًا طويلاً من الزمن فى العلوم الاجتماعية كوسيلة أساسية فى جمع البيانات وتحليلها، وهو الآن يتخذ لنفس الغرض فى مجال المكتبات والمعلومات وتستخدمه كل أنواع المكتبات تقريبًا من أكاديمية وعامة وحكومية ومتخصصة.

والمكتبة ليست غاية فى حد ذاتها ولكن وجودها يعتمد على المجتمع الذى نبتت فيه وهى تتأثر تأثرًا مباشرًا بالتغييرات الثقافية والاجتماعية التى تحيط بالمجتمع الصغير والكبير على السواء. وإذا كان للمكتبة أن تكون ذات أهمية لمجتمعها فلابد للإدارة فيها أن تحاط علمًا بطبيعة واحتياجات المستفيدين فى الحال والاستقبال.

والمكتبات فى الوقت الراهن ـ آخر سنوات القرن العشرين ـ توسع مصادرها وتضع برامج جديدة وإجراءات جديدة لأعمالها وخدماتها. ومهمتها كما أسلفت فى مقال سابق ـ الاتصال ـ هى نقل جوانب حياتنا الفكرية من جيل إلى جيل والمساهمة فى تحقيق هدف خلق رأى عام مستنير وردف العلماء والباحثين بالمعلومات فى مجتمع ديمقراطى. ولابد للمكتبة أن تكون واعية للتغيرات التى تحدث فى العالم من حولها. والتغييرات تتطلب التخطيط؛ والتخطيط العلمى يعتمد على التحليل والتقييم الدقيق

للحاضر والتنبؤ الصحيح بالمستقبل المنظور.

ومع انفجار المعلومات، والتوسع الكبير فى النشر والحاجة الماسة إلى خدمة مكتبية أرحب وأفضل، وضعف المخصصات المالية؛ مع كل هذا بدأ المكتبيون فى النظر بعين فاحصة إلى مؤسساتهم وخدماتهم وأنشطتهم. لقد جلبت التغيرات التكنولوجية والاجتماعية مشاكل جديدة للمكتبة وفتحت آفاقًا جديدة للخدمة. وهذه التغييرات دعت بالضرورة إلى أساليب جديدة وإعادة النظر بجدية فى الأساليب القديمة. وكان من بين أهم وسائل تنفيذ تلك الإصلاحات إدخال أسلوب «المسح المكتبى».

لقد استخدم أسلوب المسح فى العلوم الاجتماعية منذ زمن طويل وذلك لتقدير موقف ما وتأسيسه، وقد يكون هذا الموقف تخطيط مدينة جديدة؛ وضع شبكة مياه، إنشاء شبكة مدارس، تخطيط برنامج طبى ورعاية صحية، بناء هيكل حكومى جديد. لقد أضاف أسلوب المسح معرفة جديدة إلى الإنسان فى سعيه لفهم العالم الذى يعيش فيه. ونحن فى حقيقة الأمر مدينون للسيد/ جى لايل بإدخال أسلوب المسح إلى مجال المكتبات، وقد قدم دراسة لطيفة فيه عرج فيها على الدراسات المسحية الهامة عبر مئات من السنين، ولخص أهم إنجازاتها وطرقها ومنهجها وكشف عما يجرى فى مجال المكتبات منها، وقيمة كل منها فى سياق الدراسات المسحية.

لقد انتشرت الدراسات المسحية فى مجال المكتبات وأصبحت جزءًا مهمًا فيها لأنها اتبعت تيارين هامين سادا المجتمعات فى نهاية قرننا العشرين: الاتجاه نحو التخطيط والاتجاه نحو القياس العلمى. والمسح غدا الآن إجراء مقبولاً فى المجتمع الحديث. وهو وسيلة يستطيع بها المجتمع أن يجمع المعلومات ويحيط نفسه علمًا وطريقة يمكنه بها التحكم فى المواقف التى تزداد حجمًا وتعقدًا وطريقًا للحصول على الرسم المنظورى ومعايير المقارنة.

وعندما كانت المكتبات صغيرة كانت سجلاتها وإجراءات العمل فيها بسيطة وسهلة، ولم تكن ثمة مشكلات تتعلق بالمكان أو التمويل أو التوظيف بل والأداء والمجموعات. أما بعد أن تضخمت المؤسسات المكتبية كان لابد من استخدام المسح المكتبى لأن المسح لصيق التضخم والتعقد، رغم الاعتراف بأنه حتى المشروعات الفردية

يمكن أن تغدو فوضوية. ولكن مع الحجم الكبير تتضخم مشاكل التنظيم والإدارة والتشغيل وتصبح أكثر حدة وبدون التخطيط الجيد الواعى قد يفتت التنظيم وتصبح السجلات مرهقة ويصعب تغييرها ومردود الموظفين وعطاؤهم يغدو محدوداً ويصبح توظيف موظفين جدد أكفاء مسألة صعبة وعبئًا دائمًا، وتحديد المسئوليات وتوزيعها على الموظفين يغدو أمرًا مشكوكًا فى فاعليته وتتداخل الاختصاصات بطريقة لا منطق فيها، وتمارس الأنشطة دون مراعاة للعلاقات القائمة بينها، وتصبح المساحات غير كافية والأجهزة قديمة انتهت صلاحياتها وبطلت موضاتها.

ورغم أن المكتبات تختلف عن المشروعات التجارية فى أنها لا تهدف إلى الربح إلا أنها تحتاج إلى مراجعة دورية لأدائها وخدماتها ومرافقها وذلك لقياس كفاءتها. ومع أن التقرير السنوى قد يكون أداة نافعة لمراجعة العمليات المكتبية والخدمات التى تؤديها المكتبة إلا أنه دائمًا يفتقر إلى الرؤية المستقبلية وعمق النظرة وهما الأمران اللذان لا يتوافران إلا فى المسوحات المكتبية التى لا يتوفر عليها إلا خبير أو مراقب محايد. وفى الدراسات المسحية تغطى عادة الجوانب الهامة الآتية: تاريخ وخلفيات المكتبة؛ التبعية وعلاقاتها الحكومية؛ أهدافها العلمية والتعليمية؛ التمويل ومصادر التمويل؛ التنظيم الإدارى؛ الموظفون؛ طرق الاتصالات؛ طرق العمل؛ المرافق والأجهزة والكيان الفيزيقى؛ المجموعات؛ الخدمات؛ وقد تتطرق الدراسة المسحية إلى علاقة المكتبة بالمجتمع المباشر والمجتمع الكبير.

ويمكن تعريف المسح المكتبى وجمعه مسوحات بأنه «الجمع المنظم للبيانات المتعلقة بالمكتبات وأنشطتها وعملياتها وموظفيها واستخدامها وخدماتها والمستفيدين منها فى وقت معين أو على مدى فترة معينة». وهنا يصبح الإحصاء والرقم هو لب المسح ولحمته وسداه.

الأسباب التى تدعو للمسوحات المكتبية:

تختلف أغراض المسوحات المكتبية بحسب الظروف والأحوال والمشكلات التى نسعى إلى حلها ودوافع الرسميين الذين يطلبون إجراء المسح. ولكن الغرض الأول هو إيجاد حلول لمشاكل ملحة وضاغطة؛ أو لتحسين الأحوال المكتبية أو لتصحيح أوضاع خاطئة

أو التخطيط للمستقبل. وعلى الرغم من أن هناك مسوحات يقام بها لحل مشكلات سريعة وفورية إلا أن الأصل فى المسوحات أن تكون للتخطيط طويل الأجل. وتختلف أغراض المسوحات كذلك على حسب درجة العمق. ذلك أن بعض المسوحات قد تجرى لأغراض تحقيق فروض بعينها، وبعضها يهدف إلى جمع وتحليل البيانات حول جانب من الجوانب فى المكتبة أو حول التشكيل المكتبى كله، والبعض يسعى إلى وصف وتحليل مواقف معينة بقصد تصحيح الخلل وإزالة العيوب. والهدف النهائى المطلق هو «التحسين والتجميل». إننا لا ينبغى أن ننتظر وقوع الخطأ أو الكارثة حتى نبادر بالقيام بالمسح، رغم أنه للأسف تبدأ حل الدراسات المسحية من هذه النقطة. بل يجب أن نقوم بهذه المسوحات المكتبية بصفة دورية حتى ولو لم يكن هناك خلل نسعى إلى تقصيه، بل بهدف بلوغ الأكمل والأفضل. بعض المسوحات توجه إلى نقطة صغيرة يثيرها سؤال واحد، وبعضها يسعى إلى النظرة الشاملة لكل جوانب المكتبة تضم فيما تضم النمط التنظيمى، العلاقات الإدارية، الإدارة المالية، العمليات الفنية، الخدمات المكتبية، المقر والمبنى والتجهيزات، الترتيبات التعاونية، الموظفين، المجموعات. . .

وعند تقرير هدف الدراسة المسحية لابد لنا باديء ذى بدء أن نسأل أنفسنا سؤالاً هامًا هو: من أمر بهذه الدراسة أو طلب إجراءها؟ مثل هذا الطلب أو الأمر قد يأتى من مدير المكتبة أو من الرئيس المباشر أو من أعضاء هيئة التدريس أو من لجنة المكتبة أو رئيس الجامعة فى حالة المكتبات الجامعية أو من مجلس الأوصياء أو من هيئة راعية ترغب فى دعم المكتبة؛ أو من هيئة خيرية أو بحثية معينة، وربما من الجهات التى تعتمد المؤسسات العلمية وتخصصاتها. وقد يقوم أمناء المكتبة بأنفسهم بإجراء هذه المسوحات لمجرد مقاومة تغيير السياسات والإجراءات أو التنظيم أو لبيان الحاجة الماسة إلى الدعم المالى لإصلاح مصادر المكتبة أو خدماتها. وقد تكون لجنة المكتبة غير راضية عن مجموعات المكتبة أو خدماتها أو إدارتها ومن ثم تدعو إلى إجراء دراسة مسحية لتحسين الأوضاع. وقد يهدف رئيس الجامعة إلى إصلاح وضع متدهور، وقد تطلب هيئة الاعتماد إجراء الدراسة كجزء من تقييم الجامعة ككل. ويجب أن يدرك القائم على الدراسة الموقف بسرعة حين يطلب مجلس الأوصياء إجراء المسح ليكون تحت يديه مستند أو مبرر قوى لتغيير مدير المكتبة أو أمين المكتبة. وقد يطلب إلى

القائم بالمسح أن يقدم تبصرات جديدة، وبيانات جديدة وتأويلات وعنديات جديدة ويصل إلى نتائج جديدة ويقدم مقترحات جديدة من هنا يصبح المسح قويًا مثمرًا.

والمكتبات التى تسعى إلى إجراء المسوحات عليها أن تحدد أهداف المسح بدقة، وتحدد وتصف المشكلات التى يطلب اقتحامها، كما أن عليها أن تحصل على الموافقة والدعم اللازمين للمسح، وعليها أن تعين شخصًا ثقة للقيام به أو تحت إشرافه، ثم بعد ذلك يأتى تنفيذ البحث أو المسح. والمسح يجب أن يكون شاملاً محيطًا فى مجاله موضوعيا فى غايته وأداته غير متميز فى تحليل معطياته ونتائجه وواضح البصيرة فى توصياته. وسواء قام بالمسح شخص واحد بدافع شخصى أو قام به خبير من خارج المكتبة فلابد من إجراء المسح بتجرد تام بأسلوب علمى مقبول وبإدارة علمية سليمة.

وببساطة شديدة فإن الأهداف الكبرى من وراء المسوحات المكتبية هى وصف وتحليل وتقييم وتحسين فاعلية وكفاءة الأداء المكتبى. وسواء كان الأمر موقفًا مكتبيًا عامًا أو موقفًا داخل قسم بعينه فى المكتبة أو عملية من العمليات فإن القصد من وراء المسح هو جمع كل الحقائق المتعلقة بها واقتراح الخطوات اللازمة بالتغلب على أوجه القصور الموجودة هناك.

أنواع المسوحات المكتبية:

تحدد أنواع المسوحات غالبًا على أساس من يقوم بها فقد تكون مسوحات داخلية تقوم بها المكتبة بنفسها أو من تحدده من بين أبنائها أو المحيطين بها، وقد يقوم بها خارجون عنها متمرسون بها خبراء أو هيئات متخصصة والناظر فيمن يقوم بالمسوحات المكتبية يجد أنها تدور فى فلك الفئات الآتية:

١ ـ اتحادات المكتبات وجمعياتها وروابطها.

٢ ـ اتحادات وجمعيات وروابط غير مكتبية.

٣ ـ مؤسسات رسمية.

أ ـ تعليمية　　　　ب ـ مانحة

٤ ـ إدارات حكومية.

أ ـ فيدرالية　　ب ـ ولاية　　ج ـ محلية　　د ـ قطاعية

٥ ـ منظمات تجارية (تقوم بهذه الدراسات بالأجر لحساب الاتحادات والحكومات والمانحين من خلال منح محددة).

٦ ـ الخبراء والمستشارون كأفراد (لحساب المؤسسات والاتحادات ووكالات الاعتماد والحكومات بل وربما المنظمات التجارية).

٧ ـ مؤسسات خيرية (تقدم تبرعات للمكتبات لتأجير أشخاص أو جماعات أو هيئات للقيام بتلك المسوحات).

٨ ـ مدارس المكتبات (إما كمشروعات جماعية أو دراسات فردية على مستوى الماجستير أو الدكتوراه).

٩ ـ وكالات الاعتماد.

١٠ ـ المكتبات (أو ما يسمى بالمسوحات الذاتية أو الداخلية سواء قامت بها المكتبة بنفسها أو من خلال مساعدة خبير خارجي تندبه لهذا الغرض).

المسوحات الداخلية أو الذاتية:

أى أمين مكتبة فعال يحاول دائمًا أن يحلل ويقيم الموقف المكتبى فى مكتبته. والمكتبة التى تحسن إدارتها تدار عادة على أساس الدراسة المستمرة للتنظيم والتسهيلات والخدمات والإجراءات. وتصبح المسوحات الداخلية أو الذاتية التى تقوم بها إدارة المكتبة أو موظفيها مسألة أساسية لحسن الأداء داخل المكتبة. هذه الدراسات قد توجه إلى تحديد أهداف المكتبة ووظائفها تحديداً قاطعًا، تحديد واقع المكتبة من هذه الأهداف والوظائف، عزل العوامل التى تفوق أو تحد من فاعلية الخدمة أو التى لها أهمية فورية مثل تغيير التنظيم، تقييم مجموعات الكتب أو الدوريات، إجراءات التجليد، اختبار ومراجعة سياسة التزويد، إعادة النظر فى سياسة التوظيف، دعم مالى لأغراض محددة، تغيير نظام الخدمة المرجعية... وفى نهاية قرننا العشرين أصبح من الضرورى

على مكتباتنا أن تقوم بدراسات دورية لمشاكلها حتى لا تتراكم جميعًا فى وقت واحد. وسواء كانت هذه الدراسات عامة أو لأغراض محددة فإن من الضرورى حل المشاكل الموروثة فى الحال أو فى المستقبل القريب على الأكثر.

والمسح الداخلى أو الذاتى هو ذلك المسح الذى يقوم به موظف أو عدة موظفين من العاملين فى المكتبة. وتكمن مميزات المسح الداخلى أو الذاتى فى الاعتبارات الآتية:

١ ـ أن موظفى المكتبة هم أدرى الناس بالأداء المكتبى وبالعمليات المكتبية وخصائص هذا الأداء ومشاكل تلك العمليات الخاصة وهم يرغبون وقادرون على فهم أعمق للموقف.

٢ ـ تكلفة المسوحات الداخلية عادة ما تكون أقل طالما أنه يقوم بها موظفون من داخل المكتبة.

٣ ـ اشتراك الموظفين فى هذه المسوح الداخلية يشعرهم بأنهم أهل ثقة ويرفع من روحهم المعنوية ويشعرهم بأن يقومون بعمل بناء من أجل تحسين وتطوير مؤسستهم.

ولكى على الجانب الآخر هناك بعض المثالب فى هذه المسوح الداخلية نأتى على أخطرها:

أ ـ موظفو المكتبة عادة ليس لديهم وقت إضافى كاف حتى يقوموا بجمع البيانات وإعداد الإحصائيات المطلوبة اللازمة للمسح والتى يمكن أن تبنى عليها الاقتراحات البناءة للإصلاح والتطوير ووضع برنامج تحسين الأداء.

ب ـ معظم موظفى المكتبة ليس لديهم المعرفة المتخصصة بأحدث وآخر أساليب المسوحات العلمية ومن ثم فقد لا يمكنهم جمع المادة السليمة كما قد لا يمكنهم الخروج بالمؤشرات والنتائج التى يعتمد عليها.

ج ـ هناك دائمًا خطر إمكانية افتقار المسح الداخلى إلى الموضوعية، ذلك أن الموظفين القائمين بالمسح قد يترددون فى نقد زملائهم والقدح فى آدائهم، وربما يتحرجون فى تقديم توصيات تقلب الأداء رأسًا على عقب. بل وقد لا تكون لديهم من

جهة أخرى الروح الثورية والطموحة التى قد تكون لدى الخبير الخارجى الذى عادة ما يكون متمرسًا بهذا العمل ولديه خبرات وأفكار جديدة نتيجة تجاربه مع مكتبات أخرى.

وهناك عشرات من المسوحات الذاتية التى قامت بها مكتبات أجنبية؛ كما أنها موجودة أيضًا فى بعض مكتباتنا العربية وإن كانت تتم بطريقة عفوية. ونقترح قبل قيام المكتبة بالمسح الذاتى أن تطلع على المسوحات الذاتية التى تمت من قبل فى قطاعات حتى تهتدى بها كما تهتدى بالأدلة والمعايير التى وضعتها الاتحادات المعنية والاستمارات الخاصة بجمع البيانات.

المسوحات الخارجية:

على الجانب الآخر قد تطلب المكتبة أو الهيئة المسئولة عنها من خبير خارجى أو هيئة أو بيت خبرة فى المجال أن يقوم بالمسح وذلك لأسباب عديدة من بينها أن المسح قد يكون أكبر وأوسع من أن يقوم به موظفو المكتبة. كما قد لا يسمح وقت الموظفين أو مسئولياتهم اليومية الضاغطة أو إمكانياتهم بالانغماس فى هذه الدراسة. ونحن هنا لا نقدح فى قدرات أمناء المكتبات ولا فى خبراتهم ولا فى حماسهم للقيام بهذه المسوحات، بل قد يكون الهدف المطلق من الاستعانة بخبير خارجى هو الرغبة فى عين خارجية تطل على المشكلة من منظور مختلف وتعالجها بطريقة غير تقليدية، ذلك أنه حتى فى حالة المسوحات الذاتية قد ينشد موظفو المكتبة رأى مهندس الإدارة، وخبراء المواد السمعية البصرية والأجهزة بل وعلماء النفس والإخصائيين الاجتماعيين وخبراء الصناعة وذلك للاشتراك معهم فى حل بمشكلاتهم المكتبية. وربما يطلب المكتبيون انتداب خبراء ومستشارين وبيوت خبرة للقيام بالمسح لأن الإدارة الأم لا تستطيع حل المشكلة أو ليكونوا حكمًا بينهم وبين الإدارة.

وثمة مجموعة من المميزات التى تكمن خلف المسوحات الخارجية هذه ومن بينها:

١ - الخبير الخارجى قد يكون عونًا فى تقديم بعض الأفكار الجديدة كما أنه قد يقدم حلولاً حديثة للمشاكل المتراكمة. والخبراء الأذكياء عادة ما تكون لديهم أفكار ثورية ضد المشاكل التقليدية الروتينية.

٢ ـ عادة ما يجلب الخبراء الخارجيون معهم نظم قياس وأساليب تحليل أكثر عصرية وأكثر تعقيدًا للمشاكل التنظيمية والإدارية الضخمة المعقدة فى المكتبات الكبيرة سواء العامة أو الأكاديمية أو المتخصصة أو الوطنية.

٣ ـ عادة ما يكون الخبراء الخارجيون على وعى أكبر بالحلول والتجديدات التى أقدمت عليها المكتبات الأخرى.

٤ ـ بيوت الخبرة عادة ما يكون لديهم احتياطى من الخبراء المدربين والمؤهلين تأهيلاً عاليًا وذوى الكفاءة فى معالجة تلك المشكلات.

٥ ـ بيوت الخبرة عادة ما تكون أكثر إقناعًا للسلطات المشرفة على المكتبة والتى تستمع لرأى الخبير الخارجى بأذن صاغية وتراه بعين واعية وتحترم رأيه ومقترحاته والنتائج التى توصل إليها.

ولكن على الجانب الآخر ثمة بعض المآخذ على الاستعانة بالخبير الخارجى نسرد أهمها على الوجوه الآتية:

أ ـ الاتصال بين الخبير الخارجى وعالم المكتبات قد يكون فى بعض الأحيان صعبًا.

ب ـ قد لا يكون الخبراء الذين يدعون إلى القيام بالمسح بأحسن حالاً من حيث الخلفية والمعرفة المتخصصة من موظفى المكتبة، ومن ثم لا يقومون بعمل أحسن ولا توصيات أفضل مما يقدمه الموظفون.

ج ـ قد يثير وجود خبراء خارجين استياء وامتعاض موظفى المكتبة، ومن ثم قد لا يتمكن هؤلاء الخبراء من كسب ثقة الموظفين وتعاونهم معهم وتقديم البيانات اللازمة للحصول على أحسن النتائج الممكنة.

ولعله من نافلة القول التذكير بأن اتحادات المكتبات فى الدول المختلفة قد تقوم بمثل هذه المسوحات الخارجية. ومن بين الاتحادات التى لها باع طويل فى هذا الصدد اتحاد المكتبات الأمريكية ولكنه يقوم بها تحت شروط خاصة؛ من بينها أن يأتى طلب المسح من الجهة الرسمية المشرفة على المكتبة أى التى تتبعها المكتبة، وتحدد تلك الجهة الهدف من الدراسة بشىء من التفصيل، والمجالات المطلوب إجراء الدراسة فيها، والمعلومات

التى تحتاج إلى جمعها وتحليلها وعادة ما يطلب الاتحاد أن تتحمل الجهة الطالبة تكاليف المسح.

لقد فتحت تكنولوجيا المعلومات التى اقتحمت المكتبات فى الربع الأخير من قرننا العشرين الآفاق واسعة أمام الاستعانة ببيوت الخبرة والشركات للقيام بالمسوحات اللازمة لإدخال هذه التكنولوجيا إلى المكتبات. والاستعانة هنا قد تكون حتمية وذلك لأن المكتبيين أنفسهم قد يفتقرون إلى قدرة القيام بالدراسات اللازمة. ويرى بعض الثقاة أن بيوت الخبرة قد تستغل هذا الافتقار وعدم الكفاءة وتقوم بعمل دراسات سطحية وتقدم توصيات مغرضة مضللة.

المسوحات الفردية والجماعية:

كثير من الدراسات المسحية قام بها أفراد وظهرت هذه الدراسات فى ببليوجرافيات الإنتاج الفكرى. وعادة ما يقوم الفرد الواحدة بالانكباب على الدراسة لفترة قصيرة ويقدم تقييمات مكتبية للوضع القائم مصبوغة بصبغة الفرد بطريقة أو بأخرى. ومن الضرورى أن تكون للمسوحات الفردية مميزات كما تكون لها عيوب. ومن مميزات مسوحات الفرد الواحد:

أ ـ بساطة وقلة تكاليف الاستعانة والتعامل مع فرد واحد.

ب ـ من السهل معالجة التحيزات الفردية وعدم موضوعية الأحكام لدى فرد واحد عنه فى حالة الجماعة.

ج ـ الخبير الواحد صاحب الخبرة العريضة العظيمة يقدم عادة مسحًا عظيمًا مع التوفير فى الوقت والمال واتساق المسح.

بيد أن المسح الفردى له كذلك وجوه الظل التى تكتنفه ومنها:

١ ـ قد تكون المكتبة التى يقوم الفرد بمسحها مكتبة بحث كبيرة، والمشكلة أكبر وأعقد من أن يقوم فرد واحد بها: جمعًا للمادة وتحليلاً لها واقتراحات لحلها. وليس هناك فى الواقع سوى عدد محدود من الأفراد هم الذين يستطيعون القيام بالدراسات اللازمة لمثل هذه المواقف بمفردهم.

٢ ـ ليس للخبير الفرد فرصة مراجعة قراراته وأحكامه ومناقشتها مع آخرين، ومن ثم فإنه يفتقر إلى تبادل الأفكار والآراء مع الآخرين.

ولكن على الجانب الآخر هناك المسوحات الجماعية التى يقوم بها فريق عمل أو لجنة عمل وقد تفرض طبيعة المكتبة المدروسة أو المجال الممسوح تضافر جهود عدد من الأشخاص لإنجاز المسح وهناك مثل يقول عقلان أفضل من عقل واحد، حيث لا ينتج عنهما فقط جو خصب من النقاش والحوار بل يكون هناك كذلك حصن ضد التحيز وقصور الخبرة. ويمكن أن تندمج فى فريق العمل خبراء من مجالات متعددة يتكاملون فيما بينهم.

ومن مميزات المسوحات الجماعية:

١ ـ أن الفريق يضم تشكيلة رائعة من الخلفيات والمعلومات والخبرات مما ييسر تبادل الأفكار والأحكام والآراء.

٢ ـ أن العمل الجماعى قد يضمن السرعة فى الإنجاز والدقة فى الأداء.

ولكن من عيوب المسوحات الجماعية:

١ ـ ارتفاع التكاليف.

٢ ـ قد يكون وجود فريق عمل خارجى مدعاة لاستياء الموظفين فى المكتبة.

٣ ـ عدم اتساق الصيغة النهائية للمسح إذا لم تراجع وتحدد من قبل شخص واحد.

ومهما يكن من أمر العيوب فإن مميزاتها أكثر وتغطى على عيوبها فى المدى البعيد.

مشكلات المسوحات المكتبية:

المشكلات التى يواجهها القائمون على المسح تختلف حتمًا من مكتبة إلى مكتبة. وعندما تتم دراسة موقف مكتبة ما بالكامل فإن شبكة المشكلات كلها تتداعى فى هذه الدراسة. ونأتى فيما يلى على أهم المشكلات التى تواجه القائمين على المسح موزعة على المجالات الممسوحة بعض المسوحات قد تقتصر على مجال واحد أو مجموعة محددة من المجالات. والمشكلات المطروحة فيما بعد قد تعالج كل على حدة أو قد

تعالج كأجزاء فى مسح عام. فالمسح قد يقتصر على الفهرسة وقد ينصرف إلى الإعارة، أو ينصب على المجموعات وحدها . . وذلك بناء على احتياجات كل مكتبة:

أ ـ تاريخ وخلفية المكتبة:

هذه نقطة ليست جوهرية فى المسوحات المكتبية ولا تطرح وحدها فى مسح قائم بذاته، بل قد تكون مجرد قسم أو جزء فى مسح عام شامل عن المكتبة أو شبكة المكتبات لمجرد معرفة وتقصى انعكاس الماضى على الحاضر. وعادة ما نحصل على تلك البيانات من التقارير والسجلات وأى مادة منشورة ومن الوثائق المختلفة. ومن المتفق عليه أن مشكلات اليوم إن هى إلا نتيجة لأخطاء ممارسات الأمس، وأخطاء اليوم سوف تسفر عن مشكلات الغد.

ب ـ التشريعات واللوائح:

من أهم النقاط التى تسعى المسوحات إلى تحليلها موضوع التشريعات واللوائح التى تحكم العلاقة بين المكتبة والجهة التى تتبعها كما تحكم العلاقة بين العاملين والمكتبة وبين العاملين بعضهم البعض وبين المكتبة والمستفيدين منها. وكم عانت بعض المكتبات بسبب عدم وجود تشريع يحدد مكانتها ويحدد مسئوليات العاملين فيها ويوصف عملهم والتشكيل المكتبى يصبح بكل تأكيد أكثر قوة وأكثر فعالية لو كان هناك تشريع يحدد الإجراءات ويحدد اللجان والمجالس والدور المنوط بكل منها وحدوده وسلطاته، ويحدد التمويل ومصادره ووجوه إنفاقه وغير ذلك من المسائل التى لابد من وضع خطوطها الفاصلة. إن سلطة ومكانة أمين المكتبة يجب أن تحدد بوضوح.

ج ـ الإدارة المالية:

التمويل هو أساس وجود المكتبة. ومن الطبيعى أن تتطرق المسوحات إلى عملية التمويل الأصلى والإضافى. لابد أن تتناول مصادر التمويل العامة أو الخاصة وفرص تنمية الموارد. كذلك لابد وأن تتناول وجوه إنفاق الميزانية. وتتعرض مسوحات إدارة الأموال بالتبعية إلى طرق مسك الدفاتر والمحاسبة والسجلات وإعداد التقارير. وقد

ناقش جون همفرى هذه الجزئية باستفاضة فى دراسة له بعنوان: «مسوحات إدارة المكتبات: الميزانية والتمويل» سنة ١٩٦٧.

د ـ الإدارة والتنظيم:

إحدى بقع الاضطراب الحقيقى فى المكتبات هى سوء التنظيم وسوء الإدارة. وتهتم مسوحات المكتبات بدراسة طبيعة الهيكل التنظيمى ككل: تخطيط واضح لأهداف المكتبة، فئات المناصب الإدارية المطلوبة ومسئولياتها المحددة، عدد وطبيعة المناصب الفنية والكتابية والعمالية... المطلوبة لكى تقوم المكتبة بعملها. وتوزيع تلك المناصب على الهيكل التنظيمى لها. ومن الضرورى وجود توصيف لوظائف ومهام كل شخص بعينه فى المكتبة. ولقد قام ستيفن مكارثى بدراسة هذه الجزئية بالتفصيل ووضع مرئياته وخبراته الشخصية فيما يتعلق بمسح التنظيم الإدارى والتدبير فى المكتبات وخلص إلى أن المبادىء العامة للإدارة والتنظيم الإدارى تنسحب على المكتبات انسحابها على المؤسسات الأخرى التى تضم عدداً كبيراً نسبيًا من الأفراد. وقد سجل مكارثى ذلك فى دراسته «التنظيم الإدارى والإدارة فى المكتبات» سنة ١٩٦٧.

هـ ـ العمليات الفنية:

يعتبر الروتين مسألة ذات أهمية خاصة فى إدارة عمليات الفهرسة والتصنيف والتزويد والتجليد والاستنساخ والميكنة. وحتى فى المكتبات الصغيرة يكون هناك فاقد كبير عندما نستخدم المهنيين فى القيام بالأعمال الكتابية بل حتى عندما نستخدم المساعد المهنى فى هذا العمل الكتابى. وفى العمليات الفنية الكبيرة مثل التزويد والتسجيل والفهرسة والتصنيف يكون من الضرورى استخدام مكتبيين من ذوى الخلفيات الموضوعية ومن ذوى السيطرة على اللغات المختلفة. والعمليات الفنية يجب أن تُؤدَّى بطريقة فعالة وتسلسل يحقق انسياب العمل بطريقة سهلة واقتصادية وسريعة ومتقنة فى آن واحد. ولابد أن نعرف أن العمليات الفنية البطيئة والروتين المعوج هى السبب الأول فى فشل أى مكتبة فى تقديم خدمة مكتبية فعالة. وقد كشفت المسوحات المكتبية عن وجود علاقة وثيقة بين فشل العمليات الفنية وفشل الخدمة المكتبية فى أية مكتبة.

و ـ الخدمات المكتبية:

تتنوع الخدمات المقدمة للقراء وتتفاوت من مكتبة إلى أخرى ومن بين الخدمات ذات الاهتمام الواسع من جانب الدراسات المسحية: الخدمات المرجعية، الإعارة، الإعارة البينية، تيسير الاطلاع الداخلى، الخدمات البيليوجرافية، خدمات البث الانتقائى للمعلومات، الإحاطة الجارية، التصوير والاستنساخ، خدمات حجز الكتب، خدمات الفئات الخاصة، تدريب المستفيدين؛ الاتصال بقواعد البيانات. وهذا القطاع قد يمسح برمته وقد تمسح فيه خدمة واحدة بعينها.

ز ـ الموظفون:

القوى العاملة هى أهم ما فى المكتبة ومهما فَخُمت المبانى وعَظُمت المجموعات، فإنها بدون موظفين أكفاء قادرين على إدارتها واستخراج أعظم ما فيها قد تصبح مخزنًا للمواد ليس إلا. ومن هنا تعطى المسوحات أهمية كبيرة لمشكلاتهم: تنظيمهم، عددهم، تأهيلهم، تدريبهم، عزل الأنشطة المهنية عن الكتابية، ظروف العمل، معدلات الأجور، مكاتبهم، معنوياتهم... إن مؤهلات الموظفين فى علاقتها بنوع العمل الذى يقومون به، والحاجة إلى تخصصات موضوعية وسيطرة على اللغات.. هذه كلها مسائل أساسية فى أنواع معينة من المكتبات. ويدخل هنا أيضًا قضايا الحوافز والتأمين الصحى والأجازة المرضية والمعاشات والتأمينات الاجتماعية والأجازات الاعتيادية. دور أمين المكتبة فى وضع سياسات العمل فى المكتبة. وقد قام لويل مارتين بتغطية هذه النقطة بعمق فى دراسة له بعنوان «الموظفون فى مسوحات المكتبات» سنة ١٩٦٧.

ح ـ المجموعات:

تحتاج المجموعات إلى مسوحات مستمرة وذلك للاطمئنان إلى وفائها باحتياجات المستفيدين حتى لا تتحول المكتبة بعد فترة إلى كتب بدون قراء وقراء بدون كتب. والمسوحات هنا تهدف إلى التوفيق بين المجموعات والمستفيدين من جهة وبين المجموعات وتمويل شرائها من جهة ثانية. إن توزيع المخصصات المالية بين المطبوعات وغير المطبوعات هو أمر لابد من النظر فيه بعين الاعتبار، وداخل كل فئة على

الأشكال والمجالات أيضًا. إن سياسات الاختيار ومسئولية الاختيار ونقاط القوة والضعف فى المجموعات والاستبعاد والتنقية هى جميعًا من الأمور الهامة فى مسح المجموعات. وقد توفر على دراسة هذه النقطة بالتفصيل إدوين ويليامز فى بحثه عن «مسح المجموعات» سنة ١٩٦٧.

ط ـ استخدام المكتبة:

التقييم الحقيقى للمكتبة إنما يتحقق من دراسة مدى الإفادة منها ومن الخدمات التى تقدمها. والدراسة المسحية يجب أن تكشف عن من يستخدم المكتبة وإلى أى مدى وعدد مرات استخدام فئات مصادر المعلومات أو مصادر بعينها. ولابد أن يدخل هنا العوامل التى تؤثر فى الاستخدام مثل سهولة الوصول إلى الكتب، طرق التدريس (بالنسبة للمدارس والجامعات)، قواعد الإعارة. ويدخل فى المسح أيضًا مدى رضاء المستفيدين عن الخدمة المكتبية والمعوقات التى تعوق إفادتهم الكاملة من المكتبة. ويشير ليون كارنوفسكى إلى نقاط الضعف فى قياسات استخدام المكتبة ورغم أنه كتبها منذ ثلاثين سنة مضت إلا أنها ماتزال قائمة ويمكن الرجوع إلى دراسته العظيمة فى هذا الصدد: «مسح استخدام المصادر والتسهيلات المكتبية» سنة ١٩٦٧.

ى ـ المبانى والتجهيزات:

تعتبر مشكلات المبانى والتجهيزات من المشاكل الضاغطة الآخذة بخناق معظم المكتبات، ذلك أن الافتقار إلى مساحات كافية للكتب والقراء والموظفين هو السمة الغالبة الآن. ويواجه القائمون على المسوحات بضرورة مراجعة المخططات الجديدة للمبانى الجديدة أو ضرورة إعداد توسعات وتجديدات فى المبانى القائمة. وكثير من الخبراء الذين يقومون بتلك الدراسات المسحية ليسوا مخولين بوضع تصميم لمبنى جديد وإنما ينصب جهدهم على تحين أداء المبنى الحالى مثل الاستغلال الأمثل للبدروم وشراء أثاثات وتجهيزات أكثر مواءمة، التخزين المضغوط للمجموعات، تركيب نظم إضاءة وتهوية عصرية وتكييف قوى، إعادة دهان وطلاء الجدران بما يعطى إحساسًا بالسعة. تحميل ما يمكن تحميله من مواد ورقية على مصغرات وأقراص ليزر. ولو توفر دونالد بين على دراسة هذه النقطة بتوسع وليرجع إلى دراسته الفذة المعنونة «مسح

المبانى والتسهيلات المكتبية» سنة ١٩٦٧. وهو يرى أن التعامل مع مبانى المكتبات ومرافقها يحتاج إلى جهود متضافرة لوضع وتطوير المعايير الملائمة فى هذا الصدد.

ك ـ التعاون:

يعتبر التعاون فى مجالات العمل المكتبى المختلفة من بين النقاط الأساسية فى المسوح المكتبية؛ لأن التعاون والتنسيق إنما يؤديان فى النهاية إلى اقتصاد فى الوقت والمال والجهد وتوفير مناخ أفضل للخدمة المكتبية. ومن أهم مجالات التعاون، الإعداد الفنى من فهرسة وتصنيف وتحليل موضوعى، التزويد، الميكنة. والدراسات المسحية عمومًا تسعى إلى تصميم برنامج للتعاون من أجل الاستغلال الأمثل للموارد المالية المتاحة عن طريق: التخصص فى التزويد، برامج التبادل، نظم التزويد والفهرسة المركزية، مكتبات التخزين التعاونية للمواد قليلة الاستخدام؛ الخدمات المكتبية المشتركة لكل المنتفعين من شبكة مكتبات معينة، وكذلك الاشتراك فى تأسيس شبكات المكتبات والمعلومات.

طرق إجراء المسوحات المكتبية:

تستفيد المسوحات المكتبية من كل مناهج البحث العلمى المعروفة: التاريخى، الميدانى، دراسة الحالة، الببليوجرافى الببليومترى بل وأحيانًا المنهج التجريبى كما نعلم ولكن أهم أدوات المسوحات المكتبية هى الوثائق والتحليل الإحصائى والاستبيانات وقوائم المراجعة والزيارات الميدانية والمقابلات والملاحظة وجمع البيانات المتخصصة لأغراض محددة. كل هذه الطرق وكل تلك الأدوات تصلح مداخل تساعد القائم على المسح فى جمع وتركيب وتحليل وتأويل البيانات اللازمة لحل المشاكل الضاغطة بقصد تحسين الأوضاع القائمة، أو تصحيح أوضاع خاطئة أو التخطيط للمستقبل. والطرق التى يستخدمها القائمون على المسح سواء كانوا من بين موظفى المكتبة أو من بين الخبراء وبيوت الخبرة الخارجيين، تختلف حتمًا حسب نوع المسح (كلى أو جزئى)، وحسب المجال الذى يمسح وحسب المخصصات المالية المتوافرة والوقت المحدد للدراسة والعمق الذى يحدد للدراسة. وسواء كانت الدراسة سريعة مختصرة تتطلب أيامًا قليلة وتقريرًا غير رسمى أو كانت دراسة مستفيضة شاملة تتطلب تقريرًا ضخمًا فإنها

بالضرورة تتطلب استخدام نفس المناهج والأدوات كالمقابلة الشخصية والاستبيان والملاحظة. . . ولابد للباحث من أن يراجع البيانات الجارية على المصادر الإحصائية والبيانات المنشورة والبيانات هذه قد تتعلق برصيد المجموعات والإضافات السنوية والميزانيات والموظفين والإنتاجية والخدمات من كل نوع.

وفى أية مهنة تبحث عن رفع مستوى الأداء لأعضائها فإن من الضرورى وضع خطوط ومبادىء إرشادية ومعايير وإتاحتها للممارسين ونحمد الله أن جل جوانب العمل المكتبى فى نهاية القرن العشرين تحكمه معايير وتضبطه خطوط ممارسة. ولابد من استخدام هذه المعايير والأسس فى الدراسات المسحية كلما كان ذلك ملائمًا حيث أن هذه المعايير لم تعد تكتفى بالمستوى الوطنى فقط بل امتدت الآن إلى المستوى العالمى ككل وعندما نتبع هذه المعايير فإن المقارنات الكمية تصبح سهلة ميسورة فالمعايير فى معظمها هى معايير كمية عددية.

ويمكن جمع البيانات كذلك عن طريق الملاحظات التى يقوم بها الباحثون بأنفسهم. وفى كثير من الأحيان يتطلب الأمر تخصيص وقت لملاحظة العمليات والخدمات والأجهزة. ومن المؤكد أنه فى حالة الافتقار إلى البيانات المكتوبة والسجلات المدونة حول العوامل المدروسة فإن الملاحظات الدقيقة تسد هذا النقص. والملاحظة المتكررة قد تكون مفيدة فى الكشف عن العلاقات التى طال تجاهلها. وفى الطرق التى تتطلب المناقشات والملاحظات يكون استخدام كاميرات الفيديو وأجهزة التسجيل الصوتى من الأمور المفيدة فى المواضع الملائمة.

والبيانات الشخصية عن الموظفين قد تكون متوافرة فى سجلات المكتبة ويمكن كذلك جمعها من خلال استمارة بحث أو استبيان. ويمكن إعداد هذه الاستمارات والاستبيانات بعد الرجوع إلى كتب مناهج البحث المختلفة فى المجال لمعرفة المشاكل وأوجه القصور التى تنطوى عليها. ولأنها من أدوات البحث الأساسية فلابد أن تعد بدقة وتوزع بدقة وتحلل بياناتها أيضًا بدقة. وكثير من الباحثين قد يستخدمون الاستبيانات وقوائم المراجعة التى أعدت لنفس الفرض فى مسوحات أخرى. وعلى سبيل المثال فإن بطارية الاستبيانات التى صممت لمسح مكتبات جامعة كولومبيا سنة

١٩٥٧ تم تطبيقها فى مسح مكتبات جامعات أخرى ومازال يستخدم. ويمكن تكييف مثل هذه الاستبيانات لتطبيقها على مكتبة واحدة. ومن المعروف أن استخدام قوائم المراجعة إنما يتم على نطاق أضيق من نطاق الاستبيانات. وغالبًا ما تنجح قوائم المراجعة فى حالة مسح القوى العاملة ومسح العمليات الفنية. ومن أساسيات مناهج البحث تجريب قوائم المراجعة والاستبيانات قبل توزيعها على المجموعات الكبيرة من مجتمع البحث. ومن الجدير بالذكر أن قوائم المراجعة والاستبيانات أصبحت اليوم بين الأطر التى يقوم الحاسب الآلى بتحليل بياناتها.

وتستخدم المقابلات الشخصية كأداة هامة فى متابعة الاستبيانات وقوائم المراجعة وكذلك للحصول على آراء وتعليقات منفردة من أشخاص لا يدخلون فى حيز الاستبيانات، وفى جعل القائم على المسح فى وضع أفضل لتقييم الأشخاص المساهمين فى حدوث الظاهرة؛ وفى مناقشة الحقائق مع أشخاص لا يسهل عليهم عادة التعامل مع الاستبيانات. والباحث الفطن يمكنه معرفة الصدق والحقيقة عندما يتحدث إلى الموظفين المختلفين حول نفس الموضوع. إن المقابلة يمكن أن تتم مع الموظفين من كل المستويات.

ومن المؤكد أن الوثائق التسجيلية تعتبر أداة هامة فى المسوحات المكتبية عندما يتعلق الأمر بنقاط مثل التنظيم الإدارى للمكتبة، إدارة المكتبة، التشريعات واللوائح المكتبية، التمويل، القوى العاملة، العمليات الروتينية. إن استخدام مثل هذه المواد فى المسوحات المكتبية وخاصة عند تكوين الخلفية التى أدت إلى الوضع الراهن، إنما يتطلب التبصير والاستبطان فى سبيل استجلاء الحقائق الكامنة خلف مشكلة معينة والباحث الحصيف يجب أن يكون حذراً فى قبوله للحقائق التى تمده بها الوثائق التسجيلية هذه ويجب أن يعارضها مع مصادر أخرى. ولا ينبغى أن يتسرع فى استخلاص نتائج متسرعة من بيانات ومعلومات غير كافية موجودة فى التقارير والوثائق وبيان السياسات ومحاضر الاجتماعات والدراسات والمسوحات السابقة والتقارير السنوية والأدلة والتخطيطات والمخططات الإجرائية والنماذج وسجلات الإنتاج، ولكن الباحث يجب أن يستخدم هذه الوثائق التسجيلية فى إطارها الصحيح وسياقها المناسب. ومدى فائدة هذه البيانات إنما تعتمد على مدى الصدق فيها ومدى الثبات؛ وهما معاً يتقرران على يد الباحث بحسه الإحصائى المرهف.

وفى سياق العمليات اليومية الروتينية، يمكن توليد كميات كبيرة من البيانات من خلال مسك السجلات واليوميات أو توثيق الإنجازات. كذلك فإن الملاحظة المباشرة من جانب الباحث نفسه قد يتولد عنها المزيد من البيانات.

وفى بعض الأحيان يصبح من الضرورى توليد بيانات متخصصة. فثمة إحصائيات وبيانات جغرافية وغيرها لا يمكن الحصول عليها جاهزة ومن هنا يطلب إلى الموظفين إعدادها. وهنا أيضًا قد يحسن استخدام طرق الإدارة العلمية، تحليل النظم، بحوث العمليات. وفى بعض الدراسات المسحية على قلتها نجد دراسات الوقت والحركة لمختلف الأنشطة فى العمليات الفنية وخدمات القراء.

قيود المسوحات ونتائجها:

بالإضافة إلى بعض القيود الشخصية التى تحد من قيمة المسوحات ونتائجها مثل عدم كفاءة بعض القائمين على المسح سواء من داخل المكتبة أو خارجها، وتردد كثير من موظفى المكتبة فى توجيه انتقادات حادة وعنيفة؛ هناك العديد من الانتقادات التى توجه إلى المسوحات المكتبية عمومًا من أهمها مشكلة العينة. فمن المعروف أنه من الصعب الحصول على كل الحقائق المتصلة بكل شىء وبكل شخص ومن هنا يكون من الضرورى استخدام العينة، أى عدد محدود من المفردات أو الأفراد من خلالهم يمكن التعميم على جميع المفردات أو الأفراد. وبالإضافة إلى عدم جدوى مسح كل أفراد المجتمع فى كثير من الحالات، هناك عدد من المميزات الأخرى فى نظام العينة يبرز من بينها دائمًا قضية التكاليف فى المراحل الأولى على الأقل. وبينما تحديد العينة قد يكون مكلفًا فى حد ذاته فإن التوفير الذى يحدث بعد ذلك يعوض تلك التكاليف، على النحو الذى نصادفه فى توزيع الاستبيانات وجمعها وتحليل بياناتها واستكمال نواقصها. والعينة هى فى حقيقة الأمر تمثيل تقريبى لمجتمع البحث وهى عرضة للخطأ. وحجم العينة التى نختارها يتوقف على درجة الدقة المطلوبة فى النتائج وعلى طبيعة المسح نفسه. ومشكلة العينة تتضمن على سبيل المثال: المجموعات، القوى العاملة، إنتاج الفهارس وما إلى ذلك؛ وهى تتطلب اهتمامًا خاصًا فى كل حالة على

حدة. والباحث المتمرس يجب أن يميز القيود الكامنة فى العينة حتى يستطيع أن يعمم النتائج باطمئنان.

ومن المجالات الصعبة فى الدراسة تقييم مجموعات المكتبة. وكانت قوائم مراجعة العناوين قد استخدمت على نطاق واسع فى هذا الصدد مع الكتب، الدوريات، المواد الأخرى. وكما هو معروف فرغم أن لهذا الأسلوب بعض المميزات إلا أن أية قائمة بالعناوين هى عرضة للنقد.

وفى مجال المقارنات بين المكتبات حول مسائل حجم المجموعات، نمو المجموعات، تداول المجموعات وإعارتها، إنتاج الفهارس، الخدمة المرجعية وغيرها من جوانب الخدمة المكتبية تتم هذه المقارنات عادة ويتم القياس فى إطار الإحصائيات المتاحة. وقد سبق أن عالجت باستفاضة مشكلة توحيد المفاهيم وتحديد مدلولات المصطلحات والتى قامت منظمة اليونسكو بجهد بارز فيها وكذلك الجهد الذى بذله الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات ومؤسساتها، ومنظمة المواصفات العالمية وعلى المستوى الوطنى ما تقوم به الاتحادات الوطنية المعنية مثل اتحاد المكتبات الأمريكية واتحاد المواصفات الأمريكية. ولابد أن توضع المشكلة فى الاعتبار خاصة عند المقارنة.

إن الدراسات المسحية تتطلب دعمًا ماليًا للقيام بها، وقد لا يكون هذا الدعم كافيًا وقد يكون غير ممكن أحياناً، مما يضعف المسح أو بعض جوانبه. ويميل المكتبيون ومديرو المكتبات عمومًا إلى التهوين من شأن التكاليف المطلوبة للقيام بمثل هذه المسوحات كذلك قد يعتبر الوقت المحدد لإجراء المسح من العوامل الضاغطة، حيث لابد وأن يكون هناك الوقت الكافى لإجراء الدراسة وذلك حتى تدخل المتغيرات المختلفة فى الدراسة مثل الأوقات المختلفة من العام الدراسى فى حالة المكتبات الأكاديمية، كذلك فإن عامل الوقت مطلوب بالنسبة لموظفى المكتبة ودراسة نشاطاتهم كما هو مطلوب لدراسة نشاط المستفيدين. وإذا لم تؤخذ هذه العوامل والمتغيرات فى الاعتبار فإن معطيات المسح ونتائجه قد لا تكشف عن حقيقة الواقع. إنه إذن لابد من توقيت جدول المسح على فترة زمنية طويلة حتى يكون من السهل إدراج كافة المتغيرات ولكنها من ناحية أخرى يجب ألا تطول أطول من اللازم، بحيث تكون هناك هوة ساحقة بين المتغير والنتائج التى يعطيها.

هناك مفهومان أساسيان لابد من مراعاتهما عند تخطيط المسح المكتبى هما الثبات والصدق فى الأدوات المستخدمة؛ ذلك أن الاختبارات التى تعطى نتائج متفاوته تفاوتًا كبيرًا إذا طبقت على نفس الشخص فى أوقات مختلفة أو على يد باحثين مختلفين، هذه الاختبارات لا يعول عليها حيث لا تتسم بالثبات. إنها صادقة فقط فى أنها تناسب الموقف الذى صممت من أجله، ولابد للباحث من أن يكون على ألفة بعملية التجريب حتى يقوم بها عند تخطيط المسح.

إن وضع التقرير النهائى هو الجزء الدقيق فى عملية المسح، ولابد أن يدبر المال اللازم لإصدار التقرير بالشكل المناسب وفى الوقت الملائم. ولابد أن يصاغ التقرير نفسه وينظم بطريقة منطقية وفعالة بما يساعد الأطراف المسئولة عن تنفيذ ما جاء فيه بسهولة ويجب ألا يلجأ التقرير إلى حذف أية بيانات ذات أهمية أو تقتطيع أجزاء من المعلومات فى سبيل التوفير فى نفقات النشر والإخراج. ومن جهة أخرى لا ينبغى أن يتم إخراجه وإنتاجه بشكل مبالغ فيه لمجرد جذب الانتباه وإعطاء انطباع جيد عنه. وقبل الإخراج النهائى للتقرير وطرحه للاستخدام العام من المهم أن يعرض التقرير على موظفى المكتبة لإبداء رأيهم فيه وتخليصه من أية أخطاء أو نواقص أو شوائب أو سوء تأويل. وإذا كان من الممكن فليعد العدد الكافى من النسخ من التقرير حتى يوزع على أوسع نطاق وتعم الفائدة من ورائه سواء من حيث المعلومات الواردة به أو المنهج المتبع فيه.

ومن المؤكد أن شكل التقرير النهائى يختلف من مكتبة إلى أخرى ومن غرض لآخر وربما كان أحسن مرشد إلى كتابة تقرير المسح هو ذلك الذى أصدره مكتب الإحصاء فى الأمم المتحدة سنة ١٩٦٤ وهو «توصيات حول إعداد تقارير المسوحات».

ولا يستطيع المرء أن يقطع بأن إصلاح المكتبة إنما يتأتى بمجرد وضع تقرير المسح، ذلك أن هناك عوامل وقوى أخرى تساعد فى هذا السبيل منها الرغبة فى الإصلاح والتى تسبق المسح وتؤدى إليه. وهناك الدوافع الإدارية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية التى تدفع إلى القيام بالمسح والتخطيط له، ويبقى بعد ذلك الاتفاق العام على ضرورة تنفيذ النتائج الإيجابية التى توصل إليها التقرير وإمكانية أن يؤدى تنفيذها

إلى تغيير الموقف العام داخل المكتبة. لقد قام لويس راوند ويلسون سنة ١٩٤٧ بوضع دراسة طيبة حول مسح المكتبات الجامعية، ويتضح منها أن الإصلاح فى المكتبات الجامعية يتأتى نتيجة عوامل عديدة وضغوط متنوعة. وقد توصل ويلسون إلى أن المسوحات المكتبية تنجح فى المكتبات الجامعية فى اتجاهات شتى من بينها:

١ - تفتح تلك المسوحات قنوات شتى من المعلومات حول المكتبة.

٢ - تفتق تلك المسوحات أذهان المسئولين وتفتح عيونهم حول وظائف المكتبة ودورها فى التعليم والبحث.

٣ - تساعد تلك المسوحات فى رسم سياسة للمكتبة.

٤ - تساعد فى وضع برنامج عمل وتنفيذ.

٥ - تساعد فى زيادة دعم المكتبة وجلب المخصصات المالية لها.

٦ - تساعد تلك المسوحات فى حل مشاكل محددة.

٧ - تحفز تلك المسوحات موظفى المكتبة وتشحذ هممهم نحو الجد والعمل.

وفى سنة ١٩٦١ قام إ. إريكسون بإعداد دراسة طريفة عن نتائج اثنى عشر مسحًا تمت فى مكتبات كليات وجامعات. وقد قام بفحص واختبار التوصيات التى وردت فى تلك المسوحات وعددها ٧٧٥ توصية، فوجد أن ٦٠٪ من هذه التوصيات قد تم تنفيذها كلية أو إلى حد كبير، وأن ١٠٪ فقط لم يتفذ منها إلا جزء يسير، وأن ١٥٪ لم تنفذ حيث وجدت المكتبات أن تنفيذها لن يؤثر البتة فى تحسين الأوضاع. ونخلص من عرض إريكسون إلى أن هناك بطبيعة الحال فروقًا بين التوصيات من حيث القيمة ومن حيث إمكانية التنفيذ. ومن الطبيعى أن تعطى التوصيات الهامة اهتمامًا أكبر من التوصيات الأقل أهمية. وقد يكون من الصعب أن نتتبع آثار المسوحات على تطوير العمل فى المكتبات إلا إذا سجلت كل مكتبة بصدق وأمانة تلك الآثار. فقد يحدث أن يتراخى الموظف المسئول عن تنفيذ التوصيات الخاصة به بدقة وإخلاص على النحو الذى قصده المسح.

وحتى بعد تنفيذ ما يجىء فى المسوحات من توصيات فإن التطور الطبيعى للمكتبة

بعد ذلك مستقبلاً سوف يجلب معه مشاكل جديدة ومواقف جديدة تستدعى مسوحات جديدة فالمكتبة كما يقول رانجاناثان كائن حى ينمو ويتطور، ومن هذا المنطلق فإن المسوحات سوف تستمر مع المكتبات بلا نهاية وبلا حد. ولابد وأن ندرك أن المسوحات ليست هى الترياق أو البلسم الشافى من كل داء بل لابد أن يكون هناك وعى من جانب إدارة المكتبة ومن جانب أمناء المكتبة بضرورة حل المشاكل أولاً بأول وعدم تركها تتراكم وتتصاعد. إن طبيعة تنفيذ التوصيات والمرونة فى تطبيق الحلول هى التى تقرر مدى نجاح المسح فى تحقيق أهدافه.

المصادر:

- Baldwin, Emma. "The value of a survey".- in .- Wilson Library Bulletin . vol. 21, June 1947. pp 731 - 733.

- Bean, Donald. Survey of library buildings and facilities.- in .- Library surveys/ edt. by Maurice Tauber and Irlene R. Stephens .- New York: Columbia University Press, 1967. pp 90 - 108.

- Carnovsky, Leon. Survey of the use of library resources and facilities.- in .- library surveys/ edt. by Maurice Tauber and Irlene Stephens .- New York: Columbia University Press, 1967. pp 71 - 89.

- Erickson, E. W. College and university library surveys: 1938 - 1952. Chicago: A. L. A., 1961 (ACRL monogroph; no 25).

- Evans, Evelyn. "Meeting of experts on national planning of libraries". vol. 22, may - June 1965. p 177.

- Humphry, John. Survey of library administration: budget and finance .- in .- Library Surveys/ edt. by Maurice Tauber and Irlene Stephens .- New York: Columbia Universty Press, 1967. pp 109 - 122.

- Line, Maurice . Library Surveys: an introduction to their use, planning,

procedure and presentation .- London: Bengley, 1967.

- Lowe, John. "The Library survey" .- **in** .- Canadian Library Association Bulletin. vol. 2, October 1954.

- Lyle, Guy. An exploration into the origins and evolution of the library survey .- **in** .- Library surveys/ edt. by Maurice Tauber and Irlene Stephens .- New York: Columbia University Press, 1967. pp 3 - 22.

- Martin, Lowell. Personnel in library surveys .- **in** .- Library surveys/ edt. by Maurice Touber and Irlene Stephens .- New York: Columbia University Press, 1967. pp 124 - 125.

- Metcalf, K. D. Report on the Harvard University Library: a study of present and prospective problems .- Cambridge: Harvard University, 1955.

- Penna, Carlos V. "Financing of library and documentation services" .- **in** .- UNESCO Bulletin for Libraries .vol. 22, sept .- oct., 1968. pp 229 - 235.

- Penna, Carlos V. "Planning library services".- **in** .- UNESCO Bulletin for Libaries . vol. 21, March - April, 1967. p 80.

- Swank, R.C. Evaluation of American University libraries .- **in** .- University and Research Libraries in Japan and The United States: Proceedings of the first Japan - United States Conference on Libraries and Information Science in Higher Education .- Chicago. A. L. A., 1972.

- Tauber, Maurice and C. D. Cook and R. H. Lagsdon .The Columbia University Libraries. New York: Columbia University Press, 1958.

- Tauber, Maurice and Irlene R. Stephens (edts). Library Surveys .- New York: Columbia University Press, 1967.

- Wheeler, J. L. and H. Goldhor. Practical administration of public libraries .- New York: Harper and Row, 1962.

- Williams, Edwin . Surveying Library Collections .- **in** .- Library Surveys/ edt. by Maurice Tauber and Irlene Stephens .- New York: Columbia University Press, 1967. pp 23 - 45.

- Wilson, Louis Round. "The University Library Survey: its results .- **in** .- College and Research Libraries .vol. 8, July 1947. pp 368 - 375.

-UNESCO. Availability and comparability of library statistics .- Paris: UNESCO, 1953.

- UNESCO. International Standardization of Library Statistics .- Paris: UNESCO, 1969.

- Zaragoza, Vicente. "Planning of library and documentation services" .- **in** .- UNESCO Bulletin for Libraries . vol. 22, July - August, 1968. pp 166 - 172.

أحمد خليفة السويدى

Ahmad Khalifah Al - Sowaidi

رجل دولة إماراتى، ولد فى أبو ظبى سنة ١٩٣٧، تزوج وعمره عشرون عامًا فى سنة ١٩٥٧ . حصل على بكالوريوس فى الاقتصاد والعلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى جامعة القاهرة. له ستة أولاد وتقلد عدة مناصب مختلفة فى دولة الإمارات من بينها وزير الدولة لشئون الحاكم سنة ١٩٧١ ثم وزيرًا للخارجية سنة ١٩٧٢ ثم مستشارًا لرئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وهو الآن رئيس مجلس إدارة بنك أبو ظبى الوطنى والمشرف العام على المجمّع الثقافى ومركز الوثائق والدراسات فى أبو ظبى. وقد نقل هذا المجمع والمركز نقلة حضارية وفكرية واسعة.

أحمد أنور عمر ١٩٢٠-١٩٩٢

Ahmad Anwar Omar 1920 - 1992

الاسم:

أحمد أنور عبد الرحمن عمر عبد الواحد حسين على.

المولد:

من مواليد أبو حماد شرقية فى ٤ يناير سنة ١٩٢٠.

الأسرة:

من أسرة عمر عبد الواحد من أعيان الشرقية وكانت «العمُدية» فى بعض أفراد أسرته بالشرقية.

الوالد:

كان ناظرًا لمحطة سكة حديد ولذلك كان والده يتنقل كثيرًا بين مدن المحافظة ويسكن فى سكن حكومى كبير على محطة السكة الحديد ولذلك كانت لعبته المفضلة هى ركوب القطار بين المحطات المختلفة. وكان عمال القطار يساعدونه هو وأخاه أمين على ذلك حتى وشى بهما أحد الموظفين عند والده وكانت «علقة» لا ينساها الشقيقان أولاد حضرة الناظر.

الأم:

السيدة نبيهة إبراهيم كحيل وكان والدها تاجر أخشاب وشقيقاها الأستاذ أمين بك كحيل مدير الجامعة الشعبية والأستاذ محمد كحيل مدرساً بالهندسة التطبيقية وكان الاثنان قد أُرسلا فى بعثة إلى انجلترا لتفوقهما فى الدراسة ولذلك كانت الأسرة كلها تقريبًا متفوقة دراسياً. وكان عمه الأستاذ عبد الفتاح بك لطفى المستشار بالقضاء ومحامى الملكة فريدة وحما الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة الأسبق وابن خاله الأستاذ على كحيل مدير دار الكتب.

الأشقاء:

الأستاذ محمد عبد الرحمن عمر القاضى ثم المحامى بالزقازيق ونقيب المحامين بالشرقية، ثم شقيقه اللواء أمين عمر محافظ أسوان فى أثناء بناء السد العالى ثم محافظ الإسماعيلية فى اثناء حرب ١٩٧٣.

التعليم:

تلقى تعليمه الابتدائى فى مدارس الشرقية ثم جاء والده إلى القاهرة بعد المعاش فدخل مدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا حيث سكنوا فى شارع مستشفى كتشنر فى بيت الحاج محمود وهو بناء كبير على الطراز العربى مكون من جناحين يتوسطهما جامع يعرف بجامع الحاج محمود ومازال قائماً حتى الآن. وهو نفس البيت الذى تزوج فيه ثم جاء إلى الجامعة والتحق بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة وتخرج سنة ١٩٤٠ وهو لم يبلغ العشرين من عمره وكان متفوقاً طوال دراسته منذ الابتدائى حتى الجامعة إذ حصل على الليسانس بمرتبة الشرف الأولى وكان أول دفعته ثم التحق بمعهد التربية العالى وحصل منه على الدبلوم ثم عمل مدرسًا بمدرسة فى العياط ولم يستمر فيها إلا قليلاً حتى سافر إلى العراق وعاد من العراق إلى وزارة التربية والتعليم وحاول التسجيل للماجستير فى قسم اللغة الإنجليزية ولم تنجح المحاولة.

البعثة:

وفى هذه الأثناء رشح لبعثة إلى أمريكا لدراسة علوم المكتبات وهى بعثة لأول مرة فى تاريخ مصر وسافر مع مجموعة كبيرة من نوابغ مصر منهم الدكتور أنور المفتى والدكتور حسن الحفناوى وغيرهم. وكانت هذه أول بعثة تخرج من مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وكان سفره إلى ميتشجان حيث حصل على الماجستير بأعلى الدرجات فى علم المكتبات وكان يتفوق على كل الجنسيات حتى الأمريكان ثم حصل على دبلوم من الجامعة الكاثوليكية، أيضاً فى نفس تخصص المكتبات وكان مفروضًا

أن تبقى البعثة كلها حتى تستكمل الدكتوراه ولكن رغبة الملكة نازلى فى السفر إلى أمريكا هى وبناتها بعد وفاة زوجها الملك فؤاد حالت دون بقاء البعثة فى أمريكا فرجعت البعثة ومعهم أنور عمر بدون درجة الدكتوراه.

الوظيفة:

عاد الأستاذ أنور عمر من أمريكا وعين موظفًا درجة خامسة فى مكتبة جامعة القاهرة وحاربه موظفو المكتبة من غير المتخصصين ولم يستسلم هو بل رفع قضية على الجامعة وكان محاميه فيها الأستاذ فتحى رضوان وكسب القضية واسندت إليه وظيفة رئيس قسم التبادل والمراجع بمكتبة جامعة القاهرة. وهجا إدارة المستخدمين بالجامعة بقصيدة ظريفة إذ كانت هواية الشعر من أجمل هواياته؛ فقد كتب شعرًا عاطفيًا فى شبابه الأول ثم شعرًا وطنياً فى أثناء سفره إلى أمريكا وسمع له الشاعر القدير إيليا أبو ماضى فأعجب بالشاب المصرى النابغة وشعره وأهداه ديوانه بخط يده ووقع عليه واستمر فى منصبه وتبادل المطبوعات مع كل جامعات العالم.

فى معهد المكتبات:

وكانت جامعة القاهرة قد افتتحت المعهد العالى فى الوثائق والمكتبات الذى تحول إلى قسم المكتبات بكلية الآداب وعين فيه الأستاذ أنور عمر مدرساً به استثناء من وجوب حصوله على درجة الدكتوراه حتى يحصل عليها ـ وفعلاً سجل للدكتوراه التى طاف من أجلها مدن الدولة فى كل المحافظات مدينة أو أكثر ونال درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف مع التوصية بطبعها على نفقه الدولة (ولو أن ذلك لم يحدث). وكان المشرف على الرسالة الدكتور حمدى البكرى رئيس قسم الوثائق والمكتبات والأستاذان الخارجيان هما الدكتور حسن الساعاتى والدكتور محمود الشنيطى ومن الطريف أن الدكتور أنور بعد أن انتهى من الرسالة كان عليه أن ينتظر ستة أشهر قبل أن يستطيع المناقشة حتى يتمكن الدكتور محمود الشنيطى وكان يدرس للدكتوراه بأمريكا حتى ينتهى من مناقشة رسالته هو ثم يمكنه الاشتراك فى مناقشة رسالة الدكتور أنور عمر. ومن طرائف المدة التى قضاها فى الإعداد للرسالة أنه انفرد بحجرة مكتبه وأغلق بابها

من الداخل وكان الباب من الخشب وبه فتحة زجاجية مربعة فى أعلاه فأخرج الزجاج وكانت وسيلة الاتصال الوحيدة بينه وبين أسرته هى هذه الفتحة منها يتلقى فناجين القهوة التى كان يشربها فى كوب الماء وليس فى فنجان عدة مرات فى اليوم كذلك طعامه وكل ما يحتاجه.

ومن الطريف أيضًا أنه فى أثناء التحضير للرسالة أصابته كحة شديدة ذهب من أجلها لأشهر طبيب فى مصر وقتها وهو الدكتور اسماعيل شكرى مدير مستشفى الأمراض الصدرية وعمل له فحوصًا وأشعات لم تسفر عن أى مرض وهنا يتعجب الدكتور اسماعيل ويعالجه على أنها حالة حساسية وامتدت فترة الإعداد سنوات وهو على نفس الحال والعلاج مستمر حتى جاء يوم المناقشة وأعدت زوجته الأدوية والمناديل وغيرها وذهبت معه إلى الكلية استعدادًا للمناقشة بعد أن مسحت القاهرة من شرقها إلى غربها بحثًا عن دواء كان ناقصًا من السوق ووصلوا إلى الكلية مبكرين على وقت المناقشة فقد كان حريصا جدًا على المواعيد فى أسفاره العديدة إلى درجة التطرف.

وفعلا بدأت المناقشة التى استمرت ٥ ساعات عصروه فيها عصرًا وإذا بالنتيجة امتياز مع مرتبة الشرف ولم تصبه الكحة مرة واحدة رغم أن زوجته كانت فى الصف الأول من المدرج ٧٨ بجواره وقريبه منه إلا أنه أكمل المناقشة بصورة بهرت المدعوين وغير المدعوين لحضور مناقشة أنور عمر وفى عيد العلم تلقى جائزة من الرئيس عبد الناصر على حصوله على الدكتوراه بأعلى الدرجات وكان اسمه أول من نودى عليه فى القاعة.

ثم رشح لدرجة أستاذ مساعد بالقسم وطلبه فى نفس الوقت الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة وقال له مكانك هنا جنبى ولكنه اعتذر بلطف لأنه ينتظر ترقيته لوظيفة أستاذ مساعد واستمر فى التدريس بالجامعة حتى آخر أيام حياته رغم أن ترشيحه لوظيفة أستاذ مساعد تأخرت لمصلحة أستاذ آخر.

سفرياته:

العراق

أول مرة خرج فيها من مصر كان فى عام ١٩٦٦ إذ رشح بالاسم ليشغل منصب خبير بالمكتبة المركزية فى بغداد بالعراق وسافر فعلا واستمر هناك لمدة سنتين حتى قامت ثورة العراق وعاد إلى بلده مكرمًا معززًا وإن كان كثير من المصريين قد لاقوا اهانات كثيرة هناك بعد الثورة.

قطر

فى سنة ١٩٧٢ طلب أيضًا ليعمل مديرا لمكتبة دار الكتب فى الدوحة واستمر هناك عامى ٧٢، ٧٣ وعاد فى عام ١٩٧٤ بعد أن استشهد ابنه حاتم أنور عمر فى حادث الكلية الفنية العسكرية.

السعودية

وفى أثناء وجوده فى قطر كانت المملكة العربية السعودية قد طلبت منه الذهاب إلى الرياض لتنفيذ مشروع بناء مكتبة المدينة المنورة وكانت من ضمن دراساته فى أمريكا طريقة بناء المكتبات وفعلاً ذهب إلى المدينة وعاين الأرض والمكان وعاد إلى قطر ورسم لهم المكتبة وتفاصيل بنائها على أحدث نظم بناء المكتبات وقام ببنائها ابن خالته الدكتور على رأفت - ومن الغريب أنه لم يتلق أجراً على هذا العمل وحتى لم يدع إلى افتتاح المكتبة بعد ذلك بسنوات رغم أنه كان موجودًا فى المدينة أثناء الحج ومر هو وزوجته بها يوم افتتاحها وتألم لذلك كثيراً - ولما طلبت منه أن يطالب بحقه فى ذلك رفض وقال إنى وهبت هذا العمل لحبيبى وسيدى رسول الله الكريم وهذا هو أنور عمر.

ثم كان أن طالبته السعودية بالقدوم على الرياض لإنشاء قسم للمكتبات بها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذهب فعلاً إلى هناك وأمضى بها سنتين بقيتا من إعارته إلى قطر وقام بإنشاء القسم وبقى به حتى تخرج على يديه الكثيرون وحصل على الماجستير والدكتوراه كثيرون أيضاً.

وفى عام ١٩٨٨م أحس بأنه ترك أولاده كثيرًا وتخرج أثناء ذلك ابنه الدكتور خالد أنور عمر فى كلية الطب جامعة عين شمس وحصل على الماجستير وافتتح أبوه له عيادة هو وشقيقه الدكتور ماجد أنور عمر بعد أن تخرج فى كلية طب الأسنان جامعة القاهرة وحصل على الماجستير أيضًا ـ وعمل الدكتور خالد فى مستشفى مصر للطيران ويعمل الدكتور ماجد فى أكاديمية الأسنان بمستشفى كوبرى القبة العسكرى تخصص جراحة أسنان والدكتور خالد تخصص نفسية وعصبية وله مستشفى خاص به بجوار شيراتون المطار. وكان فى أثناء عمله فى الجامعة قد سافر لحضور مؤتمرات كثيرة فى سوريا والبحرين والإمارات ونيجيريا وغيرها.

هواياته

أول هواياته هى قرض الشعر فقد كتب فى الشعر العاطفى والوطنى والهجاء والأسرة ورثى ابنه الذى مات صريعًا بثلاث رصاصات من رصاص دمدم المحرم دولياً استعماله وهو لم يبلغ التاسعة عشر ربيعًا. وكان قوى الإرادة ويتجلى ذلك فى أنه كان يدخن السجائر ولم تكن زوجته تدرى بذلك عندما خطبها ولكن فوجئت به يخرج علبة سجائره من جيبه وهما فى الكوشة فأخبرته بأنها لا تطيق رائحة السجاير فترك السجائر من يومها فى عام ١٩٥٢ رغم الإغراءات الشديدة التى كان يغريه بها أخوة زوجته الرجال وكلهم مدخنون حتى جاء وقت تحضيره لرسالة الدكتوراه فطلب من زوجته أن تتركه يدخن وفعلاً عاد للتدخين مرة أخرى ولكنه بعد أن سافر إلى قطر طلب منه أن يقدم برنامجًا إذاعيًا مدته ست دقائق اسمه (صفحة من كتاب) وفى إحدى المرات كان يقدم كتاباً عن مضار التدخين مكتوبًا بالألمانية ومترجماً إلى الإنجليزية فى ٦٠٠ صفحة وبعد أن قرأ الكتاب ولحظة قدومه أقلع هو عن التدخين نهائيًا رغم وجوده فى بلد عربى وكانت السجائر المستوردة أحسن هدية يحضرها معه لأصدقائه ومعارفه وهذا هو أنور عمر.

الزوجة

صفية عثمان فهمى ليسانس آداب قسم اللغة العربية ودبلوم تربية جامعة عين شمس

ـ برنامج مكتبات. وقد رشحت للعمل بناء عليه مفتشة مكتبات ولكن زوجها رفض ذلك لحساسية الموقف كما اجتازت دورة فى الصحافة المدرسية. وقد سجلت للماجستير بمجرد تخرجها فى الكلية مع الدكتوره سهير القلماوى وكان موضوع الرسالة «ديوان شعر لأسامة ابن منقذ الشاعر والأمير والفارس» ـ مخطوط بخط يد المؤلف. وجمعت أغلب المادة العلمية وكان له كتاب آخر اسمه كتاب الاعتبار عن تاريخ حياته الشخصية فكان بذلك أول كاتب عربى يكتب تاريخ حياته بيده ثم حدث أن تزوجت الدكتور أنور عمر فى نوفمبر سنة ١٩٥٢ وأنجبت أول أبنائها فى نهاية ١٩٥٣ وكان هو قد بدأ فى التحضير للدكتوراه ثم أنجبت ابنها الثانى فى نهاية سنة ١٩٥٤ وبذلك تحدد مصير الرسالة التى تقوم بتحضيرها وخيرت بين أن يفلح هو أو تفلح هى أو يفلح أولادهما وواضح أنه كان قد حزم أمره وكان عليها أن تضحى هى وتفرغت لتربية الأولاد وإن كانت قد رفضت ترك العمل بالتدريس حتى صمم هو أيضًا أن تأخذ معاشاً مبكرًا لتصحبه إلى السعودية وفعلت غير نادمة.

عائلة الزوجة

والد الزوجة السيد عثمان فهمى موظف كبير فى السكة الحديد ـ أخاها الأكبر أحمد سمير عثمان فهمى مدير مستخدمى القصر الجمهورى ـ عبد الفتاح عثمان مدير أحد المصانع الحربية ـ إحسان عثمان مدير مطبعة دار الكتب المصرية ـ اللواء محرم عثمان فهمى شغل مناصب كثيرة فى الثورة منها مدير مصلحة السجون ـ وقائد منطقة القاهرة وآخرها مدير الجمعية التعاونية للبترول. وابن عمها اللواء مهندس جمال الدين سيد فهمى وزير الدولة للإنتاج الحربى وابن عمتها المخرج صلاح أبو سيف ونصف عائلتها ضباط جيش وعلى رأسهم ابن شقيقها اللواء مخابرات حازم محرم عثمان.

طريقته فى التدريس

للدكتور أنور طريقة فى التدريس لم تتغير يوماً فقد كانت المحاضرة التى يلقيها فى ساعة إلا عشر دقائق يحضر لها فى ١٠ ساعات يرجع إلى الدوريات ويتابعها والكتب

والمراجع ويكتبها ثم يذهب إلى الكلية بدون أوراق ولما كانت زوجته تشفق عليه من هذا المجهود وتخبره بأن الأساتذة العظام كانوا لا يجدون حرجًا فى اصطحاب مذكرة أو أوراق كان يقول (ما ابقاش أنور عمر). وقد حضرّ عديد من الطلاب رسالات ماجستير ودكتوراه فى مصر والعالم العربى كانت تبلغ الرسالة الواحدة ٦٠٠ صفحة.

المرض

كان لهذا المجهود الضخم الذى كان يبذله أثر كبير فى اصابته بأمراض هى السكر الذى أصيب به بعد أن تأخر الإعلان عن درجة الأستاذ المساعد بعد أن حصل على درجة الدكتوراه لمصلحة بعض الأشخاص ثم صابته ذبحة صدرية نتيجة ضيق فى الشريان التاجى بعد مقتل ابنه حاتم فى حادث الكلية الفنية العسكرية. واستمرت حياته مستقرة صحيًا حتى حدث فى يوم الزلزال أن صحا من نومه فزعاً لأنه سمع فرقعة العمارة الكائنة فى مصر الجديدة التى سقطت بفعل الزلزال وذلك فى سنة ١٩٩٢ يوم ١٢ أكتوبر وبعد أيام قليلة وبعد رجوعه من صلاة الجمعة لاحظت زوجته أن فى رجله ورمًا ونصحته بإحضار طبيب فرفض وقال أنا لا أشعر بأي شيء ولكنها طلبت الطبيب الذى يسكن معهم فى نفس العمارة وفحصه وقال إن الحالة خطيرة ويتوقع أنها جلطة فى الساق وفعلاً زاره طبيب أخصائى فى الأوعية الدموية وأشار بدخوله المستشفى وفعلاً دخل وعلقوا فى ذراعه الهيبارين لمدة ١٢ يومًا وكان يبدو عليه التحسن والنشاط ولا يحس بأى آلام وفعلاً قرروا أن يغادر المستشفى بعد أن تم شفاؤه ولما نزل من سريره لكى يرتدى ملابس الخروج رأت زوجته وجهه متغيراً فسألته «مالك يا أنور» قال (أنا باموت) وفعلاً أرجعته إلى السرير وصاحت على الممرضة وجاء الأطباء ودلكوا صدره وعملوا كل ما يمكن ولكن القلب المتعب كان قد استراح وذلك فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٩٢ فكانت هذه إحدى توابع الزلزال الكبير الذى حدث فى مصر وتزلزلت حياة أسرته من يومها حتى الآن وبعد وفاته فكرت أسرته فى عمل تخليد اسمه بين طلاب المكتبات وأساتذتهم فتبرعت زوجته وأولاده بكتبه فى تخصص المكتبات إلى مكتبة الكلية بعد أن قاموا بختمها بأنها هدية من الدكتور أحمد أنور عبد الرحمن عمر أستاذ علوم المكتبات فى جامعة القاهرة كلية الآداب والذى وهب حياته ووقته وصحته لخدمة المكتبات ليس فى مصر وحدها ولكن فى الوطن

العربي كله وعلى اتساعه ففى كل بلد عربى تلميذ من تلاميذه درس عليه فى مصر أو فى إحدى الدول العربية أو درس على تلامذته من أصحاب الرسائل.

كذلك رصدت الأسرة وديعة باسمه في البنك يصرف ريعها السنوى للأول على قسم المكتبات فى كل عام. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله خيراً عما قدم للعلم من مجهود، وأسكنه فسيح جناته. ومن عجب أن زوجته عندما صرخت عندما وافته المنية جاءت الممرضة والمرضى من كل الحجرات ونظر أحد المرضى فى عينيه وقال له يا دكتور اتشاهد على روحك وفعلاً نطق بالشهادة وكان الأطباء قد حضروا مسرعين وحاولوا إنقاذه ولكن سهم الله كان قد نفذ.

وعندما مات حزن عليه كل من عرفوه ورثاه كثيرون وكانت فجيعة طلابه فيه وخسارتهم فادحة. لقد كان الرجل مخلصًا للعلم ومخلصاً فى أداء كل ما عهد إليه أداؤه.

وقد أقيم له حفل تأبين فى مدرج ٢٠٢ بكلية الآداب حضره حشد غفير من الأهل والمكتبيين وطلاب العلم تبارى كثير منهم فى تعديد مآثره والإشادة بمحاسنه مباراة من صميم الفؤاد وكان هذا الحفل فى ذكرى الأربعين لوفاته وكانت ذكرى الأربعين قد حلت فى ١٩٩٢/١٢/٣.

الإنتاج العلمى

كان للراحل المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر إنتاج علمى غزير، وهو من أوائل الذين أثروا مجال المكتبات والمعلومات بكتابات علمية أكاديمية فى هذا الصدد وهو من أوائل من حصلوا على درجة علمية في المجال من الجامعات المصرية وهو أول من حصل على درجة الدكتوراه فى التخصص فى مصر.

وقد توفر الدكتور شريف كامل شاهين على إعداد ثبت ببليوجرافى بآثاره العلمية؛ ندرجه فيما يلى. ولعله مما يجدر ذكره أن صاحب دائرة المعارف هذه قد تتلمذ على الراحل العظيم خلال مرحلة الليسانس وفى درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه. وكان بعض الخباصين يحلو لهم أن يوقعوا بينهما؛ وكانوا ينجحون أحيانًا فى ذلك ويحققون بعض المآرب الخسيسة.

ولقد قام الدكتور شريف كامل شاهين بتتبع الآثار الفكرية للراحل العظيم من

المصادر المختلفة وأعد بها ببليوجرافية شاملة وزعها على عدد من رؤوس الموضوعات مرتبة هجائيًا هى: الإعارة - الإعداد الببليوجرافى - تأهيل المكتبيين وتدريبهم - تبادل المطبوعات - التصنيف - التعاون المكتبى - التوثيق - الحلقات والمؤتمرات - الخدمات المكتبية - رؤوس الموضوعات - الفهرسة - القراءة والقراء - المكتبات بأنواعها - النشر - النشرات والقصاصات. كما حصر رسائل الماجستير والدكتوراه التى أشرف عليها، وقدم الدكتور شريف كامل شاهين بعض الاتجاهات العددية والنوعية لتلك الآثار الفكرية فى إحصائية شاملة.

وقد تم تقسيم هذه الإحصائية إلى أربع فترات زمنية هى:

* الفترة الأولى - ما قبل عام ١٩٦٠.
* الفترة الثانية - الستينيات.
* الفترة الثالثة - السبعينيات.
* الفترة الرابعة - منذ عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٩٢.

فقد بلغ مجموع إسهامات هذا العالم فى الفترة الأولى عشرة أعمال تتفاوت ما بين مقالات وكتب وتقارير علمية أبحاث مؤتمرات وعروض للكتب.

أما فى الفترة الزمنية الثانية (الستينيات) فقد بلغ مجموع إسهاماته الفكرية ٢٢ عملاً وتتفاوت هذه الأعمال ما بين مقالات وكتب وتقارير بالإضافة إلى الرسائل الجامعية التى أشرف عليها.

أما الفترة الزمنية الثالثة (السبعينيات) فقد بلغ مجموع إسهاماته الفكرية ٣٦ عملاً تتفاوت هذه الأعمال ما بين مقالات وكتب وتقارير وأبحاث مؤتمرات ومترجمات ومراجعات ورسائل جامعية أشرف عليها.

ثم تأتى الفترة الزمنية الأخيرة (١٩٨٠ - ١٩٩٢) لتضم أعمالا تتمثل فى مقالتين وكتاب مترجم، فضلاً عن إشرافه على سبع رسائل ماجستير ودكتوراه والتى لم يمهله الأجل إلا ليناقش واحدة منها.

أما فيما يتعلق بالاهتمامات الموضوعية لتلك الإسهامات الفكرية، فهى تتمثل فى الموضوعات التالية: الفهرسة والتصنيف - المكتبات الجامعية - المكتبات العامة - المكتبات

المدرسية ـ التعاون المكتبى ـ خدمة المراجع ـ إجراءات التزويد ـ تأهيل المكتبيين ـ الببليوجرافيا ـ التوثيق ـ خدمات المكتبات والمعلومات ـ مصادر المعلومات ـ الكتاب المدرسى ـ النشر .

ملحق أ :

قائمة ببليوجرافية للإنتاج الفكرى الصادر للأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر وللرسائل الجامعية التى أشرف عليها: **أولاً: الكتب والمقالات وأعمال المؤتمرات والتقارير خلال الفترة من ١٩٤٩ ـ ١٩٩٢ .**

الإجراءات الفنية:

الإجراءات الفنية للمكتبات [كتاب]. ـ القاهرة: دار النهضة، ١٩٦١ .

الإعارة:

قسم الإعارة بالمكتبة: عمليات التسجيل والإعارة والحجز والإحصاء [كتاب] ـ بغداد: المكتبة المركزية لجامعة بغداد، ١٩٦٨ .

الإعداد الببليوجرافى:

الإعداد الببليوجرافى: أساسياته ونظمه وأجهزته وحصيلته [أوراق مؤتمرات] فى مؤتمر الإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى. ـ الرياض، ١٩٧٤ .

الببليوجرافيا:

الببليوجرافيا: تعريفها وأنواعها واستعمالاتها [كتاب].ـ بغداد: المكتبة المركزية لجامعة بغداد، ١٩٦٧ .

تأهيل المكتبيين وتدريبهم ـ فى العراق:

مشروع إنشاء معهد للدراسات العليا فى علوم المكتبات بجامعة بغداد [كتاب].ـ بغداد: المكتبة المركزية لجامعة بغداد، ١٩٦٧ .

تأهيل المكتبيين وتدريبهم ـ فى مصر:

* الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى الجمهورية العربية المتحدة: عرض ونقد وتوجيه [مقال] .ـ**عالم المكتبات**، س٦، ع٢ مارس ـ أبريل ١٩٦٤ .

* تقرير عن احتياجات قسم المكتبات والوثائق من معونات اليونسكو فى ميزانية ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ [تقرير] .ـ القاهرة، ١٩٧٢.

* النمو المهنى لأمناء المكتبات: واجب الأفراد وواجب الهيئات [مقال] .ـ عالم المكتبات، س٧، ع٢، مارس ـ أبريل، ١٩٦٥.

تبادل المطبوعات:

عمليات تبادل المطبوعات: تنظيمها وإجراءاتها [كتاب] .ـ بغداد: المكتبة المركزية لجامعة بغداد، ١٩٦٨.

التصنيف ـ نظم خاصة ـ خرائط:

جداول لتصنيف الخرائط بالمكتبة المركزية لجامعة بغداد [كتاب] بالاشتراك مع أوديت بدران ـ بغداد: المكتبة المركزية لجامعة بغداد، ١٩٦٧.

التعاون المكتبى: [أوراق مؤتمرات]:

Co- operative potentialities among Cairo libraries [بحث] / جمعية مكتبات القاهرة. ـ القاهرة، ١٩٥٠.

التوثيق:

* تنظيم المعلومات في المكتبات ومراكز التوثيق [محاضرات] .ـ القاهرة: مركز التنظيم والميكروفيلم بالأهرام، ١٩٧٢.

* التوثيق فى خدمة أهداف التنمية [بحث]. الدوحة: دار الكتب القطرية، ١٩٧٢.

* مواد التوثيق وأنواعها [أوراق مؤتمرات] .ـ قدمت فى حلقة التوثيق التربوى فى البلاد العربية القاهرة، ١٩٧٠.

* مواد التوثيق وأنواعها [بحث] .ـ الدوحة: دار الكتب القطرية، ١٩٧٢.

الحلقات والمؤتمرات:

*تقرير عن حلقة الخدمات المكتبية والببليوجرافيا والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القرمية [تقارير مؤتمرات]، المنعقدة فى دمشق. ـ القاهرة، ١٩٧١.

* خواطر عن المؤتمر الدولى لليونسكو [تقارير مؤتمرات]. ـ القاهرة، ١٩٥٥.

الخدمات المكتبية:

الخدمات المكتبية: مفاهيمها وفوارقها النوعية ومتطلباتها [كتاب]. ـ دمشق، ١٩٧١.

الخدمة المكتبية ـ قطر: انظر المكتبات ـ قطر.

رؤوس الموضوعات:

* رؤوس الموضوعات فى الفهارس الهجائية [بحث]. ـ بغداد، ١٩٦٨.

* الفهرسة الموضوعية [محاضرات]. ـ الإسكندرية، ١٩٦٨.

الفهرسة:

* علم الفهرسة [كتاب] .ـ القاهرة، ٥٣ ـ ١٩٥٤.

* مقدمة فى علم الفهرسة [كتاب] .ـ القاهرة، ١٩٧٠

Cataloging and Classification .- Cairo, 1949.

فهرسة المواد غير الكتب:

* فهرسة المواد من غير الكتب [مقال] . ـ القاهرة، ١٩٧١.

* الميكروفيلم: استعمالاته وفهرسته [مقال] ـ القاهرة، ١٩٧٠.

القراءة والقراء:

مؤشرات لقياس الميول القرائية فى الدول العربية [مقال]. ـ مكتبة الإدارة، ١٩٧٥.

المراجع وخدمة المراجع:

* المراجع الأجنبية وخدمة المراجع [كتاب] . ـ القاهرة، ١٩٦١.

* المراجع: أنواعها وخصائصها [كتاب]. ـ بغداد، ١٩٦٧.

* مصادر المعلومات [كتاب] .ـ القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والمعلومات، ١٩٧٧.

المكتبات ـ قطر:

* Report on UNESCO Mission in Qatar for Libraries and Documentation . - Cairo, 1972.

المكتبات الجامعية والمعهدية:

* المكتبة والبحث: طبيعة البحث العلمى وانعكاساتها على مكتبات الجامعات [مقال]. ـ مجلة المكتبات العربية، ١٩٦٥.

* المكتبة والبحث: احتياجات البحث تفرض تطوير الأداء فى مكتبات الجامعات [مقال] .ـ صحيفة المكتبة، ١٩٧٠.

* طبيعة البحث العلمى وانعكاساتها على مكتبات الجامعة [مقال]. ـ مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأمام محمد بن سعود. ـ ع١٠ (١٩٨٠).

المكتبات الجامعية والمعهدية ـ تزويد وإعداد:

المركزية واللامركزية فى عمليات شراء وإعداد الكتب فى المجموعات المكتبية [بحث]. ـ القاهرة، ١٩٥٤.

المكتبات الجامعية والمعهدية ـ العراق (تقرير):

* تقرير عن المكتبة المركزية لجامعة البصرة [تقرير]. ـ بغداد، ١٩٦٨.

* دراسة عن بعض مكتبات الكليات ومعاهد الدراسات العليا. ـ بغداد، ١٩٦٨.

المكتبات الجامعية والمعهدية ـ مصر:

مقترحات بشأن إنشاء المكتبة الجديدة للجامعة الأزهرية [تقرير].ـ القاهرة، ١٩٥١.

المكتبات العامة ـ مصر:

* تخطيط التوسع المكتبى فى الإقليم الجنوبى [مقال]، ١٩٦١.

* الخدمة المكتبية العامة فى الإقليم الجنوبى. ـ القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦٠. ـ [أطروحة دكتوراه ـ قسم المكتبات والوثائق ـ كلية الآداب، جامعة القاهرة].

* المكتبات الفرعية لدار الكتب القومية بالقاهرة: دراسة ميدانية [مقال]. ـ القاهرة، ١٩٧٠.

المكتبات المدرسية ـ وظائف المكتبة وأهدافها:

* فى إطار السنة الدولية للكتاب [مقال]. ـ قطر، ١٩٧٢.

* المكتبة المدرسية [كتاب]/ تأليف لوسيل فارجو؛ ترجمة السيد محمد العزاوى؛ مراجعة أحمد أنور عمر؛ تقديم السيد محمود الشنيطى. ـ القاهرة: دار المعرفة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٧٠.

* الكتاب المدرسى: تأليفه وإخراجه الطباعى [كتاب]/ ترجمة أحمد أنور عمر. ـ الرياض: دار المريخ، ١٩٨٠.

* أصول الكتاب المدرسى: دليل للمؤلفين فى الدول النامية [كتاب]/ أعده لليونسكو أ. ج. لفريديج... وآخرون؛ ترجمة أحمد أنور عمر؛ مراجعة محمد خيرى حربى. ـ القاهرة: مطلعة مركز التوثيق التربوى؛ ١٩٧٠ [١٩٧١].

* المكتبات المدرسية فى سيلان [مقال]/ ايفانز: ايفيلين ج، ترجمة أحمد أنور عمر ـ **مجلة اليونسكو للمكتبات**، س١، ع١، نوفمبر ١٩٧٠.

النشر ـ العالم العربى:

النشر الذى يمكن أن تتولاه الجامعات العربية [مقال]. ـ**عالم الكتب** ـ مج٥، ع٣، سبتمبر/ أكتوبر، ١٩٨٤.

النشرات والقصاصات:

* مجموعة النشرات وطرق معالجتها فى المكتبات [مقال]. ـ**صحيفة المكتبة**، ١٩٧٢.

* مجموعة النشرات والقصاصات بالمكتبات [كتاب]. بغداد: المكتبة المركزية لجامعة بغداد، ١٩٦٧.

ثانيًا: رسائل الماجستير والدكتوراه التى أشرف عليها وأجيزت من جامعة القاهرة:

أ ـ رسائل الماجستير:

١ ـ أدوات اختيار الكتب فى المكتبات/ شعبان خليفة، ١٩٦٦.

٢ ـ دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافى لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف/ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور، ١٩٦٧.

٣ ـ الإعداد المهنى لأمناء المكتبات العامة فى الجمهورية العربية المتحدة/ محمد مجاهد الهلالى، ١٩٧٨.

٤ ـ تخطيط التعاون بين المكتبات الطبية فى القاهرة الكبرى فى مجالات التزويد والإعداد الببليوجرافى والخدمة/ محمد المصرى عثمان، ١٩٧٤.

٥ ـ التوثيق العلمى ودوره فى خدمة البحث فى الجمهورية العربية المتحدة/ حشمت محمد قاسم، ١٩٧١.

٦ ـ تقييم الخدمات المكتبية العامة فى محافظة القاهرة: دراسة ميدانية/ محمد أبو الفتح نصار، ١٩٧٢.

٧ ـ الخدمة المكتبية العامة للأطفال بالقاهرة/ سهير أحمد محفوظ، ١٩٧٦.

٨ ـ دراسة ميدانية على قراءات الكبار بالمكتبات العامة بالقاهرة/ كمال محمد عرفات نبهان، ١٩٧٩.

٩ ـ الأسس العلمية والعملية لتخطيط التنظيم الببليوجرافى فى حقل الاقتصاد بالجمهورية العربية المتحدة/ محمد عبد صيام، ١٩٦٦.

١٠ ـ فهارس دار الكتب من الناحيتين الوصفية والموضوعية/سيدة ماجد ربيع، ١٩٧٩.

١١ ـ الفهارس والببليوجرافيات بمكتبات الجامعات الثلاث بالقاهرة من الناحيتين الوصفية والموضوعية: دراسة ميدانية مقارنة/ محمد فتحى عبد الهادى، ١٩٧١.

١٢ ـ تطبيق نظام المصطلح الواحد التوثيقى على علوم المكتبات وإنشاء قائمة معربة بمصطلحات هذه العلوم/ شوقى محمود سالم، ١٩٧٣.

١٣ ـ المكتبة المدرسية المصرية: دراسة تطبيقية على مكتبات محافظتى القاهرة والمنوفية/ حسنى عبد الرحمن الشيمى، ١٩٧٦.

ب ـ رسائل الدكتوراه:

١ ـ حركة نشر الكتب فى الجمهورية العربية المتحدة: واقعها ومستقبلها/ شعبان عبد العزيز خليفة، ١٩٧٢.

٢ ـ التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى/ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور، ١٩٧٢.

٣ ـ إنشاء قائمة رؤوس موضوعات عربية فى العلوم الاجتماعية/ محمد فتحى عبد الهادى، ١٩٧٥.

٤ ـ النشر الأكاديمى بالجامعات المصرية مع التركيز على جامعات القاهرة وعين شمس والأزهر وحلوان/ حسناء محمد أحمد، ١٩٩٢.

رسائل الماجستير والدكتوراه التى كانت مسجلة تحت أشراف المرحوم أ. د. أحمد أنور عمر ولكن لم يمهله الأجل لمناقشتها:

أ ـ رسائل الماجستير:

١ ـ إنشاء قاعدة بيانات بيليوجرافية فى مجال تنظيم الأسرة تخدم المجال الطبى/ إيناس حسين صادق ت ٢٧/ ١/ ١٩٩٠.

٢ ـ دور المصغرات الفيلمية بالمكتبات الوطنية: دراسة ميدانية للأنماط المنتجة وطرق الاختزان والاسترجاع بدار الكتب القومية/ عبد المنعم محمود حسن ت ١٢/ ٤/ ١٩٩٠.

٣ ـ تبادل الخدمات بين دار الكتب المصرية والمكتبات ومراكز المعلومات العربية والأجنبية/ سعدية محمد ابراهيم. ت ٢١/ ٧/ ١٩٩٠.

٤ ـ خدمات مكتبات المدارس الثانوية بالقاهرة: دراسة ميدانية/ عزة اسماعيل سعيد ت ٧/ ١١/ ١٩٨٧.

٥ ـ خدمة المراجع بدار الكتب القومية بمصر: دراسة ميدانية للتعرف على واقعها والتخطيط لتطويرها فى المستقبل/ إيمان أحمد السيد الصفطاوى ت ٢١/ ٧/ ١٩٩٠.

ب ـ رسائل الدكتوراه:

١ ـ الإنتاج الفكرى المصرى لعلوم السياسة والاقتصاد: دراسة ببليومترية/ زينب أبو العنين محفوظ ت ٢٨/ ١٠/ ١٩٨٩.

ملحق ٢

إحصائية بانتاج المرحوم أ. د. أحمد أنور عمر فى كل عام على مدار حياته موزعة زمنياً ونوعياً للإنتاج الفكرى

الفترة الزمنية	إشراف رسائل ماجستير	إشراف رسائل دكتوراه	تأليف مقالات	تأليف كتب	تقارير علمية ومحاضرات	ترجمات	مراجعة
١٩٦٠	حصل على درجة الدكتوراه فى الآداب في موضوع الخدمة المكتبية العامة						
١٩٦١			١	٣			
١٩٦٢							
١٩٦٣							
١٩٦٤			١				
١٩٦٥			٢				
١٩٦٦	٢						
١٩٦٧	١			٤	١		
١٩٦٨				٢	٤		
١٩٦٩							
١٩٧٠			٣	٣			١
١٩٧١	٢		١		١	١	
١٩٧٢	١	٢	٢	٣	٣		
١٩٧٣	١						
١٩٧٤	١				٢		
١٩٧٥		١	١				
١٩٧٦	٢						
١٩٧٧				١			
١٩٧٨	١						
١٩٧٩	٢		١				
١٩٨٠			١			١	
١٩٨١							
١٩٨٢							
١٩٨٣							
١٩٨٤			١				
١٩٨٥							
١٩٨٦							
١٩٩٢		١					

تابع ملحق ٢

أعمال منشورة سبقت حصوله
على الدكتوراة (قبل ١٩٦٠)

١٩٤٩	١ ـ مقالة بالإنجليزية Cataloging and Classification .In Institute for librarians - Cairo, 1949 pp 23 - 37 (مقال)
١٦٥٠	١ ـ بحث مقدم لمؤتمر جمعية المكتبات بعنوان cooperation potentialities among Cairo librarians in proceedings of the Cairo Library Association for the year 1949 - 50 - - Cairo., 1950 pp 46 - 52. (بحث)
١٩٥١	١ ـ مقترحات بشأن إنشاء المكتبة الجديدة للجامعة الأزهرية. ـ القاهرة: مطبعة الأزهر. ٢٣ ص (بحث)
١٩٥٣	١ ـ علم الفهرسة. ـ القاهرة، ٥٣ ـ ١٩٥٤. متعدد الترقيم (كتاب) ٢ ـ خطط مقترحة لتنظيم خدمة المراجع بمكتبات الجامعات. فى كتاب جمعية مكتبة القاهرة. القاهرة ـ ص ص ٤١ ـ ٥٦ (مقال)
١٩٥٤	١ ـ المركزية واللامركزية فى عمليات شراء وإعداد الكتب فى المجموعات المكتبية. فى كتاب جمعية المكتبات المصرية. القاهرة. ص ص ٣٠ ـ ٤٥ (مقال)
١٩٥٥	١ ـ خواطر عن المؤتمر الدولى لليونسكو نيجيريا فى كتاب جمعية المكتبات المصرية (مقال) ص ص ٣٦ ـ ٤٨.
١٩٥٧	٢ ـ عروض الكتب
١٩٥٨	١ ـ الطبعة الأولى من كتاب المعنى الاجتماعى للمكتبة: دراسة لأسس الخدمة المكتبية العامة والمدرسية (كتب)

ملحق ٣

قائمة بأبرز مؤلفاته وأكثرها شيوعًا ليس فقط على مستوى القارىء الفرد ولكن أيضاً على مستوى أقسام المكتبات بالجامعات العربية

١ - المعنى الاجتماعى للمكتبة:

دراسة لأسس الخدمة المكتبية العامة والمدرسية حيث صدر من هذا الكتاب خمس طبعات

ففى عام ١٩٥٨ صدرت الطبعة الأولى.

وفى عام ١٩٥٨ صدرت الطبعة الثانية.

وفى عام ١٩٥٨ صدرت الطبعة الثالثة.

وفى عام ١٩٧٤ صدرته الطبعة الرابعة.

وفى عام ١٩٨٣ صدرت الطبعة الخامسة (دار المريخ).

٢ - الإجراءات الفنية للمكتبات: عمليات التزويد والإعداد والصيانة

حيث صدر من هذا الكتاب خمس طبعات

ففى عام ١٩٦١ صدرت الطبعة الأولى.

وفى عام ١٩٦٤ صدرت الطبعة الثانية.

وفى عام ١٩٧٦ صدرت الطبعة الثالثة.

وفى عام ١٩٧٩ صدرت الطبعة الرابعة.

وفى عام ١٩٨٣ صدرت الطبعة الخامسة.

تم نشر عرض ونقد الطبعة الخامسة من هذا الكتاب فى مجلة المكتبات والمعلومات العربية يناير ١٩٨٥ إعداد/ سناء المقدم. ـ ص ١١٦ ـ ١١٨

(الناشر: دار النهضة العربية).

٣ـ المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ:

حيث صدر من هذا الكتاب أربع طبعات

فى عام ١٩٦١ صدرت الطبعة الأولى.

فى عام ١٩٧٠ صدرت الطبعة الثانية.

فى عام ١٩٧٨ صدرت الطبعة الثالثة، منقحة.

فى عام ١٩٨٣ صدرت الطبعة الرابعة، منقحة.

(الناشر فى دار النهضة العربية).

٤ ـ مصادر المعلومات:

حيث صدر من هذا الكتاب ثلاث طبعات

ففى عام ١٩٧٧ صدرت الطبعة الأولى عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وفي عام ١٩٨١ صدرت الطبعة الثانية عن دار المريخ بالرياض.

وفى عام ١٩٩٠ صدرت الطبعة الثالثة عن المكتبة الأكاديمية بالقاهرة.

(نشر عرض ونقد للطبعة الثانية من هذا الكتاب في صحيفة المكتبة مج١٦، ع١ (يناير ١٩٨٤). ـ ص٦٨ ـ٧٠)

ملحق ٤

إحصائية شاملة للإسهامات الفكرية الصادرة للمرحوم أ. د. أحمد أنور عمر

	ماجستير	دكتوراه	مقالات	كتب	تقارير علمية وأبحاث ومؤتمرات	ترجمات	مراجعات	عروض	الإجمالى	الموضوعات
ما قبل ١٩٦٠	–	–	٤	٢	٢	–	–	٢	١٠	الفهرسة والتصنيف ـ التعاون المكتبى المكتبات الجامعية ـ خدمة المراجع ـ إجراءات التزويد ـ المكتبات العلمية والمدرسية.
١٩٦٠ ـ ١٩٦٩	٣	١	٤	٩	٥	–	–	–	٢٢	المراجع وخدمة المراجع ـ الإجراءات الفنية ـ المكتبات العلمية ـ تأهيل المكتبيين ـ المكتبات الجامعية ـ الضبط الببليوجرافى ـ الببليوجرافيا ـ الإعارة.
١٩٧٠ ـ ١٩٧٩	١٠	٣	٨	٧	٦	١	١	–	٣٦	المكتبات العلمية ـ الترقيم ـ المكتبات المدرسية ـ الفهرسة ـ خدمات المعلومات والمكتبات ـ المراجع ـ وخدمة المراجع ـ تأهيل المكتبيين ـ مصادر المعلومات.
١٩٨٠	–	١	٢	–	–	١	–	–	٤	المكتبات الجامعية ـ الكتاب المدرسى ـ النشر.
المجموع	١٣	٥	١٨	١٨	١٣	٢	١	٢	٧٢	

المصادر:

١ ـ معلومات مباشرة من السيدة الفاضلة صفية عثمان فهمى حرم المرحوم أ. د. أحمد أنور عمر بخطها ولم أتدخل فيها إلا نادراً.

٢ ـ معلومات من الباحث صاحب الدائرة من خلال صحبته للدكتور أحمد أنور عمر على مدى ثلاثين عاماً.

٣ ـ شريف كامل شاهين. الإسهامات الفكرية للأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر. ـ عالم الكتاب. ـ ع٤١، يناير ١٩٩٤. ـ ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠٨.

أحمد بدر: أحمد أنور على بدر

Ahmad Anwar Aly Badr

تعتمد هذه السيرة الذاتية على التاريخ المسجل وعلى التاريخ الشفوى، أى أنها تعتمد على حقائق لها تاريخ ولها مكان، وتعتمد على جوانب ثقافية واجتماعية متعددة صاحبت حياته العلمية، ولعل هذه الجوانب الأخيرة تكتب هنا لأول مرة.

أولاً: الاسم/ الحالة الاجتماعية/ التعليم الابتدائى والثانوى:

اسمه مركب أحمد أنور واسم الوالد على واسم الأسرة (بدر) واسم شهرته أحمد بدر متزوج وله ابنة طبيبة وابن مهندس. ولد الدكتور أحمد بدر بمدينة المنصورة فى العاشر من أكتوبر عام ١٩٢٩، وكان أبوه أحد تجار القطن المشهورين فى المدينة فى ذلك الوقت، ثم انتقلت أسرته إلى مدينة طنطا بعد أن أنهى دراسته الابتدائية فى المنصورة ودخل مدرسة طنطا الثانوية، ولكن أسرته انتقلت بعد عدة سنوات إلى مدينة الإسكندرية حيث حصل على الثانوية العامة (قسم علمى) من مدرسة الرمل الثانوية عام ١٩٤٧م.

ثانياً: التدريب والدراسة الجامعية (جامعات الإسكندرية/ القاهرة/ كيس وسترن ريزرف بأمريكا):

تخرج أحمد بدر فى كلية العلوم جامعة الإسكندرية فى يونية ١٩٥٢ بدرجة جيد وكان تخصصه فى الكيمياء والجيولوجيا، ولكن دراسته العلمية هذه قد صاحبتها دراسات أخرى حرة أدبية ودينية وثقافية. كما كان له نشاط اجتماعى وثقافى ملحوظ فى الكلية، فقد كان عضواً فى اتحاد كلية العلوم وكان رئيساً للجنة الخطابة ضمن اتحاد الكلية.

* كان يقرأ كثيراً فى المجالات السياسية والأدبية والثقافية بصفة عامة ولكنه يقول بأنه تأثر إلى حد بعيد باثنين من الكتاب هما طه حسين وخالد محمد خالد، ولم

يكن مجرد قارىء لمؤلفاتهما بل كان يحفظ عن ظهر قلب عدداً من الكتب والمقالات التى صدرت لهما، ومن جهة أخرى فقد أعجب بأحد الخطباء الدينيين وهو الشيخ الشلبى رئيس جمعية التقوى والإرشاد الإسلامى، وكان يصحبه فى مختلف المساجد التى يلقى فيها الدروس الدينية بمدينة الاسكندرية (وهو يعتبر الشيخ الشلبى شبيهًا إلى حد كبير بالشيخ الشعراوى حاليًا). وعن طريق الشيخ الشلبى تعلم كثيراً عن أمور دينه وحفظ أجزاء من القرآن الكريم.

ويردد أحمد بدر مقولته بأن الذين أثروا عليه فى طفولته وشبابه كثيرون.. فهو يذكر أمه وأباه دائماً بالنسبة للتنشئة الاجتماعية وبناء القيم.. وهو يذكر مدرس اللغة العربية فى المرحلتين الابتدائية والثانوية، وهو يذكر العاملين معه فى المؤسسات المختلفة، ويذكر طلابه وزملاءه، ويذكر بعض الأحداث كنصر أكتوبر.. فقد تفاعل وتأثر بالناس والأحداث بدرجات متفاوتة.

* لم ينضم إلى أى حزب أو جماعة سياسية، ولكن دراسته العلمية وقراءاته الدينية والأدبية والسياسية، قد بلورت أفكاره.. وباختصار فميوله إسلامية وإحساسه الوطنى المصرى عميق، ولكنه ضد ما كان بعض زعماء الطلاب فى كلية العلوم يدعون له ويسمونه «اشتراكية علمية». ذلك لأن العلم الموصوف هنا ليس علما طبيعياً كما هو الحال بكلية العلوم، ولكنه علم اجتماعى يهتم بالأفكار أكثر منه بالحقائق العلمية، ولعل هذا الإعداد العلمى الإسلامى الإيديولوجى والثقافى قد أثر عليه فى مختلف مراحل حياته التالية

* التحق ـ بعد تخرجه فى كلية العلوم ـ بكلية الآداب: معهد الصحافة (حيث كانت الدراسة فيه متاحة لخريجى الجامعة بعد امتحان تحريرى وشفوى والدراسة لمدة ثلاث سنوات للحصول على الدبلوم العالى وهو معادل للماجستير ويمكن التقدم بعده مباشرة لدرجة الدكتوراه)، وكانت درجات أحمد بدر «امتياز» فى مواد القانون الدولى والدستورى والعلوم السياسية ضمن العلوم الأخرى بالمعهد. وتخرج فى معهد الصحافة فى يونيه ١٩٥٥ بدرجة جيد (جامعة القاهرة).

* أرسل فى بعثة تدريبية على نفقة هيئة اليونسكو الدولية إلى كل من السويد والنرويج

وهولندا وفرنسا لمدة ستة شهور وزار وتدرب خلال هذه الفترة فى مكتبات الجامعات التكنولوجية وكذلك فى مراكز وأقسام التوثيق والمعلومات المتخصصة أو الوطنية فى البلاد المذكورة وكان ذلك خلال عام ١٩٥٨م.

* أرسل فى بداية عام ١٩٦٠ فى بعثة للحصول على درجة الدكتوراه بجامعة كيس وسترن ريزرف بكليفيلاند، أوهايو، أمريكا، وحصل على الماجستير فى يناير ١٩٦١ وعلى الدكتوراه فى يناير ١٩٦٣، ولكن دراسته هذه فى حاجة لبعض التفصيل.. فجامعة كيس وسترن ريزرف تمنح درجة الماجستير فى المكتبات Master of Science in Library Science (M.S.L.S) ولكن القبول فى دراسة الدكتوراه له شروطه من بينها الحصول على درجة جيد جداً (B) فى ماجستير المكتبات على الأقل والحصول على درجة ماجستير أخرى فى أى مجال علمى آخر (خصوصاً مجالات الهندسة والعلوم والطب).. كما أن دراسة الدكتوراه تكون عادة فى مجال رئيسى (فى هذه الحالة التوثيق والمعلومات العلمية) وفى مجال مساند أو فرعى وكان بالنسبة له العلاقات الدولية فى قسم العلوم السياسية وكان موضوع رسالته هو التعاون الدولى فى مجال التوثيق والمعلومات العلمية وبالتالى فدرجة الدكتوراه منحت من قسمين رئيسيين أولهما مدرسة المكتبات والمعلومات وثانيهما قسم العلوم السياسية ضمن كلية الدراسات العليا بالجامعة. وعلى كل حال فعنوان رسالتى الماجستير والدكتوراه هما كما يلى:

رسالة الماجستير (استيفاء جزئى لمتطلبات الدرجة):

Some Aspects of National and International Understanding as affected by Freedom of Communication, 88p.

حرية الاتصال وتأثيرها على التفاهم الوطنى والدولى:

أما رسالة الدكتوراه (استيفاء جزئى لمتطلبات الدرجة) فهى بعنوان:

International Cooperation in Scientific Documentation and its implications within the Functionalist Approach to International Relations with spe-

cial Reference to India, USSR, UAR and U.S.A, 242 p.

التعاون الدولى فى التوثيق العلمى وتأثيراته ضمن المنهج الوظيفى للعلاقات الدولية مع الإشارة الخاصة للهند والاتحاد السوفيتى وجمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت لجنة إجازة الرسالة مكونة من جيسى شيرا J.Shera عميد مدرسة المكتبات والمعلومات (رئيساً) وعضوية كارل ويتكى Carl Wittke عميد كلية الدراسات العليا بالجامعة وألن كنت Allen Kent المشرف الرئيسى على الرسالة ووليليام أروين W.Irwin رئيس قسم العلوم السياسية بالجامعة (أجيزت الرسالة بامتياز ومنح نوط Beta Phi Mu).

ومما يذكر أن الرسالة فى فصلها السابع قد تضمنت ملخصًا ونتائج فى المجالات التالية:

- مشكلة المعلومات العلمية والوظيفية فى العلاقات الدولية.
- التوثيق الدولى: ومدى صحة وتطبيق النموذج الدولى المثالى.
- المعلومات العلمية واستقرار السلام العالمى.
- الحكمة السياسية والوظيفية: ليسا نقيضين.

كما شملت الرسالة فى إحدى ملاحقها تصور لشبكة خدمات معلوماتية محسبة على المستوى الدولى (انظر ملحق هذه السيرة الذاتية رقم ١) ولعلها كانت رؤيا مستقبلية لما نراه اليوم من شبكات كونية كالإنترنت.

هذا ولم تخل الدراسات السياسية من مشروعات بحوث جمعت بين السياسة والعلم، فعلى سبيل المثال كانت إحدى هذه المشروعات (ضمن مقرر حكومة وسياسة الاتحاد السوفيتى) ما يلى:

Some Aspects of Science and Politics in The Soviet Union, 94p.

أى بعض جوانب العلم والسياسة فى الاتحاد السوفيتى، ومن بين محتويات الدراسة

ما يلى:

- الجدلية المادية والعلم الحديث.

Dialectical Materialism and Modern science

- الجدلية المادية والوراثة Diamat and Genetics

- الجدلية المادية والفيزياء Diamat and Physics

وخلاصة هذا كله أن رسالة الماجستير قد ضمت الاتصال إلى المكتبات والمعلومات ورسالة الدكتوراه والدراسات السياسية قد جمعت بين المعلومات والتوثيق والعلاقات الدولية ودراسات الحاسب الآلى فضلاً عن الدراسات العلمية كالفيزياء والوراثة، أى أنه أفاد من مختلف دراساته السابقة.

ثالثاً: الممارسات العملية:

خمسة وأربعون عامًا هى العطاء العلمى والفكرى والعملى فى مجال المكتبات والمعلومات فى مصر وعدد من البلاد العربية حتى كتابة هذه السطور. وفيما يلى أهم معالم هذا العطاء فى كل بلد، ويلاحظ فى هذا العرض ما تم إنجازه فى كل قطر عربى على فترة واحدة أو أكثر (كما هو الحال بالنسبة لمصر والكويت والمملكة العربية السعودية) مبتدئاً بالأنشطة العلمية العامة:

١ - أنشطة علمية عامة:

أ - أشرف على العديد من الرسالات العلمية للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه، كما قام بمناقشة عشرات الرسائل (ماجستير ودكتوراه)، وقد جاء فى إحدى المراجعات عن كتابه التصنيف (مجلة المكتبات والمعلومات، س١٦ (٢) ١٩٩٦ ص١٤٤) ما يلى: تتسم مناقشات د. بدر للرسائل العلمية بالقوة فى التلميح والتقريظ والإفاضة فى توجيه الانتقادات الثاقبة فى المنهج وفى الإعداد وفى النتائج التى خرجت بها الرسالة.

ب - تقييم الإنتاج الفكرى لأعضاء هيئة التدريس للترقية (للأستاذية أو الأستاذ

ب ـ تقييم الإنتاج الفكرى لأعضاء هيئة التدريس للترقية (للأستاذية أو الأستاذ المساعد) بجامعات القاهرة (١٠) والمستنصرية ببغداد (٥) وجامعة بغداد والبصرة وأم القرى بمكة المكرمة (٥) وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض وجامعة الملك سعود بالرياض والجامعة الأردنية وجامعة السلطان قابوس فى عمان ومعهد الإدارة العليا بالقاهرة (١٠).

جـ ـ مستشار تحرير مجلة المكتبات والمعلومات العربية بالرياض ومكتبة الجامعة بالكويت ومحكم للعديد من البحوث والدراسات والكتب الخاصة بالعديد من الجامعات العربية والمعهد العالمى للفكر الإسلامى بأمريكا.

د ـ المندوب الرسمى أو عضو وفد ممثلاً لمصر ثم الكويت ثم قطر فى مؤتمرات ودورات تدريبية عالمية وإقليمية وعربية عديدة فى مجالات المعلومات والتوثيق والمكتبات وذلك بالقاهرة وبغداد والكويت ودمشق وتونس وواشنطن وباريس وموسكو وعلى الأخص الدورات التدريبية التى نظمتها هيئة اليونسكو الدولية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمركز الإقليمى للعلوم الاجتماعية (القاهرة) والمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس، واتحاد الإذاعات العربية ببغداد والمركز العربى للتقنيات التربوية بالكويت ومركز التنظيم والميكروفيلم لمؤسسة الأهرام بالقاهرة ومنظمة العمل الدولية (دورات حمص وبنياس بسوريا).

هـ ـ عضو فى جمعية المعلومات والمكتبات والوثائق المصرية وعضو فى جمعية المكتبات الأمريكية.

٣ ـ الأنشطة فى مصر وبعض البلاد العربية:

أ ـ فى مصر والعراق (١٩٥٣ ـ ١٩٦٦):

ـ بدأ حياته العملية كمندوب صحفى علمى لمجلة آخر ساعة، كجزء من التدريب المطلوب فى معهد الصحافة ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، والذى التحق به منذ العام الأكاديمى ١٩٥٢/١٩٥٣، والجدير بالذكر أن المشرف على هذا التدريب بمجلة آخر ساعة كان الصحفى ذائع الصيت والشهرة والنفوذ فيما بعد وهو محمد حسنين هيكل.

١٩٥٣/١٩٥٤.

- التحق فى يناير ١٩٥٥ بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا - المركز القومى للبحوث - إدارة المعلومات العلمية- وكان ذلك بعد امتحان مسابقة لحوالى أربعين من خريجى الكليات العملية (والامتحان أساساً فى الترجمة واللغة الإنجليزية والمعلومات العامة).

- تعلم وتدرب فى التوثيق والمعلومات على يد خبراء هيئة اليونسكو الدولية وكان أحمد بدر هو نظير خبير اليونسكو بيريز فيتوريا Counterpart of Perez Vitoria ثم تعدل اسم الإدارة إلى المركز القومى للإعلام والتوثيق بعد تعيين الدكتور أحمد كابش مديراً لها، أما أحمد بدر فقد عمل أميناً للمكتبة العلمية والتى تعتبر إحدى إدارات المركز الرئيسية.

١٩٥٨ بعثة اليونسكو للسويد والنرويج وهولندا وفرنسا.

١٩٦٠ - ١٩٦٣ البعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على الدكتوراه

١٩٦٣ - ١٩٦٦ مدير المكتبة المركزية للعلوم والتكنولوجيا - أكاديمية البحث العلمى، حيث قام بإعادة تنظيم المكتبة المركزية مستعينًا فى ذلك بما حصله من علم وخبرة مسبقة.

- أسهم فى إنشاء مكتبة ومركز المعلومات بهيئة الطاقة الذرية المصرية فى إنشاص (ج.م.ع).

- أسهم فى إنشاء مكتبة معهد البحوث الصحية التابع لجامعة الإسكندرية مع فريق من خبراء المركز القومى للإعلام والتوثيق.

- قام بتدريس مادة مصادر المعلومات فى العلوم والتكنولوجيا ضمن برنامج إعداد مساعدى الباحثين بالمركز القومى للبحوث (وهم خريجو الكليات العملية بدرجات الامتياز).

- قام بتدريس علم التوثيق والمعلومات لأول مرة بتمهيدى ماجستير ١٩٦٥/٦٤ بجامعة القاهرة (قسم المكتبات والوثائق - كلية الآداب) وهذا المقرر هو بداية تدريس

علم المعلومات بالجامعات العربية.

ـ زميل هيئة اليونسكو الدولية UNESCO FELLOW بعد البعثة التدريبية لأوروبا ثم المشاركة فى إعداد الدراسات لليونسكو كما هو مبين بالكتب المنشورة.

١٩٧٥ ـ ١٩٧٨ ـ أستاذ التوثيق والمعلومات بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٥/٥/٧ ـ ١/ ١٠/١٩٧٨، ثم أستاذ غير متفرغ بعد ذلك بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٨٩/٨٨.

ـ مستشار جامعة القاهرة للمعلومات والمكتبات ومشرف على مكتبات الجامعة.

ـ عضو مجلس كلية الآداب (أقدم الأساتذة ثم بالاختيار).

ـ قام بتدريس مادتى الإعلام الدولى والرأى العام بكلية الإعلام بجامعة القاهرة.

ـ مستشار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الجامعة العربية) القاهرة.

ـ خبير ومبعوث الجامعة العربية لجمهورية اليمن الديمقراطية، وقد أعد تقريراً للجامعة حول مركز التوثيق والمعلومات بجامعة عدن، ١٩٧٧.

ـ مبعوث الجامعة العربية إلى بريطانيا لدراسة شبكات المعلومات هناك وزار (١٥) جامعة.. ثم أعد تقريراً للجامعة العربية فى هذا الشأن (١٩٧٧).

ـ مستشار مركز التنظيم والميكروفيلم مؤسسة الأهرام حيث أسهم فى تطبيق نظم معلومات ببعض الوزارات والمؤسسات.

ـ نائب رئيس لجنة النشر والإعلام العلمى ـ أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا (وهى لجنة على مستوى الدولة)، وأهم إنجازات اللجنة وضع معايير النشر العلمى بالدولة.

ـ نائب رئيس والمنسق الرسمى لجماعة التعاون المصرى فى اللجنة المصرية الأمريكية

المشتركة للتعاون فى مجال المعلومات العلمية والتكنولوجية (واللجنة مشكلة من بعض وكلاء الوزارات العلمية فى مصر مع ممثلين لجامعة القاهرة وأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا)، وقد أسفرت اجتماعات اللجنة عن وضع أسس شبكة المعلومات بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا (انظر الملحق الخاص بتشكيل اللجنة المصرية رقم ٢) كما أعد مع بعض أعضاء الفريق المصرى الدراستين التاليتين:

- Planning for a Faculty of Library and Information Science at Cairo University .- Cairo, 1976. paper presented to U.S. Egyptian Symposium/ Workshop on Planning an Egyptian National Scientific and Technical Information System. Cairo, April 5 - 15, 1976.

- Libraries, Librarianship and Information Services in Egypt. A survey and prospects .- Cairo, 1976. paper presented to the U.S. Egyptian Symposium/ Workshop...

ـ خبير هيئة اليونسكو الدولية وأعد مع فريق الخبراء (اليونسكو/ الأهرام) التقريرين التاليين:

أ ـ دراسة جدوى حول إنشاء المركز الإقليمى للتوثيق الإعلامى لدول الخليج ـ أبو ظبى ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ٧٧/ ١٩٧٨، (الخبراء هم: أحمد بدر ـ سعد الهجرسى ـ محمد حمدى ـ محمد عبد الخالق مدكور).

ب ـ دراسة جدوى حول المركز الإفريقى العربى للتوثيق والمعلومات بالشارقة دولة الإمارات العربية، ١٩٧٧، ٣٣ص (الخبراء هم: د. أحمد بدر ـ د. عبد الملك عوده ـ د. محمد عبد الخالق مدكور).

ـ قام بالإسهام فى إنشاء شعبة المكتبات بإدارة التعليم الفنى بالكويت (بمشاركة سعد الهجرسى) وذلك بناء على دعوة وزارة التربية الكويتية للخبيرين للمعاونة فى هذا الإنشاء فى معهدى المعلمين والمعلمات.

- مستشار إدارة التعبئة العامة (الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء بالقاهرة) لمشروع حصر الكفايات العلمية حيث تم استخدام التصنيف العشرى العالمى فى المشروع لأول مرة فى مصر.
- تم التسجيل معه فى عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه ثم انتقل التسجيل إلى بعض زملائه أعضاء هيئة التدريس بالقسم بعد استقالته وعمله بدولة الكويت عام ١٩٧٨. ومن بين موضوعات بعض رسائل الدكتوراه ما يلى: -

نظام المعلومات الطبى (محمد المصرى)، نظام المعلومات الزراعى (فتحى عثمان أبو النجا)، نظام معلومات البترول (شوقى سالم).

- أشرف على بعض رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة الإسكندرية وكانت أول رسالتين للماجستير تمنح بجامعة الإسكندرية تحت إشرافه وهما:

(غادة عبد المنعم: عن المكتبات الجامعية/ ناريمان اسماعيل متولى: عن التكنولوجيا وتأثيرها على تعليم المكتبات والمعلومات)، كما سجلت معه كل من غادة وناريمان لدرجة الدكتوراه: الأولى عن تعليم استخدام المكتبات والثانية عن اقتصاديات المعلومات ثم نقل الإشراف (للدكتور السيد محمود الشنيطى) بعد عمله بالسودان.

ونختتم هذا الجزء عن مصر بإسهام أحمد بدر فى بعض الشئون السياسية العامة المصرية، فقد حضر الاجتماع الموسع الذى دعا إليه د. مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى الحالى، حيث كان الاجتماع بجامعة القاهرة للتعرف على آراء أساتذة الجامعة بالنسبة لتحويل المنابر إلى أحزاب، وكان من بين التسميات المطروحة تسمية الحزب الرئيسى المعبر عن ثورة يوليو بالحزب الديمقراطى الاشتراكى أسوة بما هو متبع فى ألمانيا وبعض الدول الأوروبية وقد تحدث أحمد بدر حديثًا طويلاً خلاصته تناقض هذه التسمية فالديمقراطية هى مبدأ الحرية والاشتراكية هى مبدأ التدخل، وإذا كان لابد أن يكون بمصر حزب يحمل اسم الديمقراطية فلا ينبغى أن يقرن بالاشتراكية وسمى الحزب بعد ذلك بالحزب الوطنى الديمقراطى.

ب ـ فى دولة الكويت ١٩٦٦ ـ ١٩٧٥؛

١٩٧٨ ـ ١٩٨٢

ـ مدير إدارة المكتبات الجامعية ثم مستشار جامعة الكويت للمعلومات والمكتبات ١٩٦٦ ـ ١٩٧٥، ثم أستاذ لمناهج البحث (١٩٧٨ ـ ١٩٨٢).

يمثل إنشاء مكتبات جامعة الكويت (المكتبة المركزية بالخالدية ـومكتبات الكليات فى كيفان والخالدية والعديلية والشويخ) تحدياً مع الزمن، إذ جاء الفريق المصرى المكون من خمسة أمناء بما فيهم أحمد بدر المدير فى صيف عام ١٩٦٦، وكان عليهم وضع حوالى (٦٠,٠٠٠) كتاب تم شراؤهم خلال السنوات الست السابقة ـ على الرفوف لإفادة الطلاب وأعضاء هيئة التدريس مع افتتاح الجامعة فى بداية العام الأكاديمى ١٩٦٦/١٩٦٧ برعاية سمو أمير دولة الكويت. وقد تم تحقيق ذلك بكفاءة عالية (طبقاً لتقرير اليونسكو فى هذا الشأن) وقد اعتبرت المكتبة المركزية لجامعة الكويت مكتبة الإيداع القانونى للمطبوعات الكويتية قبل أن ينقل هذا الاختصاص إلى المجلس الوطنى للثقافة فى وقت لاحق، وإلى جانب الأقسام المركزية للتزويد والفهرسة والمراجع فقد أنشئت أقسام للتصوير العلمى والوسائل السمعية والبصرية على أعلى مستوى لخدمة المناهج التعليمية والبحث العلمى بجامعة الكويت.

ولعل من بين الإسهامات البارزة لإدارة المكتبات التعاون مع مركز الدراسات الفلسطينية لإصدار مجلة الدراسات الفلسطينية باللغة الإنجليزية Journal of Palestine Studies .ورئيس تحريرها هشام شرابى حيث كانت اجتماعات مجلس التحرير تتم بالتناوب سنوياً فى كل من بيروت والكويت بعضوية أمين عام جامعة الكويت ومدير إدارة المكتبات، فضلاً عن التعاون فى مشروعات أخرى، كإصدار الببليوجرافيا الفلسطينية (باللغتين العربية والإنجليزية)..

كما قام مدير إدارة المكتبات (أحمد بدر) بتنظيم دورات تدريبية لمدة سنتين للخريجين الجامعيين الكويتيين العاملين أساسًا فى المكتبات الجامعية، والحصول بعد النجاح فى الدورة على شهادة تثبت ذلك.. وقد انتقل بعض المتميزين العاملين بإدارة

المكتبات لإنشاء خدمات المعلومات ببعض المؤسسات الهامة الكويتية كالديوان الأميرى ومركز الكويت للأبحاث العلمية (حيث تولت فريال الفريح مديرة مكتبة كلية العلوم رئاسة مركز التوثيق والمعلومات هناك).

وفيما يلى بعض الأنشطة العلمية التى قام بها أحمد بدر أثناء وجوده بدولة الكويت:

- أسهم فى تدريس بعض مواد المكتبات والمعلومات بشعبة المكتبات فى معهدى المعلمين والمعلمات فضلاً عن الإسهام فى بعض الدورات التدريبية والمحاضرات العامة بوزارة التربية.
- أنشأ وقام بتدريس مقرر طرق البحث العلمى على مستوى الجامعة (مع فريق من أعضاء هيئة التدريس) ١٩٧٠ - ١٩٧٥ ثم من ١٩٧٨ - ١٩٨٢.

ولإدخال هذا المقرر بكلية التجارة ثم بجامعة الكويت بكلياتها المختلفة قصة، فمن المعروف أن هناك كتبًا ومقررات فى مناهج البحث التخصصية (مناهج البحث الاجتماعى - مناهج البحث فى السياسة - فى علم النفس.. إلخ.) ولكن مقررات طرق البحث العلمى التى تنسحب على مختلف العلوم فضلاً عن كيفية استخدام الكتب والمصادر لإعداد تقرير البحث... غير متوفرة فى الجامعات العربية... وبالنسبة لموضوعنا فقد قام الدكتور حسن الإبراهيم أستاذ مساعد العلاقات الدولية وعميد كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية بدعوة د. أحمد بدر لمصاحبته مع طلبته لمدة ساعتين، لتعريفهم بالمصادر والمراجع العامة والمتخصصة فى العلاقات الدولية والعلوم السياسية بمكتبة الكلية، بما يتضمنه ذلك من تعريف بالتصنيف والفهارس وطرق بحث الإنتاج الفكرى التقليدى والإلكترونية وإعداد تقرير البحث.. إلخ. وفى نهاية الجولة المذكورة قال الدكتور حسن للدكتور بدر أريدك أن تعد برنامجاً لمقرر إجبارى على جميع طلبة الكلية متضمنًا ما سمعته منك خلال الساعتين الماضيتين، وتم إعداد البرنامج بل وكتاب لأصول البحث العلمى ومناهجه.. ودرس المقرر الإجبارى خلال السنتين الأولى والثانية عادة بالكلية، ثم عمم هذا المقرر على جميع طلبة الجامعة، بعد أن أصبح د. حسن الإبراهيم مديراً للجامعة (وأصبح وزيراً للتربية بعد ذلك) ولكن

المقرر أصبح اختياريًا لعدم إمكانية توفير العدد الكافى من أعضاء هيئة التدريس ثم أدخل مقرر طرق البحث العلمى بعد ذلك فى جامعات الملك عبد العزيز وجامعة العين وقطر وغيرها من الجامعات العربية. . واحتوت لائحة قسم المكتبات والوثائق والمعلومات بجامعة القاهرة لعام ١٩٩٣ وهى اللائحة الجديدة المطورة على مقرر طرق البحث العلمى الذى يقدم للطلاب فى السنة الأولى.

وفيما يلى بعض الأنشطة الأخرى الهامة:

- قام بتدريس مقرر الرأى العام والإعلام «بكلية التجارة - قسم العلوم السياسية (١٩٧٠ - ١٩٧٥)، وكان تدريس هذا المقرر حافزاً لأحمد بدر لتأليف خمسة كتب فى الإعلام من بينها كتاب الصحافة الكويتية مع عبد الرحمن الشيخ.

- عضو لجنة تخطيط القوى العاملة - مجلس التخطيط - دولة الكويت وأعد التقرير التالى بمشاركة هاشمية العدسانى وكيل الوزارة: **مشروع تخطيط خدمات المكتبات والتوثيق بدولة الكويت. مجلس التخطيط - إدارة تخطيط القوى العاملة ، ١٩٧٥.**

- مستشار تحرير مجلة «مكتبة الجامعة» وهى مجلة محكمة تصدرها إدارة المكتبات بالجامعة.

- أعد وقدم برنامج ديناميكية الإسلام Dynamics of Islam لمدة عامين من الإذاعة الكويتية الموجهة باللغة الإنجليزية (١٩٧٣ - ١٩٧٤).

جـ - فى المملكة العربية السعودية: ١٩٨٢ - ١٩٨٨، ١٩٩٦ - ١٩٩٩

- أستاذ علم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٩٨٢ - ١٩٨٨.

ثم أستاذ علم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب - جامعة الملك سعود منذ عام ١٩٩٦.

ـ أشرف على خمس رسالات لدرجة الماجستير منحتها جامعة الملك عبد العزيز من بينها الموضوعات التالية:

* تعليم استخدام المكتبة (محمد عارف) ـ إدارة المكتبات الجامعية (محمد البرناوى).

* المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات بمنطقة الرياض (على المروعى) ـ الاستشهادات المرجعية (محمد عياش).

ـ أسهم فى وضع برنامج مطور لقسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز.

ـ يعمل حالياً مقرر لجنة الخطط الدراسية بقسم علوم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك سعود.. وينتظر بإذن الله أن تضع اللجنة مشروعاً مطوراً للقسم.

د ـ فى السودان: ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠.

ـ أستاذ ورئيس قسم المعلومات والمكتبات والوثائق ـ كلية الآداب ـ جامعة أم درمان الإسلامية

وأهم إسهاماته:

ـ التدريس والاستشارات الفنية خارج الجامعة.

ـ وضع برنامج مطور لقسم المعلومات والمكتبات والوثائق.

هـ ـ فى دولة قطر: ١٩٩١ ـ ١٩٩٦.

ـ أستاذ علم المكتبات والمعلومات ـ كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ـ جامعة قطر ـ الدوحة.

ومن أهم إسهاماته إلى جانب التدريس والاشراف بالوكالة على شعبة المكتبات والمعلومات ما يلى:

ـ إعداد مشروع قسم المكتبات والمعلومات المقترح إنشاؤه بكلية الإنسانيات (بالتعاون مع اللجان المختصة) وقد اجتاز مراحله الأساسية.

- إعداد مقومات تطبيق الرقم المعيارى الدولى للكتاب لدار الكتب القطرية فضلاً عن استشارات لتطبيق الميكنة بدار الكتب القطرية.
- اشترك فى عشر دورات تدريبية تمت بجامعة قطر أو خارجها (إدارة المكتبات الجامعية - المكتبات المدرسية والمكتبات العامة).
- قام بمحاضرات فى كلية الشريعة (الأسبوع الثقافى) وبكلية التربية (الدبلوم - مناهج بحث) وبمعرض الدوحة الدولى للكتاب.
- قام بتقييم مطبوعات مركز التراث الشعبى لدول الخليج وتقييم بعض مطبوعات المركز العالمى للفكر الاإلامى بأمريكا.

رابعاً: أضواء على بعض إسهاماته الأكاديمية الهامة:

هناك إسهامات عديدة لأحمد بدر بالنسبة لإنشاء المكتبات الجامعية (فى دولة الكويت أو تطويرها فى جامعة القاهرة) أو بالنسبة لإنشاء المكتبة المركزية للعلوم والتكنولوجيا (المركز القومى للبحوث - القاهرة) وغيرها.. وهناك إسهامات غير مباشرة تتصل أساساً ببعض الركائز الفنية السائدة الآن فى العالم العربى فقد قام فؤاد اسماعيل الساعد الأول لأحمد بدر فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا بترجمة تصنيف ديوى العشرى إلى اللغة العربية مع متابعة الطبعات الحديثة. كما قام إبراهيم الخازندار (بجامعة الكويت) بإعداد أول قائمة رؤوس موضوعات عربية كانت إحدى ركائز مختلف قوائم رؤوس الموضوعات التى جاءت بعد ذلك.. وإسهام أحمد بدر فى ذلك أنه قام كمدير لمكتبات جامعة الكويت باتخاذ إجراءات اختيار الخازندار وإعارته لجامعة الكويت ثم كفالة تفرغه لإعداد قائمة رؤوس الموضوعات العربية على مدى عدة سنوات.. ولكن الإسهامات التالية هى إسهامات أكاديمية مباشرة تمت خلال الأربعين عاماً السابقة:

(١) النظرية الرابطة أو المشاركة:

أى أنها النظرية التى تعبر عن علم المعلومات كعلم متعدد الارتباطات أو النظرية التى تشترك فى مجالين أو أكثر أحدهما علم المعلومات والمكتبات، وينبثق عن هذه

النظرية كثير من أعمال أحمد بدر (انظر ٢٣ دراسة فى كتابه عام ١٩٩٦ عن النظرية والارتباطات الموضوعية لعلم المعلومات) وإذا كان أحمد بدر قد عبر عن هذه النظرية فى إحدى دراساته عن بناء النظرية عام ١٩٩٢ إلا أن النظرية كانت تختبر على مدى أكثر من ثلاثين عاماً بالدراسات التى شمل معظمها فى كتابه المذكور.. فالنظرية عنده بدون اختيارها بالممارسة، تعتبر نظرية عقيمة، كما أن الممارسة بدون النظرية تعتبر نشاطا أعمى وكلما قويت قبضة النظرية كانت التجربة والممارسة أكثر فاعلية.

(٢) مناهج البحث:

لقد كانت المنهجية والتعبير الكمى عن الظواهر المعلوماتية، هى الوحدة الأولى فى تدريس مقرر «التوثيق العلمى» لطلبة السنة التمهيدية للماجستير عام ١٩٦٤/ ١٩٦٥ وما بعدها.. وله أربعة كتب عن المناهج وطرق البحث والتفكير العلمى (انظر قائمة المراجع) ولعل كتاب مناهج البحث فى علم المعلومات والمكتبات يحتل من بينها مكان القلب، إذ يقول عنه محمد فتحى عبد الهادى (فى كتاب علم المعلومات والتكامل المعرفى، ١٩٩٨، ص٣١٨) لعله أفضل عمل بالعربية فى مناهج البحث، وذلك بعد أن قام د. فتحى باستعراض فصول الكتاب والتعليق عليه فى حوالى صفحة ونصف.

(٣) التخطيط والشبكات:

لقد ظهر هذا الاهتمام فى رسالته للدكتوراه (١٩٦٣) ثم فى دراساته التى كلف بها من قبل معهد التخطيط القومى بمصر (١٩٦٥) والجامعة العربية (١٩٧٧) واليونسكو الدولية (١٩٧٧) بما فى ذلك إيفاده خبيراً لبعض البلاد العربية كدولة الإمارات واليمن واجتماعات اللجنة المصرية الأمريكية للمعلومات العلمية حيث عمل منسقًا للفريق المصرى (١٩٧٥ ـ ١٩٧٨)، والتى أسفرت اجتماعاتها عن وضع الخطوط العريضة للشبكة القومية للمعلومات فيما بعد.. كما يدخل فى هذا الاهتمام بالتخطيط تسجيل رسالات معه فى موضوعات متصلة كاقتصاديات المعلومات (دكتوراه جامعة الإسكندرية)، ولعل أحمد بدر من أوائل من كتبوا عن النظام العالمى للإعلام العلمى (اليونيسست) (انظر مجلة الثقافة العربية ٢٤، ١٩٧٤) ومزاياه على مستوى التعاون الدولى والتخطيط الإقليمى الوطنى.

(٤) مصادر المعلومات فى العلوم والتكنولوجيا:

لعله يتفرد فى هذا التخصص لقطاع هام من قطاعات المصادر والمراجع نظراً لتخصصه العلمى المسبق، وقد قام بتدريس هذا المقرر فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا لمساعدى الباحثين الذين يعينون بالمركز القومى للبحوث (من كليات العلوم والزراعة والطب والهندسة)، ثم قام بتدريس هذا المقرر فى أقسام المكتبات والمعلومات بجامعات عديدة (القاهرة/ الملك عبد العزيز بجدة/ الملك سعود بالرياض. . .) وغيرها، وقام أحمد بدر بتأليف الكتاب الذى يحمل عنوانه مصادر المعلومات فى العلوم والتكنولوجيا فضلاً عن بعض المقالات الأخرى المتعلقة (انظر المراجع).

(٥) تحليل المعلومات واسترجاعها:

التصنيف والتكشيف والاستخلاص، أدوات التحليل من أجل استرجاع المعلومات، وهى أدوات التمثيل المكثف لنصوص الوثائق، وبالنسبة للتصنيف فلعل أحمد بدر من الرواد الأوائل الذين وصلوا التصنيف البيليوجرافى بأصوله الفلسفية (انظر أحمد عبد الحليم فى كتابه: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص٢٧ ـ ٣٠) خصوصاً بالنسبة لقوله: اتسم عرض أحمد بدر بالدقة العلمية والوضوح والابتعاد عن الاستطراد، فضلاً عن عدم الاكتفاء بجهود علماء المكتبات بل الرجوع إلى ما قدمه الفلاسفة).

ولعل أحمد بدر أيضاً هو من الرواد الذين كتبوا عن التصنيف الآلى (انظر التصنيف والاسترجاع على الخط المباشر، ص١١٥ وما بعدها فى كتاب التصنيف ١٩٩٥)، أما بالنسبة للتكشيف والاستخلاص فقد كانا موضوعين رئيسيين فى تدريس التوثيق العلمى بجامعة القاهرة منذ عام ١٩٦٤ سواء بالنسبة لتطور وأنواع الكشافات والمستخلصات أو بالنسبة لاعتماد التطورات الحديثة على فئات رانجاناثان فى التصنيف ثم استخدام الحاسبات الآلية وميكنة المدخلات والمخرجات واستراتيجية البحث والمصطلحات واللغة والمعانى (كان أول من استخدم مصطلح المعاجم المتخصصة Spe-cial thesauri عام ١٩٦٤ وهو المصطلح الذى أطلق عليه المكانز فيما بعد، أى أن

أحمد بدر ركز على تطور رؤوس الموضوعات إلى مصطلحات التكشيف واستخدام العامل الدلالى Semantic Factor فى المستخلصات التلغرافية لنظام استرجاع المعلومات فى مجال التعدين Metallurgy فى جامعة كيس وسترن ريزرف بأمريكا واعتمد أحمد بدر فى ذلك أساساً على كتاب ألن كنت A.Kent الرائد عن تحليل المعلومات واسترجاعها والذى قام بترجمته اثنان من طلابه (حشمت قاسم وشوقى سالم) وقام هو بمراجعته (وكان الكتاب العربى تحت اسم ثورة المعلومات. . .) وتجدر الإشارة هنا إلى أن مقرر التوثيق العلمى الذى تم تدريسه بجامعة القاهرة ١٩٦٤ هو أول مقرر فى علم التوثيق والمعلومات تم تدريسه بالجامعات العربية، كما يأتى كتابه عن التحليل الموضوعى (بالاشتراك مع محمد فتحى عبد الهادى وناريمان اسماعيل متولى) تتويجاً لنشاطه فى مجال التكشيف والاستخلاص (الكتاب تحت الطبع).

(٦) الإعلام والاتصال:

الحاسبات والاتصالات والمكتبات أقرب للمجالات المعرفية لعلم المعلومات وأكثرها تأثيرًا على تطوره طبقًا لما جاء فى الإنتاج الفكرى الأجنبى (انظر كتاب المؤلف عن النظرية والارتباطات الموضوعية، ١٩٩٦)، وإذا كان أحمد بدر قد أشار فى مواضع عديدة إلى التوثيق العلمى والتوثيق الآلى على اعتبار أنه ثورة فى عالم المكتبات (انظر مقاله عام ١٩٦٤ وما بعدها عن استخدامات الحاسبات وتكنولوجيا المعلومات) فإن الإعلام والاتصال هو المجال الثانى الأقرب لعلم المعلومات وآية ذلك أن بعض الجامعات الأمريكية مثلاً تنشىء اقسامًا للمعلومات والحاسبات (معهد جورجيا) أو للمعلومات والاتصال (جامعة راتجرز) فضلاً عن الأقسام الأساسية فى المكتبات والمعلومات. ويتفرد أحمد بدر من بين زملائه فى دراسته للإعلام والاتصال وتأليفه لخمسة كتب فى مجالات الإعلام والاتصال والرأى العام والإعلام الدولى والصحافة (انظر قائمة المراجع). . . إلى جانب بعض الفصول فى كتب المكتبات والمعلومات عن وسائل إيصال المعلومات (انظر السياسات فى علم المعلومات والمكتبات، الفصل ٢٣)، ويعتبر كتابه «الإعلام الدولى» أول كتاب يصدر بهذا العنوان فى الوطن العربى.

(٧) المكتبات الجامعية والمتخصصة:

كتب أحمد بدر فى هذين المجالين أكثر من (٢٣) ثلاث وعشرون دراسة بين كتاب ومقال وبحث (انظر قائمة المراجع) ويعتبر كتاب المكتبات المتخصصة (تأليف أحمد بدر وحشمت قاسم) أول كتاب باللغة العربية يعكس وجهتى النظر الأمريكية والإنجليزية بالنسبة للإنتاج الفكرى فى هذا المجال، كما يعتبر كتاب المكتبات الجامعية (تأليف أحمد بدر ومحمد فتحى عبد الهادى) أول كتاب باللغة العربية فى مجاله حيث يعكس مختلف جوانب المكتبات الأكاديمية ويفخر أحمد بدر دائماً بزمالة كل من حشمت قاسم وفتحى عبد الهادى فى التأليف.

(٨) الإسلام وأخلاقيات المهنة:

لقد كان هذا الجانب واحداً من الجوانب التى اهتم بها أحمد بدر حتى يقيم التوازن فى علاقة علم المعلومات بالعلوم الطبيعية والتكنولوجية وبالعلوم الاجتماعية والإنسانية، فالإسلام بقيمه الرفيعة ومفاهيمه الإنسانية العالية كانت محور بعض كتاباته، كما أن الاألاقيات المهنية تكمل هذه الصورة (انظر المراجع).

(٩) التعليم والمكتبات الدولية والمقارنة:

إذا كانت دراسة أحمد بدر عن المكتبات الدولية والمقارنة هى ثانى دراسة فى الإنتاج الفكرى العربى (الدراسة الأولى لشعبان خليفة)، فقد كانت الدراستان متكاملتان أى لا تكرر إحداهما الأخرى، ولكن الأهم فى هذا المجال هو الاهتمام بتعليم علوم المعلومات والمكتبات المقارن، فضلاً عن عولمة هذا التعليم.. وظهر ذلك فى دراساته وقيامه بالإسهام فى تطوير برامج التعليم فى جامعات القاهرة والإسكندرية والكويت وأم درمان الإسلامية والملك عبد العزيز بجدة والملك سعود بالرياض، والإفادة فى ذلك من التطورات بالدول المتقدمة.. ولعل كتابه (بالاشتراك مع ناريمان متولى) عن الاتجاهات الحديثة فى تعليم علوم المعلومات والمكتبات (تحت الطبع) يعكس التطورات المنوه عنها.

خامساً: الإنتاجية والاستشهادات المرجعية:

يمكن اعتبار الإنتاجية والاستشهادات المرجعية مقاييس هامة لدرجة تأثير المؤلفين فى الإنتاج الفكرى للمكتبات والمعلومات بالوطن العربى:

وإن كان تأثير الأستاذ أو مدير خدمات المعلومات لا يقتصر على مجرد التأثير الكمى الببليومترى ولكنه تأثير نوعى/ شخصى/ علمى/ عاطفى... إلخ من الصعب تقييمه ووزنه، ذلك لأن هذا التأثير تراكمى يتصل بالنسبة لإدارة خدمات المعلومات بإنتاجية المؤسسة الأم، ويتصل بالنسبة لطلابه إلى البناء الفكرى والمنهجى الذى يحكم كثيراً من الجوانب الحياتية لديهم..

١ ـ الإنتاجية:

(أ) فى الدراسة التحليلية التى قام بها محمد فتحى عبد الهادى (١٩٩٦) لمواد مجلة المكتبات والمعلومات العربية، تبين أن المؤلفين ذوى الرتب الخمس الأولى فى الإنتاجية حسب الترتيب كما يلى: أحمد بدر ـ عوض العايدى (شعبان خليفه/ شريف شاهين)، حشمت قاسم ـ محمد فتحى عبد الهادى، وكان عدد المؤلفين الكلى الذين أسهموا فى المجلة خلال الأعوام العشرة قد بلغ (١٥٥) مؤلفاً (مائة وخمسة وخمسون مؤلفاً). ولما كان معظم ما كتبه عوض العايدى هو مراجعات لكتب فى صفحات قليلة، فإن الخمسة ذوى الإنتاجية العالية حسب ترتيبهم التنازلى هم (حسب عدد الأعمال): أحمد بدر(١٥) ـ شعبان خليفة (١٢) وشريف شاهين(١٢)، حشمت قاسم(١١)، ومحمد فتحى عبد الهادى(٩).

(ب) فى الدراسة التحليلية التى قام بها كل من السويدان والفضيلى (١٩٩٠) تبين أن مجموع المؤلفين العرب الذين أسهموا بإنتاج فى مجال التصنيف، بلغ (٤٢) مؤلفاً وأن المؤلفين ذوى الرتب الست الأولى فى الإنتاجية حسب الترتيب هم: محمود الأخرس ـ عبد الوهاب أبو النور ـ محى الدين عبد الرحمن ـ أحمد عبد الحكيم عطية ـ عبد الستار الحلوجى ـ أحمد بدر.

جـ ـ فى دراسة ببليومترية قام بها قنديلجى والزبيدى (١٩٩٦) للمجلة العربية

للمعلومات (١٩٧٧ ـ ١٩٩٥) تبين أن المجموع الكلى للدراسات المنشورة فى تلك الفترة بلغ (٢٧٩) دراسة. أما بالنسبة للمؤلفين الأكثر إنتاجاً فقد كانت الرتب الخمس الأولى كما يلى:

الرتبة الأولى: محمد فتحى عبد الهادى ومحمود أحمد أتيم (١٣ عملاً)

الرتبة الثانية: عبد الله الشريف (٨ أعمال)

الرتبة الثالثة: عامر إبراهيم قنديلجى (٧ أعمال)

الرتبة الرابعة: حسين الهبائلى وحشمت قاسم (٦ أعمال)

الرتبة الخامسة: أحمد بدر وشوقى سالم وعبد الباقى الدالى
ومحمد توفيق خفاجى ومحمد محمد أمان (٥ أعمال)

٢ ـ الاستشهادات المرجعية:

(أ) فى دراسة لنبيلة جمعة (١٩٩٧) عن الاستشهادات المرجعية فى أطروحات جامعة القاهرة ظهرت أكثر الاستشهادات للمؤلفين الخمسة التالية أسماؤهم حسب رتبة الاستشهاد: حشمت قاسم ـ محمد فتحى عبد الهادى ـ شعبان خليفة ـ سعد الهجرسى ـ أحمد بدر. وكان عدد الذين تم الاستشهاد بأعمالهم (٣٠) مؤلفاً.

(ب) فى دراسته للحصول على درجة الدكتوراه.. قام عبد الكريم الزيد بتحليل الاستشهادات المرجعية للإنتاج الفكرى للمكتبات والمعلومات وتوصل إلى أن الثلاثة ذوى الرتب الأعلى فى الاستشهادات هم: محمد فتحى عبد الهادى وحشمت قاسم وأحمد بدر.

(جـ) فى الدراسة التى قام بها سمير نجم حماده (عالم الكتب، س١٣، ع٤، ١٩٩٢، ٢٦٦+) بعنوان أنماط الاستشهادات المرجعية عند الباحثين العرب فى علوم المكتبات والمعلومات بالنسبة لمجلة مكتبة الإدارة، تبين له أن أكثر المؤلفين العرب الذين تم الاستشهاد بهم حسب الترتيب التنازلى هم: سعد الهجرسى ـ محمد فتحى عبد الهادى ـ أحمد بدر.

ودون الدخول فى تفسير هذه النتائج ومدى انسحابها على الإنتاج الفكرى التجميعى أو مدى انسحابها على الاستشهادات المرجعية خلال فترة أطول أو على أوعية أشمل، فمن الواضح أن الدراسات السابقة الخاصة [بالإنتاجية وبالاستشهادات المرجعية] ـ على محدودية نطاقها ـ تضع أحمد بدر وحشمت قاسم وسعد الهجرسى وشعبان خليفة ومحمد فتحى عبد الهادى فى مقدمة المنتجين والذين تم الاستشهاد بأعمالهم أكثر من غيرهم بالوطن العربى (وذلك حسب ترتيبهم هجائياً).

أما بالنسبة لتحليل رتبة Ranking مجموع الإنتاجية والاستشهادات المرجعية حسب البيانات أعلاه فقط، تضع الخمسة أعلاه فى أربع رتب كما يلى :

١ ـ محمد فتحى عبد الهادى.

٢ ـ أحمد بدر وحشمت قاسم.

٣ ـ شعبان خليفة.

٤ ـ سعد الهجرسى.

● ● ●





للمكتبات المدرسية والعامة

قواعد الفهرسة الأنجلو-أميركية

الطبعة الثانية مراجعة 1988

مع تعديلات 1993

مراجع الإنتاجية والاستشهادات:

١ ـ أحمد عبد الحليم (١٩٩١) تاريخ العلوم عند العرب. القاهرة: دار الثقافة.

٢ ـ سمير نجم حمادة (١٩٩٢) أنماط الاستشهادات المرجعية عند الباحثين العرب فى علوم المكتبات والمعلومات بالنسبة لمكتبة الإدارة. **عالم الكتب** س١٣، ع٤، ص٢٦٦+.

٣ ـ عامر إبراهيم قنديلجى ومحمد عبود الزبيدى (١٩٩٦)، كشاف تجميعى للسنوات ١٩٧٧ ـ ١٩٩٥ ودراسة تحليلية. **المجلة العربية للمعلومات**، تونس، مج١٧ ع١، ص٤٦ ـ ٩٢.

٤ ـ عبد الكريم الزيد (١٩٩٦) تحليل الاستشهادات المرجعية لمقالات الدوريات العربية فى مجال المكتبات والمعلومات للفترة ما بين عامى ١٤٠٨ ـ ١٤١٣هـ. رسالة دكتوراه الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. قسم المكتبات والمعلومات.

٥ ـ محمد فتحى عبد الهادى (يوليو ١٩٩٦) مجلة المكتبات والمعلومات العربية (يناير ١٩٨٥ ـ أكتوبر ١٩٩٥): دراسة تحليلية وكشاف. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**، الرياض، س١٦، ع٣، ص١٤٦ ـ ٢٠١.

٦ ـ ناصر محمد السويدان وأيمن على الفضيلى (أبريل ١٩٩٠) الإنتاج الفكرى عن التصنيف فى الدوريات العربية: دراسة تحليلية. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**، س١٠، ع٢، ص٢٤ ـ ٧٦.

٧ ـ نبيلة خليفة جمعة (يناير ١٩٩٧) الاستشهادات المرجعية فى أطروحات المكتبات والمعلومات بجامعة القاهرة ١٩٩٠ ـ ١٩٩٤. **الاتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات**، مج٤، ع٧، ص١٣.

الإنتاج الفكرى:

أولاً: الإنتاج الفكرى للكتب فى مجالات المكتبات والمعلومات وطرق البحث والإعلام (حسب تاريخ النشر):

1 - Report on Libraries and Documentation Centers in Holland, Sweden, Norway and France. Cairo, 1959 (Published by UNESCO and National Research Center, Cairo).

2 - Information retrieval and its potential for progress of Research in the UAR, Cairo: Operations Research Center of the Institute of National Planning, 1965.

3 - Directory of Archives, Libraries, Documentation Centers and Bibliographical Institutions in Arabic Speaking States. Cairo: UNESCO, 1965.

٤ ـ توفير المعلومات بأجهزة التوثيق بالوطن العربى، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٦، ١٩٦ ص (سلسلة المعلومات؛ رقم ١).

٥ ـ المركز العربى للتوثيق، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٧، ٢٦٦ص (بالاشتراك مع مصطفى حافظ وآخرين).

٦ ـ الأسس الفلسفية والاجتماعية لمهنة المكتبات، تأليف ج. هـ شيرا ترجمة عبد الرحمن الشيخ ومراجعة ومشاركة أحمد بدر. الكويت: مؤسسة الصباح، ١٩٧٩، ١٢٠ص.

٧ ـ الصحافة الكويتية: دراسات توثيقية وتحليلية وتاريخية وأرشيفية. الكويت: مؤسسة الصباح، ١٩٧٩، ٣١٧ ص (بالاشتراك مع عبد الرحمن الشيخ ونبيل جداى).

٨ ـ التفكير العلمى للمرحلة الثانوية. الكويت: وزارة التربية، إدارة المناهج والكتب الدراسية، ١٩٨١، ١٥١ص (تشعيب إلزامى مقرر ٦٤) أحمد بدر وآخرين.

٩ ـ ثورة المعلومات: استخدام الحاسبات الإلكترونية فى اختزان المعلومات واسترجاعها ـ ط٣. الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٢، ٤٨٤ص (الكتاب تأليف ألن كنت وترجمة حشمت قاسم وشوقى سالم مع مراجعة أحمد بدر).

١٠ ـ المكتبات المتخصصة: إدارتها وتنظيمها وخدماتها. ط٣. الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٨٢، ٥٠٢ص (بالاشتراك مع حشمت قاسم).

١١ ـ دراسات فى المكتبات والثقافتين. ط٣. شركة مكتبات عكاظ، ١٩٨٤، ٣١٢ص.

١٢ ـ المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات: ط٣. الرياض. دار المريخ، ١٩٨٥، ٤٤٨ص (صدر من هذه الطبعة عدة إصدارات عامى ١٩٨٨، ١٩٩١).

١٣ ـ المكتبات الجامعية: دراسات فى المكتبات الأكاديمية والشاملة. ط٣. القاهرة: مكتبة غريب ١٩٨٧، ٣١١ ص (بالاشتراك مع محمد فتحى عبد الهادى).

١٤ ـ التنظيم الوطنى للمعلومات: دراسة فى تخطيط وإدارة مراكز المعلومات العلمية والتكنولوجية. الرياض: دار المريخ، ١٩٨٧، ٣٣٥ص.

١٥ ـ مناهج البحث فى علم المعلومات والمكتبات. الرياض: دار المريخ، ١٩٨٨، ٤٢١ص.

١٦ ـ مصادر المعلومات فى العلوم والتكنولوجيا. الرياض: دار المريخ، ١٩٩١، ٣٩١ص.

١٧ ـ التصنيف: فلسفته، تاريخه، نظريته ونظمه وتطبيقاته العلمية. الرياض: دار المريخ، ١٩٩٥ (بالاشتراك مع محمد فتحى عبد الهادى). ٢٧٧ص

١٨ ـ أساسيات فى علم المعلومات والمكتبات: الرياض: دار المريخ، ١٩٩٦، ٤٢٥ص.

١٩ ـ علم المعلومات والمكتبات: دراسات فى النظرية والارتباطات الموضوعية، القاهرة: مكتبة غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٦، ٥٠٨ص.

٢٠ ـ الإعلام الدولى: دراسات فى الاتصال والدعاية الدولية. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨، ٤٠٧ص.

٢١ ـ الرأى العام: طبيعته وتكوينه ودوره فى السياسة العامة، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨، ٣٥٥ص.

٢٢ ـ الاتصال بالجماهير: بين الإعلام والتطويع والتنمية، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨، ٣٦٤ص.

٢٣ ـ مناهج البحث فى الاتصال والرأى العام والإعلام الدولى. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨، ٣٠٧ص.

٢٤ ـ أصول البحث العلمى ومناهجه . ط٩. ـ القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٦، ٥٥٢ص.

٢٥ ـ المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات: دراسات فى ادارة وتنظيم خدمات المعلومات. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٨، ٣٢٠ص.

٢٦ ـ علم المعلومات والتكامل المعرفى. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨ (بالاشتراك مع محمد فتحى عبد الهادى)، ٣٤٤ص.

٢٧ ـ التحليل الموضوعى: دراسات فى التكشيف والاستخلاص. ـ القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (بالاشتراك مع محمد فتحى عبد الهادى وناريمان اسماعيل متولى). [تحت الطبع].

٢٨ ـ اتجاهات حديثة فى تعليم علوم المعلومات والمكتبات: دراسات تحليلية مقارنة ـ القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر (بالاشتراك مع ناريمان اسماعيل متولى) [تحت الطبع].

ثانياً: المقالات والبحوث المنشورة بالدوريات الأجنبية والعربية المحكمة:

١ ـ التعاون الدولى فى التوثيق العلمى. **مجلة المكتبة العربية**. القاهرة: مج١، ع١ (١٩٦٣). ص ص٤٩ ـ ٦٣.

٢ ـ مراكز التوثيق والمكتبات العامة والإرشاد فى العلوم البحتة والتطبيقية. **مجلة المكتبة العربية**. القاهرة: ع٣ (ديسمبر ١٩٦٣). ـ ص ص ٣٤ ـ ٤١.

٣ ـ التوثيق الآلى... ثورة فى عالم المكتبات. ـ **مجلة المكتبة العربية**. ـ القاهرة، مج١، ع٤ (١٩٦٤) ص ص ١٨ ـ ٢٦.

٤ ـ عمليات معالجة المعلومات من حيث الاختزان والاسترجاع. فى : حلقة التوثيق

التربوى فى البلاد العربية، القاهرة: ١٩٧٠م. ـ ص ١٤٠ ـ ١٩٧.

٥ ـ مراكز التوثيق العلمى واختزان واسترجاع المعلومات فى مجالات التربية. فى حلقة التوثيق التربوى فى البلاد العربية .ـ القاهرة: ،١٩٧٠م. ـ ص ٢٨٣ ـ ٣١٦.

٦ ـ Kuwait University Libraries. **UNESCO Bulletin for Libraries,** March 1971.

٧ ـ الجامعة العصرية وإدخال البرامج التعليمية على استخدام المكتبة ومصادر المعلومات. **مجلة مكتبة الجامعة.** الكويت مج، ع٢ (يناير ١٩٧٢). ـ ص ص ١٥ ـ ٣٧.

٨ ـ الجامعة العصرية وإدخال البرامج التعليمية على استخدام المكتبة ومصادر المعلومات. فى: الندوة الأولى لأمناء ومديرى المكتبات بالجامعات العربية. ـ القاهرة، ١٩٧٢م. ـ ص١٤٣ ـ ١٦٧. (بالاشتراك مع سليمان كلندر).

٩ ـ الإعداد المهنى لأمناء المكتبات وبرامج التدريب بجامعة الكويت ـ فى: الندوة الأولى لأمناء ومديرى المكتبات بالجامعات العربية. ـ القاهرة، (١٩٧٢م). ـ ص ٩٧ ـ ١١٨.

١٠ ـ الكتب والمكتبات بين وسائل الإعلام الجماهيرى. **مجلة مكتبة الجامعة.** ـ الكويت مج١، ع٣ (أبريل ١٩٧٢). ـ ص ص٥٢ ـ ٦٩.

١١ ـ المكتبة العربية ودورها فى النهضة التعليمية. **مجلة مكتبة الجامعة.** ـ الكويت: مج١، ع٣ (أبريل ١٩٧٢) ـ ص ص ٢٦ ـ ٣٢.

١٢ ـ المكتبة والمجتمع. **مجلة مكتبة الجامعة.** ـ الكويت: مج١، ع٣ (ابريل ١٩٧٢).ـ ص ص ١٢ ـ ١٨.

١٣ ـ المكتبة والتكنولوجيا ودور التكنولوجيا فى حفظ واسترجاع المعلومات. **مجلة مكتبة الجامعة.** ـ الكويت مج٢، ع١ (أكتوبر ١٩٧٢) ـ ص ص ٣٦ ـ ٤٧.

١٤ ـ اقتراحات مراقبة المكتبات بجامعة الكويت بشأن تطوير المكتبات الجامعية العربية. **رسالة المكتبة.** ـ عمان س٧، ع٣ (ايلول ١٩٧٢). ـ ص ص ١٣ ـ ٢٣.

١٥ ـ حول ندوة أمناء ومديرى المكتبات بالجامعات العربية. **مجلة مكتبة الجامعة**. ـ الكويت مج٢، ع١ (اكتوبر ١٩٧٢). ـ ص ص ٦٢ ـ ٧١.

١٦ ـ اليونسكو والسلام العالمى بين النظرية والتطبيق. **مجلة كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية**.ـ الكويت: ع١ (١٩٧٢). ـ ص ص ٨٩ ـ ١٠٤.

١٧ ـ دليل الطالب فى المكتبة وكتابة البحث. ـ **مجلة مكتبة الجامعة**. ـ الكويت: مج٣، ع١ (أكتوبر ١٩٧٣) ـ. ص ص ١٠ ـ ٢٦.

١٨ ـ Libraries in Kuwait. in Encyclopedia of Library and Information Science, N.Y Dekker Inc., Vol. 14, 1974

١٩ ـ النظام العالمى للإعلام العلمى والتوثيق. **مجلة الثقافة العربية**. ـ القاهرة: ع٢ (١٩٧٤) . ـ ص ص ١٦ ـ ٢٢٧.

٢٠ ـ المكتبة والثقافتان. **مجلة مكتبة الجامعة**. ـ الكويت: مج٣ ، ع٢ ـ ٣ (يناير ـ ابريل ١٩٧٤). ـ ص ص ١٦ ـ ٢٩.

٢١ ـ تصنيف العلوم عند العرب. **مجلة مكتبة الجامعة**. ـ الكويت: مج٤، ع١ (يناير ١٩٧٥). ـ ص ص ٤ ـ ١٣.

٢٢ ـ تصنيف ديوى العشرى بين تأثير بيكون وفلسفة هيجل. **مجلة مكتبة الجامعة**. ـ الكويت: مج٤، ع١ (يناير ١٩٧٥).ـ ص ص ٤٦ ـ ٥٧.

٢٣ ـ مشروع إنشاء قسم المعلومات والمكتبات بجامعة الكويت. **مجلة مكتبة الجامعة**. ـ الكويت: مج٤، ع٢ (أبريل ١٩٧٥). ـ ص ص ٣٦ ـ ٤٩.

٢٤ ـ العلم والتكنولوجيا فى السياسة الدولية. **مجلة السياسة الدولية**. ـ القاهرة: (أكتوبر ١٩٧٥).ـ ص ص ٩٨ ـ ١٠٩.

٢٥ ـ التصنيف السوفيتى والماركسية اللينينية بين النظرية والتطبيق. **مجلة مكتبة الجامعة**.ـ الكويت : مج٤، ع٣ (اكتوبر ١٩٧٥) ـ ص ص ٤٢ ـ ٤٩.

٢٦ ـ الثورة السلوكية فى العلوم السياسية. **مجلة العلوم الاجتماعية**. ـ الكويت: (ديسمبر

١٩٧٥). ـ ص ص ٣٥ ـ ٤٩.

٢٧ ـ مفهوم التوثيق الفنى: أهدافه ومجالاته. ـ ٩ص فى: الحلقة الدراسية للتوثيق والمعلومات الفنية فى المجالات التقييسية. ـ القاهرة: المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس، ١٩٧٦م.

٢٨ ـ النظم اليدوية لمعالجة المعلومات الفنية. ـ ٥ص (نفس الحلقة السابقة).

٢٩ ـ الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية فى مجال التوثيق والمكتبات. ـ ١٣ص فى: الحلقة الدراسية للتوثيق والمعلومات الفنية فى المجالات التقييسية. ـ القاهرة: المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس، ١٩٧٦م.

٣٠ ـ إصلاح تعليم المكتبات فى الدول النامية/ تأليف رسل باودن؛ ترجمة أحمد بدر .ـ **مجلة اليونسكو للمكتبات**. ـ س٨، ع٢٩ (نوفمبر ١٩٧٧م). ـ ص٣٨ ـ ٤٧.

٣١ ـ أنشطة اليونسكو فى مجال الإعلام: إنجازات عامى ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦م/ ترجمة أحمد بدر. **مجلة اليونسكو للمكتبات**: س٨، ع٣٢ (أغسطس ١٩٧٨م) ـ ص٢ ـ ١٣.

٣٢ ـ المكتبة الشاملة كمحور لعملية البحث والتعلم فى الجامعة العصرية. ـ **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، الكويت: مج٢، ع٦ (ربيع ١٩٨٢م). ـ ص٦٥ ـ ٧٩.

٣٣ ـ دور التليفزيون فى التنشئة والعادات القرائية كعناصر قاعدية فى التأثير على المجتمع المعاصر. ـ الرياض: جهاز تليفزيون الخليج، ١٩٨٣م. ـ ٣٧ص. ـ (سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية رقم٢).

٣٤ ـ الإسلام ومفاهيم علم المعلومات. **المجلة العربية للمعلومات**. ـ تونس: مج٥، ع٢ (١٩٨٤). ـ ص ص ٢١٣ ـ ٢٢٤.

٣٥ ـ مجتمع المعلومات بين التكنولوجيا المتطورة والقيم الإنسانية المهدرة. **المجلة العربية للمعلومات**. ـ تونس: مج٦، ع١ (١٩٨٥). ـ ص ص ١٨٠ ـ ١٩٤.

٣٦ ـ المكتبات الدولية والمقارنة: هل هى منهج بحث أم مجال للدراسة؟. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. الرياض: س٥، ع١ (يناير ١٩٨٥)ص ص ٥ ـ ٣٤.

٣٧ ـ أسلوب دلفى كمنهج حديث فى بحوث المكتبات والمعلومات. **مجلة الإدارة**. ـ الرياض: مج١٢، ع٢ (جمادى الأولى ١٤٠٥). ـ ص ص ٥ ـ ٢٢.

٣٨ ـ حركة المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات فى ج.م.ع (الجزء الأول). **المجلة العربية للمعلومات**. ـ تونس: مج، ع٢ (١٩٨٥). ـ ص ص ٥٧ ـ ٩٠.

٣٩ ـ مشروع البحث ومصادر المعلومات فى علم المكتبات والمعلومات. **مجلة عالم الكتب**. ـ الرياض : مج٦، ع١ (رجب ١٤٠٥). ـ ص ص ٣٢ ـ ٤١.

٤٠ ـ مجتمع المعلومات المستقبلى وبعض آثاره الاجتماعية والنفسية. **الفيصل**. ـ الرياض: ع٩٨ (شعبان ١٤٠٥). ـ ص ص ٤٠ ـ ٤٨.

٤١ ـ تحليل الإنتاج الفكرى فى مجال مناهج البحث فى علم المكتبات والمعلومات. **مجلة عالم الكتب**. ـ الرياض: مج٦، ع٣ (محرم ١٤٠٦). ـ ص ص ٢٩٨ ـ ٣١٦.

٤٢ مفاهيم أساسية عن البحث والطريقة العلمية. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: س٥، ع٢ (محرم ١٤٠٦). ـ ص ص ٥ ـ ١٦.

٤٣ ـ العثور على موضوع للبحث فى المكتبات والمعلومات. **مجلة مكتبة الإدارة**. ـ الرياض: مج١٣، ع٢ (جمادى الأولى ١٤٠٦). ـ ص ص ٥ ـ ٢٢.

٤٤ ـ دراسات المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: مج٦، ع١ (ربيع الثانى ١٤٠٦) ـ ص ص ٥ ـ ١٩.

٤٥ ـ حركة المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات فى ج. م. ع (الجزء الثانى). **المجلة العربية للمعلومات**. ـ تونس: مج٧، ع٢ (١٩٨٦). ـ ص ص ١١ ـ ٣٤.

٤٦ ـ تحقيق النصوص والببليوجرافيا النصية فى بحوث المكتبات. **مجلة عالم الكتب**. ـ الرياض: مج٧،ع١ (رجب ١٤٠٦). ـ ص ص ٣٣ ـ ٤١.

٤٧ ـ علم المعلومات ونمو الدراسات الببليومترية وقوانينها وتطبيقاتها. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض : س٧،ع١ (ابريل ١٩٨٧). ـ ص ص ٥ ـ ٢٤.

٤٨ ـ القياسات الوراقية ومنهجية بناء وتطوير القوانين والنظريات والنماذج. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض س٧، ع٢ (يوليو ١٩٨٧) ـ ص ص ٨٥ ـ ٣٠).

٤٩ ـ البحث التجريبي فى المكتبات والمعلومات. **مجلة مكتبة الإدارة**. ـ الرياض: مج١٤، ع١ (محرم ١٤٠٧هـ / أكتوبر ١٩٨٧). ـ ص ص ٥ ـ ٢٤.

٥٠ ـ التاريخ الشفوى فى بحوث علم المكتبات. **مجلة عالم الكتب**. ـ الرياض: مج٨، ع٢ (شوال ١٤٠٧هـ). ـ ص ص ١٨٢ ـ ١٨٨.

٥١ ـ المستفيدون من المكتبات الأكاديمية: دراسة منهجية بحث مشكلات تعليمهم واتجاهاتهم ونوعياتهم. **المجلة العربية للمعلومات**. ـ تونس: مج٩، ع٢ (١٩٨٨) ـ ص ص ٥ ـ ٢٣.

٥٢ ـ معايير المكتبات المتخصصة. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: مج٨ ـ ع٢ (أبريل ١٩٨٨). ـ ص ص ٥ ـ ٣٠.

٥٣ ـ المكتبات المتخصصة: تاريخها وتعريفها ووظائفها وتحولها المعاصر إلى مراكز للمعلومات. **مجلة عالم الكتب**. ـ الرياض: مج٩ ، ع٢ (نوفمبر ١٩٨٨). ـ ص ص ٤٦٦ ـ ٤٧٦.

٥٤ ـ شبكات المعلومات وخدمات الموضوعات المتخصصة. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: س ٩، ع١ (يناير ١٩٨٩). ـ ص ص ٣٧ ـ ٦٦.

٥٥ ـ الخدمة المرجعية والبحث عن الإنتاج الفكرى بالمكتبة المتخصصة. **صحيفة المكتبة** ـ القاهرة: مج٢١، ع٢ (أبريل ١٩٨٩) ـ ص ص ٢٥ ـ ٣٨.

٥٦ ـ الاسطوانات البصرية واسطوانات الفيديو: تكنولوجيا حديثة للاختزان والخدمة بالمكتبات ومراكز المعلومات. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: مج٩ ، ع٤ (يوليو ١٩٨٩). ـ ص ص ٤٩ ـ ٦٦.

٥٧ ـ أثر التكنولوجيا الجديدة على المكتبات ومراكز المعلومات. **مجلة المكتبات**

والمعلومات العربية .ـ الرياض: س١٠، ع١ (يناير ١٩٩٠). ـ ص ص ١٥١ ـ ١٦٧ (مراجعة كتاب جمعية المكتبات البريطانية بهذا العنوان).

٥٨ ـ تكنولوجيا المعلومات وتأثيرها على تعليم المهنيين فى المكتبات المتخصصة. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: مج١٠، ع٤ (يوليو/ أكتوبر ١٩٩٠). ـ ص ص ٤٨ ـ ٦٨.

٥٩ ـ ما الذى ينبغى أن يتعلمه المهنيون فى المعلومات للمستقبل؟ (ورقة بحث مقدمة للندوة العلمية الأولى لقسم المكتبات والوثائق والمعلومات». كلية الآداب. ـ جامعة القاهرة، والخاصة بإعداد أخصائيى المكتبات والوثائق والمعلومات فى مصر بين الحاضر والمستقبل. ـ (٩، ١٠ يوليو ١٩٩٠) ـ ٢٨ص.

٦٠ ـ اقتصاديات المعلومات. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: مج١٢، ع١ (يناير ١٩٩٢). ـ ص ص ٥ ـ ٤٤.

٦١ ـ بناء النظرية فى علم المعلومات والمكتبات. **مجلة عالم الكتب**. ـ الرياض .ـ مج١٣، ع٣ (مايو/ يونيو ١٩٩٢). ـ ص ص ٢٢٦ ـ ٢٤٨.

٦٢ ـ العلاقات العامة بالمكتبات ومراكز المعلومات. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: مج١٣، ع٣ (يوليو ١٩٩٣). ـ ص ص ٥ ـ ٢٤.

٦٣ ـ الببليوثيرابيقا أو العلاج بالكتاب والقراءة. **مجلة عالم الكتب**. ـ الرياض .ـ مج١٤، ع٥ (نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٣). ـ ص ص ٦٤٣ ـ ٦٤٠.

٦٤ ـ تعليم المستفيدين فى المكتبات الأكاديمية مع دراسة حالة عن مكتبات جامعة قطر. ـ بحث قدم للندوة العربية الرابعة للمعلومات حول المكتبات الجامعية دعامة البحث العلمى والعمل التربوى بالوطن العربى، سرمدى، زغوان، تونس، (ديسمبر ١٩٩٣م) .ـ ص ٦١ ـ ٧٨.

٦٥ ـ نظرية التجهيز الإنسانى للمعلومات بين الذاكرة الداخلية والذاكرة الخارجية. ـ **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ س١٥، ع١ (يناير ١٩٩٥م). ـ ص ٥ ـ ٢٥.

٦٦ ـ الاتجاه المكتزى فى قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس. ـ **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: مج١٥، ع٢ (أبريل ١٩٩٥م).

٦٧ ـ مشروع الشبكة العربية للمعلومات: دراسة مقارنة للوضع القائم ولتطوير تشريعات تراسل البيانات فى الاتحاد الأوروبى والمجتمع الأمريكى والوطن العربى .ـ (دراسة مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سبتمبر ١٩٩٥م). ـ ٩١ص (بالاشتراك مع محمد محمود عرفة).

٦٨ ـ بيئة المكتبات والمعلومات وإنتاجية البحث العلمى. ـ **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: س١٥، ع٤ (أكتوبر ١٩٩٥م) ـ ص٥ ـ ٣٤.

٦٩ ـ محو الأمية المعلوماتية والدخول إلى القرن الحادى والعشرين. ـ **الاتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات**، مج٣، ع٥ (يناير ١٩٩٦م)، ص١٣ ـ ٣٦.

٧٠ ـ ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والصحوة التربوية العربية فى القرن الواحد والعشرين/ أحمد أنور بدر ووضحى السويدى.ـ قدم للمؤتمر التربوى الخامس والعشرين لجمعية المعلمين الكويتية (٤ ـ ٩ مايو ١٩٩٦). ـ ٣٤ص.

٧١ ـ مصادر التعلم والثورة المعاصرة فى تكنولوجيا التعليم والمعلومات مع دراسة حالة بجامعة قطر/ أحمد أنور بدر ووضحى على السويدى. **حولية كلية التربية**.ـ جامعة قطر، ١٩٩٥: س١٢ ع١٢. ـ ص ص ٩٩ ـ ١٤٨.

٧٢ ـ المعلومات وعلم المعلومات فى التسعينات: أضواء من الإنتاج الفكرى الأجنبى. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**: س١٦، ع٣ (يوليو ١٩٩٦) ص ص ٥ ـ ٤٨.

٧٣ ـ الخصوصية وحماية الملكية الفكرية: قضايا ساخنة فى عصر المعلومات والحاسبات. **مجلة آفاق تربوية**. ـ الدوحة، : ع١ (سبتمبر ١٩٩٦) ـ ص ص ١٠٢ ـ ١١٦.

٧٤ ـ أنماط استخدام طلبة وطالبات جامعة قطر لمكتباتها فى ظل نظام الساعات المكتسبة: دراسة مسحية (بالاشتراك مع وضحى السويدى). **حولية كلية التربية**: ع١٣، ١٩٩٦. ـ ص ص ١٠٥ ـ ١٣٨.

٧٥ ـ اللغة الطبيعية والمصطلحات المحكومة فى استرجاع المعلومات. **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية**. ـ الرياض: مج٣، ع١ (مايو ـ أكتوبر ١٩٩٧م). ـ ص ص ١٠٤ ـ ١٤٤.

٧٦ ـ الكشافات والتكشيف: دراسة فى المصطلحات والعلاقات والتقييم والمستقبل. **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. ـ الرياض: س ١٨، ع١ (يناير ١٩٩٨)

٧٧ ـ الكشافات والتكشيف: دراسة فى أنواع الكشافات ومستويات التكشيف وخطواته. **صحيفة المكتبة**. القاهرة: ع٢٩، ع٣ (أكتوبر ١٩٩٧م). ـ ص٥ ـ ٤٧.

٧٨ ـ المعلومات الالكترونية ودورها فى تطوير التعليم العالى بالمملكة فى القرن الحادى والعشرين بحث مقدم لندوة التعليم العالى فى المملكة العربية السعودية: رؤى مستقبلية للقرن الحادى والعشرين. ـ الرياض ٢٥ ـ ٢٨/ ١٠/١٤١٨هـ. ـ ٤٠ص (بالاشتراك مع سليمان صالح العقلا).

٧٩ ـ الأخلاقيات المهنية فى المكتبات وأجهزة المعلومات المعاصرة. **الاتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات**.ـ القاهرة، س٥، ع١٠ (يوليو ١٩٩٨.

٨٠ ـ التحليل المقارن لمصطلحات ومستخلصات العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات على ضوء معايير الاستخلاص وفى بيئة استرجاع الكترونية وتقليدية. **مجلة عالم الكتب**. الرياض، س١٨، ع٣ (يوليو ١٩٩٨).

٨١ ـ مجتمع المعلومات الكونى وقضايا الخصوصية وأمن المعلومات وحق التأليف. **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية**. ـ الرياض.

وإذا كان الإنتاج الفكرى لأحمد بدر قد صدر فى أشكال عديدة [كتب/ مقالات دوريات/ تقارير بحث/ أجزاء من ندوات أو مؤتمرات...]، فيمكن فيما يلى الإشارة إلى الدوريات التى نشرت فيها المقالات البحثية مرتبة حسب رتبتها:

١ ـ مجلة المكتبات والمعلومات العربية، الرياض...........(١٧ عملاً)

٢ ـ مجلة مكتبة الجامعة، الكويت...............(١٢ عملاً)

٣ ـ مجلة عالم الكتب، الرياض................(٨ أعمال)

٤ ـ المجلة العربية للمعلومات، تونس. . . . . (٥ أعمال)

٥ ـ مجلة مكتبة الإدارة، الرياض. . . . . (٣ أعمال)

٦ ـ صحيفة المكتبة العربية، القاهرة . . . . (٣ أعمال)

٧ ـ صحيفة المكتبة، القاهرة. (٢ عملان)

٨ ـ مجلة اليونسكو للمكتبات، . القاهرة . . . . (٢ عملان)

٩ ـ الاتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات، القاهرة. . . . . (٢ عملان)

١٠ ـ مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض. . . . . (٢ عملان)

١١ ـ حولية كلية التربية، الدوحة. . . . . (٢ عملان)

١٢ ـ مجلة آفاق تربوية، الدوحة. . . . . (عمل واحد)

١٣ ـ رسالة المكتبة، عمان. (عمل واحد)

١٤ ـ مجلة السياسة الدولية، القاهرة. . . . . (عمل واحد)

١٥ ـ مجلة كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية،الكويت. . (عمل واحد)

١٦ ـ مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت. . . . .(عمل واحد)

١٧ ـ المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت . . . . (عمل واحد)

١٨ ـ مجلة الثقافة العربية، القاهرة. . . . . (عمل واحد)

١٩ ـ مجلة الفيصل، الرياض. . . . . (عمل واحد)

20 - UNESCO Bull. for libraries, Paris (one article)

21 - Enyclopedia of Library and Information Science, U.S.A (one article).

أحمد على تمراز

Ahmad Aly Tamraz

البيانات الشخصية:

- من مواليد الغربية فى التاسع من فبراير ١٩٤٠ حيث نشأ فى بيت علم، وكان والده من رجال الدولة العلماء.
- تلقى تعليمه الابتدائى وما قبله بمدارس الليسية.
- أما التعليم الإعدادى (المتوسط) والثانوى فتلقاه بالقاهرة، حيث حصل على شهادة الثانوية العامة من مدرسة بنباقادن الثانوية بالحلمية الجديدة عام ١٩٥٩م.
- متزوج وله ثلاثة أولاد.

المؤهلات العلمية:

- حصل على دكتوراه فى الفلسفة (تخصص مكتبات ومعلومات) من جامعة رتجرز الحكومية بولاية نيوجيرسى ـ بالولايات المتحدة الأمريكية وذلك فى ديسمبر ١٩٨٣م. Rutgers State University N.J (USA)
- حصل على ماجستير فى إدارة المكتبات الأكاديمية من جامعة لونج آيلاند بنيويورك بالولايات المتحدة عام ١٩٨٠م Long Island University N.Y (USA).
- حصل على الدبلوم الخاص فى المكتبات والمعلومات من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م.
- حصل على دبلوم فى نظم المعلومات من المعهد المركزى للمعلومات والتوثيق التابع لأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا بألمانيا عام ١٩٦٧/١٩٦٨م.
- حصل على الليسانس من جامعة القاهرة عام ١٩٦٣م.
- حصل على العديد من الدورات العلمية وورش العمل. كان آخرها فى يناير ١٩٩٧

بالولايات المتحدة ولاية نيوجيرسى حيث التحق بدورة عن Hyper Text. وفى يناير ١٩٩٦م التحق بدورة عن Internet وقام بتنظيم الدورتين مركز خدمة المجتمع بمنطقة وسط ولاية نيوجيرسى.

الخبرات العملية:

- يعمل حالياً عضو هيئة تدريس بكلية العلوم الاجتماعية ـ قسم المكتبات والمعلومات بالرياض ـ المملكة العربية السعودية منذ حصوله على الدكتوراه.
- عمل وكيلاً لقسم المكتبات والمعلومات المذكور لمدة عامين ١٩٨٨م ـ ١٩٨٩م.
- عمل مديراً عامًا للشئون الفنية بعمادة شئون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود فى الفترة من ١٩٨٤م ـ ١٩٨٦م.
- عمل رئيساً للتحرير وعضو هيئة تحرير لعدد من المجلات العلمية المتخصصة نذكر منها:

١ ـ دراسات عربية فى المكتبات والمعلومات.

٢ ـ المجلة العربية للمكتبات والمعلومات.

٣ ـ حولية المكتبات والمعلومات.

٤ ـ الكشاف الإسلامى.

- عمل مستشاراً أكاديميًا لعدد من الهيئات العلمية والأكاديمية العربية والأجنبية.
- عمل أميناً لقسم المراجع بمكتبة العلوم والطب بجامعة رتجرز بولاية نيوجيرسى Library of Science and Medicine, Piscataway, N.J.
- عمل أمينًا لمكتبة كلية الهندسة بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً) فى الفترة من ١٩٧٢ ـ ١٩٧٩م. حيث قام بإعادة تنظيمها وبناء مجموعاتها تماماً بما يتناسب مع المقررات والمناهج الدراسية التى تقدمها الجامعة لطلاب كلية الهندسة. حيث أنشأ قسم جديد للدوريات بالمكتبة وكذلك قسم للمواصفات والمقاييس الهندسية، وذلك لدعم ومساندة المناهج التى تقدم.

- كان يقوم بتدريس عدد محدد من الساعات حول موضوع «المكتبة والبحث» لطلبة كلية الهندسة الجدد، حيث كان التركيز فيها على استخدام المراجع المتخصصة فى مجال العلوم البحتة والتطبيقية مثل الموسوعات والأدلة والكشافات العلمية والهندسية ودوريات الاستخلاص وكتب الحقائق، وأدلة المواصفات الهندسية خاصة البريطانية والأمريكية والعالمية.

- قام بإعداد أول فهرس للمقتنيات الجديدة بمكتبة كلية الهندسة باستخدام الحاسب الآلى التعليمى بالكلية عام ١٩٧٦ وربما كانت هذه أول تجربة لاستخدام الحاسب فى مجال المكتبات ليس فقط بدول الخليج العربى بل على مستوى العالم العربى فى تلك المرحلة المبكرة لتطبيقات الحاسب فى هذا المجال عام ١٩٧٦م، وإن كانت هذه التجربة لم تخلو من الأخطاء الفنية - فقد تم إعداد برنامج محلى، إذ لم تكن البرامج الجاهزة فى مجال المكتبات كتب لها أن تخرج إلى النور فى تلك المرحلة المبكرة لاستخدامات الحاسب فى مجال المكتبات.

- أشرف على تنظيم وإقامة أول معرض دولى للكتاب بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٧٥م. حيث واكب هذا المعرض مؤتمر التضامن الإسلامى للعلوم والتكنولوجيا واشترك فى هذا المعرض أكثر من مائة دار نشر أوروبية وأمريكية وعربية. وقد أشاد اتحاد الناشرين الأمريكيين بالجهود التنظيمية والتى أدت إلى نجاح المعرض وفتح آفاق جديدة لدور النشر الأمريكية والأوروبية فى منطقة الخليج.

- عمل فى الفترة من ١٩٦٠ وحتى ١٩٧١ بالمركز القومى للإعلام والتوثيق والذى أسسته منظمة اليونسكو بالمركز القومى للبحوث ليكون مركز وطنى للمعلومات العلمية والتقنية. وإن كان هذا المركز لم يقم بالدور الذى أنشيء من أجله، إذ لم يتعدى كونه مكتبة ضخمة تحتوى على آلاف الدوريات العلمية والكشافات ودوريات الاستخلاص إضافة إلى بعض الكتب المرجعية المتخصصة فى العلوم البحتة والتطبيقية. وقد تقلصت خدمات هذه المكتبة كثيراً خاصة بعد عام ١٩٦٧م، بسبب تراجع ميزانيتها، وتواتر العديد من المشرفين على المركز القومى للإعلام والتوثيق من غير المتخصصين لتطوير العمل بهذا المرفق الحيوى، والذى كان تعبير بحق أضخم مكتبة علمية متخصصة بالشرق الأوسط بمفهومه الواسع.

الاتجاهات العلمية:

- كانت فترة الابتعاث إلى ألمانيا لدراسة نظم المعلومات العلمية بالمعهد المركزى للمعلومات والتوثيق ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ البداية الحقيقية للتكوين العلمى. فقد عاش جوًا علميًا مشحونًا بالعمل المتواصل فى مجال خدمات المعلومات والتوثيق. فكانت عمليات التكشيف والاستخلاص للدوريات العلمية الألمانية يجرى على قدم وساق فتعلم من الألمان أسلوب العمل الدؤوب فى إدارة وتنظيم عمليات التكشيف والاستخلاص، وخدمات الإحاطة الجارية حيث كان يستخدم أسلوب تمرير الدوريات بمراكز البحث العلمى.

وكانت تلك الفترة (النصف الثانى من الستينيات) تشهد بدايات استخدام الحاسب الآلى وتطبيقاته فى مجال المكتبات والمعلومات وكانت أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا الألمانية تبذل قصارى جهدها فى الاستثمار الأمثل للحاسب الآلى، وإجراء التجارب المختلفة فى مجال تقنية المعلومات فى تلك المرحلة المبكرة. وكانت ترسل البعثات إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا للاستفادة من خبراتهما فى هذا المجال. وبدأت فى ألمانيا حملة إعلامية قوية عن أهمية المعلومات، وصناعة المعلومات ويذكر ذلك الإعلان فى كافة أنحاء ألمانيا الذى يقول بالحرف: توفير المعلومات الصحيحة = توفير للوقت والمال.

- من هنا فقد عاش أحمد تمراز فترة طويلة فى ألمانيا فى أجواء مملوءة بالحماس والأمل لأهمية المعلومات فى حياة كافة قطاعات المجتمع (رجال الاقتصاد ـ الاجتماع ـ العلوم البحتة ـ العلوم التطبيقية . . .) فكل قطاع من هذه القطاعات يحتاج إلى قدر كاف من المعلومات فرجال الصناعة الألمان يحتاجون إلى المعلومات الحديثة لتطوير صناعاتهم حتى يتمكنوا من المنافسة فى الأسواق العالمية ـ رجال الكيمياء. . الفيزياء. . الرياضيات كل منهم يحتاج إلى المعلومات لتطوير مجاله.

- بعد انتهاء فترة الابتعاث والعودة إلى الوطن، كانت البيروقراطية أقوى من طموحات الفرد العائد من الخارج. فلم يتمكن المرء من تحقيق ذاته، ولا شرح ما درس وتعلم من خبرات فى ألمانيا. . . إلى أن شاءت الظروف وتمت إعارته عام ١٩٧٢

للعمل بالمملكة العربية السعودية ـ جامعة الرياض حيث بدأ يتحقق جزء من طموحاته وحماسه وكانت قواعد الإعارة بالمركز القومى للإعلام والتوثيق والتى قررتها أكاديمية البحث العلمى بمصر تطبق بأكثر من مكيال. فبعد ثلاث سنوات من إعارته أرسل إليه مدير المركز خطاب تهديد بالفصل من عمله إذا لم يرجع لاستلام عمله بالمركز وكان ذلك عام ١٩٧٥م وكان قبل ذلك بأسابيع قليلة، قد قام مدير عام المركز القومى للإعلام والتوثيق بزيارة الرياض ـ أثناء عودته من الهند ـ للاطمئنان على رعيته وسلمه طلب لتجديد إعارته لسنة رابعة، وبعد عودته إلى القاهرة أرسل إليه برقية تهديد بالفصل من عمله بالمركز إذا لم يلتزم بقواعد اعارة الموظفين إلى الخارج... فالقواعد طبقت فقط عليه وحده وقلة من الموظفين، بينما البعض الآخر مازال على ذمة الإعارة النظامية منذ السبعينات حتى وقتنا هذا... وهكذا كانت قواعد الإعارة تطبق بمكيالين وأحيانًا أكثر. وحينما تركته العمل بالمركز شعر بسعادة تغمره حيث تحرر من الضغوط النفسية والتهديدات والإنذارات المتوالية فقد كان المسئولين بالمركز أكثر من كرماء فى إرسالها. ومنذ ذلك الوقت وهو يعمل بالسعودية وزاد حماسه للعمل بقوة وإخلاص وكان عطائه حينئذ بلا حدود... وكان يجد من المسئولين بالجامعة كل تشجيع وتقدير لعطائه ويخص بالذكر الدكتور جعفر بن عبد الرحمن صباغ... الرجل والقدوة الحسنة، وكذلك الدكتور محمود محمد سفر (وزير الحج حاليًا بالسعودية) الإنسان العالم المفكر فكان هناك إصرار وعزيمة قوية فى أن يعمل شيئاً فى مجال المكتبات بجامعة الرياض. وإزاء هذه العزيمة القوية والحماس كان يعمل دون أن أفكر فى الوقت الشخصى، وكان يترك أسرته الساعات الطوال وحدهم حيث كان منغمساً فى عمله، يخرج صباحًا ويعود مساءاً بعد العشاء، وكان يشعر بسعادة غامرة، وراحة بال وفعلاً نجح فى إنشاء مكتبة تعتبر نموذجية فى حينها، وتحتوى على أقوى المجموعات سواء من الكتب أو الدوريات أو المراجع، إضافة إلى الخدمات المتميزة التى كان يحرص على تقديمها ومن معه من الموظفين ـ سواء إلى الطلبة أو أعضاء هيئة التدريس.

وقد رشح من قبل المسئولين بالجامعة للابتعاث إلى الولايات المتحدة الأمريكية

للحصول على درجة الدكتوراه، وذلك لما لمسوه من إخلاص وتفانى فى العمل. وهناك فى جامعة رتجرز بولاية نيوجيرسى بالولايات المتحدة حيث شعر بتحقيق الحلم العلمى الكبير بالدراسة فى تلك المؤسسة العلمية الشامخة والتى هى واحدة من أفضل عشر جامعات بأمريكا، والتى بها كلية الدراسات العليا للمكتبات والمعلومات حيث تربعت على عرش هذا المجال فى شمال القارة الأمريكية لأكثر من عقد من الزمان. . . وقد حصل على قبول فى برنامج الدكتوراه بتلك الكلية، وكانت الإرادة القوية فى اجتياز المقررات التمهيدية للدكتوراه بامتياز فى أول سنة ثم اجتاز اختبار الكفاءة فى السنة التالية، وبعدها بسنة أنجز بنجاح رسالة الدكتوراه وتم مناقشته للرسالة مناقشة علنية فى إحدى مدرجات الكلية حضرها حشد كبير من الأساتذة الأمريكان وطلبة الدكتوراه. ولم ينس تلك اللحظات قبل المناقشة حيث قام الأستاذ المشرف على الرسالة وهو الدكتور رالف بلاسنجيم ـ وكان رئيس برنامج الدكتوراة بالكلية ـ بدعوته على طعام الغذاء، ثم بعدها بساعة واحدة بدأت مناقشة الرسالة حيث كان مستعد استعداداً جيدا، وذلك باعداد بعض الشفافيات والرسومات البيانية لعرضها أثناء الشرح وتقديم الرسالة. . . واستمرت المناقشة قرابة الساعتين. وبعد إعلان النتيجة بمنحه درجة الدكتوراة فى الفلسفة، أعدت الكلية حفلاً بسيطًا فى شكله عظيمًا فى معناه، دعت إليه كافة الحضور لمشاركة اللجنة والباحث فرحته فى الحصول على درجة الدكتوراه وأثناء الدراسة بجامعة رتجرز يشعر بالفخر والاعتزاز بأنه درس على أيدى علماء كبار، وتأثر بعلمهم الغزير، وتواضعهم الكبير، يذكر على سبيل المثال الدكتور هنرى فوز Henry Voos والدكتور فرانسس نارين F.Narin حيث درس على أيديهما الببليومتريقا ونظرياتها وفلسفتها وقوانينها، وهناك أيضًا الدكتورة سوزان أرتاندى S.Artandi وتعتبر من أعلام علم المعلومات بالولايات المتحدة. ولا ينسى الدكتور رالف بلاسنجيم R.Blasingame الذى كان دائماً يضيف لمسات إنسانية فى تعامله مع الطلبة. وكان الدكتور بلاسنجيم طياراً أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد ما وضعت الحرب أوزارها بدأ يدرس المكتبات وتخصص فى الإدارة العلمية بالمكتبات. وكان بلاسنجيم يمتلك طائرة خاصة يمارس بها هوايته فى الطيران وكان يدعوه وبعض الأساتذة بالكلية لمرافقته فى بعض رحلاته الخاصة داخل الولايات المتحدة حيث كانت الرحلة تستغرق

أحيانًا ساعتين أو ثلاث ساعات يعود بعدها إلى أدراجه بولاية نيوجيرسى. كانت العلاقة بين الأساتذة الأمريكان والطلبة بسيطة جداً وسهلة، على العكس من ذلك العلاقة بين بعض الأساتذة من دولة العالم الثالث المهاجرين وخاصة من دولة جنوب آسيا والطلبة فكانت تتسم بالشدة والحدة، الأمر الذى لم يتعود عليه الطلبة الأمريكيين.

هكذا كانت المحطة الأمريكية هى التى توجت حياته العلمية، وصقلت خبرته العملية، وأضافت إليها الشيء الكثير، فكانت حبه الكبير ومقره المحبب إلى نفسه حيث سهولة إمكانات البحث العلمى، فالمكتبات الغنية وخدمات المعلومات الفائقة الجودة والدقة، وسهولة التعامل مع كل شيء...

الاتجاهات العملية:

كانت فترة عمله كمدير لمكتبة كلية الهندسة بجامعة الرياض (حالياً الملك سعود) غنية بكل المقاييس. فقد اكتسب فيها خبرة ميدانية كبيرة، إضافة إلى الخبرة التنظيمية. فكانت عملية بناء مكتبة كبيرة بأقسامها المختلفة وخدماتها، وتنقية مجموعاتها من بعض المواد المكتبية التى لا علاقة لها بالمناهج الدراسية، وتوزيع الأعمال المختلفة من خدمات مستفيدين إلى خدمات فنية مختلفة، إضافة إلى إرهاصات تطبيقات الحاسب فى مجال المكتبات والإمكانات الضخمة للحاسبات فى تخزين واسترجاع المعلومات... كل هذا أكد على شيء مهم وهو أنه لا مندوحة أمام أخصائى المكتبات والمعلومات من الاستفادة بهذه التقنية الحديثة... وأن المكتبات لا ينبغى أن تقتنى جميع الأوعية لإشباع رغبات المستفيدين، فالتعاون بين المكتبات وشبكات المعلومات سواء المحلية أو الوطنية والاستفادة من المشابكة أمر حتمى. كما أن الدراسات التقويمية بين الحين والآخر لمعرفة المواد الأكثر والأقل استخداماً ضرورية بالنسبة للمكتبات الجامعية والمتخصصة، ويجب استخدام الأساليب الإحصائية فى هذا الأمر - بمعنى أن الدراسات الببليومترية وأساليبها أبحت حتمية فى عمليات التقويم.

إلا أن هناك أمراً مهمًا هو التوجه إلى دراسة التراث الفكرى العربى وضبطه والتعريف به. فالتراث العربى مشتت بين أكثر من ستين دولة من دول العالم،

ويمثل هذا التراث الزاد الفكرى والثقافى للأمة العربية.

خاتمة:

وصاحب هذه السيرة يتوجه بكل التحية والتقدير لرواد الحركة المكتبية فى الوطن العربى عامة وفى جمهورية مصر العربية خاصة والذين أثروا المجال ببحثوهم ودراساتهم الأصيلة. فكل منهم ساهم بقدر فى حينه. كما أتوجه بالتحية والتقدير لتلك الجهود الطيبة التى تسعى لإنشاء جمعيات للمكتبات والمعلومات بهدف تطوير المجال للدخول فى القرن الحادى والعشرين لمواكبة تطور مجال تقنية المعلومات والاتصالات. والأخذ بين الأجيال الجديدة ومساندتهم للارتقاء بالبحوث والدراسات البراجماتية فى المجال.

أحمد نجيب: أحمد محمود نجيب حسن

Ahmad Mahmoud Nageb Hasan

ولد فى ٢٧ من يوليو ١٩٢٨ فوق سطح النيل.. فى الجيزة (مصر).. فى (عوامة) كان يملكها والده.. على الشاطىء الغربى للنيل.. بين كوبرى الزمالك وكوبرى الجلاء..

وكان الشاطىء الغربى تابعًا لمحافظة الجيزة.. بينما كان الشاطىء الشرقى تابعًا لمحافظة القاهرة..

وكانوا فى تلك الأيام يبنون (عوّامات) فى النيل.. كما نبنى نحن الآن البيوت.. ولكنها كانت من الخشب.. وترتكز على صهاريج كبيرة تعوم بها فوق سطح النيل..

والحياة فوق سطح النيل ساحرة خلاّبة.. وتتيح فرص ممارسة هواية الصيد، وما فيها من ممارسة للصبر بلا حدود..

وعلى الشاطىء المنحدر الذى كوّنه الطمى الخصيب، أحواض زهر وفلّ وورد وبانسيه.. وبعض شجيرات الموز..

الجوّ الأسطورى الخلاّب

على أن هذه الحياة الساحرة، لم تكن تخلو من دواعى الحذر والتوجّس، وتوقّع المخاطر فى أى وقت.. وبخاصة فى أيام الفيضان.. عندما تندفع مياه النيل العارمة بقوة قد تقتلع مراسى (العوامة).. وتأخذها مع التيار القوى إلى عرض النهر، إذا لم تكن هذه المراسى والحبال التى تشد (العوامة) إليها على درجة كافية من المتانة..

و(العوامة) نفسها ترتكز على عدد من (الصهاريج) الفارغة الجوفاء.. وإذا لم تلق الصيانة الكافية.. فقد يحدث بها ثقب يكون خطيراً ـ مهما يكن صغيراً ـ لأن الماء يتسرب منه إلى داخل (الصهريج).. فيمتلىء بالماء.. ويشد (العوامة) كلها معه إلى أسفل..

وإذا خرجت من (العوامة).. وسرتَ على (السقالة).. وصعدت على السلم الحجرى.. ووصلت إلى شارع النيل المرصوف.. ونظرت إلى الناحية الأخرى من الطريق.. ترى الآن عمارات حديثة شاهقة..

ولكن فى تلك الأيام.. فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، كانت تلك المناطق كلها حقولاً خضراء، وأرضاً زراعية.. إلى جوارها مسجد كبير ضخم فخم، له حديقة واسعة كان اسمه (مسجد الملكة نازلى) ـ واسمه الحالى (مسجد النيل) ـ اقتطعت من حديقته مساحة كبيرة فيما بعد لتوسعة شارع النيل.

وكان أحمد نجيب وهو صغير، تتاح له – فى أحيان قليلة ـ فرصة عبور شارع النيل المرصوف، والوصول إلى تلك الحقول، حيث يقضى أمسيات لا تنسى مع أريج الزرع الأخضر والذرة المشوية على الوقود الفلاحى.. ويستمع مبهوراً – فى ضوء القمر والنجوم ـ إلى قصص عن القط.. والديب.. والندّاهة.. أو الجنّية التى تخرج من النيل فى الليل، وتمسك فتاة كانت تغسل ثيابها على الشاطىء.. وتأخذها معها إلى القاع.. ولا أحد يدرى ما حدث بعد ذلك..

وكانت هذه القصص تُروى على أنها حقائق واقعية حدثت.. ولكن الجوّ الأسطورى الذى ترسمه ألسنة اللهب المتصاعدة من الحطب المشتعل.. والأشباح

والخيالات المتراقصة فى الليل.. والنسيم الرقيق.. ونجوم السماء.. كل هذا كان يضفى على هذه القصص مذاقا خياليًا فريدًا.. ترك فى نفسه آثارًا لا تمحى مع الأيام..

وكان صاحبنا نحيلاً رقيق الصحة.. طوال سنوات طفولته.. وكانوا يكثرون من أخذه إلى الأطباء.. أو من إحضار الأطباء إليه..

ويذكر أنه قبيل امتحان الشهادة الابتدائية ـ وكان فى مدرسة الأورمان بالدقى ـ كان عليه أن يملأ استمارة التقدم إلى الامتحان.. وكان فى مرض طويل.. حتى إن المدرسة أرسلت إليه في المنزل من قام معه بملء الاستمارة، لكى يتاح له تقديمها فى الوقت القانونى المناسب.

وكانت تحوطه فى الأسرة عناية غير عادية.. ليس بسبب صحته الرقيقة فحسب، وإنما أيضًا لأنه كان الابن الخامس بعد شقيقتين من البنات أكبر منه (ثريا ـ نجيبة).. وبعد شقيقين من الذكور (محمد ـ إبراهيم) عاشا قليلاً.. ثم توفيا قبل مولده..ثم كان له بعد هذا ثلاثة من الأشقاء هم على الترتيب: فوزية ـ فؤاد ـ صلاح الدين.

ومما يذكر أن (مدرسة الأورمان) التى سبقت الإشارة إليها، كانت تحفة فنية جميلة، تكمل سيمفونية البيئة الساحرة التى نشأ فيها..

فالمدرسة كانت فى (قصر السلطان حسين كامل).. الذى كان مواجهاً لحديقة الأورمان الحالية.

وكانت الفصول والحجرات والجدران والأسقف تكسوها الرسوم البديعة الموشاة بالذهب.. وتحيط بالمدرسة (القصر) حديقة واسعة وارفة الظلال.. تتوسطها بركة صناعية كبيرة.. وفى جانب منها ملعب كرة القدم تكسوه الحشائش الخضراء.. وملعب لكرة الريشة.. إلى جواره أشجار (أم الشعور) الجميلة.

والآن.. لم يعد لهذه المدرسة وجود.. بعد أن هدم القصر، واندثرت البركة الصناعية.. وأقيمت مكانها مبان حديثة..!

وإذا كانت علوم النفس والتربية ترى أن السنوات الأولى من حياة الطفل ذات أثر حاسم فى بناء شخصيته.. فإننا نستطيع أن نفسّر بسهولة غرام صاحبنا بالطبيعة

الجميلة الساحرة، والزهور والطيور والزروع الناضرة.. والمياه الجارية.. وحسّه المرهف، وحرصه على مراعاة مشاعر الآخرين إلى أبعد الحدود..

كما نفّسر غرامه بالعالم الأسطورى، مع مافيه من مخاطر ومفاجآت، وخيال خصب.. حيث كل شيء.. وأى شيء.. يمكن أن يحدث.. فى أى وقت.. وبأى صورة..

إنه توجّس دائم، وقلق مستمر.. تدعمه حياة (فوق سطح الماء).. فيها ما فيها من جمال الزهور والطيور والمياه، وشروق الشمس وغروبها على ماء النيل.. ولكن فيها أيضًا ليالى عاصفة مظلمة.. فيها رعد وبرق.. يكون فيها سكان (العوامة) تحت رحمة الطبيعة الهادرة.. فى (بيت) من خشب.. أساسه من الماء..!!

وهكذا امتزج عند (أحمد نجيب) العالم الأسطورى والقصص الخيالية التى كان يسمعها على أنها حقائق.. مع العالم الواقعى القلق الذى يعيش على أساس رجراج.. هو مجرد (مياه متحركة)..

كل هذا ـ مع خيال خصب قوى ـ جعله يتوقع أى شيء.. فى أى وقت.. وجعله لا يشعر بسهولة بأى دهشة أو انبهار.. مهما يحدث.. فخياله وتوقعاته دائماً أكبر وأقوى..

وكانت والدته ذات مقدرة عجيبة على حفظ القصص وروايتها.. وكانت قصصاً شعبية.. ومن ألف ليلة.. كانت تسمعها فى صباها، فى بيت أبيها، فعلقت بذاكرتها كلمة كلمة..

وكانت منغّمة.. بكلمات منتقاة بعناية.. موزونة ومسجوعة.. بنثر بديع.. أقرب إلى الشعر المنثور..

ولا يدرى هو كيف علقت هذه القصص بذاكرتها عبر السنين، ترويها ـ وهى نصص طويلة منوّعة ـ وتعيد روايتها كلمة كلمة كأنها قصائد شعر ـ ولكنها من النثر ـ من غير أن تبدل منها كلمة واحدة..!!

ومرّت الأيام.. ومرّت السنوات..وحصل صاحبنا على الشهادة الابتدائية من

مدرسة الأورمان.. والتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية..

وكان فى مراحل دراسته طالبًا عاديًا.. يميل إلى الانطواء والهدوء.. وكل ما قد يميزه فى هذه الأثناء، تفوّق ملحوظ فى كتابة موضوعات الإنشاء العربية.. ولهذا كان مألوفًا فى أوقات مختلفة ـ فى أثناء دراسته فى المرحلة الثانوية ـ أن يُطلب منه بعض اساتذة اللغة العربية أن يقرأ موضوعاته أمام باقى الطلبة.. وكانوا أحيانًا يملون على بقية الطلبة إجاباته فى شرح أبيات الشعر، باعتبارها إجابة نموذجية..

ومثل الكثيرين ـ فى فترات المراهقة ومطلع الشباب ـ حاول أن يقول الشعر.. وحاول أن يعرف شيئًا عن (أسرار) علم العروض.. وكيف يوزن الشعر وما إلى ذلك.. فلم يجد إجابة شافيه.. فأقلع عن هذه المحاولات..

ولا يزعم صاحبنا أنه قرأ فى هذه الفترة أمهات الكتب من عيون الأدب العربى أو الغربى.. وإنما كان غرامه الأكبر يتمثل فى حفظ مقتطفات من عيون الشعر العربى الذى كانت تزخر به مجموعة كتب ممتازة، كانت مقررة فى تلك الأيام ضمن مادة اللغة العربية.. مثل كتب:

المنتخب من أدب العرب (فى عصوره المختلفة) ـ وكتب البيان والبديع والبلاغة ـ وكتب المطالعة العربية...

لقد كانت كتبًا قيمة حقاً، قامت بإعدادها مجموعة من عمالقة الأدب العربى فى تلك الأيام أمثال:

أحمد أمين ـ على الجارم ـ عبد العزيز البشرى ـ محمد أحمد جاد المولى ـ أحمد الإسكندرى ـ وغيرهم.. رحمهم الله..

وكان إلى جانب هذا ـ مثل الكثيرين من أترابه فى تلك الأيام ـ يهوى قراءة (روايات الجيب).. التى يكاد صاحبنا يزعم أنه (تعلّم) منها الكتابة..!!.

نقطة تحول هامة

عندما حصل صاحبنا فى ١٩٤٥ على شهادة إتمام الدراسة الثانوية (القسم العام).. المعروفة بشهادة (الثقافة).. حدثت نقطة تحول هامة فى حياته..

ذلك أنه خلال أعوام دراسته الثانوية، وصل إلى إحساس عميق بأن مستقبله فى الكتابة.. (الكتابة للكبار.. لأن الكتابة للأطفال لم تكن تخطر له على بال فى ذلك الوقت)..

وفى تلك الأيام، كان يتخيّل نفسه مؤلفًا.. ويضع عناوين لكتبه.. ويضع فكرة الكتاب.. ويقّسمه إلى فصول.. وربما يضع لهذه الفصول عناوين فرعية..

ثم ينتهى الأمر عند هذا الحد.. من غير أن يكتب كلمة واحدة فى محتوى هذا الكتاب..

وتصادف ـ أكثر من مّرة ـ أن وضع عنواناً لكتاب من هذا النوع.. ووضع فكرة الكتاب، وفصوله الداخلية.. إلخ ثم يفاجأ بأن واحداً من الكتّاب المشهورين قد وضع كتابا بنفس العنوان..!!

وكان من جراء هذا أن ازدادت ثقته فى نفسه.. فحاول أن يكتب فى بعض المجلات.. فكانوا دائمًا يسألونه (عن عمله).. فإذا عرفوا أنه (طالب) فى المرحلة الثانوية.. أعفوا أنفسهم من مجّرد قراءة ماكتب..!!

ولهذا أصبح حلم حياته أن يتخلص من صفته (كطالب).. ويخرج إلى الحياة العملية فى أقرب وقت ممكن.. حتى لا يقول إنه (طالب).. أمّا (الشهادات).. فإنها يمكن أن تأتى بعد هذا فى أي وقت (وهذا ماحدث فعلاً، فقد حصل صاحبنا بعد هذا ـ وهو يعمل ـ على ست شهادات من: مصر ـ والمانيا ـ وفرنسا)..

وعندما حصل صاحبنا على الثانوية العامة (القسم العام) كانت هناك أزمة مستحكمة فى المعلمين اللازمين لمدارس الوزارة.. ففكرت فى حل عاجل، وأعلنت عن إنشاء (معاهد المعلمين الخاصة) التى يلتحق بها الحاصلون على الثانوية العامة (القسم العام) لمدة سنتين فقط، ثم يعينون مدرّسين..

فتلقى الخبر بفرحة عارمة.. وأسرع إلى مدرسته السعيدية، وسحب أوراقه من هناك.. ليتقدم بها إلى هذه المعاهد الجديدة.. فلما علم والده بذلك غضب، وحاول أن يعيد الأوراق إلى المدرسة السعيدية، فلم تقبل.. فترك صاحبنا لمصيره الذى اختاره لنفسه..

وقُبل صاحبنا فى (معهد المعلمين بالزيتون) وتحمّس للدراسة.. وراقته دراسة أصول التربية وعلم النفس.. فكان (الأول) على المعهد فى السنة الأولى..

ثم مدّوا الدراسة فأصبحت ثلاث سنوات.. قضاها بتفوق..

وعندما تخرج فى ١٩٤٨ كان الأستاذ اسماعيل القبانى ـ رائد التربية الحديثة فى مصر ـ وكيلاً لوزارة (المعارف) العمومية.. وكان هو راعى فكرة المدارس التجريبية الملحقة (بمعهد التربية العالى للمعلمين).. كما كان أيضًا صاحب فكرة إنشاء (معاهد المعلمين الخاصة).. فلما تخرجت الدفعة الأولى.. اطّلع على نتائج الخريجين، واختار بنفسه مجموعة من المتفوقين.. عيّنتهم الوزارة فى مدرستى: حدائق القبة ـ والأورمان.. النموذجيتين (التجريبيتين) الملحقتين بمعهد التربية.. ونُشرت أسماؤهم فى الصحف، من غير أن يتقدم أحد منهم بطلب تعيين..

وكان أحمد نجيب ممن وقع عليهم الاختيار للعمل فى مدرسة (حدائق القبة النموذجية) التجريبية (النقراشى النموذجية فيما بعد لأن ابن النقراشى كان بها عندما اغتيل).. كمدرس للغة الإنجليزية والمواد الاجتماعية..

أثر التجريب التربوى

وكانت هذه المدرسة حقلاً خصباً للتجريب التربوى.. وتتمتع بحرية واسعة فى هذا المجال.. بعيداً عن الروتين الوزارى.. وكانت الدراسة فيها قائمة على (طريقة المشروعات Project Method).. كما كان النشاط المدرسى بها قائماً على نظام (الأسر المدرسية) وجماعات الهوايات.. وكان فى المدرسة مجال واسع لتاليف الأناشيد والمسرحيات..

وكانوا يعرفون عن صاحبنا اتجاهاته الأدبية، فطلبوا منه أن يؤلف مسرحية تخدم مشروعاً من المشروعات التاريخية.. فقام بتأليفها.. ولما لم يكن يكتب شعراً ـ فى ذلك الوقت ـ فقد ترك فى نهايتها مكاناً لنشيد يلقيه المصريون تحية لجيش إبراهيم باشا بعد أن عاد منتصراً من بلاد اليونان.. فى مسرحية (إبراهيم قائد الفلاحين)..

واتُّفِق على أن يقوم الشاعر أحمد حسن عبيد (الذى كان مدرّسًا للغة العربية

بالمدرسة فى ذلك الوقت، ثم أصبح أستاذًا بمعهد التربية العالى للمعلمين فيما بعد رحمه الله) بكتابة النشيد..

ومرت الأيام.. ولم يكتب أحمد عبيد النشيد.. وحفظ التلاميذ المسرحية.. وبقى مكان النشيد شاغراً..!!

وطال الوقت.. وتحرّج الموقف.. واقترب موعد تمثيل المسرحية.. ولاح شبح الورطة.. ولاح فى نفس صاحبنا شبح سؤال يطارده، ويملأ عليه مشاعره:

- لماذا لا يكتب هو هذا النشيد..؟!!

- ولكن.. كيف..؟!

- إنه لم يكتب شعراً فى حياته من قبل.. فكيف يكون هذا ؟!!

ميلاد شاعر

ثم كانت ليلة الميلاد.. ميلاد الشاعر.. ليلة من ليالى الشتاء الباردة.. وصاحبنا بينه وبين برد الشتاء ودّ مفقود.. وكما يحدث كثيرًا.. كان صاحبنا مريضاً بالأنفلونزا.. وملازماً للفراش..

وفى تلك الليلة - فى شتاء ١٩٤٨ - شعر بالأرق.. وأحس بالعرق يتصبّب من جسده المرهق، تحت الأغطية الثقيلة..

وكان مغمض العينين بين اليقظة والمنام، عندما طافت بمخيلته أشباح أبيات.. أو أنصاف أبيات.. أو أجزاء من أبيات.. تصلح كلمات فى هذا النشيد المطلوب.. كأنها كانت نشيدًا كان يحفظه قديمًا.. ثم نسيه.. والآن يتذكّره كلمات ومقاطع متفرقة..

ومر الوقت.. وتكاثرت أشباح المقاطع والكلمات.. وخشى صاحبنا إذا انتظر حتى الصباح.. أن تطير هذه الأشباح.. فتحامل على نفسه.. ولفّ الأغطية حول جسده بإحكام..

ومد يده فأشعل النور.. وأخذ ورقة وقلمًا يحتفظ بهما دائماً إلى جوار الفراش..

ثم أخذ يتصيّد هذه الشوارد، ويكتبها كيفما اتفق.. كلمات ومقاطع من غير ترتيب..

وبعد أن أحسّ أن كل الشوارد الهائمة حوله قد وقعت فى شبكة الصياد.. وضع الشبكة بما فيها.. والورقة والقلم.. وغاص فى فراشه من جديد.. وراح فى نوم عميق.. وعندما طلع الصباح.. أخذ الشبكة بما فيها.. واستخرج منها الكلمات والمقاطع والأبيات المبعثرة.. وكوّن منها مشروع النشيد المطلوب.. الذى أصبح يحمل عنوان: «نشيد البعث».. فى مسرحية (إبراهيم قائد الفلاحين)..

وحمل صاحبنا النشيد.. وراح يستطلع رأى (أهل الخبرة والاختصاص).. فوافقوا عليه، مع قليل من التعديل..

وطبع النشيد.. ولحّن.. وغناه التلاميذ فى المسرحية..

وبدأ (أحمد نجيب) يفكّر جديًا فى اقتحام هذا الميدان الجديد.. ميدان الشعر.. تدفعه رغبة عميقة.. حاولت الظهور فى المرحلة الثانوية.. ولم تكن الظروف مواتية.. فآثرت التريث حتى حين..

أما الآن.. فإن ظروف العمل فى حقل النموذجية الخصيب تشكل بيئة مناسبة تماما:

ـ فهى بحاجة إلى عشرات من الأناشيد والمسرحيات.. لتقوم برسالتها التربوية التجريبية..

ـ وهى تشجع من لديه هذا الاستعداد.. لأن يملأ فراغاً حقيقيًا ويخدم رسالة التجريب التربوى..

ـ ثم إن المدرسة لديها الحرية الكافية لكى تقرر ما تراه مناسباً.. كما أن بها ثلاثة من أساتذة الموسيقى الأكفاء، على استعداد لتلحين هذه الأناشيد واستعمالها.. يذكر منهم الأستاذين: أحمد رمزى ـ ومحمد عماد..

ولكن.. عند صاحبنا لا تكفى الرغبة وحدها.. وإنما هو يؤمن دائمًا بأن على الانسان (إذا عمل عملاً أن يتقنة). ولهذا بدأ يتجه إلى دراسة (علم العروض) دراسة متخصص.. وسأل بعض أصدقائه ممن درسوا هذا العلم بحكم تخصصهم فى اللغة

العربية.. فلم يجد عندهم ما يروى غلّته.. وعلم أن هذا العلم ليس خفيف الظل بالقدر الذى يجعلهم يتذكرون منه شيئًا، بعد أن أدوا الامتحان فيه..!!

ولهذا كان على أحمد نجيب أن يبدأ الطريق من أوله.. وأن يعتمد على نفسه تمامًا.. فذهب إلى المكتبات العريقة فى الأزهر والحسين.. ويبحث عن كتب (علم العروض) المتاحة بورقها الأصفر التقليدى، الذى يحمل عبق الماضى وأصالته..ويبدأ يفك طلاسمها وحده.. وقد أنسته الرغبة والشوق والهواية.. ما فى هذا العمل من عنت ومشقة..

ومرّت أيام وأسابيع وشهور.. وصاحبنا عاكف على هذا العمل بشوق وإصرار واستمرار.. يستخرج من بطون هذه الكتب ما يصل إليه.. ثم يعيد صياغته بأسلوب جديد سهل ميّسر.. حتى كوّن لنفسه مستُخلصاً مبسّطا سهل التناول.. عرض جانباً منه فى كتابه الأول للكبار: «فن الكتابة للأطفال» ـ دار الكاتب العربى ـ ١٩٦٨ ـ حتى يجنّب من يريد أن يخوض التجربة نفسها بعض العناء

وهكذا كانت فترة الحياة فى هذه المدرسة النموذجية التجريبية خصبة حافلة بالعمل والعطاء والإنتاج الأدبى.. فألف أحمد نجيب فيها عشرات الأناشيد والمسرحيات للأطفال.. عندما كان فى العشرينيات من عمره..

وقد وصلت حرية هذه المدرسة النموذجية فى التصرف إلى أن كان جدوله كله ـ فى سنة من السنوات ـ مشتركًا مع مدرسى الموسيقى.. أى إنه كان يصاحبهم فى حصصهم ـ وهو العمل الذى كان من اختصاص مدرسى اللغة العربية ـ ولكنه أسند إليه، مع أنه كان يدرس اللغة الإنجليزية.. فأصبح يؤلّف.. ومدرسو الموسيقى يلحنون.. والأطفال يغنّون وينشدون ويمثلون.. ويقيمون حفلات الفصول، وحفلات الأسر، والحفلات المدرسية التى يحضرها الآباء والأمهات للالتقاء بمدرسى أبنائهم..

والحق أن هذه الإنجازات الجريئة التى لم تكن مألوفة فى أى مدرسة أخرى، ترجع إلى قوة شخصية ناظر المدرسة وجرأته، الأستاذ عبد الفتاح المنياوى رحمه الله.. ومساندة معهد التربية العالى للمعلمين.. والأسماء الكبيرة التى كانت تلمع فى سمائه فى تلك الأيام.. مثل: د. عبد العزيز القوصى ود. صلاح قطب ود. أحمد طنطاوى

وغيرهم.. ومن قبل هذا كله إلى دعم الأستاذ اسماعيل القبانى.. رحم الله الجميع..

كما وصلت حرّية (المدرسة النموذجية) إلى درجة أنها قامت بطبع مسرحيتين من تأليف أحمد نجيب فى كتابين وزّعا على التلاميذ كالكتب الدراسية المقرّرة.. وامتحن فيهما التلاميذ.. لأن كل مسرحية كانت تحلّ محل جزء من المنهج الدراسى:

- المسرحية الأولى كانت طبعتها الأولى بعنوان صراع الآلهة ثم عدّله المؤلف فى الطبعات التالية إلى صراع الأبطال.. وهى تحكى جانبًا من التاريخ الفرعونى من خلال قصة إيزيس وأوزيريس - صدرت لأول مرة فى ١٩٥١.

- والمسرحية الثانية بعنوان نداء الحياة. وهى تحكى قصة مرض البلهارسيا وطرق الإصابة ووسائل الوقاية،، وما إلى ذلك فى مسرحية كل ممثليها من السركاريا والقواقع وديدان البلهارسيا - صدرت لأول مرة فى ١٩٥١.

وفى كل مسرحية جزء غنائى، مع النوتة الموسيقية.

وقد كانت هذه عمليات تربوية تعليمية بالغة التشويق، باهرة النتائج... فالتمثيلية كانت (محورًا) تتجمع حوله مواد دراسية مختلفة، يرتبط بها النشاط المسرحى ارتباطاً وظيفيًا فعالاً.

- فأفكار المسرحية تُستمد من النواحى الدينية، أو التاريخية، أو من مجالات العلوم، أو التربية الصحية... وغيرها من مواد الدراسة.. فتخدم هذه المواد..

- والنشاط المسرحى يتيح للطفل فرص التذوق اللغوى، ويزيد من استمتاعه بلغته الجميلة، وإدراكه لأسرار الجمال فيها.. إلى جانب تزويده بحصيلة لغوية حيّة نامية.. مع تقويم لسانه وتعويده النطق الصحيح، والإلقاء السليم.. وما إلى ذلك مما يخدم (اللغة العربية)..

- وعندما يحسب الأطفال تكاليف شراء الخامات اللازمة لإعداد الملابس والمناظر الخلفيّة، بالإضافة إلى مقاسات المسرح، ومساحات المناظر الخلفية، وأطوال القماش اللازم.. وما إلى ذلك.. فإن النشاط المسرحى يخدم (الرياضيات والحساب) بطريقة

وظيفية شائقة جذابة . .

ـ وعندما يريد الأطفال إخراج المسرحية، واعداد المناظر الخلفية والملابس والديكورات، فإنهم يبحثون فى بطون الكتب والمراجع عن طبيعة البيئات الجغرافية التى حدثت فيها المسرحية، وما بها من نباتات وحيوانات ومساكن إلخ. . . وهذا يخدم (الجغرافيا) . .

ـ وعندما يبحثون عن الأشكال التاريخية للملابس والمساكن، وطبيعة الحياة فى العصر التاريخى، فإن هذا يخدم مادة (التاريخ) . .

ـ وعندما يقومون برسم المناظر الخلفية، وإعداد الملابس اللازمة للممثلين من الأطفال أو الدمى (العرائس) . . فإن هذا يخدم (التربية الفنية والمواد النسوية) . .

ـ وعندما يؤدّون الأجزاء الغنائية، فإن هذا يخدم (اللغة العربية والشعر والموسيقى) . . وهكذا . .

وكل هذا ينطبق عليه وصف النشاط التربوى . . لأن النشاط فى مجال التربية هو: التعلّم عن طريق العمل الإيجابى والخبرة المباشرة . .

الكتابة للأطفال

فى هذا الوقت . . اتجه أحمد نجيب إلى كتابة القصص للأطفال . . وكعادته عندما يريد أن يقتحم ميدانًا جديدًا . . أراد أن يقرأ ما كُتب عنه، قبل أن يبدأ هذه المسيرة . . لإيمانه بأن الموهبة ـ أو الهواية ـ وحدها لا تكفى فى هذا الزمان . .

وأنه لابد معها من الدراسة والتعّمق، ومحاولة الإحاطة بجوانب الموضوع المختلفة . . حتى يسير بأقدام ثابتة، على أرض صلبة، فى طريق واضح المعالم والقسمات (كما فعل مع الشعر من قبل . .) .

وبحث صاحبنا فى تلك الأيام ـ فى أواخر الأربعينيات ـ عن كتب تتحدث عن فن الكتابة للأطفال . . أو عن أدب الأطفال كعلم له قواعد وأصول ومعايير . فلم يجد شيئا . .

أو لم يجد إلا صفحات قليلة محدودة عن القصة فى التربية فى كتاب يحمل هذا العنوان للدكتور عبد العزيز عبد المجيد رحمه الله.

وعلى الرغم من أن هذه الصفحات كانت فى رأيه كبيرة القيمة، إلا أنها لم تكن كافية للإحاطة بجوانب هذا المحيط الذى يبدو بلا شطآن..

- فماذا يفعل صاحبنا (الملاّح).. قبل أن يمخر عباب هذا المحيط.. ويبحر وسط الأمواج والأنواء والرياح..؟!

- لقد بدأ يستعد للرحلة الشاقة.. لاكتشاف المجهول.. وبدأ الطريق من أوله:

- بدأ يقرأ فى علوم: اللغة، والأدب، والتربية، وعلم النفس، والفنون التشكيلية، ورسوم الأطفال، والطباعة، والإخراج.. وما إلى ذلك مما يتصل من قريب أو بعيد بأدب الأطفال، وكتب الأطفال..

- وأخذ يجرى البحوث والدراسات والاستبيانات بين المربين والأطفال، ويتعرف على آرائهم... إلخ.

ثم يطوّع كل ما يقرؤه.. وكل ما وصل إليه.. لهدف واحد كبير، هو الإجابة عن هذا السؤال:

- كيفَ نكتب للأطفال أدبًا جيدًا..؟!

ومرت سنوات وسنوات.. وصاحبنا يقوم بهذا العمل بشوق.. وبهمّة لا تعرف الكلل.. ليجمع معالم هذا الطريق المجهول، الذى يوصل إلى القلعة المسحورة التى يعيش فيها الأمير الهلامى الساحر، ذو القدرات الأسطورية الخارقة المسمّى: (أدب الأطفال الجيد)..

وكلما توغل صاحبنا فى البحث.. وكلما تجمعت لديه معلومات أكثر عن معالم هذا الطريق.. ازداد شعوراً بضخامة العبء وجسامة المسئولية.. وضآلة ما توصل إليه من معلومات ومعالم..

وبعد نحو عشرين عامًا.. وعلى وجه التحديد فى ١٩٦٨.. قفزت إلى سطح الحياة الأدبية كلمة (ثقافة) الطفل.. عندما أنشىء بمصر لأول مرة: «المكتب

الاستشارى لثقافة الأطفال» وأُلحق بمكتب وزير الثقافة وعُين مديراً له د. مرسى سعد الدين.. الذى كان هو صاحب الفكرة فى انشاء هذا المكتب.. وجعل من أولويات العمل فيه إقامة: (برنامج تدريبى طويل الأمد لكتّاب الأطفال فى مصر).

وأعلنت الصحف عن هذا البرنامج الأول من نوعه.. وتحدثت عنه على نطاق واسع..

وكان هو من أسعد الناس بهذا.. وشعر بالرغبة الشديدة فى حضور هذا البرنامج (كدارس).. ليعرف :ـ إلى أى مدى يسير فى الطريق الصحيح، بعد نحو ٢٠ عامًا من السير فى طريق يحاول أن يمهّده لنفسه..؟!

فذهب.. وقابل د. مرسى سعد الدين.. على غير معرفة سابقة.. وعرض عليه بعض ما أصدره من كتب الأطفال.. وطلب منه أن يحضر هذا البرنامج (كدارس).. فوعده بذلك.. وعرف أن موعد بدء البرنامج لم يحدد بعد..

فغاب نحو أسبوع أو عشرة أيام.. ثم عاد إلى لقاء د. مرسى سعد الدين مرّة ثانية.. فعرف أن موعد بدء البرنامج مازال مجهولاً.. ولكن طال بينهما الحديث عن (أدب الأطفال)..

وفجأة.. صمت د. مرسى سعد الدين.. ونظر إلى أحمد نجيب.. وقال:

ـ أنت لا تصلح أن تحضر هذا البرنامج (كدارس).. أنت تصلح أن تكون (محاضراً) فى هذا البرنامج..!!

فدهش صاحبنا.. وقال:

ـ وماذا تريد منّى أن أقول (كمحاضر) فى هذا البرنامج..؟!

قال د. مرسى:

ـ نفس هذا الكلام الذى كنت تقوله لى الآن..

وخرج صاحبنا وقد أشرق فى نفسه شعور عجيب وضّاء.. بأن ما توصّل إليه على مدى نحو ٢٠ عاماً من أفكار ومعلومات ـ كان يظنها ضئيلة القيمة ـ هى فى الواقع

عند الآخرين شىء كبير..!!

وبعد نحو عشرة أيام أخرى.. التقى صاحبنا بالدكتور مرسى سعد الدين للمرة الثالثة.. ليعرف منه موعد البرنامج.. فعرف أنه لم يحدد بعد..

ومرة أخرى.. طال الحديث بينهما عن (أدب الأطفال) و (ثقافة الأطفال) و (فن الكتابة للأطفال)..

وللمرة الثانية ـ وكما حدث من قبل ـ توقف د. مرسى عن الحديث.. ونظر إلى صاحبنا مليّ.. ثم قال له:

ـ إذا وعدتنى أن تضع هذا الكلام الذى تقوله الآن في كتاب.. فأنا على استعداد لتأجيل هذا البرنامج.. حتى يصدر الكتاب.. ويكون هو المرجع الأساسى للعمل فى هذا البرنامج..!!

ومرة أخرى أشرقت نفس أحمد نجيب بذلك الشعور الوضّاء العجيب.. الذى يمكن أن تتصوره عند شخص:

ـ كان يخشى فى أول لقاء ألا يجد له مكانًا كدارس فى هذا البرنامج الأول من نوعه..

ـ ثم يتحول فى اللقاء الثانى إلى محاضر فى نفس البرنامج..!!

ـ ثم فى اللقاء الثالث .. يجد نفسه مسئولاً عن وضع (أول كتاب) باللغة العربية عن (أدب الأطفال).. ليكون مرجعاً للدارسين فى هذا الميدان الجديد..

أول كتاب فى أدب الأطفال

واستعان صاحبنا بالله.. ووعد بعمل الكتاب.. واستمر يعمل نحو شهر كامل ليلاً ونهاراً..بقوة دافعة غير عادية.. لتجميع ما توصّل إليه من أفكار ومعلومات ونتائج على مدى السنوات العشرين الماضية.. وتنسيقها وعرضها لتخرج فى كتاب..

ثم خرج خطاب خاص من وزارة الثقافة ـ ومعه أصول الكتاب ـ إلى دار الكاتب العربى (حالياً الهيئة المصرية العامة للكتاب) لطبعه بصفة عاجلة..

وكان عنوانه في أول الأمر: «الإطار العام لفن الكتابة للأطفال» ثم رؤى اختصاره إلى : «فن الكتابة للأطفال». وتم طبعه فى أواخر ١٩٦٨ ليكون أول كتاب عربى فى ميدان (أدب الأطفال).. للكبار.. على مستوى الوطن العربى..

وهذا من فضل الله أولاً وأخيراً.. ثم بعد هذا يعود الفضل فى صدوره لسعه أفق د. مرسى سعد الدين، ومرونته، وبعده عن التعقيدات الروتينية والبيروقراطية..

وكان اهتمام أحمد نجيب بكتب الأطفال إهتمامًا طاغيًا استولى من وقته على نصيب الأسد.. وجعله مقلاً في شعره.. ولكنه ـ فى الوقت نفسه ـ وصل به إلى كتابة وطبع أكثر من ٣٠٠ ثلاثمائة كتاب للأطفال، و١٣ كتابًا (للكبار) عن (فن الكتابة للأطفال).. مما توّج بحصوله على جائزة الدولة ـ فى مصر ـ مرتين:

الأولى: فى ١٩٧٢ عن كتابه (عقلة الأطبع فى مدينة الشمع).. و (مدينة الشمع) هى (مملكة النحل).. ومما يذكر أن هذا الكتاب ظل مقرراً على الصف الخامس الإبتدائى ككتاب (القراءة ذى الموضوع الواحد) نحو ١٥ سنة.. وطبع منه نحو ١٣ مليون نسخة..

والثانية: فى ١٩٨٩ عن مجموعة كتبه (السيرة النبوية) للأطفال (١٣ كتيبًا).. وعلى الرغم من أن هذه المجموعة (دينية).. وتم إعتمادها من (مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف).. إلا أن عناوينها شائعة طريفة للأطفال، مثل:

حديث الجن.. وصاحب السرّ الأعظم ـ النبؤة العجيبة.. وقصة صاحب الجمال ـ صراع من أعوان الشيطان ـ حرب الملائكة وأمطار السماء ـ سلاح الرياح.. وماذا فعل الامبراطور ـ قصة الراعى الأسود.. وحوريات الجنة ـ معركة فى الظلام... إلخ..

ذلك إن صاحبنا يؤمن ـ بشدة ـ بأن العنوان الشائق.. والغلاف الشائق.. هما من أهم أسباب نجاح كتاب الطفل.. (من غير أن يقلل هذا من شأن المضمون)..

كما توّج هذا كله بحصوله على (جائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب العربى) فى ١٩٩١ ـ وهى لا تعطى على عمل معين، أو كتاب واحد، وإنما عن (مجمل الأعمال).. ومما يذكر أنه قد جاء فى أوراق ترشيحه لهذه الجائزة العالمية إنه: «أول

من بدأ يجعل من أدب الأطفال العربى علمًا له قواعد وأصول» وكان من ثمرة هذا أن أصبحت (كتب الأطفال) لأول مرّة، مادة دراسية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، ابتداء من ١٩٧٥، وأصبح هو أول أستاذ لهذه المادة فى تاريخ أدب الأطفال العربى».

الوحى.. والإلهام.. وشيطان الشعر

ومن الطريف أننا إذا أطلعنا على مذكرات (أحمد نجيب) الشخصية، التى كتبها لنفسه فى تلك الأيام ـ وهو فى العشرينيات من عمره ـ فإننا نجد اتفاقًا واضحًا مع ما يقوله (علم النفس) فى كيفية هبوط الوحى.. والإلهام.. وشيطان الشعر ـ وما إلى ذلك ـ على المؤلفين.

ذلك أننا نلمس فى تلك المذكرات اتجاهاً واضحًا يشير إلى أنه آخذ على نفسه ألا يُكْرِه القلم على كتابة بيت لم ينضج بعد بالقدر الكافى فى أعماق نفسه ووجدانه وعقله الباطن..

وكثيرًا ماكان يكتب بيتًا أو بيتين.. أو بعض بيت.. فى لحظة خاطفة.. ثم يتجمد القلم فى يده.. ويأبى أن يتحرك ليكمل البيت أو المقطوعة الشعرية.. فيصبر عليه صاحبنا ساعة.. أو يوماً.. أو شهراً.. أو سنة.. أو أكثر.. وربما لا تأتى بقية البيت أو المقطوعة بعد هذا أبدًا.. لا بأس.. فهذا خير من التكلف أو الافتعال.. من هذا ما حدث فى المقطوعة الشعرية التى عنوانها: «عندما ضلّ الهناء الطريق» التى كتبها فى العشرينيات من عمره.. فقد كتب البيتين الأول والثانى.. فى لحظة خاطفة.. كالآتى:

ضلّ الهنــــاءُ طريقــه وآتــانى والقلبُ تعصــره يــد الأحـزانِ
فضحكتُ حتى بلّ دمعى وجنتى وبكيتُ من فرحى ومن أشجانى

ثم اضطر إلى أن ينتظر عدّة سنوات، ليكمل بقية الأبيات.. كالآتى:

هذا الهناء ـ وكان ثملاً ذاهلاً يرنو إلــى ولا يــكاد يرانى
ماكنتُ قبل الآنِ أعــرفُه وما قد كان قبل الآن من خِلانى

ياليت شعرى كيف ضلّ وجاءنى ... واجتاز أحقاباً من الهجران؟
يا أى هذا[1] الفرح كيف أتيتنى؟ ... من ياترى أنباك عن عنوانى؟
مالى أراك كأنك قلبك لا يعى ... نشوان لا تصحو من الإدمانِ

● ● ●

دلّتكَ الهناء عيونه وتساءلت ... شفتاه عنّى من أكون تراني؟
فأجبت أنى شاعر أشقى بما ... فى الكون من زيف ومن بهتان
فتبسّمت شفتاه عن نور يضيد ... ىء.. وقال: عذراً مُصلح الأكوان
عذراً نسيت.. ولم أكن أرمى إلى ... إزعاج حزنك بالهناء الفانى
ومضى وخلّف فى فؤادى نفحة ... كالنور فى الظلماء.. كالإيمان
تنمو وتمسحُ عن فؤادى حزنَهُ ... وعرفت بعضَ فضائل النسيان

التأمل الباطنى

والصفحات التالية ـ وهى مما كتبه صاحبنا لنفسه فى مذكراته القديمة ـ توضح جانباً من تجربته الذاتية، فى هذه الفترة التى ترجع إلى النصف الأول من الخمسينيات، عندما كان فى العشرينيات من عمره..

وكأنه فى مذكراته هذه يوصى نفسه، ويوصى أى شاعر يريد أن يكتب للأطفال ـ أو الكبار ـ فيقول:

«... ... ولا تُكره نفسك على كتابة بيت..

وإذا عرض لك جزء من بيت، فلا تصطنع له تكملة متكلفة.. ولا تمسك الورقة والقلم، وتجهد نفسك فى التفكير، وجمع الألفاظ ورصّها لتكتب (شعراً).. لا تجهد نفسك لأنه لن يكون (شعراً).. وإنما ألفاظاً موزونة مقفاة..

وتحيّن الوقت الذى تجد فيه نفسك تفيض رغبة فى كتابة الشعر.. ويكون ذلك عندما ترفرف حولك أطياف الشعر هائمة، فتقتنص منها ماتشاء..

(١) يمكن أن تكتب أيضًا: يأيهذا أو يا أيهذا.

حتى إذا انصرفت عنك.. فكفّ عن الكتابة.. ولاتحاول أن تتكلف تكملة مالم يتم من الأبيات.. وإنما دع هذا إلى فرصة أخرى، عندما تواتيك (أطياف الشعر) مرة ثانية..

وهى تأتى وقتما تشاء، لا يقيدها فى ذلك قيد من زمان أو مكان.. فإذا جاءت.. سمّوها (الوحى) أو (الإلهام).. أو نسبوها إلى (شيطان الشعر).. وكل هذه أشياء ليست قادمة إلى نفس الشاعر من خارجها بقدر ماهى نابعة من صميم نفسه نتيجة عمليات طويلة فى قرار عقله الباطن.. وكل مافى الأمر أنها (طفت) على سطح عقله الواعى، عندما تم نضجها فى أعماق النفس...»

وحَاولَ عن طريق (التأمل الباطنى الذاتى لنفسه) ـ أن يصوّر كيف تأتى الشاعرَ أطيافُ الشعر أو شيطانه.. أو كيف يهبط عليه الوحى والإلهام.. فيقول فى مكان آخر من هذه المذكرات القديمة، التى كتبها قرب نهاية العشرينيات من عمره:

«... ... ويعنينى هنا أن أصور الأمر كما صَوَّرتْهُ لى عملية (التأمل الباطنى الذاتى).. أو كما يحسه الشاعر فى نفسه عندما يفكر بقلبه، ويشعر بعقله، ويدرك بخياله..

ومن هذا أحس أن كل ما يعرض للإنسان من أحاسيس وأفكار ومشاعر وأحداث (لاتفنى ولا تتلاشى).. وإن كان الإنسان قد نسيها.. وإنما هى تهبط إلى أعماق النفس، أو إلى أغوار العقل الباطن.. فتؤثر فى صاحبها بطرق شتى.. ومنها ما يطفو إلى سطح النفس فيظهر فى أفق (العقل الواعى) عندما تتاح له الظروف.. فالنفس إذن كأنها وعاء كبير عميق، أو غيهب سحيق مظلم، تكمن فى أعماقه الأفكار والأحاسيس والمشاعر، وتختلط فيه الدرر والجوار.. بالأحجار والأشواك.. مع العواطف المتباينة، والأفكار التى لم تنضج بعد..

وهذه الأفكار التى لم يتم نضجها، أو لم يتم تكاملها، عندما تهبط إلى الأعماق تنضج رويداً، ويتاح لها الوقت الكافى لكى تتكامل كما يجب.. ثم تطفو إلى سطح النفس.. وتظهر للعقل الواعى، عندما تصبح ناضجة كاملة الحسن والرواء..

فليكن مجهودك كله أن تجمع هذه الثمرات اليانعة، التى تم نضجها فى العقل

الباطن، أو فى قرار النفس، عندما تقوم على سطح نفسك، وتطوف بعقلك الواعى كأنها (وحى) أو (إلهام)..

ومهمة جمع ما يعوم على السطح، أو ما يتجمع على السطح، مهمة سهلة لطيفة.. يكون دورك فيها كأنما هو دور شخص يتذكر - أو يسترجع - شيئاً كان يحفظه منذ مدّة طويلة وكاد أن ينساه..

وهذه «الأفكار الناضجة» التى تطفو على سطح النفس وتظهر فى سماء العقل الواعى، كثيرًا ما يكون لها مثير واضح أو خفى فى النفس... عند ذلك ترفرف حولك تلك (الأطياف) التى أشرنا إليها، وتكون هذه الفرص الذهبية لكى تقتنص من الخيالات الهائمة ماتشاء.. وبهذا قد لا يستغرق عمل عشرين بيتاً أو ثلاثين ساعة أو بعض ساعة..

أما إذا تكلّفت الشعر.. فإنك ستجهد نفسك وفكرك وخيالك.. وستحاول أن تغوص إلى الأعماق المظلمة فى نفسك، حيث الضوء لا يكفى لتخير الجميل القيّم.. وربما أخرجت من القرار أحجاراً خيل إليك فى الظلام أنها در وجوهر..»

ويستمر صاحبنا فى مذكراته قائلاً:

«وقد كنت ربما وقع لى البيت الأول والثانى من قصيدة فى لمح البصر، ثم تستعصى على كتابة بيت بعد هذا.. فأدع الأمر كما هو، ولا أتكلّف صياغة الباقى.. وإنما أدع فكرة القصيدة (مخزونة كامنة) فى أعماق النفس حتى يتم نضجها.. أو حتى تنال حظها من النمو.. ثم يحدث مؤثرًا أو مثير.. قد يكون تافهًا بسيطاً، أو أمرًا غير واضح ولا منظور، ولكنه يحركها.. فتطفو إلى سطح نفسى، وتطوف بعقلى الواعى.. فأجمعها بسهولة عجيبة».

ومن أمثلة هذا المطلع التالى:

عم صباحًا يا فَراشى   قد أتى الصبحُ الجديد
أشرق النّورُ فهيّـــا   نوقِــظ الوادى السعيد

ثم - بعد ٩ سنوات - جاءت بقية النشيد.. وتكامل.. وأصبح كالآتى:

عِم صباحًا.. يا فَرَاشى

عم صباحًا يا فَراشى قد أتى الصبح الجديدْ
أشرق النورُ فهيّا نوقظ الوادى السعيد
ونغنّى فى صباحٍ باكرٍ حلوَ النشيد
يا صباح الخير ذا يوم جديدْ
يا صباح النور فى الوادى السعيد
يا صباح الفلّ يا صُبح الورود
يا سرورى يا طيورى بين أزهارٍ ونورِ
ونخيلٍ باسقات ومياه فى الغدير
إيه ما أحلى أناشيدَ السلامْ
عندما نحيا جميعًا فى وئام
لا نعادى.. بل ننادى: لا خصام
ونغنى فى صباحٍ باكر حلو النشيدْ
عم صباحًا يا فراشى قد أتى الصبح الجديد
أشرق النور فهيّا نوقظِ الوادى السعيد

(كتب هذا النشيد فى الخمسينات ـ فى المدرسة النموذجية ـ وكان فيها فى ذلك الوقت مشروع عن الفراش)

وكذلك المطلع التالى:

أيا عصفورُ غنِّ لى بألحان.. على النيلِ
ورفرف حول زورقنا وهات النّاى واحكِ لى

ولم يقدّرْ لهذا المطلع أن يستكمل حتى الآن.. بعد مضى أكثر من أربعين عاماً..!!

خير أوقات التفكير

ويستمر صاحبنا قائلاً فى مذكراته التى كتبها فى العشرينيات من عمره:

«. . .   . . . وخير أوقات التفكير:

* أوقات السَّحر. . وساعات المرض. .

* أو حيث يخفت الضوء، وتقل الضوضاء. .

ولعلى لا أعدو الحقيقة إذا ذكرت أن أبهج شعرى، وأحفله بالحياة والمسرح، قد كُتب فى جو كئيب من الوحدة وخفوت الضوء. وأنا قابع فى ركن يخيمّ عليه الصمت والوحشة والسكون.

* أو فى سَبَحات الفكر فى ظلمة الليل والناس نيام.

ويتساوى فى هذا الشعر المرح الطروب، والعبوس الحزين. . وإنما يكون الفرق بينهما فى شعور النفس ساعة الكتابة. . مرح أو حزن أو غير ذلك. .

ويخيل إلى أن ضوء النهار القوى، والكون الذى يموج بالحياة والحركة ليسا مما يعين كثيراً على هذا. . لأنهما يشتتان الفكر ويبعثران الخيال. . إلا إذا استطاع الشاعر أن يعيش فى قبو نفسه، ويستغرق فى فكره وخياله، فيضرب بين نفسه وما يحيط به من الناس والأشياء أستاراً من «الاستغراق» قد يسميها الناس أحياناً (الشرود أو السرحان) فيبدو غافلا عمّا حوله. .

أما أوقات السَّحر. . فيخيل إليك فيها أن العقل الواعى بقيوده قد نام، أو خدّرت أطرافه، وإنفتح الباب أمام الأفكار التى فى أغوار النفس كى تصعد إلى السطح آمنة (تلهو فى ضوء القمر. . .) فتستدعى إليك منها ما تشاء. . وتجمع ما تكامل نضجه فى يسر وسهولة وشوق لذيذ. .

وأما ساعات المرض فبينى وبينها مودّة عجيبة. . وفيها تصفو النفس، وقد تشرق أجمل الأفكار. .

ولا أدرى مبعث هذا، ولكنى جربّته مراراً عديدة. .!!

وثمة حالات يحس فيها الشاعر الوحشة والانقباض، والرغبة فى الانطواء على نفسه.. والعزوف عن الكلام.. حتى يظن من حوله به الكبر أو الغرور، أو أنه يتعالى عليهم، لإنصرافه عنهم وعن الحديث إليهم..

وعلم الله أنه ربما كان من أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر والغرور.. ولكن كثيرًا ما تكون هذه الحالة عندما تمتلىء نفسه بمشاعر معينة..

وهذا (الإمتلاء) من أهم الأمور بالنسبة إليه، لأن قدرته على التعبير عمّا يحسّه رهنية بإمتلاء نفسه بالأحاسيس والمشاعر.. والطاقة النفسية التى تعينه على التعبير إنما تستمد قوتها الدافعة من المخزون فى نفسه (أو المكبوت فيها).. ذلك أن (الإنتاج الشعرى) لون أو صورة من صور (التعبير) عمّا فى النفس، أو (التنفيس) عما فيها من أحاسيس ومشاعر مزدحمة.. وبقدر قوة ضغطها تكون حرارة التعبير وصدق العاطفة..

والشاعر يحرص حرصًا شديدًا ـ غالبًا ما يكون لا شعوريًا ـ على أن يحتفظ بهذه الطاقة المكبوتة فى نفسه، ليجعل متنفسها فى شعره.. ولذلك يشعر بالرغبة فى الصمت والعزوف عن الكلام،والإنصراف عن مشاركة القوم فى أحاديثهم، لأن الكلام وسيلة من وسائل (إستنفاد الطاقة) المخزونة فى النفس، باعتباره وسيلة من وسائل (التنفيس) عن الأحاسيس والمشاعر المكبوتة.. وإذا استنفد الكلام قدرًا كبيرًا من هذه (الطاقة المكبوتة) نقصت القوة الدافعة التى تجعل إنتاج الشاعر أكثر حرارة وأصدق عاطفة وأشد تأثيرًا.

هذا بالإضافة إلى أن (الكلام) يشتت الفكر، ويقطع حبال التفكير والاستغراق والخيال..

وماذا يقول علم النفس.. عن الإبداع والإلهام؟

كان هذا مما كتبه المؤلف فى مذكراته، فى العشرينيات من عمره، عن (الوحى والإلهام وشيطان الشعر) من خلال تأمله لنفسه (تأملاً باطنيًا) ولعله من الطريف أن نعرف الآن ما يقوله (علم النفس) فى هذا الشأن..

إنه يقول:

* إن التعقل أو الاستدلال، هو العملية العقلية التى تستهدف حلّ مشكلة، والوصول إلى نتائج على أساس مقدمات معلومة.. كأن يستدل رجل القانون على الجانى، أو القاتل، عن طريق مجموعة من العلامات والمعلومات..

* أما التفكير الابتكارى.. فهو إيجاد شىء جديد.. أو حلّ جديد لمشكلة ما.. أو الوصول إلى طريقة جديدة للتعبير الفنى..

وبهذا يختلف الابتكار عن الاستدلال.. لأن الاستدلال يكشف عن أشياء أو علاقات كانت خافية.. ولكنها موجودة.. على حين أن الابتكار يصل إلى إيجاد أشياء أو علاقات جديدة، لم تكن موجودة من قبل..

* أما الإبداع فإنه ابتكار يتسم بقدر كاف من الأصالة.. ويقترن ظهوره بنوع من الإلهام أو الإشراق..

وليس معنى وجود الإلهام أن المسألة تتم بطريقة عشوائية، أو بالصدفة، أو بالموهبة وحدها.. وإنما هى تجتاز مراحل مدروسة ومعروفة، يمكن إيجاز أهمها فى النقاط الأربع الآتية:

١ ـ مرحلة الإعداد أو التحضير:

وفيها يقوم المبدع بتحديد المشكلة، وفحصها من جميع جوانبها أو أبعادها، وجمع كل المعلومات المتاحة حولها.. ويفكّر فى الحلول الممكنة.. ويقيمها.. ويقلّبها على مختلف الوجوه.. حتى يعييه الأمر.. وتبقى المشكلة قائمة.. ويبقى المبدع قلقاً فى إنتظار الحل المنشود..

وهى مرحلة فيها معاناة طويلة شاقة.. وصبر.. وأناة.. وفحص وتأمل.. وكدّ مستمر.. ولذلك يضرب العلماء المثل بإديسون الذى كان يقول عندما يسألونه عن (عبقريته):

ـ إن العبقرية تعود فى جزء واحد منها إلى الإلهام.. وبتسعة وتسعين جزءاً إلى الكّد والجهد المتصل..

٢ ـ مرحلة الحضانة أو الكمون والاختمار:

وفيها يبدو المبدع وكأنه نسى المشكلة، أو شُغل عنها بمسائل أخرى، بعد أن أعياه البحث والتفكير..

وفى هذه المرحلة، تكون المشكلة والأفكار والحلول التى جمعها المبدع وتوصّل إليها فى المرحلة السابقة، تكون فى أعماق النفس تحت تأثير عمليات لا شعورية مختلفة ومستمرة.. تعمل على بلورتها وتمحيصها، وإعادة ترتيبها.. حتى تصل بها إلى درجة النضج الكافى..

٣ ـ مرحلة الإلهام أو الإشراق:

تأتى هذه المرحلة عندما تنضج المسألة بما فيه الكفاية.. فيثب الحل إلى ذهن المبدع فجأة.. كأنه الهام.. وقد يكون هذا الحل:

قصيدة ـ أو رسمًا ـ أو كشفًا علميًا ـ أو لحنًا موسيقيًا ـ أو فكرة لم تخطر على البال من قبل..

٤ ـ مرحلة التقويم وإعادة النظر:

فى أغلب الأحيان يكون الحل الذى أشرق فى ذهن المبدع فى المرحلة السابقة، بحاجة إلى إعادة النظر والصقل والتهذيب.. أو التعديل والتكييف.. ليصبح فى صورته الأخيرة التى يرضى عنها المبدع وهذه المرحلة تحتاج إلى جهد وعمل وصبر، ودأب متصل مّرة أخرى.

ومن هذا يتضح أن الموهبة عادة لا تكفى وحدها للإبداع.. وإنما هى بحاجة إلى جهد كبير متصل:

فى أول الأمر... (فى مرحلة الإعداد والتحضير).

وفى آخر الأمر أيضًا.. (فى مرحلة التقويم وإعادة النظر).

ويتضح هذا جليًا من تتبع حياة العلماء والمبدعين.. ويكفى مثلاً أن نذكر أن أينشتين ظل يعمل سبع سنوات (فى مرحلة الإعداد والتحضير).. قبل أن يتوصل إلى

نظرية النسبية.. فلما أشرقت فكرتها فى ذهنه.. لم تستغرق كتابة البحث الخاص بها سوى خمسة أسابيع..

الشعر العمودى.. والشعر الحر

وأحمد نجيب من أنصار الشعر العمودى الموزون.. ولكن مع حرية التصرف فيما عدا ذلك.. وبصفة خاصة فى تنويع القوافى وتنسيقها.. وهو فى قضايا التجديد والتطوير يفرق أساسًا بين:

- التجديد عن أصالة ومقدرة.
- والتجديد عن عجز وقصور.

فالذى يجدد فى كتابة الشعر الحر وهو قادر على كتابة الشعر التقليدى الجيد.. يختلف تمامًا عن الذى يلجأ إلى كتابة هذا اللون لأنه عاجز عن كتابة شعر عمودى موزون له قيمة..

وينطبق هذا أيضاً على التجديد فى الرسم.. فالذى يفعل هذا وهو قادر على الرسم الكلاسيكى التقليدى الجيد، يختلف عن الفنان الذى يلجأ إلى الرسم المودرن.. لأنه يجد صعوبة فيما عداه..

والشىء نفسه يمكن أن يقال أيضاً عن التجديد فى كتابة الخط العربى.. وما إلى ذلك..

وفى مذكراته التى كتبها فى العشرينيات من عمره، نجده يقول فى هذا الشأن كلاماً كثيراً نلتقط منه نزراً تسيراً يقول فيه:

«.... وبعد فيجب أن يكون هناك فرق واضح بين كل ما يسمى شعرا.. (سواء أكان مرسلاً أو منثورًا)،.. وبين ما يسمى نثراً...

وإن شئت أن تشعر معى بالحاجة إلى هذا الأمر، فتعال نقرأ هذا الكلام الذى نشر فى مجلة من أكبر المجلات الأدبية فى مصر (الرسالة الجديدة ـ العدد الممتاز رقم ٢٥ بقلم توفيق حنا ـ لم يكتب صاحبنا فى مذكراته تاريخ هذا العدد)..

تعال نقرأ هذه السطور، ثم أخبرنى:

أهى شعر أم نثر..؟ والموضوع بعنوان: هذا الهرم

وصل العلم، وتوصل العلماء إلى الطاقة الذرية.. ولكن بتوجيه أينشتين وتحت إشراف أوبنهايمر استحالت الطاقة إلى قنبلة..

ثم أحالت هذه القنبلة هيروشيما ونجازاكى في ٦ أغسطس ١٩٤٥ إلى أطلال وجثث وعاهات، وإلى سيمفونية من الآهات والصّرخات وأصوات الغربان..

أهذا بناء يا علماء الإنسانية..؟

الحضارة المصرية حضارة زراعية.. وصلت إلى كل حقائقها الإنسانية فى دائرة وعيها النباتى..

ثم ركزت وعيها، وجمدت حقائقها، وكل نفحات روّحها فى عمل رياضى هندسى هائل:

هو هذا الهرم...

إنى أتهم هذا الجيل بحب التسلق والشعبطة والوصولية بكل صورها الاجتماعية والاقتصادية والعقلية والفنية.. إلخ.

ويستمر أحمد نجيب فى مذكراته قائلاً:

«لقد نُشر هذا الكلام فى العدد الممتاز فى الصحيفة الأدبية الكبيرة على أنه شعر!!... وأنا لا أعيب هذا الكلام، فقد تكون فيه أفكار بديعة أو آراء قيمة أو خيال معجز.. ولكنى اتساءل:

ـ لماذا لا يسمى (نثراً)..؟

وفى النثر أيضاً مجال للأفكار البديعة والآراء القيمة والخيال المعجز؟! ولن يحط من شأن كتابة الكاتب أن تسمى نثراً.. ولن يرفع من شأنها أن تسمى شعراً.. وإنما تنخفض قيمة الكتابة وترتفع بمقدار ماهى عليه من الجودة والإتقان.. سواء أكانت شعراً أم نثراً.

ثم يقول فى مكان آخر من هذه المذكرات:

«على أن الشعر المرسل بهذه الصورة ليس جديدًا على اللغة العربية كل الجدّة حتى يعتبر (تجديدًا) على إطلاق هذه الكلمة.. فمنذ مئات السنين كتب ابن خلدون فى مقدمته ٧٧٩هـ يقول فى الفصل الرابع والأربعين عند الكلام عن انقسام الكلام إلى فنّى النظم والنثر ص ٥٦٧ ـ ٥٦٨ طبعة المطبعة التجارية: «وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الأسجاع، والتزام التقفية، وتقديم النسيب بين يدى الأغراض.. وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه.. ولم يفترقا إلا فى الوزن..»

واستمر المتأخرون من الكتّاب على هذه الطريقة، واستعملوها فى المخاطبات السلطانية.. وقصروا الاستعمال فى المنثور كله هلى هذا الفن الذى ارتضوه..

ثم يعيب ابن خلدون هذا الخلط بين الشعر والنثر.. فيقول:

«وما حمل عليه أهل العصر إلا استيلاء العجمة على ألسنتهم، وقصورهم لذلك عن إعطاء الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال...»

ومن شعره فى تلك الأيام، وهو فى العشرينيات من عمره:

دعاء الصباح

ربّنـــا يا ربنـــا	يـا إلـهَ العالمـــينْ
هيّـىء الخـــير لنـا	وارعنا فـى كـل حـين
باسمك اللهـم ربـى	نبدأ اليــــوم الجديدْ
فأعنّـــا يـا إلــهى	عونك السامى الفريد
وانشــر الخـير بمصرٍ	واحفـظ النيـل السعيد
وفـق اللـه خُطانـــا	وهدانـــا للســـداد
لك منا ألْـف حمـدٍ	فاهدنا سُبْل الرشـــاد

● ● ●

حبّ العنب

حبُّ العنب	ما أحلاهْ
فى عنقود	حين أراهُ
مثلَ اللؤلؤْ	فى الأغصانِ
ما أجمله	يا إخوانى
هيّا نقطفْ	حبَّ الكرمْ
فهو لذيذ	حلوُ الطعمِ

● ● ●

مصر

الماضى.. والمستقبل

سائلوا التاريخ عنّى من أنا	واذكروا فضلَ الكرام الأولينْ
فى جبين الدهر يزهو مجدنا	مجدُ مصرٍ فوق هام العالمين
هذه الآثار تحكى مَنْ أنا	يوم كان الدهرُ كالطفل الصغير
سطّر الأجداد فيها مجدنا	ساطعا عَبْرَ الليالى والدّهور
قد برعنا فى أفانين الصناعة	وانتزَعْنا الخُلْدَ من ناب الفناء
وارتقينا فى أساليب الزراعة	ورَفَعنا المجدَ من عالى البناء
يا بنى مصرَ تعالَوْا إنّنا	سوف نبنى مثلَ أجدادٍ كرام
أيقَظوا الدنيا فهبّت حولنا	تنْهَلُ العلمَ وتسعى للأمام
فى يمينى مشعل يهدى الزمانا	وورائى مجدُ أبناء الخلود
فابتغوا الجوزاءَ والعَليا مكانا	وأعيدوا اليوم ماشادَ الجدود

(من مشروع تمثيل حياة قدماء المصريين بالنموذجية)

● ● ●

نشيد الطيران

نسورَ السماء حُماة الوطن
أمامًا طــــوال الزمــــن
أمنْتِ بلادى عــوادى المحن
وعشتِ دوامــاً منار الأمم

بَنُوك - فداكِ - استقلوا الهواء   وطاروا خفافا لنَيْل العَلاء
بعزمِ الأسودِ وروح الفِداء   أجابوا الدعاءَ ولَبّوا النداء
ففى الحرب كانوا الرّدى للعدا   وصاحوا: بلادى.. بَنُوك الفدا
نثرنا خلال الأزيز الرَدى   وتِهنا وصحنا لنصرٍ بدا

نسورَ السماء حُماة الوطن
أمامًا طــــوال الزمــــن
أمنْتِ بلادى عــوادى المحن
وعشتِ دوامــًا منارَ الأمم

وفى السِّلم إنا جعلنا البعيدْ   قريبًا.. وإنّا حملنا البريدْ
فكنّا الرِّباط لكل الوجودْ   وكنا السلام لأرض الجدود
سلاحُ الهواء رفيع الجَنَابْ   عَلَوْنا سماه بعزم الشباب
قهرنا هناك منيع العُقاب   وصِرْنا به من ملوكِ السحاب

نسورَ السماء حُماة الوطن
أمامًا طــــوال الزمــــن
أمنْتِ بلادى عــوادى المحن
وعشتِ دوامــًا منارَ الأمم

(من مشروع الطيران بالمدرسة النموذجية)

نشيد الفلاح

يا صاحبى هيا بنا — نَروىَ ونزرع أرضنا
بالخير والبشرى لنا — يَسَّر إلهى أمرَنا

واكتب لمصر اليُسر فى طول الزمن

انظر جمال حقولنا — واشهد بساطة عيشنا
والزرع ينمو حولنا — يحكى نهاية صبرنا
اليُمن صُنْعُ يمينا — والخير حَلَّ بِدارنا
والنهرُ فاضَ بأرضنا — والله يرعى مِصرنا
ياصاحبى غـــــنِّ لنا — عنَّ أناشيدَ الهنا
فالريف ســـر حياتنا — والريف أصل هنائنا

فاحفظه يا ربّى على طول الزمن

● ● ●

عائدون

أو هكذا يغنى شعب فلسطين

إننا عائدون.. إلى ديار الجدود.. عائدون
إننا عائدون.. بعزمةٍ من حديد.. عائدون

إلى فلسطين وأرضِ الشهداء

أرض آبائى وأرضُ الخالدين — حيث سال الدَّمُ حرًّا من سنينْ
خيرها ينمو بأيدى الغاصبين — وأنا أحيا حياة اللاجئين
بلْ غداً مع الفجرِ نعود — كى نزيلَ العارَ عن أرض الجدود
حين يمضى عَبْرَ هاتيك الحدود — موكبُ الأحرارِ والبعث الجديد
لن نسمّى بعد هذا لاجئين — إنما نحن جيوشُ العائدين
تبذلك الأرواحَ والروحُ تهون — فى سبيل النصر والفتح المبين

إننا عائدون.. إلى ديار الجدود.. عائدون
إننا عائدون.. بعزمةٍ من حديد.. عائدون

إلى فلسطين وأرضِ الشهداء

(ترجع هذه الأنشودة إلى أوائل الخمسينيات)

وكان يكتب الأناشيد فى داخل القصص.. كى يصبح الشعر مألوفًا لدى الأطفال.. من ذلك قوله فى قصة (رحلة إلى القمر).. التى صدرت فى أوائل الخمسينيات أيضاً.. «أنشودة القمر» التى مطلعها:

خَرَجَ الرِّفاقُ بصحبتى   يلهون فى ضوءِ القمرْ
فى زورق يجرى بنا   يختالُ فى عَرْضِ النَّهَرْ

جدف معى.. يا صاحبى.. وسْطَ المياه
ننشد هنا.. من فرْحِنا.. لحنَ الحياه

وكان بالمدرسة النموذجية عدد من الأسر المدرسية فألف لها عددًا من الأناشيد.. ومن هذا:

نشيد أسرة مصطفى كامل

يا باعثَ المجدِ التليد..   مصطفى
يا صاحبَ النورِ الجديد..   مصطفى
أنت علمت الجموع..   مصطفى
أنت أوقدت الشموع..   مصطفى

صوتك الحرُّ المبين كيف أحيا النائمين
أيقظ الشعبَ فسار الشعبُ مرفوعَ الجبين
يطلب الجلاء يبذل الدماء

إنها الفداء

يا باعثَ المجد التليد.. مصطفى
يا صاحبَ النورِ الجديد.. مصطفى
أنت علمت الجموع.. مصطفى
أنت أوقدت الشموع.. مصطفى

صوتك الحرّ ينادى أنت يا مصرُ بلادى
لك حبّى وجهادى لك روحى وفؤادى
أمة الأحرار يا حماةَ الدار

● ● ●

نشيد أسرة أحمس

سلام على أرض هذا الوطن سلام على مصر فى الخالدين
بماضى الجدود بتينا الزمن فهيا نعيد البناء المتين
أحمس الكريم رمزنا العظيم
أحمس الأول تاج الخالدين

فاقتفوا.. أيها الأشبال آثار الأسد
واعملوا.. كى نعيد المجد فى هذا البلد

أعد السلاح ليوم الكفاح وسار إلى النصر فوق البطاح
وطارد جيش الرعاة الذى تولّى يَهيمُ كسيرَ الجناح
قائد الأباة هازم الرّعَاة
أحمس الأول تاج الخالدين

فاقتفوا.. أيها الأشبال آثار الأسد
واعملوا.. كى نعيد المجد فى هذا البلد

نشيد أسرة صلاح الدين

ارفعــوا الأعـــــلام إنّـــا قادمـونْ

وانثروا الأزهــــــار إنا سائرون

واخشعوا كالدهرِ فى ذكـرى الذى

طهّر الشـــــرق فهـــزّ العالمين

●●●

نشيد الختام

ســــــــلام ســــــــلام ضـــــيوفى الكـــــرام
ســــــــلام عليكــــــم إلـــــى الملتـــــــقى
سعدنا بكم هنـا ليلة[1] كحلم جميل مضى ظلّها
تغـــرد فيها طيورُ المنى بألحانها.. والهنا حولها

سلام سلام على الحاضرين

بخيرٍ وبشْرٍ وفَرْحٍ يزيدْ أعاد الإله لنا كل عيد
نغنى ونطربُ يا فرحنا ونلقاكمُ كل يوم[2] سعيد

سلام سلام على الحاضرين

وداعـــــــا وداعـــــــا ضُيـــــــوفى الكـــرامْ
ســــــلام عليكــــم إلـــــــى الملتقـــى

---

(١) كلمة ليلة فى البيت الثالث، يمكن أن توضع مكانها كلمة مرة أو كلمة حفلة إذا لم يكن الحفل مقامًا بالليل.

(٢) يمكن أن تستخدم كلمة يوم إذا قيل النشيد فى ختام يوم رياضى مثلاً. ويمكن أن توضع مكانها كلمة حفل أو عيد وفقًا لمقتضيات الظروف.

استعراض غنائى

وادى الجن

منظر طبيعى خلّاب.. أزهار وأطيار وأشجار.. ونبع ماء جميل.. وبعض الأشجار المجسمة بينها (شجرة بان).. يمكن تحريكها من وراء - أو من تحت - المسرح..

تظهر جنية رشيقة وسط الأضواء الخافتة المتغيّرة، تقوم ببعض الحركات الإيقاعية المناسبة.. ثم تغنى:

أنا جنية أحيا　　　بوادٍ كله جان

فعَن يُمناى عفريت　　　(يقفز من يمينها عفريت)

وعن يُسراى شيطان　(يقفز عن شمالها آخر)

[يكرر البيت الثانى.. فيظهر عفريتان آخران بنفس الطريقة.. ويمكن أن يعاد تكرار البيت المرات اللازمة لإظهار عدد العفاريت المطلوب ظهورها مع الجنية فى الاستعراض. وخلال هذا يقومون بحركات استعراضية مناسبة..]

الجنية:

نسيمُ الليلِ ينعشـــنى　　　وأترابى وخلاّنى

وهمسُ الطير يطربُنا　　　بأنغـامٍ والحان

الجميع «يتجمعون فى حلقات مرحة.. ويغنون»:

فتجمعُنا مغانينــــا　　　بأصحـــاب تنادينا

وأحلامٍ تداعبُنـــا　　　وآمـــالٍ تناجينا

ونحن الجنّ أســرارٌ　　　تحيّـرُ حكـمةَ البشرِ

فكم رسموا لوادينـــا　　　أعاجيبــاً مـن الصور

الجنية:

بَـــرانَا اللهُ مـــن نـــارِ

المجموعة:

نشكّلهـــا فترضينـــا

الجنية:

فحينـــا نحـــنُ أطيـــاف

المجموعة:

وأشبـــاحٌ تُـــرى حينا

[الإضاءة تُظهر على المسرح مناظر غريبة كالأشباح..]

الجنية: وأنـــا نحنُ أطيـــار

(تدخل مجموعة الطيور فى تشكيلات مرحة)

المجموعة: وأنـــا نحـــن كالناس

نقضى الوقتَ فى فـرحٍ وفـــى مـــرحٍ وإيناس

الجنية:

وبلبلنـــا يغنّيـــــنا ويسعـــدُنا بواديـــــنا

وغصن البان من طـربٍ ترقّصـــه أغانيـــــنا

[شجرة البان تهتز فى حركات راقصة]

المجموعة:

أغـــاريد وأطيـــارُ وأنهـــــارٌ وأشجـارُ

ووادٍ كلـــه عجـــب وأزهـــــار وأثمـــار

الجنية:

ومـــاء النـــبع أعجبه غنــــاءُ البلبـلِ الشادى

فصفق ضاحكا وجرى بلحـــنٍ أنعـــش الوادى

المجموعة:

ملاعب جِنَّةٍ فاضتْ بـأنسٍ عــمَّ وادينا

[حركات إيقاعية وتشكيلات مختلفة. ينصرف الجميع وتبقى الجنية وحدها تلف وتدور كأنما تبحث عن الآخرين.]

الجنية:

مضت بالحسن أيامى وولّى ما مضى فيها
ولم تبق سوى الذكرى لأحيا فى معانيها

[تكرر الجنية البيتين الأخيرين مع موسيقى حزينة]

الجنية:

سلام أرض أجدادى سلامٌ عاطر نـاد
لعلّ اللهَ يجمعُنا على خيرٍ وإسعادِ

ملاحظات:

١ ـ ينفذ هذا الاستعراض الغنائى فى مدارس البنات بأن تلبس بعض الفتيات ملابس الجن، فالعبرة بالملابس.. فى مدارس البنات أو البنين.

٢ ـ لعل هذه الخاتمة الحزينة تفصح عن شعور عميق لدى الشاعر بالأسى لما يحيط بأوطانه العربية من تخلف وتفّرق.. بعد أن كان لكل منها ماض عريق.. ويدعو الله أن يعينها على عودة هذه الأمجاد..

* وللشاعر أحمد نجيب قليل من الشعر العامى.. من هذا قوله:

فيديو.. أتارى

فيديو أتارى.. فيديو أتارى
أتارى أتارى.. الدنيا بتجرى
بتجرى بتجرى.. وأنا مش دارى

الدنيا بتجرى.. وأنا فى مكانى

عمّال أحكى كان ياما كان
كنا وكنّا.. وكنّا زمان
مين حايرجّع إللى كان

الناس الوقتى بتزرعْ صحرا
تبات كدا صفرا.. وتصبح خضرا
ياما قريت.. والعلما قالوا لى
تحت البحر.. بيزرعوا لولى
إلخ...

من كل ما سبق يتضح:

ـ نبرة الإيمان.

ـ وأن الشاعر ممتلىء رغبة فى إعادة الأمجاد السابقة.

هذا بالإضافة إلى سيادة نبرة الحزن عنده.. حيث يقول (وهو فى الثلاثينيات من عمره):

ذكريات العمر

على شاطىء المجهول

ذكريات العمر..

ذكريات العمر مرّ العمر كالطيف وزال
لم تعد تبقى سوى الذكرى على طرف الخيال
وأمامى شاطىء المجهول تخفيه الظلال
ووراء الأفق شمسُ العمْر تمضى للزوال

وعلى أطلال عمرى أتغنى.. دامع العين أغنى فى سراب
وغدا.. ماذا غدا يا ذكرياتى..؟ موعد فى عالمٍ تحت التراب

... ...

وكأنى ـ حالمًا ـ أمشى على دربٍ غريب
ساهم الطرْف واهفو... دون وعى للمغيبْ
جفّ ماء العمر.. غاض الماء من نبع الحياة
وكسا العمر شحوبُ الزهر محروم المياه
وغدوت اليومَ أرنو من فراشى للوجود
ورقيق الزهر عندى مثل أشواك الورود
لم يعد ينعش نفسى.. بين آلامى ويأسى
سحر ما أنعش عمرى.. وكسا بالنور أمسى
لا تقل أين الربى..أين المها..أين التلال!
فعليل الروح لا يبصر ألوان الجمال
هى حولى.. إنما لست أراها.. غير وهم طاف حولى فطواها.

... ... إلخ

ويقول (وهو فى العشرينيات من عمره):

وصنعت من حزنى كهوفًا أتقى — عصفَ الرياح السّود فى بيدائى
وكسبت من طول الشقاء مناعة — ماعدت أشكو بعدها لأوائى
وتخذت من غصص الزمان صحابتى — فوجدت فيها سلوتى وعزائى
والحزن فوق الحزن يُنسى بعضه — ويميت معنى الحزن فى التعساء

... ... إلخ

ولكن نبرة الحزن هذه لم تظهر أبداً فى شعر الأطفال[1].

فى أدب الأطفال

وهكذا نرى أنه إذا كان ميدان (أدب الأطفال) يعرف أحمد نجيب من خلال إنتاجه الثرى فى مجال (كتب الأطفال) التى قدم لهم منها أكثر من ثلاثمائة كتاب.. فإن القليلين هم الذين يعرفون أنه قد بدأ حياته الأدبية فى نهاية الأربعينيات بكتابة مسرحيات الأطفال وشعرهم.

وهو:

- مدير مركز أدب الأطفال سابقًا (بالمعاش)

- وأستاذ زائر (أدب الأطفال) و (ثقافة الأطفال) على مدى ٤١ سنة جامعية.. بجامعات: القاهرة - عين شمس - الأزهر - طنطا.. وبالدراسات العليا فى عدد من كليات التربية، وكلية رياض الأطفال بالإسكندرية.

- وقد اشترك فى أكثر من أربعين ندوة دولية وعربية ومحلية، قدم فيها بحوثًا عن أدب الأطفال وثقافتهم.

- ومدير تحرير العدد التجريبى من مجلة (المختار للصغار) التى أصدرها (المجلس العربى للطفولة والتنمية).

- وعضو اتحاد كتّاب مصر.

- وعضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

- وعضو المجلس العالمى لكتب الأطفال.

- بالإضافة إلى أنه حاليًا مستشار بمركز التطوير التكنولوجى.. وأستاذ زائر (مواد الأطفال) بكلية الآداب - وكلية الدراسات الإنسانية.

* وهو حاصل على:

- ماجستير فى الآداب - من جامعة القاهرة (دراسة ديموجرافية فى التخطيط البشرى ١٩٧٢).

---

(١) مصدر الشعر السابق كله: ديوان شعر أحمد نجيب - الذى نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

- شهادة معهد المعلمين الابتدائى بالزيتون ١٩٤٨.

- إجازة معهد الدراسات العليا للمعلمين - القاهرة.

- شهادة معهد التخطيط القومى - القاهرة ١٩٦٢.

- شهادة أكاديمية العلوم التربوية الألمانية - معهد القيادة والتخطيط - برلين ١٩٧٢.

- شهادة المعهد الدولى للتخطيط التربوى IIEP بفرنسا - باريس ١٩٧٥، مع دراسة خاصة عن: (كتب الاطفال - والكتب المدرسية).

* وحائز على:

- جائزة الدولة فى أدب الأطفال ١٩٧٢.

- وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٧٣.

- الجائزة الأولى - على مستوى الوطن العربى - فى مسابقة الفنون التعبيرية التى أقامتها: دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٧٦.

- الجائزة التقديرية فى عيد الطفولة ١٩٨٤.

- ودرع اتحاد الإذاعة والتليفزيون ١٩٨٤.

- جائزة الدولة مرة ثانية فى ١٩٨٩.

- درع محافظة أسوان ١٩٨٩.

- نوط الامتياز من الطبقة الأولى ١٩٩١.

- الميدالية التذكارية من محافظة القاهرة ١٩٩١.

- جائزة الملك فيصل العالمية ١٩٩١.

- درع محافظة الشرقية ١٩٩٢.

- الميدالية الذهبية للعطاء المتميز فى أعياد الطفولة ١٩٩٣.

- درع محافظة القاهرة فى ١٩٩٦ و ١٩٩٧.

ـ يوجد شارع باسمه (شارع أحمد نجيب) فى حى السلامة ـ بمدينة جدّة بالمملكة العربية السعودية.

ـ كما وقع عليه الاختيار ليكون ضمن موسوعة (**الشخصيات المصرية الهامة**) التى أصدرتها وزارة الإعلام المصرية (الهيئة العامة للاستعلامات).

ـ وضمن سجل (**أعلام القرن العشرين**) الذى تعده وزارة الثقافة المصرية (المركز القومى للفنون التشكيلية).

* وقد اختارت جامعة يوتا بالولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من كتبه لتدرس بها كنموذج لأدب الأطفال العربى الحديث، مع دراسة خاصة عن هذه الكتب أعدها باللغة الإنجليزية أستاذ الأدب العربى بجامعة يوتا.

وهذه المجموعة هى: سلسلة حكايات العصفور الأزرق التى تضم القصص الآتية:

مغامرات كوكو ـ تعالى لى يابطة ـ مدرسة الأرانب ـ أميرة الجنيات ـ الطائر العجيب ـ ذيل القرد ـ مغامرات بسبس نو ـ كوكو والأسد ـ رحلة إلى القمر.

* **وفى جامعة القاهرة**: تم فى ١٣/ ١٢/ ١٩٩٤ تسجيل رسالة ماجستير ـ بعنوان: «أدب الأطفال عند أحمد نجيب: دراسة لغوية معجمية وصرفية وتركيبية»

ـ للباحث: محمد محمود القاضى (كلية دار العلوم ـ قسم اللغة والدراسات السامية والشرقية).

ـ بإشراف: أ. د. محمد حماد.

* **وفى جامعة عين شمس**: تم فى نوفمبر ١٩٩٥ تسجيل رسالة دكتوراه ـ بعنوان: «فلسفة القيم كما ظهرت فى أعمال: أحمد نجيب ـ ورولد دال ـ وإى. بى. وايت».

ـ للباحثة: إيمان حجازى (كلية الآداب ـ قسم اللغة الإنجليزية).

ـ بإشراف: أ. د. إخلاص عزمى.

ويلاحظ أن أصحاب الأعمال الثلاثة:

الأول كاتب أطفال مصرى ـ والثانى إنجليزى ـ والثالث أمريكى.

* **وفى المعهد العالى لدراسات الطفولة:** نالت باحثة ثالثة هى: راوية هلال درجة الماجستير عن سلسلة من كتبه هى (مصر أم الدنيا: دائرة معارف مصر للأطفال) بإشراف: أ. د. فايزة يوسف.

جانب من الإنتاج

سبق القول إنه قام بكتابة أكثر من ثلاثمائة كتاب للأطفال.. منها:

١ ـ حكايات العصفور الأزرق:

التى سبقت الإشارة إلى أن جامعة يوتا بأمريكا قد اختارتها لتدرس بها كنموذج لأدب الأطفال العربى الحديث.

ومما يذكر أنها كانت أول ما كتب للأطفال.. ذلكُ أن أول إنتاجه ظهر فى ١٩٤٨ (كمسرحيات وأناشيد).. وطبع له أول كتاب فى ١٩٥٠ وصدر فى يناير ١٩٥١ وهو قصة (مغامرات كوكو) أول كتب هذه السلسلة التى نشرتها دار الشروق.

٢ ـ مغامرات حول العالم: (قصص الرحالة والمكتشفين للأطفال)

عندما أصدر أحمد نجيب بعض القصص التى تضم مضمونًا علميًا بأسلوب شائق يبدو خياليًا مثل الشاطر حسن فى بلاد الأقزام التى تضم مضمونًا جغرافيًا يدور حول بلاد الإسكيمو (الإقزام).. وجد أنها تصنف مع القصص الخيالية لأن من يصنفها يفعل هذا اعتماد على «العنوان» وحده بغير أن يقرأ القصة.

ولهذا فإنه عندما أصدر سلسلة (مغامرات حول العالم) أضاف إلى جوارها (قصص الرحالة والمكتشفين للأطفال)... فأصبح العنوان الأول (الكبير) موجهًا للأطفال (للتشويق).. والعنوان الثانى (الصغير) موجهًا للكبار، ليعرفوا أنها ليست قصصًا (خيالية).. وليعرفوا (مضمون) هذه القصص.. مثل:

ـ بلاد العجائب (أول مغامرات بحرية فى العالم: حتشبسوت ـ ونخاو).

ـ بحر الظلمات الأخضر (مغامرات هانو ـ والأمير هنرى الملاح) وبحر الظلمات الأخضر هو المحيط الأطلسى، وقد كان يسمى بهذا الاسم فى تلك الأوقات.

ـ شيطان العواصف، وجزيرة القمر (مغامرات: دياز ـ فاسكو دى جاما ـ ابن ماجد).

ـ قراصنة البحار (مغامرات الفايكنج قراصنة الشمال).

ـ فى بحر الأشباح (مغامرات كولمبس لاكتشاف أمريكا).

ـ سر المغامرين الثمانية (مغامرات العرب والمصريين القدماء لاكتشاف أمريكا).

ـ بلاد واق الواق (من مغامرات الرحالة العرب والمسلمين).

ـ مطاردة فى البحار (مغامرات دريك حول الأرض). الخ..

وهكذا نجد أن حسن اختيار العنوان الشائق أمر على درجة كبيرة من الأهمية.. ولكن من المهم أيضًا أن يعرف الكبار (مضمون) هذه الكتب ـ وقد نشرت هذه السلسلة دار اخبار اليوم.

٣ ـ كتب المقص للحضانة ورياض الأطفال:

صدرت هذه السلسلة بعد دراسة علمية ميدانية أجراها أحمد نجيب على مدرسات ومشرفات نحو عشرة آلاف طفل من أطفال الحضانة ورياض الأطفال وقد نشرت هذه الدراسة فى (مجلة المكتبات والمعلومات العربية) التى تصدرها دار المريخ للنشر ـ الرياض، المملكة العربية السعودية ـ العدد الأول من السنة الثانية: ربيع الأول ١٤٠٢هـ ـ يناير ١٩٨٢م ـ ص ٣١ حتى ٨٤.

كما عرضت هذه الدراسة (التى استغرقت نحو عامين) فى الحلقة الدراسية الإقليمية التى أقامها (مركز تنمية الكتاب العربى) بالقاهرة (٢٩ يناير ـ ٢ فبراير ١٩٨٣) حول (كتب الأطفال فى الدول العربية والنامية) ـ وطبعت فى كتاب وثائق الحلقة (ص٣٢٣ ـ ٣٨٠).

وقد صدرت من هذه السلسلة ٦ كتب ـ نشرتها دار الشروق ـ وتضم: كتاب المقص الأخضر ـ كتاب المقص الأحمر ـ كتاب المقص الأصفر ـ كتاب المقص الأزرق ـ كتاب المقص الفضى ـ كتاب المقص الذهبى.

٤ ـ سلسلة (ماذا تعلم عن..؟)

ومن كتب هذه السلسلة التى نشرتها دار المعارف ـ وأشرف عليها أحمد نجيب:

ـ سر المنقار الأحمر (عن وسائل دفاع الحيوان عن نفسه).

ـ الثعلب الطائر (عن أسرار حياة الخفاش).

ـ أسرار مدينة الشمع (عن الحياة العجيبة فى مملكة النحل).

ـ مغامرة جبال المنجنيز (عن سيناء والمناجم).

ـ النملة التى أكلت الأسد (عن حياة النمل العجيبة).

ـ أجمل عش فى العالم (عن عجائب مساكن الطيور).

إلخ..

والمرجو هنا الاطلاع على ما كُتب فى البند الثانى (مغامرات حول العالم).

٥ ـ دائرة معارف مصورة للأطفال قبل سن المدرسة

(عربى/ إنجليزى) و (عربى/ فرنسى) ـ صدر منها:

١ ـ أنا وأسرتى.

٢ ـ فى البيت.

٣ ـ فى الطريق.

٤ ـ الإسعاف والمطافئ.

٥ ـ الساعة.

٦ ـ الأشكال والألوان.

٧ ـ المهن والوظائف.

٨ ـ الألعاب الرياضية.

٩ ـ أنا والناس.

١٠ ـ فصول السنة.

وقد نشرتها دار الكتاب المصرى ـ دار الكتاب اللبنانى.

٦ ـ موسوعة مصر للأطفال (أبجدية)

صدر منها الجزء الأول ونشرتها وزارتا الإعلام والثقافة (بالاشتراك)

٧ ـ القاموس الإسلامى للناشئين والشباب

(مراجعة وإشراف ـ بالاشتراك) ١٥ جزءاً ـ الناشر: العبيكان ـ ودار أراكان بالرياض ـ السعودية.

٨ ـ دائرة المعارف العالمية المصورة للأطفال والناشئة (تايم لايف ـ مترجمة بالاشتراك):

١ ـ أجسامنا.

٢ ـ الحياة اليومية.

٣ ـ الأشياء من حولنا.

٤ ـ السماء والأرض.

٥ ـ الطبيعة والطقس.

٦ ـ الأزهار والأشجار.

٧ ـ عالم الحيوان.

٨ ـ عالم الحشرات.

٩ ـ الحياة فى الماء.

١٠ ـ العجلات والأجنحة.

وقد نشرتها: دار الكتاب المصرى ـ دار الكتاب اللبنانى.

٩ ـ دائرة سفير للمعارف الإسلامية

(عضو الهيئة الاستشارية العليا) ـ صدر منها ٤٣ جزءاً وقد نشرتها: دار سفير.

١٠ ـ دائرة المعارف المصورة للأطفال.

فى مجلد واحد (رئيس التحرير) وقد نشرها: المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١ ـ دائرة معارف مصر للأطفال (مصر أم الدنيا)

ـ وقد بدأت فى الصدور (عدد كل شهر) منذ ١٩٧٦.

ـ ونشرتها وزارة الإعلام (الهيئة العامة للاستعلامات).

ـ صدر منها ١٠٤ كتب (كلها من تأليفه).

١٢ ـ القصص «المقررة»

ومن أعماله التى قررت على الصف الخامس الابتدائى:

أ ـ قصة **(عقلة الأصبع فى مدينة الشمع)** التى قضى فى كتابتها نحو ٣ سنوات، وطبعتها الهيئة المصرية العامة للكتاب فى كتاب ثم نشرتها (دار الشروق) فى بيروت فى ٤ كتب هى: الجنية البيضاء ـ والمدينة العجيبة ـ وذات الرداء الأخضر ـ وزفاف الملكة.

وقررتها الوزارة فى ١٩٧٦ ـ واستمرت مقررة نحو ١٥ سنة ـ وطبع منها حوالى ١٣ مليون نسخة. وحولها المسرح القومى للأطفال إلى مسرحية وصورتها (قناة A.R.T الفضائية). وقد لاقت هذه القصة من القراء إقبالاً كبيراً.

ب ـ قصة **(مغامرات فى أعماق البحار)** وهى الجزء الثانى من القصة السابقة (عقلة الأصبع فى مدينة الشمع) وقد قررت على الصف الخامس الابتدائى، ابتداء من ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ ويجرى الآن إعدادها وإخراجها تليفزيونيًا لتقدم عن طريق القناة التعليمية إن شاء الله.

١٣ ـ أغانى الأطفال الشعبية بـ ٢١ لغة من لغات العالم

هذا الكتاب ـ كما يقول د. عبد الحميد يونس أستاذ الأدب الشعبى فى المقدمة: «وثيقة علمية هامة تفتح آفاقًا جديدة لرؤى خلاقة ودراسات متعددة» لأن الكتاب يورد دراسة طريفة عن الأغانى الشعبية للأطفال بـ ٢١ لغة من لغات العالم.. وقد جمعت بطريقة عشوائية.. وتثبت كلها أن أغانى الأطفال التى أمكن جمعها ترجع كلها إلى وزن شعرى واحد هو (بحر المتدارك) العربى.. الذى ترجع إليه أغانينا الشعبية التى تقول:

* حادى بادى
سيدى محمد
البغـــدادى
شالو وحطـه
كله علـى دى
* عمك شنطح
جالك ينطـح — تـدى لـه إيه؟
* عمّ حسـن — زارع بصـل
جيت اشمـه — كلتـه كـله
* بنت العسكر — راحـت تسكـر
مين سكـرّها — قمـع السكـر
* طبّل طبّل مزيكا — وش الهانم أنتيكة
* حطـة يابطـة — يا دقن القطة... إلخ.

١٤ ـ كتب مقررة على دور المعلمين والمعلمات

بتكليف من وزارة التربية والتعليم، ومعظم هذه الكتب مقرر على (شعبة الحضانة

ورياض الأطفال) وهى الشعبة التى تتخرج فيها المعلمات اللاتى يقمن بالتدريس فى الصفوف الأربعة الأولى من التعليم الابتدائى بالإضافة إلى (دور) الحضانة ورياض الأطفال.

ذلك أن وزارة التربية والتعليم قد قامت فى وقت ما بعملية تطوير كبيرة استحدثت فيها هذه الشعبة، وأضيفت فيها مواد (أدب الأطفال ـ مسرح العرائس ـ الطرق الخاصة للحضانة ورياض الأطفال ـ التربية المكتبية).. وقد اشترك أحمد نجيب فى تأليف جميع هذه الكتب المقررة مع آخرين كالآتى:

أ ـ أدب الأطفال (بالاشتراك مع: محمد محمود رضوان ـ أحمد أبو بكر إبراهيم).

ب ـ أدب الأطفال (مبادؤه ـ ومقوماته الأساسية) الجزء الأول بالاشتراك مع محمد محمود رضوان.

جـ ـ أدب الأطفال: مبادؤه ـ ومقوماته الأساسية الجزء الثانى (بالاشتراك مع محمد محمود رضوان).

د ـ أصول ومقومات مسرح العرائس (بالاشتراك مع د. أحمد المتينى).

هـ ـ الطرق الخاصة للحضانة ورياض الأطفال (بالاشتراك مع د. عواطف إبراهيم ـ وفتوح بكر ـ ومحمد على الشرقاوى) وقد نشر هذا الكتاب، لهذه المادة التى تحمل نفس الاسم، لأول مرة فى ١٩٨١.

ويرجع الفضل فى إضافة هذه المادة ـ ولم تكن موجودة من قبل ـ إلى جهود أحمد نجيب الفردية ـ وكان فى ذلك الوقت يعمل بالمركز القومى للبحوث التربوية، ورئيس وحدة فى مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس ـ إذ لاحظ أن مدرسات الحضانة ورياض الأطفال يقضين اليوم كله فى «الدار» من غير خطة واضحة على دار اليوم ـ طول العام ـ فقدم لهن هذه المادة الجديدة، وألف لهن هذا الكتاب ليعرفن ما هو مطلوب منهن كل يوم على مدار السنة.

و ـ التربية المكتبية: مبادؤها ـ ومقوماتها الأساسية (بالاشتراك مع مدحت كاظم).

ز ـ التربية الدينية للحضانة ورياض الأطفال (بالاشتراك).

١٥ ـ ديوان شعر أحمد نجيب (للأطفال والناشئين):

وقد أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب. ويرجع فى معظمه إلى أواخر الأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن العشرين، عندما كان يعمل فى المدرسة النموذجية التجريبية (النقراشى الآن).

١٦ ـ تفسير القرآن العظيم بالقصص للأطفال:

والعدد المرجح لهذ العمل الكبير ١٢٠ كتاباً تقريباً وهو يتضمن:

أ ـ تفسير القرآن العظيم (من أول الفاتحة ـ وبالترتيب ـ حتى نهاية المصحف).

ب ـ يقدم من خلال العمل الإجابة عن الأسئلة التى قد تخطر على بال القارىء الصغير: مثلاً عندما يرد حديث عن الصوم.. قد تخطر على بال القارىء أسئلة منها:

ـ هل إذا وضع قطرة فى العين يفطر؟

ـ هل الحقنة تفطر؟ إلخ.

وهنا يجد الإجابات جاهزة من غير أن يسأل.. وعندما يرد مثلاً حديث عن الصلاة، قد يخطر على بال القارىء أسئلة منها:

ـ شخص صلى ركعة من الظهر مثلاً، ثم أذن العصر... هلى يكون قد أدرك صلاة الظهر؟

ـ وُضع الأكل.. وأقيمت الصلاة.. هلى يصلى أم يأكل..؟ إلخ.

جـ ـ يقدم من خلال هذا التفسير التفسيرات العلمية والطبية لكثير من آيات القرآن الكريم التى لم يتطرق إليها المتقدمون.

د ـ هذا بأسلوب قصصى يشوق الأطفال ويستهويهم، كما يتضح من عناوين الكتب الـ١٣ الأولى التى تم إعدادها، واعتمدت من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف:

١ ـ الكتاب العجيب.

٢ ـ سر الكلمات المضيئة.

٣ ـ عجائب القرآن.. فى عصر العلم.

٤ ـ جمع القرآن.. وعجائب الدعاء (والكتب الأربعة الأولى مقدمات لهذا التفسير).

٥ ـ بياع اللؤلؤ.. والبقرة العجيبة (ويضم تفسير الفاتحة ـ وسورة البقرة من الآية الأولى حتى الآية رقم ٢٠).

٦ ـ حديث الملائكة.. وحرب الجن (سورة البقرة من آية ٢١ حتى ٤٨).

٧ ـ سر يوم السبت.. وقصة الرجل الذى كلمه الله (سورة البقرة من ٤٩ حتى ٨٩)

٨ ـ الشيطان والكنز المسحور (تفسير البقرة من آية ٩٠ حتى آية ١١٥).

٩ ـ دعوة إبراهيم.. وقصة الامتحان العجيب (سورة البقرة من ١١٦ ـ ١٤١).

١٠ ـ قصة القبلتين.. وجبل الذهب (البقرة من ١٤٢ حتى آية ١٧٣).

١١ ـ عمر وعمير وابن الأمير (البقرة ١٧٤ ـ ١٩٤).

١٢ ـ شجرة الجنة التى أغصانها فى الدنيا (البقرة ١٩٥ ـ ٢٣٢).

١٣ ـ طالوت وجالوت وسر التابوت (تفسير البقرة من ٢٣٣ ـ ٢٥٢).

ويدعو أحمد نجيب أن يوفقه الله إلى إتمام هذا العمل، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله علماً ينتفع به فى كل زمان ومكان..

١٧ ـ مغامرات موجة بحر:

تدور هذه المغامرات فى البحار.. وعندما تحولت (موجة البحر) إلى بخار.. تدور المغامرات فى السحاب.. ومع قطرات المطر.. وتحت الأرض فى الأنهار والبحيرات الباطنية.. وفى محطات تنقية المياه.. وتوليد الكهرباء.. إلخ حتى عادت موجة البحر إلى المدينة الفضية.. وتضم هذه السلسلة الطريفة القصص الآتية:

١ ـ الحوت والصياد.. والمحار الجبار.

٢ ـ سر القفص الحديدى.

٣ ـ المدينة الفضية.

٤ ـ سر ورق التونة.

٥ ـ السمك أبو منشار.

٦ ـ مغامرات فى السحاب.

٧ ـ أنا.. فى الزجاجة الخضراء.

٨ ـ العاصفة الرهيبة.

٩ ـ الكهف المسحور.

١٠ ـ مغامرة تحت الأرض.

وقد نشرتها (الدار المصرية اللبنانية) بالقاهرة.

١٨ ـ حكايات من السماء

١ ـ الدخان العجيب.. ولماذا يكرهنا إبليس..؟

٢ ـ السؤال العجيب.. وكيف يحيى الله الموتى..؟

٣ ـ مفتاح الكنز.. وأين ضاعت الجواهر..؟

٤ ـ مغامرة فى البحر.

٥ ـ سر السفينة.. والكنز المدفون.

٦ ـ مؤامرات الشيطان.

٧ ـ سفينة نوح.. والماء الذى خرج من النار.

٨ ـ مؤامرة عند الفجر.. وسر المصباح الصغير.

٩ ـ أسرار النار.. التى لا تحرق.

١٠ ـ الملك.. والنبى.. والطيور الأربعة.

١١ ـ أصحاب الكهف وسر الكنز الفضى.

١٢ ـ سر الطيور العجيبة.

وناشر هذه الكتب: دار الحدائق ـ بيروت.

أدب الأطفال.. علم وفن:

يعتز أحمد نجيب بما جاء فى أوراق ترشيحه لنيل جائزة الملك فيصل العالمية التى حصل عليها فى ١٩٩١ من أنه: «أول من بدأ يجعل من أدب الأطفال علماً له قواعد وأصول.. إلخ» مما سبقت الإشارة إليه.. وكتبه الأساسية فى هذا الشأن (بعضها يدرس فى أكثر من دولة عربية):

١ ـ فن الكتابة للأطفال (الذى صدر فى ١٩٦٨) ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب وكان اسمها فى ذلك الوقت (دار الكاتب العربى) كأول كتاب فى الوطن العربى للكبار عن أدب الأطفال.

٢ ـ المضمون فى كتب الأطفال (الذى نشرته دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ الكويت).

٣ ـ القصة فى أدب الأطفال (الذى نشرته دار الحدائق ـ بيروت).

٤ ـ اتجاهات معاصرة فى كتب الأطفال (الذى نشره المركز القومى للبحوث التربوية ـ القاهرة).

٥ ـ أدب الأطفال.. علم وفن (الذى نشرته دار الفكر العربى القاهرة ـ ودار الكتاب الحديث بالكويت).

٦ ـ مجموعة الكتب المقررة على دور المعلمين والمعلمات المصري.

وقد ساعده على هذا:

١ ـ البحوث والدراسات التى أجراها على مدى عشرات السنين ـ والتى سبقت الإشارة إليها ـ وتستهدف الإجابة عن السؤال التالى:

ـ كيف نكتب أدبا جيداً للأطفال..؟

٢ ـ أنه قد قام ـ بناء على هذا ـ بتدريس مواد (أدب الأطفال) و(ثقافة الأطفال) على مدى ٤١ سنة جامعية فى جامعات: القاهرة ـ عين شمس ـ الأزهر ـ طنطا وعدد

من كليات التربية ـ وكلية رياض الأطفال بالإسكندرية.

٣ ـ أنه هو نفسه «كاتب أطفال» كتب لهم ـ مما سبقت الإشارة إليه ـ أكثر من ثلاثمائة كتاب سبقت الإشارة إلى بعضها.

والذى تمرس بالكتابة للأطفال يختلف كثيرًا عن الذى يأخذ دراساتهم بأسلوب نظرى بحت.

ولهذا نجده فى كتبه يعتمد فى المقام الأول والأكبر على ما توصل إليه ـ شخصيًا ـ فى هذا المقام مثل:

ـ تعريف أدب الأطفال.

ـ الاعتبارات الثلاثة التى تراعى للكتابة للأطفال.

ـ مراحل النمو الأدبى عند الأطفال.

ـ نبرات الكتابة.

ـ الوزن الفريد فى الشعر العربى: المتدارك.

ـ الكتابة للأطفال بالأسلوب المجسم.

ـ الإخراج المسرحى فى كتب الأطفال.

ـ مبدأ (الضوابط العامة والتطبيق الفردى).

ـ القاموس المشترك.

ـ تصنيف كتب الأطفال (التصنيف ذو الأبعاد الثلاثة).

ـ كتابة الحروف الهجائية العربية (لأطفال الحضانة ورياض الأطفال).

ـ أهمية مراعاة خصائص الوسيط بين الأدب والأطفال.

ـ لماذا يحب الأطفال القصص؟

ـ حدود الخيال.. فى أدب الأطفال.

- الوضوح، والتميز، والتشويق فى شخصيات قصص الأطفال.
- دور أدب الأطفال فى بناء شخصياتهم.
- التراث. . وقصص الأطفال.
- معايير تقييم قصص الأطفال. . . إلخ.

الاختصارات والاستهلاليات

Abbreviations and Acronyms

الاختصارات

يمكن تعريف الاختصار بأنه شكل قصير للكلمة أو المصطلح وربما للعبارة أو الجملة وعادة ما يكون حرفاً من الحروف أو أكثر كى يدل على الكلمة أو العبارة أو المصطلح ويغنى عن كتابتها كاملة وذلك لتكرر ورودها فى الصفحة الواحدة عدة مرات. والأصل فى الاختصار أنه مكتوب ومن النادر أن يكون ملفوظًا ويسرى الاختصار على مفردات اللغة كما يسرى على أسماء الأعلام. وربما كانت الوظيفة الأساسية فى الاختصار أن يكون محاولة لتوصيل المعلومات بسرعة وبدقة وبدون لخبطة أو سوء تأويل وإن كانت هذه الوظيفة لا تتحقق دائماً. وفى رأى الكاتب أن الوظيفة الأخرى للاختصار توفير الحيز والوقت مع التكرار وقد تكون الاختصارات مربكة للمبتدئين وقد تتكرر الاختصارات وتتشابه مع اختلاف المعانى والدلالات. وقد تستعمل الاختصارات بلا قواعد أو قيود بطريقة الأسلوب التلغرافى وهنا قد يصبح النص بلا معنى. وفى كثير من الأحيان يصبح من الضرورى النظر فى المعاجم الخاصة بالاختصارات لمعرفة الكلمة الصحيحة أو العبارة الكاملة للاختصار. وللأسف لا يوجد معجم واحد شامل لكافة الاختصارات حتى داخل اللغة الواحدة، ولكن تتشتت الاختصارات ومدلولاتها بين عشرات من المعاجم المتخصصة. ومن الطبيعى فى الأعمال الفردية أن يكون هناك ملحق أو قائمة بالاختصارات المستخدمة فيها. وهناك أيضاً طريقة طريفة لشرح الاختصارات وهو أن يشرح الاختصار عند أول مرة يظهر فيها فى النص.

وقد عرفت اللغة العربية والكتابة العربية الاختصارات فى العصور الوسطى ليس للاتصال السريع وإنما للاقتصاد في الوقت والحيز عند التكرار فكانت الصلاة على النبى تختصر أحياناً إلى (ص) وحدثنا تختصر إلى (ثنا) وأخبرنا تختصر إلى (نا) وانتهى إلى (اه) وهكذا وانتشرت الاختصارات فى العربية الحديثة ولكن ليس كانتشارها فى اللغات الغربية مثل الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية. . .

ولكل تخصص اختصاراته والمكتبيون لهم اختصاراتهم سواء فى الكلمات العادية والعبارات والمصطلحات أو فى أسماء الأعلام وخاصة الاتحادات والجمعيات والمؤسسات. ويلجأ المكتبيون إلى الاختصارات لنفس الأغراض العامة: سرعة الاتصال وتوفير الحيز عند التكرار. والفهرسة الوصفية والببليوجرافيا من المجالات الخصبة للاختصارات ومن أمثلة ذلك:

ص	صفحة
ط	طبعة
د. ت	دون تاريخ
د. ن	دون ناشر
د. م	دون مكان
إيض	إيضاحيات
سم	سنتيمتر
وأخ	وآخرون
ج	جزء
مج	مجلد

وفى العادة يكون الاختصار هو الحرف الأول من الكلمة أو الحرفان الأولان أو الحروف الثلاثة الأولى ومن النادر أن يكون الحرف الأول والأخير.

ومن المألوف فى الأسماء الأولى للمؤلفين أن ترد مختصرة سواء على صفحة

العنوان أو فى البطاقة كذلك الحال فى أسماء الناشرين ونادراً ما تكون فى مكان النشر إلا أن يكون اسم المنطقة الأكبر التى تعرف بالمدينة محل الناشر.

الاستهلاليات

الاستهلاليات هى الأخرى نوع من الاختصار ولكنه يكون للأسماء أو العبارات المكونة من عدة كلمات، بحيث يأخذ الاستهلال من كل كلمة بحرف ويكوّن منها كلمة واحدة جديدة قابلة للنطق. ونحن عادة ما نلجأ إلى الاستهلاليات لنفس الأغراض التى لجأنا فيها للاختصارات أى سرعة الاتصال وتوفير الحيز والوقت عند التكرار. والاستهلاليات أكثر استخداماً فى الأسماء: المنظمات والمؤسسات والشركات والاتحادات والجمعيات وأسماء الدول وقد بدأ انتشارها منذ نهاية القرن التاسع عشر. ومن النادر استخدامها فى العبارات اللغوية العادية وإن كانت موجودة بالفعل.

استخدمت اللغة العربية الاستهلاليات فى العبارات منذ العصور الوسطى مثل صلعم (صلى الله عليه وسلم)، الحمدلة، الحوقلة، الصلعمة... وتستخدمها اللغات الأجنبية حاليًا أيضاً؛ للعبارات استخدامها للأسماء. ومن الطريف أن اللغة العربية تنقحر الاستهلاليات الأجنبية كما هى وهو أمر سليم إلى حد كبير طالما أن الاستهلالية قد أصبحت اسم علم تدل على اسم علم أطول. ولكنه قد لا يخضع للمنطق وعلى سبيل المثال قد يكون للمنظمة العربية اسم عربى طويل ولكن ليس له استهلالية عربية وله استهلالية أجنبية للترجمة الأجنبية للاسم العربى كما هو الحال فى ألكسو، أسيسكو (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة على الولاء). وقد شاع فى العربية استهلالية اليونسكو بلفظها الأجنبى، الفاو، إفلا...

وليس من المهم أن تأتى حروف الاستهلالية على نفس ترتيب حروف كلمات الاسم أو العبارة الأصلية إنما المهم أن تنطق ككلمة واحدة مقبولة الجرس والوقع على الأذن ومن هنا قد يقع التقديم والتأخير حتى يحسن النطق. ويجب أن نفرق بين الاختصار متعدد الحروف والاستهلالية فالاختصار متعدد الحروف ينطق حرفاً حرف ولا تتشابك حروفه مثل د. د. ت. أما الاستهلالية فإنها تنطق كلمة واحدة وغالبًا

متشابكة الحروف على الأمثلة التى ضربناها سابقًا.

ومن أمثلة استهلاليات العبارات التى نقلت متقحرة إلى العربية استهلالية (ليزر)، (جيجو).

طبع وترتيب الاختصارات والاستهلاليات

تطبع الاختصارات عادة بالحروف الصغيرة فى الكتابة التى تستخدم الحرف اللاتينى. أما استهلاليات الأسماء فإنها تكتب بالحروف الكبيرة. وبالنسبة لاستهلاليات الجمل والعبارات العادية فإنها تكتب بالحروف الصغيرة بعد الحرف الأول الذى يكتب كبيرًا وعندما يتكون الاختصار من عدة حروف فإنه يفصل بينها بنقطة الاختصار. وعندما يتكون الاختصار من حرف واحد فإنه يتبع أيضاً بنقطة الاختصار وتترك مسافة بعده وقبله حتى لا يختلط بحروف الكلمتين قبله وبعده خاصة أن كلمات الأبجدية اللاتينية تكتب مفردة الحروف. ومن المألوف أن يكتب نفس الاختصار للمفرد والجمع إلا فيما ندر. ومن بين المشاكل التى تصادفنا عند طبع الاختصارات أن الكلمة الواحدة قد يكون لها أكثر من شكل من أشكال الاختصار.

وعند ترتيب الاختصارات هجائيًا تلغى كل علامات الترقيم: المسافات، الفاصلة، شبه الشارحة، الشارحة، الشرطة الأفقية، الشرطة المائلة، النقطة، الرمز الفوقى، الرمز التحتى. وهى تبقى رسمًا وتحذف حكمًا. وإذا ضمت الاختصارات أرقامًا فإنها ترتب كما تنطق. وهناك العديد من القواعد الخاصة بترتيب الاختصارات ضمن قواعد الترتيب العامة. وبطبيعة الحال تنصرف هذه القواعد أكثر ما تنصرف إلى الترتيب اليدوى. أما الترتيب الآلى فله أصوله وقواعده الخاصة به. وقد وضع اتحاد المكتبات الأمريكية قواعده المعنونة «قواعد اتحاد المكتبات الأمريكية - لترتيب بطاقات الفهارس. شيكاغو: اتحاد المكتبات الأمريكية، ١٩٤٢». كما وضعت مكتبة الكونجرس القواعد الخاصة بفهرسها القاموسى تحت عنوان «قواعد ترتيب المداخل فى الفهرس القاموسى لمكتبة الكونجرس.- واشنطون: مكتبة الكونجرس - قسم الاعداد الفنى، ١٩٥٦». وباللغة العربية وضع صاحب هذه الدائرة وزميله محمد عوض العايدى قواعد ترتيب المداخل العربية فى الموسوعة الموسومة: «موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات

ـ ط٣ ـ القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٨». وثمة كتاب باللغة الإنجليزية نشر سنة ١٩٦٦ وتوفر عليه كل من ت. س. هاينز و ج. ل. هاريس بعنوان: «الترتيب الآلي لمداخل الكشافات والببليوجرافيات والفهارس» وهو يعالج قواعد الترتيب الهجائى بواسطة الحاسب الآلى وينطوى على قسم خاص بترتيب الاختصارات.

وهناك من يرى عزل الاختصارات فى بداية حروفها وترتيبها فيما بينها، بينما لا يرى ذلك بالنسبة للاستهلاليات. وهناك من يرى أن يرتب الجميع فى سياق واحد كما لو كانت كلمات كاملة.

معايير اختصارات عناوين الدوريات

هناك معايير عامة تستخدم فى اختصار عناوين الدوريات ولكنها لا تلاقى القبول العام فى جميع الأوساط العلمية مما يعنى أن دورية واحدة قد يكون لها عدد من الاختصارات والمقصود بالاختصارات هنا حين الإشارة المرجعية إلى الدورية. ولأن الإشارات المرجعية هى بالدرجة الأولى استخدام فردى فلنا أن نتصور مدى الفوضى فى هذه الاشارات والاختصارات. ونأمل أن يكون نشر ببليوجرافيات الدوريات وكشافاتها ومعاجم اختصاراتها عوناً فى توحيد وتعميم معايير الاختصار، حتى نتجنب الخلط والفوضى الواقعين الآن فى استخدام اختصارات الدوريات؛ ذلك أن هذه المعايير يمكن أن تمدنا بقاعدة عامة وتسمح بالاتصال عبر لغة واضحة ومركزة ودقيقة.

ولقد شعر المكتبيون منذ فترة طويلة بالحاجة إلى توحيد اختصارات الدوريات؛ وذلك لأن الإشارة إليها قد تكون غير مفهومة وغير واضحة وتدعو إلى الخلط وخاصة عندما تتطابق الاختصارات وتختلف عناوين الدوريات. وكم من المقالات كتبت فى هذا الصدد وكم من محاولات وضع قواعد ومعايير لها تمت. وقد يمضى العقد الأول من النصف الثانى من قرننا العشرين، أى عقد الخمسينات بتلك الكتابات وهذه المحاولات. من أولى الكتابات مقالة رانجاناثان بعنوان «العناوين المختصرة للمطبوعات الدورية» سنة ١٩٥١ ومقالة برود بعنوان «اختصارات الدوريات» أيضًا سنة ١٩٥١، ومقالة كنت «اختصارات الدوريات والمعايير الدولية» سنة ١٩٥٤؛ ومقالة آرتلت حول «مشكلة اختصار عناوين الدوريات الطبية» سنة ١٩٥٥. وهناك القواعد التى طرحتها

اليونسكو بعنوان التقنين الدولي لاختصار عناوين الدوريات» سنة ١٩٥٥ كذلك. وهناك الدراسة التي قام بها دراخمان حول «المعايير الدنمركية في اختصار عناوين الدوريات» ورقمها ٩٠٩ DS ونشر المقال سنة ١٩٥٦. وثمة دراسة أخرى كتبها ديزيني سنة ١٩٥٧ حول «اختصار عناوين الدوريات المجرية»، ومقال جويال وراجاف عن «اختصارات عناوين الدوريات باللغات الهندية» سنة ١٩٥٨. وهناك دراسة فيشر حول «اختصارات المطبوعات الدورية العلمية الروسية» سنة ١٩٥٩. واستمرت الكتابات حول نفس الموضوع بعد ذلك العقد ليس فقط في اللغة الإنجليزية وإنما بالعديد من اللغات وخاصة لغات أوروبا الشرقية حيث كانت المشكلة مستفحلة هناك أيضاً.

ولقد حاولت ببليوجرافية الدوريات الشهيرة «القائمة العالمية بالدوريات العلمية» سنة ١٩٢٥ وضع بعض المعايير السريعة لاختصارات الدوريات. وقد طبقت هذه المعايير على اختصارات الدوريات بها. وفي سنة ١٩٢٨ وضعت مسودة المعايير الألمانية في اختصارات الدوريات وقد بنيت على معايير القائمة العالمية. وفي سنة ١٩٣٠ قام المعهد الدولي للتعاون الفكري في باريس بنشر «التقنين الدولي لاختصارات عناوين الدوريات» بالفرنسية. وبعد ثمانية أعوام وفي سنة ١٩٣٨ قام الاتحاد الدولي لجمعيات المواصفات الوطنية بقبول ذلك التقنين الدولي ونشر معاييره مع قائمة مختارة من الاختصارات التي بنيت على تلك المعايير. وفي سنة ١٩٤٨ قامت «أيزو» المنظمة العالمية للمواصفات بتنقيح هذا النص في مدينة لاهاي (الهاج)، ثم أعادت النظر في هذا التنقيح في أسكونا سنة ١٩٥٠ ووافقت عليه في كوبنهاجن سنة ١٩٥٢ وقد تم تداول المسودة التي أقرت ووزعت على الدول الأعضاء وقبلت بالأغلبية واعتمدت كإحدى المواصفات المعتمدة من قبل المنظمة.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية قام معهد المواصفات الأمريكي باعتماد المعايير الخاصة بعناوين الدوريات سنة ١٩٦٣ وقد نشرت باسم «اختصارات عناوين الدوريات» برقم 5 - Z39 وقد توفرت على إعداد مسودة هذه المعايير لجنة فرعية من اللجنة القطاعية Z39 الخاصة بمعايير مجال المكتبات والتوثيق؛ وهي إحدى اللجان الرسمية في معهد

المواصفات الأمريكى ومعتمدة من المجلس الوطنى لاتحادات المكتبات. أما اللجنة الفرعية حول «اختصارات عناوين الدوريات» فقد شكلت لهذا الغرض فى ديسمبر ١٩٦١.

وقد قامت اللجنة الفرعية باستقاء قوائم مبدئية بالاختصارات من الكشاف الطبى، المستخلصات الببليوجرافية، الببليوجرافية الزراعية، المستخلصات الكيميائية وغيرها. ومن واقع تلك القوائم أعدت قائمة كبيرة موحدة. وقد توفرت اللجنة الفرعية على تحررها من واقع الممارسات الفعلية لأدوات التكشيف والاستخلاص وتوثيقات الباحثين والمتخصصين.

وقد رُقِّم المعيار برقم اللجنة الفرعية مع التقسيم ليصبح Z39 - 5 لسنة ١٩٦٣ وقدم إلى لجنة القطاع فى الخامس عشر من فبراير لسنة ١٩٦٣ وقد اعتمد من لجنة القطاع فى الأول من أغسطس سنة ١٩٦٣. وقد قام المجلس الوطنى لاتحادات المكتبات باعتباره الهيئة الراعية للعمل بالموافقة عليه وقدمه إلى الاتحاد الأمريكى للمواصفات آنذاك والذى أعيدت تسميته فيما بعد بمعهد المواصفات الأمريكى، الذى وافق عليه فى العشرين من نوفمبر سنة ١٩٦٣ وصدر تحت الرقم المذكور أعلاه وسنته. وقد قدمت منح من المؤسسة الوطنية للعلوم؛ ومجلس مصادر المكتبات لإصدار هذا المعيار وطرحه فى السوق الأمريكية بعنوان «اختصارات عناوين الدوريات».

وطبقاً لما ورد فى مقدمة هذا المعيار فإن الهدف منه «وضع هذا المعيار لكى يكون دليلاً إلى وضع اختصارات لعناوين الدوريات. وهو مجرد مؤشر إلى الحدود المسموح بها فى الاختصارات». وقد ألحق بالمعيار قائمة قياسية باختصارات عناوين الدوريات الشهيرة والأكثر تردداً. وقد وضع فى بداية المعيار قواعد حذف الحروف، ترتيب الكلمات، استخدام الحروف الكبيرة (الكبتلة)؛ وعلامات الترقيم. وقد خصص فى هذا المعيار قسم «تصفية الاختصارات» يقدم فيه نماذج على الكلمات المتعارضة فى العنوان، ويقرر أن نفس هذا الاختصار لن يستخدم لكلمات غير متصلة. ولن يستخدم اختصاران لنفس الكلمة». وفى حالة وجود اختصارات متشابهة ينصح المعيار «بالتمييز بين الاختصارات المتشابهة أو المتطابقة بإضافة مكان النشر (المدينة أو الدولة) بين

قوسين بعد اختصار العنوان. وضرب لذلك أمثلة عديدة.

ومنذ صدور هذا المعيار فى الولايات المتحدة تسعى خدمات التكشيف والاستخلاص إلى تطبيقه. وكان من أولى تلك الخدمات «المستخلصات الكيميائية» التى أصدرت مطبوعاً خاصًا بهذا الصدد بعنوان «دليل اختصار عناوين الدوريات» بنته على معيار معهد المواصفات الأمريكية سابق الذكر. وفى أحد أقسام هذا الدليل نجد حصراً بالاختصارات التى تختلف عما كانت «المستخلصات» تستخدمه سابقًا فى مطبوعاتها. ومع توسع الجمعيات المتخصصة مثل الجمعية الكيميائية الأمريكية (التى تعتبر خدمة المستخلصات الكيميائية قسمًا منها) فى استخدام هذا المعيار فقد أصبح قاب قوسين أو أدنى من التوحيد والانتشار.

وفى سنة ١٩٦٦ نشرت دراسة عن طريقة تساعد على إيجاد العنوان الصحيح والكامل من إشارة ببليوجرافية مختصرة إليه وقد تكون هذه الإشارة غير مألوفة أو غير عادية أو غير صحيحة أو غير واضحة. هذه الطريقة توفر عليها م. ل تومبكنز من جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس و ج. و. توكى من جامعة برنستون ومعامل شركة بل. وقد شرحت هذه الطريقة شرحاً مستفيضاً فى بحث بعنوان «كشافات التباديل فى الاختصارات: أداة معدة آلياً لتحقيق الدوريات» وقد نشر هذا البحث فى «وقائع معهد التوثيق الأمريكى ـ الاجتماع السنوى سنة ١٩٦٦ الذى عقد فى الفترة من ٣ ـ ٧ من أكتوبر ١٩٦٦ فى سانتا مونيكا ـ كاليفورنيا.

وقد وضع هؤلاء الباحثون فى البداية شكلاً معياريًا للاختصار أطلقوا عليه اسم «مينى آب» وهو اختصار لكلمتى «الحد الأدنى للاختصار». ويتضمن هذا المينى آب جزءاً أساسيًا من الكلمة المختصرة، وعندما تتابع أربعة حروف صامتة متعاقبة فإن هذه السلسلة من الحروف تصبح هى الاختصار المطلوب. كذلك فإنه لو أعقب الحرف المتحرك حرفٌ صامت فإن المينى آب يتوقف قبل المتحرك التالى.

وبعد أن قام هؤلاء الباحثون بإعداد قوالب المينى آب للكلمات المهمة فى عناوين الدوريات، تم إدخال المينى آب والعناوين الكاملة للدوريات إلى الحاسب الآلى ليكون

منها كشافًا بالإحالات المزدوجة. وكان المنتج النهائى هو كشاف تبادل باختصارات المينى آب مع العنوان الكامل للدورية يظهر على نفس السطر كإحالة مزدوجة.

وهذا النظام الآلى ينطوى على أربعة عناصر أساسية:

١ ـ كل كلمة مهمة فى عنوان الدورية يظهر لها مينى آب (حد أدنى من الاختصار).

٢ ـ كل اختصار (لكلمة مهمة فى العنوان) يتحرك بدوره ليظهر فى الترتيب الهجائى.

٣ ـ يظهر العنوان الكامل لكل مينى آب أمامه فى نفس السطر.

٤ ـ العنوان الكامل للدورية والذى يظهر على نفس السطر يحقق الدورية للباحث.

وفى نفس هذا السياق الخاص بميكنة اختصارات الدوريات قام الدكتور تشارلز بيشوب بالتقدم خطوة أبعد مما ذهب إليه الباحثون السابقون وذلك بتقديم عنوان أكثر اختصاراً: وهو شفرة مساعدة على التذكر مكونة من أربعة حروف فقط أسماها «كودن» وقد شرح تفاصيل خطته فى بحث بعنوان «المدخل المتكامل إلى مشكلة التوثيق» ونشره فى مجلة «التوثيق الأمريكى» فى المجلد الرابع سنة ١٩٥٣ ص ص ٥٤ ـ ٦٥ وقد وضع فى هذا المقال أول مدخل منهجى لتحديد الشفرة والنظام. وهو يسجل الاسم الكامل للدورية وأمام كل منها الاختصار المشفر لها.

وبعد أن قام الدكتور تشارلز بيشوب بوضع نحو أربعة آلاف كودن طلب من الجمعية الأمريكية للفحص والمواد (أستم) أن تضع النظام تحت إشرافها ومسئوليتها وتتابعه وتستكمله طالما أنها كانت فى ذلك الوقت أكبر مستعمل لنظم الشفرات.

وفى سنة ١٩٦١ تولى الدكتور ل. إ. كنتزل نائب رئيس اللجنة E - 13 الخاصة بتحليل استيعاب الطيف فى (أستم) بالإشراف على المشروع وبدأ بالتأكد من أن الشفرات لا يكرر بعضها البعض فى أى جانب أو بأية طريقة وعندما تم الاطمئنان إلى ذلك قامت (أستم) بنشر كودن سنة ١٩٦٣ تحت عنوان «كودن لقوائم الدوريات» وبعد عام واحد أى فى سنة ١٩٦٤ تم نشر ملحق لهذا النظام تحت عنوان «كودن لعناوين الدوريات/ الملحق الأول» وقد وصل عدد الدوريات المشفرة حتى ذلك الوقت نحو خمسة وعشرين ألف.

وفى سنة ١٩٦٦ تم نقل مسئولية نظام كودن تمامًا إلى (أستم) تحت الإشراف المباشر للجنة الخاصة بالبيانات الرقمية المرجعية. وفى سنة ١٩٦٧ وكان المشروع مايزال تحت إدارة الدكتور كنتزل صدرت الطبعة الثانية من «كودن لعناوين الدوريات» فى مجلدين، وفيها أكثر من ٤٠,٠٠٠ دورية مشفرة. وقبل نشر هذه الطبعة الثانية مباشرة ظهرت الحاجة إلى ضرورة زيادة حرف خامس لتصبح الشفرة من خمسة حروف بدلاً من أربعة حتى تستوعب عناوين الدوريات الطويلة والتى قد تستجد فيها مستقبلاً عناصر ليست معروفة فى ذلك الوقت. ولأن الحرف الخامس لم يكن له آنذاك ما يبرره ولم تكن هناك حاجة إليه فإن كل الشفرات فى الطبعة الثانية وضع فيها حرف الألف اللاتينى بعد الحروف الأربعة لمجرد الدلالة على إمكانية إضافة حرف خامس عند الحاجة إليه.

وكان الدكتور كنتزل يخصص وقتًا من عنده ليفحص النظام بنفسه، وقد وضعت الشركة التى يعمل فيها (شركة وياندوت الكيميائية) فى ميتشجان الحاسبات الآلية لديها تحت تصرف المشروع. وبعد أن كان هذا المشروع مشروعًا جانبياً أو مشروع هواية، أصبح نشاطاً أساسيًا ومن هنا فإن (أستم) قامت بنقل كل ما يتعلق به إلى (إدارة المعلومات العلمية) فى معامل معهد فرانكلين للبحوث فى فيلادلفيا. وأصبحت هناك رسوم طفيفة تحصل على استخدام الخط المباشر الخاص به ويمكن لأى باحث أن يحصل على اختصار أى دورية والعكس أن يحصل على البيانات الكاملة للدورية التى يعرف اختصارها.

ولقد قبل كودن كمعيار أو مواصفة من مواصفات أستم وقدم إلى معهد المواصفات الأمريكى للموافقة عليه، كما قدم فى نفس الوقت للدراسة والتفحص إلى إدارة الاستخلاص فى المجلس الدولى للاتحادات العلمية وإلى مجمع العمل رقم ١ حول المطبوعات العلمية التابع لليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) للدراسة والبحث أيضاً.

وقد انتشر استخدام كودن هذا بين خدمات الاستخلاص والتكشيف. ومن بين

الخدمات التى تستعين به: خدمات المعلومات البيولوجية؛ مركز بيانات مواد التبريد فى المكتب الوطنى للمعايير؛ مركز معلومات الأمان النووى. وتستخدم هذه الخدمات كودن فى الإشارات الببليوجرافية إلى الدوريات. كما قامت الجمعية الكيميائية الأمريكية باستخدام كودن كواصفات فى الإشارة إلى الدوريات فى كشاف **الكلمات الدالة فى السياق** المتعلق بالدوريات الكيميائية. كذلك انتشر استخدام كودن فى أوروبا فى أماكن مختلفة وعلى رأسها مكتب البراءات فى بريطانيا الذى استخدمه لتمييز براءات كل دولة من دول العالم.

ولعله من نوافل القول بأن كودن قد وضع أساسًا للاستخدام مع الحاسب الآلى وللمعالجة الآلية للاشارات الببليوجرافية الكثيفة إلى مقالات الدوريات. وهو يخفض عناوين الدوريات إلى مجرد خمسة حروف فقط بصرف النظر عن مدى طول العنوان الأصلى للدورية.

لقد تنبه العلماء إلى أهمية وجود أدوات تحصر وتسجل وتصف الاختصارات وتيسر الإفادة منها فتوفروا منذ القرن التاسع عشر على إعداد العديد من المعاجم القواميس التى تحصرها وتسجلها وتعطى التسمية الكاملة لها وقد تقدم تعليقات شارحة عليها ولم تنتشر فى لغتنا العربية هذه المعاجم ربما لقلة الاختصارات العامة من جهة ولمعرفة كل تخصص باختصاراته العربية من جهة ثانية.

ومن أقدم معاجم الاختصارات فى العصر الحديث ذلك المعجم الذى وضعه شاسانت بعنوان «معجم الاختصارات اللاتينية والفرنسية المستخدمة فى النقوش الحجرية والمعدنية والمخطوطات والوثائق فى العصور الوسطى». وهو باللغة الفرنسية ونشر فى باريس وكانت طبعته الخامسة التى تحت يدى قد نشرت سنة ١٨٨٤ وتوفر على نشره الناشر الفرنسى المعروف مارتان. ويدور فى نفس فلك هذا المعجم ذلك العمل الذى توفر عليه سى. تى. مارتين بعنوان «مفسر السجل: مجموعة من الاختصارات والكلمات اللاتينية المستخدمة فى المخطوطات والسجلات التاريخية الإنجليزية ـ ط٢ ـ لندن: ستيفنز، ١٩١٠».

وهناك من المعاجم المتخصصة الباكرة «مختصرات المصطلحات العلمية والهندسية» الذى نشرته جمعية المهندسين الميكانيكيين سنة ١٩٤١.

ومن المعاجم العامة الباكرة معجم شانكل «المختصرات الجارية» الذى نشرته شركة ويلسون فى نيويورك سنة ١٩٤٥. ومعجم سى. ماثيوز «قاموس الاختصارات: يضم كل الأشكال المعيارية فى المجالات التجارية والاجتماعية والقانونية والسياسية والبحرية والعسكرية والاستخدام العام» وقد نشره روتلدج فى لندن سنة ١٩٤٧. ويدخل هنا أيضًا معجم هـ. ج ستيفنسون الذى نشر سنة ١٩٥٠ بعنوان «قاموس المختصرات» الذي نشره ماكميلان فى نيويورك.

ومن بين معاجم الاختصارات متعددة اللغات فى مجال واحد المعجم الذى وضعه أ. بيزر وزملاؤه بعنوان لاتينى هو «الاختصارات الطبية الدولية: ٥٠٠٠ مختصر مستخدم فى المجال الطبى والمجالات المتصلة بالألمانية والدنمركية والإنجليزية والأسبانية والفرنسية والإيطالية واللاتينية والسويدية» وقد نشر هذا العمل سنة ١٩٥٠ وتتوالى بعد ذلك معاجم الاختصارات باللغات المختلفة ونعرف منها نحو مائة معجم أقلها عام وكثيرها متخصص. ويمكن الرجوع إلى ببليوجرافيات الكتب المرجعية وهى كثيرة للحصول على قائمة بهذه المعاجم. ومن بين ببليوجرافيات المراجع «دليل والفورد» وحولية الكتب المرجعية الأمريكية.

المصادر:

- Artlet,W. Problem of abbreviating the titles of medical periodicals.- in .- Medical Association Bulletin .vol. 43, 1955. pp 52 - 57.

- Brode,W .R. Journal abbreviations .- in .- Physics Today. vol. 4, no. 8, 1951. pp 4 - 5.

- Drachmann, A. G. Danish standard for abbreviation of titles of periodicals: DS 909 .- in .- Libri. vol. 6, no.3, 1956. pp 247 - 254.

- Ficher, E.L. Abbreviations of Russian scientific serial publications .-

in .- American Documentation. vol. 10, 1959. pp 192 - 208.

- Goyal, R.S. **and** S.N.Raghav. Abbreviations for titles of periodicals in Indian Languages .- **in** .- Library Herald. vol. 1, 1958. pp 16 - 21.

- Guide for title abbreviations .- **in** .- Special Libraries. vol. 58, 1967. p. 59.

- International code for the abbreviation of titles of periodicals .- **in** .- UNESCO Bulletin for Libraries vol. 9, 1955. pp 7 - 8.

- Kent, F. L. Periodica Abbreviata and International Standardization .- **in** .- Journal of Documentation. vol. 10, 1954. pp 59 - 64.

- Kuentzel, L. E. (edt). CODEN for periodical titles .- Philadelphia: ASTM, 1966. 2 vols.

- Kuentzel, L. E. Current status of the CODEN project .- **in** .- Special Libraries . vol. 57, 1966. pp 404 - 406.

- Ranganathan, S. R. Abbreviated titles of periodical publications .- **in** .- Abgila. vol. 2, 1951. pp 81 - 89.

- Sternberg, Virginia. Abbreviations .- **in** .- Encyclopedia of Library and Information Science .- New York: Marcel Dekker, 1968. vol. 1.

- USASI Standard for periodical title abbreviations: Standard Z 39 - 5 - 1963.

إدارة السجلات

أنظر

الأرشيف

إدارة الصراع فى المكتبات

Conflict Management in Libraries

رغم أن الصراعات فى المكتبات موجودة منذ قديم الزمان، شأن المكتبات فى ذلك شأن كافة المؤسسات؛ إلا أن إدارة الصراعات داخل المكتبات لم تلق الاهتمام الكافى فى مقررات ومناهج ودورات الإعداد المهنى للمكتبات والمعلومات. ومعالجة مسائل الصراع سواء كان مع الزملاء أو الرؤساء أو المرؤسين هى فى حقيقة الأمر من أصعب التحديدات التى تواجه المكتبيين خلال عملهم اليومى. وتحاول المقالة التى بين أيدينا إلقاء الضوء على قضية الصراع والإنتاج الفكرى فيه ومدى تطبيق ذلك كله على المكتبات ومؤسسات المعلومات.

ونحن نعنى بالصراع ذلك الموقف التى يتسبب فى خلافات جوهرية أو عدم اتفاق أساسى ولا يمكن حلها أو تقريب وجهات النظر حولها بين الأفراد أو الجماعات أو الأقسام أو الادارات. هذه الخلافات الجوهرية عادة ما تنطوى على إغفال أو إكار أو تجاهل حقوق أو جهود أو احتياجات الآخرين. وعلى سبيل المثال فإن الأقسام قد تختلف حول السياسات والإجراءات والتى قد تبدأ من مجرد شارات الدخول والانتقال داخل المبنى والإدارات مروراً بالتدريب والتأهيل؛ كما أن التناقضات قد تحدث حول مستوى الخدمات التى تقدم إلى المستفيدين. وربما يتأتى الصراع من التنافس الشخصى على السلطة والمناصب ومحاولات الحصول على مكاسب شخصية دون وجه حق. ولقد جلبت التكنولوجيا الجديدة أنواعًا من الصراعات لم تكن معروفة من قبل مثل الخلاف حول نوع البرمجيات التى يجب إدخالها إلى المكتبة، أو نظم المعلومات التى يتم العمل بها أو أسلوب الإدارة الواجب اتباعه.

وكثير منا لدينا صعوبات فى التعامل مع الصراعات لأننا نعلم أن الاختلافات والتناقضات هى أمر بالغ السوء ولا يمكن تجنبه. والاتجاه المتأصل فينا إزاء الصراعات نجده فى نظرية الإدارة قبل الأربعينات من قرننا العشرين. وقد اعتبر الصراع فى نظرية الإدارة أمراً ضاراً بالمؤسسة ويجب تجنبه قدر الإمكان. وقد انطلقت نظرية الإدارة من

وجهة نظر التجنب إلى الاعتراف بضرورة الصراع وحتميته فى حياة المؤسسات فى عقد السبعينات وقد رأى منظرو الإدارة أن الصراع ضرورى داخل المؤسسات إلى حد معين وذلك لتحريك السواكن وحفز الهمم نحو التغيير والتطوير.

وتهتم إدارة الصراع بدراسة طبيعة ومصادر الصراع وتكاليف هذا الصراع وأعبائه، وكذلك تهتم بالبحث فى فوائد الصراع وكيف يوضع فى حجمه الطبيعى غير المدمر. ومن المهم أن ننتقل من مجرد الحديث عن الصراع باعتباره أمراً سيئًا ومدمراً للمؤسسة إلى التركيز على الأساليب التى تعالج التناقضات المستعصية ثم إلى وضع متميز لإدارة هذا الصراع نحو الوجهة السليمة. ومن هنا تصبح إدارة الصراع مدخلاً إيجابياً ينظر إلى الصراع على أنه حقيقة من حقائق الحياة وأنه ليس شراً كله بل يمكن أن يقدم فرصًا حقيقية للنمو والتطور أمام الأفراد والأقسام والمؤسسات.

وأولى خطوات إدارة الصراع هى الاعتراف بأن الصراع له جوانبه التدميرية كما أن له جوانبه البناءة التشييدية. فالصراع قد يكون مكلفاً للأفراد والإدارات بل وللمؤسسة كلها، وعلى سبيل المثال يمكن للصراع أن يتسبب فى ضغوط عاطفية وبدنية للأفراد ومن ثم يقلل من إنتاجيتهم ورضائهم عن العمل ونوعية العمل. وقد يتسبب فى منافسة غير صحية بين مصادر العمل ويدمر علاقات العمل الطيبة بين الناس ويمنع الاتصال. ومدير الصراع الناجح عادة ما يكون على دراية ووعى كامل لعواقب الصراع المدمرة ولذلك يحاول التقليل قدر الإمكان من آثارها، ويعمل فى نفس الوقت على استخلاص الفوائد التى تكمن فيه. وعلى الجانب الآخر فإن الصراع قد ينطوى على بعض الفوائد ومن بينها حفز الأفراد والإدارات بل والمكتبة كلها على إعادة النظر فى الأهداف والقضايا التى يسعون إلى تحقيقها والأساليب التى يصطنعونها فى هذا الصدد. والعمل فى ظل الصراع قد يؤدى إلى تكاتف الجهود وتحقيق نوع من العمل الجماعى ونسج طرق جديدة متينة للاتصال والتفاهم وإعادة توزيع المخصصات وتعميق الإفادة من الكفاءات.

أما الخطوة الثانية فى الإدارة الناجحة للصراع فهى فهم ووعى مصادر الصراع ومسبباته. وقد وضع دارسو الصراع داخل المؤسسات أيديهم على خمسة مصادر للصراع، نستعرضها فيما يلى ونحاول تلمسها فى المكتبات ومراكز المعلومات:

١ ـ التناقضات والقيم الشخصية:

من الطبيعى أن يكون هناك اختلافات بين العاملين داخل المكتبة بل وداخل القسم الواحد، ذلك أنهم يأتون من بيئات مختلفة ولهم قيم متفاوتة وخلفيات علمية واجتماعية وفكرية متنوعة. والخلفيات الثقافية والدينية والتعليمية وخبرات العمل تجعل كلاً منهم ينظر إلى الأمر المتنازع عليه من زاوية مختلفة عن زوايا الآخرين ومن هنا يتأتى الصراع. وتنشأ مواقف الصراع فى الأعم الأغلب عندما يفشل الأفراد فى فهم القيم والتوقعات والمفاهيم الخاصة غير المشتركة. وعلى سبيل المثال يستطيع بعض الأفراد تقدير قيمة الوقت ويفيدون منه فائدة كبرى ويخططون للمستقبل وينجزون مشروعاتهم قبل الوقت المحدد، بينما آخرون لا يقدرون قيمة الوقت ولا يلتزمون بالمواعيد المحددة للإنجاز.

٢ ـ التنظيم الإدارى للمكتبة:

تتكون المكتبة عادة من أقسام وإدارات تعتمد على بعضها البعض مثل قسم التزويد وقسم الفهارس وقسم الخدمات وقسم المراجع وكل قسم من هذه الأقسام يضع لنفسه أهدافاً ومبادىء ومعايير تتناسب مع وظائف القسم. وعلى سبيل المثال فإن قسم الخدمات يتوقع من قسم الفهارس أن ينجز ما لديه من عمل بسرعة حتى يتسلم المواد المعدة فى أسرع وقت ويطرحها للاستعمال بين المستفيدين فإن لم يقم قسم الفهارس بعمله على أكمل وجه وبأسرع ما يمكن فإن نوعًا من الصراع بين القسمين لابد وأن يقع. ويمكن أن يقع الصراع بين قسم التزويد وقسم الخدمات أو قسم المراجع إذا لم يقم قسم التزويد باقتناء المواد التى تلبى احتياجات المستفيدين. كذلك فإن الصراع وارد بين قسم التزويد وقسم الفهارس، حيث يتحكم قسم التزويد فى دفعات الكتب والمواد التى يقدمها إلى قسم الفهارس للإعداد فى وقت معين.

٣ـ التوزيع السيىء للأدوار والوظائف:

والصراع فى هذه الحالة قد ينتج عن عدم توصيف العمل أو غموض ذلك التوصيف، وربما ينتج عن عدم ملاءمة المؤهلات والمواهب والقدرات لنوع العمل. وقد ينشأ الصراع عن تقاسم السكرتارية الواحدة بين عدة أقسام أو عدد من الأشخاص،

فأيهم وأيها تكون له الأولوية؟ وينشأ الصراع فى هذه الحالة أيضًا عندما يؤدى عدد من الأشخاص نفس العمل ويتقاضون مرتبات متفاوتة دون سبب واضح، أو يؤدون أعمالاً متفاوتة فى قدرها والمهارة التى تتطلبها ومع ذلك يتقاضون نفس المرتبات والحوافز.

٤ ـ عدم كفاءة نظام المعلومات فى المؤسسة:

يتسبب فشل نظام الاتصال فى سوء الفهم بين العاملين فى المؤسسة ومن ثم تنتج الصراعات ومن بين الأمثلة على فشل نظام الاتصالات عدم معرفة من يحتاج إلى المعلومات وما نوع المعلومات التى يحتاجها أو عدم إعطاء كل المعلومات التى يحتاجها الناس. وفى المكتبة يقوم النظام الآلى للإعارة بتسجيل كل الكتب التى استعارها الناس فقط وليس التى يرغب الناس فى استعارتها وهى غير موجودة فى المكتبة. وقد يقوم قسم التزويد باقتناء أعمال لا يقبل عليها المستعيرون والمستفيدون وتكون النتيجة كتب بدون قراء وقراء بدون كتب. ويعتبر ذلك الأمر مصدراً أساسيًا من مصادر الصراع يهدد وجود المكتبة ذاتها. وقد تكون المعلومات واللغة المستعملة فى عملية مالا تناسب احتياجات وغايات عملية أخرى أو قسم آخر مما يتسبب فى سوء فهم ومن ثم يؤدى إلى موقف صراع. كذلك قد يتأتى سوء الفهم من فصل الموظفين بعضهم عن بعض فيزيقيًا أو عن طريق أوقات العمل كما أن سوء الفهم والصراع أمران واردان بسبب عقد الاجتماعات الدورية واللقاءات الشخصية بين العاملين فى المكتبة.

٥ ـ ضغط الظروف المحيطة والتغيرات المستمرة:

عادة ما تكون الظروف الداخلية والخارجية المحيطة والتغيير المستمر مصدراً رئيسيًا من مصادر الصراع. وقد يأتى التوتر الداخلى والتغيير نتيجة اهتزاز الإدارة والافتقار إلى القدرة على اتخاذ القرار أو الاضطراب والتخبط فيه. وقد يحدث ذلك داخل قسم من الأقسام أو على مستوى المكتبة ككل. ويعتبر عدم تطبيق اللوائح أو التفاوت فى فهم بنودها وتفسيرها أو تطبيقها فى ظروف وعدم تطبيقها وتعطيلها فى ظروف أخرى مدعاة لضغوط وصراعات لا أول لها ولا آخر. كذلك فإن التوتر قد يأتى من ظروف خارجة عن إرادة المكتبة نفسها مثل تخفيض الميزانية وترشيد الإنفاق أو التهديد

بالاستغناء عن العاملين وإحلال التكنولوجيا محلهم وغير ذلك.

كيف نتعامل مع الصراع ونعالجه:

إذا استعرضنا الإنتاج الفكرى فى مجال الإدارة فإننا سوف نجد أن هناك خمس طرق للتعامل مع الصراع ومعالجته هى: استغلال السلطة فى حسم الصراع؛ تجنب الصراع؛ تسوية الصراع؛ الوصول إلى حل وسط؛ التعاون فى حل الصراع. ولكل طريقة ظروفها الخاصة التى تطبق فيها. وهذه الظروف قد تتعلق بطبيعة القضايا والمشاكل المسببة للصراع والأهمية النسبية للعلاقة بين أطراف الصراع سواء كانت تلك العلاقة شخصية أو رسمية وكذلك الوقت المتاح لحل ذلك الصراع ونوعية الصراع.

إن استغلال السلطة أو الوضع الوظيفى فى حسم الصراع هو إحدى الطرق الشائعة فى هذا الصدد. والسلطة هنا قد تكون مستمدة من اللوائح والتشريعات والقواعد وقد تكون السلطة هنا مجرد سلطة غاشمة لا تستند إلى قانون أو لائحة، بل محسوبية أو مجاملة أو كما هو الحال فى الدول النامية هدايا ورشاوى. وهذه الطريقة وخاصة فى شقها الثانى طريقة ممجوجة وإن كانت شائعة ذلك أن اللوائح والقوانين قد تكون عتيقة عفى عليها الزمن بل وقد تكون هى سبب الصراع والمحسوبية والمجاملة والرشوة هى القهر بعينه. ويجب أن نلجأ إلى الشق الأول منها كبديل نهائى إذا كان الصراع ينطوى على قضايا حساسة ذات وضع قانونى وإذا كان الوقت عاملاً أساسيًا فيه. وقد لوحظ أن هذه الطريقة تنجح فى حالة الطوارىء أو حالة ترشيد الإنفاق وتخفيض الميزانيات.

والطريقة الثانية وهى تجنب الصراع تستخدم عندما لا تكون القضية حساسة أو حرجة ولكنها قد تؤدى إلى تدمير علاقات العمل بين الزملاء. وعلى سبيل المثال لا داعى للتعليق والسخرية من أسلوب الزى واللبس الجديد لدى الزملاء عندما نلاحظ أنه غير ملائم؛ وعادة ما تكون المجاملة والكلمات الرقيقة هنا حاجزًا دون تدمير العلاقات بين الزملاء. وفى الأعم الأغلب يكون تجنب الصراع مسألة مبدئية حتى تتجمع لدينا معلومات كافية قبل تكوين رأى واتخاذ القرار. وهذا المدخل إلى الصراع لا يحل المشكلة على المدى البعيد وإن كان يؤجلها فقط.

أما طريقة تسوية الصراع فإنها تؤكد رغبة الأطراف الداخلة فى الصراع على إخماد هذا الصراع وعدم تشعيبه أو إذكاء ناره. وهذا المدخل ينطوى على رغبة المدير أو المشرف أو الزميل فى التنازل أو التخلى عن مطالبه إرضاء لخاطر الآخرين، كما أن هذا المدخل يمكن استخدامه عندما تكون علاقات العمل الجيدة مهمة وأكثر إلحاحًا من أية اعتبارات أخرى. وعادة ما يستخدم هذا الأسلوب فى تسوية الخلافات حول ورديات العمل فى المساء والعطلات.

وطريقة الحل الوسط. وهى معروفة فى معظم الصراعات حتى السياسية والعسكرية الدولية تستخدم لحمل كل من طرفى أو أطراف الصراع على التنازل عن بعض ما يعتقدون أنه حق لهم ومن ثم يلتقون عند نقطة ما بحيث لا يكون هناك خاسر كلية أو رابح كلية بل الكل كسب والكل خسر بنفس القدر. وأكثر ما يستخدم هذا الأسلوب فى المشاكل المادية خاصة.

ويتفق معظم مؤلفى إدارة الصراع أن الأسلوب الأمثل فى حل المشكلات التى تنشأ بين الأنداد الذين تنصرف نيتهم إلى الحفاظ على علاقات العمل الودية والطيبة، أو تلك المشكلات المتعلقة بقضايا العمل والأداء داخل المكتبة، هو التعاون فى دراسة المشكلة واقتراح الحلول الكفيلة بحلها والتخفيف من آثارها وهذه الطريقة الخامسة تنطوى على العديد من الفوائد إذ تضمن الالتزام المشترك والرأى الجماعى والرضاء عن الحل الذى يتم التوصل إليه.

ولما كانت هذه الطريقة الأخيرة هى أكثر الطرق إيجابية فى حل الصراع ويطلق عليها البعض «مدخل حل المشاكل» فإننا سوف نتوقف أمامها قليلاً لنبسط القول فيها إلى حد ما. إن أولى الخطوات فى حل المشكلة هى أن تحدد المشكلة بوضوح ويتفق الأطراف على حجمها وأبعادها مؤكدين على أنهم جميعاً لهم نفس الأهداف والقصد النبيل ومشجعين المشاركة الفردية على التفكير فى الحلول والبدائل الممكنة. ولابد لهم كذلك من الاتفاق على تلك البدائل وإقرار أولوياتها وتقييم تلك البدائل بناء على أسس ومعايير محددة يرتضيها الجميع ثم يصلون بعد ذلك إلى قرار مشترك يبدأ بعده تطبيق الحل وتعميمه. وطالما أن هذه الطريقة من طرق إدارة الصراع هى أكثر المداخل تعقيدًا بين المداخل الخمسة فإننا نفصلها فى المثال الآتى:

جل المكتبات تواجه الآن مشكلة تقديم الاتصال الإلكترونى بالكشافات والمستخلصات والنصوص الكاملة فى قواعد البيانات فى وقت لا تتزايد فيه الموارد بنفس السرعة التى كان عليها الحال فى الماضى، بل إنها فى بعض الأحيان تتناقص تناقصاً فعليًا. وهذه القضية قضية حرجة ودقيقة إذ يتطلب الأمر ضرورة الحفاظ على العلاقات الطيبة بين الأفراد المعنيين بالقضية وكان هناك وقت لمعالجة المشكلة بهذا الأسلوب. وهذه القضية من القضايا التى يحسن فيها تطبيق طريقة التعاون أو مدخل حل المشكلة.

وعلى الرغم من أننا وضعنا أيدينا على طبيعة المشكلة بوضوح إلا أنها لم تحدد بما فيه الكفاية. ومن هنا فكما قدمت لابد من تحديد المشكلة بوضوح شديد كخطوة أولى فى سبيل حلها والسؤال الذى تبدأ به هذه الخطوة هو من يختص بتلك المشكلة؟ ومن الطبيعى فى حالتنا هذه أن المشكلة هى بالدرجة الأولى مشكلة الإدارة العليا فى المكتبة، كما أن موظفى المراجع هم أيضاً معنيون من الباطن بهذه المشكلة. وفى بعض المكتبات وخاصة الصغيرة منها قد يكون كل المكتبيين معنيين بالمشكلة وكل منهم قد يكون له رأى يدلى به فيها. والسؤال الثانى فى هذه الخطوة هو من يتأثر بالمشكلة؟ وهنا يكون المكتبيون هم أول من يتأثر ولكن المستفيدين كذلك سوف يتأثرون بها. وقد تكون حدة المشكلة ليست واحدة لكل الأطراف بسبب الافتقار إلى المعرفة بأبعادها أو درجة التورط فيها. من هذا المنطلق فلابد من معرفة عدد الأفراد المعنيين بالمشكلة ودرجة فهمهم لها والإلمام بها. ولعل أسلم الوسائل للإحاطة بمشكلة ماهو أن يكون هناك ممثلون للجماعات المختلفة المهتمة بالقضية لمناقشة ما يحيط بها حتى يتكون فهم متبادل لديهم ويتفقون على تحديد قاطع لها.

وبعد تحديد المشكلة يصبح من الضرورى إسهام كل الأطراف فى تحقيق نفس الأهداف. أما كيف يمكن إدراج هذه المشكلة فى الخطة الاستراتيجية وأهداف المكتبة؟ فإن ذلك يحتاج إلى إعادة توزيع للمخصصات إذا كان لابد وأن تأتى المخصصات لهذا المشروع الإضافى من أجزاء أخرى من المكتبة نفسها ومن ثم فإن العاملين فى تلك الأجزاء يصبحون معنيين بالأمر. وتصبح لدينا مجموعة من الأسئلة لابد من الإجابة عليها بوضوح شديد: كيف تتواكب الخدمات الجديدة هذه مع أهداف المكتبة ووظائفها؟

وهل يمكن إلغاء خدمات أخرى فى سبيل تقديم الخدمة الجديدة؟ هل تكرر هذه الخدمات الجديدة خدمات أخرى قائمة بالفعل. ولو أن كل الأطراف اتفقت على نفس الأهداف فإن وجهات النظر المختلفة هذه تثرى بكل تأكيد عملية اتخاذ القرار.

وبعد إقرار الأهداف على هذا النحو، فإن جميع الأطراف يجب أن تشارك فى عملية اقتراح حلول بديلة للمشكلة. وكل ممثل لجماعة يجب أن يعبر عن رأيه ووجهة نظر جماعته فى المشكلة في جو من الحرية والتعاون.

وعندما يتم الحصول على كافة الاقتراحات، وقبل اتخاذ أى قرار بشأن المشكلة لابد من إقرار المعايير التى بمقتضاها تقييم كل البدائل المطروحة لحل المشكلة. وفى حالتنا هذه يكون المعيار الأساسى وربما الوحيد هو مبلغ المال المتوافر للدخول فى المشروع، ويأتى بعد ذلك احتياجات المستفيدين ولكن لابد من التفريق هنا بين ما يعتقد أمناء المكتبات فى أن المستفيدين يحتاجونه وبين ما سوف يستعمله القراء بالفعل. كذلك لابد من تحليل عائد التكلفة من وراء الوسائط المختلفة، وهذا يقتضى معرفة متى يمكن استخدام الكشافات الورقية ومتى يجب استخدام أقراص الليزر، ومتى يمكن الاستعانة بالخط المباشر ومتى يمكن تحميل قواعد البيانات على النظام المحلى؟ ومن المهم للغاية أن يتفق جميع الأطراف على معايير تقييم البدائل المختلفة وفى حالة وجود عدد من المعايير فإنها لابد وأن ترتب فى أولويات طبقاً للأهداف المطلوب تحقيقها.

وعندما تكتمل العملية السابقة فإنه يمكن تحليل البدائل وتقيم بناء على ضوء المعايير المتفق عليها. ومن هنا فإن الخطوة الأخيرة فى هذه الطريقة هى الوصول إلى قرار موحد وبالتالى تنفيذ هذا القرار وتعميمه. وعلى الرغم من أن هذه الطريقة مستهلكة للوقت إلا أنها تنطوى على ميزة تشجيع التعاون بين الأطراف المعنية بالمشكلة ويأتى الحل ممثلاً للعديد من وجهات النظر.

إن معالجة الصراع والتعامل معه إنما يمثل تحديًا حقيقياً لكل من يتصدى له. ومع ذلك فإن إدارة الصراع الناجحة يمكن أن تحمل العاملين فى المكتبة على الاقتراب من تحقيق أهداف المكتبة. وعندما ينشب صراع ما فإن من الضرورى أن ننظر إلى مدى حساسية القضية التى يدور حولها؛ ومدى أهمية الحفاظ على العلاقة الطيبة بين الناس

المتورطين فيها، والوقت المتاح لحلها وأعباء هذا الصراع وتكاليفه والمنافع المحيطة به.

وعلى ضوء تلك المعلومات يمكن اختيار الأسلوب المناسب لإدارة هذا الصراع. وإذا نظرنا إلى الطبيعة المعقدة للمشكلات التى تواجه المكتبات فى الوقت الحاضر وإلى ضرورة الحفاظ على العلاقات الطيبة بين الأنداد فى المكتبة؛ تكون طريقة «مدخل حل المشكلة» هى الطريقة المناسبة فى معظم الأحوال.

المصادر:

- Bundy, M.L. "Conflict in libraries" .- **in** .- College and Research Libraries. vol. 27, July 1966. pp 253 - 262.

- Byrnes, J. F. Managing and resolving conflict .- New York: American Management Association, 1986.

Kathman, Jane Mc Gurn **and** Michael D. Kathman. "Conflict management in the academic library" .- **in** .- Journal of Academic Libraries. vol. 16, July 1990. p 145.

- Kathman, Jane Mc Gurn **and** Michael D. Kathman. "Conflict management in the academic library" .- **in** .- Encyclopedia of Library and Information Science .- New York: Marcel Dekker, 1993. vol 51.

إدارة المكتبات ومؤسسات المعلومات

Library and Information Foundations Administration and Management

الحقيقة أن مصطلح «إدارة المكتبات ومؤسسات المعلومات» هو مصطلح واسع وعريض ولم نصل إلى تحديد قاطع له بعد وليس هناك اتفاق أو شبه اتفاق على مدلول محدد له. ويكاد المصطلح أن يبتلع فى جوفه كل ما يتعلق بالعمل داخل

المكتبات ومؤسسات المعلومات بدءاً من تخطيط المبنى وتحديد الموقع وانتهاء بالخدمات المكتبية وخدمات المعلومات. ففى بعض وجهات النظر تضم الإدارة الموضوعات الآتية:

١ ـ المبنى والأثاث.

٢ ـ الهيكل التنظيمى.

٣ ـ العاملون وتسكين الوظائف.

٤ ـ اللوائح والتشريعات.

٥ ـ الميزانية والتمويل.

٦ ـ التشغيل وفتح المكتبة.

٧ ـ التزويد وإدارة المجموعات.

٨ ـ الضبط الببليوجرافى للمجموعات.

٩ ـ الميكنة والاستخدام الآلى.

١٠ ـ إدارة الخدمات المكتبية.

١١ ـ إدارة العلاقات العامة والدعوة المكتبية.

وفى بعض وجهات النظر الأخرى تقتصر الإدارة على العناصر الستة الأولى فقط، بينما العناصر الأخرى تعتبر مجالات قائمة بذاتها وقد خرجت من بطن الإدارة واستقلت بذاتها وتفرع عن كل منها عناصرها الخاصة. وهذا هو ما أميل إليه شخصيًا.

وتعرف الإدارة فى معناها الواسع بأنها الاستغلال الأمثل للعاملين والمواد فى تحقيق أهداف المؤسسة. ومن هنا فإن الإدارة المثلى للمكتبة تبنى على التحديد القاطع لأهداف المكتبة ومن ثم تشكيل الهيكل التنظيمى الملائم وتوظيف العدد المناسب والفئات المناسبة من الموظفين القادرين على القيام بالأعباء، وتحديد الميزانية الكافية والقيام بالتنسيق الفعال وقبل كل هذا وفوق كل هذا وبعد كل هذا تأتى القيادة الفعالة لكل المكتبة. والإدارة بهذا المعنى لا تقتصر على التدبير وتنفيذ الأشياء اليومية ولكنها تضم

كذلك التخطيط القريب والبعيد، كما تضم التنسيق مع السلطات الأعلى.

وإدارة المكتبات ومؤسسات المعلومات ليست شيئاً مختلفًا عن إدارة سائر المؤسسات وستبقى الخطوط العريضة لأى نوع من المكتبات هى نفسها للأنواع الأخرى مع قليل من التعديلات. ومهما كان حجم المكتبات فإنها ماتزال بصفة عامة وفى جميع أنحاء العالم مؤسسات صغيرة من السهل إدارتها ومن اليسير التعامل معها حتى أضخم مكتبة فى العالم وهى مكتبة الكونجرس.

لقد وجدت المكتبات منذ فجر التاريخ وماتزال وظائفها وأهدافها هى هى منذ ذلك الوقت وهى جمع وتنظيم وتيسير تداول مصادر المعلومات. وإن كانت هذه العمليات تتم ببساطة عندما يكون التعامل مع عدد محدود نسبيًا من المصادر والموظفين والقراء، إلا أن الأمور قد بدأت فى التعقيد النسبى منذ القرن التاسع عشر، ذلك أن القرن التاسع عشر قد شهد مولد ما يمكن أن نسميه الحركة المكتبية الحديثة وذلك للعديد من الأسباب من بينها بداية الانفجار الفكرى والتضخم النسبى فى عدد مصادر المعلومات؛ كما شهد ذلك القرن بدايات الإعداد المهنى الأكاديمى لأمناء المكتبات؛ وأصبحت مواد القراءة أكثر تداولاً وإتاحة بين الناس وأصبحت صناعة النشر فى الصناعات الاقتصادية والاستراتيجية. لقد انتشرت المكتبات وخاصة العامة فى المدن الأوروبية والأمريكية انتشاراً طيبًا فى ذلك القرن وكان للإصلاحات الفذة التى دخلت على الجامعات الألمانية فى مطلع ذلك القرن أثرها على تكوين المكتبات ونمو مجموعاتها. وقد اتخذت الجامعات الألمانية نموذجًا يحتذى فى الولايات المتحدة وذلك من حيث تركيزها على عنصر البحث العلمى كشرط أساسى فى تعيين أعضاء هيئة التدريس مما نتج عنه النمو الهائل فى مجموعات المكتبات الجامعية. وقد تطلبت تلك المكتبات كوادر إدارية ذات مستوى عال لإدارتها وتنظيمها والإشراف عليها. وقد تصادف فى تلك الفترة قيام المؤسسات فى القطاع الخاص بتدريب وتعليم المديرين، وتصادف أيضاً ظهور موضوع «الإدارة العامة» فى القطاع الحكومى والخدمة المدنية مما أنسحب بالضرورة على قطاع المكتبات بدءًا بالمكتبات الجامعية.

وكان هناك اثنان من أهم المنظرين فى علم الإدارة ولد كلاهما فى القرن التاسع

عشر هما: ماكس ويبر (١٨٦٤ ـ ١٩٢٠م) فى أوروبا وفردريك تايلور (١٨٥٦ ـ ١٩١٥) فى الولايات المتحدة. وتعتبر كتاباتهما فى مجال تنظيم وإدارة المؤسسات من الكتابات النواة فى هذا الصدد. فإلى ويبر تعزى فكرة البيروقراطية، حيث أن المؤسسة البيروقراطية هى تلك التى تدار طبقًا لخطوط طبقية وتحكمها قواعد ولوائح تنمط الإجراءات وتوحدها، وتقسم إلى وحدات وظيفية تقوم كل منها بعمل مشابه واحد من جهة، ويعمل بها موظفون على نفس المستوى من القدرات والمهارات. وإلى تايلور يعزى تطوير المبادىء العلمية فى الإدارة والتى تهدف إلى ضمان تحقيق الرخاء والازدهار لكل من صاحب العمل والعامل على السواء. ومن المتفق عليه أن آراء تايلور قد اتخذت أساسًا للنظرية الحديثة فى التنظيم واتخاذ القرار.

وإذا استخدمنا مصطلحات ماكس ويبر فإن المكتبات تعتبر وحدات بيروقراطية ذات بنيات تنظيمية كبيرة شأنها فى ذلك شأن الإدارات الحكومية والمؤسسات الأكاديمية والمدارس والبلديات والمحافظات وشركات القطاع الخاص ومؤسساته. وهى جميعاً تحكمها لوائح وتشريعات الهيئات الأم. والمكتبات وخاصة الكبيرة منها لابد وأن تنقسم إلى وحدات كل منها تؤدى وظيفة معينة استجابة لاحتياجات المستفيد وتحقيقاً للأهداف العامة للمكتبة؛ وطبقاً لاعتبارات جغرافية ونوع الخدمات التى تؤدى. وقد يكون هذا الانقسام إلى وحدات انقساماً فكرياً أو فيزيقياً أما الانقسام طبقاً لحاجات المستفيد فقد يكون على أساس السن: الطفولة، الشباب. . . أو على أساس الحالة البدنية: المكفوفون، المعوقون، كبار السن. أما الانقسام لاعتبارات جغرافية فتمثله فروع المكتبات العامة وفروع المكتبات الجامعية حتى داخل الحرم الجامعى. وقد أدرك المكتبيون فى القرن التاسع عشر أهمية تنظيم المواد المكتبية حسب محتوياتها الفكرية وليس على حسب الكيان الفيزيقى كما أدركوا أيضًا أهمية الترتيب على حسب الشكل وبالتالى قسمت بعض المكتبات على أساس: الكتب، الدوريات، الصور، الخرائط، المواد السمعية البصرية وغيرها.

وعلى الرغم من أن نظرية ويبر فى الإدارة يمكن أن تنسحب على جميع المؤسسات والمشروعات فى جميع أنواع العالم، إلا أن كتابات تايلور كانت موجهة أساسًا نحو المؤسسات الصناعية والتجارية وخاصة كتابه عن «مبادىء الإدارة العلمية» سنة ١٩١١

والذى أكد فيه على ضرورة إحلال القوانين واللوائح والأسس محل الاجتهادات الشخصية وبالتالى جعل من الإدارة علمًا له أصوله وقواعده. وقد جاء الفرنسى هنرى فايول (١٨٤١ - ١٩٢٥م) من بعدهما فى الفكر الإدارى ليقسم الإدارة إلى مجالات محددة: التخطيط، التنظيم، إصدار الأوامر، التنسيق، الضبط. وقد كان هنرى فايول متخصصًا أساساً فى التنظيم الصناعى.

وإضافة إلى مجالات الإدارة التى حددها وعددها هنرى فايول قام رائد آخر من رواد الفكر الإدارى وهو لوثر جولك (١٨٩٢ - ١٩٩٣م) ليضيف أبعادًا جديدة إلى الفكر الإدارى وهو صاحب الاستهلالية الشهيرة (بوسدكورب POSDCORB) التى تمثل سبعة أقسام للإدارة أو لنقل سبعة عناصر متميزة فى العملية الإدارية:

١ - التخطيط.

٢ - التنظيم.

٣ - تسكين الموظفين.

٤ - التوجيه.

٥ - التنسيق.

٦ - كتابة التقارير.

٧ - وضع الموازنة.

وقد وضع جولك هذا المخطط لعناصر العملية الإدارية خلال عمله أستاذًا للإدارة العامة فى جامعة كولومبيا. وكان روزفلت قد عينه عضواً فى اللجنة الرئاسية لتطوير الإدارة سنة ١٩٣٦ تلك اللجنة التى شكلها الرئيس فرانكلين روزفلت لتطوير الجهاز التنفيذى فى الحكومة الأمريكية.

وقد أثرت كتابات فردريك تايلور وأتباعه فى الفكر المكتبى بالولايات المتحدة. وقد جاء تطبيق تايلور للمبادىء العلمية على الإدارة فى وقت كان الناس يبحثون فيه عن الكفاءة والاقتصاد فى أداء العمل. وقد أفادت مبادئه العلمية هذه فى إدارة الأعمال الروتينية فى المكتبة مثل التزويد، الفهرسة، الإعارة، الترفيف، التجليد. وعلى الرغم

من أن المكتبات الأمريكية لم تتبن آراء تايلور بالكامل إلا أن فكره الإدارى قد أثر فى رواد الحركة المكتبية فى الولايات المتحدة من أمثال: كارلتون جويكل، رالف شو، دونالد كونى، ب. فاسرمان، ب. هوارد، أ. ستون، ج. هويلر، د. جور وغيرهم؛ مما سنعرض لهم فيما بعد. وكان دونالد كونى بالذات وهو أمين مكتبة جامعية من أوائل من كتبوا عن إدارة المكتبات الجامعية ونشر أول بحث له فى هذا الصدد سنة ١٩٣٠. وكان الرجل قد عاش بين ١٩٠١ ـ ١٩٧٣.

وقد جاء كارلتون جويكل بعد ذلك بنحو ثمانى سنوات ليضع بحوثاً مستفيضة فى هذا الصدد على رأسها «القضايا الجارية فى إدارة المكتبات» والتى قدمها إلى معهد المكتبات فى جامعة شيكاغو ١ ـ ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٨. ونشرتها مطبعة جامعة شيكاغو فى السنة التالية ١٩٣٩. ونشر ب. هوارد بحثاً مستفيضًا سنة ١٩٤٠ فى مجلة فصلية المكتبات بعنوان «وظائف إدارة المكتبات». أما هويلر فقد نشر هو الآخر كتابه «تطور ومشكلات تعليم المكتبات» سنة ١٩٤٦ فى نيويورك من قبل مؤسسة كارنيجى والذى جاء قسم كبير فيه حول تعليم إدارة المكتبات. ثم توالت الكتابات العلمية فى هذا الموضوع بعد ذلك وأصبح الموضوع فرعاً من فروع علم المكتبات والمعلومات شأنه فى ذلك شأن الكثير من المجالات الحيوية الأخرى فى هذا العلم.

وقد قال جويكل فى بحثه الذى أشرت إليه «يحسن مديرو المكتبات صنعًا عندما يبحثون عن نماذج للدراسات المقارنة فى مجالات الإدارة العامة، إدارة الأعمال، الصناعة، التربية. فالإنتاج الفكرى فى هذه المجالات خصب لمن يريد أن يدرس إدارة المكتبات». ويعتبر الكتاب الذى حرره كارلتون جويكل لمعهد المكتبات فى جامعة شيكاغو سالف الذكر حجر الزاوية فى تاريخ دراسة إدارة المكتبات.

وفى سنة ١٩٥٩ ركز هاوسدورفر على قيمة دراسة «الإنتاج الفكرى الناضج» فى مجال إدارة الأعمال. وفى نفس الوقت تقريبًا (سنة ١٩٥٨) قام فاسرمان بمسح واقع الدراسات المثيلة وخرج بنتيجة تدعم هذا الاتجاه وخلص إلى أن «إدارة المكتبات توازى الإدارة العامة فى عدة وجوه، وبمعنى خاص وواقعى جداً تعتبر إدارة المكتبات امتدادًا للإدارة العامة». وتذكرنا دراسة فاسرمان والنتيجة التى خلص إليها بمقالة هوارد التى

أشرت إليها من قبل والتى بنيت على رسالته التى تقدم بها إلى جامعة شيكاغو. وقد قال فاسرمان فى مقالته التى نشرها سنة ١٩٥٨ فى مجلة مكتبات الكليات والبحوث بأنه منذ ١٩٤٠ (وحتى سنة ١٩٥٨ طبعًا) لم يحدث تقدم كبير يذكر فى نظرية إدارة المكتبات بعد الإضافة القيمة التى قدمها هوارد.

ولكن بعد ذلك التاريخ (١٩٥٨) لم يعدم المجال دراسة طيبة أو إضافة لها شأنها وإن كانت قليلة متفرقة متباعدة وعلى سبيل المثال قام إ. ستون بدراستين هامتين سنة ١٩٦٢ و ١٩٦٧. الأولى بعنوان «دراسة تحليلية لمقررات الإدارة الأساسية فى مدارس المكتبات المعتمدة من قبل اتحاد المكتبات الأمريكية» والثانية بعنوان «التدريب لتحسين مستوى إدارة المكتبات». وقد نظر إلى هاتين الدراستين على أنهما إضافة طيبة إلى المجال.

لقد حدثت بعد الحرب العالمية الثانية عملية إحياء للإدارة العلمية تحت تسمية جديدة عصرية هى «بحوث العمليات» كجزء من الجهود البريطانية فى سبيل تعبئة إمكانيات العلماء لاتخاذ قرارات عسكرية أكثر فعالية. وقد تم الاعتراف بالمجال الجديد كأسلوب علمى وأداة مقبولة لاتخاذ قرارات إدارية. ولأن بحوث العمليات كانت تعتمد على تحليل النظم الخاصة بانسياب نشاطات العاملين، فقد أصبحت النموذج الذى يحتذيه «تحليل النظم» بشكله الجديد والذى اعتمد عليه المجتمع العلمى والتكنولوجى فى تطوير الفكر الإدارى الحديث. ومع ذلك فإن تحليل النظم فى مجال المكتبات يسير فى خطى متفاوتة بين كل من الولايات المتحدة وبريطانيا من ناحية وبقية دول العالم من جهة ثانية. ولقد طبق تحليل النظم على المكتبات فى فترة مبكرة كما حدث فى مكتبات معهد كيس للتكنولوجيا؛ جامعة كاليفورنيا فى بيركلي، جامعة جون هوبكنز، معهد ماساشوستس للتكنولوجيا؛ جامعة بوردو فى الولايات المتحدة وجامعة لانكستر فى بريطانيا. لقد تم تطبيق تحليل النظم فى تلك المكتبات بكل جوانبه المعروفة مثل المعادلات الرياضية؛ بناء السيناريو، نظرية الاحتمالات، الألعاب التكتيكية...

وبينما نجح «تحليل النظم» نجاحاً كبيراً فى جوانب مكتبية مختلفة مثل تخزين المواد المكتبية، وضع ميزانيات المواد المكتبية، سياسات الإعارة، توصيل الوثائق؛ فقد جانبه

التوفيق فى نقطتين أولهما: أنه عالج جميع العمليات المكتبية بمستوى واحد وعلى مستوى واحد دون الالتفات الكافى إلى كون كل عملية هى جزء من كل معقد. وثانيهما: أنه تجنب كثيراً من المتغيرات السياسية التى تؤثر فى اتخاذ القرارات الحديثة التى تبعث من احتياجات عناصر العملية السياسية مثل أعضاء هيئة التدريس فى المكتبة الأكاديمية أو جماعة الاهتمامات الخاصة المؤثرة فى إدارة المكتبة العامة.

وقد وصل تحليل النظم إلى ذروة نجاحه ربما فى منتصف الستينات عندما تبنت الولايات المتحدة نظام التخطيط والبرمجة والموازنة «كأساس لكل الأنشطة الإدارية فى الحكومة الأمريكية». وبسبب انتشار هذا النظام على نطاق واسع والاهتمام البالغ به فى دوائر الإدارة العامة فقد تم تقليده على مستوى حكومات الولايات والمحليات وكانت نتيجة ذلك أن طبقته كثير من المكتبات المدرسية والأكاديمية والعامة والمتخصصة فى وضع ميزانياتها طويلة الأجل أو قصيرة الأجل على السواء. ورغم أن هذا النظام قد توقف استخدامه فى دوائر الحكومة الفيدرالية سنة ١٩٧١ وذلك بسبب الأعمال الورقية الكثيرة التى كان يستلزمها فى حينه والتعقيدات التى يجيء بها على المدى البعيد؛ إلا أنه ألقى بظلاله على النظم الإدارية التى جاءت بعده مثل الإدارة بالأهداف فى عهد الرئيس الأمريكى نيكسون أو نظام ميزانية الصفر فى عهد الرئيس كارتر.

كل هذه الأنظمة مهدت لمسألة مهمة فى الإدارة وهى وضع أهداف محددة للمؤسسة تسعى إلى تحقيقها وهو ما عرف بالتخطيط الاستراتيجى ثم بعد ذلك بالتبعية الإدارة الاستراتيجية؛ وهو ما يعنى التأكيد على مستقبلية القرارات الحالية. والتخطيط الاستراتيجى يعتبر عادة الميدان التنفيذى الأعلى للإدارة الخطية أى الإدارة العليا على العكس من الخطط الإجرائية التى هى ميدان الإدارة المتوسطة أو السفلى. وهذا التخطيط الاستراتيجى يتعلق أساساً بقضايا السياسة الصعبة التى تهتم بتفاصيل التنظيم الذى يوضع لمواجهة اقتصاديات السوق المستقبلية والتنبؤات البيئية. ولقد حاول عدد كبير من المكتبات الكبيرة وضع هذه الخطط الاستراتيجية كما طبقت أيضًا على عملية تطوير الاتحادات المهنية فى مجال المكتبات والمعلومات.

وعلى الرغم من أن التخطيط الاستراتيجى قد بدأ فى القطاع الخاص فى الدول

الرأسمالية الكبيرة والمتقدمة فإن عملية تخطيط الخدمات المكتبية كانت سمة أساسية فى منتصف ونهاية قرننا العشرين فى تلك الدول، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة فثمة فارق بين تلك الأمم التى تملك البنية الأساسية فى ميدان المكتبات ونظم المعلومات والنظرية العامة لهما وتلك التى لم تطور بعد تلك البنية الوطنية فالخدمة المكتبية فى الفئة الأولى من الدول هى عامل أساسى لتحقيق الوعى العلمى الوطنى والإنتاجية الاقتصادية العالمية التى أصبحت عاملاً دائماً بعد الحرب العالمية الثانية. ذلك العمل الذى أدى إليه وجود منظمات دولية مثل اليونسكو التى رعت سنة ١٩٧٤ مؤتمر ما بين الحكومات فى باريس حول تخطيط البنية الأساسية الوطنية فى مجال التوثيق والمكتبات والأرشيف الذى عرف باسم (ناتيس). هذا المؤتمر الذى جاء ثمرة أربعة اجتماعات إقليمية للخبراء فى مجال تخطيط الخدمات المكتبية الوطنية بدأت منذ سنة ١٩٦٦ .

وقد ساعدت الميكنة فى الدول المتقدمة على حل كثير من المشكلات الإدارية وعلى سبيل المثال ما قام به الحاسب الآلى وتكنولوجيا الاتصالات من تسهيل تشاطر المصادر وتبادل المعلومات وخاصة فى مجتمعات مابعد الصناعية فى أوروبا وأمريكا الشمالية. لقد اقتحمت تكنولوجيا المعلومات صميم العمل المكتبى: التزويد وإعداد السجلات؛ ضبط الدوريات، الاستعارة، الفهرسة، وامتدت آثارها لما هو أبعد من ذلك مثل محطات العمل والمؤتمرات عن بعد، والتعليم عن بعد. ولم تعد هناك دولة على سطح الأرض إلا ومستها تكنولوجيا المعلومات بدرجة أو بأخرى، وأفاد منها المستفيد النهائى بقدر أو بآخر. وقد ألقى ذلك مزيداً من الضغوط على العملية الإدارية وفى عصر المعلومات ظهر مصطلح جديد هو «إدارة المعلومات» بعد أن كان الأمر هو إدارة المكتبات ومراكز المعلومات. لقد توارى المصطلح القديم وبرز إلى الأمام المصطلح الجديد؛ حيث استوعب الجديد القديم وأضاف إليه.

ونحن نعنى بإدارة المعلومات تطبيق مبادىء الإدارة على التزويد، والتنظيم، والضبط وبث المعلومات واستخدامها حيث يحسن هذا التطبيق. ويقصد بالمعلومات هنا كل أنواع المعلومات القيمة سواء كانت موجودة داخل المؤسسة أو خارجها بما فى ذلك مصادر البيانات مثل بيانات الإنتاج، السجلات والملفات ذات الصلة ومثل بيانات دراسة السوق وأداء الموظفين، والذكاء التنافسى من مصادر متنوعة. إن إدارة المعلومات

تتعلق بقيمة المعلومات وملكيتها ونوعيتها وأمنها والإفادة منها واستخدامها فى سياق مؤسسة ما.

والمشكلة التى تواجهنا حاليًا هى أن مصطلح «إدارة المعلومات» يستخدم بطرق مختلفة فى أدبيات عدد من المجالات: ففى مجال الحاسب الآلى وتطبيقاته يصبح هذا المصطلح مرادفا لإدارة تكنولوجيا المعلومات على النحو الذى قال به ساينوت وجروبر سنة ١٩٨١. وربما يقصد به هنا أيضاً إدارة البيانات حيث يكون التركيز على البنية الكامنة خلف البيانات العددية وعلاقتها بتصميم قواعد البيانات. وفى مجال إدارة الأعمال أو الدراسات الإدارية عمومًا نجد نفس المفهوم تقريباً الذى يقصد به إدارة التكنولوجيا عمومًا مع التأكيد على علاقة تكنولوجيا المعلومات بالأداء فى إدارة الأعمال والتنافس فى السوق على النحو الذى قال به كذلك ساينوت سنة ١٩٨٧. وفى مجال علم المكتبات والمعلومات تأثر المصطلح بما يجرى فى السوق الواسعة للعاملين فى مجال المعلومات على اتساعها ومن ثم يضم المصطلح هنا: البيانات، الذكاء التنظيمى، الذكاء التنافسى، مصادر المعلومات الخارجية من كل نوع والتكنولوجيا ذات الصلة (سواء يدوية أو آلية) واللازمة لتداول وتناول تلك المصادر. وبالمقارنة بالمجالات الأخرى فإن إدارة المعلومات فى هذا السياق الأخير تتعلق أكثر بدلالة المعلومات وأهميتها بالنسبة للمستفيد من المعلومات وقضايا استرجاع المعلومات.

وثمة صعوبة أخرى فى تعريف إدارة المعلومات تنبع من ترادفها مع مصطلح مصادر المعلومات وإدارة مصادر المعلومات وهو المصطلح الذى دأبت على استخدامه الشعبة الوطنية الأمريكية الخاصة بالعمل الورقى الفيدرالى فى تقريرها سنة ١٩٧٧ حيث تم تحديد العمل الورقى بما فى ذلك الوثائق الإلكترونية من كل نوع على أنه يمثل «إدارة مصادر المعلومات». وهذا التحديد يقيد بلا شك مفهوم إدارة مصادر المعلومات، ولكن التقرير يستطرد قائلاً بأن وظيفة (فى إدارات الحكومة الأمريكية) إدارة مصادر المعلومات تتسع لتشكل دائرة واسعة متناثرة من الأنشطة يدخل فيها إدارة السجلات (الأرشيف)، إدارة المكتبات، نظم الحاسبات الآلية، الطبع والاستنساخ، المصغرات الفيلمية، مراكز معدات الكلمات.

وفى سنة ١٩٨٥ توسع أ. هـ. شنيمان فى هذا التعريف لإدارة مصادر المعلومات ليغطى خمسة أنواع من مصادر المعلومات: دعم النظم، بما فيها الحاسبات والاتصالات البعيدة؛ ثم بيانات الإعداد، والصور؛ ثم التحويل والنقل بما فى ذلك الاستنساخ ثم التوزيع والاتصال بما فى ذلك إدارة الشبكات والاتصالات البعيدة ثم أخيرًا حفظ واختزان واسترجاع المعلومات والذى يغطى المكتبات والأرشيفات، ونظم الحفظ وقواعد البيانات الداخلية والخارجية. وقد أضاف شنيمان أن إدارة مصادر المعلومات تدعم إدارة المعلومات عن طريق تقديم الإمكانيات التكنولوجية والإرشاد العام لإدارة المعلومات الذى يساعدها فى القيام بوظائفها التى حددها بأنها إدارة ملكية ومحتويات ونوعية واستخدام المعلومات.

وقد أدى توسيع مفهوم هذا المصطلح إلى سحبه فى المنطقة الصعبة للمواجهة بين مصادر المعلومات بمعنى: البيانات، الوثائق... والتكنولوجيا المستخدمة فى توليد وإدارة ونقل هذه المصادر، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت تكنولوجيا المعلومات هى نفسها «مصدرًا من مصادر المعلومات» وقد غدا هذا الأمر فى حد ذاته سببًا لخلط دائم فى الإنتاج الفكرى الخاص بالموضوع وعلى سبيل المثال فإن ب. أ. ستراسمان فى مقاله «إدارة تكاليف المعلومات» سنة ١٩٧٦ كان يناقش حقيقة مشاكل حساب تكاليف النظر المبنية على الحاسب الآلى.

لقد أخذ مصطلح «إدارة المعلومات»، «إدارة مصادر المعلومات» فى الظهور بصفة جدية فى الولايات المتحدة فى منتصف السبعينات، رغم أنه تردد على استحياء مثل ذلك التاريخ، وذلك نتيجة لعمل الشعبة الوطنية الأمريكية الخاصة بالعمل الورقى الفيدرالى والتى كانت تهدف إلى تقليص الإنفاق على العمل الورقى الذى تقوم به المكاتب الفيدرالية المختلفة فى الولايات المتحدة. ومن سخرية القدر أن هذه الشعبة نفسها فيما قال بورات سنة ١٩٧٦م استعانت بمائة خبير معلومات وأعدت تقريرًا فى سبعة مجلدات تقع فى ثلاثة آلاف صفحة.

وعلى أية حال فإن الشعبة قد انتقلت سريعًا من الاهتمام بكم العمل الورقى من الناحية المادية إلى المشكلة الحقيقية الخاصة بتخطيط احتياجات المعلومات وضبطها

وإعداد حساباتها ووضع ميزانياتها» وذلك على حد تعبير الشعبة فى تقريرها سنة ١٩٧٧. وقد قام بورات سنة ١٩٧٧ بتحديد تلك القضايا الاقتصادية في تقريره إلى مكتب الولايات المتحدة لسياسة الاتصالات البعيدة. وقد لاحظ بورات في سنة ١٩٦٧ «أن التكاليف الإجمالية للمدخلات المعلوماتية للحكومة الفيدرالية قد بلغت ٥٠,٥ بليون (مليار) دولار وكان تعريف بورات «لاقتصاد المعلومات» واسعاً للغاية لدرجة أنه اتسع ليشمل على سبيل المثال مشتريات تطوير الأداء الحكومى الذى بلغ ١٣,١ بليون وكان هناك فقط ١١,٨ بليون مخصصة لمشتريات مباشرة وخدمات من قطاع المعلومات الأصلية. وفى سنة ١٩٧٠ بلغت القيمة الإجمالية لمدخلات المعلومات إلى ٦٢,٨ بليون دولار.

وعلى الرغم من الدفعة القوية التى قدمتها الشعبة لمصطلح إدارة المعلومات إلا أن المصطلح لم يحقق انتشاراً يذكر طوال السنوات العشر التى تلت ولم يخترق المؤسسات الحكومية حتى فى الولايات المتحدة نفسها موطن هذا المصطلح. وقد لاحظت إس. إل. كوول فى مقال لها سنة ١٩٨٨م أنه على الرغم من أن قانون تقليص العمل الورقي ركز على أن المعلومات هى مصدر فإن اثنى عشر مديراً من أصل ستة عشر جرى استقصاؤهم رأوا أن إدارة مصادر المعلومات هى بالدرجة الأولى «الميكنة أو الاستخدام الآلى» أو هى «تكنولوجيا المعلومات» بما فى ذلك وسائل الاتصالات البعيدة. ولم يكن هناك خارج وحدة إدارة مصادر المعلومات أية فكرة عامة عن أن إدارة مصادر المعلومات تعنى أولها أية صلة بالإدارة الجيدة. كما لاحظت من جهة ثانية أن ثمة فكرة ضئيلة عن أن إدارة مصادر المعلومات هى أداة مساعدة على المستوى البيروقراطى أى على المستوى الأقل من الوزارات فى الحكومة الفيدرالية الأمريكية، وكان المفهوم على ذلك المستوى يساوى مفهوم خدمات تكنولوجيا المستفيد النهائى.

وقد خلصت إس. إل. كودل إلى أن مفهوم المعلومات كمصدر «ينتشر ببطء عما قصد إليه واضعو قانون تقليص العمل الورقى» بصرف النظر عن المفهوم الحقيقى لهذا المصطلح.

وفى بريطانيا لم يأت دعم مصطلح «إدارة المعلومات» من جانب الحكومة على نحو ما كان فى الولايات المتحدة، على الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت مشغولة

بدعم قضية المعلومات فى سوق القطاع العام البريطانى. وكان مفهوم إدارة المعلومات هناك هو المفهوم العام السائد للمعلومات؛ ففى تقرير اللجنة الاستشارية حول تكنولوجيا المعلومات سنة ١٩٨٣ بعنوان «الاستثمار فى مجال المعلومات» لم يرد ذكر للمصطلح ولم يكن فيه سوى تحليل لفرص الاستثمار فى قطاع المعلومات وفيما بعد قدمت الحكومة بعض الخطوط العريضة لكيفية الاستثمار والتعامل فى المعلومات القابلة للتجارة والاستثمار. وقد نشرت هذه الخطوط سنة ١٩٩٠.

وقد جرت محاولات لإدخال المفاهيم الأساسية لإدارة المعلومات فى المصالح الحكومية عندما أصدرت الإدارة المركزية للحاسبات والاتصالات البعيدة «خطوطًا إرشادية» للمصالح الحكومية عقب بحث مسحى للممارسات المكتبية فى تلك المصالح سنة ١٩٩٠. وكان من بين أهم الخطوط الإرشادية تلك الاعتراف بأن مسئولية مصادر المعلومات كانت موزعة بين العديد من الأقسام فى الإدارات المختلفة وأن هناك حاجة ماسة إلى وجود تعاون فعال بين من يملكون مصادر المعلومات بل وتكامل تلك الخدمات وخاصة أقسام البيانات وأقسام السجلات والمكتبات ومراكز المعلومات، تحت إدارة واحدة.

ولقد قامت مجموعة العمل الخاصة بشبكة إدارة مصادر المعلومات سنة ١٩٩٣ والتى تعمل تحت إشراف أسلب (اتحاد إدارة المعلومات) بتقديم وصف مركز لطبيعة إدارة المعلومات والمفاهيم ذات الصلة. ولتوضيح العلاقة بين إدارة المعلومات وإدارة مصادر المعلومات فإن مجموعة العمل المذكورة ربطت «إدارة المعلومات» بعملية تدبير العلاقة بين الأهداف التنظيمية والعمليات الإدارية ومتطلبات المعلومات فى ظل تطوير استراتيجية للمعلومات ومن ثم استخراج استراتيجية لتكنولوجيا المعلومات من تلك الاستراتيجية العامة للمعلومات وكذلك استراتيجية لنظم المعلومات.

وعلى الجانب الآخر تصبح «إدارة مصادر المعلومات» فى نظر المجموعة سالفة الذكر هى تطبيق المبادىء العامة للإدارة فى جمع مصادر المعلومات المتفرقة، وتأكيد ملكيتها ومسئوليتها وتحديد تكلفتها وقيمتها وتنمية تلك المجموعات وتيسير الانتفاع بها بالقدر والسبل المناسبة.

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو ماهى عناصر إدارة المعلومات؟ ولكن للإجابة على هذا السؤال لابد وأن ندرك أن هناك العديد من المنابع التى غذت تطوير «إدارة المعلومات» هذه، ذلك أنها تستمد أصولها بداية من العديد من المجالات التقليدية مثل التزويد، التنظيم، الصيانة، استخدام الوثائق: فى الأرشيفات والمكتبات ومراكز المعلومات (وخاصة المكتبات المتخصصة) كما أضيف إلى هذه المنابع فى الوقت الحاضر منابع مستحدثة مثل تصميم وتطوير قواعد البيانات؛ اختزان واسترجاع المعلومات، اقتصاديات المعلومات.

ويعتبر تطور تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها فى جميع جوانب إدارة المعلومات من العوامل الأساسية التى أدت إلى تشكل «إدارة المعلومات» على نحو ما هى عليه. وعلى سبيل المثال فإن تكاليف النظم المبنية على الحاسب الآلى تفرض بالضرورة الاهتمام بقضايا قيمة المعلومات والعائد من وراء التكلفة المتعلقة بنظم المعلومات وخدماتها. وبينما كانت تكاليف مثل هذه النظم مختفية فى العمل الذى يقوم به العديد من الموظفين ومن ثم لم تكن تلك التكاليف تظهر إلى حيز النور ولكن بعد دخول الحاسبات الآلية ونظم المعلومات وما تتضمنه من أعباء مالية كبيرة جعل الشركات والمؤسسات تعيد النظر إلى تلك التكاليف وتعيرها التفاتًا خاصًا.

ومن جهة أخرى فإن التطبيق الواسع لنظم المعلومات المستحدثة فى مدارس إدارة الأعمال والتى جرى قبولها فى مجال المشروعات التجارية والصناعية وقطاعات الأعمال وجرى تسليط الأضواء عليها فى وسائل الإعلام والصحافة ومن ثم استخدمت إلى حد كبير فى مؤسسات القطاع العام، كل ذلك أدى إلى تفهم وتبنى أفكار مثل: التخطيط الاستراتيجى، تحليل العائد من التكاليف، إدارة المصادر، التسويق. . .

إن جميع جوانب إدارة المعلومات يجب أن ينظر إليها على ضوء متطلبات واحتياجات المستفيدين من المعلومات وزبائن وعملاء نظم وخدمات المعلومات. ولقد شغلت دراسة الإفادة من المعلومات علم المعلومات فترة خمسين سنة على الأقل، إلى أن لحق بها بعد ذلك علم الحاسب الآلى.

ومن وجهة نظر مصممى النظم المبنية على الحاسب الآلى فإن من الواضح أنه لابد

من فهم طبيعة المعلومات والتقارير التى يريدها المستفيد من النظام وإذا كان ممكناً كذلك أن نعرف نية المستفيد وكيفية إفادته من المعلومات المتضمنة فى هذه التقارير. وبهذه المعلومات يستطيع مصمم النظام أن يمده بالبيانات المطلوبة وفى الوقت المناسب. وبنفس الطريقة يجب على مقدمى الذكاء التنافسى أو هؤلاء الذين يحللون المعلومات من قواعد الخط المباشر أن يكونوا على وعى باحتياجات المستفيدين من المعلومات إذا كان لعملهم أن يلبى احتياجات المستفيدين بأقل التكاليف وأكثرها فاعلية.

ولابد أن نعترف أن هناك بعض المشكلات المتعلقة بفكرة تحديد احتياجات المستفيدين من المعلومات. من أولى تلك المشكلات أن تلك الاحتياجات تتغير بتغير بيئة وظروف المستفيدين (سواء بيئة العمل المباشرة أو البيئة الأوسع خارج المؤسسة)، هذا التغير قد يجعل بيان الشهر الماضى لا قيمة له اليوم. ولعل ثانية تلك المشاكل أن متطلبات المستفيدين من المعلومات تتغير تبعًا للمعلومات التى تتلقاها القاعدة ومن ثم فإنها قد تخلق احتياجات جديدة مما يجعل الاحتياجات الأولى غير ذات قيمة أو يجعلها احتياجات قديمة. وثالث تلك المشكلات هى أن ملاءمة المعلومات لا يمكن أن تتحدد إلا عن طريق المستفيد النهائى المطلق لأنها بالدرجة الأولى تعتمد على استجابة ذلك الشخص الذاتية والتفسيرية للمعلومات، أى تعتمد على المدى الذى يستفيد منه الشخص من تلك المعلومات وكيف يوظفها داخل قاعدته المعرفية.

ومن منطلق تلك المشكلات الثلاث فإن تحديد احتياجات المستفيد من المعلومات يصبح عملاً جاريًا ونشاطًا متصلاً داخل المؤسسة ويبحث بصفة مستمرة عن الانطباع والتلقيم المرتد حول المعلومات المقدمة ويحدد الأولويات المتغيرة فى المؤسسة وكيف تتفهم المؤسسة سلوك المستفيدين منها.

إن دورة حياة المعلومات تكشف لنا يقينًا عن كيفية «إدارة تلك المعلومات» ولقد حدد أ. س. جودمان سنة ١٩٩٤ فى دراسة حالة قام بها على إحدى المؤسسات، دورة حياة المعلومات على النحو التالى الذى قد يسمى فى بعض الأحيان أو عند أهل الأرشيف بالدورة المستندية:

١ ـ تصميم وإنتاج التسجيلات الحاملة للمعلومات.

٢ ـ تحقيق تلك التسجيلات واقتناؤها.

٣ ـ توثيقها وإعدادها إعداداً فنياً.

٤ ـ تيسير سبل الإفادة منها بالاعارة والإتاحة والتداول والإفادة.

٥ ـ دعم وترميم وصيانة تلك التسجيلات.

٦ ـ الإبقاء والاستبعاد والتنقية.

وربما تتفاوت دورة حياة المعلومات من مؤسسة إلى أخرى استناداً إلى طبيعة المعلومات نفسها والوسائل المتخذة فى تنظيمها ومدى الاستخدام والضوابط الموضوعة على ذلك الاستخدام.

وقد وضعت الشعبة الفيدرالية الأمريكية للعمل الورقى دورة مستندية أساسية لحياة المعلومات تنطوى على خمس خطوات أو مراحل هى:

أ ـ تحديد الاحتياجات.

ب ـ جمع الأوعية.

ج ـ الإعداد الفنى للأوعية.

د ـ تيسير الإفادة.

هـ التنقية والاستبعاد.

وقد أردفت الشعبة التعليق الآتى والخاص بعلاقة هذه المراحل بإدارة المعلومات «وفى كل مرحلة من هذه المراحل لابد من تقدير قيمة المعلومات وقياسها وتحدد تكاليفها وتحسب على النحو الذى تقوم به الحكومة الآن فيما يتعلق بأى مصدر من مصادر الثروة الأخرى». وكان ذلك فى سنة ١٩٧٧.

أما عن الدورة المستندية فى معلومات وزارة الخارجية الأمريكية على النحو الذى ورد عند أ. و. هورتون وج. إس. برودن سنة ١٩٨٨ فهى أكثر تطوراً أو أكثر التصاقاً بالمستندات والوثائق الأرشيفية.

المرحلة الأولى: كتابة مسودة الوثيقة وتبييضها.

المرحلة الثانية: إصدار الوثيقة والموافقة عليها.

المرحلة الثالثة: التعديلات الرسمية وغير الرسمية على محتوياتها.

المرحلة الرابعة: الاسترجاع وإعادة الاستخدام المحلى للوثيقة (سواء يدويًا أو إلكترونيًا).

المرحلة الخامسة: الاقتناء والتكشيف عن طريق الأرشيف المركزى.

المرحلة السادسة: الاسترجاع وإعادة الاستخدام المركزى للوثيقة.

المرحلة السابعة: التوزيع الأولى والثانوى.

المرحلة الثامنة: تقرير مصير الوثيقة: الحفظ الدائم أو المؤقت أو الاستبعاد والإتلاف.

المرحلة التاسعة: إدارة النظم.

والمرحلة الأخيرة: هذه ليست بمرحلة لأنها تشمل الإدارة الكلية للمراحل السابقة جميعاً وتضم على سبيل المثال تصنيف درجة السرية، تحديد كلمة السر للملفات الإلكترونية وغير ذلك من الإجراءات الداخلية.

وكما أشرت سابقًا هناك شيء من الخلط فى مفهوم مصادر المعلومات، وقد جاء هذا الخلط أساسًا نتيجة لإدراج المصادر التكنولوجية داخل المفهوم. ورغم هذا الخلط والتداخل فإن الخبراء ينظرون إلى المفردات الآتية على أنها تكون مصادر المعلومات الأساسية فى المؤسسات:

أ ـ البيانات:

معظم المؤسسات تقوم بفرز وتوليد العديد من البيانات عن نشاطاتها أو نتيجة لتلك الأنشطة. وهكذا فإن وزارة الإسكان على سبيل المثال تعد بيانات عما لديها من مساكن شاغرة، الحالة المادية للمساكن، السكان وما يدفعونه من إيجار أو أسعار وغير ذلك من بيانات. كذلك فإن الشركة الصناعية قد تولد معلومات خاصة بعمليات الإنتاج بها ولا تقتصر تلك المعلومات على عدد المفردات المصنعة فى فترة معينة ولكن قد تمتد تلك

المعلومات إلى الآلات والمعدات المستخدمة فى تصنيعها ومعدلات العائد من وراء المصنعات وعدد العمال المشتغلين فى إنتاجها ومعدل فترات المرض ومعدلات التسويق عن طريق المنافذ المختلفة والمناطق والأشخاص المسوقين والباعة أنفسهم. كذلك فإن المؤسسات المختلفة تجمع بيانات عن أسواقها والظروف الاقتصادية المحيطة بها داخل بلدها والأسواق الخارجية التى تصدر إليها وهلم جرا. كل هذه البيانات وغيرها هى فى غاية الأهمية وبعضها له أهمية خاصة أكثر من الأخرى لأنها ببساطة تساعد الشركات على سبيل المثال على إنتاج سلع مربحة واكتشاف أسواق ومناطق جديدة للتصدير. وبعبارة أخرى بعض المعلومات لها ميزة تنافسية أمام معلومات أخرى ويجب أن تحرص عليها الشركة إذا كان لها أن تفيد من المميزات التى تقدمها.

ب ـ السجلات:

ترتبط البيانات فى الأعم الأغلب بسجلات الأحداث والأشياء والأشخاص، وعلى سبيل المثال فإن سجلات الموظفين تعرف بالفرد وتشمل كثيراً من البيانات الشخصية مثل السن والشهادات والوظائف السابقة والتدريب والجنس والحالة الاجتماعية وتاريخ الالتحاق بالخدمة وغير ذلك مما يتصل بالفرد. ومرة أخرى فإن السجلات قد تتصل بإدارة الإنتاج نفسه والمنتج النهائى مثل التصاميم الخاصة بالمنتجات والمعدات والنماذج الأولى ودراسات السوق والجدوى. وربما يكون جانب كبير من تلك السجلات نصياً وتنطوى على ملفات كاملة من التقارير ونتائج الاختبارات والمراسلات مع العملاء والموردين. ولقد كانت السجلات من كل هذه الأنواع المجال الخصب لموضوع «إدارة السجلات» وتتخذ الإجراءات الكفيلة بحفظها الحفظ الكافى، وتأمينها واختزانها واستبعادها عندما تستنفد أغراضها. ومن الجدير بالذكر أن مصطلح السجلات هذا لم يعد ينصرف فقط على السجلات الورقية بل أصبح يدور كذلك حول سجلات الحاسب الآلى وغيره مما تفرزه تكنولوجيا المعلومات.

ج ـ النصوص:

المعلومات النصية مكانها الطبيعى فى المكتبات ومراكز المعلومات حيث تقتنى وتنظم وتختزن وتسترجع على شكل مطبوعات ومصغرات فيلمية، وعادة ما تنشر تلك المواد

خارج المؤسسة ولا تقوم المؤسسة بإنتاجها كما هو الحال وإن كانت المكتبة هي المكان الطبيعى للتقارير والبحوث والدراسات التى تتوفر المؤسسة عليها. ومن الجدير بالذكر أن «النصوص» لم تعد مجرد نصوص ورقية بل غدت أيضاً نصوصًا إلكترونية؛ ومع تطور نظم الميكنة المكتبية وخلق وإعداد الكثير من الوثائق الإلكترونية داخل المؤسسات نفسها، أصبحت المؤسسات منتجة لبعض النصوص وإن بقى الجانب الأكبر من النصوص يرد إليها من خارج المؤسسة.

د ـ الوسائط المتعددة:

فى ظل التطور التكنولوجى الهائل فى مجال المعلومات أصبح هناك وسيط واحد يحمل المعلومات بأشكال مختلفة: النص المكتوب، النص المنطوق، النص المصور. ولم تعد القضية قضية مواد سمعية بصرية فقط. وتعتبر أقراص الليزر التى تنتشر الآن انتشار النار فى الهشيم من أهم الوسائط المتعددة.

هـ ـ تكنولوجيا المعلومات:

تضم تكنولوجيا المعلومات الحاسبات والاتصالات البعيدة والبرمجيات وغيرها مما يساعد المؤسسة على نقل واختزان وتيسير الإفادة من المعرفة التى تتيحها المصادر السابقة ومن الطبيعى أن تلجأ المؤسسة إلى الاستعانة بتلك التكنولوجيات وذلك للسيطرة على الكم الضخم من المعرفة البشرية التى تحتاجها المؤسسة فى عملها. ومن هذا المنطلق فإن الاتصالات البعيدة بما فى ذلك الأنظمة التليفونية والفاكس تعتبر من بين الأدوات الهامة فى عملية السيطرة هذه. ولقد غدا البريد الإلكترونى من أهم وسائل الاتصال التى حلت محل البريد الورقى. ويعتنق البعض مبدأ أن تكنولوجيا المعلومات هى في حد ذاتها «مصادر معلومات» رغم أنها لا تحمل المعلومات بل هى مجرد قناة لتوصيل المعلومات من مظانها المختلفة.

وإلى جانب هذه المصادر يجب أن نضيف «النظم الخبيرة» و«الذكاء الاصطناعى» ومن بينها على سبيل المثال نظم التعلم التى يتم تخليقها من خلال تكنولوجيا الشبكة العصبية. إن نظمًا مثل هذه الأنواع التى توجه المستفيد إلى مصادر أخرى للمعلومات والمعرفة الشخصية للأفراد، إنما تلعب دوراً فى تقديم المعلومات وإن كانت أقل توثيقًا،

وربما تكون فى وقت قريب الوسيلة الأساسية التى تستخدم عن طريقها المعلومات التى تحقق أهداف المؤسسة.

وكما لاحظنا سابقًا يدخل فى «إدارة المعلومات» موضوع اقتصاديات المعلومات حيث أن المعلومات قد غدت سلعة تباع وتشترى وتنطوى على تكلفة وأجور إنتاج وتحتاج القضية من هذه الزاوية إلى عملية إدارة وتقييم «قيمة المعلومات». ولعل أخطر قضايا المعلومات هى«قيمة المعلومات» وهى قضية شغلت علماء المعلومات فترة طويلة؛ كما أن هذه القضية هى فى حد ذاتها مشكلة كبيرة لأن قيمة المعلومات يمكن أن تتحدد بطرق مختلفة سواء فى لغة الحديث أو لغة المحاسبة والحسابات. ورغم ذلك كله فإن ثمة إجماعاً على أن قيمة المعلومات يمكن أن تتحدد فى سياق وعلى ضوء استخدامها والانتفاع بها ومن ثم فإن هذه القيمة هى أصلاً مفهوم مساق المستفيد وليست مفهوم مساق المنتج. وربما يعنى هذا أن قيمة المعلومات هى قيمة بعدية تتحدد بعد الاستعمال وليس قبله وعلى ضوء مواقف محددة. وقد استخدمت بعض المصطلحات للتعبير عن ذلك الاتجاه مثل «قيمة الاستعمال» و«القيمة فى الاستعمال» على النحو الذى قال به أ. ج ريبو على سبيل المثال فى بحثه «المدخل الثنائى إلى قيمة المعلومات: تقييم قيم الاستخدام والتبادل» سنة ١٩٨٦. ومن جهة ثانية فقد ثار جدل كبير حول تحميل المستفيد جزءًا من تكاليف المعلومات التى يفيد منها أى تكاليف عمليات القيمة المضافة.

وقد جرت محاولات عديدة لمعالجة مشكلات تحديد العلاقة بين التكلفة والعائد ومن بين تلك المحاولات ما قام به كل من ف. و. هورتون و ج. إس. برودن سنة ١٩٨٨ فى البحث الذى قاما به حول الطريقة التى استخدمتها وزارة الخارجية الأمريكية لتقدير قيمة تنفيذ استراتيجيات إدارة المعلومات فى «نظام معلومات الشئون الخارجية». وتتألف دورة حياة المعلومات فى هذا النظام من تسع مراحل منذ وضع المسودة الأولى وحتى الاستبعاد، كما بنيت التقديرات أيضًا على كمية الوقت الذى يبذله موظفو الوزارة فى كل مرحلة من المراحل، كذلك وضعت تقديرات أثر هذه النظم الجديدة على الوقت المبذول فى الحصول على المعلومات لحساب المكاسب التى يحققها النظام ومن بين المكاسب التى حققها النظام نجد:

- تحسين الإنتاجية (الكفاءة فى الأداء).
- تحسين نوعية اتخاذ القرار.
- تحسين أداء العمل (الكفاءة فى العمل).
- تحسين معدل التعلم.
- تعظيم أهمية وظيفة العمل.
- إحلال الميكنة محل بعض الأعمال اليدوية.
- وقف أو اختصار بعض الأعمال اليدوية كلية.
- تبديل بعض الموظفين.
- اختصار أو إلغاء بعض الخطوات الوسيطة.
- تداخل أعظم فى الوظائف.
- حاجة أقل إلى العمل الكتابى.
- حاجة أقل إلى الاعتماد على الملفات الورقية.
- إعادة استخدام أكثر للأصول المعلوماتية.
- وقت استجابة أسرع.
- تقليل الفاقد فى الوقت.
- إحكام أكثر للأمان وتقليل خرق الاستعمال.
- تقليل فرص فقد المعلومات.

ومن الواضح أن كثيراً من تلك المكاسب يعزى إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات أكثر مما يعزى إلى طبيعة المعلومات نفسها، إلا أن المعلومات التى تستخدم معها تلك التكنولوجيات لابد وأن تكون ذات قيمة.

إن تحسين الإنتاجية هى إحدى الثمرات المؤكدة للإدارة الفعالة للمعلومات، وهذا

الجانب تم التركيز عليه فى مؤتمر البيت الأبيض حول الإنتاجية سنة ١٩٨٦ وحيث تكشف فيه أن تكاليف العاملين بالمعلومات كانت تكاليف غير منظورة ومتضمنة داخل التكاليف الإضافية. ونحن نعنى هنا بالعاملين فى المعلومات أى شخص عمله الأساسى فى المؤسسة هو إعداد المعلومات ويندرج تحتهم كل مديرى العموم وموظفى الإدارة المالية ومديرى شئون العاملين وغيرهم ممن ينحو نحوهم.

وكانت الطريقة التى اقترحها مؤتمر البيت الأبيض لتحديد إنتاجية العاملين فى مجال المعلومات تقضى بقسمة متوسط أو معدل قيمة العمل المضافة (بعد طرح تكاليف العمليات نفسها) على تكلفة موظف المعلومات الواحد. وهذه الطريقة فى الحساب اعتبرت مقياساً لإنتاجية العامل على مستوى وحدة العمل. وقد عرفت قيمة العمل المضافة على أنها القيمة المضافة الباقية بعد إسهامات المساهمين وبعد أخذ تكاليف الموردين وموظفى العمليات والتشغيل فى الحسبان. وعلى ذلك فإن المؤسسات المختلفة يجب أن تتبنى طرقاً محددة لحساب قيم العمل المضافة، وحساب تكاليف أساليب جمع المعلومات المناسبة، ولتعريف الفئات المختلفة من العاملين فى المعلومات، ومن ثم يمكن تحديد القيمة المضافة للفئات الفرعية.

إن مدخل القيمة المضافة إلى اقتصاديات المعلومات يمكن تتبعه بوضوح فى كتاب آر. إس تايلور المعنون «عمليات القيمة المضافة فى نظم المعلومات» سنة ١٩٨٦. ومن قوله فى ذلك الكتاب:

« إن نظم المعلومات إن هى إلا سلسلة من العمليات الرسمية التى تعزز القيمة والفائدة المحتملة من وراء الرسائل الفكرية المدخلة. وتلك هى الخطوات التى تضاف عن طريقها القيمة إلى المفردات الداخلة إلى النظام، أيًا كانت تلك المفردات... هذه العمليات تضيف قيمة ما سواء استطعنا تحديد هذه القيمة أم لم نستطع».

ويقدم لنا تايلور منظومة من عمليات القيمة المضافة فى نظم المعلومات ويقسمها إلى عمليات: التنظيم، التحليل، التقييم، ثم اتخاذ القرار. وكل مجموعة من هذه العمليات ينتج عنها تحويل البيانات إلى معلومات ثم إلى معرفة عامة ثم إلى معرفة منتجة ثم إلى فعل حقيقى.

ويشارك تايلور آخرين فى أن «قيمة» المعلومات ليست ملكية ملموسة واقعية، ولكنها أمر مثار تفاوض بين مشغلى النظام والمستفيدين منه؛ وبمعنى آخر فإن المستفيدين من المعلومات هم الذين يصدرون أحكامهم حول قيمة المعلومات من خلال السياق الذى يستخدمون فيه تلك المعلومات ويطبقونها.

إن أدوات إدارة المعلومات تأتى من عدة مجالات ساهم كل منها فى تطوير هذه العملية وعلى سبيل المثال التصنيف واسترجاع المعلومات من علم المكتبات والمعلومات؛ تصميم قواعد البيانات وتطويرها من علم الحاسبات؛ دورة حياة الوثيقة (الدورة المستندية) من إدارة السجلات؛ تدقيق الاتصالات من علم النفس التنظيمى؛ تحليل عائد التكلفة وتقدير القيمة من إدارة الأعمال. إن إعداد «صندوق الأدوات» لمدير المعلومات يتطلب أساساً خلفية واسعة لمعرفة ماذا يوجد فى المجالات المساهمة، ولمعرفة كيف نختار وننسق الأساليب التى يمكن تطبيقها على المشكلة التى بين أيدينا. وهناك مداخل للعديد من هذه المجالات، ولكن تبرز على السطح أساليب محددة ذات صلة وثيقة بفكرة إدارة المعلومات تستحق أن نتوقف عندها هنا.

من بين تلك الأساليب أسلوب أو فكرة «تدقيق المعلومات»، وقد استقيت من التدقيق المالى أو تدقيق الحسابات فى المحاسبة المالية. وهى أساليب عامة طيعة تستخدم وتطبق للتأكد من أن المؤسسة تواكب وتتبع المعايير المالية والقانونية فى إدارتها المالية وعادة ما يتخذ مدققو المعلومات الصبغة الاستشارية التى تسعى إلى إعلام المستفيدين بالأنظمة الموجودة وتطبيقاتها؛ وكذلك تقييم ملاءمة تلك النظم ومعاييرها ودورها فى تحقيق أهداف المؤسسة وأغراضها.

ولقد قامت آر. باركر سنة ١٩٩٠ بتحديد خمس فئات من تدقيق المعلومات: تلك المبنية على نموذج عائد التكلفة؛ تلك التى تحدد خريطة العلاقات بين المصادر؛ المداخل الهجين التى تجمع بين ملامح الفئتين السابقتين؛ تدقيق معلومات الإدارة؛ التدقيق الاستشارى الإجرائى الذى يربط الهدف التنظيمى ومتطلبات المعلومات وتطويع القواعد والمعايير.

وبعد أن حللت آر. باركر تلك الفئات الخمس قدمت نموذجاً مثالياً لتدقيق

المعلومات يتألف من عشر مراحل:

١ ـ ضع الأهداف الإجرائية وحدد البيئة التنظيمية.

٢ ـ حدد احتياجات المستفيدين من المعلومات.

٣ ـ احصر مصادر المعلومات.

٤ ـ حدد جوانب فشل النظام ونقاط الضبط الأساسية.

٥ ـ قيم جوانب الفشل فى النظام.

٦ ـ اختبر نقاط الضبط الأساسية.

٧ ـ ضع الحلول البديلة لجوانب الفشل فى النظام.

٨ ـ قيم تلك البدائل.

٩ ـ راجع اتساق النظام مع القواعد والمعايير الموجودة.

١٠ ـ اقترح التوصيات المناسبة.

إن تحديد هوية مصادر المعلومات يتطلب فنيات قريبة الصلة بتلك المتعلقة بالفهرسة، أى أن المصادر يجب أن توصف كما توصف الكتب، طبقًا لتقنين ممارسة قياسى.

وإن مصطلح «خريطة المعلومات» ليرتبط ارتباطًا وثيقًا باسم فورست وودى هورثون، وإن كان آخرون قد استخدموه من أمثال دى. بست سنة ١٩٨٥، ولقد استخدمه بست فى سياق إدخال تكنولوجيا المعلومات فى المؤسسات، كما اتخذ مدخلاً تحليليًا للنظم فى تطوير استراتيجية تكنولوجيا المعلومات.

ولكن على الجانب الآخر كان هورثون هو المسئول عن تطوير تدقيق المعلومات إلى أداة ذات بنية متينة أطلق عليها اسم «خريطة المعلومات» وقد وضع لها برنامجاً عرف باسم «خرائطى المعلومات». وكان الكتاب الذى وضعه كل من بورك وهورثون والبرنامج الذى طوراه يمثلان طريقًا متيناً فى تحديد وتسجيل مصادر المعلومات فى المؤسسة، ووضع مفاتيحها على حسب الأقسام والمستويات الطبقية وكذلك تحديد

ملكيتها ومسئولية تحديثها وغير ذلك من الأمور مثل التنقية والاستبعاد. ويذهب الكتاب فى الواقع أبعد مما ذهب إليه البرنامج فى وضع الرسومات الخاصة بخرائط المعلومات وفى طرق قياس تكاليف وقيمة المعلومات.

ولقد سبق أن تناولت فى مقال سابق قضية تدقيق الاتصالات بشىء من التفصيل، وقد كان تدقيق الاتصالات أسبق وجوداً من إدارة المعلومات كأداة فى دراسة واستقصاء الاتصالات فى مجال نظرية التنظيم، وعندما خرج من هذا المجال وجد لنفسه مكاناً فى إدارة المؤسسات حيث يستخدم فى تحديد حواجز الاتصال ومعوقاته داخل المؤسسة وإمكانيات تحسين ذلك الاتصال وتطويره. وفى هذا الصدد تعتبر الأدوات التى وضعها ج. م. جولد هابر وحده سنة ١٩٧٤ ثم هو وزميله دى. بى. روجرز سنة ١٩٧٩، من أهم أدوات تحسين الاتصال وتطويره داخل المؤسسات. ومن جهة ثانية فإن الأدوات التى طورها الاتحاد الدولى للاتصالات واستخدمها فى الكشف عن الاتصال بين الإدارة والعاملين فى المؤسسة، تدخل هى الأخرى فى عداد الأدوات الهامة فى تطوير الاتصال وتحسينه. ومن المؤكد أن لكل من أ. بوث وإس. بوتر أثره البالغ فى وضع نظريات وإرساء أسس تدقيق الاتصالات فى سنوات ١٩٨٦، ١٩٨٨، ١٩٩٠، ولهما الفضل فى استخدام تدقيق الاتصالات فى قياس فاعلية تكنولوجيا المعلومات فى المؤسسة وفى الاتصالات الشخصية وبين الإدارة والعاملين وكذلك فى نشاط العلاقات العامة.

ورغم أن لتدقيق المعلومات أثره البالغ والمتزايد فى الجوانب المختلفة فى إدارة الجودة وتأكيد الجودة، إلا أن هذه الآثار هى الأخرى واضحة فى تأكيد العلاقة بين خدمات المعلومات والمستفيدين من تلك المعلومات.

ويتعلق بإدارة المعلومات قضية من أخطر قضايا العصر ألا وهى قضية الإتاحة والخصوصية وأمن المعلومات أى قضية المعلومات والقانون. ذلك أن إدارة المعلومات تهدف بالدرجة الأولى إلى تعظيم كفاءة وفاعلية المؤسسات عن طريق الإفادة من المعلومات وإتاحة الوصول إلى المعلومات المناسبة بطريقة أكثر اقتصاداً فى الوقت والتكلفة. ومع ذلك فإن هذا الهدف يحمل فى طياته مشكلة وصعوبة تحديد من يحتاج إلى المعلومات والبيانات وعما إذا كانت هناك ضرورة لحماية خصوصية الأفراد فى

طلبهم واستخدامهم للمعلومات؛ وما هى مستويات الأمن التى يتطلبها الأمر ليس فقط لتحقيق الخصوصية بل أيضاً لحماية الذكاء التنافسى.

وفى المملكة المتحدة وضع قانون حماية البيانات لسنة ١٩٨٤م الأسس القانونية لحماية البيانات الشخصية المختزنة فى الحاسبات وملفاتها الآلية وكفل للمواطنين دقة تلك البيانات وحمايتها من إساءة الاستخدام. وثمة بعض الشكوك حول مدى تحقيق هذا القانون للأهداف التى وضع من أجلها، خاصة أن التكاليف التى يتحملها المواطن للحصول على المعلومات يحددها مالك المعلومات نفسه وهو الذى يفرضها وقد تكون عالية.

وفى أوروبا بصفة عامة وضع مشروع حماية البيانات الشخصية سنة ١٩٩٢م وذلك بقصد الاستهداء به فى صياغة تشريعات تلك الحماية فى كل دول أوروبا لتحقيق التجانس فيما بينها فى هذا السبيل، ولحث الدول التى لم تكن قد أصدرت تشريعاتها فى هذا الصدد على إصدارها. والأهداف العامة فى ذلك المشروع هى نفسها تقريباً الموجودة فى التشريع البريطانى ولكن جاء ضمن «الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان». وفى التشريع أو لنقل مشروع الاتفاقية الأوروبية عرفت الملفات الشخصية تعريفاً واسعًا يغطى ليس فقط الملفات الإلكترونية ولكن أيضاً الملفات اليدوية؛ وحتى الآن هناك قلق وخلط حول مستقبل تطبيق وتشغيل هذه الاتفاقية التى صاغتها وتديرها «شعبة المجتمعات الأوروبية» وخاصة أنه ليس هناك اتفاق حول مفهوم البيانات الشخصية لدرجة أن البعض ينادى باعتبار فهارس المكتبات والبيانات الببليوجرافية بيانات شخصية.

وفى الولايات المتحدة اعترضت «جماعة قيادة حماية النظم» المؤسسة سنة ١٩٨٦م بشدة وبعنف على قصر إتاحة المعلومات والوصول إليها على المعلومات الحكومية بزعم تحقيق الأمن القومى. وفى سبيل حماية ما سمى بالمعلومات الحساسة ولكن غير السرية اقترحت الجماعة مجموعة من القيود تفرض على تداول تلك المعلومات.

وقبل الاتجاهات الجارية فى حماية البيانات الشخصية لم يكن المكتبيون ورجال القانون يفكرون فى أكثر من حماية حقوق المؤلفين ولكن فى نهاية قرننا العشرين

تغيرت الصورة تمامًا وأصبح المكتبيون وأخصائيو المعلومات مطالبين بأن:

١ ـ تحمل مسئولية التعرف الكامل على جميع القوانين المتعلقة بالمعلومات والتى تؤثر فى عملهم.

٢ ـ القيام بدور حلقة الوصل بين الهيئات التشريعية والمصادر البشرية المنتجة والمستهلكة للمعلومات وأقسام نظم المعلومات الإدارية وذلك للتنسيق بين الأنشطة المختلفة والتأكد من أن تشريعات المعلومات تفى باحتياجات هذه العناصر جميعاً فى نشاطها اليومى مع المعلومات.

٣ ـ التأكد من مرونة القوانين والتشريعات الصادرة وإمكانية تطبيقها داخل مؤسساتهم.

٤ ـ الدفاع عن أية تغييرات يتطلبها الموقف والتكنولوجيا الجديدة فى التشريعات والقوانين المعمول بها واقترح التعديلات والتطويرات التى يرون إدخالها.

وفى حديثنا عن إدارة المعلومات يجب أن نفرق بين «سياسة المعلومات» من جهة واستراتيجية المعلومات من جهة ثانية، ذلك أن سياسة المعلومات أوسع كثيراً من الاستراتيجية ويمكن وضعها على أى مستوى من التنظيم بدءاً من المستوى الدولى وحتى مستوى المؤسسة الواحدة والقسم الواحد داخل المؤسسة. ولقد أصبحت سياسة المعلومات مثار جدل كبير على المستوى الدولى فى أوروبا بعد محاولة الشعبة الأوروبية للمساعدة فى تطوير وتنمية صناعة المعلومات الأوروبية.

وكما أشرنا سابقًا كان التركيز فى السياسة الوطنية للمعلومات فى المملكة المتحدة على فرص الاستثمار فى قطاع المعلومات وما سمى بـ«المعلومات القابلة للإتجار» فى الدوائر الحكومية المختلفة التى يمكن أن تدر عائداً عليها وتدخل فى عداد فرص الاستثمار. وبعد الدعوة التى أطلقتها الولايات المتحدة إلى ما عرف بالطريق السريع للمعلومات سنة ١٩٩٤ فتح القطاع العام والقطاع الخاص فى كثير من دول العالم أبوابه لفرص الاستثمار فى المعلومات. وكما سنرى فى بحث تال فى هذه الدائرة انتشرت فكرة الطريق السريع للمعلومات شرقاً وغربًا بعد تبنى إدارة الرئيس الأمريكى بيل كلينتون لمشروع الطريق الوطنى الأمريكى للمعلومات الذى بنى على إنجازات الإنترنت التى حققتها الإدارة الوطنية للاتصالات البعيدة والمعلومات سنة ١٩٩٣.

لقد خرجت «إدارة المعلومات» من حقيقة أن المعلومات هى أهم عنصر فى نجاح أي مؤسسة تجارية أو صناعية وازدهار وإنتاجية أى أداة حكومية أو قطاع عام. وأيًا كان المستوى التنظيمى فإن سياسة المعلومات تكون وظيفتها الأساسية تحديد الأهداف التى تسعى المؤسسة إلى تحقيقها عن طريق المعلومات. وقد حدد آر. إتسن. لايتل سنة ١٩٨٨ عناصر سياسة المعلومات على أنها:

١ - البيانات.

٢ - أجهزة وبرامج إعداد البيانات.

٣ - نظم المعلومات وخدماتها.

٤ - أدوار الموظفين ومسئولياتهم. وقد أكد لايتل على أن بلورة سياسة رسمية للمعلومات لابد وأن تعترف بالمعلومات على أنها مورد استراتيجى هام وتنظيمى كذلك.

وهكذا فإن هدف هذه السياسة قد يكون إتاحة الوصول إلى مصادر البيانات الموجود فى المؤسسة لجميع أفراد الجهاز التنفيذى والإدارى مباشرة. وثمة هدف آخر لهذه السياسة وهو تقديم معلومات خارجية عن طريق الخط المباشر لموظفى التخطيط والتسويق فى المؤسسة.

أما فيما يتعلق باستراتيجية المعلومات فإنها أضيق نطاقًا من سياسة المعلومات وتدور حول تنفيذ أهداف سياسة المعلومات واصطناع طرق التنفيذ اللازمة وعليه فإن الهدف الثانى المذكور بعاليه يمكن تنفيذه بعدة طرق ومنها على سبيل المثال تدريب العاملين فى المؤسسة وأفراد السكرتارية بالذات على أعمال البحث على الخط المباشر؛ تكليف مكتبة المؤسسة القيام بأعمال البحث على الخط المباشر نيابة عن المديرين ورؤساء الأقسام أو الاستعانة بوكيل لتوصيل المعلومات المطلوبة إلى المسئولين أولاً بأول وكل من هذه الاستراتيجيات له تكاليفه ومحاذيره ومخاطره ومعدلات الوقت الخاصة به ويجب أن يتم تقييمه على ضوء الفوائد المرجوة من ورائه.

وعادة ما يكون لسياسة المعلومات عدد من الأبعاد المختلفة وكل بعد قد ينطوى على

عدد من الاستراتيجيات البديلة التى تصلح لتنفيذه وإنجازه. ومن هذا المنطلق فإن التخطيط الاستراتيجى يصبح ضرورياً لربط عناصر سياسة المعلومات إلى المصادر المالية والبشرية. وربما كان أحسن نموذج على ذلك التخطيط الاستراتيجى هو الدراسة التى قام بها كل من ب. بواندر و ث. مياكى سنة ١٩٩٢ لاستراتيجية إدارة المعلومات فى شركة نيبون للصلب. وقد ركزت هذه الاستراتيجية على محاولة الإبقاء على تنافسية الشركة فى السوق العالمية للصلب. وقد عزا المؤلفان نجاح الشركة فى ذلك إلى:

١ ـ البحث المسحى الدائم للمعلومات الجديدة.

٢ ـ اكتشاف فرص جديدة للاستثمار عن طريق تكنولوجيا المعلومات .

٣ ـ الاستيعاب السريع والواعى للمعلومات من خلال التعليم المنظم.

٤ ـ بث المعلومات من أجل تحقيق ابتكارات جديدة.

٥ ـ الاستخدام الكثيف للمعلومات من خلال التعلم عن طريق الأداء والتعلم عن طريق الاستعمال.

٦ ـ بناء الكفاءة من أجل مشروعات جديدة واستثمارات جديدة باستغلال التكنولوجيات الجديدة والمتاحة.

٧ ـ النظر دائمًا إلى الأمام ووضع استراتيجية واعية لإدارة المعلومات على مستوى الشركة كلها.

ورغم أن هذه الدراسة قد ركزت على استراتيجيات تكنولوجيا المعلومات التى جرى تنفيذها لدعم استراتيجية المعلومات؛ فإن الشركة المذكورة قد أولت اهتماماً كبيراً لنوعية المعلومات نفسها ومحتوياتها وتشاطر المعلومات كأساس فى تطوير الاستثمار طويل الأجل.

وقد ارتفعت أصوات عديدة من كل جانب محذرة من فشل استراتيجيات المعلومات وانعكاس هذا الفشل على سياسة المعلومات نفسها. وعلى سبيل المثال حذر جالبير وزملاؤه سنة ١٩٩٤ من أن أسباب الفشل قد تأتى من:

١ ـ افتقار المؤسسة إلى الفارس الذى يجلس على قمة التنظيم والذى يأخذ على عاتقه النضال من أجل الحصول على المصادر المالية والبشرية ويكرس الوقت والجهد من أجل وضع السياسة والاستراتيجية وتنفيذ مراحلها المختلفة حتى تتحقق أهدافها.

٢ ـ التغير السريع فى بيئة العمل وفى أهداف المؤسسة نفسها بل وقد يتطرق هذا التغير إلى نوع النشاط نفسه.

٣ ـ الافتقار إلى التفهم المتبادل لأهداف الأستراتيجية ووسائل تنفيذها من جانب كل الأطراف المعنية بعملية التطوير.

٤ ـ التوزيع السيىء للأدوار على الأطراف المعنية بعملية التطوير مما يقود إلى السبب الثالث المذكور أو يضيف إليه عامل فشل آخر.

٥ ـ أى اهتزاز فى الميزانية أو الدعم أو التوقيت المخطط له عند إقامة النظام.

ثمة حقيقة مؤداها أن للمعلومات قيمة استراتيجية وقد تأتت هذه القيمة من أن المعلومات تعتبر فى الوقت الحاضر سلعة اقتصادية وموردا هامًا من موارد بعض الدول. ومن هذا المنطلق فإن المعلومات تساعد الشركات على التعرف على الأسواق الجديدة وخلق فرص استثمار جديدة بل وتعتبر المعلومات نفسها فى كثير من الأحيان منتجات للعديد من الشركات تنافس بها فى الأسواق المختلفة.

ومع تأكيدنا على أهمية القيمة الاستراتيجية للمعلومات، إلا أن هذه القيمة لها محاذيرها ومخاطرها فى نفس الوقت وعلى رأس تلك المخاطر إمكانية حصول المنافسين على المعلومات الخاصة بالشركات الأخرى، وكذلك خطورة احتكار السوق بل وابتلاع الكيانات الصغيرة.

ونظرًا لأهمية وخطورة «إدارة المكتبات ومؤسسات المعلومات» ومؤخرًا «إدارة المعلومات»، فإن مدارس المكتبات تفرد لها مقررات خاصة بها فى برامجها ومناهجها. ومن الجدير بالذكر أن الاتحاد الدولى لجميعات المكتبات ومؤسساتها قد وضع مقرراً نموذجيًا فى الإدارة يساعد على خلق نوع من التجانس بين العاملين فى إدارة القطاعات الثلاثة للمهنة: المكتبات، الأرشيفات، مؤسسات المعلومات. ويعتبر عقد السبعينات

عقد إدارة المكتبات ومؤسسات المعلومات سواء من حيث التأليف أو التدريس أو الاهتمام العام؛ وقد شهد عقد الثمانينات اهتماماً متزايداً بهذا الموضوع ففى سنة ١٩٨٣ عقد مؤتمر فى فيينا حول «الإدارة فى مهن المعلومات: مضامين التعليم والتدريب» وقد حضر هذا المؤتمر اثنان وعشرون مشاركًا من ١٣ دولة. وخلال هذا المؤتمر وضع إدوارد إيفانز، مؤلف أحد الكتب الدراسية الشهيرة فى إدارة المكتبات، ١٨ موضوعًا يمكن أن تندرج تحت المجال الواسع المسمى بالإدارة والتدبير. وقد خرج المشاركون بورقة عمل تفصل المكونات الرئيسية للعملية الإدارية وقسمتها إلى مجموعتين: النظرية والعملية. وقد أخذت ميريام تيز من كلية الدراسات فى المكتبات والمعلومات فى جامعة ماكجيل على عاتقها وضع منهج نموذجى فى هذا الموضوع. وقد صممت فى هذا الصدد برنامجًا دراسيًا فى ثمانى وحدات كمدخل إلى الإدارة؛ التخطيط؛ التنظيم؛ تحديد الوظائف؛ القيادة؛ الضبط؛ التسويق؛ العمليات. وقد عقد مؤتمر آخر فى فارنا فى بلغاريا سنة ١٩٨٥م ألقى مزيداً من الأضواء على هذا المجال الحيوى.

وفى لندن سنة ١٩٨٧ عقد مؤتمر ثالث حول تحقيق التجانس فى تدريس الإدارة فى مهن المعلومات الثلاث. ولكن لم نسمع بعد هذا التاريخ عن شىء يذكر فى هذا المجال، وربما يرجع ذلك جزئياً فيما تذكر ميريام تيز إلى حالة التسيب الجارية فى تعليم مهن المعلومات الثلاث وبسببها أغلقت مدارس المكتبات والمعلومات أبوابها فى بعض الدول ولعل آخرها فى سنتى ١٩٩٨، ١٩٩٩م دولة ليبيا التى أغلقت جميع مدارس المكتبات دون سبب ظاهر، كما لجأت دول أخرى إلى إدماج تلك التخصصات فى وحدات أخرى تدرس علم المعلومات أو علم الحاسب أو إدارة المعلومات. لقد ذكرت ميريام تيز فى هذا الصدد أن ثمة تفكيراً متصلاً فى إعادة النظر فى مهمة مهن المعلومات الثلاث بما يمكن أن يطغى على واقع تعليم علم المكتبات فى أمريكا الشمالية، كما أن هناك إعادة نظر ومناقشات ضافية حول المستوى الذى يجب أن يبدأ فيه الإعداد المهنى لأمناء المكتبات وأخصائيى المعلومات والأرشيفيين. وهذه المؤشرات جميعًا تؤكد حدوث تغييرات جوهرية فى تعليم علوم المعلومات فى المستقبل. ومن المؤكد أن التطورات السريعة فى تكنولوجيا المعلومات سوف تفرض تغيرات متلاحقة

فى مجال تعليم الإدارة بل قد تفرض على المديرين مواصلة وإعادة دراسة هذه الإدارة لتحديث معلوماتهم فيها.

إن واقع تعليم إدارة المعلومات إن هو إلا انعكاس تعدد مفاهيمها وتعريفاتها ففى المملكة المتحدة تطرح مدارس المكتبات والمعلومات وأقسامها مقررات «إدارة المعلومات» كمقررات اختيارية وليست إجبارية وفى أحيان قليلة نجد برنامجًا جديدًا يؤدى إلى درجة علمية فى إدارة مؤسسات المعلومات. ومن جهة ثانية نجد منافسة حادة من جانب مدارس وأقسام إدارة الأعمال فى هذا الصدد وحيث يكون التركيز على الدور الاستراتيجى لتكنولوجيا المعلومات وما يتطلبه ذلك فى مجال إدارة تلك التكنولوجيا؛ كذلك تأتى المنافسة من جانب أقسام علم الحاسبات التى بدأت تحس فى التسعينات بانصراف الطلاب عن الالتحاق بها ومن ثم أخذت فى توسيع نطاق مناهجها بتقديم مقررات فى نظم معلومات إدارة الأعمال، وإدارة المعلومات.

والمحاولات التى جرت لتوصيف مقرر أو منهج إدارة المعلومات محاولات محدودة، وربما كان ذلك مما دعا ت. د. ويلسون إلى تحليل محتويات الدوريات الرئيسية فى المجال وخرج منها بالعناصر الآتية:

١ ـ المجالات التطبيقية (مثل الصيرفة، الحكم المحلى، الصناعة...).

٢ ـ الذكاء الاصطناعى (التنافسى).

٣ ـ اقتصاديات المعلومات (بما فى ذلك صناعة المعلومات).

٤ ـ تعليم إدارة المعلومات.

٥ ـ وظائف إدارة المعلومات (مثل تخطيط القوى العاملة، التخطيط الاستراتيجى).

٦ ـ سياسة المعلومات.

٧ ـ نظم المعلومات (بما فى ذلك نظم قواعد البيانات، نظم دعم اتخاذ القرار، الجوانب القانونية، الآثار التنظيمية).

٨ ـ تكنولوجيا المعلومات (ويندرج تحتها عنصران فرعيان هما: الجوانب الإدارية والجوانب التكنولوجية).

٩ ـ استخدام ومستخدمى المعلومات.

١٠ ـ نظرية النظم.

ويصرف النظر عن درجة الاهتمام التى تعطى لكل عنصر من هذه العناصر العشرة فإنها معًا تمثل الجوهر العام لإدارة المعلومات. ومدارس المكتبات والمعلومات التى تقدم مناهج فى إدارة المعلومات فى المملكة المتحدة إنما تمزج بين هذه العناصر جميعاً بطريقة أو بأخرى بناء على أعضاء هيئة التدريس الموجودين بالمدرسة.

والموقف فى الولايات المتحدة لا يختلف كثيراً عن الموقف فى بريطانيا. وإن كان ر. هـ. لايتل قد لاحظ وجود تعارضات وتداخلات بين تلك العناصر فى العديد من مدارس المكتبات الأمريكية.

وفى مدارس المكتبات والمعلومات العربية يكون هناك فى الأعم الأغلب مقرر واحد تحت اسم إدارة المكتبات أو إدارة مراكز المعلومات أو إدارة الأرشيفات أو خليط منها حسب مقتضيات الأحوال.

وسواء كانت إدارة المعلومات موجة عابرة أم طريقًا جديداً لإعادة صياغة دور المعلومات فى الأداء التنظيمى داخل المؤسسات يجب أن يثبت لاختبار الزمن فإن هناك من الشكوك حول أثر إدارة المعلومات فى تفكير المهنيين فى الوقت الحاضر فى العديد من المجالات. ولقد أصبح مديرو خدمات الحاسب الآلى مديرى معلومات بل ولقد أصبحوا مديرين لإدارات المعلومات فى نظم المعلومات الكبرى ومديري سجلات وأرشيفيين وأخصائيى معلومات، وأمناء مكتبات متخصصة. وحاول الأمناء التقليديون أن يغيروا ألقابهم إلى أخصائيى معلومات.

وإذا كان العاملون فى مجال المعلومات يريدون أن ينالوا شرف حمل هذا اللقب وإذا كان لإدارة المعلومات أن تؤتى أكلها وتتجنب الفشل فلابد من ضمان:

أ ـ لابد من قبول إدارة المعلومات كجزء من وظيفة المؤسسة وعملها وليست كمجرد أفكار نظرية. ويتدرج حجم هذه العملية طبقاً لحجم المؤسسة نفسها.

ب ـ لابد من تدريس مقرر إجبارى فى المدارس الأكاديمية والأقسام العلمية بالجامعات

حول إدارة المعلومات حسب مقتضيات الأحوال ولابد من التنسيق فى هذا الصدد بين مدارس إدارة الأعمال ومدارس الحاسبات الآلية ومدارس المكتبات والمعلومات حيث أن كل منها يتبنى مدخلاً مختلفًا إلى الموضوع وقد يحدث ذلك اضطراباً وخلطاً .

ج - لابد من إثراء الموضوع بالبحوث والدراسات الأكاديمية والنظرية التى تضع الإطار الفلسفى العام له. لقد كانت هناك دورية متخصصة فى الموضوع بعنوان: «مجلة إدارة المعلومات» ولكنها توقفت بعد ثمانى سنوات من الصدور (توقفت سنة ١٩٩٣). كذلك لابد من القيام بالدراسات الميدانية والتجريبية وتوثيق التجارب الفعلية التى تمت والإفادة منها فى وضع نظريات علمية فى هذا الصدد وذلك لأهمية وخطورة نظم المعلومات عموماً فى القرن الحادى والعشرين وليس ثمة شك فى أن إدارة نظم المعلومات هى قلب ثورة المعلومات التى نشهدها الآن.

المصادر:

١ ـ حامد الشافعى دياب. إدارة المكتبات الجامعية: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية.ـ القاهرة: دار غريب، ١٩٩٤.

٢ ـ شريف كامل شاهين. تحليل النظام بمكتبات جامعة القاهرة لاستنباط النظام الآلى المناسب .ـ أطروحة دكتوراه .ـ الجيزة: ش. شاهين، ١٩٩١.

٣ ـ محمد أمين البنهاوى. إدارة العاملين فى المكتبات .ـ القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.

4 - Argyris, C. Personality and organization .- New York: Harper, 1957.

5 - Ashworth, W. (edt). Handbook of special librarianship - 3 rd ed - London: Aslib, 1967.

6 - Barker, R. Information audits: designing a methodology with reference to the R and D Division for a pharmaceutical Company .- Sheffield: Sheffield University .- Department of Information Studies, 1990.

7 - Barnard, C. I. The functions of the excutive - Cambridge, Mass. Harvard University Press, 1935.

8 - Best, D. Information mapping: a technique to assist the introduction of information technology in organizations .- **in** .- Cronin, B. (edt). Information management from strategies to action .- London: Aslib, 1985.

9 - Booth, A. Communication audits: A UK Survey .- London: Taylor Graham, 1986.

10 - Booth, A. The Communication audit: a guide for managers .- London: Gower, 1988.

11 - Bowander, B. **and** T. Miyake. "Creating and sustaining competitiveness: information management strategies of Nippon Steel Corporation" .- **in** .- International Journal of Information Management. vol. 12, no. 1, 1992. pp 39 - 57.

12 - Burk, C. F. **and** F. W. Horton. Infomap: a complete guide to discovering corporate information resources.- New York: Prentice - Hall, 1988.

13 - Doughtery, Richard **and** Fred J. Heinitz .Scientific management of library operations .- 2 nd ed .- New York: Scarecrow, 1982 (1 st ed 1966).

14 - Elias, A. W. (edt) .Technical information center administration .- New York: Spartan Book, 1965. (TICA Conference, Drexel Institute of Technology, 1964).

15 - Ellis, D. et al. "Information audits, communication audits and information mapping: a review and surveying" .- **in** .- International Journal of Information Management, vol. 13, no 2, 1993. pp 134 - 151.

16 - Hausdorfer, W. "Guidance for administrators" .- **in** .- Library Trends. vol. 7, 1959. pp 481 - 491.

17 - Howard, P. The Functions of library management .- in .- Library Qeuarterly. vol. 10, 1940. pp 313 - 349.

18 - Joeckel, Carlton B. (edt). Current issues in library administration: papers presented before the Library Institute at the University of Chicago, August 1 - 12, 1938. Chicago: Chicago University Press, 1939.

19 - Johnson, Ian et. alt. (edt). Harmonization of education and training programs for library, information and archival personnel .- **in** .- proceedings of an International Colloquium .- London: August 9 - 15, 1987.(published 1989).

20 - Lyle, G. R. The administration of the college library. - New York: Wilson, 1961.

21 - Metcalf, Keyes (edt). Studies in library administrative problems.- New Brunswick: N. J. Rutgers University Press, 1961.

22 - Roberts, N. **and** T.D.Wilson. Information resource management: a question of attitudes .- **in** .- International Journal of Information Management vol. 7, no. 2, 1987. pp 67 - 75.

23 - Sauer, C. Why information systems fail?: a case study approach .- London: Alfred Walfer, 1993.

24 - Stone, E.W. An analysis of the core administration course of the library schools accredited by the American Library Association .- Rochester: N. Y. University of Rochester Press, 1962.

25 - Stone, E. W. Training for the improvement of library administration .- Urbana: University of Illinois, Graduate School of Library Science, 1967.

26 - Stone, N. "Infofind: a practical tool for managing imformation" .- in .- Information Management Review. vol. 3, no. 4, 1988. pp 39 - 46.

27 - Strassman, P. A. "Improving information worker productivity .- in .- Information Management Review. vol. 1, no. 4, 1988. pp 55 - 60.

28 - Synotte, W. R. and W. H. Gruber. Information resource management: Opportunities and strategies for the 1980 .- London: John Wiley, 1981.

29 - Taylor, R. S. Value - added processes in information systems .- London: Ablex publishing, 1986.

إراتو ثينز ٢٨٤ـ٢٠٢ ق. م

Eratosthenes 284 - 202 B. C

إراتوثينز من كيرين عاش بين ٢٨٤ ـ ٢٠٢ قبل الميلاد تقريبًا، وهى الفترة المرجحة فى معظم المصادر. وثمة فترة أخرى وردت فى قلة من المصادر هى ٢٧٦/٢٧٢ ـ ١٩٥/ ١٩٤ ق. م. وأياً كانت أى الفترتين أصدق فإن عمره يكون قد امتد إلى نحو ثمانين عامًا. والثابت أنه كان أمين مكتبة الموسيون (مكتبة الإسكندرية القديمة) خلفاً لأمين المكتبة أبوللونيوس روديوس (الذى يعتقد أنه كان مديرًا للمكتبة أى بروستاتيس بعد زينودوتس)؛ وسابقًا على أريستوفاينس البيزنطى. وكان من بين أساتذته ومعلميه: زينودوتس، كاليماخوس،أريستون من كيوس وربما أيضا زينو على النحو الذى قال به استرابو. ومن المرجح أنه قد تعلم من زينودوتس وكاليماخوس البيليوجرافيا ونقد النصوص. ولعل أخطر إسهاماته فى هذا الصدد عمله حول «الكوميديا الإثينية القديمة» والذى صحح فيه كثيرًا من أخطاء من سبقوه فى ذلك المضمار وعلى رأسهم لايكوفرون وكاليماخوس ومن بين أعماله الهامة كذلك دراساته عن هوميروس. بيد أنه للأسف لم تصلنا من أعماله سوى قطع صغيرة متناثرة.

ومنذ أن ارتبط منصب مدير مكتبة الموسيون بمعلم البلاط الملكى، فقد كانت شهرته العالمية كباحث وعالم السبب الأقوى فى دعوة بطليموس إيفرجيتس لتولى هذا المنصب الرفيع فى الموسيون. وقد أطلق عليه زملاؤه الباحثون لقب الرئيس أنه الأحسن فى كل مجال. كذلك أطلق عليه لقب الموسوعى لإحاطته العميقة بكل العلوم وربما كان أكثر الألقاب ملاءمة له هو ذلك الذى أطلقه على نفسه «الباحث». لقد كان إراتوثينز النموذج الأول لأمين المكتبة والببليوجرافى العام الذى مكنته ألفته الواسعة بكل مجالات المعرفة من أن يكون صديقًا للباحثين والدارسين فى كل الموضوعات. وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر أن الرعاة الملكيين الذين خدمهم كانوا ذوى رغبات واهتمامات مختلفة تمامًا. وعلى سبيل المثال كان بطليموس الثالث إيفرجيتس (٢٨٨/ ٢٨٠ - ٢٢١ ق.م) يميل إلى دراسة العلوم عندما لم يكن يحارب فى سوريا؛ وكان بطليموس الرابع فيلدباتور (٢٤٤ - ٢٠٥ ق.م تقريباً) مؤلفاً لإحدى التراجيديات وكرم هوميروس بوضع تمثال جالس له فى معبد بناه.

وربما كان وجه شهرة إراتوثينز الحقيقية قد جاء من دقة قياسه لمحيط الأرض. وله أعمال أخرى هامة من بينها كتابه عن ترتيب النجوم والذى ينطوى على صور خيالية فى هذا الصدد وأسس أسطورية. وقد جاء قياسه لمحيط الأرض ضمن عمل من ثلاثة مجلدات يتناول فيه تاريخ الأحداث الأدبية والسياسية والذى عرض فيه بالتفصيل للمنتصرين الأوليمب. ويعتبر أكثر دقة من أي عمل سبقه فى هذا الموضوع. وقد وضع إراتوثينز أيضًا كتاباً فى الأرقام الأصلية وضرب المكعبات. وكتب الرجل أعمالاً مطولة عن تاريخ الفلسفة وعلم لونجينوس وخاصة فيما يتعلق بشعره (إريجون) الذى يرثى فيه إريجونوس وابنته. وله ملاحم شعرية قصيرة من بينها ملحمة هيسويد المتعلقة بموت هذا البطل وملحمة هيرميس (حول الميلاد والأعمال الصبيانية والصعود إلى الكواكب).

وهذه الملحمة يبدو أنها إعادة صياغة فصحى لبعض تراتيل وترانيم هوميروس على طريقة كاليماخوس.

المصادر:

1 - Bentham, R. M. Fragments of Eratosthenes .- London: University of London, 1948. (PH. D).

2 - Sandys, Sir John Edwin. A history of classical scholarship .- 3 rd ed. 1920. (Reprinted. New York: Hafner, 958).

3 - Thompson, Lawrence S. Eratosthenes .- in .- Encyclopedia of Library and Information Science .- New York: Marcel Dekker, 1985. vol. 39.

أدب الأطفال

Children's Literature

يقصد بأدب الأطفال ذلك الإنتاج الفكرى الموجه لهم سواء على شكل كتب أو دوريات أو مواد سمعية بصرية أو برامج حاسب آلى أو أقراص ليزر. والطفولة التى نعنيها هنا هى الطفولة القارئة والتى تبدأ فى نحو الثالثة وحتى الخامسة عشرة، وإن كان البعض يرفعها إلى سن الثامنة عشرة. وداخل تلك الفترة التى تمتد إلى نحو اثنتى عشرة سنة أو خمس عشرة سنة نجد تقسيمات فرعية تتلاءم مع النمو العقلى والوجدانى للطفل ومن ثم يكون هناك إنتاج فكرى يناسب تلك المرحلة العمرية والمراحل العمرية المتفق عليها هى ٣ ـ ٦ (أى مرحلة ما قبل المدرسة)؛ ٦ ـ ٩، ٩ ـ ١٢، ١٢ ـ ١٥، ١٥ ـ ١٨ (وهذه الأخيرة ليس عليها إجماع). أى أن الطفولة القارئة فى الأعم الأغلب تنقسم إلى أربع مراحل عمرية تقابلها أربعة مستويات قرائية لكل منها متطلباتها وشروطها.

ومجال أدب الأطفال هو فى حقيقة الأمر مجال حيوى ديناميكى، يتنوع فى محتواه وشكله ويتزايد فى مفرداته. والحقيقة أن القرن الثامن عشر شهد إدراكاً متزايداً بضرورة الفصل بين كتب الكبار وكتب الأطفال وضرورة وجود وضع إنتاج فكرى مخصوص يستمتع به الأطفال يختلف فى المحتوى والأسلوب عما يوجه للكبار. وفى ذلك القرن

وضعت مجموعة من الكتب تشد الخيال وتلفت الأنظار وكانت الأجيال المتعاقبة من الأطفال تستمتع بها، بينما البعض الآخر يأخذ وقته ثم يختفى وينسى مع الزمن.

وتذكر دوراسميث أن العصر الذهبى لأدب الأطفال هى الفترة بين ١٩٢٥ - ١٩٤٠، بينما روث هيل فيجرز ترى أن الحقبة الذهبية لذلك الأدب هى فعلاً الفترة من ١٩٢٠ - ١٩٥٠. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرى أن النصف الثانى كله من قرننا العشرين هو العصر الماسى لأدب الأطفال، وهو العصر الذى تنوعت فيه أشكال أدب الأطفال وظهر فيه كتاب جديد ومناطق نشر جديدة وزاد عدد الأعمال المنشورة عاماً بعد عام وتنوع المحتوى بشكل لافت للنظر، وظهر فيه فنانو رسوم الأطفال وبدا الفصل بينهم وبين الكتاب حقيقة واضحة. ومهما يكن من أمر فإن الأعمال البارزة فى هذا الفيض من أدب الأطفال قليلة، ويغلب على أدب الأطفال المحلية الشديدة؛ ويندر من بين كتب الأطفال ما يثير الخيال ويجمح بالفكر. والأمل معقود على رباعى كتب الأطفال: المؤلف - الرسام - الناشر - المحرر فى أن يبذلوا جهوداً مخلصة لإنتاج أدب أطفال راق. ثم هناك بعد ذلك الوالدان والمدرسون والمكتبيون الذين يجب ألا يسمحوا بألا يصل إلى يد الطفل إلا كل ما هو جيد. ويجب أن نتذكر المكتبات بمشترياتها هى التى توجه سوق النشر والكتب تنشر طالما كانت هناك حاجة إليها.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أنه فى نهاية القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بإعداد أدوات اختيار كتب الأطفال وفى هذا الصدد تبرز كارولين هيونز كواحدة من الرائدات فى القيام بهذه الأدوات. وكانت تناشد المكتبيين أن يختاروا أحسن ما فى أدب الأطفال وتطالب أولياء الأمور بقراءة الكتب التى يقدمونها لأطفالهم. ومنذ ذلك الحين بدأ الاهتمام بنوعيات كتب الأطفال ومستوياتها من جانب المكتبيين والمدرسين وحتى من جانب أولياء الأمور ولابد أن نعترف بوجود كتب ممتازة للأطفال تلك التى تتسم بالبساطة والصدق؛ العجائب والخيالات؛ سلاسة الأسلوب؛ تنوع المحتويات، الرسومات والإيضاحيات التى تساند النص وتلائمه، الكتب تتحدث إلى كل الأعمار فى كل الأجيال؛ الكتب التى تثرى قارئها بعد أن يغادرها.. إنها تلك الكتب التى تستحق أن توجه للأطفال.

تاريخ كتب الأطفال

ليس لدينا معلومات مؤكدة ويقينية عن كتب الأطفال فى العصور القديمة والوسطى أى على امتداد عصر الخطاطة كله. وربما كانت كتب الأطفال فى تلك المرحلة القديمة كانت قصص ما قبل النوم وقصة العفاريت التى كانت تحكيها الجدات والأمهات للأطفال شفاهة. أما كتب الأطفال المكتوبة فى ذلك الوقت فقد كانت فى الأصل والأساس كتب وعظ وإرشاد وتربية وتعليم تعلمهم الأخلاق والسلوك ومبادىء الدين، أى المعلومات التى كان الكبار يريدونهم أن يعرفوها. وكانت هذه الكتب تدرس فى المدارس أو تلقن عن طريق المؤدبين.

وفى أوروبا كان الخطاطون والرهبان والمتعلمون عمومًا ينسخون الكتب للأطفال وهى وإن كانت محدودة إلا أنها سدت فى تلك الظروف بعض احتياجات الأطفال فى العصور الوسطى ولا نستطيع فى حقيقة الأمر أن نتتبع نشر كتب الأطفال بأسلوب علمى إلا بعد ظهور الطباعة، ذلك أن الطباعة أدت إلى التوسع فى نشر كتب الأطفال من جهة وإلى زيادة عدد النسخ المطبوعة من الكتاب الواحد من جهة ثالثة، وتوسيع رقعة انتشار الكتاب من جهة ثالثة.

ولعل أول كتاب نصادفه للأطفال فى أوروبا بعد ظهور الطباعة مباشرة هو ذلك المعنون: «كتاب الأطفال أو تقرير صغير عن كيف يجب أن يسلك الأطفال» ونشر سنة ١٤٧٥ بالهجاء الإنجليزى القديم. وقد كتب هذا الكتاب بالنثر والشعر ويعالج موضوعات السلوك فى البيت والكنيسة، والمغازلة والزواج، وكان للشباب أكثر منه للأطفال كما ورد فى العنوان. وكثير من فصول هذا الكتاب مأخوذ من مخطوطات سابقة مثل كتاب أرسطو: أ ب ث (الذى انتشر مخطوطًا سنة ١٤٣٠)، وكتاب المجادلة (الذى انتشر مخطوطاً سنة ١٤٣٠ ـ ١٤٤٠).

وكان وليام كاكستون الطابع الإنجليزى الأشهر هو أول من نشر كتب الأطفال فى مطلع حياته النشرية فى بريطانيا حيث نشر «كتاب المجاملة» الذى أشرت إليه سابقًا سنة ١٤٧٧م؛ كما نشر كتاب «فارس البرج» سنة ١٤٨٤م. وقام كذلك بترجمة ونشر كتب الكبار التى كانت تروق للأطفال والشباب مثل كتاب السير توماس مالورى:

موت آرثر ١٤٨٥؛ قصص آيسوب الخرافية ١٤٨٤م؛ رينارد الثعلب ١٤٨١م.

وقد انتشر فى منتصف القرن الخامس عشر كتاب القراءة الأولية فى انجلترا. ورغم تعدد أحجامه إلا أن الحجم الأصلى لهذا الكتاب كان ٢ ٣/٤ × ٥ بوصة وكان يكتب على لوح على هيئة مجداف مغطى بقطعة رق أو فلجان شفافة. هذا الكتاب التعليمى كان يشتمل على الأبجدية، وخليط من الحروف المتحركة والصامتة ومعها البسملة المسيحية «باسم الأب والابن والروح القدس آمين» وصلاة السيد (اللورد). وكان هذا الكتاب متاحًا على لوح خشب حتى يستطيع معظم الأطفال اقتناءه؛ ولكن على الجانب الآخر كان هناك نسخ من الجلد والعاج أو الفضة المطعمة بالحرير. وقد ظلت محتويات هذا الكتاب ثابتة حتى وصل إلى أمريكا، حيث حذف صليب المسيح، ورفعت الحافة المعدنية إلى أعلى وبالتالى أصبح من الممكن وضع درس جديد. ويعد كتاب القراءة الأولية جاءت كتب ووسائل أخرى لتعليم القراءة والكتابة مثل: كتب مبادىء القراءة، الأبجدية المنغمة، وغيرها. وكان كتاب «مبادىء القراءة الملكية» وكتاب «مبادىء القراءة في نيو إنجلاند» من الكتب واسعة الانتشار الأولى فى بريطانيا والثانى فى أمريكا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر وحيث كانا من الكتب المقررة. وكان الكتابان يشتملان على أبجديات منغمة وكانت الحروف تصنع من مكعبات خشبية وتلحق بالكتابين، كما كانت مقاطع مختلفة من الكلمات أيضاً تصنع بهذه الطريقة. وكان فى الكتابين صلوات وأغانى دينية؛ وأسئلة وأجوبة. وكانت هناك ملايين النسخ التى تباع منهما.

وكان من بين الكتاب المحببين إلى الأطفال رغم أنه كان كاتباً للكبار جيمس جينواى. وكان كتابه: «عملة رمزية للأطفال: تقرير دقيق حول تحولات [دينية] ونماذج حياة ووفيات بطولية لأطفال صغار» نشر فى لندن ١٦٧١ ـ ١٦٧٢ وفى أمريكا لأول مرة سنة ١٧٠٠م وقد ظهر فيما بعد بصيغة أخرى وعنوان مطول هو: «عملة رمزية للأطفال فى نيوإنجلاند أو بعض نماذج الأطفال الذى كان الخوف من الله يملؤهم بوضوح قبل موتهم، فى أنحاء عديدة من نيوإنجلاند. حفظت ونشرت لتشجيع التقوى لدى الأطفال الآخرين وكانت العناوين الطويلة هى سمة تلك الفترة.

وفى سنة ١٦٧٨م قام جون بونيان بنشر كتابه «تطور الحاج» وهو عبارة عن قصة

رمزية عن رقى النفس البشرية. وقد أعادت صياغتها مارى جودولفين سنة ١٨٨٤، وفى سنة ١٩٣٩ صورها بمهارة روبرت لوسون. وثمة كتابان آخران كتبا للشباب ولكنهما اليوم يعتبران من أمهات كتب الأطفال أولهما كتاب روبنسون كروزو الذى كتبه دانيل ديفو الذى نشر لأول مرة سنة ١٧١٩م وثانيهما رحلات جليفر التى توفر عليها جوناثان سويفت وظهر لأول مرة سنة ١٧٢٦م.

ولم تنتشر كتب الأطفال الترفيهية على أساس تجارى قبل أربعينات القرن الثامن عشر وكما رأينا كان الأطفال والشباب قبل ذلك العقد يقرأون كتب الكبار. وكانت أول دائرة معارف مصورة للأطفال هى كتب الدائرة التى وضعها كومينيوس باللغة الإنجليزية سنة ١٦٥٩.

ومن أحسن الكتب التى نشرت للأطفال فى نهاية القرن السابع عشر ذلك الكتاب الفرنسى الموسوم (حكايات أمنا الأوزة) التى ظهرت سنة ١٦٩٧م والتى ترجمها إلى الإنجليزية روبرت سامبر سنة ١٧٢٩. وينطوى هذا الكتاب على ثمانى حكايات من حكايات العفاريت المحببة إلى الأطفال فى كل العصور. وهناك آراء مختلفة حول ما إذا كان تشارلز بيرولت أو ابنه بيير هو الذى كتب أو بمعنى أدق سجل «سندريللا»، «الجمال النائم فى الغابات»، «القطة فى الحذاء العالى»، «الأحمر الصغير يركب السرج»، تلك الحكايات التى كانت تحكى وتقص فى بلاط لويس الرابع عشر. وقد قامت مارسيا براون بوضع إيضاحيات وصور «سندريللا» و«القطة فى الحذاء العالى» من رواية بيرولت.

وقد ترجمت ليالى العرب أو ألف ليلة وليلة وهى حكايات شهر زاد عن العرب والشرق لأول مرة إلى الفرنسية على يد أنطوان جالاند من مخطوطة سورية سنة ١٧٠٤ وفى سنة ١٧١٢ ترجمت ونشرت بالإنجليزية. ورغم أنها مكتوبة أساسًا للكبار إلا أن فيها ما يروق الأطفال مثل «علاء الدين والمصباح السحرى»، «على بابا والأربعون لصًا»، «سندباد الملاح»، «البساط السحرى».

وفى سنة ١٧١٥م قام إسحق وات بنشر مجموعته من «الأغانى الدينية والأخلاقية للأطفال». وقد اشتملت على أغانى المهد والترانيم المعروفة التى تعكس حب الأطفال

والرغبة فى تعريفهم بالله الذى يحبهم.

ولم تنفصل عملية نشر كتب الأطفال وتجارتها عن كتب الكبار إلا فى القرن الثامن عشر ويعزى الفضل فى هذا إلى جون لوك الذى نشر كتابه الرائع «أفكار حول التربية» سنة ١٦٩٣ والذى أكد فيه على ضرورة أن يكون للأطفال «بعض الكتب السهلة المبهجة» كالنصوص المدرسية والحكايات القديمة التى تستقى من الموروث الشفوى. وقد تأثر بهذه الدعوة أول ما تأثر كل من توماس بورمان ومارى كوبر اللذان كانا أول ناشرين متخصصين فى كتب الأطفال. وقد نشرا ١٧٤٠ ـ ١٧٤٣ كتاب «التواريخ العملاقة» و«كتاب الأغانى الجميلة» لتونى ثومب سنة ١٧٤٤. وقد سبقا بذلك جون نيوبرى الذى أقام مشروعًا عظيمًا لنشر وتجارة كتب الأطفال وكان أول كتاب نشر هو «كتاب الجيب الجميل الصغير» سنة ١٧٤٤، ومن بين كتبه الشهيرة «تاريخ حذائى العجوز الصغيرة». ويشار إلى جون نيوبرى على أنه أول ناشر يقيم مشروعات هامة فى كتب الأطفال وتجارتها، ذلك أنه لم يكتف بالدفاع عن الكتب التى تجلب البهجة للأطفال ولكنه كتب بعضها، ونشرها وباعها بحماس منقطع النظير. وكان كتابه الأول كما قدمت هو كتاب الجيب الجميل الصغير، وكان ذا غلاف أزرق ومذهب ٣/٤ ٣ × ١/٢ ٢ بوصة. وقد أثبت نيوبرى بهذا الكتاب أنه فعلاً يريد أن يسعد الأطفال ويمتعهم وحيث ضمن هذا الكتاب خطابات إلى السيد تومى الصغير والآنسة الجميلة بوللى والتى يزعم أن كاتبها هو جاك القاتل العملاق، يمدحهما فيها لحسن سلوكهما فى البيت والمدرسة وأثناء اللعب. ويتضمن الكتاب ألعابًا منغمة ثم بعد ذلك يشرح الحكمة أو القاعدة الأخلاقية الموجودة فى الحياة والتى تنطبق على كل لعبة. وقد نشر كتاباً آخر مسلياً للأطفال وهو: «مجلة ليلليبوت» (جزيرة الأقزام) وقد نشر سنة ١٧٥٢ وقد جلد بالكرتون السميك المصنوع من الورق الهولندى. وكان نيوبرى يشجع أصدقاءه دائمًا على الكتابة للأطفال وكان من بينهم أوليفر جولد سميث الذى يعزى إليه كتابه «التاريخ المشهور لحذائى العجوز الصغيرة» والذى يطلق عليه أحيانًا «حذاء السيدة مارجرى» وربما كان أول كتاب قصصى يكتب خصيصًا للأطفال ونشر سنة ١٧٦٥م. وهذا الكتاب ذو الغلاف الرقيق الصغير وحجمه الأصلى ٤ × ٣/٤ ٢ بوصة فيه حبكة قصصية سريعة ولكن يغلب عليه سرد الأحوال

الاجتماعية المعاصرة له فى الريف الإنجليزى. ويقال بأن جون نيوبرى قد جمع «ألحان الأوزة الأم أو أغانى المهد» سنة ١٧٦٠ ـ ١٧٦٥ ولكن لم تصلنا نسخة منها والتى يعتبرها المفكرون أول مجموعة ترانيم إنجليزية لأطفال المهد. ومن المعروف أن اتحاد المكتبات الأمريكية قد خصص جائزة باسم نيوبرى عن كتب الأطفال وتمنح سنويًا منذ ١٩٢٢ لكاتب أحسن كتاب من كتب الأطفال المنشورة فى العام السابق على المنح.

ولقد كان منتصف القرن الثامن عشر نقطة تحول رئيسية في كتب الأطفال وإنتاج كتب الأطفال وقد دعا إلى ذلك تغير الاتجاهات نحو الطفولة؛ وانسحار الأمية وانتشار التعليم، فرص أفضل وظروف أحسن للتعليم مما أدى إلى أن يتخصص بعض الناشرين فى نشر كتب الأطفال.

وفى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر نشرت كتب أطفال عامة رخيصة السعر أطلق عليها كتب الباعة الجائلين أو «قصص المليم» حيث كان الكتاب يباع بست بنسات على أرصفة الشوارع على يد الباعة الجائلين. وكانت هذه الكتب الرديئة الإنتاج عبارة عن قصص شعرية وحكايات شعبية وقصص بطولية تتراوح صفحاتها ما بين ستة عشر إلى أربعة وستين صفحة. وقد نشر كثير من قصص ألف ليلة وليلة بهذه الطريقة.

وكان هناك نوع آخر من الكتب سجل مبيعات عظيمة هو كتاب الكرتون المؤلف من ثلاث صفحات كرتونية ويطلق عليها بالإنجليزية بلتدور وعلى صفحة منها صور حيوانات وعلى الثانية الأبجديات وعلى الثالثة قصص أخلاقية قصيرة. وقد توفر على نشر هذه الكتب لأول مرة بنيامين كولنز سنة ١٧٤٦ وهو تاجر كتب من سالسبورى وشريك جون نيوبرى.

وفي سنة ١٧٦٢م قدم جان جاك روسو فلسفة جديدة فى التربية أحدثت صدمة فكرية جديدة فى حينها وذلك فى كتابه (إميل أو التربية). فقد اعتقد أنه يجب أن يسمح للأطفال بأن ينطلقوا خارج الأبواب ويتعلموا من التجارب والأنشطة بعيدًا عن كل الكتب ماعدا كتب روبنسون كروزو، يصحبهم بالغ صبور. وقد أثرت فلسفة روسو هذه لمدة قرن على الأقل على المؤلفين ومن بينهم توماس داى، أنا لايتيا

باربولد، سارة ترمر، ماريا إدجوورث. لقد بدأ هؤلاء المؤلفون يختارون موضوعات تجتذب الأطفال وتحدث لهم صدمة فكرية.

وفى القرن التاسع عشر تحسنت وسائل إنتاج كتب الأطفال ودخلت إليها الرسوم والإيضاحيات الملونة، وزاد عدد العناوين المنشورة زيادة واضحة؛ وحدث تلامح ملحوظ بين الثقافات؛ وظهرت قصص العفاريت وروبنسون كروزو والقصص الأخلاقى المتأثر بالفلسفة التربوية الجديدة التى دعا إليها جان جاك روسو، ظهرت فى معظم اللغات الأوروبية بل وعبرت الأطلنطى أيضاً فى نهاية القرن التاسع عشر.

وقد حاول المؤلفون فى القرن التاسع عشر أن يقدموا أعمالاً إبداعية للأطفال تجلب البهجة إلى نفوسهم. فى سنة ١٨٠٧ قام تشارلز ومارى لامب بنشر «قصص من شكسبير. وفى السنة التالية نشرا «مغامرات أولسيس» سنة ١٨٠٨م وقد اشتهر جوهان فايس الكاتب السويسرى بكتابه «روبنسون الأسرة السويسرية» ١٨١٣ والتى ترجمت إلى الإنجليزية سنة ١٨١٤. وقام الكاتب كليمونت مور بكتابة قصيدة خاصة لأطفاله سنة ١٨٢٢م بعنوان «زيارة من سانت نيقولاس» ولم تلبث أن نشرت فى جريدة سنتنيل فى ٢٣ من ديسمبر سنة ١٨٢٣. وقد توفر رسامون عظام من أمثال آرثر راكهام، جيسى ويلكوكس سميث، ليونارد ويسجارد، برايان وايلد سميث بإضفاء لمسات رائعة من رسوماتهم على قصيدة عيد الميلاد هذه.

وفى تلك الفترة أيضًا ظهر الأخوان جريم: فيلهلم وجيكوب (يعقوب) ونشرا «القصص الشعبية» وترجمت إلى الإنجليزية وأعد رسومها جورج كرويكشانك سنة ١٩٢٣. وكان الأخوان جريم لغويين أرادا أن يحفظا لغة الفلاحين بعيدًا عن عبث الذين جمعوا تلك القصص. كذلك ترجمت القصص الخرافية التى كتبها هانز كريستيان أندرسون إلى الإنجليزية ونشرت فى انجلترا سنة ١٨٤٦. هذا الكاتب الدنمركي الخجول حاز شهرة عالمية فائقة بسبب الـ ٦٨ قصة عفاريت التى توفر عليها. وظهر كتاب إدوارد لير «كتاب العبث» فى نفس السنة ١٨٤٦. واللغة التى اخترعها لير فى هذه «اللمركيات» (اللمركية قصيدة فكاهية خماسية الأبيات) تثير شغف أطفال اليوم كما كانت تثير الأطفال منذ قرن مضى. وقد ظل كتاب إدوارد لير (أ ب ت)

المخطوط المرسوم مطموراً إلى أن أنيط عنه اللثام ونشر سنة ١٩٦٥. وقام أوجدن ناش بتكملة كتاب لير «خانوق الدجاج» ورسمته نانسى بوركيت رسماً جميلاً ونشر ١٩٦٨ ويعتبر واحداً من أشهر كتب لير. ومن بين الكتاب الإنجليز الذين كانوا يكتبون للكبار وكتبوا أيضاً كتبًا راقت للصغار الكاتب الشهير تشارلز ديكنز ومن بين كتبه لهم (أغنية عيد الميلاد والسمكة السحرية)، وكذلك الكاتب وليام ميكبيس ثاكيراى (الوردة والخاتم)؛ السير والترسكوت (حكايات جد).

وأخيراً فى سنة ١٩٢٧ ظهر فى أمريكا أول كتاب كتب ونشر للأطفال الأمريكيين (حكايات بيتر بارلى عن أمريكا) وكان جزءًا من سلسلة طويلة كتبها صمويل جودريتش كتبها تحت الاسم المستعار بيتر بارلى. وفى أمريكا أيضًا قام يعقوب آبوت ـ مؤلف من نيوإنجلاند بكتابة سلسلته حول «روللو». وعلى الرغم من أن كلا المؤلفين كان معلمًا، إلا أن كتب الرحلات التى كتباها لعبت دوراً هامًا فى الأدب الأمريكى. ومن جهة أخرى كان من بين الكتاب الأمريكيين الذين تركوا بصمات دائمة فى أدب الأطفال، الكاتب الشهير واشنطون إيرفنج الذى اشتهر بكتاب الاسكتش ١٨١٩، ١٨٢٠م والكاتب ذات الصيت ناتانيل هوثورن الذى وضع «كتاب العجائب» ١٨٥٢، «حكايات تانجلوود» ١٨٥٣، والكاتب الرائع هنرى لونجفيلو فى كتابه «أغنية هايواثا» سنة ١٨٥٥، «رحلة بول ريفير» سنة ١٨٦٠.

وفى منتصف القرن التاسع عشر ظهرت قصص البحر: بيتر سمبل، مستر ميدشبمان إيزى، ماسترمان ريدى التى ألفها الكابتن فردريك ماريات (١٧٩٢ ـ ١٨٤٨). كذلك ظهرت حكايات المغامرات: تجار الفراء الشبان، صيادو الغوريللا للكاتب روبرت مايكل بالانتاين (١٨٢٥ ـ ١٨٩٤). ونشرت أيضاً فى تلك الفترة القصص المدرسى مثل: أيام دراسة توم براون وتوم براون فى أكسفورد للكاتب توماس هوز (١٨٢٢ ـ ١٨٩٦). وكان هناك إقبال شديد على هذه الفئات الثلاث من كتب القصص الموجهة للأطفال.

فى القرن التاسع عشر كان هناك ثلاثة من كتاب الأطفال الإنجليز لاقت كتاباتهم نجاحًا كبيرًا فى الولايات المتحدة فى مطلع القرن العشرين هم: جوليانا هـ (جائى)

إيونج (١٨٤١ ـ ١٨٨٥)؛ مارى لويزا (ستيوارت) موليزوورث (١٨٣٩ ـ ١٩٢١). ثم شارلوت مارى يونج (١٨٢٣ ـ ١٩٠١). لقد كانت إيونج كاتبة خصبة واشتهرت بسلسلتها كنوز الملكة والتى كان من بين كتبها «المغرور» سنة ١٨٨٤، «الجنيات السمراء الصغيرة وقصص أخرى» سنة ١٨٧٠. واشتهرت موليزوورث بقصص العفاريت الخرافية والقصص الواقعية على السواء. ومن بين قصصها «ساعة الوقواق» سنة ١٨٧٧، «حجرة السجاد» سنة ١٨٧٩، الجزر، مجرد طفل صغير ١٨٧٦. أما الآنسة يونج رئيسة تحرير المجلة الشهرية باكيت مجلة الأطفال البريطانية فقد نشرت كثيراً من الكتب داخل بريطانيا توفر على رسمها فيما بعد مارجريت دى أنجلى ومن بين كتبها: حمامة فى عش النسر؛ الأمير والوصيف، الدوق الصغيرة.

فى سنة ١٨٦٥ ظهرت قصة «أليس فى بلاد العجائب» للمؤلف لويس كارول وهو اسم مستعار اتخذه تشارلز لوتويدج دودجسون. وقد أحدثت هذه القصة دوياً هائلاً وترجمت إلى لغات عديدة منها اللغة العربية فيما بعد. وجاء بعد هذه القصة ولنفس المؤلف قصة «من خلال الزجاج الشفاف» سنة ١٨٧١. وهذا البعد الجديد فى الكتابة للأطفال أثبت أن كتب الأطفال لم تعد وعظية ولم تعد أخلاقية وحسب كما سنرى فيما بعد. وكانت فى حقيقة الأمر بداية عهد جديد فى الكتابة للأطفال. وفى نفس سنة ١٨٦٥ نشرت قصة «هانز برنكر أو سمك الورنك الفضى» التى كتبتها مارى ميبس دودج وجاءت بعدها قصة لويزا ماى ألكوت «نساء صغيرات» سنة ١٨٦٨ وقد ترجمت هذه القصة إلى العربية بعد نحو قرن من ظهورها.

وكان من بين من كتبوا للبنات فى أمريكا فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر: سوزان وارنر (١٨١٩ ـ ١٨٨٥) التى كتبت «الدنيا الواسعة الواسعة»، «كويشى» وذلك باسم مستعار هو إليزابث ويثريل. ومن بينهم كذلك مارتا فينلى (١٨٢٨ ـ ١٩٠٩) وهى التى عرفت باسم مارتا فاركوهارسون وهو الاسم الغالى لفنلى وهى التى كتبت «إلزى دنسمور» و٢٥ تتمة لأعمال أخرى. وكانت هناك أيضًا سارة تشونسى (١٨٣٥ ـ ١٩٠٥) وكانت تكتب تحت اسم مستعار هو سوزان كولدج وهى التى كتبت «ماذا فعلت كاتى» وكتبت تكملة لها بعد ذلك. ومن بين الكاتبات الشهيرات أيضًا هاربيت لوثروب (١٨٤٤ ـ ١٩٢٤) التى استخدمت اسمًا مستعاراً هو مارجريت سيدنى وقد

كتبت «خمس فلفلات صغيرات وكيف نمت لتصبح سلاسل» وقد بدأتها سنة ١٨٨٠ .

أما الصبيان فى تلك الفترة فكانوا يستمتعون بقصص المغامرات التى كان يكتبها آنذاك وليام تايلور آدمز (١٨٢٢ ـ ١٨٩٧) الذى كان يستخدم اسمًا مستعارًا هو أوليفر أوبتيك، ومن بين كتاب الصبيان أيضًا تشارلز أوستن فوسريك (١٨٤٢ ـ ١٩١٥) الذى استخدم اسماً مستعاراً هو هارى كاستلمون. ومن بينهم كذلك هورايتو ألجير (١٨٣٤ ـ ١٨٩٩). وفى تلك الفترة ذاع صيت قصص المغامرة التاريخية ومن بينها: «تحت علم المدفع» و«مع كليف فى الهند» اللتين كتبهما الكاتب الإنجليزى جورج ألفرد هنتى (١٨٣٢ ـ ١٩٠٢) وقد انتشرت قراءتهما على جانبى الأطلنطى.

لقد كان الهدف التعليمى والأخلاقى هو محور اهتمام جل كتب الأطفال فى القرن التاسع عشر وما بعده. وكما قدمت كانت «الأغنيات الإلهية» التى كتبها إسحق وات سنة ١٧١٧ النموذج الذى ساد فى دور الحضانة والمدارس الابتدائية فى القرن التاسع عشر. وقد انتشرت فى ذلك القرن الكتب المصورة وذلك لازدهار أساليب الإنتاج الميكانيكى للكتب. وكانت الصور فى بعض الأحيان أهم من النص نفسه. ومنذ منتصف ذلك القرن كما سنرى فيما بعد تحول كثير من الرسامين الجادين من أمثال راندولف كالدكوت والتركرين وكيت جرينواى إلى كتب الأطفال لرسمها وتصويرها وفتحوا باب عهد الكتاب المصور الحديث. ومن الجدير بالذكر أن اتحاد المكتبات الأمريكية قد خصص ميدالية باسم جرينواى تمنح كجائزة لأحسن كتاب مصور وقد بدأت الجائزة سنة ١٩٥٥. وممن أثروا فى أدب الأطفال فى القرن التاسع عشر وكان لهم بصمات على رسم الشخصيات وتصوير الخط الدرامى فردريك فارار الذى بدأ ذلك الأسلوب الجديد ووضع أسس القصة الحديثة وذلك فى قصته الشهيرة «إريك أو قليلاً قليلاً» سنة ١٨٥٨. ولم ينته القرن إلا وكانت إ. نسبيت قد حازت شهرة عظيمة بسبب سلسلتها من القصص المحلى. وظهرت فى نهاية القرن أيضًا مجلات الأطفال مثل مجلة «شعوب صغيرة» التى كان من بين من يكتب فيها للأطفال هـ. و. كنجستون والسيدة جوليانا إيونج التى أشرت إليها من قبل، تلك المجلة انتشرت انتشارًا واسعًا بين الأطفال حتى توقفت عن الصدور (١٨٧١ ـ ١٩٣٣).

لقد أفرز لنا القرن التاسع عشر بعض كتب الأطفال التى تدخل فى باب

الكلاسيكيات أى الأمهات ذات القيمة الدائمة. ونورد فيما يلى قائمة بأهم تلك الأعمال الأساسية مرتبة زمنياً:

١٨٧١	خلف الرياح الشمالية	- جورج ماكدونالد
١٨٧٢	غنى - أغنية	- كريستينا روسيتى
١٨٧٦	مغامرات توم سويار	- مارك توين (صامويل كليمنس)
١٨٧٧	الجمال الأسود	- أنا سويل
١٨٧٩	تحت النافذة	- كيت جرينوى
١٨٨٠	أوراق بيتركين	- لوكريتيا هالى
١٨٨٠	الملك آرثر	- سيدنى لانيير
١٨٨٣	جزيرة الكنز	- روبرت لويس ستيفنسون
١٨٨٣	ليال مع العم ريموس	- جويل تشاندلر هاريس
١٨٨٣	المغامرات المرحة لروبين هود	- هوارد بايل
١٨٨٤	هايدى (أول ترجمة إلى الإنجليزية)	- جوهانا سبراى
١٨٨٥	مغامرات هاكلبرى فن	- مارك توين
١٨٨٦	اللورد فونتيلروى	- فرانسيس بيرنت
١٨٨٨	أوتو ذو اليد الفضية	- هوارد بايل
١٨٩٢	مغامرات بينوكيو (أول ترجمة إلى الإنجليزية)	- كارلو لورنزينى
١٨٩٤	كتاب الأدغال	- روديارد كبلنج
١٨٩٩	الباحثون عن الكنز	- إديث نسبيت بلاند

ومع مطلع القرن العشرين حتى نهاية النصف الأول منه زادت أهمية كتب الأطفال فكريًا واقتصاديًا، وارتفع عدد الكتب المنشورة بنسبة ٧٠٪ مما كان عليه الوضع فى القرن التاسع عشر، ونجحت الكتب المغلفة نجاحًا ملحوظًا. وقد خصص اتحاد المكتبات

الأمريكية الجائزة الميدالية منذ سنة ١٩٣٦ لأحسن كتب الأطفال وقد فاز بها لأول مرة آرثر رانسوم عن كتابه بوستة الحمام. وقد شهد النصف الأول من القرن العشرين كذلك ظهور كثير من كلاسيكيات كتب الأطفال ومن بينها «الرياح فى الصفصاف» للمؤلفين روبيرت بير، وينى ـ ذا ـ بوه، وغيرهما.

وكان لدخول وسائل الاتصال الجماهيرى أثره فى توسيع انتشار أدب الأطفال وقد بدأ ذلك بالراديو ومسلسلاته الإذاعية. وبعد ١٩٤٥ بدأت دولية أدب الأطفال ومعها تحسن نوعية إنتاج تلك الكتب وزاد عددها فى بريطانيا والولايات المتحدة وذلك للتصدير إلى الخارج ودخلت اليابان وروسيا إلى مجال أدب الأطفال بثقلهما وإن كان إنتاجهما محليًا أكثر منه للتصدير بسبب اللغة.

وكان لظهور الاتحادات والمجالس الدولية أثره فى ميدان نشر وترجمة وتبادل أدب الأطفال ومن بين تلك المؤسسات الدولية «مكتبة الشباب الدولية» بمجموعاتها الغنية، «المجلس الدولى لكتب الشباب» وجائزته الميدالية باسم هانز كريستيان أندرسون. ولقد أصبح بعض كتاب الأطفال عالميين فى شهرتهم وقراءة كتبهم ومن بينهم وليام ماين، لوسى بوسطون، فيلبيا بيرس، بيتر ديكنسون. وبعض الكتاب غير الناطقين بالإنجليزية تترجم أعمالهم إلى الإنجليزية ومن بينهم بول بيرتا، ديك برونا، أستريد لندجرن. ولقد دخل الكتاب الكنديون والاستراليون والنيوزيلنديون إلى مجال كتب الأطفال ليحتلوا مساحة من كتب الكبث باللغة الإنجليزية ودخلوا فى منافسة مع الإنجليز والأمريكان.

وفى الربع الأخير من قرننا العشرين دخلت السينما والتليفزيون والفيديو والحاسب الآلى والإنترنت لتكمل الكتاب المطبوع والمجلة المطبوعة أحيانًا ولتنافسها أحياناً أخرى، رغم أن المطبوعات ماتزال تتربع عرش أدب الأطفال وتجتذبهم أكثر من تلك الوسائل التى تضعف البصر وتهز الأعصاب كثيراً. وقد خرج الدارسون بأن ساعة واحدة أمام تلك الوسائل تجهد البصر والأعصاب فى مقابل عشر ساعات قراءة متصلة فى المطبوعات.

وأقدم فيما يلى بياناً بإنتاج أهم الدول من كتب الأطفال من حيث عدد العناوين

وعدد النسخ حسب آخر إحصاء توفر للباحث وهو سنة ١٩٩٨؛ ونعنى بأهم الدول هنا التى تنتج فى المتوسط ألف عنوان فأكثر وعدد هذه الدول قليل فى حقيقة الأمر وهى على حسب عدد الكتب المنتجة فى ذلك الإحصاء حسب السنة المرفقة:

الدولة	عدد العناوين	عدد النسخ المنشورة	السنة
البرازيل	١٠٣٥٤	٤٤,٩٩٨,٠٠٠	١٩٩٤
بريطانيا	٨٢٠٧	- -	١٩٩٦
الولايات المتحدة	٥٣٥٣	- -	١٩٩٦
ألمانيا	٤٦٠٢	- -	١٩٩٦
كوريا الجنوبية	٤١١٣	١٣,٩٩١,٠٠٠	١٩٩٦
الصين	٣٠٥٣	١٤٣,٨٧٠,٠٠٠	١٩٩٦
اليابان	٣٤٣٢	٢٠,٠٣١,٠٠٠	١٩٩٦
إيران	٢٦٣٥	٢٦,٨٥١,٠٠٠	١٩٩٦
ماليزيا	٢٥٠٣	- -	١٩٩٦
أسبانيا	٢٣٤١	١٩,٤٣٢,٠٠٠	١٩٩٦
فرنسا	٣١٣١	- -	١٩٩٥
روسيا الاتحادية	٢١٠٠	- -	١٩٩٦
إيطاليا	١٧٥٣	٢٤,٣٥٣,٠٠٠	١٩٩٦
كندا	١٣٦٠	- -	١٩٩٦
الدنمرك	١٣١٢	- -	١٩٩٦
البرتغال	١٢٢٦	٤,٥٠٤,٠٠٠	١٩٩٦
إندونيسيا	١٢١٢	١,٥٢٦,٠٠٠	١٩٩٦

تاريخ رسم كتب الأطفال

يرتبط تاريخ رسم كتب الأطفال بتاريخ ظهور هذه الكتب نفسها حتى كتب الأطفال الرخيصة التى كان الباعة الجائلون يحملونها وكتب البتلدوريس وكتب مبادىء القراءة كان فيها بعض الرسومات التى تعد عن طريق الكتل الخشبية. وكان أول كتاب مصور للأطفال هو الكتاب المعنون باللاتينية (العالم المحسوس بالصورة) وقد نشر كما ألمحنا

سنة ١٦٥٧ والذى وضعه جون آموس كومينيوس وقد حاول فيه أن يمثل كل عالم المعرفة للطفل واعتبر أول دائرة معارف للطفل كما أسلفت، ورسم فيه كل شيء في عالم الطفل المعاصر له. ويجيء بعد ذلك توماس بيويك (١٧٥٣ ـ ١٨٢٨) الفنان الإنجليزى الشهير والذى عرف برسوماته الرائعة فى كتب الأطفال. وقد عاصره وليام بليك (١٧٥٧ ـ ١٨٢٧) الذى اشتهر بالحفر على ألواح النحاس وألوان الماء. وكان أحياناً في كتب الأطفال يحفر النص والإيضاحيات معاً. ونجد مصداق ما نقول فى كتابه (أغنيات البراءة) التى كتبها ورسمها وجلدها بنفسه من أجل الأطفال. ورغم براعة هؤلاء الأشخاص، إلا أنهم كانوا حالات فردية وأمثلة محدودة فى مدى زمنى واسع. ولكن الاهتمام الحقيقى برسم كتب الأطفال وصيرورته ظاهرة جاء فى القرن التاسع عشر، وحيث قام عدد من الرسامين الجرافيكيين بالإسهام فى رسم كتب الأطفال وظهر منهم جورج كرويشانك (١٧٩٢ ـ ٨٧٨)، والذى رسم كثيراً من الحكايات الشعبية للأطفال مما جعل العفاريت والجنيات والأقزام الخرافية تبدو وكأنها حية تتحرك وكانت الايضاحيات التى رسمها للقصص الشعبية للأخوان جريم هى التى جعلت من هذه الكتب أول كتب مصورة للأطفال فى العصر الحديث. وقد حقق السير جون تنييل (١٨٢٠ ـ ١٩١٤) بعض الشهرة والاعتراف بمقدرته عندما رسم خرافات آيسوب وألف ليلة وليلة، ولكنه حقق الاعتراف الكامل والشهرة الذائعة من خلال عمله الفنى في مغامرات آليس فى بلاد العجائب ومن خلال الزجاج الشفاف ولقد قام آرثر هوز (١٨٣٢ ـ ١٩١٥) فى خلال حياته الطويلة العملية والمثمرة برسم عشرات من كتب الأطفال بالرسومات الأبيض فى الأسود فقط ولكنه اشتهر أكثر ما اشتهر بسبب رسوماته فى كتابى جورج ماكدونالد: فى ظهر رياح الشمال والأميرة والعفريت. وقد اشتهر كل من راندولف كالديكوت (١٨٤٦ ـ ١٨٨٦)، والتركرين (١٨٤٥ ـ ١٩١٥)، كيت جرينواى (١٨٤٦ ـ ١٩٠١) بالرسومات الملونة والرسومات الأبيض فى الأسود على السواء فى كتب الأطفال. وقد استطاع كالديكوت أن يتواصل مع الأطفال من خلال رسوماته التخيلية التى كانت لها جاذبية لا نهاية لها عندهم. وكانت هناك خفة دم واضحة فى رسومه سواء تلك المتعلقة بالحيوانات أو الناس. وكما ألمحت كرمته أمريكا بتقديم جائزة ميدالية باسمه، تمنح سنويًا للفنان الذى يرسم

أحسن كتاب طفل فى العام السابق على منح الميدالية أما والتركرين فقد اشتهر بألوانه المسطحة البدائية وأسلوبه الزخرفى الجذاب. وقد رسم كثيراً من الكتب من بينها حكايات شعبية مشهورة والكتب الرخيصة وسلال الكتب المصورة. وقد اشتهرت كيت جرينواى بحدائقها الإنجليزية المحاطة بسياج الشجيرات والجدران المكسوة باللبلاب وفى داخل هذه الحديقة يبدو أطفالها متأنقين فى القبعات وألبسة الرأس، باعتبارهم محور الاهتمام. وقد اشتهرت أكثر ما اشتهرت بكتب الشعر وكتب الأبجديات والأوزة الأم أو أغانى المهد القديمة.

وقد قاد إدموند إيفانز الطابع الإنجليزى بطريق إلى الرسومات الملونة وخاصة فى كتب الأطفال، واحتضن الرسامين المبدعين وطبع الكثير من أعمالهم. كذلك قامت شركة فردريك وارن بنشر كتب كالديكوت وكرين وجرينواى ومازال هناك الكثير منها برسوماتها الأصلية متاحة اليوم.

وفى ختام القرن التاسع عشر ظهر اثنان من أنجح الرسامين الإنجليز هما ليزلى بروك (١٨٦٢ ـ ١٩٤٠) وآرثر راكمان (١٨٧٦ ـ ١٩٣٩). وقد اشتهر ل. بروك برسوماتها الجذابة لكتب الطفولة المبكرة الكلاسيكية مثل «الدببة الثلاثة» و«الخنازير الثلاثة الصغيرة» وذلك فى مجموعة كتاب الأوزة الذهبية، وكذلك أغانى المهد فى كتاب «دقى يازهور» وأيضًا مجموعة كتبه «جونى كرو». ولقد كان أ. راكمان هو الآخر رسامًا خصبًا وموهوبًا استخدم ألوان الماء والسلويت الأسود فى الجروتسك و«قصص العفاريت الإنجليزية» و«قصص إدجار آلان بو الخيالية»، وحكايات لامب من شكسبير»، و«الأوزة الأم» و«أغنية عيد الميلاد» لتشارلز ديكنز.

ومن بين رسامى أوائل القرن العشرين الانجليز أيضًا يجيء بياتريكس بوتر (١٨٦٦ ـ ١٩٤٣) التى رسمت بجمال منقطع النظير حيواناتها الصغيرة. وهناك كذلك إرنست شبرد (١٨٧٩) الذى رسم كتب أ. أ. ملن المعنونة: وينى ـ ذا ـ بوه، المنزل الذى في ركن بوه، عندما كنا صغاراً جداً، الآن نحن ستة. كما توفر على رسم كتابى كينث جراهام: رياح فى الصفصاف والتنين العنيد.

ويعتبر هوارد بايل (١٨٥٣ ـ ١٩١١) طرازاً فريداً بين المؤلفين الرسامين الأمريكان

حيث وضع أسس أسلوب جديد فى الرسم وذلك عن طريق التفاصيل الدقيقة التى كان يودعها فى الملابس والأماكن التاريخية. وقد اشتهر بصفة خاصة برسوماته البطولية الأسود والأبيض فى كتب: روبين هود، الملك آرثر، أوتو ذو اليد الفضية. وكذلك يشتمل «كتاب القراصنة» على رسومات ملونة جميلة من أعماله التى كان ينشرها أساساً فى مجلة هاربر. وكان من بين تلاميذ بايل: جيس ويلكوكس سميث (١٨٦٣ ـ ١٩٣٥)، نويل سى. وايث (١٨٨٢ ـ ١٩٤٥)، ماكسفيلد باريسن (١٨٧٠ ـ ١٩٦٦) وقد اشتهرت جيسى سميث برسوماتها فى كتاب «الأوزة الأم الصغيرة» ورسوماتها فى كتاب صامويل كروثرز «أطفال ديكنز» وكتاب ستيفنسون «حديقة الطفل من القوافى». أما وايث الذى فاق أستاذه فقد اشتهر بصوره البطولية ثلاثية الأبعاد التى زين بها بعض كتب الأطفال الكلاسيكية مثل الملك آرثر، روبنسون كروزو، فرس فان وينكل. وكانت لألوان ماكسفيلد باريسن الثرية الزاهية وخاصة اللون الأزرق جاذبية خاصة عند الأطفال فى تلك الفترة. وقد اشتهر برسوماته فى ألف ليلة وليلة وكتاب يوجين فيلد «قصائد الطفولة».

مجموعات خاصة ونادرة من كتب الأطفال

هناك مجموعات خاصة كثيرة من الكتب الباكرة والنادرة للأطفال، كانت عوناً للباحثين على دراسة بداية وتطور كتب الأطفال. هذه المجموعات قد تضم كل أعمال المؤلف الواحد، أو الرسام الواحد حول موضوع بالذات أو شكل من أشكال الأدب. وقد تقتصر المجموعة على مجلدات معينة من فترة بالذات. ومن أقوى مجموعات كتب الأطفال الأمريكية تلك المجموعة التى جمعها إيه. إس. روزنباخ. وماتزال هذه المجموعة التى قوامها ٤٠٠٠ مجلد جزءاً من قسم الكتب النادرة فى مكتبة فيلادلفيا الحرة. وفى مقال له بعنوان «كتب الأطفال الأمريكية الباكرة ١٦٨٢ ـ ١٨٣٦» يتتبع الدكتور روزنباخ التاريخ الببليوجرافى لـ ٨١٦ كتاباً فى مجموعته. ونجد فى مجموعته الآن كتب مبادىء القراءة الأولى، طبعات أولى كثيرة لمؤلفين مثل كيت جرينواى، بياتركس بوتر، آرثر راكهام ومطبوعات كثيرة من مطبوعات اتحاد مدارس الأحد الأمريكية.

وقد جمع جمَّاع الكتب الإنجليزى وأمين المكتبة إدجار أسبورن مجموعة قوية من كتب الأطفال الباكرة وأهداها فى سنة ١٩٤٩م إلى مكتبة تورنتو العامة فى كندا. وقد وضعت فى مكان خاص بها تحت اسم «مجموعة أسبورن من كتب الأطفال الباكرة ١٥٦٦ - ١٩١٠» وتبلغ المجموعة نحو ثلاثة آلاف مجلد، يمكن من خلالها رسم تاريخ كتب الأطفال. ويقال أن أوسبورن وزوجته ظلا يجمعان هذه المجموعة التى صادفاها فى طفولتهما.

وهناك مجموعات متخصصة من كتب الأطفال مثل مجموعة لى آسن ودنيس لورنز ومجموعة كارولين فيلد. وهى تلقى الضوء على جوانب محددة فى كتب الأطفال. كما أنها فى الأصل مجموعات خاصة شخصية.

كتب الأطفال فى القرن العشرين

رغم أن كتب الأطفال فى النصف الأول من القرن العشرين كما ألمحت من قبل حققت زيادة وتنوعًا، إلا أن النصف الثانى من القرن كان أروع كثيرًا من نصفه الثانى على النحو الذى كشف عنه الجدول الذى سبق. ذلك أن النصف الأول من القرن قد شهد حربين عالميتين كبيرتين، كما شهد انهيارًا اقتصاديًا بينهما. أما النصف الثانى فقد شهد تنوعًا هائلاً فى إنتاج الكتب وزيادة واضحة فى عدد العناوين المنشورة بحيث أصبحت تمثل نحو ١٠٪ من إجمالى الكتب المنشورة سنويا ولم تقتصر الزيادة على العناوين فقط وإنما تعدتها إلى النسخ ولم يقتصر التنوع على المضمون فقط وإنما امتد أيضا إلى الشكل والقالب. وقد هيأ ذلك المناخ لازدهار كتب الأطفال فى العالم: الرخاء الاقتصادى؛ التطورات التكنولوجية العظيمة فى مجال الطباعة والرسومات والإخراج، ارتفاع معدل الانخراط فى التعليم بين الأطفال، زيادة عدد الأطفال فى العالم، زيادة عدد مؤلفى كتب الأطفال فى العالم كل هذا كان ولابد أن يؤدى إلى ثورة فى أدب الأطفال، ووعى باحتياجات الطفل ورغباته.

وتظهر البرازيل وبريطانيا والولايات المتحدة وألمانيا وكوريا الجنوبية والصين واليابان وإيران وماليزيا وأسبانيا كأكبر عشرة دول منتجة لكتب الأطفال فى العالم ويصل ما تنتجه هذه الدول العشرة وحدها إلى نحو ٥٠٪ من مجموع كتب الأطفال فى العالم.

ورغم أن ما ينشر من كتب الأطفال قد يصل إلى مائة ألف كتاب سنوياً فى نهاية القرن العشرين إلا أن باحثاً مثل فرانسيس دى كودوفا يرى أن شريحة صغيرة فقط من تلك الكتب هى التى تستحق التوقف عندها وتدخل فى باب الكلاسيكيات وتخلق لدى الأطفال عادة القراءة وتحبيبهم فيها.

ولقد افتتح القرن العشرون بظهور كتاب هيلين بانرمان المحبب إلى نفوس الأطفال «سامبو الأسود الصغير» سنة ١٩٠٠ وقد تبعه بزفة كبيرة كتاب روديارد كبلنج «مجرد قصص هكذا» سنة ١٩٠٢، ثم كتاب بياتركس بوتر «أرنب بيتر» سنة ١٩٠٣. وكتاب ليزلى بروك المعنون: «حديقة جونى كرو» سنة ١٩٠٣، وكتاب كينث جراهام «رياح فى الصفصاف» سنة ١٩٠٨م، كتاب السير جيمس بارى «بيتربان ووندى» سنة ١٩١١. وظهر فى تلك الفترة كذلك كتاب أ. ملن «عندما كنا صغاراً جداً» سنة ١٩٢٤، «وينى ـ ذا ـ بوه» سنة ١٩٢٦، «نحن الآن ستة». وكان هؤلاء جميعاً من الكتاب البريطانيين، رغم أن الكتب هى جزء من الأدب الأمريكى للأطفال الذى لا يمكن للمرء أن يخطئه. وهذه ليست كل الصورة بالنسبة لأدب الأطفال الأمريكى. ذلك أنه كى نتحدث عن أدب الأطفال فى أمريكا فإنه لابد وأن نلاحظ أن المؤلفين والرسامين من أنحاء متفرقة من العالم جاءوا إلى أمريكا وعاشوا فيها وكرسوا مواهبهم المتعددة وخبراتهم لإثراء هذا المجال. وعلى سبيل المثال فإن هندريك فيليم فان لون جاء من هولندا إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٠٣م وأحدث بها ثورة فى عالم كتب الأطفال بكتبه الحقائقية فى التاريخ والجغرافيا والتراجم. وكان كتابه الأول: «التاريخ وعود الكبريت» ١٩١٧ ثم أعقبه «قصة البشرية» الذى حاز على جائزة نيوبرى. أما بادرياك كولوم فهو كاتب أيرلندى وصل إلى نيويورك سنة ١٩١٤ حيث بدأ مباشرة يكتب للأطفال صفحة فى جريدة نيويورك تريبون. وكاتبة من بولندا هى ويلى بوجانى كانت فنانة موهوبة تعرفت على كولوم وتعاونا معًا فى إنتاج أعمال للأطفال كان من بينها «ابن ملك أيرلندا» سنة ١٩١٦. أما كيت دوجلاس ويجنز فقد بدأت حياتها العملية سنة ١٨٨٨ بكتابها «أغنية عيد الميلاد للطيور»، وكان كتابها «ربابة مزرعة الغدير المشمس/ ريبكا سنى بروك فارم» قد أحدث دوياً هائلاً وكان من أحسن المبيعات منذ نشر سنة ١٩٠٣. وكذلك فإن فرانسيس هودجسون بيرنت قد

بدأت حياتها العملية سنة ١٨٨٦ ونشر كتابها الشهير «الحديقة السرية» سنة ١٩٠٩.

ولقد حقق أرنست طومسون سيتون وهو مؤلف كندى المولد، نجاحًا كبيرًا وهو فى سن السابعة والثلاثين عندما نشر كتابه «الحيوانات المتوحشة التى عرفتها» سنة ١٨٩٨م، ثم تبعه كتاب «سيرة حياة دب [جريزلى]» سنة ١٩٠٠م. كذلك نشر جاك لندن قصة الكلب الشهيرة المعنونة «دعوة من متوحش» والتى نشرت ١٩٠٣.

وقد كتب إلمر بويد سميث قصته الأمريكية الخالصة «بوكاهونتاس والقبطان جون سميث» سنة ١٩٠٦ وهى التى حولت إلى فيلم رائع للأطفال فى نهاية القرن العشرين وقد اشتهر سميث أكثر بكتبه المصورة وعلى رأسها: المزرعة وعالم الدجاج وقد نشر الكتابان سنة ١٩١٠. وقد نشر جون بنيت بعض القصص البريطانى الرائع مثل: «القبرة القائد» سنة ١٨٩٧ و«برنابى لى» سنة ١٩٠٢. كذلك توفر جوزيف آرتشيللر على نشر بعض المغامرات التاريخية الأمريكية ومن بينها «خيال السهول» سنة ١٩١٠ و«بنادق سباق الثيران» سنة ١٩١٤. أما كورنيليا ميجز فقد أثبتت براعتها عندما نشرت «مملكة الطريق الملتوى» سنة ١٩١٥. وقد اشتهرت بقصصها التاريخية وفازت اثنتان منها بجائزة نيوبرى. كما كتبت قصة حياة لويزا ماى ألكوت تحت عنوان «لويزا التى لا تقهر» والتى فازت عنها بجائزة خاصة سنة ١٩٣٤.

أما القصاصة والمؤلفة روث سوير فقد بدأت الكتابة للأطفال سنة ١٩١٦ بقصتها «هذا الطريق إلى الكريسماس». وفى السنة التالية أى ١٩١٧ توفرت دورثيا كانفيلد فيشر على نشر كتابها «بتسى المفهومة». وفى سنة ١٩٢٠ نشر ستيفن ميدر «القرصان الأسود» وفى نفس السنة أيضاً بدأ هو لوفتنج سلسلته المعروفة «الدكتور دولتيل». وفى سنة ١٩٢٣ بدأ مجموعته الجديدة «رحلات الدكتور دوليتل» والتى فازت بجائزة نيوبرى. أما تشارلز هاويز فقد كتب مجموعة جيدة من الكتب من بينها: المتمردون (١٩٢٠)، السؤال الكبير (١٩٢١)، الفرقاطة الداكنة (١٩٢٣) وهى التى فازت بجائزة نيوبرى سنة ١٩٢٤.

وفى سنة ١٩٢٤ قامت مارجرى كلارك بنشر كتابها «كعك بذور الخشخاش» التى توفر على تصويرها ورسمها مود وميسكا بيترشام. وفى السنة التالية ١٩٢٥ ظهرت

قصة «العروسة الخشبية الصغيرة» التى وضعتها مارجرى بيانكو، وقد أتبعتها بقصتها «الأرنب المخملى» سنة ١٩٢٦ . أما راشيل فيلد فقد صدر لها فى نفس سنة ١٩٢٦ عدد من الكتب؛ وفى نفس السنة نشرت كتابها الشعرى «الفطر والنظام» وفى سنة ١٩٢٩ نشرت كتابها «هيتى» الذى فاز بجائزة نيوبرى سنة ١٩٣٠. وقد جاء بعده سنة ١٩٣١ «أجمة الكاليكو».

فى سنة ١٩٢٨ قام بيرتا والمر هادر بإصدار «كتاب الرحلات المصور» وقد حقق لهذين الزوجين نجاحًا كبيرًا. وفاز كتابهما «الثلج الكبير» بجائزة كالديكوت سنة ١٩٤٩ . وثمة زوجان آخران حققا نجاحاً فى هذا المجال هما مود وميسكا بيترشام وقد بدآ برسم كتب الأطفال وبعد فترة طويلة فى هذا العمل تحولا إلى تأليف كتب الأطفال وبدآ بكتاب ميكى ١٩٢٩ وقد أتبعاه بكتب عن وسائل النقل والمنازل والملابس والأطعمة. . . وفى سنة ١٩٤٦ أصدرا كتاباً عن أغانى المهد الأمريكية والأغانى المقفاة بعنوان «غربان المشواة» وهو الذى حقق لهما جائزة كالديكوت. أما إيريك كيللى فقد حقق نجاحًا كبيرًا من وراء كتابه «عازف البوق من كراكو» وقد نال به جائزة نيوبرى سنة ١٩٢٨ وله عدة كتب أخرى عن بولندا.

ومعظم مؤلفى كتب الأطفال أو المؤلفين الرسامين اللامعين فى النصف الثانى من القرن العشرين بدأوا كتاباتهم فى الثلاثينات والأربعينات. وعلى سبيل المثال فإن مارجورى فلاك بدأ سلسلة قصصه المصورة حول «الكلب أجنوس» سنة ١٩٣٠ بكتابه أجنوس والبط» وتتابع الكتاب وكتبهم بعد ذلك على النحو الآتى:

أليس دالجليش	براد الشاى الأزرق	١٩٣١
إنجرى و ادجار دولير	البساط السحرى	١٩٣١
إليانور فرانسيس لاتيمور	الكمثرى الصغيرة	١٩٣١
أليس جول و فلمنج كرو	طائرة الذعرة	١٩٣٢
كارول برنك	أى شىء يمكن أن يحدث على النهر	١٩٣٤
فرانسيس كلارك سيرز	لباس رأسى أزرق من أجل	

	لوسندا	١٩٣٤
إليزابث إنرايت	كنتو	١٩٣٥
كيت سيريدى	الأستاذ الطيب	١٩٣٥
لويز أندروز كنت	ذهب مع ماركو بولو	١٩٣٥

لقد هيأت العقود الأولى من القرن العشرين الخلفية الأساسية اللازمة لنضج أدب الأطفال فى النصف الثانى من القرن، وتنوعه تنوعاً شديداً فى الموضوعات والأشكال مما جعله يواكب التطورات التكنولوجية التى تفجرت فى الربع الأخير منه. ونستعرض فيما يلى بعض أنماط أدب الأطفال التى نضجت فى النصف الثانى من القرن واستمرت جذورها وبذورها من العقود السابقة.

كتب القصص المصورة

يعتبر أطفال الطفولة الباكرة محظوظين حيث تتاح لهم كمية كبيرة من الكتب المصورة، وبعض هذه الكتب ليس فيها سوى الصور وحدها. والغالبية العظمى منها تنطوى على قصة تلبى احتياجاتهم فى تلك السن ولكن أيضًا يغلب عليها الصور مع نص قصير. وفى كلتا الحالتين فإن الصور تحكى القصة التى لا يستطيع الطفل الصغير أن يقرأ نصها بنفسه ولا يقتصر دور الإيضاحيات على تصوير القصة وتتابع وقائعها، ولكنها بفضل الأساليب الحديثة فى الرسم والتصوير يمكن أن تمد والفنانين الموهوبين تمد الأطفال بخبرات جمالية ثرية. ومن خلال تلك الكتب يستطيع الطفل أن يجد المتعة والبهجة وأن ينمى مهارة القراءة والحصيلة اللغوية. وهذه الكتب تساعده كذلك على أن ينشىء علاقات مع الأطفال الآخرين ويوسع مداركه ورغباته وميوله ويشارك الآخرين فى هذا كله.

وينظر معظم النقاد والمهتمين بأدب الأطفال إلى كتاب «ملايين القطط» الذى كتبته وانداجاج والمنشور سنة ١٩٢٨ على أنه أول كتاب طفل أمريكى مصور، ذلك أن الانسجام التام بين القصة والإيضاحيات قد خلعت على هذه القصة الشعبية الأخاذة جاذبية خاصة للأطفال. وبعد نشر هذا الكتاب المصور، صدرت فى أمريكا وأنحاء

متفرقة من العالم العديد من كتب الأطفال المصورة. وقد تناولت بالتصوير والنص القصير كل الموضوعات التى يهتم بها الأطفال الصغار وتمثلت أعمال معظم المؤلفين والرسامين الكبار.

ويبرز فى هذا الصدد بصفة خاصة روبرت ماكلوسكى الذى صور لنا أسرته فى عدد من القصص الجذابة للأطفال: توت من أجل سال، ذات صباح فى مين، زمن العجائب. وهى جميعاً قصص واقعية استقاها من واقع أسرته الصغيرة. أما كتابه «افسح الطريق للبطيطات» فإنه يدور حول حياة عائلة البط، بينما كتاباه «بيرت دو» و«رجل المياه العميقة» فهما من نسيج بحرى فكاهى.

ويعتبر موريس سنداك من بين رسامى الطفولة المبكرة الذين يخلبون ألبابهم وتبرز مواهبه العميقة فى كتاب «مكتبة نونشيل» ومجموعة كتب «الدب الصغير» التى كتبتها إلسى ميناريك، والكتاب الذى كتبه بنفسه «أين توجد الأشياء المتوحشة» هذا الكتاب الذى قدم للطفل فيضًا من الأمان كلما توحدوا مع ماكس الذى كان يأمر هذه «الأشياء المتوحشة كل مرة. وتأتى الذروة عندما يترك ماكس العالم الخيالى فيجد نفسه فى غرفته حين أحضرت له أمه عشاءً ساخناً.

وتستعرض فيرجينيا لى بيرتون مواهبها كرسامة ومؤلفة وراقصة فى كتبها عن الآلات ومن بينها «مايك موليجان ومجرفته البخارية»، «البيت الصغير» وقد اشتهر هذا الكتاب الأخير بسبب مناظره وأحداثه الليلية ومرور الوقت كما أن الأنغام تنبعث من بين سطوره الراقصة وتنصب فى قلوب كل الأطفال. وممن عالجوا الآلات فى كتاباتهم الباكرة للأطفال هاردى جراماتكى فى «توت الصغير»، «لوبى» «هرقل». ولقد وضع عزرا جاك كيتس إضافات لها شأنها فى كتب الأطفال فقد تناولت قصصه ورسومه التجريدية صوراً حقيقية واقعية للطفل الزنجى الصغير ومن بين أعماله فى هذا الصدد: اليوم المثلج، صفارة لويلى، كرسى بيتر، العيون الجاحظة (جوجلز). ومن بين الكتب الأخرى التى عالجت الطفل الزنجى كموضوع أساسى فيها أو كشخصية محورية (ركن إيفان) الذى كتبته اليزابيث ستار هيل، ورسمته نانسى جروسمان، وكتاب (ستيفى) الذى كتبه جون ستيبتو وكتاب (سام) الذى كتبته آن هربرت سكوت ورسمه رسمًا جميلاً سميون شيمين.

وتصدت كتابات ليو بوليتى لتعظيم وتفخيم الأشياء الأرضية والحياة الروحية وحب الناس وهى مثل وقيم رائعة جعل أبطالها من الصينيين واليابانيين والإيطاليين والمكسيكيين كل منهم يقدم الأطفال إلى الأغانى والعادات والتقاليد السائدة فى بلده وكان للرسوم والإيضاحيات الخلابة أثرها فى جذب الأطفال.

كذلك استطاع ليو ليونى أن يقدم خبرة جمالية لكل طفل استطاع أن يكتشف الدودة الصغيرة فى كتابه «بوصة فبوصة» أو الفأر الشاعرى فى كتابه «فردريك» أو الطائر الحساس فى «تيكو والأجنحة الفضية». أما لودفيج بنيلمانز فى كتبه الخمسة عن مادلين فقد استطاع أن يستبدل رسومات الأطفال الفجة برسوماته هو الملونة بالأبيض والأسود والأصفر فوجد الأطفال أنفسهم فيها.

كذلك استطاعت إيفالين نيس كفنانة ومؤلفة شاملة ومتنوعة أن تدخل إلى قلوب الأطفال من أوسع أبوابها، نجد مصداق ذلك فى كتبها: «سام»، «بالجز وضوء القمر» التى تقع أحداثها بالقرب من الميناء الكبير ذى الفنارة العظيمة وسط عجائب البحر. ويقف كتاب ريبيكا كوديل «ملء جيب من صرار الليل» شاهداً على قلب الريف بتفاحه الأحمر.

ويدخل إلى قلب كتب الأطفال المصورة روجر دوفواسن الذى أبدع بصوره الزاهية وإيضاحياته الواقعية على النحو الذى قام به فى مجموعة كتب زوجته «الأسد السعيد» وكانت زوجته لويز فايتو، قد توفرت على نشر العديد من الكتب لهذه السن. كذلك أبدع فى رسم كتب المواسم والفصول والطقس التى توفر على كتابتها ألفن تريسلت. كما رسم كتبه هو حول «نبات البطونيا»، «الأوزة العبيطة» و«فيرونيكا» فرس النهر الضخم وتشبع لواز لينسكى حب الاستطلاع عند الأطفال الصغار بمجموعة كتبها المعلوماتية التى تدور حول «السيد الصغير» الذى يكبر ويصبح من رعاة البقر ثم قائد طائرة ثم رجل بوليس ثم فلاحاً. وللأطفال فى سن الثانية والثالثة قدمت مجموعة كتب «دافى الصغير» ومجموعة «دبى».

وكان ليونارد فيسجارد فناناً خصبًا فى كتب الأطفال، وقد رسم العديد من كتب المؤلفين المبدعين. وهو فى هذا لم يقتصر على نوع واحد من الكتب بل تناول بريشته

مجموعة متنوعة منها من بينها كتب الصور البسيطة، كتب الشعر، الكتب الكلاسيكية، القصص التاريخي والحديث، وكتب الفن وكتب الدين. ومما يلفت النظر فى أعماله الرسومات التى رسمها لسلسلة كتب مارجريت وايز براون «الكتاب الصاخب» التى جعل الأشكال فيها تعبر عن الصوت والحركة، وتلك الرسومات التى وضعها فى كتاب «الجزيرة الصغيرة» التى نالت جائزة كالديكوت سنة ١٩٤٧ والتى تصور عجائب الطبيعة؛ ورسوماته أيضاً فى «كتاب البيضة الذهبية» الذى يعكس شعوراً ثرياً بالانتماء.

ومن بين هؤلاء المؤلفين الذين أبدعوا فى هذه الفئة من كتب الأطفال لابد وأن نذكر: هـ. ر. ريى ـ جارث ويليامز ـ مارى هول إتس ـ دون فريمان ـ رسل و ليليان هوبان ـ جانيس أودرى ـ تومى أونجرر ـ جين زيون ـ شارلوت زولوتو ـ تيودور جيزيل (دكتور سويس) برايان وايلد سميث.

كتب الأبجديات والعدّ

رغم أن كتب الأبجديات ومبادىء القراءة والعد هى كتب قديمة منذ زمن من المخطوطات وأوائل المطبوعات إلا أنها من الكتب التى لا تبلى مع الزمن أو تخلق مع القدم، بل تتعاقبها الأجيال جيلاً بعد جيل. وفى القرن العشرين أبدع الرسامون فى إنتاج هذه الكتب حتى يحببوا الأطفال فى القراءة والكتابة والحساب. ومن المؤكد أن هذه الكتب تختلف من بلد إلى بلد على حسب اللغة والأبجدية وإن كانت فى كثير من الأحيان تخدم عدة دول تتحدث نفس اللغة وتستخدم نفس الأبجدية والحساب. ومن أقدم الكتب الأمريكية فى الأبجدية كتاب أ ب ت الذى وضعه فى سنة ١٩٢٣ تشارلز فولز الذى رسم الحروف والحيوانات التى تبدأ أسماؤها بها وقد رسمت صور الحيوانات عن طريق الكتل الخشبية. وقد أدخلت وانداجاج التى سبق ذكرها فى كتابها المنغم المعنون «أرنب أ ب ت» أسلوباً جديداً حيث جعلت الأرنب ينسج الحروف داخلاً خارجاً من الصفحات دون أن تتركه يسيطر على المنظر. بينما كلير نيوبرى اشتهرت بصورها عن جميع أنواع القطط فى كتابها «قطيطة أ ب ت» ويستخدم فيودور روجانكوفسكى الألوان البنية فى تصوير الحيوانات فى الحديقة وكل حيوان يدبج بحرفه

الكبير والصغير معاً. ويقترب من ذلك كتاب أ ب ت الذى وضعه جون بيرمنجهام ولكن مع رسومات ذات ألوان بهيجة. ولا يكتفى برونو مونارى فى كتابه أ ب ت باستخدام صور الحيوانات فى إبراز الحروف بل يستخدم كذلك الأطعمة والأشياء فى تمثيل الحروف. وكتاب الأبجدية الذى وضعه سلستينو بياتى باسم «أ ب ت الحيوانات» لا يكتفى برسم الحيوانات التى تبدأ بالحرف ولكنه يكتب أربعة أبيات منغمة تصف الحيوان وهو يؤدى عمله. أما كتاب برايان وايلد سميث عن الأبجدية فهو فلتة بين تلك الكتب المصورة إذ أن ألوانه الزاهية الخصبة تعطى تجربة جمالية لكل الأعمال. وكتاب «أنا أحب آكل النمل الذى يبدأ بحرف الألف» الذى وضعه داهلوف إبكار بنى على أساس لعبة قديمة، حيث يأتى بسطور منغمة تبدأ كلمات عديدة فيها بنفس الحرف المصور. وهذا الكتاب يروق للطفل يحب النطق المنغم للكلمات. وأسهمت كتب أبجديات كل من مارسيا براون «أبجدية بيتر بير»، هـ. أ. ربى «جورج المتطلع يتعلم الأبجدية»، ادوارد لير «أ ب ت» وغيرهم كثيرون فى تقريب الأبجدية إلى عقول الأطفال ووجدانهم.

ويميل المؤلفون إلى معالجة كتب العد بطريقة مختلفة وفريدة؛ فهذا هو فريتز أيكنبرج يجعل العد عن طريق الرقص فى ظل القمر «الرقص فى القمر» حيث تقوم الحيوانات بأداء العد عن طريق الرقص المضحك. وهذه هى فرانسواز الفرنسية المؤلفة والرسامة تعلم العد عن طريق قصة «جين مارى تحصى أغنامها»، بينما تاشا تيودور تعلم العد عن طريق الرسم التقليدى والكلمات المنغمة فى كتابها «١ هو واحد». أما جيمس كروس فى كتابه «٣ × ٣ ثلاثة فى ثلاثة» فإنه يصور العمليات الحسابية بالرسومات حتى رقم ٣ وكتاب العد الذى وضعه داهلوف إبكار (مزرعة البقر البنى) يجعل الحيوانات تجمع وتضرب عن طريق الصور المليئة بالحركة والتنوع.

وكتاب مارجرى وليونارد إيفريت فيشر «واحد و واحد» يبين كيف تركب الأرقام لتعطى أرقاماً جديدة. أما كتاب برايان وايلد سميث ١، ٢، ٣ فهو قطعة من الجمال لكل الأطفال ويجد فيه الطفل الموهوب على الجانب الآخر مفاهيم وأفكاراً لأشكال وتكوينات وقوالب وأرقام هندسية.

كتب الأوزة الأم

معظم أطفال العالم كانت تجربتهم الأولى مع أدب الأطفال هى الاستماع والاستمتاع بأغانى أو ألحان المهد. وهناك عشرات من الكتب التى تجمع هذه الأغانى المألوفة ويسمونها فى الغرب كتب أمنا الأوزة أو الأوزة الأم. وقد كتب هذه الكتب العديد من الكتاب منهم على سبيل المثال لا الحصر: كيت جرينواى، آرثر راكهام، جيس ويلكوكس. وهناك أيضاً من نوع كتب الأوزة الأم كتاب «دقى يا وردة» سنة ١٩٢٢ وقد ألحنا إليه الذى يشتمل على عشرين أغنية أو لحناً فقط ولكنه مزين برسومات ليزلى بروك الخلابة؛ حيث يصور الخنزير الكبير يمتطى الخنزير الصغير حتى يعبر عن أغنية «الخنزير الصغير ذهب إلى السوق». إن إحدى صيغ كتاب الأوزة الأم التى تداولتها الأجيال حتى احتلفت بالذكرى الخمسين لصدور أول طبعة سنة ١٩٦٥ هو كتاب «الأوزة الأم الحقيقية التى توفرت على رسمها بأناقة شديدة وبأسلوب تقليدى بلانش فيشر رايت. أما صيغة «بانوراما الأوزة الأم» والتى نشرتها شركة بلات ومونك فى لفافة مطوية طولها عشرة أقدام وملونة تلويناً رائعًا وموجهة للأطفال من سن ٢ ـ ٣ سنوات. أما طبعة فيودور روجانكوفسكى المعنونة «الكتاب الطويل للأوزة الأم» فهى مصورة بأناقة شديدة وبطريقة مضحكة. فى سنة ١٩٥٤ قامت كاتلين لاينز بنشر كتابها: الخزامى الأزرق (اللافندر) وتوفر على رسمه هارولد جونز. ونشر فى إنجلترا وفى نفس السنة فى أمريكا قامت مارجرايت دى أنجللى بنشر كتابها «كتاب أغانى المهد والأوزة الأم» وكانت لكلا الكتابين جاذبية خاصة وصلت لجميع الأعمار. ومن الطبعات الحديثة لنفس كتاب الأوزة الأم يجب أن نتوقف أمام:

١ ـ فيليب ريد. أغانى الأوزة الأم والمهد. مع رسومات مأخوذة عن طريق الكتل الخشبية.

٢ ـ برايان وايلد سميث. الأوزة الأم. بألوان جذابة براقة تخطف الأبصار.

٣ ـ رايموند برجز. كنز الأوزة الأم.

٤ ـ روبرت وندهام. أغانى الأوزة الأم الصينية. وهى من رسم إد يونج.

٥ ـ بربارة كونى. الأوزة الأم بالفرنسية. مع توثيق خاص بالخلفية الفرنسية لها.

٦ ـ بيتر اسباير (الرسام). مكتبة الأوزة الأم. متعدد المجلدات.

ويجب أن ندرك أن هذه الطبعات هى مجرد عينة فقط من الطبعات الكثيرة التى جاد بها قرننا العشرون لكتاب «الأوزة الأم».

كتب الطفولة المتوسطة والمتأخرة

يستطيع الأطفال ما بين السابعة والتاسعة أن يقرأوا بأنفسهم نفس الكتب التى كانت تقرأ لهم بصوت عال قبل هذه السن. وإضافة إلى مجموعة المؤلفين السابقين الذين أتيت على ذكرهم من قبل والذين ألفوا كتباً لهذه السن أيضاً إلى جانب الطفولة المبكرة، نصادف مجموعة جديدة من المؤلفين تكتب خصيصًا لهذه المرحلة من بينها الأسماء الآتية:

١ ـ أليس جودى.

٢ ـ جيرولد بييم.

٣ ـ كلايد روبرت بوللا.

٤ آن نولان كلارك.

٥ ـ كارولين هيوود.

٦ ـ إليزابث كوتسوورث.

٧ ـ روث ولاتروب كارول.

٨ ـ بيفرلى كليرى.

٩ ـ أليس دالجليش.

١٠ ـ مينديرت دى جونج.

١١ ـ أستدريد لندجرن.

١٢ ـ جيمس وماريون رينيك.

أما دائرة الموضوعات المفتوحة أمام السن من التاسعة حتى الثانية عشرة وما بعدها فإنها واسعة وتغطى جميع اهتماماتهم واحتياجاتهم. وطريقة معالجة هذه الموضوعات متنوعة إلى حد كبير. وكتب هذه السن تعالج الموضوعات التقليدية والفانتازيا وقصص الحيوانات، وقصص الخيال العلمى، والقصص الواقعى، والقصص التاريخى. ونتناول فيما يلى هذه الأنواع بشىء من التفصيل:

أ- الأدب التقليدى

لعله من نوافل القول أن نذكر أن التراث الإنسانى فى بداية أمره، سواء العادات الاجتماعية أو المعتقدات الدينية أو الحوادث التاريخية أو أشجار العائلات أو التقاليد اليومية، هذا التراث كله فى بادىء الأمر كان ينتقل من جيل إلى جيل شفاهة وعن طريق التواتر. وربما كانت الخرافات وحكايات العفاريت والحكايات الشعبية والملاحم وأغانى المهد تمثل الفئة الأوسع انتشاراً على مدار السنين فى أدب الأطفال. وتصدر من هذه الأعمال صيغ مختلفة بصفة منتظمة، كما أنها تمثل مادة خصبة للرسامين الموهوبين. وفى السنوات الأخيرة كان هناك تيار متدفق من الأدب الشعبى المصور للأطفال. ومنذ عام ١٩٥٥ كان نحو ٥٠٪ من الأعمال التى فازت بجوائز كالديكوت هى من الأعمال الفولكلورية.

وتعزى جذور الخرافات كأدب شعبى تقليدى إلى العبد الإغريقى آيسوب (٦٢٠ - ٥٦٠ ق.م) الذى ربما يكون قد سرد حكاياته البسيطة هذه لأغراض سياسية. ولعل أول ترجمة لخرافات آيسوب هذه إلى اللغة الإنجليزية هى تلك التى قام بها ونشرها الطابع الإنجليزى الشهير وليام كاكستون سنة ١٤٨٤. ومن بين الصيغ الأكثر تداولاً لمجموعات آيسوب هذه للأطفال تلك الصيغ التى جاء بها: جوزيف جيكوب، بوريس آرتزيباشيف، جيمس ريفز، آن تيرى هوايت. وإذا كانت خرافات آيسوب قد جاءت من اليونان فقد جاءت من الهند مجموعتان قديمتان من الخرافات هما **جاتاكاس وبانكاتانانترا**. وتتصل حكايات جاتاكاس بتجسد بوذا على شكل مختلف الحيوانات كلما جاء لبعض الوقت ليعلم أتباعه السلوك الحكيم. أما بانكاتانانترا فهى تتألف من مجموعة قصص وأشعار طويلة تتعلق بالإنسان والحيوان على السواء أربع وثلاثون من

هذه القصص تقع فى مجموعة (السلحفاة والأوز وخرافات أخرى بوذية) ومن بين مجموعات الخرافات الأخرى من الهند: «قصص جاتاكا وقصص أكثر من جاتاكا» التى توفرت عليها إلين بابيت و«قصص وأساطير شرقية» التى توفرت عليها مارى شيدلوك، و«خرافات الهند» التى توفر عليها جوزيف جاير.

ومن المعروف أن الخرافات والأساطير تجسد قوى الطبيعة فى أشخاص، وتفسر وجود الكون، وتصل حلقات تطور الديانات على النحو الذى نعرفها به اليوم أى أنها تسد الثغرات التى سقطت من تلك الحلقات. ومع ذلك فإن كثيراً من الحكايات هى حكايات ترفيهية مما يدخلها فى صميم الأدب. لقد دخلت الخرافات والأساطير اليونانية والرومانية والنرويجية كجزء هام فى أدب الأطفال. وقد توفر عديد من المؤلفين على استقاء مادتهم الأدبية من تلك الأساطير ومن أهمهم:

أ ـ سالى بنسون. قصص الآلهة والأبطال.

ب ـ توماس بلفنش. كتاب الأساطير. الذى توفرت على رسمه هيلين سيويل.

ج ـ أوليفيا كولديج. الأساطير اليونانية.

د ـ إنجرى وإدجار دوليز. كتاب الأساطير اليونانية.

هـ ـ روبرت جريفز. الألهة والأبطال الإغريقية.

و ـ تشارلز كنجزلى. الأبطال. وقد توفرت على رسمه جوان كيدل ـ مونر.

ز ـ أوليفيا كوليدج. أساطير الشمال.

ح ـ بادرياك كولوم. أطفال أودين (رب الأرباب فى الأساطير الجرمانية). وقد توفرت على رسمه ويللى بوجانى.

ط ـ إنجرى وإدجار دوليز. الآلهة والعمالقة النرويجيون.

ى ـ دورثى هوسفورد. رعد الآلهة.

أما الملحمة فإنها تصور المثل والمعايير الأخلاقية للأمة فى قصة شعرية بطولية طويلة. ولقد أرست الإلياذة والأوديسة التى وضعها هوميروس فى القرن التاسع قبل

الميلاد نمط الملحمة وشكلها. والقصص التى أتى بها هوميروس فى ملحمتيه تتعلقان بحرب طروادة ورحلات أوديسيوس. ومن أطرف إعادات صياغة هذه القصص تلك التى قام بها: بربارا بيكارد، بادرياك كولوم، ألفرد تشيرش، روجر جرين. أما ملحمة بيوولف وهى أقدم الملاحم الأنجلو ساكسونية فقد أعاد صياغتها وحكايتها كل من إيان سيراليه و روزمارى سوتكليف و دورثى هوسفورد و روبرت ناى. ومن انجلترا تأتى ملاحم من حين لآخر تتصل بالأبطال والبطولات مثل ملحمة الملك آرثر الذى اشتهر فى نحو القرن السادس، وكذلك ملحمة روبين هود الذى ظهر فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر. وقد قام الكاتب هوارد بايل بكتابة ورسم أهم طبعات هاتين الملحمتين البطوليتين. وتوفر آخرون على كتابة الكتب حول الملك آرثر من بينهم سيدنى لانيير، مارى ماكلويد، باربرا بيكارد. أما ج. وماك سيادن، آن مالكولمسن، إيان سيراليه فإنهم قد كتبوا عن روبين هود.

ومن المؤكد أن للشعوب الأخرى بطولات وملاحم وإن كانت محدودة فإنها تروق للأطفال وتجتذبهم وكانت فى كثير من الأحيان مادة خصبة لكتب الأطفال فى هذه السن. ومن أمثلة البطولة لدى الشعوب الأخرى: رولاند بطل فرنسا؛ كوكولين بطل أيرلندا، سيجورد بطل النرويج؛ سيجفريد البطل الألمانى؛ فينأمونين الفنلندى، ومن بين الكتب التى كتبت عن هذه البطولات تبرز العناوين الآتية:

١ ـ إ. م. ألمدنجن. كنز سيجفريد.

٢ ـ جيمس بالدوين. قصة رولاند.

٣ ـ جيمس بالدوين. قصة سيجفريد.

٤ ـ إليانور كلارك. أغنية رولاند.

٥ ـ بابيت دويتش. أبطال كاليفالا.

٦ ـ دورثى هوسفورد. أبناء فلسونجز.

٧ ـ روزمارى سوتكليف. كلب المعطف الأيرلندى (البولستر).

٨ ـ جيى ويليامز. مباراة الأسود.

أما الحكايات الشعبية فإنها أوسع أنواع التراث الشعبى (الفولكلور) انتشارًا وقد تم جمع هذه الحكايات من أنحاء متفرقة فى العالم وتمثل قطاعًا هامًا من الأدب فى كل أمة. ومن بين أهم من توفروا على جمع الحكايات الشعبية جاكوب (يعقوب) جريم (١٧٨٥ - ١٨٦٣) وأخوه فيلهلهم (وليم) جريم (١٧٨٦ - ١٨٦٩) اللذين جابا أنحاء ألمانيا يسجلان الحكايات الشعبية وقد سجلاها بنصها الأصلى وحرصوا على لغتها الأصلية ولم يتدخلا فيها. وتوفر كل من بيتر سى. أسبجورنسن (١٨١٢ - ١٨٨٥) وجورجن إ. مو على تسجيل الحكايات الشعبية النرويجية فى عملهما العظيم (الحكايات الشعبية فى النرويج) وقد ترجمت إلى الإنجليزية سنة ١٨٥٨م وقام بترجمتها السير جورج داسنت. ومما هو جدير بالذكر أن أسبجورنسن وجورجن كانا باحثين من الطراز الأول فى مجال الحكايات الشعبية وأنهما قدما عملاً علمياً بكل المقاييس. وعادة ما تتخذ هذه المجموعات من الحكايات الشعبية اسم قصة واحدة منها عنوانًا للمجموعة كلها مثل: «الشرق يا أيتها الشمس والغرب يا أيها القمر». وتوفر جوزيف جاكوبز (١٨٥٤ - ١٩١٦) على جمع حكايات الشعب الإنجليزى سواء من المصادر الشفوية أو المكتوبة؛ بينما قام الباحث الخصب أندرو لانج (١٨٤٤ - ١٩١٢) باختيار وإعادة صياغة مجموعة كبيرة من تلك الحكايات من مصادر مختلفة. وقد قام تشارلز بيرولت (١٦٢٨ - ١٧٠٣) بجمع الحكايات الشعبية الفرنسية فى كتابه الأشهر «حكايات أمى الأوزة».

وفى الولايات المتحدة الأمريكية نجد أدباً شعبيًا غنياً لأنه جماع شعوب كثيرة يضاف إليها أهل البلاد الأصليين بثراء أدبهم وحكاياتهم الشعبية. وقد قام جويل تشاندلر هاريس (١٨٤٨ - ١٩٠٨) بجمع حكايات الزنوج المستوطنين فى جورجيا، ومن خلال شخصية العم ريموس يقص علينا فى لهجة بهيجة القصص الجذابة الخاصة بأرنب البرارى، ثعلب البرارى، رضيع القار وغيرها. وفى نفس الوقت تم جمع حكايات الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية من مختلف القبائل وتوفر على تسجيلها قصاصون محترفون من بينهم:

أ - روبرت آير. سكيتو.

ب ـ روبرت آير. الغراب الأسحم.

ج ـ كوريدون بل. جون راتلنج ـ جورد من الفأر الكبير.

د ـ آن فيشر. قصص هنود كاليفورنيا.

هـ ـ كريتس هاريس ذات مرة فى الطوطم.

و ـ فرانسيس مارتين. تسع قصص للقيوط (ذئب أمريكا الشمالية الصغير).

ز ـ ريتشارد كيس. حكايات الجد } عن الهنود الحمر فى الجبال الجنوبية

ح ـ ريتشارد كيس. حكايات جاك

وكما ألمحت سابقًا كان المهاجرون إلى الولايات المتحدة يحملون معهم حكاياتهم الشعبية ولكنها كانت فى الأعم الأغلب تلون بألوان محلية مثلما حدث على سبيل المثال مع قصة «ولد كعكة الزنجبيل» التى تشبه نظيرتها الإنجليزية «كعكة جونى». ولكن يلاحظ بصفة عامة أن الحكايات الشعبية الأمريكية الأصيلة كانت حكايات أطول والتى تطورت بسبب جلوس الرجال فترات طويلة حول النار فى معسكراتهم. ومن بين الحكايات الشعبية الأمريكية الطويلة الحكايات التى دارت حول شخصيات: بيكوس بيل؛ بول بونيان؛ تونى بيفر؛ جون هنرى؛ مايك فن؛ كمب مورجان؛ أولد ستور مالونج؛ كاس جونز.

وقد توفر العديد من الباحثين والكتاب على جمع هذه الحكايات نذكر منهم على سبيل المثال والتمثيل فقط: والتر بلير؛ جيمس بومان؛ هارولد فيلتون؛ موريتس جاجندورف؛ آنى مالكولمسون؛ جلين راوندز؛ إيروين شابيرو.

ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من الأعمال المفردة من أغانى المهد، والحكايات الشعبية، والخرافات والملاحم والأساطير قد استلت من مجموعاتها ورسمت بأناقة شديدة ونشرت مستقلة؛ وينسى أصلها بعد ذلك. ومن بين الرسامين العظماء الذين قاموا بمثل هذه الأعمال لابد وأن نتوقف أمام النماذج الآتية:

١ ـ بول جالدون. أمنا العجوزة هوبارد وكلبها.

٢ ـ بول جالدون. اللمسة الذهبية.

٣ ـ بول جالدون. الرغبات الثلاث.

٤ ـ هانز فيشر. الموسيقيون الرحالة.

٥ ـ هانز فيشر. بوس فى الحذاء العالى.

٦ ـ فليكس هوفمان. رابونزل.

٧ ـ فليكس هوفمان. الغربان السود السبعة.

٨ ـ أدريين آدمز. صانع الأحذية والجنيات الصغيرة.

٩ ـ أدريين آذمر. الثلج الأبيض والوردة الحمراء.

١٠ ـ برايان وايلد سميث. الأسد والفأر.

١١ ـ برايان وايلد سميث. رياح الشمال والشمس.

١٢ ـ مارسيا براون. الجداء الثلاثة الأفظاظ.

١٣ ـ مارسيا براون. شوربة الحجارة.

١٤ ـ عزرا جاك كيتس. جون هنرى ومطرقته.

١٥ ـ بنى مونتريزور. سندريللا.

١٦ ـ فيودور روجانكوفسكى. الضفدعة ذهبت إلى كورتين؛ أعاد قصها جون لانجستاف.

١٧ ـ إيفالين نيس: توم تيت توت.

١٨ ـ مارجوت زيماخ. صياد السمك وزوجته.

قصص الخيال الجامح (الفانتازيا)

الفانتازيا أو قصص الخيال الجامح قد تنطوى على ضرب من ضروب المستحيل. وكانت غالبًا ما تضم المتناقضات: الحب فى مقابل الكراهية، صراع الخير والشر.

ومن بين قصص الخيال الجامح لابد وأن نتوقف أمام:

١ ـ لويس كارول. مغامرات أليس في بلاد العجائب. (١٨٦٥).

٢ ـ لويس كارول. من خلال الزجاج الشفاف. (١٨٧١).

٣ ـ كينث جراهام. رياح فى الصفصاف.

٤ ـ أ. أ. ملن. ويني ـ ذا ـ بوه.

٥ ـ باميلا ترافيدس. مارى بوبنز.

٦ ـ سي. إس. لويس. حوليات نارينا.

٧ ـ مارى نورتون. المستعيرون.

٨ ـ ج. ر. تولكين. هوبيث أو هناك والرجوع ثانية.

٩ ـ لوسي بوسطن. أطفال كنو الأخضر.

١٠ ـ رومر جودن. العروسة.

ومن الجدير بالذكر أن إيطاليا قد أفرزت لنا عدداً من قصص الخيال الجامح هذه ومن بينها «مغامرات بينوكيو» الشهيرة للكاتب كارلو لورنزيني كما أسهمت السويد فى هذا المضمار ومن الأمثلة: «بيبى لونجستوكنج» للكاتب السويدى الأشهر أستريد لندجرين. كما يحق للولايات المتحدة أن تفخر هى الأخرى بما أنتجته فى هذا الصدد من قصص الخيال الجامع ومن النماذج الدالة على ذلك:

أ ـ إ. ب. هوايت. عنكبوت شارلوت.

ب ـ روبرت لوسون. تل الأرانب.

ج ـ لويد ألكسندر. أرض برايدين.

د ـ إدوارد أودموندرويد. فترة على القمة.

هـ ـ كارولين بيلى. الآنسة هيكورى.

و ـ إليزابيث أورثون جونز. الغصين.

قصص الحيوانات

كانت قصص الحيوانات والطيور دائمًا من القصص المحببة إلى الأطفال. وهناك درجة تنوع كبيرة فيها وتتراوح ما بين الخيال الجامح المذكور سابقًا إلى القصص الواقعية جدًا. وهذه القصص شائعة فى كل اللغات ويبرز على السطح فى هذه الفئة من الإنتاج الفكرى للأطفال، الأعمال الآتية ذات الطابع العالمى:

١ ـ جوزيف ليبنكوت. بطل البرية.

٢ ـ شيللا بيرنفورد. الرحلة المستحيلة (أعدت فيلماً).

٣ ـ إيريك نايت. لاسى تعود للمنزل (أعدت فيلماً).

٤ ـ والت موريى. بن المهذب.

٥ ـ فيلكس سالين. بامبى.

٦ ـ مارجورى رولنجز. الحولى.

٧ ـ مارى أوهارا. صديقى فليكا.

وقد اشتهرت مارجرايت هنرى بقصصها البارعة عن الفصائل المختلفة من الخيول فى الأقطار المختلفة وفى الأزمنة المختلفة. ومن بين كتبها عن الخيول نجد: ملك الرياح؛ أشهب الوادى الكبير؛ ميستى شينكوتيج وجودنزيا؛ كبرياء باليو. أما جيمس كيجلجارد فقد كتب قصص رائعة عن الكلاب (الأحمر الكبير، كلب الثلج، كلب الصحراء) حيث غالبًا ما يكون الكلب بطل القصة يعيش فى البرية. بينما يحرص كل من جلين راوندز فى كتبه مثل: المهر الأعمى، الفرس المسروق و ويل جيمس فى «سموكى» على معالجة خيول المزرعة فى مواقف شبيهة. وتذكر المصادر أن أياً من الكتاب لم يعتنق الحيوانات ويتقمصها عاطفيًا مثلما فعل كل من: مينرديرت دى لونج فى كتبه الكلب العائد؛ أسرع إلى المنزل؛ كاندى؛ القطة الصغيرة الأخيرة وجون وجين جورج فى كتبهما فولبس (الثعلب الصغير)؛ الثعلب الأحمر؛ الطواف المقنع؛ قصة الراكون وكذلك روثر فورد مونتجمرى فى كتابه بيت كلوى وميشيل ـ آمى بودوى فى: ذو الحافر العجوز. هؤلاء جميعاً توحدوا مع تلك الحيوانات وتبصروا

خصائصها وخاصة الحيوانات المتوحشة فى الغابات؛ على حين قام تيودور والديك بتصوير حيوانات الأجمات والأدغال تصويراً دقيقًا على نحو ما جاء فى كتابيه: النمر (بانثر) الأبيض، فى سفارى (رحلة قنص).

قصص الخيال العلمى

يعالج قصص الخيال العلمى أى إمكانية علمية لم تثبت وقت كتابتها أو لا يعرفها آنذاك سوى العلماء ويتنوع هذا القصص تنوعً كبيراً فى موضوعاته ومعالجاته. وهناك إقبال شديد على هذا النوع من القصص من جانب الأطفال بل والكبار عبر الأجيال منذ نشر أول كتاب فيه «عشرين ألف فرسخ تحت الماء» سنة ١٨٧٠ لجوليس فيرن، وما تلاه من أعمال شبيهة مثل كتاب وليم بين دوبوا: واحد وعشرون بالونًا، وهو قصة خيالية عن رحلة بالبالون. وجاءت كتب إليانور كاميرون عن رحلات الفضاء إلى كوكب (باسيديوم) كما قامت إلين ماك جريجور بإرسال الآنسة بكيريل إلى المريخ، بينما قام لويس سلوبودكين بجلب شخصية من الفضاء الخارجى كى تغزو كوكب الأرض فى كتابه «سفينة فضاء تحت شجرة التفاح». ونحت مادلين لنجل نحواً آخر فى كتب قصص الخيال العلمى فى كتابها (تجاعيد على خد الزمن) عندما صورت نوعًا من المغامرات ذات الأبعاد الأخرى فى اتجاه معاكس للزمن وإن صيغت فى قصة عاطفية قصة حب تعكس القوى غير العادية للشر. أما ثلاثية جون كريستوفر: الجبال البيضاء؛ مدينة الذهب والرصاص؛ بركة من النار، فإنها تصور أحداثاً فى المستقبل عندما تدمر حضارة القرن العشرين ويرتد أهلها إلى العصور القديمة. وقد قام كل من ليستر دل ريى، روبرت هاينلاين، أندريه نورتون، آلان إدوارد نورس، روبرت سلفربرج بنشر كتب خيال علمى راقية تصلح لأطفال الثانية عشرة وتحملهم بسلاسة إلى قصص فترة المراهقة.

القصص الواقعى

ينقسم القصص الواقعى إلى عدة فئات لعل أهمها قصص الحياة المنزلية والقصص الفكاهية وقصص التكيف مع الواقع والمواقف. وكثير من القصص الواقعى يتعلق

بالحياة المنزلية والأسرية بكل ظروفها وأبعادها. وهى تغطى هذه الحياة فى كل الفترات التاريخية وفى جميع أنحاء العالم وتتراوح ما بين الكتب الأمهات فى الموضوع إلى الكتب العابرة التى تعالج الأحداث الجارية داخل الأسرة. ومن بين الكتاب المشهورين فى هذه الناحية فى القرن العشرين: كارولين هيوود وبيفرلى كليرى وكلاهما يصور الطفل على الطبيعة فى حياته اليومية بين أفراد الأسرة. كذلك فإن كلاً من إليانور إستيس واليزابيث الزايت حيث فازت كل منهما بجائزة نيوبرى قد أدلت بدلو هام فى هذا الصدد، إذ تركز كتبهما تركيزاً أساسيًا على حياة الأسرة ولهما سلاسل فى هذا الموضوع. وعلى سبيل المثال فإن سلسلة الآنسة/ استبس «عائلة موفات» عبارة عن ثلاثية حول أربعة أطفال أيتام الأب تصور حياتهم اليومية تصويراً واقعيًا دقيقًا. وسلسلة الآنسة أنرايت حول «عائلة ميلندى» حول أربعة أطفال أيتام الأم.

وقد قام سيدنى تيلور بوضع ثلاثية بعنوان «كلهم من أسرة عطوفة» وهى تصور أسرة يهودية فى نيويورك أثناء الحرب العالمية الأولى. أما لويس لينسكى فقد كتب كثيراً من الكتب الإقليمية عن مناطق وبيئات بعيدة وقد فاز كتابه «فتاة الفراولة» سنة ١٩٤٦ بجائزة نيوبرى وهى قصة عن الكريكرز فى فلوريدا؛ ومن كتبه أيضاً «قطن فى مخلاتى» عن أركنساس؛ «فتاة ترويع الطيور: شوفلاى» عن عائلة من عائلات إيميش فى بنسلفانيا. وتدور قصص كل من دوريس جيتس وزيلفا سندر حول العمال المهاجرين والأقليات. بينما تدور قصص مارجرايت دى انجلى حول جماعة إيميش ومينونايت. الكاتب جوزيف كرومجولد يقدم فى كتبه تشكيلة متنوعة عن الحياة الأسرية ويركز على نمو الأطفال الصبيان واحد فى مزرعة أغنام فى نيومكسيكو (والآن ميجيل) والثانى فى مدينة صغيرة فى نيوجيرسى (جون البطـل) والثالث فى ضاحية من ضواحى مدينة نيويورك (هنرى ٣) أما كتابا آن نولان كلارك «عصفور نافاجو الأزرق الصغير» و«ابنت رجل الطب» فإنهما يصوران كفاح الهنود الحمر فى أمريكا للحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم وفى نفس الوقت يقبلون حضارة الأمريكى الأبيض. أما إميلى نيفيل وإيلين كونجزبرج فإنهما تختاران نيويورك كمكان مفضل لأحداث كتبهما. وبينما كتب الآنسة/ إميلى نيفيل تميل إلى المواقف الجادة على نحو ما نصادفه فى (جودمان رجل التوت؛ إنها مثل ذلك، القطة) نجد كتب السيدة/ كونجزبرج تركز

على المواقف الهزلية والفكاهية على نحو ما نلحظه فى كتبها (من الملفات المختلطة للسيدة بازيل إ. فرانكولر؛ جنيفر؛ هيكاتى؛ ماكبث؛ وليام ماكنلى؛ وأنا، إليزابيث، حول خبز بناى). ويركز ميندرت دى لونج فى بعض كتبه حول قصص الأسرة الهولندية (شادراش، بعيداً عن القناة الطويلة، رحلة من شارع النعناع) كما يكتب عن حياته الشخصية على نحو ما فعلت كيت سيريدى فى بعض كتبها عن المجر (المدرس الطيب، الشجرة المغردة). وقامت مارجوث بنارى ـ آسبرت بتصوير أسرة ألمانية بعد الحرب فى صراعها لإعادة بناء حياتها فى كتابها (سفينة نوح ومزرعة رووان. وتكتب إليزابيث جانيت جربى فى (القلب البشوش) عن أسرة يابانية فى طوكيو بعد الحرب العالمية الثانية. وقامت كل من: شيرلى أرورا فى كتابها (وماذا بعد يا رامان) وجين بوثويل فى (عازف الفلوت الصغير) وإيى سومرفلت فى (الطريق إلى أجرا) وكذلك فى (البيت الريفى الأبيض) بإعطاء تصوير رائع ودقيق عن حياة الأسرة الهندية فى أنحاء متفرقة من الهند. بينما قامت كل من ريبا ميرسكى فى (واحد وثلاثون أخا وأختا وسبع جدات)، (نوموسا والسحر الجديد) ولويزا ستاينتورف فى (موس: صانع الأحذية) باستعراض حياة الأسرة فى مناطق مختلفة من أفريقيا.

وعلى الجانب الثانى تعتبر القصص الفكاهية الواقعية فى غاية الأهمية بالنسبة للطفل لأنه يجب أن يضحك من أعماقه. وهناك نماذج عديدة من كتاب قصص الفكاهة الذين أضحكوا الأطفال من أعماقهم من بينهم روبرت ماكلوسكى فى «قصص هومر برايس»، «قصص ستربرج» وكذلك فلورنس وريتشارد أتووتر فى «بطارق مستر بوبر». ومن بينهم أوليفر بتروورث «البيضة الضخمة» وأستريد لندجرن «سروال بيبى الطويل» وكيث روبرتسون «مزمار هنرى» ووليام بين دوبوا «بوركو فون بوبباتون».

وعلى الجانب الثالث أى قصص تعديل المواقف هناك ثروة هائلة من الكتب التى تثرى حياة الأطفال. وهذه القصص تكتب بطريقة معينة وواقعية بحيث تساعد الأطفال على تقمص شخصية البطل وبالتالى تتبصر المشكلة وتمر بخبرات البطل وتعرف كيف أمكنه حل مشكلته. هذه الكتب تساعد الأطفال على معرفة شعور الآخرين فى مواقف معينة. وهذه الكتب قد تتعلق بمشكلات عاطفية أو إعاقات بدنية أو تخلفات عقلية. وربما تكون الشخصية الرئيسية فى الكتاب أطفالاً من ذوى الأبوين المطلقين أو

المدمنين، وربما تكون لشخص فقد حبيبًا، وربما تعالج مسائل عرقية، أو تبحث عن قيم أخلاقية أو القبول لدى الآخرين. وهذه القصص فى الأعم الأغلب ما تنطوى على نهاية سعيدة وعلى سبيل المثال قد يتكيف البطل مع مشكلته أو يتغلب عليها أو يقبلها بطريقة إيجابية بناءة. ومن الطبيعى أن البطل هو الذى يتغير ويتكيف مع الموقف وليس المجتمع هو الذى يتغير لكى يريح الأفراد.

وتقف جين ليتل على أعلى درجات السلم بين الذين كتبوا قصصاً لهذه الأغراض. لقد عالجت موضوع الموت المفاجىء لتوأم فى الأسرة وقيام الأسرة برعاية أطفال بديلين فى قصتها «منزل من بعيد» وعالجت مرض الشلل المخى فى قصتها «منجم للمقعدين» وعالجت موضوع الكذب فى «شيء تنمو عليه»؛ وعالجت التخلف العقلى فى «خذ جناحًا». وقد عولج هذا الموضوع أيضًا فى كتاب «لا تأخذ تيدى» للكاتبة بابيس فراييس ـ باستاد، كما فعلت نفس الشيء نانسى فابر فى «مملكة كاثى السرية»، وأيضاً باتريشيا رايتسون فى كتابها «حلبة سباق آندى» وكذلك باميلا رينولدز فى «أخت من نوع مختلف».

وهناك أيضًا قصص تعالج الإعاقة البدنية وهى كثيرة ومتقدمة للغاية فى هذا الصدد يبرز من بينها «نوافذ من أجل روزمارى» التى كتبتها مارجرايت فانس؛ «جدار فى الحائط» التى كتبتها مارجرايت دى أنجيلى، «شجاعة كريستى» التى كتبتها بابيس فراييس ـ باستاد؛ «دافيد فى الصمت» التى توفرت عليها فيرونيكا روبنسون؛ «دع البالون يذهب» لإيفان سوثؤول. هذه الكتب تختص بالأطفال العميان والعُرْج والمشوهين والبكم والمشلولين، على التوالى.

ويقدم لنا روبرت بورش ـ الذى صور ريف جورجيا أثناء فترة الانهيار الاقتصادى ـ نماذج متنوعة من المشاكل فى كتبه. ففى كتابه «كوينى بيفى» كانت بيفى المتمردة ذات أب مسجون، وفى كتابه «إسكين» يعانى إسكين تجربة موت أبيه المدمن للكحوليات؛ وفى كتابه «دى. جيه» يفعل هذا الطفل فى أعدائه كل ما هو شرير وخاطىء.

أما إيستر واير فلها ثلاثة كتب تعالج الوحدة والخوف والشجاعة عند الأطفال. وهذه الكتب هى: الوحيد؛ البرميل؛ من السهل عمله. وهذا الكتاب الأخير يعالج

النزعة العنصرية. وهناك العديد من الكتب التى تعالج التعصب العنصرى والدينى. من بين هذه الكتب كتاب إميلى نيفيل الذى أشرت إليه من قبل «جودمان رجل التوت»، وكتاب ناتالى كارلسون «بيت المدرسة الفارغ»؛ كتاب جيس جاكسون «نادنى شارلى»؛ كتاب بيللا رودمان «أسود على الطريق».

وكثير من الكتب التى تعالج المشاكل تعكس الثراء والخصوبة الموجودة داخل الأطفال، على نحو ما نجده فى «توماس يغدو مسئولاً» الذى كتبته شارلين تالبوت. فى هذا الكتاب نجد أن توماس الصينى البورتريكى الذى يعيش فى نيويورك يجد نفسه مسئولاً عن إعالة نفسه وأخته المضطربة عقلياً بعد أن يفشل أبوه فى العودة إلى المنزل. وفى قصة «جانبى من الجبل» تقص علينا جين جورج قصة صبى يقضى الشتاء وحيداً فى جبال كاتكسيل. وفى قصة «مشكلة فى الأدغال» يقص علينا جون رو توسند قصة الصراع من أجل البقاء فى أحد الأدغال فى شمالى انجلترا حيث قام العم بترك أطفال أخيه الأربعة.

كتب أخرى تعالج مواقف منزلية أخرى مثل حالات الطلاق أو الأسر المحطمة مثل كتاب «فتاة اسمها آل» الذى وضعته كونستانس جرين، وكتاب «لعبة مصر» الذى كتبته زلفا سندر، وكتابا «إلين جراى» و «الليدى (الهانم) إلين جراى» وهما من تأليف فيرا وبل كليفر ثم كتاب «ليزا ولوتى» من وضع إيريك كاستنر.

القصص التاريخى

تعتبر كتب القصص التاريخى من أنجح كتب الأطفال. وبعض المؤلفين يصور فى قصته فترة تاريخية يشعر المرء معها أنه يخبر نفس المشكلات والأحداث والمواقف التى تحياها شخصيات القصة. ورغم أن الحقبة التاريخية قد تكون بعيدة إلا أن الأطفال يستطيعون التوحد مع الشخصيات ويتابعون أحداثهم. فالطفل الأمريكى الذى يقرأ «عبر خمسة إبريلات» التى كتبتها إيرين هنت يستطيع أن يكون صورة حية عن الحرب الأهلية الأمريكية وأحداثها ويستطيع أن يخبر التمزق الذى تعانيه أسرة متحابة مزقتها الحرب. وفى قصة «تكساس جونى» التى كتبتها كارول هوف، نجد أسرة ألمانية مهاجرة تعيش أحداث حرب تكساس من أجل الاستقلال. ولقد أرادت الكاتبة كارول هوف أن

تعطى القارىء فكرة عما كانت تعنيه الديمقراطية بالنسبة لوالد جونى ومن ثم لجونى نفسه. وكتاب شجاعة كارولينا الذى كتبته اليزابيث ييتس يعطى الأطفال الصغار نموذجاً على الشجاعة والتضحية عندما يعبرون مع كارولينا وأسرتها بعض الأيام المخيفة بما فى ذلك تقديم كارولينا لكل ما تملك من غال وثمين إلى أسرتها والرواد الآخرين حتى يستطيعوا عبور المقاطعة الهندية. وكتاب إليزابيث دى تريفينو عبارة عن صورة حية لأسبانيا القرن السابع عشر؛ هذا الكتاب المعنون «أنا خوان دى باريجا» هو قصة الشجاعة والحياة والموت والعبودية والحرية والتاريخ والفن على النحو الذى تعكسه حياة خوان والأسطى فيلازكويز.

ومن كتب القصص التاريخى واسعة الانتشار والتى أحبها الأطفال بعمق وصدق كتاب «جونى تريمين» الذى كتبته إيثر فوربس. هذا الكتاب مثل غيره من كتب القصص التاريخى، يقدم ما هو أكثر من مجرد حقائق تاريخية عن الفترة التى يصفها، إنه يحث على التكيف من جانب المعوقين بدنياً وعاطفياً ويدعو إلى تقبل المرء لذاته ويدعو إلى تنمية الذات ونضجها.

وكتب القصص التاريخى تكتب للجميع وتغطى كل سنوات الطفولة القارئة، بيد أن كتب الطفولة المتأخرة تغطى أماكن أكثر وفترات تاريخية أكثر.

وربما كانت أقل الفترات التاريخية تغطية هى تلك التى يطلقون عليها «فترة ما قبل التاريخ» ولكنها على الجانب الآخر لا تعدم كتبا قصصية جيدة من مثل: «خرزة صغيرة» من تأليف بايرد بايلور شفتزر والتى توفرت على رسمها بأناقة شديدة سيمون شيمين؛ وكتاب «وعمت المياه» الذى وضعته د. موروبارنجر؛ وكتاب «لورز البعيدة» الذى وضعه هارى باهن. وهناك من الكتاب من توفر على تصوير العصر القديم من أمثال اليزابيث إسبير، إلواز ماكجرو، هانز بومان.

وقد حظى تاريخ الولايات المتحدة بكل فتراته بالعديد من القصص التاريخية وإن كان التركيز على الفترات الدرامية من هذا التاريخ: فترة الاستعمار، الحرب الأهلية، حركة الاتجاه غرباً. ومن أحسن الكتاب الذين كتبوا عن حقب التاريخ الأمريكى بأسلوب قصصى شيق لورا إنجولز وايلدر، إليزابيث كونسوورث، أليس دالجلتيش،

فيلما بتشفورد هيز، إليزابيث اسبير، والتر إدموندز، كلايد بوللا، راشيل فيلد، وليام ستيل، ليونارد ويبرلى.

وممن تخصصوا فى الكتابة عن التاريخ الأوروبى ونسجوه قصصًا رائعًا: كلايد بوللا، روزمارى ستكليف، باربرا بيكارد، إليزابيث جانيت جراى، مارشيت شوت، مارى وكونراد بوف، باربرا ويلارد.

كتب التراجم

تعتبر السير من أوسع كتب الأطفال انتشاراً أو أحبها إلى نفوسهم لأنها تقدم لهم صوراً حية للبطولة والتضحية والفداء والتمثل بطريق مباشر، وليس بالطريق غير المباشر على النحو الذى تقدمه كتب القصص. وهذه الكتب تقدم الحقائق وتقدم القصص وتقدم مزيجًا غريباً من الحياة الاجتماعية والنفسية والعلمية. وكتب التراجم تغطى سلسلة واسعة المدى من السير سواء السير الذاتية أو التى يكتبها المؤلفون عن تلك الشخصيات قد تدور كتب التراجم حول شخصيات مشهورة فى التاريخ العالمى، لعبت دوراً هامًا فى حياة الشعوب، كما قد تنصرف إلى سير الأحياء ممن ما يزالون على مسرح الأحداث الجارية. هناك تراجم عن رجال السياسة والمكتشفين والمخترعين، هناك تراجم لرجال الطب ونسائه والموسيقيين والفنانين والعلماء، لكل فئات العمر.

بالنسبة للطفولة المبكرة هناك على سبيل المثال كتاب أليس داجليش: قصة كولومبوس، وكتاب أكيلى برادنبرج «العشبة هى زهرة: حياة جورج واشنطن كارفر» وكتاب كلان بولا «سكوانتو: صديق الرجل الأبيض». وكذلك مجموعة التراجم المصورة بأناقة والتى توفر عليها إنجرى وإدجار دولير وتتناول الرواد فى تاريخ اكتشاف وتطور أمريكا. وهناك بالنسبة للطفولة المتوسطة والمتأخرة العديد من كتب التراجم التى توفر عليها متخصصون فى هذا النوع من الكتب لهذه الفئة من العمر ومن بينهم: جيمس دورثى، جينيت إيتون، جينيفيف فوستر، كلارا جدسون، رونالد سايم، كاترين شيبين، شانون جارست، ماى ماك نير.

ولا ينبغى أن نغفل فى هذا الصدد تراجم الشخصيات الغامضة والمبهمة التى رغم غموضها فإن حياتها تضيف أبعاداً جديدة وعمقًا جديداً إلى مجموعة التراجم. ومن

أمثلة هذه الأعمال كتاب جين لى لاثام «هيا بنا، المستر بوديتش والرجل الصغير على عجل: قصة سايروس و. فيلد» وكتاب إليزابيث ييتس المعنون «ثروة عاموس: رجل حر ورأس الحكمة: امرأة الشجاعة» وكتاب ايثر هوتزج «سهل لا نهاية له».

وهناك نوع من التراجم القصصية مثل كتاب روبرت لوسون «بن وأنا»، «مستر ريف وأنا»، «قطة الكابتن كيد» وهى تعطى الحقائق فى قالب سردى قصصى مشوق.

كتب الشعر

يبدأ استمتاع الأطفال بالشعر منذ تبدأ أمهاتهم بالغناء لهم وهم فى مهدهم، سواء كان ذلك الغناء عبارة عن تهويدات، أو ألحان المهد وأغنياته الشعرية، أو جلجلات وصلصلات. وكل ما يهم الطفولة المبكرة هو الإيقاع والقافية والتناغم والتكرار ولا يهم فى هذه المرحلة المحتوى أو الموضوع. أما بالنسبة للطفولة المتوسطة والمتأخرة فإلى جانب الصفات السابقة لابد أن ينطوى الشعر محتوى وموضوع ومغزى وهدف. ويمكن للطفل أن يختار ديواناً لشاعر واحد أو مجموعة قصائد مختارة، وربما قصيدة واحدة طويلة تملأ مجلدًا كاملاً. وللأسف الشديد تكاد اللغة العربية تخلو من شعر الأطفال، اللهم إلا من بعض الأناشيد بينما تعج اللغات الأخرى بمثل هذا الشعر. والإنجليزية بطبيعة الحال مليئة بالشعر الموجه للطفل فى مراحله المختلفة.

من شعراء القرن التاسع عشر المحببين إلى الأطفال وأعمالهم الرائعة نصادق الشاعر إدوارد لير فى ديوانه «كتاب العبث»، والشاعر روبرت لويس ستيفنسون «حديقة الطفل من القوافى»؛ هنرى واردزويرث لونجفلو فى ديوانه «لونجفلو الخاص للطفل»؛ كليمونت مور «زيارة من سانت نيقولاتس»؛ كريستينا روستى «غنى - أغنية»؛ يوجين فيلد «قصائد الطفولة».

من شعراء النصف الأول من القرن العشرين أيضًا وأعمالهم: أ. أ. ملن «عندما كنا صغارًا جدًا»، «والآن أصبحنا ستة»؛ راشيل فيلد «نظام وضفدع النبتات»؛ روز فلايمان «جنيات ومداخن»؛ والتر دى لامير «فطيرة الطاووس»؛ لانجستون هوز «حارس الحلم وقصائد أخرى»؛ لورا ريتشاردز «تيرا ليرا: قوافى قديمة وجديدة».

ومن بين الشعراء في النصف الثاني من قرننا العشرين نصادف: جون كياردى «قابلت رجلاً»؛ سيرى جو جونسون «ريشة طائر في يدى»؛ ميراكوهن ليفنجستون «يقظة عريضة وهمسات»؛ مارى أونيل «حبات البرد وعظام أسماك الهليبوت»؛ بوللى كاميرون «لا أستطيع: قالت النملة»؛ أيلين فيشر «أنصت يا أرنب» و«اقفز مرحاً على مدار العام»؛ روبرت فروست «أنت أيضاً تأتى»؛ إليانور فارجيون «أجراس الأطفال: قصائد مختارة»؛ هارى بهن «القفير (خلية النحل) الذهبى».

ورغم ما قيل عن تأثير الإذاعة والتليفزيون على القراءة وانصراف الناس عنها فإن الأطفال ما يزالون يستمتعون بالشعر، وتشجعهم وسائل الإعلام على ذلك بقراءة الشعر وترتيله بنغمات حلوة عذبة وموسيقى ومناظر تصويرية رقيقة تحبب الشعر إلى النفس وتقربه من الوجدان.

كتب الحقائق للأطفال (كتب غير القصص)

يعتبر الربع الأخير من القرن العشرين الحقبة الذهبية لكتب الحقائق للأطفال أى تلك التى نطلق عليها كتب القصص؛ ذلك أن الفترة السابقة كان يغلب عليها كتب القصص وإن لم تعدم كتب الحقائق كلية. وتغطى كتب الحقائق دائرة واسعة من الموضوعات التى يحبها الأطفال كما تغطى مراحل العمر كلها. وكتب الحقائق تغطى الجغرافيا والتاريخ والموضوعات الاجتماعية والدين واللغات والعلوم البحتة والتطبيقية وما إلى ذلك. وهى تعالج كل ما يدرسه الطفل فى المدرسة وتغطى الهوايات وتغطى أحداث العالم. وفى مجال العلوم تتراوح تلك الكتب ما بين غزو الفضاء واكتشافه والقنابل الذرية والهندسة الوراثية والنعجة دوللى إلى حيوانات ما قبل التاريخ والكائنات الحية. بينما فى مجال الرحلات تتراوح ما بين استراليا إلى أيسلندا وما بين القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى. وعادة ما تصدر كتب الحقائق هذه على شكل سلاسل وهذه الكتب عادة ما تنطوى إلى جانب النص على صور فوتوغرافية، رسوم بيانية، خرائط وتصميمات، ببليوجرافيات وكشافات، وربما قوائم مصطلحات.

وبينما حظيت مجالات العلوم، والعلوم الاجتماعية، والجغرافيا والتاريخ بالجانب

الأكبر من كتب الأطفال إلا أن المجالات الأخرى لم تهمل كلية وخاصة الفنون والموسيقى والدين واللغات.

جوائز أدب الأطفال

حظى أدب الأطفال بتخصيص العديد من الجوائز على المستوى العالمى والإقليمى والوطنى بل والمحلى أيضًا. وتمنح هذه الجوائز للاعتراف بفضل الأفراد الذى قدموا إسهامات جليلة فى مجال أدب الأطفال، ولتكريمهم وتشجيع غيرهم على الدخول إلى هذا المضمار. ونأتى فيما يلى على أشهر تلك الجوائز وأهمها:

١ ـ جائزة هانز كريستيان أندرسن. جائزة دولية تمنح كل سنتين منذ عام ١٩٥٦. يتوفر على منح هذه الجائزة المجلس الدولى لكتب الشباب؛ وهى تمنح لأحد المؤلفين أو الرسامين الأحياء ممن لهم إسهامات وإضافات جيدة إلى أدب الأطفال والشباب.

٢ ـ ميدالية جون نيوبرى. تقدم سنوياً منذ ١٩٢٢ من قبل اتحاد المكتبات الأمريكية لمؤلف أحسن كتاب طفل نشر داخل الولايات المتحدة خلال العام السابق على منح الجائزة.

٣ ـ ميدالية راندولف كالديكوت. تمنح سنوياً منذ سنة ١٩٣٨ من قبل اتحاد المكتبات الأمريكية أيضًا لأحسن كتاب أمريكى مصور للأطفال ونشر داخل الولايات المتحدة فى العام السابق على منح الجائزة.

٤ ـ ميدالية كارنيجى. تمنح سنويًا منذ سنة ١٩٣٦ من قبل اتحاد المكتبات [البريطانية] لأحسن كتاب طفل فى بريطانيا من تأليف مؤلف بريطانى ونشر فى العام السابق على المنح.

٥ ـ ميدالية جرينوى. تمنح سنوياً منذ ١٩٥٦ من قبل اتحاد المكتبات [البريطانية] لأحسن رسام لأحسن كتاب مصور منشور فى بريطانيا فى العام السابق على المنح.

٦ ـ كتاب العام للأطفال. جائزة يقدمها سنوياً اتحاد المكتبات الكندية لأحسن كتابين

من كتب الأطفال فى كندا، على أن يكون أحدهما بالإنجليزية والآخر بالفرنسية لمؤلف كندى. ويكون الكتاب منشوراً فى السنة السابقة على المنح مباشرة.

٧ ـ جائزة لورا إنجولز وايلدر. يمنحها اتحاد المكتبات الأمريكية كل خمس سنوات لأحسن مؤلف أو رسام نشرت أعماله فى الولايات المتحدة على أن يكون لها قيمة دائمة وتكون إضافة حقيقية إلى أدب الأطفال.

٨ ـ جائزة ميلدرد ل. باتشيلدر. تمنح سنوياً منذ ١٩٦٨ من قبل اتحاد المكتبات الأمريكية لأحسن كتاب من كتب الأطفال يكون قد نشر أصلاً فى دولة أجنبية أو بلغة أجنبية ثم بعد ذلك نشر فى الولايات المتحدة.

٩ ـ ميدالية ريجينا. تمنح سنويًا منذ ١٩٥٩ من قبل اتحاد المكتبات الكاثوليكية وذلك «للشخص الذى كرس حياته كلها لتحقيق أعلى معايير أدب الأطفال مما يجعله نموذجًا لكلمات والتر دى لامير [أندر نوع بين أحسن شىء هو فقط المفيد للشباب والأطفال]».

١٠ ـ جائزة الكتاب الوطنى. تمنح سنوياً منذ ١٩٥٠ من قبل لجنة الكتاب الوطنى [الأمريكية] وتم توسيع نطاقها سنة ١٩٦٩ لتشمل كتب الأطفال. وتمنح جائزة مالية لواحد من خمسة مرشحين عرفوا بإبداعاتهم فى أدب الأطفال.

١١ ـ مهرجان الربيع لكتب الأطفال. تمنح سنوياً منذ ١٩٣٧ لأحسن كتاب نشر فى النصف الأول من العام لتشجيع نشر كتب الأطفال فى فصل الربيع. هذه الجائزة تمنح من قبل مجلة عالم الكتاب (سابقاً من قبل نيويورك هيرالد تريبون).

١٢ ـ جائزة جين آدمز لكتاب الطفل. تقدم سنوياً منذ سنة ١٩٥٣ من قبل رابطة المرأة الدولية للسلام والحرية لأحسن كتاب للطفل يحمل معانى الصداقة والتعاون وتفهم العالم.

١٣ ـ جائزة كتاب الأطفال. تقدم سنويًا منذ سنة ١٩٤٣ من قبل اتحاد دراسات الطفولة عن أحسن كتاب للطفل فى العام السابق على المنح والذى يطرح مشاكل حقيقية فى العالم المعاصر للطفل والشاب.

١٤ ـ جائزة نوادى الأولاد لكتب الأطفال. تمنح سنوياً لكتب تختار من بين أحسن العروض التى قدمت عنها فى الدوريات. هذه الجائزة تمنح من قبل أعضاء نوادى أولاد أمريكا. وتقوم لجنة من الكبار باختيار أحسن خمسة كتب لخمس ميداليات ذهبية وخمسة كتب تمنح شهادات تقدير.

الذين خدموا فى مجال أدب الأطفال

هناك أشخاص ليسوا مؤلفين أو رسامين لكتب الأطفال، وإنما قد يكونوا دارسين لأدب الأطفال أو نقاداً له أو أمناء مكتبات أطفال؛ هؤلاء الأشخاص هم يقيناً يسهمون فى مجال أدب الأطفال بمجهود له شأنه وله خطره. هؤلاء جميعاً يجب أن نتوقف عندهم ونذكرهم؛ ولكننا بسبب الحيز سوف نأتى على بعضهم ونوع الإسهام الذى قدموه.

لقد كانت كارولين م. هيونز من بين الرعيل الأول من المكتبيين والمؤلفين والرسامين والمحررين والناشرين والنقاد الذين لعبوا دوراً هاماً فى أدب الأطفال ووضع هذا الأدب بين أيديهم. لقد كتبت عشرات المقالات العميقة التى تطالب فيها بالكتب الجيدة للأطفال. ومن بين مقالاتها الموجهة لأمناء المكتبات «ماذا فعلت لتشجع الأولاد والبنات على القراءة الجيدة» وعلى شرفها قام فردريك ميلشر منذ سنة ١٩٤٦ بتنظيم سلسلة من المحاضرات عنها عرفت باسمها (محاضرات عن كارولين هيونز) وقد كرست هذه المحاضرات جميعاً لأدب الأطفال.

وجاءت أولى هذه المحاضرات بعنوان «من روللو إلى توم سوير: تطور كتب الأطفال من ١٨٧٠ ـ ١٨٨٠» وقد ألقت المحاضرة أليس جوردان سنة ١٩٤٧ وهى نفسها رائدة من رواد العمل مع الأطفال حيث كانت رئيسة قسم الأطفال فى المكتبة العامة فى بوسطن ـ ماساشوستس منذ ١٩٠٢ ـ ١٩٤٠.

أما آن كارول مور فقد كانت رئيسة لقسم الأطفال فى مكتبة نيويورك العامة ١٩٠٦ ـ ١٩٤١. وقد أثرت الخدمة المكتبية للأطفال ثراء واضحاً. وهى مثل كارولين هيونز أمسكت بالقلم لتطالب بتحسين كتب الأطفال وإنتاج النوعية الجيدة منها. كانت لها مقالات فى الدوريات وكانت لها كتب كاملة عن أدب الأطفال. وكانت أول عارضة

لكتب الأطفال على أسس علمية ومنتظمة عندما بدأت مقالاتها الشهرية فى دورية «الكتبى ـ بوكمان» سنة ١٩١٨. وقد اتخذت من «ألبومات الثلاث» علامة تجارية لها فى القسم الخاص بها فى «كتب نيويورك هيرالد تريبون» منذ سنة ١٩٢٥ ثم بعد ذلك فى مجلة «هورن بوك». وقد عرفت آن كارول مور برعايتها لفن قص القصص، وبتنظيم قسم اتحاد المكتبات الأمريكية للعمل مع الأطفال» وقد كرمتها مكتبة نيويورك العامة بعد وفاتها مباشرة سنة ١٩٦١ عندما أطلقوا اسمها على سلسلة محاضرات الربيع السنوية «محاضرات آن كارول مور».

ودخلت بيرتا ماهونى ميللر أدب الأطفال من باب فريد عندما أسست فى سنة ١٩١٦ «متجر كتب الأولاد والبنات» فى بوسطن ـ ماساشوستس تحت كفالة «اتحاد المرأة التعليمى والصناعى. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً كرست حياتها لترويج كتب الأطفال الجيدة. وربما كان أعظم إنجاز قدمته هو تأسيس ورئاسة تحرير «مجلة هورن بوك» سنة ١٩٢٤. وقد ساعدت بيرتا ماهونى ميللر فى إدارة متجر الكتب اعتباراً من ١٩١٩ «إلينور هوتنى فيلد» كما ساعدتها أيضاً فى جمع وتحرير وتحشية قوائم الكتب ذات الغرض الهادف مثل: كتب ميدالية نيوبرى: ١٩٢٢ ـ ١٩٥٥؛ وكتب ميدالية كالديكوت ١٩٣٨ ـ ١٩٥٧. وقد توفرت بيرتا ميللر نفسها على إعداد قائمة: رسامو كتب الأطفال ١٧٤٤ ـ ١٩٤٥.

فى سنة ١٩١٩ قامت شركة ماكميلان بإنشاء أول قسم لكتب الأطفال فى دار نشر وعينت رئيسة له «لويزا سيمان بيتشل». وفى سنة ١٩٢٢ قامت دار نشر شركة دبلداى ودوران وشركاهما ودار نشر فردريك ستوكس وشركاه بإنشاء قسم لكتب الأطفال فى كل منهما. وقد رأست قسم الشركة الأولى ماى ماسى ورأست قسم الشركة الثانية هيلين دين فيش. وقامت دار نشر أولاد تشارلز سكربنر سنة ١٩٣٤ بتعيين أليس والجليش رئيسة لقسم كتب الأطفال الذى أنشأته فى تلك السنة. وفى سنة ١٩٤٣ قامت أليس والجليش بإنشاء اتحاد محررى كتب الأطفال ورأسته لفترة كأول رئيس له. وبعد سنة من إنشائه قام الاتحاد «مجلس كتب الأطفال» ولم تأت سنة ١٩٤٦ حتى ارتفع عدد أعضاء اتحاد محررى كتب الأطفال إلى أربعين يمثلون أربعين دار نشر.

ولابد أن نعترف بفضل رؤساء أقسام كتب الأطفال فى دور النشر فى دفع نشر كتب الأطفال قدماً إلى الأمام، حيث وضعا معايير عالية واكتشفوا المواهب وشجعوا المؤلفين والرسامين ولعبوا دوراً هامًا فى ضبط جودة إنتاج كتب الأطفال.

ويتقدم الصفوف فى مجال كتب الأطفال فردريك ج ميلشر الذى لقب وبحق الأب الروحى لأدب الأطفال. فقد قضى حياته كلها يشجع ويؤيد محررى كتب الأطفال وناشريها ومؤلفيها وأمناء المكتبات. وقد كان الأداة المحركة فى تنظيم «أسبوع كتب الأطفال» وكان هو الذى اقترح إنشاء جائزة نيوبرى وجائزة كالديكوت وكان هو الذى يمنح الميداليات وعلى شرفه قام اتحاد المكتبات الأمريكية بتأسيس منحة دراسية باسمه «منحة فردريك ميلشر الدراسية» منذ عام ١٩٥٥ ويمولها قسم خدمات الأطفال فى الاتحاد تقدم لأى طالب راغب فى دراسة مكتبات الأطفال. ويقودنا الحديث عن ميلشر بالضرورة إلى الحديث عن المهرجان الذى نظمه، واستمر حتى الآن ألا وهو أسبوع كتب الأطفال موضوع النقطة التالية.

أسبوع كتب الأطفال

شهدت الحرب العالمية الأولى جهوداً رائعة من جانب فرانكلين ك. ماتيوز مدير مكتبات «كشافة أمريكا» والذى كان يجوب البلاد داعيًا إلى تخصيص أسبوع لأحسن كتب الأطفال هناك. وفى سنة ١٩١٩ وبعد أن وضعت الحرب أوزارها التقط فردريك ميلشر الذى كان آنذاك سكرتير اتحاد باعة الكتب الأمريكيين الفكرة وطالب ماتيوز بأن يتقدم بطلب إلى الاتحاد بهذا الخصوص. وقد صدر بيان من الاتحاد بتبنى الفكرة وتنظيم «أسبوع كتب الأطفال» ووافق اتحاد المكتبات الأمريكية على البيان بسرعة وأصبح هناك شعارات عديدة للأسبوع يصممها رسامو كتب الأطفال وفنانوها وكان أول شعار هو «كتب أكثر فى المنزل» الذى صممه باقتدار جيسى ويلكوكس سميث.

وأسبوع كتب الطفل فرصة ذهبية لأولياء الأمور والمدرسين والمكتبيين والناشرين وتجار الكتب لإظهار أحسن ما عندهم وتقديم أفضل ما لديهم لكتب الأطفال.

قسم خدمات الأطفال فى اتحاد المكتبات الأمريكية

يعمل قسم خدمات الأطفال فى اتحاد المكتبات الأمريكية على تحسين أوضاع كتب الأطفال وتطويرها. ومنذ إنشاء هذا القسم ولجانه تعمل فى دأب ونشاط ومن بين النشاطات الأساسية نشر ببليوجرافية بكتب الأطفال المتميزة فى السنة السابقة على النشر، كما تنشر قائمة بالكتب ذات القيمة الدائمة، وقائمة بالكتب الأجنبية المتاحة فى السوق الأمريكية والتى يوصى بشرائها لمكتبات الأطفال. كذلك فإن لجان هذا القسم هى المسئولة عن فحص أعمال المتقدمين لجوائز نيوبرى، كالديكوت، ميلوردرد باتشيلدر، لورا إنجولز وايلدر. ولجان القسم الاستشارية تساعد المنظمات العاملة فى الحقل على نشر مطبوعات الأطفال الخاصة بها ومن أمثلة تلك المنظمات: كشافة أمريكا، المعهد الإفريقى الأمريكى وغيرها. ومن بين مشروعات اللجان الإعلان والترويج فى الإذاعة والتليفزيون عن كتب الأطفال واختيار الكتب التى ترشح لجائزة هانز كريستيان آندرسن. كذلك تقترح اللجان الكتب الأمريكية التى تترجم وتوزع من خلال المجلس الدولى لكتب الشباب؛ اليونسكو؛ وغيرها من المنظمات الدولية.

مجلس كتب الأطفال (الأمريكى)

أسس مجلس كتب الأطفال فى الولايات المتحدة كما رأينا سابقًا سنة ١٩٤٤ من قبل اتحاد محررى كتب الأطفال وذلك بهدف تنسيق كافة الأنشطة المرتبطة بأسبوع كتب الأطفال، وكذلك التعاون مع المدارس والمكتبات والمتاجر ووكالات تنمية الطفولة من أجل ترويج وتوزيع كتب الأطفال الجيدة والصالحة لكل أطفال الولايات المتحدة. وقد توسع المجلس فى نشاطاته وأهدافه حتى شملت جوانب عديدة متخصصة مثل برامج القراءة الصيفية.

وينشر المجلس مجلة فصلية بعنوان «التقويم - كاليندر». وهذه المجلة تنشر مقالات متخصصة وتثبت التواريخ المهمة فى حياة أدب الأطفال وتدرج قوائم بالمواد والمطبوعات الموجودة فى السوق للأطفال وتعلن عن جوائز ومنح كتب الأطفال وتنشر تحقيقات عن تجارة كتب الأطفال. واعتباراً من سنة ١٩٧٠ توسعت المجلة لتضم مقالات متخصصة

(مقالات الأربعة أعمدة) فى كل عدد من أعدادها. وهذه المجلة بصفة عامة مجلة خفيفة الظل وتعتبر أداة من أدوات اختيار كتب الأطفال.

قسم كتب الأطفال بمكتبة الكونجرس

بعد إلحاحات شديدة وملاحقة من جانب الأفراد والهيئات قبلت مكتبة الكونجرس أن تنشىء فى مارس سنة ١٩٦٣م أن تنشىء «قسم كتب الأطفال» بها. والهدف المطلق من هذا القسم ليس جمع كتب الأطفال بقدر ما هو جمع كل ما يتعلق بدراسة كتب الأطفال من مراجع وببليوجرافيات وبحوث والإجابة على أية استفسارات أو أسئلة متعلقة بأدب الأطفال أو بخدمات مكتبات الأطفال. والمجموعة الموجودة فى قسم كتب الأطفال بمكتبة الكونجرس تشتمل على فهارس، ببليوجرافيات، كشافات، بحوث وتواريخ وتراجم وأعمال نقدية وتحليلية متعلقة بكتب الأطفال باللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية. يضاف إلى هذه المجموعة الخاصة هناك مجموعة كتب الأطفال نفسها والتى تربو الآن فى نهاية القرن العشرين على مائة وخمسين ألف عنوان منشورة فى الولايات المتحدة أو فى الخارج. ومن المعروف أن مكتبة الكونجرس تقتنى الكتب المنشورة فى معظم أنحاء العالم من خلال الشراء أو الهدايا أو التبادل. ولعله من نافلة القول أن نذكر بأن قسم الكتب النادرة يضم نحو ١٥٠٠٠ كتاب قديم أو نادر للأطفال. هذه المجموعة تثرى الدراسات والبحوث الخاصة بكتب الأطفال. وعادة ما يرأس قسم كتب الأطفال هذا شخص بارز فى مجال كتب الأطفال.

المنظمات الدولية العاملة فى حقل كتب الأطفال

هناك دائماً عنصر دولى مشترك فى كتب الأطفال وخاصة فيما يتعلق بترجمة الكتب من لغة إلى لغة وإعادة صياغة حكايات الأدب الشعبى العالمية. حول هذا العنصر الدولى المشترك أيًا كان تنشأ جهود ومنظمات دولية. وكان المكتب الدولى للتربية فى جنيف هو أول وكالة دولية تقوم بدراسة دولية مستفيضة حول أدب الطفل فى العالم. وقد ظهر أول تقارير هذه الدراسة الرسمية فى سنة ١٩٣٠ ثم تتابعت التقارير سنة ١٩٣٢ و ١٩٣٣. وبعد الحرب العالمية الثانية بعثت الرغبة فى دراسة أدب الأطفال على المستوى الدولى. وفى الستينات كان هناك ومايزال تعاون دولى فى هذا

الصدد من خلال الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات ومؤسساتها (إفلا) وتقوم مؤسسات دولية أخرى بترويج دراسة أدب الطفل على المستوى الدولى من بينها اليونسكو، والمكتبة الدولية للشباب، والمجلس الدولى لكتب الشباب. وقامت السيدة جيللا ليبمان بدور نشيط فى هذا الصدد حيث كانت تعتقد فى قيمة كتب الأطفال فى إعادة بناء الأخلاق فى ألمانيا. وقد نظمت هذه السيدة أول حدث دولى فى أدب الأطفال بعد الحرب الثانية عندما دعت الدول المختلفة إلى إرسال كتب الأطفال الخاصة بها إلى ألمانيا ليقرأها الأطفال الألمان ليتفتحوا على فكر العالم ومن ثم يتفهمونه أكثر. ومن خلال جهودها الفذة وتحت رعاية الحكومة العسكرية الأمريكية نظمت معارض كتب الأطفال الدولية فى ألمانيا ١٩٤٦ - ١٩٤٧. وكان أول هذه المعارض قد افتتح فى ميونيخ فى الثالث من يولية سنة ١٩٤٦، تلاه فى خلال ستة شهور معارض فى فيرتمبرج، فرانكفورت، برلين. ومن الأحداث الهامة التى وقعت خلال معرض برلين الذى افتتح فى السادس من ديسمبر ١٩٤٦م، إعلان السيدة/ جيللا ليبمان عن فكرة ترجمة ونشر ٣٠,٠٠٠ نسخة على ورق جرائد من كتاب موترو ليف المعنون «فرديناند الثور» وتوزيعها كهدايا على الأطفال فى عيد الميلاد (الكريسماس) وما كان قد اعتقد أنه عدد كبير من النسخ لم يلبث أن نفد واضطرت السيدة/ جيللا ليبمان أن تشترى نسخاً من السوق السوداء للحفظ الدائم.

وقد أشار الصحفى وكاتب كتب الأطفال إيريك كاستنر (من ميونخ) إلى أن المعارض الدولية لكتب الأطفال لم تقدم فقط نظرة واسعة على وجوه الاتفاق والاختلاف فى أدب الأطفال من مختلف الدول ولكن كشفت أيضاً عن مدى اعتمادها على بعضها البعض.

وكان نجاح معارض الكتب الألمانية التى أقامتها جيللا ليبمان حافزاً لاتحاد المكتبات الأمريكية إلى طلب منحة من مؤسسة روكفللر فى نيويورك لإقامة المكتبة الدولية للشباب. وقد قدمت المنحة على أساس أن يقابلها دعم محلى لتكوين وتشغيل المكتبة وقد افتتحت المكتبة بالفعل فى ميونيخ فى ١٤ من سبتمبر ١٩٤٩ بهدف جمع أحسن كتب الأطفال من جميع أنحاء العالم وبكل اللغات ودعم السلم والتفاهم الدولى. وقد عينت السيدة/ جيللا ليبمان مديرة لها وتساعدها فى ذلك جماعة أصدقاء المكتبة وبعد

عشرين سنة من ذلك التاريخ أخذت الحكومة الألمانية مسئولية المكتبة وهى تضم الآن نحو مائتى ألف مجلد تمثل أدب الأطفال من مختلف أنحاء العالم.

وفى سنة ١٩٥٣م ارتبطت المكتبة بمنظمة اليونسكو حيث كلفتها المنظمة بإعداد معرض من ١٥٠ كتاباً من كتب الأطفال فى الغرب، وأرسل هذا المعرض إلى جميع أنحاء العالم. وقد شجع نجاح هذا المعرض على القيام بمعارض أخرى جوالة فى موضوعات مختلفة. وقد أدى ارتباط المكتبة باليونسكو إلى فائدة أخرى كبرى عندما قدم الاتحاد الدولى للتربية فى جنيف مجموعة كتب الأطفال لديه هدية إلى تلك المكتبة وكانت المجموعة تبلغ آنذاك نحو خمسة وعشرين ألف مجلد كثير من كتبها ترجع إلى الثلاثينات والعشرينات من قرننا هذا، ولكنها أيضاً تضم كتباً قيمة من القرن الثامن عشر والتاسع عشر مما دعم الخدمات والتوثيق التى تقدمها تلك المكتبة للباحثين.

وكلما زار هذه المكتبة مؤلفون أو رسامون أو ناشرون أو مكتبيون أو تربويون كلما أعربت السيدة/ جيللا ليمان عن ضرورة عقد مؤتمر يجمع هؤلاء الناس جميعًا الذين يعملون فى مجال أدب الأطفال. ونتيجة لذلك أسس «المجلس الدولى لكتب الشباب» فى الثامن عشر من نوفمبر ١٩٥١ فى زيورخ بسويسرا كمقر دائم لهذا المجلس الدولى. هذا المجلس كان له فضل كبير فى كثير من التطورات التى حدثت فى مجال أدب الأطفال. ومن بين هذه التطورات إنشاء أول جائزة فى مجال كتب الأطفال على المستوى الدولى سنة ١٩٥٦ وهى جائزة هانز كريستيان أندرسون. تلك الجائزة التى تمنح كل سنتين لمؤلف معاصر بناء على حكم لجنة دولية. وكانت فى البداية تمنح لأحسن كتاب ولكنها بعد ذلك فى سنة ١٩٦٢ وسعت لتمنح على مجموع كتب مؤلف معين. وفى سنة ١٩٦٦ وسعت مرة أخرى لتشمل جائزة إضافية لأحد الرسامين الأحياء ولأحد المؤلفين الأحياء. وفى تلك السنة ١٩٦٦ طلب المجلس الدولى لكتب الشباب من الدول الأعضاء إرسال قائمة سنوية بالكتب التى تمثل الدولة والتى يمكن أن تترجم إلى لغات أخرى. ومن بين الذين حصلوا على هذه الجائزة فى بدايتها: إليانور فارجيون ـ انجلترا؛ أستريد لندجرن ـ السويد، إيريك كاستنر ـ ألمانيا؛ منديرت دى يونج ـ الولايات المتحدة؛ رينيه جوييو ـ فرنسا؛ توف جانسون ـ فنلندا؛

جيمس كروس ـ ألمانيا؛ جيانى روداري ـ إيطاليا. ومن الرسامين الذين حصلوا على هذه الجائزة: ألواز كاريجيت ـ سويسرا؛ جيرى ترانكا ـ تشيكوسلوفاكيا؛ موريس سنداك من الولايات المتحدة.

ولعل ثانى نشاط للمجلس بعد إنشائه هو تنظيم «اليوم العالمى لكتاب الطفل» فى الثانى من إبريل وهو يوم مولد هانز كريستيان أندرسون. وفى سنة ١٩٦٩ رفع المجلس شعار «أصدقاء عبر الحدود» وذلك بهدف «تنمية التفاهم الدولى بين الشباب عن طريق زيادة معرفتهم بالثقافات الأخرى من خلال الإنتاج الفكرى وبذلك تخدم قضية السلام».

ولقد توفر المجلس على نشر العديد من المطبوعات المتخصصة يبرز منها «طائر الكتب ـ بوك بيرد» وهى مجلة فصلية بدأت فى سنة ١٩٥٧، وهى تنشر حالياً بالاشتراك مع «المعهد الدولى لأدب الأطفال والشباب والعامة» فيينا بالنمسا. وكانت تسعى منذ بدايتها إلى استكتاب المؤلفين العالميين من جميع أنحاء العالم، وتعرض الكتب المرشحة للترجمة.

وفى المؤتمر العشرين للاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات الذى انعقد فى زغرب فى يوغوسلافيا سنة ١٩٥٤ شكلت لجنة فرعية حول الخدمة المكتبية للأطفال داخل قسم المكتبات العامة بالاتحاد. وفى سنة ١٩٦١م أصبحت هذه اللجنة الفرعية قسماً فرعياً. وكان الهدف الرئيسى من هذه المجموعة هو تحسين معايير كتب الأطفال، تعميق تطوير مكتبات الأطفال فى جميع أنحاء العالم وإعداد البحوث والتقارير والقوائم وعروض الكتب المتعلقة بالمجال.

وفى سنة ١٩٦٧ أنشىء ما عرف باسم «براتسلافا بينالى الرسوم» فى تشيكوسلوفاكيا وهو عبارة عن معرض كل سنتين للرسوم الأصلية من كتب الأطفال للتعرف على رسامى الدول المشاركة ولترويج أحسن الرسوم فى كتب الأطفال.

وقد قامت الولايات المتحدة بإنشاء «مركز معلومات ثقافات الأطفال» من خلال لجنتها فى اليونيسيف فى نيويورك. وهذا المركز يتوفر على نشر أهم الكتب التربوية

والثقافية عن الطفولة فى الدول التى تعمل فيها اليونيسيف فى أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية.

وهناك دورة سنوية تعقد فى لفبرا بانجلترا وجولات لدراسة أدب الأطفال فى العالم تحت عنوان «الدورة الدولية حول أدب الأطفال اليوم». كما تقوم كليات التربية وكليات المكتبات والمعلومات ومدارسها وأقسامها فى أنحاء متفرقة من العالم بتدريس مقرر أو أكثر فى «أدب ومكتبات الأطفال» مما سيكون له انعكاس مباشر على هذا المجال فى القرن القادم.

ترجمة كتب الأطفال

كتب الأطفال وأفلامهم فى الوقت الحاضر لا وطن لها بل تنتقل من قارة إلى قارة ومن دولة إلى أخرى عن طريق الترجمة. وقد بدأت حركة ترجمة كتب الأطفال منذ القرن السابع عشر عندما ترجمت موسوعة كومينيوس المصورة إلى الإنجليزية بعد نشرها مباشرة باللاتينية. كذلك ترجمت قصص «حكايات أمى الأوزة» التى وضعها تشارل بيرولت بالفرنسية إلى الإنجليزية سنة ١٧٢٩م. كذلك ترجمت «الحكايات الشعبية» للأخوين جريم من الألمانية إلى الإنجليزية سنة ١٨٢٣. وترجمت «قصص العفاريت» التى ألفها هانز كريستيان أندرسون عن الدنمركية إلى الإنجليزية سنة ١٨٤٦. وترجمت «مغامرات بينوكيو» التى وضعها كارلو كولودى بالإيطالية سنة ١٨٩٢ إلى الانجليزية. ومن الترجمات أيضاً إلى الإنجليزية فى القرن التاسع عشر «عائلة روبنسون السويسرية» من تأليف جوهان فانس، «هايدى» من تأليف جوهانا سبراى؛ «بيتر القذر» من تأليف هنريتش هوفمان؛ «٢٠,٠٠٠ فرسخ تحت الماء» من تأليف جوليس فيرن. ولقد استمر زحف الترجمة من اللغات الأوروبية المختلفة إلى الإنجليزية كماً ونوعاً فى مطلع القرن العشرين حيث ترجمت كتب إلزابسكو: «رحلة أوللى للتزلج» سنة ١٩٢٨، «العمة خضراء والعمة بُنية والعمة خزامى (لافندر)» سنة ١٩٢٨، «بدلة بللى الجديدة» سنة ١٩٢٩. وكذلك ترجمت كتب سلمى لاجرلوف ومنها «المغامرات العجيبة لأسرة نيلز» سنة ١٩٠٧، «مغامرات أخرى لأسرة نيلز» سنة ١٩١١. ومن الظواهر الملفتة للنظر نشر الكتاب الواحد فى دولتين أو أكثر فى نفس الوقت وخاصة

كتب الصورة. والقائمة التالية تكشف عن أهم الكتب التى ترجمت من لغاتها الأصلية إلى اللغة الإنجليزية فى النصف الأول من القرن العشرين.

الفرنسية :

بول بيرنا

* البغل على الطريق السريع.
* فرسان الملك ميداس.
* حصان بدون رأس.
* مفتاح القطة السوداء.
* تحذير الفيضان.

رينيه جوييو:

* حكايات شعبية إفريقية.
* الأخ الخيالى.

مارسيل إيميه:

* المزرعة العجيبة.
* إصبع قدم عجوز.
* أيتام سمترا.
* أندريه كلير.
* بمبا: مغامرة إفريقية.

الألمانية :

* إيديك كاستنر.
* رجل صغير.
* إميل والبوليس السرى.

هانز بومان:

* أبناء الاستبس.
* لحاء الإخوة.
* كهوف الصيادين العظماء.
* سريت مع هانبعل.

بيتينا هورليمان:

* وليم تل وابنه (رسم بول نوسبومر).
* بارى: قصة سانت برنارد الشجاع (رسم بول نوسبومر).

هانز شاد:

* برج بارود البنادق.
* قراصنة الراين.

أورسولا شافلر:

* اللص والوردة الزرقاء.

هايدرون بترايدز:

* هانز و بيتر.

مارجوت بنارى ـ أيزبرت:

* سفينة نوح.
* مزرعة رووان.

هنرى وينترفيلد:

* اضطرابات فى تمبتل.

جيمس كروس:

* جدى الأكبر وأنا.
* الآلة الناطقة.

توماس وواندا زكرياس:

* ولكن أين الببغاء الخضراء؟

الدنمركية

آن هولم:

* شمالاً إلى الحرية.

* بيتر.

السويدية:

أستريد بيرجمان سكسدورف:

* شندرو: الولد والنمر.

أستريد لندجرن:

* سروال بيبى.

* أطفال القرية عالية الضوضاء.

جونيل لندى:

* الحجر الأبيض.

كارين أنكار رفارد:

* ناظر المدرسة الغامض.

* صبى الدكتور.

* الشبح اللص.

النرويجية:

بيريت براين:

* تيرينا تجد أختًا.

بابيس فرابيس ـ باستاد:

* لا تأخذ تيدى.

* شجاعة كريستى.

إيميه سومر فيلت:

* ميريام.
* الطريق إلى أجرا.
* البيت الريفى الأبيض.

الروسية

أنطون تشيكوف:

* كاشتانكا.

ميخائيل شولوخوف:

* محاربون متوحشون ومهذبون.

اليونانية

ألكى تزاى:

* قطة متوحشة تحت زجاج.

العبرية

يهو آش بيبر:

* كنز الباشا التركى.

ورغم أن الكتب الأجنبية المنشورة فى دول غير غربية الجيدة كانت تأخذ طريقها إلى الترجمة والنشر فى السوق الأمريكية، إلا أننا يجب أن نعترف بأن تأسيس جائزة ميلدرد ل باتشلدر سنة ١٩٦٦ من قبل مجلس اتحاد المكتبات الأمريكية دفع عملية ترجمة ونشر كتب الأطفال الأجنبية قدمً إلى الأمام فى الولايات المتحدة.

وعلى الجانب الآخر فإن كثيراً من كتب الأطفال الأمريكية والبريطانية والفرنسية والألمانية قد ترجمت إلى لغات أخرى كثيرة ومنها العربية بطبيعة الحال. ومما تذكره المصادر فى هذا الصدد أن سلسلة «البيت الصغير» للمؤلفة الأمريكية لورا إنجولز وايلدر ترجمت إلى ست وعشرين لغة. ومن بين المؤلفين الآخرين الذين ترجمت أعمالهم إلى لغات غير الإنجليزية: هندريك وليام فان لون؛ ميينديرت دى لونج؛ جوزيف كرومجولد؛ مارجرايت هنرى؛ موريس سنداك؛ إلين كونيجزبرج؛ إليزابيث جانيت راى.

مواد الأطفال غير المطبوعة

يمكن تقديم أدب الأطفال حياً وعلى الطبيعة للأطفال بطرق متعددة مثل ساعة القصة، تمثيل العمل، جماعات المناقشة والحوار، القراءة بصوت مرتفع. وتقوم المواد السمعية البصرية الآن وخاصة الأفلام والصور المتحركة بدور حيوى وخلاق فى هذا الصدد. كما تعتبر الصور المطبوعة والخرائط واللوحات من بين المواد التى تجتذب الأطفال. وكثيراً ما تلجأ البيوت والمدارس والمكتبات إلى تعليق الصور واللوحات على الجدران لجذب الأطفال وإمتاعهم. وربما تستل الصور من بعض الكتب المصورة وتعلق على جدران تلك الأماكن على نحو ما كان يحدث فى المكتبات الأمريكية فى مطلع القرن العشرين حيث كانت تؤخذ صور الجنيات والحيوانات من كتب مارجريت تارانت وصور الألوان المائية من كتب أرنست شبرد وعلى رأسها: عالم بوه، عالم كريستوفر روبين وفى النصف الثانى من القرن تؤخذ الصور واللوحات من كتب «الأوزة الأم» وخاصة من رسم ليونارد فيزجارد و برايان وايلد سميث.

وتدخل «الحقيقيات» كذلك إلى مجال أدب الأطفال. وعلى سبيل المثال قام كريستوفر روبين بتحنيط الحيوانات التى وردت فى قصص «بوه» للكاتب أ. أ. ملن وعرضت فى المتاحف والمكتبات فى الولايات المتحدة وانجلترا. كما أن لعب الأطفال الأصلية التى وردت صورها فى كتب الأطفال جرى تصنيعها من قبل شركة إى. بى. دتون فى نيويورك بعد وفاة مستر ملين سنة ١٩٥٦. كذلك فإن الشخصيات الحيوانية التى وردت صورها فى كتب بياتركس بوتر صنعت من السيراميك الفاخر وعرضت فى المدارس والمكتبات.

وكانت التسجيلات الصوتية هى الأخرى شكلاً أساسيًا فى فترة من الفترات من أشكال كتب الأطفال أو أدب الأطفال. وقد استمر تدفق هذا المعين بلا انقطاع إلى أن غلبه الفيديو. وكانت المواد السمعية عادة ما تحمل قصصًا مروية بالصورت وتبرز فى هذا الصدد السيدة/ جودرون ثورن ـ طومسن راوية القصة النرويجية الشهيرة التى ملأت الدنيا بروايات الأساطير النرويجية بصوتها العذب الرخيم والتى حاضرت فى هذا الفن؛ فن رواية القصص فى أماكن مختلفة من العالم كذلك توفرت بادرياك كولوم

على تسجيل الحكايات الشعبية الأيرلندية. وقام هارولد كورلاندر بقص الحكايات الشعبية الإفريقية وتسجيلها بصوته من واقع المجموعات المطبوعة التى جمعها بنفسه. ومن بين رواة الحكايات والقصص بصوتهم روث سوير؛ فرانسيس كلارك سيرز، أوغسطا بيكر وكلهم سجلوا بأصواتهم الحكايات الشعبية وقصص الكريسماس المشوقة والجذابة. كذلك سجل الشعر بالصوت وكان له جاذبية خاصة وتأثير خاص من جانب رواته: ماى هيل أربوثنوت؛ فردريك ميلشر؛ جوديث أندرسون. وقام بعض الشعراء بتسجيل شعرهم بأنفسهم وإلقائه ومن بين هؤلاء لانجستون هوز؛ روبرت فروست؛ جون كياردى، هارى بهن، آيلين فيشر. كذلك سجلت صوتياً مسرحيات الأطفال التى فازت بجائزة نيوبرى كذلك حملت كتب الأطفال على فليمات ناطقة جازت قبولاً كبيراً بين الأطفال ونجحت نجاحاً ملحوظاً. ومن أمثلة الكتب التى حملت على فليمات ووجهت لمرحلة الطفولة الباكرة كتب جيمس دورثى: آندى والأسد؛ إدوارد آرديزون: تيم الصغير وقبطان البحر الشجاع؛ تارو ياشيما: الولد الغراب، كلير بيشوب: خمسة أخوة صينيين وكان قد توفر على رسم الكتاب الأصلى كيرت فارلس؛ إدوارد لير: البومة وبوسى كات وكانت قد توفرت على رسم الكتاب الأصلى بربارا كونى. أما بالنسبة لأطفال الطفولة المتأخرة فإن أفلام الكبار تصلح لهم ومن بينها أفلام الملاحم والأساطير والقصص الخرافية وغيرها من الكلاسيكيات. كما أنه قد أنتجت لهذه السن أفلام ١٦ مم ناجحة للغاية وفيها لمسات فنية راقية ومن بينها: «غادوف إلى البحر» الذى بنى على كتاب هولنج سى هولنج، وهناك فيلم «والآن يا ميجيل» وهو فيلم توثيقى بنى على كتاب بنفس العنوان وقد فاز بجائزة نيوبرى وهو من تأليف جوزيف كرومجولد. وثمة فيلم «عقد الغانية» وهو أسطورة هندية؛ وهناك أيضًا فيلم جونى تريمين الذى بنى على كتاب إيثر فوربس بنفس العنوان وقد مر بنا ذكره. وفيلم «البرد وعظام سمك الهلبوت» وقد بنى على كتاب مارى أونيل بنفس العنوان وقد مر بنا ذكره. وفيلم «البالون الأحمر» وهو من قصص الخيال الجامح صور فى فرنسا على يد ألبرت لاموريس.

ومن بين أفلام ١٦ مم للأطفال الصغار نجد فيلم: «مادلين» الذى بنى على كتاب لودفيج بيميلمانز؛ وفيلم «اليوم المثلج» تأليف عزرا جاك كيتس، وفيلم «قطة فى الحذاء

العالى» من تأليف تشارلز بيرولت وفى بداية عهد الفيديو أنتجت أفلام فيديو خراطيش ٨مم سوبر بنيت أيضاً على كتب منشورة للأطفال من بينها كتاب جاك توركوف «الجمل الذى ذهب يتمشى»، وقصة «كعكة مقلية بالدهن» وهى مستلة من مجموعة قصص «هومر برايس» التى وضعها روبرت ماكلوسكى، و«قصة عن أريز الرصاص» من تأليف مارجورى فلاك.

وهناك كتب عادية ليست بقصصية سجلت على شرائط كاسيت أو بكر كما سجلت مقابلات مع المؤلفين ومسرحيات كلاسيكية للأطفال ومسرحيات حديثة.

ولما جاءت ثورة الفيديو وأقراص الليزر ودخل الحاسب الآلى فى أدب الأطفال تغيرت الصورة تماماً ودخلت المطبوعات فى منافسة مع المواد الجديدة وإن كانت المطبوعات ما تزال متربعة على عرش أدب الأطفال.

اتجاهات أدب الأطفال وتياراته:

عرضت فى بداية هذا البحث لآخر إحصائيات كتب الأطفال فى العالم وقلت بأن إنتاج كتب الأطفال قد يصل إلى ٧٥ ألف عنوان فى السنة أى نحو ٧٪ من مجموع كتب العالم، وقد رأينا هناك أن: ١٥ دولة فقط من دول العالم البالغة ٢٣٠ دولة تنتج أكثر من ٥٠٪ من كتب الأطفال فى العالم. ولابد أن نذكر أن إنتاج كتب الأطفال المطبوعة هى فى مد وزيادة مضطردة وأن ما نشر فى عقد التسعينات وحدة يعدل ضعفى ما نشر من كتب منذ القرن السادس عشر وإن كان كثير من كتب عقد التسعينات إعادة طبع أو طبعات جديدة.

ولقد استعرضت فى بداية هذا البحث أيضًا اتجاهات وتطورات مجالات أدب الأطفال حتى النصف الثانى. ولقد شهد النصف الثانى تطورات متلاحقة تكنولوجية وتربوية أثرت تأثيراً جذريًا فى أدب الأطفال وقادت الولايات المتحدة العالم فى هذا الاتجاه وكانت الطفولة المبكرة هى الأكثر تأثراً بما استجد على الساحة. فى الولايات المتحدة خصصت أموال فيدرالية كبيرة لشراء كتب الأطفال لمكتبات المدارس والمكتبات العامة وذلك بمقتضى الباب الثانى من قانون التعليم الابتدائى والثانوى. وقد ساعد هذا القانون كثيراً من المدارس الابتدائية على شراء كتب الأطفال. وكان للاتجاهات

التربوية الحديثة التى تركز على الفروق الفردية بين التلاميذ أثرها على استخدام كتب الأطفال فى المكتبات وداخل الفصول، ذلك أن هذه الكتب كانت تساند المناهج التى تدرس وتساند الكتب المقررة التى نظر إليها على أنها مجرد خريطة إلى المنهج وأن على التلاميذ أن يلجأوا إلى كتب أخرى للتوسع والاستزادة. وكذلك غطت كتب الأطفال جميع جوانب المناهج المقررة. ولقد أحدث هذا الاتجاه رواجًا كبيرًا فى سوق كتب الأطفال حيث لجأ الناشرون إلى تكليف المؤلفين والرسامين بإعداد هذه الكتب ونشروها على هيئة سلاسل تغطى المناهج المقررة على التلاميذ. هذه السلاسل عادة ما تكون موحدة الحجم والشكل ولقد بدأت حركة إنتاج الكتب المحددة المفردات والموجهة للأطفال الصغار منذ سنة ١٩٥٦ عندما قام تيودور جيزيل (الدكتور سيوس) بتأليف كتاب مقيد المفردات لأطفال السنة الأولى الابتدائية بناء على نصيحة من بعض رجال التربية. وكان أنجح هذه الكتب «القطة فى القبعة» وقد فتح الباب على مصراعيه واسعاً أمام طوفان من هذه الكتب مايزال مستمراً. وقد غطت هذه الكتب: القصص المصورة، العلوم، التراجم، الجغرافيا، التاريخ. وبعض هذه الكتب ذو قيمة عالية وبعضها ذو قيمة محدودة للغاية. ولعل من الأمثلة البارزة على الكتب عالية القيمة: «القطة فى القبعة»؛ «القطة فى القبعة تعود إليكم» للمؤلف سابق الذكر الدكتور سيوس؛ «زيارة الدب الصغير» من تأليف إلزى مينارك والتى توفر على رسمها موريس سنداك. هذه الكتب وأمثالها تتميز بخصائص وسمات تثير خيال الطفل وتنمى الإدراك والإحساس بالأصوات المنغمة ويمكن قراءتها بصوت عال.

وتتميز كتب المشكلات الاجتماعية المعاصرة والمشكلات الأخلاقية الموجهة للأطفال بنفس مميزات كتب الكبار فى هذه الموضوعات: الصراحة والوضوح والمعالجة المباشرة دون مواربة أو التواء. والكتب هنا تعالج الكذب والسرقة والطلاق وإدمان الكحوليات والمخدرات والسجن والشذوذ الجنسي والاستنساخ. وكتب الأطفال هذه تعالج تلك الموضوعات فى بيئات مختلفة وفى أوساط اجتماعية متعددة؛ فى المدن الكبيرة والأحياء الراقية والأحياء المتواضعة والضواحى والمدن الصغيرة والقرى. ويلاحظ أن عدد كتب المشكلات هذه يزيد سنة بعد أخرى. وبعض هذه الكتب يرقى إلى مستوى العلاج بالقراءة وهو موجه أساساً للأطفال؛ بينما بعضها قد يتوجه إلى أولياء الأمور أكثر منه

إلى الأطفال. وبعض هذه الكتب يدخل حقيقة فى عداد الأمهات، بينما بعضها ردىء للغاية.

وهناك كتب تعكس تغير وجهة نظر المجتمع الأمريكى تجاه العنصرية والجماعات العرقية عموما وخاصة الأفارقة ـ الأمريكان أى الزنوج وبعض هذه الكتب تدعو إلى التكامل بين تلك الأجناس والأعراق؛ وهناك من الكتب ما يعرض الزنوج والمكسيكيين وأهل بورتوريكو والإيطاليين واليهود والأنجلو أمريكيين وهم يعملون ويدرسون فى نفس المكان.

وثمة اتجاه مبالغ فيه نحو استلال قصيدة أو حكاية شعبية أو حكاية عفريت أو أغنية أو أسطورة أو أغنية مهد وترسم وتنشر كعمل مستقل قائم بذاته. وهناك عدد من الرسامين المتخصصين فى هذا النوع من الإنتاج. ومن بين الاتجاهات المعاصرة فى أدب الأطفال كذلك إعادة نشر الأمهات وإعادة طبع كثير من الكتب العادية وذلك لخدمة المكتبات الجديدة والمكتبات التى ترغب فى التوسع ولكن يلاحظ أن نسبة عالية من الكتب القديمة والتى استبعدتها المكتبات من رفوفها منذ فترة طويلة عادت إلى الظهور بين تلك المعادات.

مستقبل أدب الأطفال

من المؤكد أن نسبة التعليم على مستوى العالم كله تزداد عقداً بعد عقد، كما يزداد عدد الأطفال الذين ينخرطون فى التعليم ويقل عدد التلاميذ المتسربين. وقد أعلنت بعض الدول أن أياً من أطفالها لن يترك التعليم دون أن يسيطر على القراءة والكتابة والفهم بالحد الذى تسمح به إمكانياته. هذا كله يؤكد أن مستقبلاً زاهراً ينتظر أدب الأطفال فى القرن الحادى والعشرين. ومن المعروف أن الرغبة فى القراءة تنبع من الاستمتاع بما يقرأ ويحب الكتب الذى يمكن زرعه فى وقت مبكر من حياة الطفل ومن أجل هذا فليعمل العاملون فى حقل أدب الأطفال.

ومن المنتظر فى القرن الواحد والعشرين أن تستمر نفس اتجاهات أدب الأطفال التى سادت فى الربع الأخير من القرن العشرين والتى عرضنا لبعض جوانبها فى النقطة السابقة. ومن حيث الشكل فقد شهد الربع الأخير من قرننا اتجاهاً متزايداً نحو كتب

الأطفال المغلفة على أنقاض كتب الأطفال المجلدة وخاصة بالنسبة للسن ٣ - ١٢ من العمر. هذا الاتجاه سوف يستمر ويتوسع فى القرن القادم أيضًا وعلى سبيل المثال يتاح كثير من الكتب فى طبعتين إحداهما مغلفة والأخرى مجلدة ومن بين هذه الكتب نجد: «اليوم المثلج، مادلين، جورج العجيب، ماذا تقول يا عزيزى، عنكبوت شارلوت، عبر خمسة إبريلات؛ كلهم من عائلة كريمة، الملك العالى، أين تكمن الأشياء البرية، الأورة الأم» من تأليف برايان سميث. وطالما أن الأطفال يقرأون ما هو متاح وأولياء الأمور يشترون ما يمكن شراؤه، فلابد للعاملين فى المجال من مكتبيين وتربويين وناشرين ومؤلفين ورسامين أن يتيحوا الأفضل والأحسن والملائم وألا يعرضوا على رفوف المكتبات ومتاجر الكتب ومنافذ التسويق إلا ما يرقى بالطفل عقلاً وعاطفة وذوقاً، وأن يعملوا على أن تحل هذه النوعية الراقية من الكتب محل الكتب الرديئة جوهرًا ومخبرًا فى القرن الحادى والعشرين.

ولعله من الأمور المطلوبة أيضًا فى القرن القادم وعلى نفس القدر من الأهمية، تعليم أولياء الأمور ماذا يشترون من كتب الأطفال؛ وهذا الالتزام ينسحب أيضًا على نوادى كتب الأطفال التى يجب أن تتعلم كيف تختار كتب الأطفال التى تقدمها لهم إذ يجب أن تتعلم كيف تختار كتباً جيدة المحتوى جيدة الشكل حسنة الرسومات. وربما تكون هناك فى المستقبل أجزاء من دوريات وربما دوريات كاملة لعروض كتب الأطفال.

وإذا استقرأنا واقع تعليم كتب الأطفال فى الربع الأخير من القرن العشرين فإننا نستطيع القول بأن هذا الاتجاه سوف يستمر وسوف يتوسع فى القرن الحادى والعشرين، بل وستكون هناك المزيد من الأفلام القصصية والتوثيقية الموجهة أساسًا للأطفال دون أن يكون هناك أصل مطبوع لها. ويكمن مستقبل كبير لهذه المواد فيما بدأ ينتشر الآن ويعرف باسم «تليفزيون الكابل».

وأتوقع بعد اتفاقية منظمة التجارة العالمية الجديدة أن تظهر دور النشر العملاقة فى مجال كتب الأطفال على نحو ما بدأ يظهر الآن فى مجال نشر كتب الكبار ودورياتهم ومنتثم فإن الكتاب الواحد يمكن أن ينشر فى عدة دول فى وقت واحد وربما بعدد من

اللغات. ولسوف تتمخض حركة تعليم كل الأطفال، عن حركة نشر متخصصة داخل كتب الأطفال سواء على الموضوع أو الشكل أو فئة الأطفال: كتب العلوم؛ كتب القصص؛ كتب التراجم؛ أو الكتب المطبوعة، الدوريات المطبوعة، أو المعوقون ذهنياً، الموهوبون، ثنائيو اللغة.

وقد أثبتت التجارب أن المعوقين ذهنياً قد يستمتعون بقراءة كتاب وضع أصلاً للقارىء المتوسط، بينما الطفل الموهوب يتطلع لما هو أعلى من المتوسط عندما يريد القراءة فى موضوع ما. وستكون الكتب فى القرن القادم ـ بعد سنة واحدة ـ من النوع الذى يدعو إلى الاكتشاف والتفكير فى حل المشكلات بطريقة منطقية، لأن الكتب بخلاف التليفزيون تتيح الوقت الكافى أمام القارىء لقبول أو رفض الشخصيات الواردة فى الكتاب وللتفكير فيما يمكن أن يفعله لو كان مكان البطل؛ بل وأكثر من هذا تسمح له بأن يكون فرداً. ومن المنتظر أن تستمر كتب المشكلات الاجتماعية والأخلاقية فى الظهور والتوسع فى القرن القادم ولكنها ستكون أكثر موضوعية وأكثر تفتحًا.

ونظراً للتقدم التكنولوجى الهائل فى مجال إنتاج وإخراج الكتب عموماً وكتب الأطفال على وجه الخصوص وبالذات فى مجال الرسوم والإيضاحيات، وما يتوقع لذلك التقدم من اضطراد فى القرن القادم فإن ارتفاع مستوى إنتاج الكتاب شكلاً ومضموناً هو الظاهرة التى ستسود القرن الحادى والعشرين؛ ولكننا يجب أن نؤكد على أن الشكل وخاصة فى كتب الطفولة المتوسطة والمتأخرة يجب ألا يطغى على المضمون.

وسوف تستمر التجارب التى تجرى،الآن حول حجم البنط، حجم الكتاب، لون الورق، مواد التجليد، عمليات الطباعة، نوع المادة التى يحمل عليها الكتاب، تصميم الصفحة. سوف تستمر الدراسات أيضاً حول ما إذا كان طول الكلمات أو الجمل يمكن أن يلعب دوراً فى عملية القراءة كما كان يعتقد فى الماضى؛ أو أن طول الجمُل والكلمات يجب أن يتناسب مع حجم وتصميم الصفحة.

ومما لا شك فيه أن كتب الأطفال غير المطبوعة سوف تستمر فى الازدياد والتوسع والتعمق وسوف تظهر فى القرن القادم منها أشكال ليست معروفة لنا الآن حيث أن ما هو معروف لنا الآن هو: فليمات ناطقة، أفلام ناطقة، كتب ناطقة، أشرطة،

اسطوانات أفلام ٨مم سوبر، أفلام فيديو. وأتصور أن الكتب الناطقة فقط سوف يقل إنتاجها والإقبال عليها. ويأسو الباحث لما سوف يحدث فى القرن الواحد والعشرين من ضعف الاتصال الشخصى فى أدب الأطفال: القراءة بصوت عال للطفل، حكاية قبل النوم، رواية القصة، ساعة القصة، جماعات المناقشة.

فى القرن الواحد والعشرين كلما تقدمنا عقداً بعد عقد سوف يشتد الصراع بين ثلاث وسائل اتصال فى أدب الطفل: الاتصال الشفوى ـ الاتصال المطبوع ـ الاتصال السمعى البصرى. ولكن نحن لا نعرف على وجه الدقة وبقياسات علمية رياضية لأيها ستكون الغلبة، بينما بحسابات العاطفة والحدس سوف يستمر الاتصال المطبوع هو سيد الموقف على الأقل طوال النصف الأول من القرن.

ومن المؤكد أيضًا فى القرن القادم أن التفاوتات فى أدب الأطفال كما هى التفاوتات فى كل شىء ستظل قائمة بين الدول النامية ككل والدول المتقدمة ككل وسيظل الشرق شرقًا والغرب غرباً. وللأسف الشديد سوف تزداد الهوة اتساعًا لأن الدول المتقدمة تزداد تقدماً والدول النامية إن لم تزدد تخلفاً فإنها على الأقل تثبت فى مكانها أو تتقدم بخطى بطيئة وفى كل الأحوال تتسع الهوة بينهما.

المصادر:

1 - Adams, Bess Porter. About books and children: historical survey of children's literature .- New York: Holt, 1953.

2 - Alm, Richard Sanford. Study of assumptions concerning human experience underlying certain works of fiction written for and about adolescents .- 1954.

3 - Arbothnot, May Hill. Children and books .- 3 rd ed .- Chicago: Foresman, 1964.

4 - Avery, Gillian. Nineteenth Century children: heroes and heroines in English Children's Stories 1780 - 1900 .- London: Hodder and Stoughton, 1965.

5 - Barry, Florence Valentine. Century of children's books .- 1923.

6 - Becker, May (Lamberton) .First adventures in reading: introducing children to books .- New York: Stokes, 1936.

7 - Beckett, Sandra (Edt) - Reflections of change: children's literature since 1945 - 1997.

8 - Colberg, Donald Arthur. Moral and social values in American adventure novels for boys, 1865 - 1900 .- New York, 1973.

9 - Colby, Jean Poindexter. Writing, illustrating and editing children's books .- New York: Hastings, 1967.

10 - Dalgleish, Alice. First experiences with literature .- New York: Scribner, 1932.

11 - Darfman, Ariel. Ültima aventura del ltanero solitario .- 1982.

12 - Darling, Richard. The rise of children's book reviewing .- 1968.

13 - Darton, F. Harvey. Children's books in England: Five Centuries of social life .- 2nd ed .- Cambridge: Cambridge (England) University Press, 1958.

14 - Egoff, Sheila A. Only connect: readings on children's literature .- 1996.

15 - Ellis, Alec. A history of children's reading .- New York: Pergamon, 1968.

16 - Ellis, Alec. How to find out about children's literature.- New York: Pergamon, 1973.

17 - Fenner, Phyllis. Something shared: children and books .- New York: Day, 1959.

18 - Fenwick, Sara (Edt) - A critical approach to children's Literature .- Chicago: University of Chicago Press, 1967. (The Thirty First Annual Conference of the Graduate Library School: 1 - 3, Agust, 1966).

19 - Fisher, Winifred Maxine. Images of black American Children. in contemporary realistic fiction for children. 1977.

20 - Freeman, Ruth (Sunderlin) .Children's picture books yesterday and today .- New York: Century House, Watkins Glen, 1967.

21 - Green, Roger L. Tellers of tales: British authors of children's books from 1800 to 1964.- New York: Watts, 1965.

22 - Hillman, Judith .Discovering children's literature.- New York: Century House, 1999.

23 - Hurlimann, Bettina. Three centuries of children's books in Europe .- Cleveland: World, 1968.

24 - Jacobs, James S. Children's literature briefly .- 1996.

25 - Jordan, Alice M. From Rollo to Tom Sawyer .- Boston: Horn Book, 1948.

26 - Karl, Jean. From childhood to childhood: children's books and their creators .- New York: Day, 1970.

27 - Kirk Patrick,D. L.(Edt) Twentieth Century children's writers.- 1978.

28 - Klemin, Diana. The Art of art for childrenis, books .- New York: Potter, 1966.

29 - Lukens, Rebecca. Critical handbook of children's literature .- 1999.

30 - Mahony, Bertha and Louise Latimer and Beulah Folmsbee. Illustrators of children's books: 1744 - 1945. Boston: Horn Book, 1947.

31 - Mahony, Berta and Louise Latimer and Beulah Folmsbee. Illustrators of children's books: 1946 - 1956.- Boston: Horn Book, 1958.

32 - May, Jill P. Children's literature and critical theory: reading and writing for understanding .- 1995.

33 - Meigs, Carnelia Lynde et al. A critical history of children's literature .- revised edition .- New York: Macmillan, 1969.

34 - Nodelman, Perry .Pleasures of children's literature .- New York: Day, 1992.

35 - Pellowski, Anne. The World of children's literature .- New York: Bowker, 1968.

36 - Ross, Eulalie. Spirited life: Bertha Mahony Miller and children's books .- 1973.

37 - Pierpont Morgan Library. Early children's books and the illustrations .- 1975.

38 - Pitz, Henry. Illustrating children's books .- New York: Watson - Guptill, 1963.

39 - Robinson, Evelyn Rose (Edt). Readings about children's literature .- New York: Mckay 1966.

40 - Saxby, Henry Maurice .Books in the life of a child: bridges to literature and learning .1997.

41 - Sloane, William. Children's books in England and America in the seventeenth Century .- New York: Kings Crown, 1965.

42 - Smith, Dora V. Fifty years of children's books 1910 - 1960 :trends, backgrounds, influences .- Champain: National Council of Teachers of English, 1963.

43 - Smith, Elva S. The History of children's literature .- Chicago: American Library Association, 1937.

44 - Smith, James Steel. A critical approach to children's literature .- New York: Mc Graw - Hill, 1967.

45 - Smith, Lilian. The unreluctant years: a critical approach to children's literature .- Chicago: American Library Association, 1953. (reprinted, 1991).

46 - Sutherldand, Zena. Children and books .- 1991.

47 - Targ, Willian (~Edt) Bibliophile in the nursery .- Cleveland: World, 1957.

48 - Thwaite, Mary F. From primer to pleasure: An introduction to the history of children's books in England, From the invention of printing to 1900 .- London: Library Association, 1963.

49 - Tomlinson, Carl M. Essentials of children's literature .- 1995.

50 - Tucker, Nicolas .Suitable for children? controversies in children's literature .- 1976.

51 - Walsh, Frances. That eager zest: first discoveries in the magic world of books .- Philadelphia: Lippincott, 1961.

52 - Wilkin, Binnie Tate .Survival themes in fiction for children and young people/ with a foreword by Jerame Cushman .- 1978.

53 - Wintle, Justin .Pied Pipers: Interviews with the influential creators of children's literature 1975.

54 - Yonnicopoulou, Angela. Fables and children: form and function 1993.

أدب الأطفال فى بريطانيا

Children's Literature in Great Britain

بدأ أدب الأطفال فى الظهور فى بريطانيا فى أربعينات القرن الثامن عشر عندما فتح جون نيوبرى محلاً فى لندن لنشر وبيع الكتب «للسادة والإنسان الصغار». وقد كتب أول مؤرخ جاد عن كتب الأطفال هارفى دارتون عن جون نيوبرى فى كتابه كتب الأطفال فى انجلترا يصفه بأنه «نيوبرى المنتصر». وفى لهجة قاطعة وحاسمة يصف سنة ١٧٤٤م السنة التى نشر فيها نيوبرى أول كتاب له بأنه تاريخ يقارن بسنة ١٠٦٦م التى صدرت فيها أقدم كتب التاريخ البريطانية. وقد وصف كتاب الأطفال لسنة ١٧٤٤م بأنه «كتاب من كتب الجيب الصغيرة الجميلة».

وقد اعترف دارتون بأن تحديد سنة معينة لتطور أدب الأطفال هو من قبيل التعسف ولكنه مريح على أية حال ورغم أن نيوبرى لم يكن وحده فى هذا المضمار. ولابد لنا من القول بأن منتصف القرن الثامن عشر كان علامة فارقة فى نشر كتب الأطفال فى بريطانيا وأن هذه الكتب كانت تمثل فرعاً هامًا من فروع صناعة وتجارة النشر فى بريطانيا. وقد ساعد على ذلك العديد من العوامل من بينها استقرار الأوضاع السياسية وانتشار التعليم وبزوغ الطبقة المتوسطة وتشكل حياتها والنظرة الجديدة إلى الطفولة. كل هذه الأمور جعلت إنتاج كتب الأطفال مسألة اقتصادية ونفسية سهلة.

وعندما نجعل من ظهور جون نيوبرى أو بالأحرى عصر نيوبرى علامة فارقة بين عهدين فى تاريخ كتب الأطفال فى بريطانيا فإن من الواجب أن نلقى نظرة على ما كان قبل نيوبرى. ولتحليل ما كان من أدب الأطفال قبل منتصف القرن الثامن عشر فلابد وأن نسير فى اتجاهين: القصص والأساطير التى توارثتها الأجيال عبر القرون ولم تكن موجهة بالضرورة إلى الأطفال؛ المادة الموجهة للأطفال بصفة خاصة وإن لم تكن قصصية. والاتجاه الأول كان بالضرورة هو الغالب والأكبر حجماً، وكان يضم أساطيراً وقصصًا رومانسياً مثل (قصص الملك آرثر، روبين هود، جيى من وارويك، بيفيس من هامبتون، أبطال العالم المسيحى السبعة، وغير ذلك كثير). ومن بين

الخرافات الأساطير (آيسوب، رينارد الثعلب) ومن بين القصص الشعبى كان هناك كمية كبيرة متنوعة للغاية فى طبيعتها ونوعيتها. وقد قام طابعو نهاية القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر بطبع كميات كبيرة منها بعد أن كانت تتداول شفاهة بين الناس على نطاق واسع.

لقد كان الاستمتاع بالقصة أياً كانت واسع النطاق بين الصغار والكبار على السواء. وكان الشعراء فى بريطانيا فى كثير من الأحيان يدخلون فى عداد القصاصين. ومع دخول عصر النهضة اتجه المثقفون نحو الكلاسيكيات وبعثوا القصص القديمة على نطاق واسع؛ وإن كان هذا الاتجاه قد أدين مع وجهة النظر الأخلاقية وخاصة من جانب طائفة البيورتيان (المتطهرين) فى القرنين السادس عشر والسابع عشر. لقد رأت هذه الطائفة أن تلك القصص الكلاسيكية كانت تثير غرائز الشباب وتفسد أخلاقهم؛ وهى النغمة التى ترددت فى كثير من الأزمنة وكثير من الأمكنة.

أما الفرع الثانى من كتب الأطفال والذى قلنا إنه كان موجهًا خصيصًا لهم فقد انطوى على الكتب التعليمية: الكتب المدرسية؛ كتب قواعد السلوك التى كانت ترشد الأطفال إلى كيفية التصرف بأسلوب لائق؛ وكتب الدين والوعظ التى تهدف إلى غرس الفضائل فى نفوس الأطفال وتلقينهم أسس التكريس والعبادة. وكانت الكتب الدينية التى تنشرها طائفة البيوريتان فى القرن السابع عشر تتراوح ما بين كتب معتدلة مثل كتاب «هدية للأطفال» الذى ألفه جيمس جينوييى سنة ١٦٧١م والذى كما أشرت من قبل يقص فيه الحياة المقدسة والموت المبهج للعديد من الأطفال؛ وما بين الكتب العنيفة التى تهدد بالنار والجحيم لغير الاتقياء. وكان المؤلفون ذوو النيات الطيبة يحذرون القراء من أنهم ليسوا صغاراً بحيث لا يدخلون النار، بل إنهم إذا اقترف الطفل منهم إثماً فإنه يعاقب فى النار بسببه.

ويلاحظ أنه مع مطلع القرن الثامن عشر كانت هناك نظرة جديدة إلى الموضوع وقد ارتبطت هذه النظرة بالتنوير وفى انجلترا بالذات ارتبط الاتجاه الجديد بالفيلسوف جون لوك. والنظرة الجديدة إلى الطفل كانت ترى أن الطفل يولد فى حالة من البراءة التامة وأن عقله الصغير هو لوح نظيف تماماً ينتظر الكتابة عليه.

وقد أكد جون على إمكانية ربط المتعة والتعليم معًا؛ ففى كتابه «أفكار حول التعليم» المنشور سنة ١٦٩٣م؛ ذكر أن الطفل يمكن أن يلعب ويستمتع وهو يكتب حروفه، بل إنه قد يستمتع ويلعب بما لا يروق للكبار. ويستطرد جون لوك قائلاً بأن الطفل الذى تعلم القراءة يمكن أن نقدم له كتابًا سهلاً مبهجًا يذلل الصعوبات والآلام التى يعانيها فى القراءة ولا يملأ رأسه بأشياء تافهة لا نفع من ورائها أو يرسخ فى نفسه الشعور بالإثم والخطيئة. وهذه الوصفة التى قدمها جون لوك استبعدت من وجهة نظره القصص الكلاسيكية القديمة والقصص العاطفى ولم يجد شيئًا يوصى به سوى الكتاب المقدس وأساطير آيسوب ورينارد الثعلب.

وكانت مقترحات جون لوك دعوة صريحة لمنتجى الكتب إلى سد الثغرة. ولم يكن جون نيوبرى هو الوحيد الذى استجاب لدعوة لوك بل لم يكن رغم إعجابه الشديد به أول المستجيبين له. ومهما يكن من أمر فقد كان نيوبرى هو أنجح وأهم من استجاب وقام بخطوات أساسية فى سد هذه الثغرة وكانت الكتب التى نشرها تحمل المتعة والتعليم فى وقت واحد بين دفتيها. وقد أصبح الهدفان مرتبطين منذ ذلك الحين: المتعة والتعليم. ويحاول الناشرون اليوم الالتزام بهذا المبدأ وينشرون كتباً للترفيه يتعلم منها الأطفال أو كتبًا للتعليم يجد الأطفال فيها متعة وترفيهًا. وهناك كم كبير من هذا النوع من الكتب ينشر فى بريطانيا الآن.

وفى محاولتنا لاستعراض كتب الأطفال فى بريطانيا سوف نركز على الكتب الموجهة خصيصًا لهم مستبعدين من ذلك الكتب المدرسية والتعليمية القح. وسوف نتتبع ذلك منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبًا. ففى حياة جون لوك وبعد مماته مباشرة نشرت ثلاثة أعمال قصصية كبرى لم يكتب أيها للأطفال مباشرة وخصيصاً ولكن تم تعديلها أو تبنيها ككتب أطفال. وهذه الكتب هى كتاب جون بونيان «تقدم الحاج» سنة ١٦٧٨م؛ وكتاب دانييل ديفو «روبنسون كروزو» سنة ١٧١٩؛ وكتاب جوناثان سويفت «رحلات جليفر» سنة ١٧٢٦م. وهذه الكتب الثلاثة التى تتفق فى أنها جميعاً رحلات إلى المجهول تنتمى إلى الأدب الإنجليزى العام أكثر من انتمائها إلى كتب الأطفال خاصة ولكن غالبًا ما ينظر إليها على أنها حلقة من حلقات كتب الأطفال ومعين لا ينضب ومحفز لإنتاج العديد من كتب الأطفال على نفس النهج.

والحقيقة أن الكتب التى نشرها نيوبرى ومعاصروه لم تكن على نفس القدر والمستوى من الأهمية. ولعل أهم كتاب نشره نيوبرى هو ذلك الكتاب مجهول المؤلف المنشور سنة ١٧٦٥م تحت عنوان «حذاء جودى» والذى ينسب مع كثير من الشك إلى أوليفر جولد سميث. ويدور هذا العمل حول يتيمة فقيرة تستطيع أن تعلم نفسها بنفسها وتصبح مدرسة وتتزوج زيجة رائعة وتصير من الأغنياء. وقد أعيد طبع هذه القصة فى القرن التاسع عشر وما يزال الكثير من القصص حتى يومنا هذا يصدر على غرارها بل ويحمل عنوانها حتى ولو لم يكن هناك إلا شبه قليل منها. واتسمت كتب نيوبرى بخفة الظل وإدخال البهجة والسرور على من يقرؤها وقد وصف نفسه للقراء على أنه «صديقك العجوز فى ساحة كنيسة سان بول» بيد أن نيوبرى ومعاصريه لم يكونوا متسامحين مع القصص الشعبى القديم شأنهم فى ذلك شأن القرن السابق عليهم. فلقد ورد فى مقدمة قصة «حذاءا جودى» أن الناس يحشون عقول الأطفال بقصص العفاريت والخرافات والساحرات وغير ذلك من العبث وهم صغار فإذا ما شبوا وكبروا استمروا مغفلين.

ولم يكن خلفاء نيوبرى ومنافسوه أكثر تحرراً من صبغة الوعظ والإرشاد فاستمرت التأثيرات الوعظية والتعليمية سائدة قوية فى أعمالهم وكانوا فى حاجة إلى جون لوك جديد، وفعلاً جاء بعد جون لوك، جان جاك روسو الذى قال بأن الحضارة قد صبغت الفضائل الطبيعية الغريزية بالبطالة وعدم المساواة وإطلاق العنان للشهوات. وقد تمسك زملاء روسو البريطانيين بمفاهيم البساطة والنفعية ويلاحظ ذلك بوضوح فى قصص ماريا إيدجوورث وتوماس ديى على وجه الخصوص (١٧٨٣ ـ ١٧٨٩). كما أدى الاتجاه الجديد إلى تأليف ونشر قصص تعبر عن وجهات نظر فى الحق والعقلانية على نحو ما نصادفه فى قصة (ساندفورد وميرتون) التى يتم التركيز فيها على الأصالة وحسن الخلق وذم الثراء العاطل.

وفى نهاية القرن الثامن عشر نجد من بين الكتاب الأخلاقيين سارة تريمر بقصتها «تاريخ عائلة روبنز» سنة ١٧٨٥ وهنا مور التى جعلت الفقراء بقصصها التى نشرتها فى تسعينات ذلك القرن يتمسكون بفضائلهم ويعرفون قدرهم ومكانتهم. ولعل آخر الوعاظ فى قصص الأطفال فى ذلك القرن كانت مارى مارتا شيروود فى قصتها (أسرة

الطفل السوى) الذى نشر عدة مرات فى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر.

ولقد جاء ظهور شعر الأطفال مواكباً لظهور قصصهم. لقد كان هناك الشعر الذى يلقى على الأطفال ويقرءونه رغم أنه لم يكن يكتب لهم خصيصًا مثل القصائد الثلاثية (البلاد) والأغانى الشعبية وترانيم المهد. ويقول جون روتاونسيد بأن ترانيم المهد ليست على تلك الدرجة من القدم التى نظنها رغم أن بعض المصادر يؤكد أن ٥٠٪ منها تقريباً ترجع إلى ما قبل سنة ١٧٠٠م وبعضها أقدم من ذلك بكثير. وقد استخدم الشعر لإنعاش الذاكرة والمساعدة فى الحفظ أو لتحلية الجرعة التعليمية، على نحو ما نصادفه فى كتب قواعد السلوك القديمة التى كانت تقفى وتحلى بالشعر. وبعض كتب طائفة البيورتيان التعليمية كانت تكتب شعرًا ومن بينها كتب جون بونيان رغم أن كتبه الشعرية كانت قاسية التعبير مثل كتاب الأولاد والبنات المنشور سنة ١٧٨٦م والذى صدر بعد ذلك بعنوان «شارات إلهية»، حيث كان دائم التهديد لهم بالنار والعذاب والجحيم.

ولم يكن إسحاق واطس فى «الأغنيات الإلهية» أقل اعتناء بالنار والجحيم وتهديد الأطفال بهما وإن كان واطس أقل حدة فى القرن التاسع عشر وكانت أشعاره أيسر منالاً وأكثر تذكرًا ومازال بعض أبياته يدور على الألسن حتى الآن. وقد استمر فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر نشر القصص الشعرية الأخلاقية التى تصور مكافأة الأطفال الطيبين ومعاقبة الأطفال الأشرار أحياناً بالموت المفاجىء. ومن كتب الشعر الجميلة التى نشرها نيوبرى وكان لها أثرها فى كثير من الكتب التى جاءت بعدها، «أنشودة الأورة الأم» المنشورة سنة ١٧٦٥. ولكن الاسم الكبير فى شعر الأطفال فى القرن الثامن عشر كان وليام بليك فى روائع «أغنيات البراءة» سنة ١٧٨٩م، «أغنيات التجارب» سنة ١٧٩٤م التى اعتبرت من أمهات العالم كله.

ويرجع تاريخ تصوير كتب الأطفال إيضاحياتها إلى ما قبل عصر الطباعة، ولم يستطع الطابعون الأول مواكبة العصر الذهبى لتصوير الكتب فى العصور الوسطى. ولكن منذ وليام كاكستون فصاعدًا أصبحت الكتب المطبوعة تصور وتوضح وكان

الوسيط الأول فى هذا الصدد هو كتل الخشب والتى ظلت مستخدمة حتى القرن التاسع عشر بل وتستخدم الآن من حين لآخر على الرغم من عدم طباعة الإيضاحيات مباشرة من تلك الكتل.

وكانت كتب الأطفال فى بادىء الأمر تزين بإيضاحيات بدائية وصور رديئة ذات خطوط حادة على النحو الذى نصادفه فى كتب البسات القليلة. ولقد وجد فى القرن الثامن عشر فنانون عظماء توفروا على تصوير كتب الأطفال من بينهم توماس بيويك ووليام بليك نفسه وقد استمر هذا التقليد فى القرن التاسع عشر مع فنانين مشاهير من أمثال وليام ملردى؛ جورج جريكشانك، ريتشارد دويل، جون تنييل وغيرهم كثيرون.

وفى مطلع القرن التاسع عشر استمر إنتاج كتب الأطفال فى الازدياد المطرد، ولكن التركيز كان مايزال حول الكتب التعليمية والإرشادية. وكانت كتب القصص بعيدة عن الحقيقة والواقع وغلب عليها القصص الوعظى الأخلاقى والتى اضطر الأطفال إليها اضطرارًا لأنهم لا يجدون غيرها. وقد شكت كاترين سنكلير فى مقدمة «بيت يوم العطلة» المنشور سنة ١٨٣٩م من أن الخيال لايجد تشجيعًا وأن الكتب المكتوبة للأطفال ليست إلا سجلات جافة ببعض الحقائق وليست فيها جاذبية أو حياة تقربها من القلب، كما أنها لا تنطوى على أية إثارة.

وربما كانت أكثر التطورات إثارة فى بداية القرن التاسع عشر هى عملية تبنى القصص الشعبى وتطويعه فى كتب الأطفال؛ ذلك القصص الذى غلفته سلاسل الغيوم ردحاً طويلاً من الزمن حيث وصفه تيودور واستيوارت بأنه سخافات الفلاحين ووصفه البيوريتان على أنه عبث غير أخلاقى وخطير ووصفه ناشرو القرن الثامن عشر بأنه ضد العقل والمنطق. ورغم ذلك كله كان له انتشار بين الأوساط الشعبية. وربما كان لبعث هذا القصص فى عصر الطباعة ارتباط بالحركة الرومانسية وهى التى كانت تمثل تيار الخيال الذى أعقب عصر العقل والمنطق. وفى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر قام بنيامين تابارت ـ وهو صاحب متجر كتب أطفال ـ بإنتاج عدة مجموعات من قصص العفاريت الشعبية. ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا لقيت القصص

الشعبية القديمة قبولاً عاماً. وكان المعين الأكبر والدافع العظيم إلى ذلك قد جاء من ترجمة القصص الشعبية الألمانية التى جمعها وصاغها الأخوان «جريم» ونشرت ١٨٢٣ ـ ١٨٢٦.

ومع منتصف القرن التاسع عشر بدأ تيار الخيال يسرى بين العديد من كتاب الأطفال ولقد وضع جون رسكن موافقته على قصص العفاريت عندما نشر قصته الشهيرة الشعبية «ملك النهر الذهبى» سنة ١٨٥١م. وفى تلك الفترة أصبحت الظروف كلها مواتية لإنتاج كتب الأطفال فقد كان عدد السكان يتزايد كما كانت رقعة التعليم تتسع باستمرار؛ وغدا النشر مهنة لها أصولها وقواعدها. وقد استمرت نسبة كبيرة من كتب الأطفال فى تلك الفترة كتبًا تعليمية إرشادية، حيث قام كتاب الدرجة الثالثة والرابعة بتلبية احتياجات السوق. وكانت الطفولة النموذجية فى العصر الفيكتورى هى باختصار تلك الطفولة المطيعة التى تنفذ ما يطلب إليها. وكانت التقوى إلى حد غير معقول أمرًا متفقاً عليه والانخراط فى مدارس الأحد هى أساسيات كتب الدين الموجهة للأطفال. ومن جهة ثانية لا ينبغى أن ننظر إلى كتب الأطفال فى العصر الفيكتورى على أنها القاعدة العامة بل كانت هناك كتب ولو أنها قليلة، تخرق تلك القاعدة وتشذ عن ذلك الاتجاه.

وكان عقد الستينات فى القرن التاسع عشر عقدًا مضيئًا فى تاريخ كتب الأطفال فى بريطانيا حيث صدر فيه عملان من أعمال الخيال (الفانتازيا) الكبيرة كتاب تشارلز كنجزلى «أطفال الماء» سنة ١٨٦٢ والكتاب الذى يعتبره الكثيرون أعظم كتب الأطفال البريطانية على الإطلاق «مغامرات أليس فى بلاد العجائب» الذى نشر سنة ١٨٦٥ للمؤلف الرائع لويس كارول والذى أتبعه سنة ١٨٧١ بكتابه من «خلال الزجاج الشفاف». وقد صدر على غرار كتاب مغامرات أليس فى بلاد العجائب العديد من الكتب يحلو للنقاد أن يسموها بكتب أليس ورغم أن هذه الكتب لم تكن ناجحة دائمًا إلا أنها كانت محل نقد وتحليل مستمرين متصلين من جانب العديد من النقاد والكتاب؛ وكانت لها جاذبية خاصة لدى الأطفال. ومن بين كتاب الخيال الذين أثاروا الجدل حولهم نجد الكاتب المبدع جورج ماكدونالد مؤلف كتاب «فى ظهر رياح الشمال» سنة ١٨٧١ وكتاب «الأميرة والجنى» سنة ١٨٧٢.

ولم تكن كتب الخيال هى الوحيدة أو النوع السائد فى تلك الفترة، بل جاء إلى جانبها قصص المغامرات التى استمدت من كتب الكبار مثل روبنسون كروزو وقصص والتر سكوت وفنيمور كوبر وغيرهما، ذلك الاتجاه الذى بدأ فى نفس الوقت مع كتب المغامرات التى وضعت خصيصًا للأطفال على النحو الذى قام به كابتن ماريات فى أربعينيات ذلك القرن. وقد جاء بعد ذلك طوفان من قصص «الأولاد» التى أبدعها و. هـ. كنجستون؛ ر. م. بالانتين؛ ج. أ. هنتى وغيرهم ممن قدموا للأطفال نماذج حيوية من بناة الإمبراطورية، الذين عاشوا حياة نظيفة عظيمة وينظر إليهم على أنهم أنهم الأحسن والأفضل فى بريطانيا والعالم. ولقد قاد هذا التيار إلى تيار روبرت لويس ستيفنسون الذى اعترف فى مقدمته الشعرية التى قدم بها لكتابة «جزيرة الكنز» سنة ١٨٨٢ بتأثير كنجستون وبالانتين عليه.

أما بالنسبة للبنات فقد كان هناك نوع آخر من الكتب يلائم الجنس اللطيف أطلق عليه: الدراما المنزلية، تلك التى أبتدعتها كاتبات رائعات من أمثال شارلوت يونج، السيدة/ موليسوورث، السيدة/ إيونج وغيرهن ممن طواهن النسيان إلا من جانب الباحثين المتخصصين وربما توضع فرانسيس هودجسون بيرنيت بين معقوفتين بين أولئك الكاتبات ولكنها فى حقيقة الأمر يجب أن تأتى قبلهن جميعًا. ويأتى وجه شهرتها ومكانتها من كتاب «اللورد فونتلروى الصغير» سنة ١٨٨٥. كما أن كتابيها «الأميرة الصغيرة» سنة ١٩٠٥م، و«الحديقة السرية» سنة ١٩١٠، مايزالان متداولين.

ولابد من الاعتراف أنه حتى فى العصر الفيكتورى كانت البنات يكرهن على وجه العموم كتب الفضيلة والسكينة تلك وكن يفضلن قصص المغامرات الموجهة لأشقائهن، وربما سرى ذلك التفضيل أيضاً إلى القصص المدرسية حتى فى تلك المدارس المخصصة للإقامة الكاملة والتى لم يكن يدخلها سوى الصبيان. وكانت المدرسة فى الواقع تربة خصبة لانتشار القصص المدرسية، حيث كانت المدرسة عالماً مغلقًا وكان الصبى فيها مواطناً مشاركًا بالكامل. وقد احتلت القصة المدرسية مكاناً هاماً مع ظهور قصة توماس هوجز «أيام دراسة توم براون» سنة ١٨٥٧ وقصة ف. و. فيرار «إيريك أو قليلاً قليلاً» ١٨٥٨م وهى قصة عاطفية أخلاقية تستدر الدمع طبع منها ثلاثون طبعة حتى نهاية القرن. وكانت القصص المدرسية الكلاسيكية قد جاءت عن طريق: تالبوت بينز ريد فى ثمانينات وتسعينات ذلك القرن ولكنها تبلورت وتحددت قيمها العليا على يد كبلنج

فى رائعته «ستوكى وكو» سنة ١٨٩٩م التى تصور ذكر الحيوان الصغير المنقرض.

ولقد كانت إضافات كبلنج إلى أدب الأطفال غنية ومتنوعة؛ واشتملت على «كتب الأدغال» المحبوبة (١٨٩٤ ـ ١٨٩٥)، وهى أكثر إثارة وخيالاً من قصص الحيوان؛ كما اشتملت على مجموعة «مجرد قصص» سنة ١٩٠٢م التى تصنف على أنها خرافات الحيوانات وموجهة للأطفال الصغار؛ وكتاب «عفريت تل بوك» سنة ١٩٠٦م وهى قصة خيالية استهوت الشعب البريطانى على كامل أرض بريطانيا. أما إديث نسبيت فقد دخلت إلى عالم الشهرة من خلال قصصها الأسرية الثلاثة التى تدور حول الأطفال اللقطاء والتى بدأتها بقصة «قصة الباحثين عن الكنز» سنة ١٨٩٩. كما عرفت بقصصها التى تدور حول أسر الأطفال ولكنها تدخل فيها مخلوقات سحرية: ذات الفراء، البساميد معتل المزاج على نحو ما نصادفه فى «خمسة أطفال وهى» سنة ١٩٠٢؛ «قصة تميمة» سنة ١٩٠٦، وكذلك على نحو ما نصادفه من الفونكس الذى يفقس فى النار وذلك فى قصة «الفونكس والبساط» سنة ١٩٠٤. والشخصيات فى كلاسية كينث جراهام الشهيرة «رياح الصفصاف» سنة ١٩٠٨ هى أساسًا من البشر ولكنهم يتلونون أحيانًا قليلة بلون الحيوانات. وفى سنة ١٩٠٤ لقيت مسرحية «بيتربان» التى كتبها ج. م. بارى نجاحاً متواصلاً على خشبة المسرح ولكنها ككتاب مطبوع لم يكن لها طعم أو لون أو رائحة.

أما كتب الشعر الموجهة للأطفال فإنها لم تأخذ طريقها إلى أدب الأطفال فى بريطانيا إلا فى القرن التاسع عشر وقد بدأت بقصائد آن وجين تيلور التى ظل الأطفال يذكرونها لفترة طويلة والتى كان من بينها قصائد «أمى»، «إلمع، إلمع أيها النجم»، ومن الشعراء المجيدين للأطفال فى هذا السبيل أيضًا ويليام روسكو الذى قدم للأطفال أشعارًا غير تعليمية مثل قصيدته «كرة الفراشة» سنة ١٨٠٧م وكان يعد رسومات هذه القصائد الفنان وليام ملردى. ويستحق الشاعر روبرت براوننج ذكرًا خاصًا حيث كانت قصائده تعيش فى وجدان الأطفال آمادًا طويلة منذ بدأ نشرها فى سنة ١٨٤٢م وخاصة قصيدته «عازف المزمار الأرقط من هاملين». وكما أشرت سابقًا كان من أحسن الكتب الشعرية التى أبدعها لويس كارول تلك التى نشرت فى مجموعة أليس ومن أحسن إبداعات إدوارد لير «أغنيات العبث» سنة ١٨٧٠ و«غنائيات ضاحكة» سنة ١٨٧٧.

وهى أروع الأشعار إذ أنها من الكوميديات الحزينة الغريبة التى قدمها ذلك الشاعر الموهوب. وفى تلك الفترة أيضاً نشرت كريستينا روستى «سوق الجنى» وهى قصة من قصص العفاريت الأصلية المكتوبة شعراً وقد نشرت سنة ١٨٦٢، كما نشرت «غنى أغنية» وهى مجموعة قصائد قصيرة للأطفال الصغار نشرت سنة ١٨٧٢. وفى سنة ١٨٨٥ جاء روبرت لويس ستفنسون بديوانه الرائع «جنة أشعار الطفل».

وفى مجال كتب الصور أبدع العصر الفيكتورى هذا النوع من الكتب ونحن لا نقصد به الكتاب المصور أى ذا الصور المصاحبة للنص وإنما نقصد به أن يكون الأصل فيه الصور والنص فيه عبارة عن سطور قليلة مصاحبة للصور التى هى الملمح الغالب عليه ولعل رائد كتب الصور فى ذلك العصر هو الطابع الحفار إدموند إيفانز الذى جعل من الطباعة الملونة فناً رفيعًا ورغم أنه كان هو مبدع فكرة كتب الصور إلا أنه هو أيضاً الذى حمل الفنانين على نشرها وتوسيع نطاقها. وكان من بين المبدعين فى هذا الصدد الفنانون: والتركرين؛ راندولف كالدكوت؛ كيت جرينوى التى أبدعت تصوير الأطفال الجميلة والطفولة البريئة، وبعد هؤلاء بسنوات قليلة جاءت بياتريكس بوتر بقطعها الفنية التى تصور قصص: بيتر رابيت، توم كيتين، جيميما بدل ـ دك وغير ذلك من الحيوانات الأليفة.

أدب الأطفال فى بريطانيا بين حربين

كانت السنوات الخمسون أو الستون السابقة على الحرب العالمية الأولى يطلق عليها «العصر الذهبى لأدب الأطفال» وعلى النقيض من ذلك كان وضع أدب الأطفال فى بريطانيا فى العشرين عاماً بين الحربين الأولى والثانية، إذ تراجعت مكانة أدب الأطفال ولم تعد الكتابة للأطفال تجتذب أى كاتب مبدع خلاق يبحث عن وضع أدبى لائق. وكانت الفكرة السائدة فى الولايات المتحدة عن أن أدب الأطفال هو جزء من الثقافة الوطنية، وأن مكتبات الأطفال والخدمات المكتبية لهم فى المدارس والمجتمع هى حق أصيل لهم، هذه الفكرة لم تأخذ طريقها سريعًا إلى بريطانيا، بل كان دخولها بطيئًا وعلى استحياء فى منتصف الثلاثينات ولم يبدأ منح «ميدالية كارنيجى» لكتب الأطفال إلا فى سنة ١٩٣٧، أى بعد خمسة عشر عاماً من تأسيس نظيرتها (نيوبرى)

فى الولايات المتحدة ولقد ساد فى بريطانيا فى هذين العقدين نشر كتب الأطفال الرخيصة وكتب السلاسل والحوليات والقصص المدرسية القديمة التى تعبت من كثرة الطبع وإعادة الطبع.

وقد ساد فى العشرينات والثلاثينات كتابات مؤلفين مغمورين لم يعرفوا أصلاً بأنهم من كتاب الأطفال. وكما أشرت من قبل كان أنجح كتب الأطفال فى تلك الفترة مجموعة قصص «وينى - ذا - بو» التى أبدعت على يد أ. أ. ملن، والتى يعتبرها النقاد من العلامات الفارقة فى أدب الأطفال فى تلك الفترة ونظروا إليها على أنها تأتى فى المرتبة الثانية مباشرة بعد «أليس فى بلاد العجائب».

أما الكتب الجيدة الأخرى فى أدب الأطفال بين عقدين فإنها لم تكن تشكل ظاهرة أو اتجاهاً محدداً بعينه. وكانت سلسلة كتب هو لوفتنج المعنونة «سلسلة الدكتور دوليتيل» التى بدأت سنة ١٩٢٢ قد استقت فكرتها من المعاناة التى عانتها الخيول والفرسان فى الحرب العالمية الأولى، وكانت امتداداً للتقليد القديم فى النظرة الإنسانية إلى الحيوان فى قصص الأطفال.

وفى سنة ١٩٢٧م أصدر جون ماسفيلد قصته «شعب منتصف الليل» وفى سنة ١٩٣٥م أصدر «صندوق المباهج» وقد مزج فيهما بين السحر والمغامرة. وفى سنة ١٩٣٤م أدخل ب. ل. ترافيرس شخصية الممرضة الخادمة السحرية مارى بوبنز وهى شخصية من الزمن الماضى. وقد أدخل آرثر رانسوم نسمة هواء عليل على كتب الأطفال عندما نشر عمله «طيور السنونو والأمازون» سنة ١٩٣٠ كأول عمل فى سلسلة استمرت حتى سنة ١٩٤٧، وقد بقيت كتبها حتى الآن - نهاية التسعينات فى قرننا العشرين - فى السوق ويتم تداولها على نطاق واسع. ولعل أكثر كتب الثلاثينات تأثيراً - وإن لم يتوقع ذلك فى حينه - هو كتاب ج. ر. تولكين «هو بيت» سنة ١٩٣٧. هذا الكتاب إلى جانب كتاب «ملك الخواتم» الذى نشر عقب الحرب العالمية الثانية ككتاب للكبار وليس للأطفال مهد الطريق إلى ظهور وانتشار موضة كتب عن السحرة، والتنين والمخلوقات الأسطورية والفولكورية التى تعيش فى جزر بعيدة فى الزمان والمكان، وقاومت الزمن واستمرت عبر السنين.

وفيما يتعلق بكتب الشعر فى تلك الفترة برز والتر دى لامير كأحسن شاعر للأطفال في كل النصف الأول من القرن العشرين كما عرف عنه كتابة قصص العفاريت والقصص الشعرى؛ وقد بلغ أوج إبداعه فترة ما بين الحربين رغم أن «مجموعات الترنيمات والأشعار» التى أبدعها لم تنشر قبل سنة ١٩٤٤ و«مجموعات قصص الأطفال» لم تنشر قبل سنة ١٩٤٧. أما إدوارد آرديزون بأسلوبه الرشيق البالغ الحضور وفنه الراقى فقد كان بحق رسام تلك الفترة وكان بحق مبدع كتب الصور للأطفال على مدى ثلاثة أرباع القرن. وكان أول كتبه القصصية المصورة هو «تيم الصغير وقبطان البحر الشجاع» وكان يدور حول تيم الصغير العاشق للبحر، وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٣٦ واستمرت سلسلة تيم بعد الحرب العالمية الثانية.

الحقبة الجديدة فى أدب الأطفال فى بريطانيا

من الطبيعى أن تؤثر ضغوط الحرب الثانية فى عملية النشر بصفة عامة ونشر كتب الأطفال على وجه الخصوص على نفس ما حدث فى الحرب الأولى. وكان عقد النقاهة بالنسبة لأدب الأطفال فى بريطانيا هو عقد الخمسينات؛ ففى هذا العقد جاءت أحسن كتب الأطفال أو كما يحلو للبعض أن يسميه «خطوط إنتاج كتب الأطفال» من الناشرين الأساسيين الذين طوروا عملهم تطويراً عظيماً وكانت الأسباب إلى هذا جزئياً أسباباً مؤسسية ذلك أن مكتبات المدارس ومكتبات الأطفال والعمل المدرسى والمكتبى معهم كان فى توسع مستمر تحت تأثير النمط الأمريكى وكان الذين يعملون فى ذلك المجال يبحثون أساساً عن عائد أدبى أكثر منه عائد مادى. وقد قام العديد من الناشرين بتعيين أخصائيين محررين لكتب الأطفال على نحو ما ألمحت إليه فى بحث سابق، كان بعضهم فى غاية القوة والإتقان. وقد شقت كتب الأطفال المغلفة طريقها إلى سوق النشر فى ذلك العقد بدءاً بكتب بوفين وهى من مطبوعات بنجوين. وفى ظل جو التشجيع الجديد اندفع إلى المقدمة جيل جديد من كتاب الأطفال فى نفس هذا العقد - وبقدر أعلى من التركيز فى العقود التالية - كانت هناك حركة واتجاه لتوسيع القاعدة القرائية فى كتب الأطفال ومن بين مظاهر ذلك إنتاج قصص أطفال على يد كتاب أطفال من الطبقة الوسطى لأطفال الطبقة الوسطى وعن أطفال الطبقة الوسطى

وقد رأى الوسطاء وخاصة المدرسين فى ذلك الاتجاه حرماناً للأطفال العاديين من الكتب، ورأوا أن ثمة تمييزاً بين «أهل الكتاب» الذين كانوا يقبلون على الكتب الجيدة و«أهل الطفل» الذين لم يكونوا يستطيعون قراءة تلك الكتب. وفى السنوات التى تلت خفت حدة التقسيم بين طبقات المجتمع أو على الأقل لم يعد معمولاً به، ومن ثم لم يعد ذلك ظاهراً فى كتابات المؤلفين ولم يعد ينعكس على شخصيات القصص. ورغم كل الجهود التى بذلت لتوسيع القاعدة القرائية فإنها لم تحقق الهدف المنشود تماماً. ولقد ظل وحتى الآن شراء الكتب وقراءتها ملمحًا أساسيًا من ملامح الطبقة الوسطى.

وعلى غير المألوف مضى وقت طويل حتى تصبح أحداث الحرب العالمية الثانية نفسها موضوعات لقصص الأطفال والشباب ففى سنة ١٩٥٦ نشر إيان سيراليير قصته «السيف الفضى» وتدور أحداثها حول ثلاثة أطفال بعربة ثيران يجوبون أوروبا التى مزقتها الحرب بحثًا عن والديهم؛ وكانت هذه القصة هى الأولى من نوعها حول الحرب وجاءت بعد ذلك قصة جيل باتون وولش «تقاطع الدلافين» سنة ١٩٦٧ ثم قصته «أعشاب النار الضارة» سنة ١٩٦٩. ثم جاءت قصة نينا بودن «حرب كارى» سنة ١٩٧٣ ثم قصة روبرت ويستول «الرامون بالبنادق» سنة ١٩٧٥ ثم قصته «قطة الحرب الخاطفة» سنة ١٩٨٩؛ وقصة ميشيل ماجوريان واسعة الانتشار «مساء الخير يا سيد توم» سنة ١٩٨١.

وبصفة عامة واجهت قصص المغامرات أوقاتًا عصيبة فى سنوات ما بعد الحرب، وربما كان ذلك بسبب المنافسة غير المتكافئة مع التليفزيون، ففى الأزمنة السابقة كانت الكتب وسيلة لارتحال خيال الناس إلى أماكن مختلفة يشاهدونها وشعوب شتى يتعرفون عليها، وهو ما يقوم به التليفزيون الآن حيًا على الهواء بالصوت والصورة والموسيقى المؤثرة. وبنفس الطريقة فإن جوهر المغامرة هو الفعل المادى وهو ما يقدمه التليفزيون والسينما بأقصى درجة من الفورية. ورغم كل ذلك فإن الكتب مايزال لها بريقها وجاذبيتها حتى فى تعاملها مع الحدث يكون تأثيرها أكبر من التليفزيون حيث تنقل لنا الشعور بالحدث ورأى الناس حوله وهى كذلك تحمل القارىء على الاندماج فيه وليس مجرد مشاهد له من الخارج كما أنها تثير قضايا اجتماعية وأخلاقية مطلوبة. ومن المؤلفين المبدعين فى هذا المجال ومايزال تأثيرهم على القراء كبيراً بيتر ديكنسون

ذو الطاقة الخلاقة والعقل المستنير المكتشف على نحو ما فعله فى «الباز الأزرق» سنة ١٩٧٦، «إيفا» ١٩٨٨ وغيرهما فى هذا المجال أيضًا نجد جيليان كروس فى كتابه «ولد من الشمس» سنة ١٩٨٣، وكتابه «على الحافة» سنة ١٩٨٤، «الذئب» سنة ١٩٩٠.

ومن جهة ثانية حققت القصة التاريخية مكانة عالية وأهمية قصوى فى سنوات مابعد الحرب. وربما كان النجم الساطع فى سماء هذا النوع من القصص روزمارى ستكليف الذى جاء أول كتاب لها فى هذا الصدد بعنوان «نسر التاسع» سنة ١٩٥٤ ويدور حول بريطانيا الرومانية. وكان هناك مؤلفون لهم باعهم فى القصص التاريخى من أمثال جيوفرى تريس الذى بدأ قبيل الحرب العالمية الثانية واستمر بعدها وهو المؤلف الذى كان يحلل الأحداث التاريخية من وجهة نظر اجتماعية ويسرد تأثيرها على عامة الناس ومن هذا القصص نوع كان المؤلف فيه هو الذى يصنع الماضى وليس مجرد مسجل له. ومن هذا القبيل القرن الثامن عشر الشخصى الذى صنع فيه ليون جارفيلد قصصه الكبيرة الحية. ومنه نوع لا تاريخ فيه على النحو الذى فعلته جوان أيكن فى قصتها جيمس الثالث التى تدور أحداثها فى فترة مجهولة تماماً من تاريخ بريطانيا وحيث يحاول أهل هانوفر وضع أمير بونى جورجى على كرسى العرش. ولعله من نافلة القول التأكيد على أن القصص التاريخى المباشر أو ما يسمى قصص الفترات لم تعد له مكانة تذكر فى السنوات الأخيرة ويعزى الناشرون أنفسهم فى هذا الصدد بمقولة أن الأطفال لا يحبون التاريخ ومن ثم فنحن لا نقدمه له. وإذا كان هذا هو الاتجاه العام فإن ثمة بعض الاستثناءات مثل كتاب جيل باتون وولش «حزمه من الأنماط» سنة ١٩٨٣ وكتابه «النعمة الإلهية» سنة ١٩٩٢؛ وكذلك كتاب جيرالدين ماك كوجرين «أقل قليلاً من الملائكة» سنة ١٩٨٧.

أما كتب الخيال (الفانتازيا) التى تعتبر من ملامح الكتابة البريطانية للأطفال فقد احتلت مكانتها فى سنوات مابعد الحرب؛ وقد استمرت الموضوعات التقليدية فى هذه الكتب على نحو ما نصادفه على سبيل المثال فى كتاب «المستعيرون» للسيدة مارى نورتون سنة ١٩٥٢ وخلفاتها والذى تدور أحداثه حول ناس صغار الحجم يعيشون فى الأركان الغريبة من البيوت العتيقة ويتعيشون على الاستعارة من السكان البشريين؛ وكذلك كتاب بولين كلارك «الاثنى عشر والجنى» سنة ١٩٦٢م الذى يبعث الحياة فى

لعب الأطفال التى على هيئة جنود. وهناك على الجانب الآخر كتب س. إس. لويس التى بدأت فى الظهور قبل «ملك الخواتم» وحيث صدر منها «الأسد»، «الساحرة ودولاب الملابس» سنة ١٩٥٠.

وهناك شكل خاص من كتب الفانتازيا تطور بصفة خاصة فى بريطانيا منذ سنة ١٩٤٥م يطلقون عليه هناك الفانتازيا الهامشية أو الخارجية حيث يكون عنصر الفانتازيا عنصراً مراوغًا بحيث يندهش القارىء لحدوث شىء خارق للطبيعة لأنه يكون مفاجئًا دون مقدمات تقود إليه على النحو الذى نصادفه فى أعمال ر. م. بوسطون مثل: «أطفال كنو الخضراء» سنة ١٩٥٤، «مداخن كنو الخضراء» سنة ١٩٥٨ وتدور الأحداث فيهما حول ولد صغير فى أيامنا يسمع أصوات ويتقابل مع أطفال عاشوا فى نفس البيت فى الماضى: ولكننا لا نعرف إن كانت تلك حقيقة أو مجرد خيالات. وفى قصة فيليبا بيرس «حديقة توم منتصف الليل» سنة ١٩٥٨م، يلعب توم فى الليل فى حديقة لا وجود لها مع فتاة صغيرة تتحول إلى هانم عجوز تعيش فى الدور العلوى من البيت الذى يسكنه، ونعرف من القصة أنها كانت تحلم به فى حياتها الماضية، وهل يعنى ذلك أنه هو أيضاً كان لديه نفس الحلم؟ ونفس السؤال يثار فى قصة بنيلوب لايفلى «غرزة فى جبين الزمن» سنة ١٩٧٦. وفى قصة «استيج ومقلب النفايات» التى كتبها كليف كينج سنة ١٩٦٣، لا ندرى إن كان طفل الكهف استيج حقيقة أم مجرد خيال وليس هناك ما يمنع القارىء من قبول أى البديلين أو كلاهما. والحيوان المزعوم فى قصة جانى هوكر «طبيعة الحيوان» سنة ١٩٨٥ له مجرد وجود رمزى وغير حقيقى. وفى قصة آلان جارنر «خدمة البومة» سنة ١٩٦٧ نجد أن قوة الأسطورة القديمة تنفجر بخطورة شديدة فى الوقت الحاضر فى أحد أودية ويلز؛ وهناك لا يوجد ما يدعو إلى توقع شىء غير عادى يفسد الاستمتاع بقراءة الكتاب ولكن هناك خيط رفيع يفصل بين الحقيقة والوهم ويمكن أن يتمزق فى أى وقت؛ وهو ما نصادفه أيضاً فى قصة جارنر «القميص الأحمر» سنة ١٩٧٣.

والواقعية الحديثة الناتجة عن إحساس «دعنا نواجهه» لم تسد إنتاج كتب الأطفال هنا على نفس ما نصادفه فى كتب الأطفال فى الولايات المتحدة. ولقد برع فى القصص الواقعى فى بريطانيا كتاب متعددون من بينهم نينا بودين، جين جاردام، جان مارك،

فاروخ دوندى، جيمس بيرى وغيرهم ممن أثروا قائمة كتب أدب الأطفال وتكشف بما لا يدع مجالاً للشك فى أن المجتمع البريطانى الحديث هو مجتمع متعدد الجنسيات متعدد الثقافات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم العناوين المنشورة فى فترة مابعد الحرب الثانية والمذكورة سابقًا كان موجهاً أساسًا للأطفال سن الحادية عشرة وما فوقها أو للعاشرة المتنورة. وكما لاحظت لجان الجوائز فإن من الصعب أن نجد أدباً يعتد به للأطفال الصغار من سن السابعة وحتى التاسعة. والمشكلة الحقيقية هى أن افتقار الأطفال الصغار إلى الخبرة وقدرتهم المحدودة على القراءة تجعل من الصعب الكتابة لهم. ولقد حاول كثير من الكتاب المذكورين سابقًا الكتابة لهذه السن ولكن لم تأت كتاباتهم أحسن الكتابات. إن هذه السن لا يروق لها سوى قصص الحيوانات ذات الصبغة البشرية أو الإنسانية بدءاً من قصص مايكل بوند المعنونة «دب يدعى بادنجتون» سنة ١٩٥٨ وخلفائها وانتهاء بدراما المزارع على نحو ما كتبه ديك كنج سميث فى «خنزير الغنم» سنة ١٩٨٣.

من كتاب النثر للأطفال الذين يجب أن يذكروا فى هذا المقام ويليام ماين أبرزهم على الإطلاق وأغزرهم انتاجًا وقد كتب فى كل نوع ولكل سن. وقد كتب أكثر من مائة عنوان ولعل من أهمها «خشرم فى مايو» سنة ١٩٥٥، «لا مدرسة بعد اليوم» سنة ١٩٦٥، شاطىء جيرسى سنة ١٩٧٣، «الركام» سنة ١٩٨٥.

وكانت معظم كتب الشعر للأطفال المنشورة فى بريطانيا منذ سنة ١٩٤٥ عبارة عن تجميعات مختارة من كتب الشعر العامة ولكن مع وضع الأطفال فى الاعتبار عند تجميعها. ومع ذلك فقد وجد فى تلك الفترة شعراء كتبوا للأطفال خصيصًا. ففى سنة ١٩٥٠ و١٩٥٢ نشر جيمس ريفز «القمر الجوال» و «شحرور فى الليلك» حيث تضمنا مجموعة من أجمل أشعار الأطفال فى فترة مابعد الحرب. وفى سنة ١٩٦١ كتب تيد هوجز شعره الكوميدى «قابل شعبى». وشعره الجاد «أغانى الموسم» سنة ١٩٧٦، كما نسج قصائده فى القمر الغامض المسكون والتى تم تجميعها معًا ونشرها سنة ١٩٨٨ تحت عنوان «حيتان القمر». أما تشارلز كوزلى وهو شاعر متدفق هادر ذو موهبة

قصصية فقد قدم للأطفال الشيء الكثير عبر السنين سواء ككاتب أو جامع، وكان لمجموعته ذات القصائد القصيرة المعنونة «فيجى هوبن» سنة ١٩٧٠م أثرها البالغ فيمن جاء بعده وخاصة على شعر مايكل روزن «اعتن بأعمالك الخاصة» الصادر سنة ١٩٧٤.

ولسنوات طويلة تطور كتاب الصور كنوع مستقل من كتب الأطفال تطورًا كبيرًا فى الولايات المتحدة عنه فى بريطانيا؛ إلا أنه فى سنة ١٩٦٢ فتح برايان وايلد سميث وهو أساسًا رسام، الأذهان والعيون على كتب الصور عندما نشر كتب أ ب ت الثرية بصورها. وفى نهاية نفس العقد جاءت كتب تشارلز كيبنج وهو فنان لا يبارى ذو خطوط قوية واضحة كانت تروق للأطفال الصغار. وكان هناك عدد من الفنانين من بينهم جون بيرننجهام وريموند بريجز، الذين أعدوا كتب الصور التى تبدو فى ظاهرها ذات رسوم وصور كوميدية ساخرة ولكنها فى حقيقة أمرها كانت تنطوى تحت السطح على قيم ودروس جادة. وقامت شيرلى هوجز برسم أطفال ممتلئين صحة وعافية وكانت تعرف تماماً ما هى المغامرات التى يجب أن تنطوى عليها كتب الأطفال والتى تعبر عن حياتهم اليومية. وقد لجأت كوينتين بليك إلى أسلوب الاسكتشات الخفيف لتكوين فانتازيا بصرية. ولقد كان لكل من جانيت وآلان أهلبرج دور هام فى إنتاج كتب الأطفال المصورة ومن بين تلك الكتب «كل خوخة كمثرى برقوقة» سنة ١٩٧٨، «بيبو» سنة ١٩٨١، «إلى اللقاء بيبى» سنة ١٩٨٩. وقد دخلت هندسة الورق فى تشكيل كتب الأطفال المصورة وأصبحت من بين خصائص ومصطلحات كتب الأطفال الحديثة وإن كانت معروفة منذ العصر الفيكتورى.

وإلى جانب أولئك الفنانين المذكورين بعاليه أفرزت التسعينات العديد من الفنانين الموهوبين فى رسم كتب الأطفال المصورة مما وضع هذه الفئة من الكتب فى حالة صحية إلى حد كبير. لقد عانت قصص الأطفال فى التسعينات فى بريطانيا معاناة شديدة ووضعت فى مأزق حرج حيث لم يكن لدى المدارس والمكتبات الأموال الكافية للإنفاق على القراءات الترفيهية والترويحية، كما ارتفعت أسعار الكتب من جهة ثانية لأسباب مختلفة ومن بينها انخفاض عدد النسخ المطبوعة من الكتاب الواحد. كما أدت الظروف الاقتصادية التى يعيشها عالم الفكر إلى انخفاض عدد الكتاب المجيدين

للأطفال حيث تناقصت ثروة المواهب فى نهاية القرن العشرين عما كان عليه الحال منذ ثلاثين عامًا مضت. ولقد قام التليفزيون والإنترنت بضرب كتاب الطفل فى مقتل وأضاف الحاسب الآلى بعدًا آخر إلى هذه الأزمة بما قدمه من ألعاب مسلية ولاهية عن الكتاب المطبوع.

أدب الأطفال فى اسكتلندا

لاسكتلندا فى الواقع مكانة متميزة فى تاريخ وتطور أدب الأطفال فى بريطانيا، حيث قام كتاب اسكتلنديون باختراع شخصيات شهيرة فى أدب الأطفال هناك: بيتر بان (ج. م. بارى)؛ هنرى باسكرفيل (آرثر كونان دويل)؛ مستر تود (كينث جراهام) كيفين وسادى (جون لنجارد). لقد نشطت الكتابة والنشر للأطفال فى اسكتلندا عبر قرون عديدة خروجًا فى بادىء الأمر من تقاليد عريقة لثلاث لغات كان معمولاً بها (الاسكتلندية، الجالية، الإنجليزية)، وثقافتين عريقتين (الأراضى العليا والأراضى الواطئة) وأدب الأطفال فى اسكتلندا خرج من بطن أدب الكبار وانبثق عنه وتشعب منه وكان قبل القرن الثالث عشر يتدفق من تراث شفوى متواتر عبارة عن قصائد تغنى وقصص فروسية وعاطفية تنتقل على الألسن من مكان إلى مكان ومن جيل إلى جيل. ومن أشهر ذلك التراث «قصائد الحدود» التى جمعها معاً فى القرن التاسع عشر السير والتر سكوت وزملاؤه كما قام جوزيف جاكوب بجمع مجموعات قصص العفاريت الكلتية (١٨٩٢ و ١٨٩٤) ومازالت متداولة بين أطفال اليوم.

لقد نشر الكثير من القصائد الغنائية (البالاد)، والقصص الشعبى الذى يدور حول موضوعات مثل روبين هود والملك آرثر بين القرنين السادس عشر والثامن عشر. وكثير من هذه القصائد والقصص كانت تصلح للقراء من كل الأعمار التى كانت تنشر فى كتب يحملها الباعة الجائلون رغم أن بعض الناشرين الموزعين تخصصوا فى كتب الترفيه الرخيصة للأطفال ومن بينهم نذكر جيمس لومسدن (١٧٥٠ ـ ١٨٣٠) من جلاسجو؛ وقد كان يطلق عليه لقب نيوبرى أو هاريس اسكتلندا، وقد كانت لقصص المهد وقصص الأطفال التى نشرها شهرة خاصة وكان بعضها السبب فى شهرة ومكانة بعض الكتاب من أمثال بيركوين وتوماس دبى. وقد دخلت قصص العفاريت والتراث

الشعبى إلى عالم أدب الأطفال على يد كتاب مبدعين من أمثال ويتيفرد فنليى وإيريس ماك فارلين، كما قامت نورا ووليام مونتجو مرية بجمع قسط كبير من هذا التراث. ومن بين الخصائص المميزة لأدب الأطفال الاسكتلندى اقتراب كتابه من طرق قص الحكاية الشفوية وعلاقة الراوى بمستمعيه.

لقد كان التعليم غاية فى أدب الأطفال الاسكتلندى ففى فترة مبكرة من حياة هذا الأدب كانت هناك بعض كتب قواعد السلوك التى تعلم الأطفال كيف يسلكون السلوك القويم ويرعون الآداب العامة وكان بعض هذه الكتب تأليفًا خالصاً يتمشى مع الطابع الاسكتلندى وبعضها كان ترجمة محضة. ومن بين هذه الكتب على سبيل المثال كتاب السير/ جلبرت هيى «كتاب سلوك الأمراء» الذى يرجع إلى القرن الخامس عشر. وكان هناك كذلك كتب النحو واللغة مثل كتاب ليلى وموريى الذى ظل فى الاستخدام فى المدارس وفى سوق المطبوعات حتى القرن الثامن عشر. وكلما توسع سوق التعليم راجت هذه الأعمال وغدت مصدراً من مصادر دخل الناشرين وتجار الكتب. وكانت الكتب على الجانب الآخر ترد من لندن إلى اسكتلندا عبر إدنبره. ولقد توفر توماس روديمان (١٦٧٤ ـ ٧٥٧) على نشر كتاب نحو شهير سنة ١٧١٤ وهو نفسه الذى أدخل مفاهيم جون لوك إلى اسكتلندا. وبعد ذلك التاريخ توسعت شركات أخرى فى نشر الكتب التعليمية للأطفال مثل دار نيلسون وبلاكى فى القرن التاسع عشر وخاصة بعد صدور قوانين التعليم المختلفة فى سبعينات القرن التاسع عشر.

إن كثيراً من الكتب التى كان يحملها الباعة الجائلون كانت كتباً دينية أو كما يسميها أهل ذلك الزمان كتباً إلهية وشقت هذه الكتب طريقها إلى أيدى الأطفال عن طريق التبسيط والاختصار مثل كتاب «تقدم الحاج» الذى كتبه بونيان وقد أشرت إليه من قبل، وكذلك تلك الكتب التى نشرها جيمس أور من جلاسجو سنة ١٨٠٠ وبلاكى سنة ١٨٢٠. وقد ترجم عملان من أعمال إسحاق وات إلى اللغة الجالية سنة ١٧٩٥ وطبع من عمله المعنون «الأغانى الإلهية» العديد من الطبعات. ولقد بدأ توماس نيلسون عمله فى إدنبره بنشر الكتب الدينية بما فى ذلك الأغنيات والأناشيد الدينية للأطفال كما نشر لكتاب إنجيليين من أمثال كنجستون، بالانتين، شارلوت ماريا توكر. كذلك توفر على نشر كثير من المجلات الدينية للأسرة والأطفال من بينها

«أوراق مسيحية» ١٨٥٥ ـ ١٩٢٥. وكان لكتب الأطفال الدينية نصيب يذكر فى مدارس الأحد التى كانت تنشر الثقافة المسيحية بين الأطفال. وربما نظر بعض الناشرين إلى قصص الأطفال العادية على أنها مفسدة وعمل غير أخلاقى ومن ثم عمد إلى تقديم كتب ومجلات تستقى مادتها العلمية من الكتاب المقدس وأعمال الرسل على النحو الذى قام به جون ريتش عندما نشر مجلة «المراقب الصغير».

ولقد شهد القرن التاسع عشر بزوغ نجم معظم كتاب الأطفال فى اسكتلندا من أمثال جورج ماكدونالد (١٨٢٤ ـ ١٩٠٥) الذى كان كاتباً دينيًا قوى الحجة للكبار والصغار على السواء والذى تعكس كتاباته وخاصة «فى ظهر رياح الشمال» سنة ١٨٧١م التقاليد الكلتية والدينية فى الكتابة الاسكتلندية إلى جانب الرومانسية الألمانية. وتكشف قصص مثل «سيرجبى» سنة ١٨٧٩م الجوانب الواقعية الاسكتلندية ولقد كان تأثيره على الكتابات الخيالية التى أبدعها س. إس لويس واضحًا وحيث قام هذا الأخير بتحرير إحدى التجميعات الخاصة به سنة ١٩٤٦. ومن الكتاب الذين ساروا فى تيار الكتابة الخيالية أندرو لانج ١٨٤٤ ـ ١٩١٢م الذى ماتزال لأعماله جاذبية خاصة بين أطفال اليوم بدءًا من كتاب الجن الأزرق سنة ١٨٨٩ وحتى «كتاب جن الليلك» سنة ١٩١٠ مرورًا بقصة «الأمير بريجيو» سنة ١٨٨٩م، تلك الأعمال الملونة بألوان جذابة؛ هذه الأعمال لم تجتذب الأطفال وحسب بل اجتذبت كذلك الباحثين والنقاد فى أدب الطفل.

ولقد تأثر كتاب القصص التاريخى المتأخرين تأثرًا بالغًا بالكاتب سير والترسكوت (١٧٧١ ـ ١٨٣٢) وخاصة بقصصه: «روب روتى» ١٨١٨م، «جى مانرنج» ١٨١٥م واضعين فى اعتبارهم المناخ والبيئة والشخصية الاسكلندية. ومن هذا المنطلق قام روبرت لويس ستيفنسون (١٨٥٠ ـ ١٨٩٤) بوضع قصته «المخطوف» سنة ١٨٨٦م وقصته الأكثر نضجًا «سيد بالانترى» سنة ١٨٨٨م وكانت هذه القصة تناهض ثورة اليعاقبة التى اندلعت سنة ١٧٤٥. وقامت ناعومى ميتشيسون (ولدت ١٨٩٧) بتصوير التاريخ والأساطير الكلاسيكية فى كثير من كتبها للأطفال.

وثمة تطور ثان حدث فى أدب الأطفال الاسكتلندى خلال القرن التاسع عشر،

وجاء نتيجة لقصص التشرد البحرى الذى يكتبه توبياس سموليت على نحو ما نجده فى «رودريك راندوم» سنة ١٧٤٨م وفى أعمال القبطان ماريات. وهذا الاتجاه نجده بوضوح أكثر فى العمل المستفيض الذى توفر عليه ر. م. بالانتين (١٨٢٥ ـ ١٨٩٤) والذى بدأه بكتابه «جزيرة المرجان» كواحد من سبعة كتب فى هذا المجال سنة ١٨٥٨م نشرها منذ ذلك التاريخ عن الناشر نيلسون وقبل تحوله إلى الناشر جيمس نسبيت. ونلاحظ هذا الاتجاه أيضا فى قصة ر. ل. ستيفنسون «جزيرة الكنز» التى نشرت فى كتاب سنة ١٨٨٣م وفى كل إنتاج جوردون استيبلز (١٨٤٩ ـ ١٩١٠) ورغم أن جون بوكان وآرثر كونان دويل كانا يكتبان للكبار إلا أنهما قدما شيئًا كثيرًا للأطفال فى مجال قصص المغامرات. وقد دخل كاتب كيليارد صامويل روثرفورد كروكيت (١٨٥٩ ـ ١٩١٤) هذا المجال عن طريق قصته «المغيرون» سنة ١٨٩٣ والتى كتبها على غرار أسلوب ستيفنسون.

لقد كان هناك تيار عاطفى اسكتلندى متدفق وتجسيد للشخصية الاسكتلندية فى كتب الأطفال ولعل أفضل من قام بذلك ج. م. بارى فى «بيتر بان» التى يرى النقاد أنها تمثيل لحياته الاسكتلندية التى تتبعها عدد من كتاب السير، وعلى نحو ما فعل كل من ج. ج. بيل سنة ١٩٠٢ باسكتشاته العاطفية الساخرة، وكذلك ج. ف. هندرى، و روبين جنكنز. ونجد انعكاس الشخصية الاسكتلندية فى السير الذاتية للعديد من الكتاب هناك من أمثال كومبتون ماكنزى وناعومى ميتشيسون ونيل جن وكانت حياة نيل جن قد سجلها فى كتابيه «تيار الصباح» سنة ١٩٣١ و«نهر الأرض العليا» سنة ١٩٣٧. وعلى نحو ما فعلته جين دونكان (١٩١٠ ـ ١٩٧٦)، وعلى نحو ما نجده فى كتاب لويس جراسيك جيبون وخاصة فى كتابه «أغنية الغروب» سنة ١٩٣٢.

وثمة بعض الملامح المميزة لأدب الأطفال الاسكتلندى فى القرن العشرين ويبرز من شخصيات هذا الأدب جوان لنجارد بسلسلتها الشهيرة سلسلة ماجى ١٩٧٤ ـ ١٩٧٧ والتى تتنقل ما بين جلاسجو وادنبره وهايلاند وتصور الحياة الاجتماعية والشخصية للشعب الاسكتلندى خير تصوير فى سبعينات القرن العشرين.

وتعتبر مولى هنتر هى الأخرى من الشخصيات الدولية فى مجال الكتابة للأطفال

وربما تكون قد اشتهرت من خلال السيرة الذاتية التى أعطتها ذلك العنوان الغريب «صوت العربات» سنة ١٩٧٥ والقصص التاريخى المدروس بعناية. ويدخل فى عداد كتاب الأطفال فى القرن العشرين أيونا ماك جريجور قصاصة الكتب المصورة، مائيرى هيدرويك، سكولار أندرسون مصور كتب النكت الشهير. ويبرز هنا أيضاً الكاتبة آيلين باترسون التى اشتهر بسلسلتها ميس التى توفر على نشرها الناشر أميزنج فى ميزلبورج. ومن كتاب المغامرات نجد آلان كامبل ماكلين ولافينيا ديرونت (وقد عرفت بسلسلتها تامى تروت). ويبرز من كتاب الكوميديا: طومسون من دندى ومن بين كتبه الكوميدية بيبانو، الغندور.

وتعتبر كاتلين فيدلر (١٨٩٩ ـ ١٩٨٠) من بين الكتّاب الذين لهم مكانة خاصة فى أدب الأطفال الاسكتلندى، ليس فقط بسبب قصصها المؤثرة مثل قصة «الخليج ذو المحور البرونزى» سنة ١٩٦٨ ولكن أيضًا بفعل الجائزة التى تحمل اسمها بعد وفاتها وتمنح للقصة الأولى للأطفال بين ٨ ـ ١٢ سنة وتقوم دار نشر بلاكى المشاركة فى الجائزة بنشر الكتب الفائزة. ويتوفر صندوق اسكتلندا لدعم الكتاب بإدارة هذه الجائزة. كما أن هناك جائزة أخرى تمنح من جانب مؤسسة كانو نجيت/ هيئة الإذاعة البريطانية فى اسكتلندا تحت اسم جائزة كلْبى وقد منحت لأول مرة للكاتبة فرانسيس مارى هندرى. وتقوم مؤسسة كانونجيت فى إدنبرة بنشر سلسلة كتب كلْبى والتى تضم أعمالاً أصلية ومعادة من كتب الأطفال لمشاهير الكتاب من أمثال إيريك لنكلاتر، لافينيا ديرونت، كاتلين فيدلر، مولى هيتر وغيرهم من ذوى الانتماءات الاسكتلندية.

وأرض اسكتلندا غنية بثقافاتها التى تقوم على التعدد اللغوى ومن بين لغاتها اللغة الجالية. ويعتمد الأدب الأول على التقاليد الشفوية وقصائد البالاد وعندما كتبت أعمال الكتاب الأول أمثال بونيان وواتس كتبت باللغة الجالية وقد ساعدت الكنيسة وغيرها من الهيئات على هذا الاتجاه. وقد سادت قواعد النحو، وكتب القراءة الأولية والكتب الدينية حركة النشر باللغة الجالية. واليوم نجد ٩٠٪ من مبيعات كتب الأطفال باللغة الجالية تتم فى الجزر الغربية والأراضى العالية فى اسكتلندا. وكان تأثير الكتاب باللغة الجالية واضحًا فى إدخال أدب هذه اللغة وإدخال اللغة نفسها فى مناهج المدارس وكلغة تدريس ودراسة. وقد بدأت نهضة النشر باللغة الجالية عن طريق جهود اتحاد الأرض

العالية ١٨٩١ـ. ومجلس الكتب الجالية ١٩٦٨ـ القائم فى جامعة جلاسجو، الذى يعمل على نشر الآداب والفنون الجالية. ولعل أكبر ناشر باللغة الجالية الآن هو «مطبوعات جيرم ١٩٥٨ـ..» والتى تحمل قائمة مطبوعاته العديد من كتب الأطفال والتى بدأ نشرها من الستينات، ويليه الناشر ستورنو وبى أكير الذى بدأ سنة ١٩٧٧ والذى ينشر خصيصاً للسوق المدرسية فى الجزر الغربية. وبعض ما ينشره عبارة عن ترجمات من منشورات الناشرين الآخرين. وهناك أدب أطفال قوى باللغة الجالية فى اسكتلندا ومؤلفين مبدعين من أمثال آن لورن جيليز، مايريد هولز، فيونلاغ ماكلويد. وقليل من المؤلفين مثل ليزا مستورى ينشرون لأنفسهم. وتحافظ الجاليات المهاجرة على لغتها وآدابها الجالية فى دول المهجر كما هو الحال فى كندا.

وقد وصل بعض كتاب الأطفال الاسكتلنديين إلى العالمية وتركوا بصمات واضحة على الأدب العالمى للطفل. وقد كتب المؤلفون الاسكتلنديون فى جميع أشكال أدب الطفل مما يدل على أنهم يفكرون بالإنجليزية ويشعرون بالاسكتلندية مما جعلهم يحافظون على تقاليدهم الفكرية بنجاح شديد.

أدب الأطفال فى ويلز

يعتقد أن أول كتاب للأطفال فى ويلز بلغة ويلش هو «هدية للأطفال» المترجم عن كتاب جيمس جينويى سابق الذكر وقد صدر فى ويلز سنة ١٨١٦. وطوال القرن التاسع عشر لم يكن هناك سوى عدد محدود من كتب الأطفال فى ويلز بعيداً عن الكتب الدينية والنشرات التى تقدم لهم للحفاظ على قيمهم الروحية. وفى الفترة من ١٨٢٣ وحتى ١٨٩١ صدر العديد من المجلات الدينية ولكنها لم تعمر كثيراً حيث عاش بعضها عاماً واحداً وبعضها عامين وبعضها ثلاثة أعوام وأطولها عمراً عاشت سبعة عشر عاماً.

وفى نهاية القرن التاسع عشر عين أووين مورجان إدواردز، مفتشاً عاماً على المدارس فى ويلز. وكان الرجل من النبلاء وذا ثقافة واسعة وزميلاً لكلية لنكولن فى جامعة أكسفورد وكانت له رؤية جديدة فى كتب الأطفال وكان يعتقد أن أطفال ويلز يجب أن يتعرفوا ويألفوا تراثهم التاريخى والفكرى وأن يسيطروا على لغتهم الأم

(الويلش). وفى سنة ١٨٩٢ نشر مجلة شهرية للأطفال بعنوان «نبات كيرو». وكان هدفه من وراء ذلك أن يعلم كل شيء عن ويلز من خلال تلك المجلة الطبيعة، العلم، التاريخ، الجغرافيا، الموسيقى، الأدب. ومنذ ذلك التاريخ تغيرت حركة نشر كتب الأطفال من الجوانب الدينية فقط إلى الجوانب التعليمية الرحبة وتم بناء عليه إعداد العديد من الأدلة التعليمية والدراسية.

وفى خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين بدأ بعض المؤلفين يكتبون قصص المغامرات والقصص التاريخية للأطفال. وفى سنة ١٩٢٥ صدر أول كتاب كبير الحجم للأطفال بلغة الولش، وفى سنة ١٩٣١ صدر كتاب رائع آخر ملون للأطفال بلغتهم اعتبر علامة فارقة هو الآخر فى تاريخ أدب الأطفال فى ويلز؛ وكان أحد الشخصيات الأساسية فى هذا الكتاب هو (ويل كواك كواك) الذى يصاحب الأطفال حتى اليوم.

وفى مطلع الأربعينات أنشئت المدارس الابتدائية المتوسطة فى ويلز تبعتها المدارس الثانوية المتوسطة. وهذا التطور استتبع بالضرورة وجود كتب أطفال بلغة الويلش لهذه المدارس وهو ما صبغ حركة نشر كتب الأطفال فى ويلز طوال الخمسين سنة الماضية. وقد شهدت الخمسينات والستينات قيام اللجنة المشتركة للتعليم فى ويلز وإنشاء مجلس كتب ويلز وهما مؤسستان من مهامهما دعم كتب الأطفال.

ومن المعروف أن النشر بلغة الأقلية غالبًا ما ينتج عنه طبعات ذات نسخ قليلة ومن ثم يكون دعم هذه الكتب مسألة حتمية. وحتى سنة ١٩٧٨ كانت اللجنة المشتركة للتعليم فى ويلز هى المؤسسة الوحيدة التى تدير برنامجاً لنشر كتب الأطفال مضمونة البيع لسلطات التعليم المحلية. وقد ضمن هذا المشروع على مدار السنين نشر العشرات من الكتب بلغة الولش من قصصية وغير قصصية، وترجمة العديد من كتب الصور الملونة. ومن مؤسسات الدعم الأخرى لكتب الأطفال فى ويلز «مجلس الفنون» الذى تفرعت عنه لجنة الآداب التى خرج منها بدورها شعبة كتب الأطفال سنة ١٩٧٦. وقد قامت تلك الشعبة بإصدار مشروعات نشرية طموحة. ومن الجدير بالذكر أن مجلس الفنون فى ويلز قد أنشأ بالتعاون مع كلية المكتبات فى أبرستوث «المركز الوطنى لأدب

الأطفال فى ويلز» سنة ١٩٧٩؛ وقد أدمج هذا المركز سنة ١٩٩٠ فى مجلس الكتاب بويلز.

وكانت سنة ١٩٧٨ بحق علامة فارقة فى تاريخ نشر كتب الأطفال فى ويلز، عندما نشر مجلس لغة الويلش تقريراً بعنوان «النشر فى لغة الويلش». وكنتيجة مباشرة لهذا التقرير قامت الحكومة بتقديم مساعدة مالية كبيرة لدعم نشر كتب الأطفال لأول مرة فى تاريخ النشر فى ويلز سنة ١٩٧٩. وعهد إلى مجلس كتب ويلز بالتصرف فى هذه المنحة ومنح سلطة إصدار كتب ترفيهية وترويحية، وقد ساعد ذلك على دراسة الواقع دراسة علمية وسد الثغرات فيه. وإلى جانب إدارة هذه المنحة بين الناشرين الويلش تجتمع لجان مجلس كتب ويلز مرتين فى السنة لوضع أسس البرنامج الذى يسير عليه العمل طوال السنة. وكان أول كتاب يصدر فى ظل هذه المنحة كتاب أصلى ملون عن أساسيات القراءة سنة ١٩٨١ وتلته كتب عديدة فى مجالات مختلفة سنوات ١٩٨٣، ١٩٨٨، ١٩٨٩م... والحقيقة أن لجان المجلس تعى تماماً الفجوات الموجودة فى سوق النشر وتقوم بسدها قدر الإمكان وعلى سبيل المثال قامت بإصدار سلسلة متلاحقة من قصص الأطفال للعمر من ٧ ـ ١٠ سنوات وذلك على مدى عشر سنوات بين ١٩٨٣ ـ ١٩٩٢. وقد صدر فيها نحو أربعين قصة. وكلما سدت فجوة انتقل المجلس إلى فجوة أخرى ففى سنة ١٩٩١ بدأ فى إصدار سلسلة قصصية للعمر من ٩ ـ ١٢ للعبور بالأطفال إلى مرحلة المراهقة والبلوغ، وثمة سلسلة أخرى للعمر من ٦ ـ ٩ سنوات. وطوال عقد التسعينات يقوم المجلس بمشروعات نشرية طموحة للأطفال كسواء كتأليف أصلى أو ترجمة وخاصة من دائرة معارف ماكميلان للأطفال. وقد بدأت هذه الترجمة سنة ١٩٩٣ ومازالت مستمرة حتى يومنا هذا، كما تتم الترجمة من «أدلة شاهد عيان» التى يصدرها دورلنج كندرسلى. وفى سنة ١٩٩٤م أصدر المجلس قاموساً مصوراً يضم ٢٢٠٠٠ من مفردات لغة الويلش. وفى سنة ١٩٩٥م توفرت لجنة المناهج فى ويلز على إعداد وسائل تعليمية ثنائية اللغة أو فى لغة الويلش فقط وتبيعها بسعر التكلفة فقط. وفى سنة ١٩٨٣م أسس نادى الكتاب الويلش للأطفال من سنة ٦ ـ ١١ سنة وتنشر كتب خاصة تناسب احتياجات هذا النادى.

وفى سنة ١٩٧٦م خصصت جائزة لكتب الأطفال فى ويلز باسم (تيرنا نوج) وقد جاءت هذه التسمية من أرض الشباب الدائم فى الأسطورة الأيرلندية. وتهدف هذه الجائزة إلى رفع مستوى كتب الأطفال والشباب وتشجيع نشر وتسويق وقراءة الكتب الجيدة. وتمنح الجوائز سنوياً للمؤلفين والرسامين المتميزين فى ثلاث قطاعات من كتب الأطفال: قصص الويلش أى القصص المكتوب أصلاً بلغة الويلش سواء على هيئة قصص عادية أو ككتب مصورة؛ كتب الويلش غير القصصية أى كتب أخرى بلغة الويلش فى أى موضوع وأى مجال فيما عدا المترجمات إلى هذه اللغة؛ الكتب الإنجليزية التى تتناول مجالات خاصة بويلز. وقيمة الجائزة فى الوقت الحاضر (آخر سنوات القرن العشرين) تصل إلى ألف جنيه استرلينى يقدمها مجلس الفنون فى ويلز واتحاد مكتبات ويلز ومجلس كتب ويلز. وقد نال هذه الجائزة العديد من المؤلفين والرسامين الويلش طوال ربع القرن المنصرم.

وفى عام ١٩٨٥ خصصت جائزة أخرى باسم مارى فوجان جونز وتمنح كل ثلاث سنوات لمؤلف متميز فى أدب الأطفال قدم إضافة لها شأنها إلى أدب الأطفال فى لغة الويلش فى فترة زمنية معقولة. وكانت مارى فوجان جونز ١٩١٨ ـ ١٩٨٣ واحدة من رعاة أدب الأطفال والمتبرعين له على مدى ثلاثين عامًا فى ويلز. وقد كتبت ما يقرب من أربعين كتابًا للأطفال أشهرها كتابها الرائع «سالى مالى» سنة ١٩٦٩، كما كانت أيضاً مترجمة لعدد من الكتب إلى لغة الويلش ولعل أشهر مترجماتها كتاب تاماسين كول «أربعة عشر فأراً وصائد الفيران» وكتاب بات هتشنز «ممر روزى». والجائزة عبارة عن ميدالية فضية تذكارية تحمل نقوشاً لمناظر من كتب مارى فوجان جونز وكتب الأطفال الصادرة فى ويلز يصير عرضها وتحليلها والتعريف بها فى الدوريات. وثمة دورية متخصصة فى التعريف بالكتب عنوانها «كتب فى ويلز» وهى مجلة فصلية ينشرها مجلس كتب ويلز وقد خصص فى هذه المجلة قسم لعرض كتب الأطفال سواء كانت بلغة الويلش أو باللغة الإنجليزية عن ويلز.

وهناك فئة خاصة من كتب الأطفال فى ويلز وهى تلك الكتب الإنجليزية التى تعالج موضوعات من ويلز ومن أمثلتها: كتاب سوزان كوبر «الملك الرمادى والفضة على الشجرة» وكتب فرانسيس توماس «الممر معصوب العينين»، «منطقة نجوم

الصيف»، «من سرق سمك الرنجة؟»، وكتاب إيرما شيلتون «الجائزة»، وكتاب جينى نيمو «عنكبوت الثلج» وكتاب سيليا لوكاس «قطط مدينة الصلب»، وكتاب مارى جون «الحجارة الزرقاء»، وكتاب بيتى ميريك «دوائر الزمن»، وكتاب باميلا بيرنيل «دينى والبركة السحرية»، وكتاب كاترين فيشر «رجل الشمعة». ومن الجدير بالذكر أن هذه الكتب قد فازت بجائزة (تير نا نوج) التى أشرت إليها من قبل.

وفى سنة ١٩٩٢ قامت دار نشر مطبعة جومر بإصدار سلسلة بعنوان (كتب بونت) بهدف تقديم كتب متنوعة للقراء الصغار ـ روايات، قصص، شعر ـ مكتوبة باللغة الإنجليزية ولكنها تدور حول ويلز وشئون ويلز كموضوع. وقد صدر منها ما يربو على أربعين عنواناً مع سنة ١٩٩٩.

وفى مارس ١٩٩٥ قام مجلس كتب ويلز بإعداد ونشر فهرس الكتب والمصادر التربوية الويلش وقد ضم ما يزيد على ثلاثة آلاف مدخل مما يعكس الثورة التى ألمت بحركة النشر بلغة الويلش للأطفال فى السنوات الأخيرة.

أدب الأطفال فى أيرلندا

رغم أن أيرلندا لها تاريخ طويل وعريق فى مجال الإبداع الفكرى، إلا أن هذا الإبداع يتركز فى نطاق كتب الكبار ولم ينل أدب الأطفال منه نصيب يذكر، وإلى وقت قريب كان الأطفال والمراهقون الأيرلنديون يتجهون صوب بريطانيا والولايات المتحدة لاستقاء مواد القراءة وخاصة فيما يتعلق بالمواد الجديدة.

ويرى الخبراء أن هذا الواقع يعود إلى أسباب عديدة من بينها القلاقل السياسية والدينية وعدم الاستقرار مما حال دون تدفق كتب الأطفال إلى أيرلندا ذلك التدفق الذى حدث فى كل مكان منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ومن جهة ثانية فإن أدب الكبار فى مجموعة فى أيرلندا عبارة عن ثورة عارمة ضد قيود المجتمع بل ورفض قاطع لتلك القيود وحتى فترة قريبة لم تكن تلك الثورة مقبولة فى كتب الأطفال الأيرلندية.

وإلى حد كبير يمكننا القول بأن الكتب التى كان الأطفال الأيرلنديون يقرءونها فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر وما قبل ذلك، هى نفسها التى كان يقرؤها الأطفال فى إنجلترا. وعلى الرغم من أن «رحلات جليفر» التى كتبها جوناثان سويفت سنة ١٧٢٦ لم تكتب للأطفال خصيصاً إلا أنها كانت واسعة الانتشار بينهم، ويفخر الأيرلنديون بأنها أول كتاب أطفال لكاتب أيرلندى. وفى نهاية القرن الثامن عشر برزت ماريا إيدجوورث كواحدة من أحسن كتاب الأطفال فى أيرلندا على طريق مسز باربولد ومن بين أعمالها «مساعد الوالدين» سنة ١٧٩٦، «الدروس الأولى» سنة ١٨٠١م.

فى خلال تلك الفترة ازدهرت تجارة الكتب الجوالة وكانت مطبوعات نيوبرى التى أشرت إليها من قبل رائجة هنا فى أيرلندا وتوفر أوليفر جولد سميث على تحرير ومراجعة وتنقيح بعضها. وهنا أيضًا لابد وأن نتوقف أمام الجهود التى قامت بها جمعية قصر كلدار وهى مؤسسة خيرية توفرت على تعليم الفقراء وبالتالى كانت تسعى إلى توفير مواد القراءة اللازمة للأطفال ومن ثم قامت على نشر بعض الكتب التعليمية الموجهة خصيصًا لهم. ويرى بعض المحللين أن هذه المؤسسة ربما كانت أول ناشر أيرلندى لكتب الأطفال. وكان أول كتاب نشرته هو «تاريخ يوسف» سنة ١٨١٧م وفى سنة ١٨٢٧م قام المساعد الأدبى للجمعية المبجل تشارلز باردين بكتابة عدد من الكتب حول الرحلات والتاريخ الطبيعى كتابة أصلية أو معدلة عن أعمال أخرى.

ولعله من نافلة القول أن الأساطير والقصص الشعبية ظلت لقرون عديدة المادة الأساسية التى يعيش عليها خيال الأطفال الأيرلنديين، تلك المادة التى كان القصاصون الرواة ينقلونها من مكان إلى مكان ومن جيل إلى جيل حتى نهاية القرن التاسع عشر أى الوقت الذى انبعثت فيه الرغبة فى إعادة صياغة الأدب الشعبى الكلتى والتى بدأها. و. ب ييتس مع آخرين (قصص العفاريت الأيرلندية سنة ١٨٩٢)؛ ثم إللا يونج (قصص العجائب الكلتية سنة ١٩١٠). ومن المجموعات الجديدة نسبيًا (الساجا والقصص الشعبية الأيرلندية) سنة ١٩٥٤ والتى توفرت على جمعها إيلين أو فاولين التى توفرت كذلك على كتابة العديد من قصص الأطفال. وهناك كذلك مجموعة ليام ماك أوستين المعنونة «تابين» سنة ١٩٨٩، ومجموعة مايكل سكوت «حكايات البطل

الأيرلندى» سنة ١٩٨٩، ومجموعة كارولين سويفت «أساطير وقصص أيرلندية للأطفال» سنة ١٩٩٠. ولم يقتصر مايكل سكوت على جمع الحكايات فقط وإنما كتب عدة روايات خيالية من وحى الأساطير الأيرلندية.

لقد كانت الروايات الشعبية معيناً لا ينضب للكتاب وقد استلهمت الكاتبة الكفيفة فرانسيس براون منها روايتها «كرسى كرينى العجيب» سنة ١٨٥٧م، كما استلهم الكاتب بادرياك كولوم روايته «ابن ملك أيرلندا» سنة ١٩١٦ من تلك الآثار الشعبية. وكان لها تأثيرها على المجموعات التى توفر عليها سينيد دى فاليرا. من جهة ثانية استلهم أوسكار وايلد روح مجموعته القصصية «الأمير السعيد وقصص أخرى» سنة ١٨٨٨ من تراث الخيال والفانتازيا.

شهدت أواخر القرن التاسع عشر كاتبين خصبين فى مجالات أخرى وكان لهما رواج شديد خارج أيرلندا، أولهما توماس ماين الذى برع فى قصص المغامرات وثانيهما ل. ت. ميد التى برعت فى كتابة القصص المدرسى للبنات.

وتعتبر باتريشياليننش من الكاتبات المكثرات حيث كتبت أكثر من خمسين كتاباً يدور عدد كبير منها حول موضوعات ريفية أيرلندية فى وقت كان فيه الريف الأيرلندى أرض السحر، ومن بين كتبها «الحمار قاطع المروج» سنة ١٩٣٤. ولقد كانت الحياة فى الريف الأيرلندى أرضًا خصبة لكتاب منتصف القرن العشرين على نحو ما فعلته مورا لافيرتى فى قصتها «الكوخ فى المستنقع» سنة ١٩٤٥م. كما صور والتر ماكين الغرب الأيرلندى فى روايته «جزيرة الثور الأصفر الكبير» سنة ١٩٦٦ و«رحلة الحمام» سنة ١٩٦٧. كذلك استخدمت إلليس ديللون الغرب الأيرلندى موطنها كخلفية لكثير من رواياتها مثل «الجزيرة المفقودة» سنة ١٩٥٢ و«الكزبرة» سنة ١٩٦٣ ومؤخرًا جداً «جزيرة الأشباح» التى ربحت بها سنة ١٩٩٠ جائزة أحسن كتب العام. وقد خرجت عن المألوف فى قصتها «أطفال الأعزب» سنة ١٩٩٣م التى كتبتها بحس مرهف عن الأطفال الذين يواجهون مشاكل الصراع السياسى والنفسى فى وسط أوروبا. كذلك فإن جانيت ماك نيل التى ولدت فى دبلن قد أنتجت عدداً لا بأس به من الكتب من بينها تلك الكتب التى تصور بطلها القبلى «إسبكس ماك كان».

أما س. إس. لويس المولود فى بلفاست فقد جعل من أرض نانيا الساحرة خلفية لقصصه، بينما كانت أولستر نفسها كانت خلفية القصص التاريخية عند مينا ماين ريد. وكان التاريخ الأيرلندى هو محور روايات مايكل مولين بينما كان أحسن أعماله على الإطلاق العمل السحرى «الساحر رجل الكراميل» سنة ١٩٨١، «الكارافان» سنة ١٩٩٠م والذى يدور فى خلفية من الحرمان الاجتماعى والاقتصادى. وفى سنة ١٩٩١ حصلت ماريتا كونلون ـ ماكينا على جائزة الاتحاد الدولى للقراءة عن كتابها «تحت شجرة الزعرور البرى» سنة ١٩٩٠ والذى تصف فيه البؤس الذى حاق بالناس بعد مجاعة البطاطس فى القرن التاسع عشر. وتتميز قصص مورجان لليولن التاريخية بخلفية تاريخية عريضة، على النحو الذى نجده أيضًا فى قصص جون كوين وخاصة «صليب كيلادو الذهبى» سنة ١٩٩٢، وهو فى قصة «صيف لليلى واسمه» يحلل تحليلاً بالغ الحساسية الأحداث التى حدثت ذلك الصيف وقد نال عنها جائزة أحسن كتب العام سنة ١٩٩١.

وقد بلغت كتب مارتين واديل أكثر من تسعين كتاباً تتراوح من كتب الصور للطفولة الباكرة حتى الطفولة المتأخرة والشباب. وقد كان يستخدم اسمًا مستعارًا لانثى هو «كاترين سيفتون». وفى عدد من كتبه يجعل شخصياته تنفس عن اضطرابها وعصبيتها فى حياتها ضد الصراع الدائر فى أيرلندا الشمالية، ونجد مصداق ذلك فى قصته «الليلة متلألئة النجوم» سنة ١٩٨٦. كذلك كانت اضطرابات الشمال الأيرلندى هى الخلفية التى تقوم فيها قصص جوان لنجارد المولودة فى بلفاست، كما نصادف لمسات هذا الصراع الخفيفة فى قصة سام ماك بريتنى «ضع سرجاً على خنزير» سنة ١٩٩٢. ونجده فى كتبه يتدرج من كتب الصور إلى كتب الطفولة المتوسطة ثم إلى كتب المراهقين.

والشخصيات المحورية فى ثلاثية جلتسبور التى كتبها كورماك ماك رايوس تنتقل بين الحاضر والماضى السحيق فى استعراض لمعارك الخير والشر للسيادة على مقاطعة ويكلو وفى سلسلة توم ماك كوجرين المعنونة بسلسلة الثعلب التى جاء أول كتبها بعنوان «إجر مع الريح» سنة ١٩٨٣ نجد أن المعارك الخلفية هى محور التركيز مع خلفية بيئية. وقد

نال هذا الكتاب جائزة أحسن كتب العقد. كذلك توفر ماك كوجرين على تأليف عدد من قصص المغامرات كما فعل كل من تونى هيكى ومرجريت كريكشانك مؤلفة قصة «الدوران حول المثلث» سنة ١٩٩١ وهى قصة مراهق قلق وثائر.

وتعانى كتب الشعر وكتب الصور والكتب غير القصصية من مشاكل ضيق السوق المتاحة لها مما يحدو بالشعراء وكتاب غير القصص إلى نشر كتبهم فى بريطانيا على نحو ما فعل شاعر وقصاص دونيجال ماتيو سوينى وكما فعل الرسام الجرافيكى ب. ج. لينش الذى كان يرسم كتب أوسكار وايلد وو. ب. ييتس وغيرهما.

والنحات روزاموند برايجر قام بإعداد العديد من كتب الصور ومن بينها «خطة حديقة بيلى» سنة ١٩١٨، «جامعو الطوابع الصغار» سنة ١٩٦٥. ومن بين الرسامات الشهيرات مارى ـ لويز فيتز باتريك التى فاز كتابها المكتوب باللغة الأيرلندية «آن شانيل» سنة ١٩٨٨ بجائزة اتحاد القراءة فى أيرلندا وهو كتاب مصور تصويراً رائعًا كما فاز كذلك بجائزة أحسن كتب العقد. وقد توفرت على نشر هذا الكتاب المؤسسة المدعومة من الدولة (آن جوم) التى كانت قد أسست سنة ١٩٤٥ وذلك لدعم اللغة الأيرلندية وتوسيع نطاق استخدامها. ولقد قامت تلك المؤسسة بنشر عدد من كتب الصور وغيرها من كتب الأطفال وبعض هذه الكتب عبارة عن ترجمات أو طبعات مشتركة لكتب نشرت فى الخارج وبعضها تأليف أصلى خالص.

لقد توازى التأليف والنشر باللغة الأيرلندية مع التأليف والنشر باللغة الإنجليزية. والحقيقة أن النشر باللغة الأيرلندية قد بدأ على استحياء فى الربع الأول من قرننا العشرين وكان من أوائل المؤلفين فى هذه اللغة بادريج بيرس ولم يأت بعده مؤلفون يذكرون فى هذه اللغة. ولم يأخذ النشر فى هذه اللغة صفته الجدية إلا فى ثمانينات القرن مع دخول ناشرين بهذه اللغة لكتب الأطفال مثل كيو ـ إيار ـ كوناكتا.

ويعتبر عقد الثمانينات هو عقد ازدهار الكتابة والنشر للأطفال ويعتبر فى نفس الوقت عقد تقدير وتثمين أهمية أدب الأطفال. ففى سنة ١٩٨١ عقد مؤتمر لفبرا الدولى الرابع عشر لأدب الأطفال فى دبلن. وأنشئت دار نشر كتب الأطفال سنة

١٩٨٠م وجاء بعدها عدد من دور النشر الأخرى من بينها أوبريان بولبج، وولفهوند ومع تزايد عدد هذه الدور أصبح هناك اهتمام متزايد بسوق كتب الأطفال. ومن حين لآخر يتم دعم هذه الدور من جانب مجلس الفنون الأيرلندى، ومنذ ذلك الحين دخل ناشرون آخرون ميدان كتب الأطفال إلى جانب كتب الكبار. وفى ظل هذا الجو تحسنت معايير إنتاج كتاب الطفل الأيرلندى وأصبح يصدر إلى الخارج.

ومازال نشر كتب المعلومات أى كتب غير القصص يرقد بعيداً خلف نشر الكتب القصصية سواء فى عدد الكتب أو نوعها وإن كانت هناك بعض الاستثناءات فى هذا الصدد مثل كتاب «اكتشاف كتاب كيلز» سنة ١٩٨٨ وغيره من الكتب التى كتبها جورج أوتو سيمز وبعض مطبوعات أخرى من نشر مؤسسة (آن جوم). من جهة أخرى بدأ بعض الناشرين الأيرلنديين فى النشر المشترك لكتب غير قصصية مع ناشرين أجانب لصالح السوق الأيرلندية.

ومن الطريف أن أيرلندا قد هيأت المناخ لمؤلفين أجانب لتأليف ونشر الكتب بها وعنها مثل بيتر كارتر فى كتابه «فى ظل جوليات» سنة ١٩٧٧، ديفيد ريس فى كتابه «غصن الحرية الأخضر» سنة ١٩٧٩، إليزابث لوتزيير فى كتابها «الشتاء الأبرد» سنة ١٩٩١. هؤلاء المؤلفون جعلوا من أيرلندا خلفية رائعة فى كتبهم.

ومن المنظمات النشيطة فى دعم أدب الأطفال فى أيرلندا: جماعة مكتبات الشباب المنبثقة عن اتحاد مكتبات أيرلندا واتحاد القراءة الأيرلندى الذى يقدم جائزة كل سنتين لأهم كتاب طفل ذى صبغة أيرلندية واتحاد أدب الأطفال الأيرلندى وصندوق دعم كتب الأطفال الأيرلندى. لقد أسس اتحاد أدب الأطفال الأيرلندى سنة ١٩٨٧، وهو من خلال مؤتمراته وندواته السنوية ومطبوعه الدورى الذى يصدر مرتين فى السنة بعنوان «كتب الأطفال فى أيرلندا» يلقى الضوء على واقع أدب الأطفال فى أيرلندا وأنحاء أخرى من العالم.

أما صندوق دعم كتاب الطفل الأيرلندى الذى أسس سنة ١٩٨٩ فقد نشر «الدليل الأيرلندى إلى كتب الأطفال: ١٩٨٠ ـ ١٩٩٠ سنة ١٩٩٠. وهذا الصندوق يشترك

فى اختيار كتب «جائزة أحسن كتب العقد» والجوائز السنوية لأحسن الكتب التى كتبها مؤلفون أيرلنديون أو رسامون أيرلنديون أو تلك التى نشرت فى أيرلندا، كما ساهم الصندوق فى إنشاء قاعة كتب الأطفال الأيرلندية فى متحف الكتاب فى دبلن. وفى سنة ١٩٩١م اشتركت الهيئتان الأخيرتان (اتحاد أدب الأطفال الأيرلندى وصندوق دعم كتب الأطفال الأيرلندى) لتنظيم سلسلة سنوية من المدارس الصيفية حول أدب الأطفال.

من جهة ثانية فإن اتحاد أدب الأطفال الأيرلندى بالاشتراك مع جماعة مكتبات الشباب يعدان قائمة معيارية بكتب الأطفال وتنشر هذه القائمة سنويًا بواسطة اتحاد باعة الكتب وذلك خلال فترة معرض كتب الأطفال (لمدة ١٤ يوماً) والذى يعتبر مناسبة وطنية لترويج كتب الأطفال والشباب والذى تشترك فيه المكتبات ومتاجر الكتب والمدارس والمؤسسات المعنية.

ومن أسف أن مناهج المدارس ومقرراتها سواء الأيرلندية منها أو الإنجليزية لا تشجع البتة على القراءات الحرة بين التلاميذ، كما أن المكتبات المدرسية تعانى من نقص التزويد. ويجرى حالياً الدعوة إلى تغيير هذا الواقع عن طريق تغيير المناهج بما يساعد على تشجيع القراءات الحرة وتذوق الكتب والاستمتاع بها بما يتيح الفرصة أمام حركة نشر كتب الأطفال للنمو والازدهار.

المصادر:

1 - Coghlan, Valerie. Ireland .- in .- International Companion Encyclopedia of Children's Literature/ edt. by Peter Hunt .- London: Routledge, 1996.

2 - Children's Books in Ireland .-1989.-Dublin:CLAI,1989 .- (ongoing).

3 - Darton, E.J. Children's books in England: Five Centuries of social life .- 3 rd ed .- edt. by Brian Alderson .- Cambridge: Cambridge University Press, 1932 - 1982.

4 - Hannabuss, Stuart. Scotland .- in .- International Companion Encyclopedia of Children's Literature/ edt. by Peter Hunt .- London: Routledge, 1996.

5 - Lindsay, M. A history of Scottish Literature .- London: Hale, 1992.

6 - Opie, I and P. Opie. The Oxford nursery rhyme book .- Oxford:Oxford University Press, 1955.

7 - Reece, L. and G. Rosenstock. Irish guide to children's books: the decade 1980 - 1990 .- Dublin: Irish Children's Book Foundation, 1990.

8 - Townsend, John Rowe. British Children's Literature: a historical overview .- in .- International Companion Encyclopedia of Children's Literature .- London: Routledge, 1990.

9 - Williams, Menna Lloyd. Wales .- in .- International Companion Encyclopedia of Children's Literature/ edt. by Peter Hunt .- London: Routledge, 1990.

أدب الأطفال فى مصر

Children's Literature in Egypt

نستطيع أن نتتبع أدب الأطفال فى مصر فى العصور القديمة ففى مصر القديمة نجد أصول قصة سندريللا وبدلاً من فردة الحذاء تكون خصلة الشعر التى جرفها التيار حتى قصر الأمير؛ ونجد أصول قصة الملاح التائه ونجد أصول ألف ليلة وليلة وغير ذلك مما يدخل فى باب أدب الأطفال العالمى إلا أننا فى بحثنا هنا نقتصر على العصر الحديث، حيث ترتبط كتب الأطفال شأنها فى ذلك شأن كتب الكبار بتأسيس مطبعة بولاق إذا اعتبرنا الكتب المدرسية الموجهة نحو تعليم الأطفال أوليات القراءة قسماً أساسيًا من كتب الأطفال.

ويعتبر رفاعة الطهطاوى من أوائل من كتبوا فى هذا الصدد (١٨٠١ ـ ١٨٧٣)

ويدخل كتابه «المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين» فى باب الأمهات الخاصة بآداب السلوك. كذلك يعتبر عثمان جلال (١٨٢٨ ـ ١٨٩٨) من بين من كتبوا خصيصاً للأطفال حيث احتذى خرافات آيسوب الأجنبية وكتب على غرارها للأطفال المصريين. وكتب الشاعر أحمد شوقى شعراً وقصصاً للأطفال (١٨٨٩ ـ ١٩٣٢). وتسجل الببليوجرافية الوطنية المصرية لكتب الأطفال والتى حصرت الكتب الصادرة بين ١٨٦٠ ـ ١٩٩٥م أول كتاب للطفل المصرى على أنه «حكاية أنس الوجود» بدون مؤلف وبدون ناشر ولكنه منشور سنة ١٨٦١م ويقع فى ٣١ صفحة وتنقطع الكتب بعد ذلك حتى سنة ١٨٦٧م والتى نصادف فيها كتابين هما قصة المعراج لجعفر حسن عبد الكريم البرزنجى بدون ناشر أيضاً وكما هو واضح من العنوان يدور الكتاب حول السيرة النبوية والكتاب الثانى هنا هو قصة بعنوان «تحفة سنية وقصة بهية تتعلق بولدين من أبناء الملوك: عجيب وغريب» من طبع مطبعة بولاق بالقاهرة. وفى سنة ١٨٦٩ صدر كذلك كتابان هما: قصة تودد الجارية وما جرى لها فى حضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد؛ وهى قصة بدون مؤلف وواضح أنها من التراث الشعبى والكتاب الثانى من قصص الأنبياء بعنوان «الفرائس وتعرف بفرائس المجالس فى قصص الأنبياء» من تأليف أحمد محمد الثعلبى ومن طبع المطبعة الشرفية.

وفى سنة ١٨٧١ نشر كتابان هما جزء من ألف ليلة وليلة لم يعرف ناشره، وقصة الزير سالم، وقد صدر عن مطبعة محمد شاهين بالقاهرة فى ١١٩ ص. وقد توالت الكتب فى نهاية القرن التاسع عشر دون انتظام حيث كانت تصدر على فترات متقطعة وكانت بعض السنوات تنقضى دون أن ينشر فيها أى كتاب. ويصور الجدول الآتى سنوات القرن التاسع عشر وعدد الكتب التى نشرت فى كل سنة.

وقد استمر هذا المعدل البطىء فى نشر كتب الأطفال حتى سنة ١٩٣٦م أى طوال الثلث الأول من القرن العشرين حيث بدأ القرن سنة ١٩٠٠ بكتابين، وأغلب سنوات تلك الفترة تراوحت بين كتاب واحد وكتابين وإن كانت سنوات ١٩١٤م قد شهدت أربعة كتب و١٩٢٥ شهدت تسعة كتب و١٩٢٨م أربعة كتب كذلك و١٩٢٩ خمسة كتب و١٩٣١ ثلاثة كتب وسنة ١٩٣٢ ستة كتب وسنة ١٩٣٣ سبعة كتب وسنة ١٩٣٤م أربعة كتب وسنة ١٩٣٥م أربعة كتب كذلك.

السنة	عدد الكتب
١٧٦١	١
١٨٦٧	٢
١٨٦٩	٢
١٨٧١	٢
١٨٧٧	٢
١٨٧٩	١
١٨٨٠	٤
١٨٨١	٥
١٨٨٤	٢
١٨٨٥	١
١٨٨٦	١
١٨٨٧	١
١٨٨٨	١
١٨٨٩	١
١٨٩١	١
١٨٩٢	٢
١٨٩٦	١
١٨٩٨	١
١٨٩٩	٢

وتعتبر سنة ١٩٣٦م انطلاقة حقيقية فى كتب الأطفال على الأقل من الناحية العددية فقد صدر فى تلك السنة خمسة عشر كتابًا وكذلك نفس العدد بالنسبة لسنة ١٩٣٧م

ويبدأ انخفاض العدد بسبب ظروف الحرب ففى سنة ١٩٣٨م انخفض العدد إلى تسعة كتب فقط وفى سنة ١٩٣٩م انخفض إلى ثمانية وفى سنة ١٩٤٠م وصل العدد إلى عشرة ثم أخذ فى الانحسار التدريجى ففى سنة ١٩٤١ صدر كتاب واحد وفى سنة ١٩٤٢م ثلاثة كتب وفى سنة ١٩٤٣ كتابان وفى سنة ١٩٤٤ لم تنشر أية كتب للأطفال وفى سنة ١٩٤٥ صدر كتابان.

وقد التأمت حركة نشر كتب الأطفال فى مصر من الناحية العددية بعد الحرب مباشرة فشهدت سنة ١٩٤٧م نشر اثنين وثلاثين عملاً للأطفال وشهدت سنة ١٩٤٩ نشر ثمانية وعشرين عملاً. وكان من الطبيعى أن تشهد سنوات ما قبيل الثورة وسنوات الثورة الأقل انخفاضًا عامًا فى حركة النشر على إطلاقها وكتب الأطفال بالتبعية حيث لم ينشر فى سنة ١٩٥٠ سوى تسعة كتب انخفضت فى سنة ١٩٥١م إلى ثلاثة كتب وفى سنة الثورة نفسها سنة حريق القاهرة والقلاقل والاضطرابات لم ينشر سوى أربعة كتب وفى سنة ١٩٥٣ كتاب واحد ثم أخذ العدد فى التعاظم بعد ذلك اعتباراً من سنة ١٩٥٤؛ وإن كان الخط المتصاعد قد بدأ مع سنة ١٩٥٦. ويصور الجدول الآتى سنوات القرن العشرين وعدد الكتب التى صدرت فى كل سنة ويجب أن نلاحظ أننا وضعنا عدد كتب اللغات الأجنبية بين معقوفتين:

السنة	العدد	السنة	العدد	السنة	العدد
١٩٠٠	٢	١٩١٢	-	١٩٢٤	-
١٩٠١	١	١٩١٣	-	١٩٢٥	٩
١٩٠٢	١	١٩١٤	٤	١٩٢٦	٢
١٩٠٣	١	١٩١٥	-	١٩٢٧	-
١٩٠٤	٢	١٩١٦	١	١٩٢٨	٤
١٩٠٥	١	١٩١٧	-	١٩٢٩	٥
١٩٠٦	-	١٩١٨	١	١٩٣٠	٢
١٩٠٧	٢	١٩١٩	-	١٩٣١	٣
١٩٠٨	١	١٩٢٠	٢	١٩٣٢	٦
١٩٠٩	١	١٩٢١	٢	١٩٣٣	٧
١٩١٠	٢	١٩٢٢	١	١٩٣٤	٤
١٩١١	١	١٩٢٣	١	١٩٣٥	٤

تابع الجدول:

السنة	العدد	السنة	العدد	السنة	العدد
١٩٣٦	١٥	١٩٦١	٦١	١٩٨٦	٧١٧ [٢]
١٩٣٧	١٥	١٩٦٢	٣٧	١٩٨٧	٥٨١ [٢٥]
١٩٣٨	٩	١٩٦٣	٣٢	١٩٨٨	١٨٦ [٣]
١٩٣٩	٨	١٩٦٤	٢٧	١٩٨٩	٥٣٥ [٢٠]
١٩٤٠	١٠	١٩٦٥	٨٢	١٩٩٠	٤٢١
١٩٤١	١	١٩٦٦	٧٧	١٩٩١	١٠٠٨ [١٤]
١٩٤٢	٣	١٩٦٧	٢٢	١٩٩٢	٥٢٥ [١١]
١٩٤٣	٢	١٩٦٨	٢٥	١٩٩٣	٨٧٥ [٤]
١٩٤٤	–	١٩٦٩	٦٠	١٩٩٤	٧٧٣ [١٥]
١٩٤٥	٢	١٩٧٠	٦٧	١٩٩٥	٩٥٣ [٣]
١٩٤٦	١٠	١٩٧١	٩٨		
١٩٤٧	٣٢	١٩٧٢	٤٦		
١٩٤٨	٣	١٩٧٣	٥٨		
١٩٤٩	٢٨	١٩٧٤	٣٢		
١٩٥٠	٩	١٩٧٥	١١١		
١٩٥١	٣	١٩٧٦	١٩١		
١٩٥٢	٤	١٩٧٧	٦٩		
١٩٥٣	١	١٩٧٨	١٢٣		
١٩٥٤	٢٥	١٩٧٩	٢١٦		
١٩٥٥	٢١	١٩٨٠	٥٩٤		
١٩٥٦	١٠٤	١٩٨١	١٥٤ [١]		
١٩٥٧	٥٨	١٩٨٢	١٩٧		
١٩٥٨	٨٤	١٩٨٣	١٥٧ [١٣]		
١٩٥٩	٦٤	١٩٨٤	٣٣٤ [١]		
١٩٦٠	٨٦	١٩٨٥	٣٦٠ [٣]		

ومن الجدير بالذكر أن عدد الكتب المنشورة بلغات أجنبية فى مصر للأطفال هو عدد ضئيل للغاية، لا يتجاوز ١٪ وهو أمر طبيعى. ولذلك وضعناه بين معقوفتين إلى جانب رقم الكتب العربية داخل السنة الواحدة.

ونعيد توزيع الاتجاهات العددية لكتب الأطفال على فترات أوسع فى الجدول المركز الآتى:

الفترة	عدد الكتب	النسبة المئوية
١٨٦١ - ١٩٠٠	٣٧	٠,٣٢٪
١٩٠١ - ١٩٥٠	١٧٧	١,٦٠٪
١٩٥١ - ١٩٨٠	٢٥٨٧	٢٣,٤٦٪
١٩٨١ - ١٩٩٠	٣٨٧٢	٣٥,١٣٪
١٩٩١ - ١٩٩٩	٤٣٥٤	٣٩,٤٨٪

ويكشف هذا الجدول عن أن ما نشر من كتب الأطفال فى مصر فى عقدين اثنين يبلغ ٧٥٪ من كل ما نشر على مدار مائة وخمسة وثلاثين سنة ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى اهتمام الدولة بالطفل وكتب الطفل فى ظل الجمهورية الثالثة وما أعلن عن عقد الطفل فى مصر، كما يرجع إلى ظهور المزيد من دور نشر كتب الأطفال وارتفاع معدلات شراء الكتب من جانب المكتبات المدرسية والأفراد على السواء.

ومن الجدير بالذكر أن الجانب الأكبر من الكتب المنشورة فى مصر للأطفال ينتمى إلى سلاسل ويبدو أن لذلك دوافع تسويقية أكثر منها دوافع تأليفية بحيث بلغ عدد السلاسل في الفترة المدروسة ١٠٣٢ سلسلة وهو عدد ضكم بكل المعايير.

وقد عقدت الريادة فى تأليف ونشر كتب الأطفال للنابغة كامل الكيلانى (٢٠/ ١٠/ ١٨٩٧ - ٩/ ١٠/ ١٩٥٩) الذى جعل من كتب الأطفال فى مصر ظاهرة نشرية بما ألف وترجم بين ١٩٣٠ - ١٩٥٠ ومن بين منشوراته كانت هناك قصص وأساطير عربية وقصص غربية كان لها صدى واسع ليس فى مصر فقط وإنما فى جميع الدول العربية والإسلامية. وقد ظل كامل كيلانى كاتب الأطفال الأساسى حتى بعد وفاته لعقدين على الأقل إلى أن طغا التليفزيون والسينما ونسى الكيلانى أو كاد. وقد عاصر الكيلانى وخلفه كتاب لهم باعهم مثل محمد سعيد العريان ومحمد عاطف البرقوقى ومحمد عطية الإبراشى. وإن برزوا أساساً فى مجال القصص وكتب الأطفال المدرسية وكذلك محمد أحمد براتق.

ويبرز على الساحة اليوم عبد التواب يوسف كمؤلف ومترجم ومعد، كما يبرز يعقوب الشارونى أيضاً كمؤلف ومترجم ومعد وكذلك أحمد نجيب كمؤلف ومترجم ومشرف وهم جميعاً من بين الأعلام الذين حصدوا جوائز مختلفة فى ميدان أدب الأطفال ليس فقط على النطاق المصرى وإنما كذلك على النطاق العربى والدولى.

من بين الأسماء التى يجب أن نتوقف أمامها فى مجال الكتابة للأطفال: إبراهيم عزوز؛ أربت فايز تادريس؛ جميل عطا الله يوسف؛ حسن محمد جوهر؛ زهراء على فهمى؛ سعيد جودة السحار (كاتب للكبار والصغار أيضا)؛ شوقى حسن؛ صلاح الدين محمد طنطاوى؛ عز الدين فراج؛ على الجمبلاطى؛ فايد العمروسى؛ فريد فودة؛ كارم غنيم؛ مجدى الشارونى؛ مجدى غنيم، محمد على قطب؛ محمد حسن أبو دنيا؛ محمد حمزة السعداوى؛ مصطفى عبد الحميد؛ مصطفى كمال حسين؛ ملاك لوقا، وصفى آل وصفى؛ أحمد شلبى؛ السيد شحاته؛ الجلو زكى؛ ثريا مفرج؛ درويش الزفتاوى؛ عاطف لماضة؛ عبد العزيز عبد المجيد؛ عبد اللطيف زيدان؛ عصمت والى.

ويبدو أنه فى مجال كتب الأطفال فى مصر يوجد من الرسامين المصورين لهذه الكتب أكثر مما يوجد من المؤلفين ونقتصر فى هذا الصدد على ذكر أشهر رسامى كتب الأطفال: أحمد آمين؛ أديب مكى؛ أسامة أحمد نجيب؛ اسماعيل دياب؛ آمال خطاب؛ جوزيف حكيم جرجس؛ حشام الدين على فهمى؛ حلمى التونى؛ حلمى خليفة؛ رفيق يونس بكر؛ صالح الجمل؛ صالح وحيد؛ سعيد المسيرى؛ صلاح بيصار؛ عادل البطراوى؛ عبد الرحمن نور الدين؛ عبد الشافى سيد؛ عبد العزيز تاعب؛ عزيزة مختار، عفت حسنى، فريدة عويس؛ محمد نبيل عبد العزيز؛ محمود القاضى؛ مصطفى حسين؛ منال بدران؛ ناجى كامل؛ نسيم نصيف؛ هائنة جار الله؛ هبة عنايت؛ يحيى عبده؛ حلمى ناشد؛ عمرو أمين؛ محمد قطب؛ نورا.

وفى مجال كتب الأطفال فى مصر هناك أسماء تلمع كمترجمين أو معدين أكثر منهم مؤلفين نذكر منهم: إبراهيم المعلم (مشرف)؛ أبو المجد أحمد بن عبد الرحمن (معد)؛ أحمد المغربى (معد)؛ أحمد سويلم (مترجم ومعد)؛ آربت فايز تادرس (مؤلف ـ مترجم ـ مشرف)؛ اسماعيل عبد الفتاح (معد)؛ أمين أنور الخولى (معد)،

أنور محمد عبد الواحد (مترجم)؛ حمدى عمارة (معد)؛ رؤوف سلامة موسى (مشرف)؛ روز غريب (مترجمة)؛ سمير سرحان (معد)؛ سيد رمضان هدارة (مترجم)؛ عادل الغضبان (مترجم)؛ عبد الحميد توفيق (معد)؛ محمد العدنانى (مترجم)؛ محمد شفيق عطا (مراجع)؛ محمد صابر سليم (مترجم)؛ محمد قدرى لطفى (مترجم)؛ محمد كيلانى (مترجم)؛ محمود قاسم (معد)؛ مكتار السويفى (مبسط، مترجم، مراجع)؛ ملاك لوقا (مؤلف ـ مترجم).

وقد غطت كتب الأطفال الصادرة فى مصر معظم جزئيات المعرفة البشرية وإن كان هناك تفاوت ملحوظ فى مدى التغطية وكثافتها. كذلك غطت كل الأعمار ولكن أيضًا فى تفاوت واضح. ويكشف الجدول الآتى عن مدى التغطية الموضوعية:

الآثار	٢٠	البحار والمحيطات	٨	الرقص	٢	العلوم الاجتماعية	١٧
أركان الاسلام	٦٩	البيئة	٢٨	الزراعة	٧	العلوم البحتة	٥٢
أساطير وخرافات	١٥١	الترفيه	٧٤	الزلازل والبراكين	٥	العلوم العسكرية	١
أطالس	١	التصوير	٢	الزواحف	٦	الفتوحات الإسلامية	٢٨
أغانى الأطفال	٥٥	التعليم	١٤٦	السيرة النبوية	٢٤٢	الفلك	٧١
آداب غير عربية	١٢٧	التغذية	١٤	السينما	٣	الفنون الجميلة	٣
أحاديث قدسية	٨	التكنولوجيا	١٩	الصحابة والتابعون	٢٨٩	القرآن الكريم	١١
أحاديث نبوية	٤٥	التلوين	٢٤٩	الصحة	٢٣	القصص الإنجليزية	٧٦٣
الأخلاق الاسلامية	٦١	التوقيت	٨	الصناعة	١٤٧	القصص البوليسية	٤٩٦
الأدب	١٤	الجغرافيا	١٢	الصوت	٩	القصص الدينية	٢٥٦
الانثروبولوجيا	١	الحاسبات الآلية	٤١	الضوء	١٤	القصص العربية	٣١٠١
الأنهار	٧	الحرارة	٥	الطاقة	١٠	القصص العلمية	١٤١
الاختراعات	١٧	الحساب	٢	الطب	٤٧	القصص الفرنسية	٥٩
الإسعافات الأولية	٣	الحشرات	٣٣	الطبيعة	٢٦	القصص القرآنية	٢٢٠
الإسلام	١٦٦	الحفريات	٤	الطيور	٣٤	الكشافة	٢٤
الإعلام	٨	الدين المسيحى	٤٢٢	العاب التسلية	٥٦	الكهرباء	٩
الاقتصاد	١	الرسم	٣٩	العاب رياضية	١٠٧	الكون	٤

الكيمياء	٧	علم الأحياء	٢٠
اللغات	١	علم الحيوان	١٢١
المتاحف	٥	علم السياسة	٧
المعادن	٦	علم النبات	٢٥
المعارف العامة	١٠	علوم الأرض	١٩
المغناطيسية	١٢	غزوات الرسول	٥٦
المكتبات	٢	فصول السنة	٣
المناخ	١٥	فنون النسيج	٢
الموسيقى	٤٤	قصص الأنبياء	٢٤٢
النحت	١	قصص الخيال العلمى	٧٧١
النقل والمواصلات	٥١	قصص البطولات	٨٠
النقود	١	قواميس	٥
الهندسة	٨٧	المسرح	٢
الوراثة	٢	مسرحيات	٦١
أهل البيت	٦٢	وصف ورحلات	١٢٧
تاريخ الدول والشعوب	١٢٠		
التراث الشعبى	٤٣٥		
التراجم	٣٥١		
تفسيرات قرآنية	٤٢		
دوائر المعارف	٥٣		
زوجات الرسول	٥٩		
شعر الأطفال	٤٢		

ومن الواضح من هذا الجدول أن كتب القصص والمسرحيات بكل فئاتها تظفر بأكثر من نصف الإنتاج الفكرى للأطفال تليها كتب الدين بكل فئاتها أيضاً.

وناشرو كتب الأطفال فى مصر ينقسمون إلى أفراد وهيئات (دور نشر). ويأتى

على رأس دور النشر: الدار المصرية اللبنانية، العالمية للنشر، المؤسسة العربية الحديثة، المختار الإسلامى للنشر والطبع والتوزيع، المركز العربى الحديث، المركز العربى للنشر والتوزيع، الهيئة العامة للاستعلامات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الأمين للنشر والتوزيع، دار الثقافة المسيحية، دار الجيل للنشر والتوزيع، دار الشروق، دار الصحابة للتراث والنشر والتوزيع، دار الفتى العربى، دار الفكر العربى، دار القلم، دار الكتاب المصرى، دار الكتاب المقدس، دار المعارف بمصر، دار المعارف للطبعة العربية، دار النشر هاتييه، دار النهضة العربية، دار مكتبة الأطفال، لجنة خلاص النفوس، عالم الكتب، مؤسسة الأهرام، مؤسسة أخبار اليوم، مؤسسة الخليج العربى، مؤسسة المطبوعات الحديثة، مؤسسة دار الشعب، مؤسسة دار الهلال، مركز الكتاب للنشر، مطبعة الكيلانى، مكتبة ابن سينا، مكتبة الأنجلو المصرية، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، مكتبة المحبة، مكتبة النهضة المصرية، مكتبة غريب، مكتبة مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، هيئة الاغاثة الدولية، سفير (وحدة ثقافة الطفل).

المصادر:

١ ـ بيران، دونالد. القراءة الوظيفية/ ترجمه وقدم له محمد قدرى لطفى. ـ القاهرة: وزارة التربية والتعليم، ١٩٥٧.

٢ ـ ستفرود، ألفريد. العالم بين دفتى كتاب: دراسات فى فن القراءة/ ترجمة سهير القلماوى. ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨.

٣ ـ شعبان عبد العزيز خليفة. تزويد المكتبات بالمطبوعات.ـ الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، ١٩٩٩.

٤ ـ عز الدين فراج. فن القراءة.ـ القاهرة: مطبعة العلوم، د. ت.

٥ ـ الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ـ مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال. البيليوجرافية الوطنية المصرية: كتب الأطفال ١٨٦٢ ـ ١٩٩٥. ـ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٧.

أدب الأطفال فى الولايات المتحدة

Children's Literature in The United States of America

لمحة تاريخية قبل ١٨٠٠

من يتصدى لدراسة أدب الأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية عليه أن يضع فواصل تعسفية تقوم عليها دراسته لأننا نعرف أن شعب الولايات إن هم إلا أمة من المهاجرين من دول شتى جاء كل قوم منهم من بلد معين له أدبه الخاص به على نحو ما أشرت إلى ذلك فى الدراسة العامة فأين إذن يبدأ أدب الأطفال ومتى؟. هل كانت الأساطير والحكايات الشفوية لدى الهنود الحمر أى السكان الأصليين للولايات هى بداية ذلك الأدب؟ وهل إذا حكى الجندى الأسبانى إرنستو رود ريجيز سنة ١٦٢٥م لابنته فى (سانتا فى) فى نيومكسيكو حكاية من دون كيشوت فهل تعتبر تلك أول قصة للأطفال بالولايات المتحدة. وحتى لو اعتبرنا الولايات المتحدة فى بادىء تاريخها مستعمرة بريطانية وحتى لو بدأنا تاريخ أدب الأطفال هناك من الأدب المطبوع - وليس الشفوى - فإن من الصعب علينا أن نحدد بداية يقينية لذلك الأدب، لأنه حتى عندما كانت السفن تفرغ حمولتها من الأثاث والبضائع من كل نوع كان رجال الدين المهاجرون والوعاظ الروحانيون يحملون معهم مع فئات الكتب: كتب الباعة الجوالة، كتب الهجاء والقراءة، كتب آداب السلوك، قصائد إسحاق واطس، قصص العفاريت التى أبدعها بيرولت، خرافات آيسوب، قصص كوك روبين وديك وتنجتون... فهل تعتبر تلك الكتب المجلوبة أدباً أمريكياً أم لا؟

ورغم الأحداث الفكرية الكبيرة التى حدثت فى النصف الأول من القرن السابع عشر فى العالم مثل إعلان جاليليو عن نتائج أبحاثه عن مركز الشمس فى محاوراته التى أبدعها سنة ١٦٣٢م، إنشاء جامعة هارفارد سنة ١٦٣٦، ونشر تأملات ديكارت سنة ١٦٣٧م. إلا أن نشر كتاب جون كوتون «اللبن الروحى لأطفال بوسطون» يعتبر

حدثاً هاماً باعتباره أول كتاب ينشر خصيصاً لشباب أمريكا الشمالية حتى ولو تم طبعه فى لندن (١٦٤٦). هذا الكتاب يعتبر جزئياً كتاب لتعليم الدين وجزئياً كتاباً مدرسياً. وقد كان هذا الكتاب نوعاً خاصاً من كتب الأطفال بلغ تمام نضجه فى «دليل قراءة نيوإنجلاند» أشهر كتاب دراسى فى أمريكا الشمالية والذى طبع منه أكثر من ستة ملايين نسخة بين ١٦٨٠ و ١٨٣٠. هذا النوع من الكتب خدم الكنيسة والمدرسة معاً أى التعليم من أجل الخلاص والعكس: الخلاص من أجل التعليم حيث تبدأ أبجدية الكتاب بالعبارة الشهيرة: مع سقوط آدم كلنا أصبحنا خاطئين.

أما آدم ملتون فعلى خلاف آدم كوتون إذ سقط فى «الجنة المفقودة» التى نشرها سنة ١٦٦٧م. ولكى نستعيد الجنة نشر جون بونيان بعد عشر سنوات الطريق فى الجزء الأول من كتابه «تقدم الحاج» الذى أشرت إليه من قبل. ولكى نفهم هذين العملين لابد وأن نفهم فلسفة العمل الذى طبع فعلاً فى أمريكا للأطفال والذى ألفه كوتون ماذار بعنوان «هدية لأطفال نيو إنجلاند: أو نماذج من الأطفال ملأهم الخوف من الله قبل أن يموتوا فى أنحاء متفرقة من نيو إنجلاند» سنة ١٧٠٠م. وهذا العمل الجنائزى عبارة عن تجميعات بيوجرافية بالمكروبين والمحزونين والمثقلين بالهموم، ولكنهم شبان أتقياء، وكل ترجمة أو سيرة من هذه السير تأتى بعد حكاية معروفة تنتهى دائماً بمنتحبة بروتستانتنية: طفل يعانى المرض القاتل ويعد نفسه للحياة الآخرة من خلال الصلاة السرية والصوم ثم بعد ذلك من فراش الموت يقدم وصيته ونصحه بشىء من الرحمة والرثاء إلى الأطفال الأحياء بأن يصلحوا حياتهم ويحسنوا من سلوكهم وبعد تقديم هذه الوصية يسلم الطفل النموذج روحه إلى بارئها ويموت مشيعا بالثناء عليه أو يثنى عليه ثم يموت حسب ذوق القارىء نفسه.

أما عمل كوتون ماذار فهو مثال على نوع من كتب الأطفال يمكن أن نطلق عليه «الشهداء الأطفال» أو «استشهاد الطفولة». وهذا النوع من الكتب هو نتاج مجتمع المهاجرين الدينيين ـ البيورتيان ـ. هذا الكتاب يستلهم روحه من تقليد طويل موجود فى كتب الكبار الباكرة التى تتناول الحياة المستقيمة للبروتستانت مثل كتاب فوكس المعنون «كتاب الشهداء». وفى حالة هذه الكتب نجد أن أطفال المستعمرات الجديدة يداهمهم مرض عضال وليس رجل دين. والمجتمعات الدينية الأخرى لم تكن لتطالب

الأطفال بالمستوى الأخلاقى العالى الذى يطلبه البيوريتان الذين احتكروا السيطرة على القديسين الشبان الذين يجتاحهم مرض السل. والطوائف الدينية الأخرى أصرت مع ذلك أن يكون لها هى أيضاً القديسون الشبان، المكروبون ولكنهم صغار السن. ففى فيلادلفيا سنة ١٧١٧ على سبيل المثال نشرت طائفة كويكرز كتاب «تراث الأطفال: الكلمات الأخيرة وتعبيرات الموت لهنا هيل البالغة من العمر أحد عشر عاماً وثلاثة شهور تقريباً».

لقد كانت هنَّا فتاة صالحة ولكل هذا كانت مملة قليلا فيما يقول النقاد. وعلى الجانب الآخر فإن الإناث الشريرات (بنات حواء) تم تصويرهن فى أدب الكبار على أنهن ممتعات ولسن مملات على نحو ما حدث سنة ١٦٩٢ حيث قاد المستعمرون فى مدينة سالم فى ماساشوستس إلى الساحرات الحارقات بعضهن لتأديبهن. وفى سنة ١٧٢٢ قام دانيل ديفو بنشر عمل شبيه بهذا. وفى سنة ١٧٣٧ تقريباً نشر فى بوسطن قصة «الابنة المسرفة» والتى تعالج حكاية بنت غير صالحة كانت لأب نبيل يعيش فى غربة كبيرة وكانت تلك الابنة مغرورة وغير مطيعة ولأن والديها كانا يرفضان تصرفاتها وطيشها وإسرافها فقد تحالفت مع الشيطان على دس السم لهما ولكن الملاك الطاهر أعلم والديها بالخطة فأغمى عليها أربعة أيام طوال ولما وضعوها فى القبر ظناً منهم بوفاتها أفاقت من غيبوبتها وعادت إلى الحياة وتابت وواصلت العمل الطيب الذى شاهدته فى الحياة الأخرة.

لقد شهدت حقبة هذه القصة «الابنة المسرفة» تطوراً وتغيراً فى أدب الأطفال فى أمريكا ويعزى السبب فى ذلك كما ألمحنا فى بحث سابق إلى جون لوك. ففى سنة ١٦٩٠ نشر جون لوك بحثه «مقال حول الفهم الإنسانى» وفى هذا البحث عالج الفيلسوف الأعزب ومرة أخرى بعد ثلاث سنوات موضوع تربية الطفل فى عمل آخر هو «أفكار حول التربية». وقد أحدثت أفكار لوك صدى كبيراً فى السنوات التى تلت وفيما يقول جيرى جريسولد أصبح لوك الدكتور سبوك ـ الذى يتحدث إلى الأمهات فى شأن تربية الأولاد ـ الذى تربى على أفكاره جيل من الثوار الأمريكيين الذين ولدوا فى ثلاثينات القرن الثامن عشر وكان من بينهم جون آدامز، بول ريفير، باتريك هنرى، جون هانكوك، توماس بين وغيرهم ممن كانوا فى نظر «الوالد المستعمر

البريطانى» أولادًا غير صالحين أو مسرفين كان لابد من القضاء عليهم.

ولقد نزلت أفكار جون لوك على ممارسات البروتستانت فى تربية الأطفال كالصاعقة وقلبتها رأسا على عقب. وكما أشرت من قبل فإنه بدلاً من النظر إلى الطفل على أنه خطاء بطبعه، ذهب لوك إلى أن الطفل لوح أبيض نقى وبدلاً من أسرة المرض البيضاء التى عالجها كوتون ماذار طالب لوك باصطحاب الأطفال خارج المنازل بين المروج الخضر، وبدلاً من الصلوات السرية والصوم السرى طالب لوك بالهواء النقى وممارسة الرياضة، وبدلاً من نماذج تراجم الشهداء الشبان التى تستثير الدموع، نصح لوك جعل الأطفال يضحكون من قلوبهم وقراءة خرافات آيسوب. وكانت نتيجة ذلك كله التحول من قراءات النصوص المقدسة وفراش الموت إلى نوع جديد من الأدب الأخلاقى، الممتع، الخرافى.

وقد وضح هذا التحول فى ذلك العمل مجهول المؤلف الذى صدر سنة ١٧٥٠ بعنوان «هدية جديدة للأطفال» والذى يظهر إليه النقاد على أنه ربما يكون أول كتاب علمانى للطفل فى أمريكا. وفى هذا الكتاب نجد حكايات عن الأطفال الصالحين والذين يستحقون المكافأة وحكايات أخرى عن الأطفال غير الصالحين الذين ينالون عقاب أعمالهم السيئة. وبمعنى آخر فإنه بينما نظر إلى القراء البالغين الكبار - المشغولين بأعمال كانديد وويرذر وتوم جونز - على أنهم مستهلكون لنوع من الأدب يجب تحويلهم عنه، نظر إلى أقرانهم الصغار على أنهم أوعية فارغة يجب أن تصب فيها الدروس. ونصادف هذه النظرة إلى الطفل فى القصص التربوى فى القصة سالفة الذكر «هدية جديدة» حيث تقوم الآنسة بوللى بمساعدة أحد الغرباء ويتصادف بعد ذلك أن ينقذها من كلب مجنون، وعندما يقوم مستر بيلى بعمل استعراض فى المدينة ليعرض على الناس ملابسه الفاخرة فإن اللصوص يسرقونها منه ويضطر إلى العودة عاريًا إلى منزله.

ومن الملاحظات الهامة فى هذه القصص والفروق بينها وبين القصص الدينى أن الثواب والعقاب هنا والعدالة والقصاص لا تنتظر الحياة الآخرة بل تأتى فورية وعلى غرار ما ورد فى آيسوب. وفى قصة «العود الحميد» سنة ١٧٩٦م على سبيل المثال عندما

صد جورج الولد الفقير ورده فى الصباح فإنه لم يستطع أن يكون له نصيب فى الهدية التى أحضرها هذا الولد فى المساء. وقد انتهت تلك القصة بحكمة قالها له أخوه إنك لم تفد من القصة الخرافية التى قرأتها هذا الصباح عن الفأر الذى أنقذ الأسد من شبكة الصياد.

ولقد زأر الفأر على أرض الواقع سنة ١٧٧٦ ـ السنة التى نشر فيها جيبون كتاب اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية ـ حين أعلن الأمريكيون استقلالهم عن انجلترا. لقد أنهى هذا الحدث وحدثان آخران حقبة القرن الثامن عشر فى أدب الأطفال. ففى سنة ١٧٩٨ فى انجلترا قام وليام ويردزوورث بنشر «قصائد غنائية» وكانت من النوع الحماسى الرفيع الذى جعل الأطفال يتغنون بها ويرددونها فى فترات طويلة بعد ذلك. وفى السنة الثالثة ١٧٩٩ ولد برونسون ألكوت الذى أنجب فيما بعد أربع بنات نبغت إحداهن فيما بعد فى الكتابة للأطفال.

الأدب الوطنى والعلمانى ١٨٠٠ ـ ١٨٦٥

يعتبر كتاب «حياة واشنطون الأكبر» الذى ألفه بارسون ويمز سنة ١٨٠٦ من العلامات الفارقة فى كتب الأطفال فى الولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر. هذا الكتاب يفيض وطنية وشجاعة ومن بين ما جاء فى هذا الكتاب عن طفولة واشنطون أنه عندما قطع شجرة الكريز المفضلة لدى والده ورفض أن يكذب واعترف بارتكابه هذا الخطأ وغفر له والده هذا الخطأ لشجاعته وأمانته.

وبكل المقاييس يعتبر هذا العمل نموذجاً لكتب الأطفال الأمريكية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وفى نفس تلك الحقبة برز نابليون وأخرج بيتهوفن الإيرويكا. ولهذا جاء كتاب واشنطون فى عصر البطولات والأمجاد. والطريف فى هذا الكتاب أنه يصور جورج واشنطون فى صورة القديسين العلمانيين فى وقت كانت القدرسة والتقوى حكراً على الأتقياء البروتستانت فقط. والأطرف من هذا أنه لم يكد يمر جيل واحد على قيام الولايات المتحدة حتى أصبح تاريخ البلد رغم قصره مليئًا بالأساطير.

ويتساءل نقاد كتب الأطفال عن الأزمة التى واجهت الكتاب الأمريكيين فى مطلع القرن التاسع عشر ومؤداها كيف يمكن لدولة شابة عمرها لا يربو على جيل واحد أن

يكون لها أساطير وعلم يدور حول هذه الأساطير، وكيف تقدم هذه الدولة الوليدة مادة يكتب منها التاريخ؟ كيف يحدث ذلك فى وقت كانت الحركة الرومانسية هى الموضة السائدة فى أوروبا، وفى وقت قام فيه الأخوان جريم بالجلوس حول مواقد نار الفلاحين يستقون الأساطير الألمانية القديمة وينقحونها ويتتبعون آثارها حتى شعوب العصور الوسطى، فى وقت كان فيه الشعراء الإنجليز يبحثون عن عبق الماضى فى أطلال الأديرة والقلاع القديمة، فى وقت كان فيه الفرنسى يفخر بماضٍ تليد وحاضر ملىء بالأمجاد والفخار. فى وسط هذا كله أى تاريخ تستطيع تلك الولايات المتحدة أن تقدمه، أرض البرارى التى خبزتها الشمس، تلك الأرض التى لم تنجب شاعراً مثل بايرون فى ملابسه القطيفة السوداء، أو تبنى قلاعاً وحصوناً وكاتدرائيات ولم يصبح لها تراث شعبى ورقصات شعبية فى ملابس زاهية ملونة؟ وأى ماض لهذه الدولة تستطيع أن تطبعه على الكانافا والأكواب والقطع الذهبية والفضية؟ إن الإجابة باختصار شديد تأتى من أعمال مثل «إيفانهو» للسير والترسكوت، الذى تفوح منه رائحة التنورة الاسكتلندية (١٨١٩)، «آخر أفراد قبيلة الموهيكان» للكاتب المبدع فينمور كوبر سنة ١٨٢٦، أى أن الأسطورة الأمريكية جاءت أساساً من تربة غير أمريكية.

لقد كان كل الكتاب الأمريكيين وعلى رأسهم واشنطون إيرفنج على وعى كامل بالأزمة التى يواجهها الرجال هناك. وعلى سبيل المثال كان واشنطون إيرفنج كدبلوماسى وبوهيمى يرتحل فى أرجاء قارة أوروبا بين قلاعها وحصونها ومبانى الحكم الفخيمة فيها. وكان إيرفنج نموذجًا على الأمريكى المتعطش إلى الثقافة والتاريخ فلم يكتف بأن يسكن فى غرناطة العريقة التليدة بل اتخذ مقرًا له فى قلب قصر الحمراء. ولابد من الإشارة هنا إلى أن من الظواهر الغريبة فى نهاية القرن العشرين أن أصبح من الموضة تحاشى وتجنب التركيز الأمريكى أو التعلق الأمريكى بأوروبا، بينما فى القرن التاسع عشر كان التعلق الأمريكى بأوروبا والتركيز عليها هو تعلق القروى الساذج الذى وصل إلى اكتشاف خطير وهو أن ماء البحر هو ماء مالح. وعليه يمكن القول ببساطة إنه فى مجال الثقافة والعلم والتاريخ كان معظم سكان الولايات المتحدة يتعلقون بأهداب أوروبا.

ولكى نفهم ذلك الوضع علينا أن نقرأ قصص إيرفنج عن المستوطنين الهولنديين

الباكرين في وادى هدسون في نيويورك - ومن الشخصيات العظيمة فى هذا الصدد شخصية رب فان وينكل وإيكابود كرين. تلك القصص التى حاولت أن تدخل بالتاريخ الأمريكى المتواضع الزراعى شيئاً قل أم كثر من الأسطورة والتحضر الأوروبيين. ولقد أصبحت هذه القصص وقصص أخرى مثل قصص «تاريخ نيويورك»، «كتاب الاسكتش» للكاتب ديتريتش نيكربوكر (١٨٠٩)، (١٨١٩/ ١٨٢٠) على الولاء، أصبحت القراءات المفضلة داخل المدارس، وعلى الرغم من أنها لم توجه أصلاً إلى الأطفال إلا أنهم وجدوا فيها ضالتهم المنشودة، وربما كانت هذه القصص هى الأعمال الأمريكية العظيمة الأولى فى أدب الأطفال هناك.

لقد كان الفصل الدراسى الأمريكى فى القرن التاسع عشر هو المكان الطبيعى لتفريخ الوطنية الفكرية والمكان الذى وضعت فيه مبادىء وقواعد الفكر. ويعتبر كتاب ويمز السابق الإشارة إليه «حياة واشنطون الأكبر» نموذجًا على ذلك كما تعتبر قصص إيرفنج نموذجاً آخر. وفى نفس الوقت كانت أمريكا الفتية تتعلم تاريخها الوطنى عن طريق حفظ من قصائد هنرى وادزوورث لونجفلو: حداد القرية، المبشرة، أغنية هياواثا، غزل مايلز ستانديش، مركبة بول ريفير. كما تعلموا من كتب النثر شبه التاريخية وعلى رأسها: كتاب فينيمور كوبر «آخر أفراد قبيلة موهيكان» ١٨٢٦م؛ كتاب صامويل جريسوولد جودريتش «قصص بيتر بارلى عن أمريكا» ١٨٢٧م، حياة ديفى كروكيت؛ كتاب دانييل بيرس طومسون «أولاد الجبل الأخضر» ١٨٣٩م.

لقد ذكر روفوس ويلموت جريسوولد فى كتابه «شعراء وشعر أمريكا» سنة ١٨٤٢ وكتابه «كتاب النثر فى أمريكا» ١٨٤٧م أن هناك ما يمكن أن نطلق عليه «الأدب الأمريكى» ذلك الأدب الذى كان قد تشكل قبل ذلك بعقد على الأقل داخل فصول الدراسة التى انتشرت فى جميع أنحاء البلاد على نحو ما تمثل فى الكتاب الدراسى الذى ألفه ماك جوفى «القراءة المختارة الأولية» سنة ١٨٣٦ وما بعدها، والذى تضمن قطعاً مختارة مما تم الاعتراف بأنه أدب أمريكا ومن بينها: هويتيير «حبيس الثلج»؛ بو «الغراب الأسحم»، برايانت «ثانا توبسيس».

وللأمانة لم تكن تلك البلد الوليدة قد أنتجت أدباً يملأ كتاب «مقتطفات أدبية»

وهذا يفسر لنا لماذا كان المؤلفون الأمريكيون مشغولين دائماً باختيار وإعداد أعمال الآخرين. ففى كتابيه «كتاب العجائب» سنة ١٨٥٢، «قصص الغابة المتشابكة» سنة ١٨٥٣م قام المؤلف ناتانييل هورثون بأمركة الأساطير اليونانية بإعادة صياغتها فى بيئة نيوإنجلاند. كذلك فإن كليمونت مور جعل من العادات الهولندية (تقديم الهدايا - سانتا - الرنة) عادات أمريكية. وفى كتاب «ألحان الأوزة الأم» سنة ١٨٣٣ سطا الناشران مونرو وفرانسيس على كتاب بريطانى لأغانى المهد وجعلا منها أمريكية الصبغة وذلك بإحلال الكلمة «بوسطون» محل كلمة «لندن» فى كل مرة ترد فيها لندن. وفى هذا السطو ربما نجد نوعاً من الوطنية الذى يجعل من الأوزة الأم التى وقعت أحداثها فى منتصف القرن التاسع عشر، تظهر وكأنها وقعت فى بوسطون القرن السابع عشر. ومن الطريف أن المرشدين السياحيين الذين يطوفون بالسياح فى مدينة بوسطون يشيرون إلى أن مقبرة الأوزة الأم توجد فى ساحة كنيسة بوسطون غير عارفين بأن الأوزة الأم هى فى الأصل تعبير فرنسى يدل على نوع معين من القصص. وقد أشرنا إليه بتفصيل شديد فى الدراسة العامة.

وإلى جانب فصول الدراسة كانت الكنائس هى الأخرى مراكز لتنمية أدب الأطفال. ذلك أن المؤسسات الدينية منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر قد طورت نوعاً من الكتب عرفت باسم «كتاب مدرسة الأحد» وهو عبارة عن كتيبات صغيرة تقدمها اتحادات مدارس الأحد الأمريكية (١٨٢٤ - ١٨٦٠). وعن طريق تلك الكتيبات تعلم عدد لا يحصى من الأطفال الأمريكيين القراءة والصلاح وهما مهارتان لا علاقة بينهما فى بعض الأحيان.

لقد كانت هذه الكتيبات تعليمية وإصلاحية أيضًا وكانت كالوصفة الطبية فالأطفال الذين لا يستطيعون الالتحاق بمدارس الأحد الصباحية فإنهم يمكنهم التعلم فى المساء: إنهم يتعلمون أن هؤلاء الذين يتسلقون الأشجار لسرقة التفاح قد يسقطون وتنكسر أذرعهم.

وربما يبالغ البعض ويربط بين خفوت كتاب مدرسة الأحد فى الولايات المتحدة ومولد صامويل كليمنس سنة ١٨٣٥م الذى دفن هذا النوع من الكتب سنة ١٨٧٦م عندما أصدر عمله البارودى الساخر الذى احتفل فيه بالولد غير الصالح والمعنون

«مغامرات توم سوير» وفى الحقيقة فإن خفوت كتاب مدرسة الأحد كان نتيجة عملية أبطأ فى اتجاه العلمانية، ذلك أنه حتى منتصف الثلاثينات كانت الدروس الدينية هى محور كتب الأطفال ولكن بعد ذلك أصبحت كتب الأطفال تعنى أساساً بالتاريخ والجغرافيا وقللت من العناية بالسلوك وقواعده. وبدلاً من القس البروتستنتى أصبح كتاب الأطفال الأمريكيون آنذاك هم مدرسو المدارس. والمثال على ذلك يأتينا من عند يعقوب آبوت ذلك أنه فى مجموعة كتب روللو (١٨٣٥ وما بعدها) بعد أن يعرض لنا روللو وهو يتعلم القراءة وروللو وهو فى المدرسة يطوف بالقارىء الصغير فى رحلات حول العالم بقصد تقديم بعض الدروس الجغرافية له.

لقد كانت الخطوة التالية نحو العلمانية فى أدب الأطفال هى النجاح التجارى فى كتب الأطفال على النحو الذى بدأه وليام تيلور آدامز فى سلسلة «عين أوليفر» ١٨٥٥ وما بعدها. ولقد ساعدت فنيات الطباعة الرخيصة على إفساح الطريق أمام «قصص اللب» واللب هنا هو ورق الخشب والذى ساعد الناشرين فجأة على زيادة مبيعاتهم من كتب الأطفال. وفى سنة ١٨٦٠م أصبح إيروين بيدل وشركاه أول ناشر أمريكى يقدم قصص السوق العريض على نحو ما نصادفه فى أيامنا فى كتب الكوميديا وقصص العشر سنتات التى تحكى عن الخارجين على القانون والقراصنة والآنسات الشابات وديد وود ديك وأولاد أخبار الجير وفرانك ثم أخيراً جيسى جيمس.

وعندما نقترب من منتصف ذلك القرن نستطيع أن نلحظ بدايات خطوط التمييز بين أنواع من مواد القراءة. ففى قصص العشر سنتات (الدايم) نجد ثمة «كتب الصبيان» وهى عبارة عن قصص مغامرات فى الأماكن الخلوية خارج البيوت «وكتب البنات» وهى عبارة عن قصص منزلى وعاطفى تجرى أحداثه خلف الأبواب.

وفى كتب البنات برزت كاتبة مثل سوزان وارنر وخاصة فى كتابها «عالم رحيب رحيب» سنة ١٨٥١ حيث نجد بطلة القصة إيلين مونتجمرى الفتاة الفقيرة التى تضار من جانب بعض الكبار العابثين وعالم مصاب باللامبالاة تغرق فى بعض من الدموع ولا يعصمها من التيار إلا تمسكها بدينها المسيحى. كذلك تبرز فى هذا النوع من أدب الأطفال ماريا سوزانا كمنز فى قصتها «موقدة المصباح» سنة ١٨٥٤م والتى تدور حول «جيرتى» الصغيرة التى تطوف على غير هدى فى شوارع بوسطون. لقد كانت كتب

البنات من تأليف مجموعة من الكاتبات اتفق الباحثون فيما بعد على الإشارة إليهن على أنهن «الهوانم البكاءات». والحقيقة أن تلك الأعمال تتصل بعمل هارييت بيشر ستو «كابينه العم توم» سنة ١٨٥٢م وهى قصة وصلت إلى مرتبة أحسن المبيعات مثل الأعمال المذكورة سابقًا والتى وجدت لها سوقاً رائجة بين الأطفال.

وتحتاج السيدة هارييت بيشر ستو منا وقفة خاصة ذلك أنها فى أول مقابلة لها مع الرئيس إبراهام لنكولن حياها الرئيس قائلاً «هذه إذن الهانم الصغيرة التى كتبت الكتاب الكبير» ذلك أنها فى قصتها كانت ضد الرق والعبودية وأذكت نار الحرب الأهلية الأمريكية. وربما يكون فى ذلك شىء من المبالغة ولكن الواقع أنه مع ١٨٦١م كان القسمان الكبيران من الولايات المتحدة (أعنى الشمال والجنوب) قد دخلا فى حرب طاحنة إلى أن وقعت اتفاقية السلام فى أبوماتوكس سنة ١٨٦٥م نفس السنة التى نشرت فيها رواية «الحرب والسلام» للمؤلف الروسى ليو تولستوى. وفى تلك السنة أيضاً كان أدب الأطفال يتخذ مسارات مختلفة فى كل مكان. ففى الشرق (عبر الأطلنطى) نشر لويس كارول كتاب (أليس فى بلاد العجائب)؛ وفى الغرب فى كاليفورنيا كان اسم مارك توين يظهر تدريجياً على الساحة يبحث له عن مكان بكتاباته المرحة عن (الضفدعة القافزة).

العصر الذهبى لأدب الأطفال فى الولايات المتحدة(١٨٦٥ ـ ١٩١٤)

يحدد النقاد العصر الذهبى لكتب الأطفال فى أمريكا فى الفترة ما بين انتهاء الحرب الأهلية وبداية الحرب العالمية الثانية. وهى فترة مشهودة عاصرت نشر كثير من عيون قصص الأطفال وأعظمها شهرة مثل نساء صغيرات، مغامرات توم سوير، عجائب الساحر أوز، طرزان القرود، الحديقة السرية وغيرها. وكان المؤلفون العظماء من أمثال مارك توين، لويزا ماى ألكوت قد كتبوا للأطفال. وكانت قصص الأطفال على غير المألوف قد أصبحت من أحسن المبيعات لأن الكبار أيضاً وجدوا فيها متعة غير عادية.

ولقد أكد بعض المؤرخين أن تلك الحقبة هى حقبة الطفل. وربما جاء ذلك الاهتمام بالطفل بسبب الوطان الذى أعقب الحرب الأهلية وحيث لجأ كثير من المؤلفين إلى محاولة استعادة الحياة الهادئة الوديعة التى عاشوا طفولتهم فيها قبل الحرب وتحولوا إلى

الكتابة للطفل كرمز من رموز الماضى النضير دائماً. ولجأ بعض المؤلفين إلى الكتابة للطفل باعتباره رمزاً للمستقبل الواعد فى أمريكا ما بعد الحرب.

ومع كل ذلك فإن غالبية المصلحين لم يكونوا راغبين فى اعتبار الطفل بمثابة رمز ولكنهم رأوا فيه أو نظروا إليهِ باعتباره طبقة. فالأطفال فى نظرهم لديهم قدرات خاصة واحتياجات فريدة. ومن هنا قام الوزراء والسياسيون والمصلحون من كل الطوائف بإشباع تلك الاحتياجات عن طريق إنشاء ملاجىء الأيتام ودور الحضانة والملاعب وأصدروا قوانين عمل الطفل وأنشأوا المدارس الإلزامية. ولعله مما يجدر ذكره على سبيل المثال فقط أن أطباء الأطفال اعتبروا فى ثمانينات القرن التاسع عشر أخصائيين طبيين، وغدا طب الأطفال لأول مرة تخصصاً يدرس فى جامعة هارفارد.

وتفسر لنا كل هذه الرعاية الاجتماعية التى تقدم للأطفال فى تلك الفترة الاهتمام البالغ آنذاك بأدب الأطفال حتى بين الكبار. وظهر بين الدوريات الهامة فى تلك الفترة مجلات خاصة موجهة للأطفال من بينها: صديق الشباب (١٨٢٧ ـ ١٨٧٣م)، مجلة شاطىء النهر للأطفال (١٨٦٧ ـ ١٨٧٠)، مجلة هاربر للشباب (١٨٧٩ ـ ١٨٩٩). ومن بين أهم تلك المجلات على الإطلاق مجلة سانت نيقولاس (١٨٧٣ ـ ١٩٤٣م) التى كانت تحررها باقتدار السيدة/ مارى مابز دودج وكان من بين كتابها أشهر كتاب ذلك الوقت على الإطلاق.

وإلى جانب مهاراتها التحريرية اشتهرت مارى دودج بكتابها هانز برنكر أو السهم الفضى (١٨٦٥) وهى قصة تدور حول أسرة هولندية سيئة الحظ ولكنها مكافحة ومحبة للناس. وهو نفس موضوع الأسرة التى انتقلت من هولندا إلى نيوإنجلاند الذى ألفته لويزا ماى إلكوت تحت عنوان «نساء صغيرات» سنة ١٨٦٨م والذى فكرت ذات مرة أن يكون (الأسرة المثيرة للشفقة). وكانت عملية إثارة الشفقة فى الواقع هى النغمة السائدة فى كثير من قصص تلك الأيام على نحو ما نصادفه فى قصة مارثا فنلى المعنونة «إلزى دنزمور» سنة ١٨٦٧ وقصة هورايتو ألجر المثيرة حقاً للشفقة والمعنونة «ديك لايس الخرق» فى نفس سنة ١٨٦٧م.

وقد ازدحم السوق فعلاً بقصص الأولاد الطيبين الذين حظهم سىء فى الحياة تلك القصص التى ازدحمت بها كتب مدارس الأحد وكتب الأطفال العامة. ولذلك اتجه

بعض الكتاب آنذاك نحو قصص الأولاد السيئين مثل تلك القصة التى نشرها توماس بيلى ألدريتش سنة ١٨٧٠ تحت عنوان «قصة الولد السيىء» وتبعه بعد ست سنوات صامويل كليمنس فى قصته «مغامرات توم سوير». وقد ولدت هذه القصة مع مولد فيفيان بيرنت ابنة المؤلفة فرانسيس هودجسون بيرنت والتى أصبحت فيما بعد كاتبة قصص الولد النموذج على نحو ما نصادفه فى كتابها «فونتلروى اللورد الصغير».

ومن الطرائف التى تحكى فى تلك الفترة أنه فى نحو سنة ١٨٨٠ كانت فرانسيس هودجسون بيرنت تقضى الصيف فى هارتفورد (كونكتكت) وكان جارها فى السكن صامويل كليمنس. وقد نشر كليمنس فى الصيف التالى قصته «الأمير والفقير» وأرسل إلى فرانسيس بيرنت نسخة منها وبعد عدة سنوات أصدرت فرانسيس بيرنت كتابها سالف الذكر «فونتلروى اللورد الصغير» سنة ١٨٨٥، ولم يلبث صامويل كليمنس أن رفع قضية ضدها بزعم أخذها فكرة كتابه.

وبعد نجاح قصة جيمس أويتس كيلر «توبى تايلر» ١٨٨١ والتى تدور حول الولد الشارد كتب مارك توين عن هروب من نوع آخر فى كتابه الذى يعتبر حجر زاوية فى الأدب الأمريكى «مغامرات هكلبيرى فن» سنة ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥.

وفى السنة الأولى من القرن العشرين نشر فرانك ل. باوم كتاباً أساسيًا آخر من أساسيات الأدب الأمريكى سبق أن أشرنا إليه وهو «عجائب الساحر أوز» وفى طبعات تالية حذفت كلمة «عجائب» من العنوان. وكان لنجاح هذا الكتاب الذى وضع رسومه و. و. دنسلو أثره فى صناعة المنتجات الخيالية فى أمريكا ومن بينها كتاب جويل تشاندلر هاريس عن خرافات الحيوانات التى وضعها فى قصص العم ريموس ١٨٧٨ وما بعدها؛ وقصص العفاريت المصورة التى وضعها هوارد بايل ١٨٨٦ وما بعدها وكذلك جنيات بالمركوكس السمراء الصغيرة سنة ١٨٨٧ وما بعدها.

يقول بعض النقاد أنه بين الساحر أوز وبداية الحرب العالمية الأولى كانت أمريكا تعيش فترة سلام وبركة وحياة رعوية بسيطة. وقد صورت قصص تلك الفترة المشاكل التى تواجهها البنات وخاصة من أعمال السحر والشعوذة التى تدبرها لهن أقاربهن ومن بين القصص التى عالجت هذا الموضوع قصص فرانك باوم «دوروثى» ثم «الأميرة أوزما» وقصة كتب دوجلاس ويجنز «ريبيكا من مزرعة صنى بروك» سنة ١٩٠٣.

وقصة إليانور بورتر «بوليانا» سنة ١٩١٣. هذه القصص كانت تدور أحداثها عادة فى عالم رعوى أخضر.

وعلى جانب الصبيان نصادف عالماً آخر من القصص نشر عشية الحرب، ويمثل نظرية داروين «البقاء للأصلح» ونصادفه فى كتب مثل «دعوة البرية» ١٩٠٣، «الناب الأبيض» ١٩٠٥، «أبناء وعشاق» للأديب د. هـ. لورنس، «الحديقة السرية» ١٩١١ للأديبة فرانسيس بيرنت المشار إليها؛ «طرزان القرود» ١٩١٤ للأديب إدجار رايس بورو.

الفترة الحديثة لأدب الأطفال الأمريكى (بعد ١٩١٤)

عبر الأطلنطى قام جيمس جويس سنة ١٩١٦ بنشر كتابه «صورة الفنان كشاب» وهو قصة شاب أيرلندى مفرط الحساسية يدعى ستيفن ديدالوس. وفى نفس السنة وعلى الشاطىء الغربى من الأطلنطى نشر بوث تاركنجتون كتابه «السابعة عشرة» عن شاب مراهق أخرق من إنديانا يدعى سيلفانوس باكستر. وفى السنة التالية نشرت دورثى كانفيلد فيشر قصة طفل مريض عصبياً من فيرمونت تحت عنوان: «افهموا بتسى» وكل عمل من هذه الأعمال يعتبر فى حقيقة الأمر علامة مميزة وظاهرة من ظواهر الأدب الأمريكى فى القرن العشرين تدور حول «الشباب المراهق» الذى يعانى من مشكلات البلوغ. وقد تلت هذه الأعمال البارزة الثلاثة أعمال رائعة على خطاها فى السنوات التى تلت حتى سبعينات القرن العشرين نقف أمام بعضها مثل: ج. د. سالنجر فى كتابها «صياد سيد الفجر» سنة ١٩٥١، فيرجينيا هاملتون فى كتابها «م. س. هبجنز العظيم» ١٩٧٤؛ مارجورى رولنجز فى أعظم كتاب للشباب فى القرن العشرين الأمريكى «الوليد» سنة ١٩٣٨؛ لويزا فيتزهو فى كتابها «هارييت الجاسوس» سنة ١٩٦٤ وغير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه فى هذا المقام.

وبخلاف أدب المراهقين هذا، وجد القصص التاريخى مكانه فى سوق كتب الأطفال والشباب ففى سنة ١٩٢٦ نشر ويل جيمس نموذج راعى البقر الأمريكى فى كتابه «سموكى: حصان البقر». وفى خضم الأزمة الاقتصادية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٩) قدمت لورا إنجولز وايلدر سلسلتها القصصية التاريخية المسماة كتب البيت الصغير ابتداء من ١٩٣٢ والتى تدور حول رواد الشجاعة والإقدام فى الوسط الغربى. وفى نفس هذا الاتجاه نجد

قصة لوار لينسكى «فتاة الفراولة» التى تدور حول الحياة وسط غابات فلوريدا، كما نجد نماذج أخرى من القصص التاريخى والإقليمى فى فترة الاستعمار فى قصة إيثر فوربس المعنونة «جونى تريمين» سنة ۹۳٤ وكتاب اسكوت أوديل «جزيرة الدلافين الزرقاء» سنة ۱۹٦۰ والتى تدور حول حياة الهنود الحمر أو الأمريكيين الأصليين فى كاليفورنيا.

وظهر فى هذه الفترة أيضًا قصص أطفال هى مزيج من الواقع والخيال وهنا أمثلة كثيرة عليها يقول جيرى جريسوولد بصددها أن من بينها ثلاثة مجلدات تقف شامخة فى مواجهة الجميع هى: إ. ب. هوايت «عنكبوت شارلوت» سنة ۱۹٥۲ وتدور حول قصة صداقة بين خنزير وكاتب. وهى قصة قريبة من عقول الأطفال وقلوبهم؛ راندال جاريل «عائلة الحيوان» سنة ۱۹٦٥ وتدور حول بشر وحيوانات تعيش فى أسر بديلة؛ رسل هوبان «الفأر وطفله» سنة ۱۹٦۷: وهى قصة حيوانات مهاجرة تواجه ظروفاً جديدة وفترات أمل وفترات إحباط غير متوقعة.

والقصة فى أدب الأطفال الأمريكى فى تلك الفترة إنما تمثل نوعاً واحدًا فقط من الأنواع التى ظهرت. من تلك الأنواع كتب الصور وكانت فى أهميتها كماً ونوعًا تقف على قدم المساواة مع كتب القصص. وداخل هذه الفئة يبرز كتاب واندا جاج «ملايين القطط» سنة ۱۹۲۸ شامخاً عالياً من إعداد فنان ولد بين مهاجرين. من شرقى أوروبا ويحكى عن زوجين من كبار السن اندفعا بين هؤلاء المهاجرين وما أثار الدهشة فى هذا الكتاب هو التشكيلات الفنية الرفيعة وأسلوبه العصرى الذى يقول عنه النقاد «هنا يكمن متحف الفن الحديث بين دفتى كتاب من كتب الأطفال».

ونموذج آخر من نماذج كتب الصور الراقية العصرية نجده فى عمل لودفيج بيميلمان المهاجر النمساوى إلى الولايات المتحدة والذى يحاكى فيه اسكتشات بيكاسو. ويتضح ذلك أكثر ما يتضح فى مجموعة كتبه (مادلين) التى بدأت سنة ۱۹۳۹ واستمرت لفترة طويلة فيما بعد ذلك وبطلة هذه الكتب أى مادلين كانت فى البداية من مواطن باريس ثم رحلت إلى الولايات المتحدة. وتعتبر هذه المجموعة من أحسن كتب الصور الأمريكية المطعمة بنكهة أوروبية. وللعلم كانت أوروبا بين الحربين أرضية خصبة تحركت فيها الدوائر الفنية والأدبية وكان أرنست همنجواى على سبيل المثال من بين الكتاب الأمريكيين الذين تحركوا فى كتاباتهم بين باريس ولندن وأسبانيا وإيطاليا

وغيرها. وربما كان همنجواى الذى حفل بالحرب فى كتاباته بينما نكص الكتاب الآخرون عن الكتابة بعمق فى أمجاد الحرب فى كتب الأطفال. ومن الطريف أن نذكر هنا أن روبرت لوسون فى قصته: «قصة فيرديناند» التى نشرت بعد اندلاع الحرب الأهلية الأسبانية مباشرة سنة ١٩٣٦، جعل البطل هنا ثوراً أسبانياً معارضاً للحرب.

لقد نشر أحد الكتب المصورة سنة ١٩٣٧ فتح الطريق أمام نوع جديد من هذه الكتب المصورة، وهو الكتاب الذى نشره د. سويس بعنوان «وتظن أنى رأيته فى شارع ملبورى» والذى امتزج فيه الشعر بالموسيقى فقدم وعاء بصرياً جديداً. ويدور فى فلك هذا العمل كتاب آخر صدر سنة ١٩٤٧ توفرت عليه مرجريت وايز براون بعنوان «مساء الخير يا قمر»؛ وهو كتاب مثير للغاية. ثم توالت الكتب بعد ذلك فأصدر جينزبرج كتابه «النباح»؛ وأصدر كيرواك كتابه «فى الطريق»؛ وأصدر فيرلنجتى «جزيرة العقل»؛ وأصدر الدكتور سويس «القطة فى القبعة» سنة ١٩٥٧ والذى يعتبر من أخطر الكتب الأمريكية المصورة.

لقد بدأت المرحلة الثالثة من مراحل تطور الكتاب الأمريكى المصور سنة ١٩٦٣ عندما أخذ موريس سنداك هذا الكتاب الذى امتزج فيه الشعر بالموسيقى المصورة وأضاف إليه بعداً نفسياً جديداً وعمقه أحسن تعميق فى كتابه «حيث توجد الأشياء المتوحشة». هذا النوع من التحليل والعمق النفسى والتبصر صبغ أيضاً العمل الذى تلا لنفس المؤلف كما صبغ أعمالاً أخرى لمؤلفين موهوبين كثيرين منهم على سبيل المثال وليام سيبج وخاصة كتابه «سلفستر والبلورة السحرية». إن من الصعوبة بمكان أن نحيط بكتب الأطفال جميعاً فى القرن العشرين مهما تكن الإحاطة واسعة ولكن ثمة من الأعمال والمؤلفين ما يجب أن نقف أمامها من بينها أعمال مادلين لانجل المتعلقة بسلسلة القصص العلمى التى بدأت سنة ١٩٦٢ بكتاب «تجاعيد الزمن» وأعمال المؤلف المظلوم د. مانوس بنكووتر. ولابد هنا من الإشارة إلى والت ديزنى وما فعله للأطفال ففى سنة ١٩٣٧ أصدر عمله العظيم (سنو وايت) والذى بنى عليه مملكة سينما الأطفال؛ هذا العمل الذى لم يأخذ حقه من التقدير والاحترام فى مجال قص القصص والذى لايدانيه سوى كتاب (حرب الكواكب) للمؤلف الأشهر جورج لوكاس وقصص شيللى دوفال التليفزيونية.

فى نهاية القرن العشرين بدأت ظاهرة طريفة فى الولايات المتحدة أخذت تنتشر فى العقدين الأخيرين منه ألا وهى ظاهرة استمتاع الكبار المتزايد بكتب الأطفال فى وقت تناقص فيه عدد الأطفال فى الولايات المتحدة (على سبيل المثال كان عدد المواليد سنة ١٩٨٧ هو مجرد ٥٨٪ من عددهم سنة ١٩٥٨). لقد زاد عدد المبيعات من كتب الأطفال إلى أربعة أضعافه بين ١٩٨٢ و١٩٩٠ وتشير دراسات السوق إلى أن ثلث المبيعات يذهب إلى طفوليين فى العشرينات والثلاثينات من أعمارهم والتى يشترون هذه الكتب لأنفسهم وليس لمن هم أصغر منهم. ومن نفس هذا المنطلق نجد أن مقررات أدب الأطفال فى الجامعات الأمريكية هى أوسع المقررات الاختيارية انتشاراً بين الطلاب منذ الستينات ولقد زاد عدد الجامعات التى تطرح هذه المقررات زيادة كبيرة. وكذلك يقوم الكبار بمشاهدة مسرحيات قصص العفاريت على خشبات المسرح الخاصة بالأطفال على النحو الذى كشفت عنه دراسة بروتو بتلهايم. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه كذلك أن كتب الدكتور سويس المصورة مثل (كتاب معركة الزبدة وإتك وحدك الذى تكبر فجأة)؛ احتلت مكاناً مرموقاً بين مشتريات الكبار. ونستشف هذا الاتجاه أيضاً من فيلم (الهلب) الذى أعده ستيفن سبيلبيرج والذى يدور حول الكبار الذين يجترون شبابهم من خلال قراءة كتب الأطفال وخاصة معايشة كتاب بارى: بيتر بان.

ويرى البعض أن من الصعوبة بمكان معرفة الأسباب التى تحدو بالكبار فى الولايات المتحدة إلى الإقبال على كتب الأطفال بهذا الشكل. ويمكن استقراء بعض تلك الأسباب فى الدراسات الاجتماعية وعلى رأسها دراسة نيل بوستمان التى لخصت إقبال الكبار على أدب الأطفال بسبب «اختفاء الطفولة» وحيث لم يعد للأطفال عالمهم الخاص ولم يعد لهم ممثلوهم مثل شيرلى تمبلز، جارى كولمان، بروك شيلدز وبدلاً من ذلك طفلوا الكبار. إن مفهوم الطفولة الذى اخترعه المؤرخ فيليب آريس فى القرن السادس عشر بدأ يتفكك ويتحلل الآن أمام أعيننا. ويتوقع النقاد الاجتماعيون (ومن بينهم نيل بوستمان ومارى وين فى كتابهما أطفال بلا طفولة؛ ديفيد إلكند فى كتابه الطفل المستعجل) أننا سوف نرتد إلى عصور سابقة لم يكن فيها أى تمييز بين الأطفال والكبار.

ولعل هذه النظرة التشاؤمية والمحافظة فى نهاية القرن العشرين تفسر لنا هذا الانجذاب المتزايد نحو الطفولة من جانب الكبار. ولعل مسوحاً أكثر فى دول مختلفة

على نفس مستوى الولايات المتحدة قد تكشف عن أسباب أخرى لانجذاب الكبار لأدب الأطفال. ولعل الدراسات النفسية تدلى أيضاً بدلوها فى هذا الصدد إلى جانب الدراسات الاجتماعية والمكتبية. إن هذه الظاهرة قد يكون لها مردود كبير على حركة نشر كتب الأطفال.

المصادر:

1 - Attebery, B. The Fantasy tradition in American literature: from Irving to Leguin .- Bloomington: Indiana University Press, 1980.

2 - Blank, J. Peter Barley to Penrod: a bibliographical description of the best - loved American Juvenile Books .- Providence: Bowker, 1956.

3 - Griswold, Jerry. Audacious kids: coming of age in America's classic children's books.- New York: Oxford University Press, 1992.

4 - Griswold, Jerry. Children's Literature in the U.S.A. a historical overview .- in .- International Companion Encyclopedia of children's literature .- London and New York: Routledge, 1996.

5 - Jordan, A.M.From Rollo to Tom Sowyer.- Boston: The Horn Book, 1949.

6 - Macleod, A. S. A moral tale: children's fiction and American Culture 1820 - 1960 .- Hamden: Archon Books, 1975.

7 - Meigs, C. (edt.) A critical history of children's literature .- New York: Macmillan, 1969.

8 - Rosenbach, A. S. W. Early American children's books .- Portland: Southworth Press, 1933 (reprinted .- New York: Kraus, 1966).

9 - Welch, d,A. A Bibliography of American children's books printed prior to 1821 .- Worcester: American Antiquarian Society /Barre Publishers

إدواردز، إدوارد (١٨١٢-١٨٨٦)
Edwards, Edward (1812 - 1886)

إدوارد إدواردز أمين مكتبة ومؤلف بريطانى، تقلد مناصب مكتبية رفيعة فى مكتبة المتحف البريطانى ١٨٣٩ ـ ١٨٥٠، وفى شبكة مكتبات بلدية مانشستر ١٨٥١ ـ ١٨٥٨ وبعد ذلك فى أكسفورد. ولا تكمن أهميته فى المناصب المكتبية التى تقلدها بقدر ما تكمن فى قدرته على التفكير والتحليل والتأليف فقد قال عنه ملفل ديوى ذات مرة «إنه فى المقام الأول كاتب ومفكر». وقد دعاه ديوى فى شهر مارس ١٨٧٧ لكى يصبح المحرر المساعد الإنجليزى لمجلة المكتبات الأمريكية التى كانت قد بدأت فى الصدور فى العام السابق. وعندما كتب إليه فى ذلك الوقت وصفه بأمين المكتبة الوحيد العاطل المفلس الذى يعيش فى أكسفورد. وقال فى خطابه إليه:

«... إنك الشخص المناسب الذى كنا نتطلع إليه من زمن ككاتب ومفكر أولاً وأخيرًا فى عالم المكتبات ولابد وأن تتعاون وترتبط بالمكتبيين الآخرين فى الدولة فى حمل عبء هذا العمل... وأنا أشعر برغبة شخصية قوية فى هذا التعاون لأنه من عدة جوانب حيوية، أعتقد أنك تختلف عن معظم المكتبيين الأمريكيين. واسمك موضوع على قائمتنا ويشهد لك بقدرتك على العمل معنا...» وهذا الخطاب غير منشور وهو موجود الآن فى مجموعة إدواردز فى مكتبة مانشستر المركزية.

ولد إدوارد إدواردز فى ستبنى فى الطرف الشرقى من لندن فى الرابع عشر من ديسمبر ١٨١٢. كان أبوه أنطونى بناء بالطوب، وربما بتشجيع من زوجته شارلوت التى كانت على قدر من التعليم وسع فى نشاطه ليصبح «مقاول بناء وتاجراً ووكيلاً» ولكنه لم يصب نجاحاً فى هذا الشأن وحوكم بالإفلاس سنة ١٨٣٢. وإن كانت مسز إدواردز قد فشلت مع زوجها فقد أصابت نجاحًا مع ولدها الوحيد إدوارد. فقد كان طموحها بالنسبة له لا حد له وربما تكون قد قامت بتعليمه بنفسها الشىء الكثير؛ ذلك أنه لا توجد سجلات تثبت أنه دخل المدرسة أو تعلم تعليماً رسميًا. كذلك فإنه يدين بالشىء الكثير لتوماس بينى الذى أصبح وزيراً للملك سنة ١٨٢٩، ولإدوين آبوت

المدرس الذى أصبح بعد ذلك ناظر مدرسة اللغة فى ميرلبون سنة ١٩٢٧. ويبدو أن تعليمه قد استمر بخطى وئيدة طوال السنوات السبع التى تعلم فيها على أبيه. ومن هنا فإنه عندما بلغ العشرينات كان قادراً على اللحاق بأقرانه الذين تعلموا التعليم الرسمى.

وفى سنة ١٨٣٤م أصبح إدوارد قارئاً منتظماً فى مكتبة المتحف البريطانى. وكانت آنذاك المكتبة الكبيرة الوحيدة المفتوحة مجاناً وبدون قيود أمام الجمهور. وظل مرتبطاً بها طوال العشر عاما التى تلت. ولأنه كتب كثيراً فى مجالات متعددة مثل المسكوكات والأختام والميداليات والدولة والدستور ومستقبل نيوسوث ويلز، فقد أتيحت له الفرصة لكى يشغل وظيفة فى المكتبة سنة ١٩٣٩. وكانت الوظيفة مؤقتة كمفهرس إضافى لإعداد الفهرس الجديد للمكتبة وحتى سنة ١٩٥٠ مرت حياته المهنية بثلاثة مستويات: فقد عمل أولاً فى الفهرس؛ ثم انخرط بعد ذلك فى حركة إنشاء المكتبات العامة المجانية. وقد نشر فى هذا الصدد كثيرًا من الكتيبات والمقالات فى الدوريات؛ وفى سنواته الأخيرة فى مكتبة المتحف لم يفعل شيئًا لإزالة الخلاف الشخصى الذى نشب بينه وبين رئيس قسمه آنذاك «أنطونيو بانتزى». هذا الخلاف يؤسف له لأنه لم يؤد فقط إلى طرده من العمل، ولكن أيضاً لأنه هو وبانتزى كان بينهما اهتمام مشترك فى تطوير وتحسين خدمات القراء بمكتبة المتحف وعلى الرغم من أن الدعوة إلى إنشاء مكتبات عامة مجانية تمول كلياً أو جزئياً من الخزانة العامة كان مطلبا عاما وقدمت بخصوصه اقتراحات كثيرة فى انجلترا فى مطلع القرن التاسع عشر، إلا أن التقدم بطلب رسمى لإصدار تشريع به كان من نصيب عضو البرلمان وليام إيوارت (١٧٩٨ - ١٨٦٩). وكان من نصيب إدوارد أن يكون مصدر معلومات البرلمانى وليام إيوارت والشاهد الرئيسى والمدافع عن القضية أمام لجنة مختارة من مجلس العموم البريطانى والتى رأسها إيوارت نفسه سنة ١٨٤٩. وقد مهدت تقارير اللجنة السبيل أمام أول قانون لإنشاء المكتبات العامة فى بريطانيا سنة ١٩٥٠. هذا القانون بما فيه من نقاط وقائية عديدة دعم قيام المحليات ومجالس المدن على إنشاء المكتبات العامة وتمويلها إلى حد معين هو نصف بنس زيد بعد ذلك عندما عدل القانون سنة ١٨٥٥ إلى بنس واحد. وقد بدأ تطبيق القانون مباشرة فى المدن الصناعية الكبيرة ذات الكثافة السكانية.

وقد أخذت مانشستر زمام المبادرة فى هذا الصدد ثم عينت إدوارد أول مدير عام

مكتبات سنة ١٨٥١ . وقد قام بالشيء الكثير خلال السنوات السبع التى تلت وذلك لإرساء أسس ودعائم واحدة من أكبر شبكات المكتبات فى بريطانيا. ولكنه كعادته لم يفعل شيئاً لإزالة الخلاف الشخصى الحاد الذى نشب بينه وبين مجلس إدارة الشبكة. وقد اضطرت بلدية مانشستر إلى طرده من العمل سنة ١٨٥٨. وفى خلال الثلاثين عاما التى بقيت من عمره شغل وظائف مدفوعة الأجر غالباً فى أكسفورد فعمل أولاً مفهرساً فى مكتبة كلية الملكة من ١٨٧٠ إلى ١٨٧٦ وفى مكتبة بودلى (مكتبة الجامعة) ١٨٧٧ ـ ١٨٨٣.

وخلال فترة عمله فى مانشستر أخذ يكتب فى موضوعات مكتبية مختلفة من بينها: مذكرات عن المكتبات بما فى ذلك دليل عن العمل فى المكتبات. نشره فى لندن الناشر تربنر بعد ثلاثة شهور من طرده من عمله فى مانشستر سنة ١٨٥٨. وفى هذه المذكرات نجد عرضًا لتاريخ المكتبات منذ بداياتها الأولى فى مصر وبلاد ما بين النهرين وحتى سنة ١٨٥٧. وفى المجلد الثانى من المذكرات نجد بحثاً عن المكتبات الأمريكية منذ بداية هارفارد سنة ١٦٣٢ وحتى مكتبة نيويورك العامة ومعهد سميثونيان سنة ١٨٥٤. ويبدو مدخل إدوارد فى هذا الكتاب مدخلاً دعائيًا حيث صور المكتبات القديمة على أنها أسلاف مكتبات البلديات التى نشأت فى بريطانيا. والجزء الثانى من المجلد الثانى معنون بعنوان «اقتصاد المكتبات» ويقصد به العمل عموماً فى المكتبات ويغطى التزويد، المبانى، الفهرسة والتصنيف و«الإدارة الداخلية وخدمة الجمهور». ويعتبر هذا القسم من الكتاب أداة هامة شاملة لأمناء المكتبات فى القرن التاسع عشر. ولم يكتف إدوارد بتسجيل الواقع فى كتابه وإنما استشرف المستقبل أيضاً فخطط لنظام تصنيف علمى بريطانى وللببليوجرافيات الوطنية ولاتحادات المكتبات وخطط أيضاً لمعاشات أمناء المكتبات.

وقد كشفت الإشارات والمناقشات التى وقعت فى الاجتماع التمهيدى لإقامة اتحاد المكتبات الأمريكية فى فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ ثم فى اجتماع إقامه اتحاد المكتبات البريطانية فى لندن سنة ١٨٧٧، عن تقدير عميق لمذكرات إدوارد بعد عشرين عامًا من نشرها أول مرة. وفى سنة ١٨٧٦ ذيل إدوارد هذه المذكرات بعملين آخرين توفر على نشرهما نفس الناشر تربنر فى لندن. هذان العملان هما: «المكتبات العامة المجانية فى

المدن» (١٨٦٩م) وهى دراسة تاريخية أساسًا تقع فى ١٤ فصلاً تغطى ستة منها مكتبات أمريكا الشمالية. والكتاب الثانى «حياة مؤسس المتحف البريطانى» (١٨٧٠). ويعتبر العملان مادة إضافية جديدة للطبعة الثانية المنقحة والمزيدة من «مذكرات حول المكتبات» التى كان المؤلف يرغب فى إصدارها ولكنها لم يطبع منها سوى عدد محدود من الفصول.

ومن خلال الفترة بين طرده من مكتبة مانشستر العامة وتعيينه فى كلية الملكة أى من ١٨٥٨ وحتى ١٨٧٠ كان عليه أن يتكسب عيشه من التأليف والصحافة واستغلال أية فرصة تقع فى طريقه. وكانت كتاباته فى تلك الفترة حول موضوعات غير مكتبية. وكان من بينها مجلدان كبيران عن السير والتر رالى (١٨٦٨)، وقد اعتبر هذا العمل من الأعمال العظيمة التى لا غنى عنها فى التاريخ للرجل وللفترة ولما اشتمل عليه من خطابات ووثائق شخصية.

كذلك كتب إدوارد مجلدًا فى سلسلة رولز بعنوان: «كتاب عن دير هايدا: يضم حوليات عن شئون انجلترا منذ استقرار الساكسون إلى حكم الملك كنوت، وتوثيقات لدير هايدا فى هامبشاير ٤٥٥ ـ ١٠٢٣م» وقد استقبل هذا الكتاب بحفاوة شديدة عند نشره باعتباره عملاً علميًا موجهاً للدارسين والباحثين. وقد كتب إدوارد عدة مقالات فى الطبعة الثامنة من دائرة المعارف البريطانية (١٨٥٢ ـ ١٨٦٠) فى موضوعات مثل: البوليس، مكتب البريد، الكسيس دى توكفيل، الصوف. وقد كتب مقالته عن المكتبات فى دائرة المعارف البريطانية وهو مايزال فى وظيفته فى مانشستر.

لقد كان إدوارد نموذجاً للعصامى الفيكتورى، ولكنه كان دائماً معتدًا برأيه وأحمقاً من حين لآخر فيما يقول و. أ. منفورد. وكان من السهل أن يخلق العداوات مع الآخرين حتى أصدقائه والذين قدموا له العون والمساعدة. وكان مديرًا سيئًا لحياته الشخصية ولأمواله الخاصة وكذلك فى كتاباته لأنه لم يكن يستطيع الوفاء بالتزاماته مع الناشرين. وقد تزوج من مارجريتا هيوارد التى كانت تكبره بتسع سنوات سنة ١٨٤٤. وكان زواجهما سعيدًا فى معظم الأحيان لأن زوجته كانت اجتماعية وتحب المعاشرة أكثر من زوجها. ولم ينجبا أولاداً. وقد مات فقيراً معدماً فى نيتون فى جزيرة وايت

فى السابع من فبراير سنة ١٨٨٦، بعد عشر سنوات من وفاة زوجته ودفن فى ساحة كنيسة أبرشية نيتون. ويتوفر اتحاد المكتبات البريطانية على صيانة مقبرته.

المصادر:

- Edwards, Edward. Memoirs of libraries: including a handbook of library economy .- London: Trubner, 1958.

- Edwards, Edward. Free town libraries .- London: Trubner, 1869.

- Edwards, Edward. Lives of the founders of the British Museum .- London: Trubner, 1870.

- Munford, W.A. "Edwards, Edward" .- in .- World Encyclopedia of Library and Information Services .- 3 rd ed .- Chicago A. L. A, 1993.

أربوثنوت ، ماى هيل (١٨٨٤-١٩٦٩)

Arbuthnot, May Hill (1884 - 1969)

لم تكن ماى هيل آربوثنوت مكتبية ولكنها كانت أخصائية فى أدب الأطفال كما ورد فى مقال سابق وكانت أيضاً مستشارة قراءة بحكم كونها تربوية ومدرسة ومحاضرة وكاتبة وقد أثرت مكتبات الأطفال عن طريق كتاباتها الكثيرة فى هذا الصدد واعترافاً بفضلها ومجهوداتها فى الدفاع عن أدب ومكتبات الأطفال قام قسم خدمات الأطفال (الآن اتحاد مكتبات الأطفال) فى اتحاد المكتبات الأمريكية سنة ١٩٦٩ بتأسيس موسم محاضرات باسمها تحت كفالة سكوت وفورسمان وشركاهما.

ولدت ماى هيل أربوثنوت فى مدينة ماسون فى آيوا فى السابع والعشرين من أغسطس سنة ١٨٨٤. وقد حصلت على درجة البكالوريا من جامعة شيكاغو ١٩٢٢. وعلى درجة الماجستير من جامعة كولومبيا ١٩٢٤. وفى سنة ١٩٢٧ عينت بهيئة التدريس فى جامعة ويسترن ريزيرف (الآن جامعة كيس ويسترن ريزيرف)، كليفلاند -

أوهايو. وقد خرجت منها على المعاش بدرجة أستاذ مشارك سنة ١٩٤٩. وكانت مجالات تدريسها هى عن الحضانة والتعليم الابتدائى ومجالها المفضل الخاص «أدب الأطفال». وكانت إسهاماتها فى هذه المجالات أساسية ورائعة. وفى سنواتها الأولى فى جامعة ويسترن ريزيرف كانت رائدة فى حركة مدارس الحضانة وهى التى سعت إلى فتح مدرسة حضانة الجامعة التى أصبحت معملاً نموذجياً للمدرسين والأطباء والممرضات وأولياء الأمور وغيرهم ممن يهتمون بنمو الأطفال. ولقد تعلم آلاف الأطفال الأمريكيين كيف يقرأون عن طريق الكتاب الذى وضعته مع زميلها وليام سكوت جراى سنة ١٩٥١ بعنوان «أدلة المقرر الأساسى». وكثير من هؤلاء الأطفال يتذكرون كتبها الأدلة مثل «ديك وجين».

ولقد كانت مدرسة مشهورة فى أدب الأطفال وكانت محاضرة عميقة فى جميع أنحاء البلاد عن كتب الأطفال وقراءاتهم. وكانت تتحدث برسوخ وثبات عن الموضوعات التى تدور حول تقييم كتب الأطفال واختيارها كى تلائم احتياجات وأذواق الأطفال. وفى مجال شكرها عندما خصص باسمها موسم المحاضرات سنة ١٩٦٩ قالت وهى تتذكر مشوار حياتها «أتذكر تلك الأيام البعيدة التى كنت أجوب فيها من أقصى البلاد إلى أقصاها أجمع بين الأطفال والكتب معاً عن طريق الكلمة المنطوقة». وقد قالت أيضًا فى أحد أحاديثها معبرة عن رأيها «إن محاضرة قوية صادقة يمكن أن تشعل النار فى قطعة من الأدب فشلت فى أن تحيا من خلال الصفحة المطبوعة».

لقد كتبت بغزارة وعمق عن كتب الأطفال حيث كانت لمدة عشر سنوات محررة قسم عروض كتب الأطفال فى مجلة «تعليم الطفولة» وبعدها فى مجلة «الإنجليزية الابتدائية» (الآن تغير اسمها إلى فنون اللغة). وفى سنة ١٩٤٧ صدرت أول طبعة من كتابها الدراسى المستفيض فى محاضرات أدب الأطفال بعنوان «الأطفال والكتب» وقد نشرته مؤسسة سكوت وفورسمان وشركاهما. وقد تناولت فى هذا الكتاب مقدمة وخلفية كبيرة عن تاريخ وتطور أدب الأطفال مع نماذج وأمثلة على أحسن الكتب من كل نوع وفن وعرض لمجموعة مختارة من المؤلفين والرسامين ونصائح حول تطوير

أذواق القراءة عند الأطفال. ويمتاز هذا الكتاب بمدخله إلى اختيار واستعمال الكتب مع الأطفال. وفى هذا الصدد أبرزت حقيقتين هامتين فى عبارت بليغة عندما قالت «إن الكتاب يكون كتاباً جيداً للأطفال فقط عندما يستمتعون به ويكون الكتاب سيئاً للأطفال عندما يعتبره الكبار من الأمهات وإذا لم يستطع الأطفال قراءته أو عندما يملون محتوياته». هذا الكتاب الذى وصل طبعته السادسة سنة ١٩٨١، أعيدت كتابته وأعيد تنظيمه لأهميته من قبل زينة ثوذرلاند وآخرين.

وكتبها الأخرى تتضمن كثيراً من التجميعات حول كتب الأطفال ونماذج رائعة منها ونصائح حول كيفية اختيارها واستعمالها مع الأطفال. وهذه التجميعات كلها من نشر سكوت وفورسمان وشركاهما ومن بين هذه التجميعات الأعمال الآتية:

- وقت للشعر .ـ ط٣.ـ ١٩٦٨ (بالاشتراك مع شيلتون روت).
- وقت لقصص الماضى والحاضر .ـ ١٩٦٨ (بالاشتراك مع دورثى برودريك).
- وقت للتراجم .ـ ١٩٦٩ (بالاشتراك مع دورثى برودريك).
- وقت للسحر القديم .ـ ١٩٧٠.
- وقت للسحر الجديد .ـ ١٩٧١ (بالاشتراك مع مارك تايلور).
- وقت للاكتشاف .ـ ١٩٧١ (بالاشتراك مع إيفلين وينزل).
- مجموعة أدب الأطفال .ـ ط٤ .ـ ١٩٧٦ (تحرير ومراجعة زينة ثوذرلاند).
- ببليوجرافية: كتب للأطفال جيدة لا تفوتنا .ـ ط٧ .ـ ١٩٧٩.
- قراءة الأطفال فى المنزل .ـ ١٩٧٩.

هذه الكتب جميعًا ما تزال تستخدم فى كليات التربية فى مقررات أدب الأطفال وقراءاتهم لما لها من أهمية وكونها نماذج للدراسة.

وقد حصلت ماى هيل أربوثنوت على جائزة كونستانس لندساى اسكنر سنة ١٩٥٩، وعلى ميدالية اتحاد المكتبات الكاثوليكية المسماة ميدالية ريجينا سنة ١٩٦٤.

ولقد توفيت ماى هيل أربوثنوت فى الثانى من أكتوبر سنة ١٩٦٩ فى كليفلاند. وقد شرفت قبل موتها بثلاثة شهور بتخصيص موسم محاضرات باسمها على النحو

المشروح سابقاً. وهذا الموسم عبارة عن محاضرة واحدة عادة فى شهر إبريل يتوفر على إلقائها وإعدادها سنوياً أحد الثقاة من مؤلفى أو نقاد أو مؤرخى أو مكتبيى أو مدرسى أدب الأطفال، ويتم الإلقاء فى الولايات المتحدة بحيث تصبح «المحاضرة علامة بارزة فى مجال أدب الأطفال» وتنشر المحاضرة بعد إلقائها فى إحدى إصدارات دورية «قمة الأخبار».

المصادر:

- Arbuthnot, May Hill. Children and books .- Cleveland: Scott, Foreman and Company .- 1947.

- Miller, Marilyn. "Arbuthnot, May Hill" .- in .- World Encyclopedia of Library and Information Services .- 3 rd ed .- Chicago: A. L. A., 1993.

الأرجنتين، المكتبات والكتب فى

Argentina, Libraries and Books in

ثانى أكبر الدول فى أمريكا الجنوبية وهى جمهورية فيدرالية يحدها من الشمال بوليفيا وباراجواى، ومن الشرق البرازيل وأوراجواى والمحيط الأطلنطى، ومن الغرب تشيلى. وتبلغ مساحتها ٢,٧٦٦,٨٨٩ كم٢. ويبلغ عدد السكان حسب إحصاء ١٩٩٦ (٣٥,٢١٩,٠٠٠ نسمة). وتزعم الأرجنتين ملكيتها لمساحة ٩٦٩,٤٦٤كم٢ فى القارة المتجمدة الجنوبية (أنتاركتيكا) وجزر جنوبى الأطلنطى.

وقد ظهرت الأرجنتين منذ القرن السادس عشر كجمهورية فقيرة تحت الحكم الملكى فى بيرو وقد ظلت كذلك حتى القرن الثامن عشر. وكان نمو الأرجنتين بطيئاً، وربما يرجع ذلك إلى عدم وجود معادن على أرضها وعدم وجود حضارة سابقة على دخول الأسبان إليها أو ثقافة من أى نوع، ووجود البرتغال على امتداد حدودها مما عزلها عن مصادر الحضارة والثقافة. وقد أدت هذه العزلة إلى عدم وجود أى تقدم فكرى فى هذه

المنطقة. وأى تقدم أو نجاح حدث فيما بعد يعزى إلى شعبها وإلى مجهوداته المنفردة المنعزلة.

وفى سنة ١٧٧٦م أقيمت نيابة الملكية على منطقة شاسعة تحت اسم (ريو دى لا بلاتا) وكانت تضم إلى جانب الأرجنتين الحالية أوراجواى، بوليفيا، باراجواى.

وكانت المدينة الرئيسية للمنطقة بحكم الموقع الجغرافى المتميز هى بوينس أيرس. ومع ذلك فإن مدينة قرطبة الداخلية ومراكز أخرى فى ألتو بيرو (الآن بوليفيا) كانت أكثر ثقافة وتحضراً بسبب قربها من مدينة ليما ومن نيابة الملكية الغنية بيرو. ولعل هذا يفسر لنا لماذا نشأت أولى المكتبات فى قرطبة قبل أى مكان فى منطقة الأرجنتين.

ومنذ نهاية القرن السابع عشر دأب التجار الذين كانوا يقطعون الطريق الطويل من بوينس أيرس إلى ليما أو العكس من تلك المدينة الهامة ليما إلى بوينس أيرس، دأبوا على حمل الكتب كبضاعة من البضائع التى يتاجرون فيها. وقد كشفت قوائم البضائع التى وصلتنا من القرن الثامن عشر عن وجود كتب لحركة التقوى (التى نشأت فى ألمانيا فى القرن السابع عشر والتى كانت تؤكد على دراسة الكتاب المقدس) من بين البضائع. وكان من بين الكتب التى كشفت عنها جميع قوائم البضائع كتاب الأب خوان يوسبيو نييرمبرج (الفرق بين الدنيا المؤقتة والآخرة الخالدة) وكذلك أعمال سيرفانتس، كويفيدو، الأب فيجو، نبريجا وكتابه فى النحو وكذلك كالبينو.

ومع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر نشأت بعض المكتبات الشخصية فى قرطبة وبوينس أيرس. وقد بدأت أيضاً الطبقة الوسطى وطبقة الحكام فى الاهتمام بالكتب والحياة الثقافية. وفى هذه الناحية يبرز رجلان بروزاً واضحاً: الأسقف مانويل آرامور راميريز وخوان بالتاسار ماريل فقد كانا من أصحاب المكتبات الشخصية الكبيرة ومن أصحاب الفكر والثقافة. وقد ظهرت المطبعة هناك سنة ١٧٠٠م على يد البعثات التبشيرية من الجزويت. وقد طبع فى تلك السنة كتابان لم تصلنا منهما نسخ. وكان أول كتاب يصل إلى الأرجنتين هو كتاب الأب نييرمبرج المشار إليه بعاليه سنة ١٧٠٥. وقد ألحقت به بعض النقوش والصور القلمية السريعة بعضها من إعداد الهنود الحمر.

ولعل أول مكتبة غير شخصية تظهر فى الأرجنتين كانت فى القرن الثامن عشر. ذلك أنه فى سنة ١٧٥٧ قام جزويت مدينة قرطبة بإعداد فهرس لمكتبة كليتهم وجامعتهم. وقد شمل هذا الفهرس معلومات عن التنظيم الداخلى واللائحة الداخلية للمكتبة. وقد كشف هذا الفهرس عن ثراء المكتبة فى موضوعات الفلسفة والعلوم البحتة والطب والآداب. وكان من الطبيعى أن تضم مؤسسات الجزويت الأخرى مثل مقر البعثة مكتبات على نحو ما صادفناه فى دير سان إغناسيو فى بوينس أيرس والذى ضمت مكتباته نحو ثلاثة آلاف مجلد. وكان طرد الجزويت من جميع الممتلكات الأسبانية فى أمريكا الجنوبية سنة ١٧٦٧ سبباً مباشراً فى تشتت مجموعات مكتباتهم. وقد نقل هذا الطرد للجزويت مهمة إنشاء المكتبات وجمع الكتب بطوائف دينية أخرى مثل الفرنسيسكان والميرسيداريوس وقبلهم جميعاً وبعدهم جميعاً إلى الدومنيكان. ولم يكن قبل سنة التحرير (١٨١٠) أن قامت مكتبة عامة. ففى ١٣ من سبتمبر ١٨١٠ نشرت مجلة بوينس أيرس وكانت المجلة الرسمية الوحيدة آنذاك مقالاً مجهلاً بعنوان «التربية» وفى هذا المقال صورت المكتبة على أنها أداة أساسية فى الحياة الثقافية فى المدن وأعلن فى هذا المقال عن إنشاء المكتبة العامة فى بوينس أيرس وهى المكتبة التى أصبحت المكتبة الوطنية للبلاد سنة ١٨٨٤. وللأسف لم يصلنا القرار الرسمى بإنشاء المكتبة. وعلى أية حال فإن الفضل فى إنشائها يرجع إلى ماريانو مورينو سكرتير أول مجلس حاكم الذى كان المفكر الأول والمخطط الأول للمكتبة. وكان أصل هذه المكتبة ونواتها مجموعة الأسقف آزامور راميريز حيث ورثتها الدولة من الأسقف فى سنة ١٧٦٧ «لخدمة سانتا إجليزا والتعليم والتدريس العام» وقد ضمت المكتبة كثيراً من الكتب المحظور تداولها من قبل الكنيسة والملكية (بايل، روسو، فولتير) مما يدل على أنها كانت مجموعة شاملة وقوية.

وفى خلال القرن التاسع عشر أخذت المكتبة تنمو ببطء وتأثرت تأثراً مباشراً بويلات الحرب والسياسة فى ولاية بوينس آيرس ورغم ذلك لم تتوقف نشاطات المكتبة. وقد رأس المكتبة مديرون عظماء من بينهم أدباء ومؤرخون. وفى سنة ١٨٨٥ وضعت المكتبة فى يد بول جروساك (١٨٤٩ ـ ١٩١٩) الذى كان مؤرخاً وناثراً. وقد قام بدراسات ببليوجرافية عديدة للأدب الفرنسية فى القرن التاسع عشر. وهو الذى

نظم مجموعات المكتبة بنظامها الحالى على أساس تصنيف برونيه وأصدر دورية «المكتبة» ويعزى إليه الفضل فى جعل المكتبة أهم مكتبة فى كل البلاد. فى نفس الوقت عمت الحركة المكتبية أرجاء البلاد وأنشئت المكتبات فى مناطق عديدة من الدولة. ومن بين تلك المكتبات مكتبات الجامعات مثل جامعة بوينس آيرس. ومنذ ١٨٢٦ أنشئت تلك المكتبات فى المعاهد والمؤسسات العامة والخاصة، وهى التى تمثل الآن البنية الأساسية لشبكة المكتبات فى الأرجنتين. والحقيقة أننا نجد أقوى المكتبات فى مؤسسات التعليم الرسمى.

ورغم كل مشاكل السياسة والحروب والاضطرابات الداخلية والصعوبات التى واجهتها البلاد فإن معظم رعاة البلد شجعوا على إنشاء المكتبات والاهتمام بالكتب ويأتى على رأسهم خوزيه دى سان مارتين (الذى ولد فى يابيو سنة ١٧٧٨ وتوفى فى بولون سيرمير فى فرنسا سنة ١٨٥٠). وقد رعى حركة إنشاء المكتبات فى مندوزا وفى سانتياجو فى تشيلى، وفى بيرو على وجه الخصوص حيث أنشأ المكتبة العامة فى ليما.

وعلى مر العقود فى القرن التاسع عشر حدث حدثان مكتبيان هامان آخران. أولهما: حركة دومنجو فوستينو سارميتو لتنمية المكتبات والتعليم وتطويرهما (وقد ولد دومنجو فى سان خوان ١٨١١ وتوفى فى أسونسيون فى باراجواى ١٨٨٨). وثانيهما: صدور الببليوجرافية الوطنية. لقد وهب سارميتو نفسه لتنمية التعليم العام، وقد أسس مدارس عامة وعالية لإعداد المدرسين كما وهب نفسه لإنشاء وترويج المكتبات العامة (وكانت مكتبات اشتراكات بالدرجة الأولى). وقد عمل على إصدار القانون رقم ٤١٩ لسنة ١٨٧٠م الذى ينظم إنشاء ووظائف «هيئة حماية المكتبات العامة». إضافة إلى ذلك أعلن الرجل فتح المكتبات الجامعية ومكتبات الكليات أمام الجمهور ،كما عمل على إنشاء وتطوير مكتبات المدارس ودعا إلى ترجمة الكتب واتخذ الترتيبات اللازمة لذلك وأمر بنشر قائمة الإضافات لمكتبة بوينس أيرس العامة فى «النشرة الرسمية للدولة» ومن الطريف أن سارميتو بنفسه توفر على نشر العديد من المقالات وألقى العديد من المحاضرات حول المكتبات ومهنة المكتبات ولم تكن نشاطاته تعكس فقط إيمانه العميق وأفكاره حول دور المكتبات، ولكن أيضاً كانت تعكس تأثير

التطورات المكتبية فى أمريكا الشمالية عليه فقد عاش فى الولايات المتحدة من ١٨٦٥ وحتى ١٨٦٨ كوزير مفوض من الأرجنتين ومن ثم أتيحت له الفرصة لمراقبة التطورات المكتبية هناك عن كثب.

ولقد شهد القرن التاسع عشر أيضاً الببليوجرافية الوطنية الأرجنتينية وازدهارها. ويصدق ذلك أيضاً على سائر الدول الأسبانية الأمريكية. وحيث قامت تشيلى بإصدار ببليوجرافيتها فقد حذت مجموعة دول «ريو دى لابلاتا» حذوها وأصدروا ببليوجرافيات لا تعد لها ببليوجرافيات القرن العشرين. وقد برز فى هذا الصدد ببليوجرافيون عظماء على رأسهم: بدرو دى أنجليس (ولد فى نابلى إيطاليا ١٧٨٤ وتوفى فى بوينس أيرس سنة ١٨٥٩). وقد كان الرجل مؤرخاً وصحفيًا ومحرراً وجماع كتب من الطراز الأول. ومن بينهم كذلك خوان ماريا جوتيريز (ولد ومات فى بوينس أيرس ١٨٠٩ ـ ١٨٧٨) وكان كاتبا ومؤرخاً ومديراً للجامعة. وقد أعد قائمة بأوائل المطبوعات (١٨٦٦). ومن بينهم أنطونيو زينى (ولد فى جبل طارق ١٨٢١ وتوفى فى بوينس آيرس ١٨٩٠) وكان مؤرخاً واستاذًا بالجامعة ومؤسساً بعدة مدارس وجامع كتب. وقد أعد ببليوجرافية جامعة بالدوريات المنشورة فى البلاد سنة ١٨٦٩. ومن بينهم بارتولومى متر (الذى ولد ومات فى بوينس آيرس ١٨٢١ ـ ١٩٠٦) وهو مؤرخ أديب وصحفى ورئيس الجمهورية وكان يرعى مؤتمرات الفكر والثقافة وخاصة تلك المتعلقة بالببليوجرافيا وتوفر على اعداد عدد من الببليوجرافيات ١٩٠٩ ـ ١٩١٣، عرفت باسمه (مكتبة متر). وممن يجب أن يذكروا فى هذا الصدد أيضاً البرتو نافارو فيولا (ولد ومات هو الآخر فى بوينس آيرس ١٨٦٠ ـ ١٩٤١) وأخوه إيزيك نافارو فيولا (ولد ومات هو الآخر فى بوينس آيرس ١٨٦٠ ـ ١٩٤١) وكانا صحفيين وكاتبين. وقد توفرا على جمع «الببليوجرافية السنوية لجمهورية الأرجنتين ١٨٧٩ ـ ١٨٨٧» وقد نشرت فى بوينس آيرس ١٨٨٠ ـ ١٨٨٨. وإلى جانب تلك الجهود والجهود الببليوجرافية الأخرى التى قام بها الناشرون وتجار الكتب وغيرهم هناك العمل العظيم الذى قام به الببليوجرافى التشيلى خوزيه توريبيو ميدينا بعنوان «تاريخ وببليوجرافيا المطبوعات المنشورة فى وعن ولايات ريو دى لابلاتا» وقد نشر هذا العمل فى لابلاتا سنة ١٨٩٢.

وخلال القرن العشرين استمرت حركة المكتبات فى الأرجنتين فى النمو والتطور

ولكنها كانت أبطأ كثيراً من مجالات التعليم والثقافة الأخرى حيث تركز فى تنمية التعليم الابتدائى والثانوى وتطوير ما يوجد حالياً من جامعات وإنشاء مدارس وجامعات جديدة. ويأتى الاهتمام بالمكتبات فى المرتبة الثانية وربما الثالثة رغم ما يبذله المكتبيون والتربويون فى هذا المجال من مجهودات.

ويمكن تقسيم تاريخ الحركة المكتبية فى الأرجنتين إلى فترتين كبيرتين فى القرن العشرين: الأولى تمتد من ١٩٠٠ ـ ١٩٤٣؛ والثانية تمتد من ١٩٤٣ حتى الآن (نهاية القرن العشرين).

وتتميز الفترة الأولى بالخصائص الخمس الآتية:

١ ـ عقد اجتماعات مهنية بدأت سنة ١٩٠٨ بالمؤتمر الأول للمكتبات الأرجنتينية والذى عقد فى بوينس آيرس.

٢ ـ إنشاء الاتحادات المهنية والتى بدأت أيضاً بالاتحاد الوطنى للمكتبيين والذى أسس هو الآخر ١٩٠٨.

٣ ـ المحاولات الأولى لتدريس علم المكتبات على مستوى أكاديمى والتى بدأت ١٩٠٩ـ ١٩١٠ بفصل صيفى نظمه الأساتذة: بابلو أ. بتزورنو وفردريكو بيرابين وغيرهما. وفى سنة ١٩٢٢ نظمت كلية الفلسفة والآداب فى جامعة بوينس آيرس مساقاً فى علم المكتبات. وفى سنة ١٩٣٦ قامت مدرسة الخدمة الاجتماعية فى المجمع الاجتماعى الأرجنتينى بتنظيم مساق لدراسة المكتبات بها.

٤ ـ الزيادة الواضحة فى عدد الكتب المنشورة والمقالات حول مهنة المكتبات والحركة المكتبية فى الأرجنتين. وكانت قد بدأت على استحياء فى القرن التاسع عشر وكان من أقوى الكتب التى نشرت فى ذلك الوقت كتاب إرنستو نلسون تحت عنوان «المكتبات فى الولايات المتحدة». وقد نشر لأول مرة فى نيويورك سنة ١٩٢٧ ثم صدرت منه طبعة منقحة وموسعة سنة ١٩٢٩.

٥ ـ الرغبة فى التعليم وتبنى التصنيف العشرى العالمى، وترجمة وتعديل غيره من التصانيف. ومن بينها التعديل والترجمة التى قام بها ف. فيرابين سنة ١٩٠٩ للتصنيف العشرى العالمى؛ وكذلك الترجمة والتعديل التى قام بها ب. فرانكو

أيضًا للتصنيف العشرى العالمى سنة ١٩٣٢.

ولقد تميزت الفترة الثانية ١٩٤٣ ـ حتى الآن بحدثين هامين أولهما إنشاء معهد المكتبات فى جامعة بوينس آيرس وثانيهما تحويل المساق الذى نظم فى مدرسة الخدمة الاجتماعية بالمجمع الاجتماعى المشار إليه فى ـ ٣ ـ سابقاً إلى مدرسة كاملة لتعليم علوم المكتبات وذلك بفضل جهود كارلوس فيكتور بنا.

حاضر المكتبات والمعلومات فى الأرجنتين

ذكرت من قبل أن عدد السكان فى الأرجنتين حسب آخر إحصاء توفر لى وهو ١٩٩٦ قد بلغ نحو ٣٥ مليون نسمة؛ وطبقاً لهذا الإحصاء أيضاً فإن نسبة الأمية الاجمالية تدور حول ٤٪ وهى بين الذكور ٣,٨٪ وبين الإناث ٤,١٪. وقد بلغ إنتاج الأرجنتين من الكتب حسب سنة ١٩٩٢ و ١٩٩٦: فى سنة ١٩٩٢ ما مقداره ٥٦٢٨ كتابا منها باللغة الرسمية (الأسبانية) ٥٦١١ عنواناً بينما بلغات أخرى ١٧ كتاباً وهذا يعنى أن الانتاج كله تقريباً بالأسبانية.

وحسب ذلك الإحصاء فإن توزيع الكتب الصادرة فى الأرجنتين على الموضوعات يسير على النحو الآتى:

المعارف العامة	١٤٤	
الفلسفة	٣٣٨	
الديانات	٤٠٧	
العلوم الاجتماعية	١٥٧١	المجموع ٥٦٢٨ عنواناً
اللغات	٥٣	
العلوم البحتة	١٠٨	
العلوم التطبيقية	٥٧٢	
الفنون	٣٥٨	
الآداب	١٧١٢	
الجغرافيا والتاريخ والتراجم	٣٦٥	

أما إنتاج الكتب في الأرجنتين سنة ١٩٩٦ وهو آخر إحصاء متاح عند إعداد هذه الدراسة فقد بلغ ٩٨٥٠ عنواناً، توزيعها على فروع المعرفة البشرية يسير على النحو الآتي:

المعارف العامة	٣٣٩	
الفلسفة	٨١٨	
الديانات	٥٤١	المجموع ٩٨٥٠ عنواناً
العلوم الاجتماعية	٢٥٢٩	
اللغات	١١١	
العلوم البحتة	١١١	
العلوم التطبيقية	٩٠٠	
الفنون	٤٩٠	
الآداب	٢٥٢٠	
الجغرافيا والتاريخ والتراجم	٥٢٥	

وقد طبع من هذه العناوين سنة ١٩٩٦ (٣٩,٦٦٣,٠٠٠ نسخة) ويلاحظ ارتفاع عدد العناوين عن السنوات السابقة وانخفاض عدد النسخ عن سنة ١٩٩٥ بنحو عشرة ملايين نسخة وعن سنة ١٩٩٤ بنحو تسعة ملايين نسخة.

ومن الجدير بالذكر أن عدد الكتب المدرسية في هذا الإحصاء يصل إلى ٤١٢ عنواناً بمجموع من النسخ يصل إلى (٣,١٢٦,٠٠٠ نسخة). وقد بلغ عدد كتب الأطفال خارج السياق المدرسي ٥٥٤ عنوانًا بعدد من النسخ يصل إلى (٤,١٤٨,٠٠٠ نسخة). وهي من الدول المنتجة للأفلام السينمائية الطويلة بمتوسط عشرين فيلماً في السنة.

ومن الأرقام السابقة نلاحظ أن عدد الكتب في الأرجنتين يتضاعف تقريباً كل خمس سنوات، ويغلب على الكتب التي تنتجها الطابع الثقافي العام حيث أن الكتب الدراسية لا تزيد نسبتها عن ٥٪، وكتب الأطفال كذلك تدور حول ٦٪، معنى هذا أن غالبية الإنتاج موجه للكبار وإن كانت هناك نسبة للكتب الجامعية والمطبوعات

الحكومية. وربما جاء ذلك متواكبًا مع النسبة العالية للتعليم وانحسار الأمية هناك.

والمكتبة الأرجنتينية تسير فى الخط الحكومى المرسوم لها وليس هناك أى نشاط مكتبى خاص. والنشاط المكتبى الخاص يوجد فقط فى المكتبات المتخصصة التى تتوافر فى الشركات الصناعية الكبرى والمؤسسات التجارية الخاصة والجمعيات والاتحادات المهنية.

ومعظم المكتبات الحكومية تخضع لإشراف وزارة الثقافة والتعليم حيث توجد المكتبات العامة ومكتبات الأطفال ومكتبات المدارس ومكتبات الكليات والجامعات وكذلك المكتبة الوطنية. ونستعرض فيما يلى واقع المكتبات ومراكز المعلومات فى الأرجنتين.

المكتبة الوطنية

كما ألمحت سابقاً فإن معظم المكتبات الوطنية فى أمريكا اللاتينية تدين بمجموعاتها الأولى والأساسية إلى الجزويت؛ وهم الطائفة التى طردت من كل المستعمرات الأسبانية سنة ١٧٦٧. وقد شكلت كتبهم التى تركوها فى الأعم الأغلب النواة النووية للمكتبات العامة ثم الوطنية فيما بعد فى المنطقة بأسرها. وطبقًا للقرار الذى صدر فى السابع من سبتمبر ١٨١٠ والذى نبع من ضمير ثورة ٢٥ مايو ١٨١٠م أنشئت أول مكتبة عامة هناك فى بوينس أيرس وأطلق عليها مجازًا اسم المكتبة الوطنية إلى أن تحقق ذلك كما سنرى سنة ١٨٨٤. وكما ألمحت نشر هذا القرار فى مجلة بوينس أيرس فى ١٣ من سبتمبر ١٨١٠ ذلك اليوم الذى اعتبر «يوم المكتبيين» فى الأرجنتين منذ سنة ١٩٤٢.

وقد افتتحت المكتبة رسميًا يوم ١٦ من مارس سنة ١٨١٢. وكان أول مدير لها هو القسيس لويس خوريه كورو آرين والذى ظل مديرًا لها حتى ١٨٢١. وكان أول مكتبيين فيها هما: فريى كايتانو رودريجيز وساتور مينو سيجوررولا.

فى التاسع والعشرين من أغسطس ١٨٨٤ غدت المكتبة العامة مكتبة وطنية لكل الأرجنتين. ومنذ التاسع من سبتمبر من نفس السنة أطلق عليها رسمياً اسم المكتبة

الوطنية. وقد جاءت مجموعاتها الأولى من كتب مكتبات كلية سان كارلوس ومكتبة الجزويت في قرطبة ومكتبة الأسقف مانويل دي أزامور راميريز في بوينس آيرس كما جاءت الهدايا من الجنرال مانويل بلجرانو وغيره. وقد قدم الأهالي أيضاً هدايا من كتب ومال لهذه المكتبة.

وتنمو مجموعات هذه المكتبة عن طريق الإيداع القانوني والهدايا والتبادل والشراء. وتتألف المجموعات من الكتب والنشرات والدوريات والمخطوطات والخرائط والصور والمدونات الموسيقية والمؤلفات الموسيقية والصور المطبوعة ونسخ من وثائق أرشيف الهنود. ومن المجموعات الخاصة في المكتبة مجموعة ماريانو بلكاركي الابن بالتبني لخوزيه دي سان مارتين ومكتبات ووثائق كل من:

١ ـ إيزيكويل (حزقيال) ليجوينا.

٢ ـ بدرو دينجري.

٣ ـ فيلكس فرياس.

٤ ـ باستور أوبليجادو

كذلك جاءت المكتبة مجموعات من المخطوطات من روبين داريو وغيره من المشاهير في ذلك الوقت.

وكان أول مدير للمكتبة الوطنية هو بول جروساك الذي عمل من ١٨٨٥ وحتى ١٩٢٩. والمدير الحالي منذ ١٩٨٩ هو خوزيه ماريا كاستنيرا.

وقد انتقلت المكتبة إلى مبنى اللوتاري الوطني من ١٩٠١ وحتى سنة ١٩٩٢ حين افتتح مبناها الجديد الذي بني خصيصاً لها. وقد صمم هذا المبنى كي يكون مكاناً للضبط الببليوجرافي والجمع الببليوجرافي الفيزيقي للإنتاج الفكري ولكي يكون مركز المعلومات الوطني ومحور شبكة المعلومات الوطنية في كل أنحاء البلاد.

وفي مبنى المكتبة الوطنية يوجد مقر مدرسة المكتبات الوطنية والإدارة الوطنية للمكتبات العامة منذ عام ١٩٥٨. وقد ظلت المكتبة تنشر الببليوجرافية الوطنية حتى ١٩٥٦ حين انتقلت تلك المهمة إلى «مجلس الكتاب الأرجنتيني». وهذا المجلس هو

مركز تسجيل الترقيم الدولى الموحد للكتاب (تدمك) أيضاً. وينشر المركز مجلة بعنوان: الكتب الأرجنتينية. وتصل مجموعات المكتبة الوطنية الآن (١٩٩٩) إلى نحو مليونى مجلد والموظفون إلى مائة موظف.

المكتبات الأكاديمية

يوجد فى الأرجنتين الآن ٢٨ جامعة حكومية، وجامعتان إقليميتان و٢٣ جامعة خاصة. وتنخرط مكتبات الجامعات الحكومية (الوطنية) جميعًا فى شبكة واحدة. والمركز الرئيسى لشبكة المكتبات الجامعية يوجد فى (المجلس الأعلى لمكتبات الجامعات الوطنية). ويقوم المركز الرئيسى بتنظيم البرامج الرئيسية داخل الشبكة مثل تنسيق التزويد وتنمية المجموعات، تدريب المستفيدين، تشغيل الطلبة المساعدين فى المكتبات، إعداد الفهرس الموحد، كما يخطط وينفذ مشروعات الميكنة وتدريب أمناء المكتبات.

ويقوم مركز الشبكة بالتعاون مع المركز القومى للبحوث العلمية والتكنولوجية، وبرنامج الأمم المتحدة لتنمية المكتبات فى مجالات مكتبية عديدة ومنها على سبيل المثال إعداد دليل بمكتبات جامعة بوينس آيرس والتى يصل عددها إلى ١١٦ مكتبة تخدم الطلبة وأعضاء هيئة التدريس والعاملين فى الكليات والمعامل والمعاهد والأقسام. وتصل مجموعاتها إلى نحو مليون مجلد وعدد العاملين فيها ٤١٥ موظف من بينهم ١٥٠ مؤهل مكتبيًا و٢٦٥ مؤهلات مختلفة.

المكتبات العامة

تعرف المكتبات العامة فى الأرجنتين بالمكتبات الشعبية أو العمومية. وقد بدأت حركة المكتبات العامة هناك سنة ١٨٧٠ خلال فترة رئاسة الرئيس دومنجو سارمينتو الذى أشرت إليه سابقاً ويعرف قانون إنشاء المكتبات العامة هناك باسمه «قانون سارمينتو». وكان سارمينتو يعتقد بوجود علاقة وثيقة بين المكتبات العامة والمدرسية ويرى أن ثمة تكاملاً ضرورياً بينهما.

والهيئة المشرفة على المكتبات العامة هى «الشعبة الوطنية للمكتبات العمومية» التى أنشئت فى بوينس آيرس بالتنسيق مع المكتبة الوطنية. وتنتشر المكتبات العامة فى كل

أنحاء البلاد ولأغراض التنسيق والتصنيف تقسم المكتبات العامة إلى فئات حسب عدد المجلدات التى تقتنيها. وهناك نحو ١٥٠٠ مكتبة عامة فى البلاد معظمها مدعوم من جانب مؤسسات خاصة ولكن الدول تقدم لها الكتب ومرتبات العاملين وشراء الأجهزة والأثاثات. كذلك تقوم الحكومات المحلية والبلديات بتقديم العون والدعم للمكتبات الموجودة فى نطاقها وحيث تتجمع تلك المكتبات العامة تحت لواء خمس مناطق جغرافية.

فى مقاطعة بوينس آيرس تحدد القوانين والقرارات الخاصة بالمقاطعة طريقة تنظيم شبكة المكتبات العامة بها (شبكة مكتبات الإقليم) والتى تضم مائة وتسعين مكتبة. وتدير هذه الشبكة «إدارة المكتبات» وهى التى تخطط وتنظم وتنفذ الخدمات الثقافية والمكتبية فى الشبكة. وهناك تعاون بين المكتبات العامة وتبادل للمطبوعات والأفكار. وتتلقى الشبكة من الحكومة الفيدرالية مرتبات العاملين وتمويل المشروعات والخدمات الجديدة مثل المكتبات المتنقلة للمناطق الريفية وأحياناً تتلقى دعماً مالياً لشراء الكتب.

وبعض المكتبات العامة فى مقاطعة بوينس آيرس يربو عمرها على مائة عام، وعلى سبيل المثال أسست مكتبة باراديرو العامة سنة ١٨٧٢، ومتحف ومكتبة سان فرناندو سنة ١٨٧٣ وأنشئت مكتبة بيرناندينو ريفادافيا فى باهيا بلانكا سنة ١٨٨٢.

وقد أنشئت المكتبة العامة خوزيه دى سان مارتين فى مدينة لابلاتا (مقاطعة بوينس آيرس) سنة ١٩٥٠ كمكتبة استعارة ذات رفوف مفتوحة ويستطيع القراء الوصول إلى أى من مواد المكتبة دون عوائق. وقد افتتح مبناها الجديد سنة ١٩٧٣، وفيها قسم للمكفوفين وقسم إعارة وقسم للمواد السمعية البصرية وآخر لتبادل الإعارات (الإعارة البينية) مع إعطاء الأولوية للمكتبات القائمة فى مقاطعة بوينس آيرس. وفى المكتبة قسم للأطفال لا يكتفى بإعارة الكتب وإنما يقوم كذلك بتقديم أنشطة الأشغال اليدوية وساعة القصة. وتقدم المكتبة خدمات التصوير وخدمات دليل التليفونات وخدمات المعلومات المرجعية والببليوجرافية كما تقوم بتدريب الطلاب على استعمال الببليوجرافيات وغيرها من الكتب المرجعية. كذلك تتخذ المكتبة مقراً لأرشيف الكلمة المنطوقة وتضم المكتبة قسماً خاصاً لمجموعات المؤلفين من بوينس آيرس والوثائق غير

المنشورة لكتاب لابلاتا. ومجموعة الدوريات بها تصل إلى ٥٠٠ عنوان بما فى ذلك الدوريات المحلية. وتصل مجموعات الكتب جميعًا بها إلى نحو مائة ألف مجلد.

وتدير الإدارة العامة للمكتبات ٢٥ مكتبةً، ومكتبة للجرائد والمجلات وثلاث مكتبات متنقلة داخل مدينة بوينس آيرس وحدها وتبلغ مجموعاتها نحو ٥٠٠,٠٠٠ مجلد وعدد العاملين أكثر من مائتين يندر بينهم المهنيون (خمس فقط).

المكتبات المدرسية

على الرغم من فكرة الرئيس سارمينتو حول التعاون الوثيق بين المكتبات العامة والمدرسية إلا أن ذلك لم يتحقق وكل نوع منهما يشق طريقه بنفسه. ولا توجد هيئة واحدة تنسق التعاون بين المكتبات المدرسية نفسها وبينها وبين المكتبات العامة من ناحية ثانية. وإلى جانب مكتبات المدارس نفسها توجد فى بوينس آيرس وعدة أجزاء أخرى من البلاد مكتبات للمعلمين ومراكز للتوثيق والبحث.

وتنقسم مدينة بوينس آيرس إلى عشرين إدارة مدرسية تضم أكثر من ٦٠٠ مدرسة يربو عدد تلاميذها على ١٥٠,٠٠٠ تلميذ. ولخدمة تلاميذ هذه المدارس هناك ٦١ مكتبة مشتركة تضم نحو مليون مجلد.

وليس هناك أمناء مكتبات مهنيون متفرغون فى مكتبات المدارس. وغالباً ما يعهد بتلك المكتبات إلى مدرسين حصلوا على دورات تدريبية فى أعمال المكتبات؛ وتنظم اللوائح الإقليمية عمل هؤلاء المدرسين المكتبيين والصفات الواجب توافرها فيهم والمؤهلات التى يجب أن يحملوها للعمل فى المكتبات المدرسية.

المكتبات المتخصصة

تنتشر تلك المكتبات فى الدواوين والمصالح الحكومية كما تنتشر فى المؤسسات الصناعية والتجارية المختلفة مثل الوزارات والمعاهد، مكاتب التخطيط، المتاحف، البنوك، المعامل الطبية، المستشفيات وغيرها. وهذه المكتبات تعتبر بمثابة مراكز المعلومات فى مجالات متخصصة مثل الشئون البلدية، المجالات الطبية الحيوية، العلوم والتكنولوجيا، القانون. ومعظم هذه المكتبات المتخصصة منضم إلى «الاتحاد الأرجنتينى

للمكتبات العلمية والتكنولوجية ومراكز المعلومات» والذى يوجد مقره الرئيسى فى بوينس آيرس. والمكتبات الطبية الحيوية والعلوم ذات الصلة لها اتحاد خاص بها هو «اتحاد المكتبات الطبية الحيوية فى الأرجنتين» وهو يضم حالياً أكثر من مائة مكتبة متخصصة فى هذا المجال.

والمركز الأرجنتينى للمعلومات العلمية والتكنولوجية هو عضو فى المركز القومى للبحوث العلمية والتكنولوجية ويتعاون مع شبكة المكتبات الجامعية فى كافة البرامج والخدمات المتعلقة بالمكتبات المتخصصة مثل ميكنة الفهارس، الترقيم الدولى الموحد للدوريات (تدمد). ولقد قام النظام الوطنى للمعلومات والتوثيق العلمى والتكنولوجى بإعداد ونشر «القوالب العامة لإدخال البيانات فى قواعد البيانات الببليوجرافية» سنة ١٩٨٨ وقد تغير اسم النظام بعد ذلك إلى «البرنامج الوطنى للمعلومات والاتصالات العلمية والتكنولوجية».

وتضم مؤسسة الطاقة الذرية ٢٢ مكتبة متخصصة وتجمع المعلومات اللازمة حول الموضوع كما تتيح الاتصال بالنظام العالمى للمعلومات النووية من أى مكان داخل الدولة. ولتسهيل إعداد الفهارس الآلية قامت مؤسسة الطاقة سنة ١٩٨٨ بإعداد دليل خالص بتحليل الدوريات وميكنتها ودليل آخر بمعالجة الوثائق آليـاً.

التجمع المهنى والإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى الأرجنتين

أسس «اتحاد خريجى المكتبات الأرجنتينى» سنة ١٩٥٣. وكان اسمه فى البداية «اتحاد المكتبيين فى العاصمة الفيدرالية». وقد خلف هذا الاتحاد ما كان يسمى «مركز دراسات المكتبات فى المجمع الاجتماعى الارجنتينى (١٩٤٣ ـ ١٩٥٣)» و«اتحاد خريجى المكتبيات الأرجنتينى» عضو فى الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات (إفلا) ويبلغ عدد أعضاء الاتحاد الآن نحو ١٥٠٠ عضواً. ولا يقبل فى عضوية هذا الاتحاد سوى المكتبيين المؤهلين رسمياً.

والنشاط الرئيسى للاتحاد هو المؤتمر السنوى الوطنى الذى بدأ أولى حلقاته سنة ١٩٦٢ والتى تقترب من الحلقة الخامسة والثلاثين سنة ٢٠٠٠. وهو ينشر «النشرة الاخبارية» التى نشرت سلسلتها الأولى من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٥، وسلسلتها الثانية ١٩٨٤ ـ

وقد توقفت هذه النشرة لفترة عشر سنوات لأسباب شتى كما ينشر بحوث المؤتمرات ووقائعها ومن حين لآخر ينشر بعض المطبوعات المتخصصة. ومنذ سنة ١٩٧٩ بدأ ينشر «مجلة علم المكتبات والتوثيق». وعلى المستوى الدولى، استضاف الاتحاد «المؤتمر الوطنى الحادى عشر والإيبيرى الأمريكى الأول» فى بوينس آيرس سنة ١٩٧٤، و«الاجتماع الإقليمى للاتحادات المهنية لعلم المكتبات والمعلومات فى أمريكا اللاتينية والكاريبى» سنة ١٩٨٣. ويقدم الاتحاد دراسات عليا فى علم المكتبات، كما أنه يقدم منحاً دراسية لطلاب مختارين من مناطق ليس فيها مدارس مكتبات.

وهناك اتحادات مكتبية أخرى متخصصة فى مدن مختلفة: بوينس آيرس، قرطبة، لابلاتا، روزاريو ومناطق أخرى من البلاد.

ويوجد فى الأرجنتين الآن ٢٤ مدرسة مكتبات، تسع منها فى كليات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بالجامعات، والخمسة عشر الباقية تتبع إدارة التعليم العالى والإدارات الإقليمية للتعليم الثانوى. وللالتحاق بمدارس المكتبات لابد وأن يكون الطالب حاصلاً على شهادة الثانوية. ولا تختلف البرامج الدراسية كثيراً من مدرسة إلى أخرى. وتستغرق الدراسة من ٣ ـ ٥ سنوات للحصول على المؤهل اعتماداً على الدرجة المطلوبة. و«المعهد العالى لإعداد المحاضرين» فى لابلاتا فى بوينس آيرس المقاطعة يؤهل فى علم المكتبات والأرشيف والمتاحف. ويؤهل المدرسين لكى يصيروا مدرسين ـ مكتبيين فى المكتبات المدرسية فى المقاطعة ويؤهل مساعدى أمناء المكتبات والأمناء المهنيين للعمل فى المكتبات العامة فى الأقاليم استناداً إلى فترة الدراسة سنة أو سنتان أو ثلاث سنوات على التوالى.

وتسير الدراسة فى مدارس المكتبات الأرجنتينية على نفس خطوط الدراسة الأنجلو أمريكية مع بعض التعديلات الطفيفة حيث كانت قواعد فهرسة مكتبة الفاتيكان هى المفضلة والتصنيف العشرى العالمى هو المعمول به.

والحقيقة أن العمل البيبليوجرافى فى الأرجنتين ليس متقدماً على نحو ما كان عليه فى القرن التاسع عشر وليست هناك دورية متخصصة فى البيبليوجرافيا أو فى عروض الكتب، هناك فقط كتب كتبت حول هذا العلم تدرس فى مدارس المكتبات فى دول

أمريكا اللاتينية الأسبانية. ومن المؤلفين المشاهير فى هذا الصدد: د. بونوكور، فينو و ل. أ. هوركيد، سى. فى. بنا، ج. إ. سابور وغيرهم.

وقد دعت ضرورة تفهم الواقع المكتبى فى الأرجنتين جامعتين من جامعاتها إلى إنشاء مراكز بحوث متخصصة فى المكتبات والمعلومات. ففى سنة ١٩٦٣ قامت الجامعة الوطنية فى دل سير (باهيا بلانكا) بإنشاء مركز توثيق العمل المكتبى الذى قام مباشرة بإجراء العديد من الدراسات والبحوث المتخصصة. وفى الشهور الأخيرة من سنة ١٩٦٧ قامت جامعة بوينس آيرس بمساعدة من اليونسكو بإنشاء «مركز بحوث المكتبات» وهو يقوم بجمع البيانات والمعلومات حول واقع المكتبات فى الأرجنتين ويحللها ويضعها تحت تصرف السلطات الراغبة فى التخطيط المستقبلى للمكتبات ومراكز المعلومات فى الدولة. وهناك إلى جانب هذين المركزين تجرى بحوث ودراسات من جانب مؤسسات مختلفة وأفراد مختلفين بحيث أصبح هناك ثراء فى المعلومات حول المكتبات ومراكز المعلومات فى الأرجنتين.

وعلى الرغم من أن مراكز التوثيق والمعلومات هى من نوع المكتبات المتخصصة التى أشرنا إليها إجمالاً فى فقرة سابقة إلا أنها تستحق وقفه خاصة فى هذا الصدد فقد بدأت تلك المراكز على استحياء منذ نهاية الخمسينات وعلى وجه التحديد سنة ١٩٥٨ عندما أسس مركزان هامان فى هذا الصدد أولهما هو: مركز التوثيق فى المؤسسة الوطنية للآداب والفنون الذى دأب منذ سنة ١٩٥٩ على نشر البيليوجرافية الأرجنتينية فى الآداب والفنون؛ والبيلوجرافيات المتخصصة وهى أعمال بيليوجرافية انتقائية. وثانيهما مركز التوثيق فى المؤسسة الوطنية للبحوث العلمية والتكنولوجية وقد توفر على نشر بعض بيليوجرافيات غير منتظمة فى مجالات علمية وتكنولوجية متفرقة كما يركز على مجالات الترجمة العلمية.

وفى سنة ١٩٥٩ ساهمت منظمة اليونسكو فى إنشاء «مركز التوثيق الدولى» وذلك بهدف «تيسير المعلومات البيليوجرافية والاتصال بالمعلومات الموجودة لدى الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية وكذلك المنظمات الدولية غير الحكومية.

وفى سنة ١٩٦٠ أسس «مركز بحوث التوثيق» وكان يعتمد فى إدارته وتمويله على

«المعهد الوطنى للتكنولوجيا الصناعية» الذى يهدف إلى تنمية البحوث الصناعية والتكنولوجية وقد أنشىء العديد من هذه المعاهد فيما بعد فى ربوع الأرجنتين. ويقوم مركز بحوث التوثيق بإمداد تلك المراكز بالمعلومات ومصادر المعلومات المتخصصة اللازمة للباحثين.

وقد بدأ تدريس التوثيق فى البداية بمعزل عن مدارس المكتبات سنة ١٩٦٢ وذلك من خلال مراكز المعلومات والتوثيق عندما بدأ المركز الوطنى للتوثيق والمعلومات التربوية بتقديم دورات تدريبية متعمقة ومكثفة فى هذا الصدد. وهذا المركز يتبع وزارة الثقافة والتعليم. وهذا المركز تحددت وظيفته فى حصر المشكلات التربوية والتعليمية الكبرى وإعداد الدراسات الخاصة بتشخيصها وحلها وتقديم تلك الدراسات إلى الجهات المسئولة. كما أنه يقتنى كل المطبوعات الأرجنتينية المتعلقة بالتربية وطرق التدريس ويمد المتخصصين بالمعلومات التربوية وهو يغطى جميع أنحاء الأرجنتين فى هذا الصدد؛ وينسق مع مراكز التوثيق التربوى فى عواصم الولايات.

واعتباراً من ١٩٦٢ بدأت ظاهرة مراكز التوثيق والمعلومات فى الانتشار داخل المؤسسات الصناعية والتجارية، وفى الإدارات الحكومية الفيدرالية والولايات. وعلى سبيل المثال فقد قامت مدينة سانتا فى سنة ١٩٦٢ بإنشاء مركز التوثيق والمعلومات للشئون البلدية وذلك لجمع وتحليل وبث كافة المعلومات السياسية والعلمية والتكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية والمالية الخاصة بالولاية.

وفى سنة ١٩٦٢ دخل التوثيق مجال علوم المكتبات وتدريسها حين درس هذا الموضوع فى كلية الفلسفة والآداب فى بوينس آيرس وقد اتبع هذا الاسلوب بدراسات مماثلة فى كليات أخرى. وفى سنة ١٩٦٣ قامت جامعة بوينس آيرس بتدريس «المدخل إلى التوثيق» لطلاب الدراسات العليا.

وفى سنة ١٩٦٤، اتخذ التوثيق فى الأرجنتين بعداً دولياً لأول مرة عندما نظمت دورة تدريبية تحت إشراف الاتحاد الدولى للتوثيق (فيد) ومساهمة كل من المركز الوطنى للبحوث العلمية والتكنولوجية؛ ومنظمة اليونسكو. وقد تطورت هذه الدورة لتصبح برنامجاً إقليمياً فى التوثيق العلمى والتكنولوجى يحضره دارسون من كل أمريكا

اللاتينية ويدرس فيه خبراء وأساتذة دوليون وكان مقره فى بوينس آيرس. وفى سنة ١٩٦٦ قام نفس المركز الوطنى للبحوث العلمية والتكنولوجية بتنظيم برنامج للباحثين الشبان فى التوثيق المتخصص فى مجالات الكيمياء، الأحياء، الطب.

وفى نفس سنة ١٩٦٦ قامت كلية الفلسفة والآداب بتنظيم حلقة بحث مجانية حول «التوثيق: نظريته العامة ومصطلحاته» ثم تحول إلى برنامج دائم وتوسع نطاقه اعتباراً من سنة ١٩٦٧. وبعد هذا التاريخ توسعت مدارس المكتبات كما رأينا توسعاً عظيماً فى تدريس التوثيق ونظم المعلومات كما انتشرت مراكز التوثيق والمعلومات نفسها وتوسع نطاقها فى كل ربوع البلاد.

وفى نفس الوقت الذى انتشر فيه التوثيق ومراكز التوثيق والمعلومات على الجانب العملى التطبيقى، نشر العديد من الكتب والأدلة التى تعالج التوثيق ونظم المعلومات على الجانب النظرى الفلسفى. وعلى سبيل المثال ترجم كتاب أ. فرانك فى التوثيق إلى الأسبانية ونشر سنة ١٩٦٤ تحت عنوان «الأسس الحديثة للتوثيق والمعلومات» وقد نشرته فى تلك السنة مطبعة جامعة بوينس آيرس. كما قامت نفس الجامعة سنة ١٩٦٨ بنشر كتاب «الدليل العملى فى النسخ والتوثيق» والذى كان قد وضع أصوله الاتحاد الدولى للتوثيق. ومنذ ١٩٦٠ قامت الجامعة الوطنية للآداب بنشر سلسلة من المطبوعات المتخصصة شملت فيما شملت أعمالاً للمؤلفين البارزين من أمثال: شيرا، بريت، بالبيس، كوبلانز وغيرهم.

وفى سنة ١٩٦٧م تم تأسيس «جماعة التوثيق الآلى» التى أسسها عدد من الموثقين بهدف تجريب عمليات التوثيق عن طريق الآلات وخاصة الحاسب الآلى. وقد بدأت هذه المجموعة الوطنية للتكنولوجيا، وجامعة بوينس آيرس. وقد بدأت عملها بالفهرسة الآلية ومحاولة إعداد فهرس موحد آلى لجميع المكتبات الكبرى فى ربوع الأرجنتين. واستمرت مسيرة الاستخدام الآلى بعد ذلك فى العديد من المكتبات الكبرى فى الأرجنتين.

وقد حملت العقود الثلاثة الأخيرة أى السبعينات والثمانينات والتسعينات فى كل سنة من سنواتها تطورات واسعة النطاق نحو تحديث المكتبة الأرجنتينية ومركز

المعلومات الأرجنتيني. وقد حمل لواء التحديث والتطوير الموثقون وأخصائيو المعلومات وكذلك مدارس المكتبات والمعلومات نفسها. وتشهد المكتبات الجامعية على وجه الخصوص دون سائر أنواع المكتبات هذه النهضة الكبيرة فى استخدام تكنولوجيا المعلومات والقيام بعمليات التوثيق الآلى. وبعد المكتبات الجامعية تأتى المكتبات المتخصصة فى هذا الصدد أما المكتبات العامة ومكتبات الأطفال والمكتبات المدرسية فما يزال الشوط أمامها بعيدًا وطويلاً حتى تدخل فى غمار الاستخدام الآلى والكتب الإلكترونية.

وتحتاج الأرجنتين شأنها فى ذلك شأن كل الدول النامية إلى خطة وطنية شاملة لتطوير المكتبات فيها فى إطار عام يتنظم المنظومة كلها: المكتبات الجامعية ـ المكتبات المتخصصة ـ المكتبة الوطنية ـ المكتبات العامة ـ المكتبات المدرسية ـ مكتبات الأطفال. ويقع على عاتق اتحادات المكتبات ومدارس المكتبات فى الأرجنتين عبء وضع هذه الخطة الوطنية الشاملة وتقديمها إلى السلطات الحكومية وحملها على تنفيذها على مراحلها. ونحن على يقين من أن فى مدارس المكتبات وفى الاتحادات المختلفة من أعضاء هيئة التدريس ومن المهنيين من يقدرون على وضع الخطوط العامة العريضة لتلك الخطة وإقناع الدولة بتنفيذها.

المصادر:

- Jackson, W. V. Aspects of librarianship in Latin America .- Champain: Illinois Book Store, 1962.

- Sabor, Josepha E. Argentina, libraries in .- in .- Encyclopedia of Library and Information Science .- New York: Marcel Dekker, 1968. vol. I.

- Suarez, Renaldo José. Argentina .- in .- World Encyclopedia of Library and Information Science .- 3 rd ed .- Chicago: A. L. A., 1993.

- UNESCO Statistical Yearbook: 1998 .- Paris: UNESCO, 1998.

- United Nations Statistical Yearbook 1995.- New York: UN, 1997.

المحتويــــات

الاتصال، علم (الاتصال الفكرى) ـ الأرجنتين، المكتبات والكتب فى



دائرة
المعارف
العربية
في علوم
الكتب
والمكتبات
والمعلومات
تصميم: محمد حجي